

حصن السلام

بين يدي اولاد مولاي عبد السلام

تأليف

الطاهر بن عبد السلام الابهوي
الوهابي العلمي الحسني

تقديم

العلامة الاستاذ عبد الله كنون



34-32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26-53-46 - 26-23-75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء

الطبعة الاولى 1398 — 1978

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

هذا كتاب قيم حقا ، كتبه واحد من الذين يحسن ان لا يكتبه غيرهم
موضوعه التعريف بالشيخ الامام عبد السلام بن مشيش وفروع النسب
العلمى التى تنتمى الى السيد المذكور ، وهو موضوع قد تناولته الاقلام
بكثرة ، وخص بالتأليف العديدة ، ولا سيما من اهل هذا البيت الكريم ، ومن
بعض نقبائهم بالذات ، ولكنها كتابات وتأليف ان ترجمت للشيخ فباجمال
لا يشفى الغليل وان ذكرت شعب النسب العلمى فانها تقف عند حدود
زمانها ، وقد مر على بعضها وقت طويل .

اما الدليل الخريت والنسابة المطلع ، العالم الفاضل الجهيد الكامل
السيد الطاهر اللهوى الوهابى العلمى صاحب هذا الكتاب ، فقد قدم لكتابه
بمقدمة طويلة عريضة فى النسب النبوى الكريم ، وتسلسله فى الذرية العلوية
الطاهرة ، وما يتعلق بذلك من مباحث تاريخية ، وتراجم لائمة من آل البيت
اطال فيها النفس جدا ، والمهم انه حقق فى هذا الباب مطالب تزيغ فيها
الآراء فى حقوق آل البيت وواجباتهم والتشيع وضده ، وقد سلك فى ذلك
مسلكا معتدلا متوسطا لا الى المغالات ولا الى التفريط ، وان كان فى بعض
الاحيان تند منه كلمات بحق بعض الاكابر لا يوافق عليها مذهب اهل السنة ،
وليست تزيد آل البيت الكرام فضلا ولا شرفا ، لان فضلهم وشرفهم ثابتان
بغيرها وبما هو احق منها .

أما ميزة الكتاب العظيمة فهي الترجمة الوافية للشيخ المولى عبد السلام قدس الله سره ، والتي توسع فيها جهده ، وخلصها من الشوائب ، وجلى ما كان يحيط بها من الضباب ، وقدمه في صورة عالم عارف سنى ناسك سالك منهج أسلافه الكرام في العمل والتقوى والجهاد وعزوف النفس والترفع عن الدنيا والاشتغال بما يعنيه من معاش لدنياه وحسنة لدينه وضرب بذلك الامثال لذريته والمنتسبين اليه ، وعرفهم بأن ذلك هو الشرف الرفيع والجاه العالى ، وأثبت ذلك بالشواهد والادلة ، وتتبع المشاهد والمواقع التى تربط بحياة الشيخ ، تتبع الخبر المطلاع على الشاذة والفاذة بحيث لا يفوته منها شئ يتصل بعبادة أو عبادة .

والاماكن كالاخبار ان كانت محددة فهي معالم في حياة الشخص تلقى عليها أضواء تكشف عما يختبئ وراء الاخبار ، ولو كانت محررة كما هى عند صاحب حصن السلام ، واكمل المؤلف صنيعه في كتابة ترجمة الشيخ بالكلام على زيارته وما يقع فيها من البدع ، وارشد الى الزيارة وآدابها على ما حرره العلماء والدعاء وما يطلب فيه ، وهذا موضوع شائك ، يتعرض الخائض فيه لكثير من النقد والقييل والقال ، لان العوائد التى تمكنت من النفوس يصعب انتزاعها ولا يتأتى الاقلاع عنها بسهولة ، وعلى كل حال فالحق أحق أن يتبع ، والشرع وأحكامه فوق الجميع ، والمؤلف الم بالموضوع في الدائرة التى يمكنه أن يدور فيها . ولو قبل الناس كلامه لكان خطوة هامة في التشريع وعدم الابتداع .

وتزيد قيمة الكتاب بما ذكره من تفرعات النسب العلمى الشريف وتعدد كل فرع منها ، وما تسلسل منها الى يوم الناس هذا ، مع الاستيعاب والاستقصاء وذكر ما امتاز به كل فرع فرع ، ومرجهه وسلفه وأماكن وجودهم ، ومدافن اجدادهم وما وقع من التسور على بعضهم ، والاندساس فيهم ، وضمنه في الاخير عدة وثائق شرعية لها ارتباط شديد بالموضوع .

اننى أهنيء الاخ الاستاذ الطاهر على عمله هذا ، ولا اخفى اعجابى

بما بذله فيه من مجهود شاق ، وما صدع به من حق مر ، وقد قلت في اول هذه الكلمة ان هذا الكتاب مما يحسن أن لا يؤلفه الا رجل من صميم هذا البيت وأنا أعنى بما قلت ان غيرهم ان تعرض لبعض هذه الامور التي تعرض لها مؤلفه ربما حمل على الغرض وعدم محبة الشيخ ، وهو نفسه قد ذكر رؤيا مناهية صرفته عن كثير مما كان يريد أن يقوله وينصح به أبناء عمه من شرفاء العلم ومع ذلك فلم يأل جهدا في النصح وقول الحق جزاه الله خيرا عن مقام هذا الشيخ الجليل ، وأهل البيت الاصيل ، الذين ما أدركوا هذه المكانة التي لهم في النفوس الا بالجد والاجتهاد والعمل الصالح النافع في المعاش والمعاد ، ونفعنا واياه بالمحبة الصادقة للنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام وذريته الطيبين الطاهرين وآل بيته أجمعين ، والحقنا بهم واحشرنا في زميرتهم آمين والحمد لله رب العالمين .

عبد الله كنون

خطبة الكتاب

الحمد لله الذى جعل العاقبة للمتقين ، وخص بالفضل من اهتدى بهداية سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وعليهم أجمعين ، وحكم بسوء المصير على كل من لم يتقرب الى مولاه بلا الايه الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، أشهد انه الله الذى لا الايه الا هو شهادة تبلغنا من رضوانه منازل العارفين . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بدين الحق كى يمحو به ظلمة الشرك بنور الايمان الذى أخذ به العهد على المرسلين ، ويجعله سبيل النجاة لكل متبع من عباده المخلصين الطيبين الطاهرين .

وبعد : لما وفقنى الله لخدمة المجتمع المسلم وان كنت لست ممن يتوفرون على الكفاءة الصحيحة فى ذلك ساهمت بقدر قسطى بنصيب مما فتح الله به على من غير أن يكون لى فيه قدرة ولا استعداد ، لاننى لما نظرت الى العلم والعلماء وجدت نفسى منهم بمنزلة الارض من السماء ، ولكنى لما تذكرت قوله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم » دخلنى الامل وحبب الى العمل ، فجعلت أفكر فى المجتمع الذى يحيط بى من حولى فرايته فى حاجة ماسة الى من يرشده وينير له سبيل الخير حتى يتضح له منهاج الحق والصواب ، فيجتنب ما هو عليه من شبهات الاعتقاد الفاسد ، فسطرت له من الصواب ما قد يحمل قارئه على الاقتناع ان حسنت النية ، وصفت الطوية ، امثالاً لقول الله تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفتخوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وقد كنت آمل ان يتصدى للموضوع من اعتقد كفاءتهم فى هذا الفن ، فلم أر من يحرك ساكناً ، لذلك اقتحمت الميدان متجرداً من كل حول وقوة غير أننى متوكل

على العلى القدير لقوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وسميته :

حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام

عسى الله ان يجعله ذخيرة نفع لمن حسنت نياتهم حتى يستفيد منه الخاص والعام ، من كل من له رغبة في التوبة واصلاح عقيدته من الخواص والعوام ، وقد سلكت فيه سبيل السلف الصالح من اهل السنة والجماعة ، من غير تحيز ولا ابتداع ، وراجعت فيه من الكتب المختلفة ما يجعل القارئ يشعر كأنها كلها في متناوله في آن واحد او يشعر في نفسه انه كالنحلة التي تمص رحيقها من مختلف الازهار ، حين تلقى عليها أضواء النهار ، والله أرجو ان يجعله من العمل المقبول حتى احظى فيه من طرف الراغبين بالاستحسان المعقول ، وهو حسبي ونعم الوكيل بيده الخير واليه المصير وهو على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

المؤلف

حرر بتطوان بتاريخ (27) ربيع الاول
عام 1396 هـ . (29) مارس سنة 1976

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ علی خاتم النبیین سیدنا محمد وآلہ وصحبہ أجمعین .

البيت المضرى المنعم

ويتألف من سبع قبائل من مضر ، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم اعجازا لهم لانهم أفصح العرب ، ومضر هذا هو الجد (17) للنبي صلى الله عليه وسلم في سلسلة نسبه ، وجميع القبائل السبع تنتهي اليه في نسبها .

- (1) قريش ، وهم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر .
- (2) كنانة ، وهم كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .
- (3) قيس ، وهم قيس بن عيلان بن مضر .
- (4) تميم ، وهم تميم بن مَر بن أد بن طانجة بن الياس بن مضر .
- (5) أسد ، وهم أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .
- (6) هذيل ، وهم هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .
- (7) ضبة ، وهم ضبة بن أد بن طانجة بن الياس بن مضر .

النسب النبوى العظيم

ويبتدىء من سيدنا ومولانا « محمد » صلى الله عليه وسلم فهو : محمد بن عبد الله النبي الامى الرسول من الله الى جميع المكلفين من الثقلين قطان الارض وما بينهما ، ارسله الله : « بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » من زوجه آمنه بنت وهب بن

عبد مناف بن زهرة بن كلاب . فهى قرشية . ابن الجد (1) عبد المطلب واسمه شيبه الحمد من زوجه فاطمة بنت عمرو بن يقظة بن مرة المخزمية القرشية ، وكان عبد المطلب فى الجاهلية شيخا معظما فى قريش يصدر عن رايه فى مشاكلهم ، ويقدمونه فى مهماتهم ، وقد ظهر ذلك فى قضية ابرهة الحبشى المروية فى سورة الفيل (2) بن هاشم من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية من المدينة المنورة التى تشرفت عائلتها بنو عدى بن النجار بمقدمه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ونزوله فى ديارهم بأمر من الله سبحانه . (3) ابن عبد مناف من زوجه عاتكة بنت مرة من بنى سليم بن منصور احدى قبائل تميم بن عيلان بن مضر فهى مضرية . (4) ابن قصى ، واسمه مجمع من زوجه حبي بنت حليل من بنى خزاعة بن عمر احدى قبائل قحظة ابن الياسر بن مضر ، وهم الذين كانت لهم سداية البيت فى الجاهلية قبل قريش ، وكان لقصى حجابة البيت ، وسقاية الحاج ، ورفادته أى اطعامه ، وندوتهم وهى الشورى فلا يتم أمر لقومه الا فى بيته ، واللواء وهى راية الحرب فلا تعتد الا بيده وهو الذى يذكر عنه انه باع مفتاح الكعبة بزق من خمر . (5) ابن كلاب واسمه حكيم من زوجه فاطمة بنت سعد يمانية من ازد شنوءة . (6) ابن مرة من زوجه هند بنت سريز من بنى فهر بن مالك فهى قرشية وكان قومه يجتمعون اليه يوم الجمعة فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ، ويامرهم باتباعه والايمان به . (7) ابن كعب من زوجه وحشية بنت شيبان من بنى فهر بن مالك فهى قرشية . (8) ابن لؤى من زوجه أم كعب مارية بنت كعب فهى قضاعية . (9) ابن غالب من زوجه أم لؤى سلمى بنت عمرو ، فهى خزاعية . (10) ابن فهر ، واسمه قريش ، من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد فهى هذلية ، وفهر هو جد قريش الاعلى للبيت القرشى .

البيت القرشى المكرم

ويتألف من اثنتى عشرة قبيلة (1) بنو عبد مناف ، (2) بنو عبد الدار ابن قصى ، (3) بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، (4) بنو زهرة بن كلاب ، (5) بنو مخزوم بن يقظة بن مرة (6) بنو تميم بن مرة (7) بنو عدى بن كعب (8) بنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب ، (9) بنو عامر بن لؤى ،

(10) بنو تميم بن غالب ، (11) بنو الحارث بن فهر ، (12) بنو محارب ابن فهر ؛ وكانوا على قسمين فالقيمون منهم بمكة المكرمة يسمون قريش البطاح ، والقيمون بضواحيها يسمون قريش الظواهر .

(11) ابن مالك ، من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم . (12) ابن النضر ، واسمه قيس ، من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان . (13) ابن كنانة ، من زوجه برة بنت مر بن أد بن طانجة ، (14) ابن خزيمة ، من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان . (15) ابن مدركة ، من زوجه سلمى بنت أسلم القضاعية . (16) ابن الياس ، من زوجه خندوف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة . ويذكر انه كان يسمع تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج في صلبه . (17) ابن مضر من زوجه الرباب بنت جندة بن معد . (18) ابن نزار من زوجه سودة بنت عك ، قيل ان اياه رأى نور سيدنا محمد بين عينيه ففرح فرحا شديدا ، وأطعم كثيرا ، وقال : ان هذا كله نزر في حق هذا المولود النبيل . (19) ابن معد ، من زوجه معانة بنت حوشم جرهمية . (20) ابن عدنان ، هذا هو النسب المتفق على صحته بين علماء التاريخ والمحدثين . وما فوق ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن البحث فيه ، وقال : لا ترفعونى فوق عدنان ، كذب النسابون وغاية الامر انهم أجمعوا على أن نسبه صلى الله عليه وسلم ينتهى الى اسماعيل بن ابراهيم أب العرب المستعربة فهو نسب محفوظ كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات ، لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء ، حتى بعثه الله هاديا مهديا ، من أوسطهم نسبا ، وأكرمهم أما وأبا ؛ كلهم سادات قادات كحلقات السلسلة ، ليس فيهم مسترذل ، وكانوا في نكاحهم على شرع ابراهيم واسماعيل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : بين عدنان واسماعيل (30) آبالا يعرفون ، وقال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يتجاوز معد ابن عدنان ، ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ، وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدنى من سفاح الجاهلية شيء الا نكاح الاسلام . وروى هشام بن محمد الكلبى عن ابيه قال : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم (500) أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا

مما كان من أمر الجاهلية ؛ وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ؛ ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شيء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما . وعن أنس رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء ، وقال : انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ، ليس في آباءى من لدن آدم سفاح .

وفي صحيح البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفي صحيح مسلم ، عن وائلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق ، فجعلنى في خير فرقتهم وخير الفرقتين ، ثم تخير القبائل فجعلنى في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا . أى خيرهم روحا وذاتا وخيرهم أصلا ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار خلقه ، فاختر منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم فاختر منهم العرب ، ثم اختارنى من العرب ، فلم أزل خيارا من خيار ، إلا من احب العرب فحببى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم .

وقال الله تعالى : « فتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » أى المومنين ، وعلى هذا فان معنى فى على بابها ، والمعنى يراك متقلبا فى اصلاب وأرحام المومنين من نبي الله آدم الى ابيه عبد الله فأصوله جميعا مومنون ، والله أعلم بغيه وأحكامه .

البيت النبوى الشريف بيت مكة

يتلخص البيت النبوى فى مرحلتين « الاولى » بيت مكة قبل الهجرة

وكان يتألف منه عليه الصلاة والسلام ، ومن زوجه خديجة بنت خويلد الاسدية القرشية النسب ، تزوجها وهى ايم من موت رجلين ، وكان لها من العمر أربعون سنة ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يبلغ من العمر 25 سنة ولم يتزوج عليها فى حياتها ، وقد كان جميع اولاده بنات وبنين منها أما البنون فلم يكتب لاحد منهم البقاء فى هذه الحياة ، وماتوا فى الصفر بمكة المكرمة ، وهم القاسم ، وهو الذى كان يكنى به عليه الصلاة والسلام وعبد الله ، وهو الملقب بالطيب والطاهر ، أما ولده ابراهيم فكان من بيت المدينة ، ولم تكن أمه حرة ، وهى مارية القبطية ، جاءته صلى الله عليه وسلم فى هدية المقوقس ملك مصر ، ولم يكن له من السرارى سواها . وسيأتى باتى الكلام عليها فى بيت المدينة المنورة ، وكان له من البنات مع زوجه خديجة أربع ، هن : (1) زينب ، و (2) رقية ، و (3) أم كلثوم ، والرابعة « فاطمة الزهراء » الحوراء الآدمية ، وهى أصغر بناته ، وخلقت قبل الوحى بستة أشهر . أما زينب فقد تزوجها قبل الهجرة ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وهو على دين قومه ، واستمرت معه الى ما بعد الهجرة ، ولم تهجر مع أبيها ، فلما كانت غزوة بدر أسر زوجها مع أسرى المشركين ، وكان مع من أطلق بالفداء ، ومن أجل ذلك بعثت زينب فى فدائه بقلادة كانت لها حلتها بها أمها خديجة عند زفافها الى بيت زوجها أبى العاص مع نقود مالية ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلها ، وعلم أنها لها فتذكر بذلك عهد خديجة وتأثر بأبلغ التأثر ، ورق لها رقعة بالغة ، فقال لاصحابه ان هذه القلادة من حلى ابنتى زينب زوج أبى العاص ، فان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا ، فرضوا بذلك كلهم ، وأخذ عليه النبى صلى الله عليه وسلم عهدا بذلك على أن يتركها تهجر الى المدينة ، فلما عاد أبو العاص الى مكة أذن لها فهاجرت الى المدينة ، فلما كان قبل الفتح خرج أبو العاص الى الشام فى تجارة ، وكان رجلا أميناً ، وكان معه مال له وأموال لبعض قريش ابضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته عاد الى مكة بعد خطب طويل ، ورد المال الى أهله ، ثم أتى المدينة مسلماً ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم زوجه زينب اليه ، ويقول المؤرخون انه لم يجد لها عقدا بالمدينة ، وإنما اكتفى بالعقد الذى كان لها بمكة ، وأما رقية وأم كلثوم ، فقد تزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه الواحدة تلو الاخرى ، تزوج أولاً رقية بمكة قبل الهجرة فهاجرت معه الى الحبشة ، ثم هاجرت الى المدينة معه أيضاً ثم توفيت فى السنة الثانية من الهجرة ،

بعد انصرافهم من دفن شهداء بدر ، ثم زوجه عليه الصلاة والسلام أختها أم كلثوم في السنة الثالثة من الهجرة ، ولذلك كان رضى الله عنه يلقب بذى النورين ، ثم توفيت أيضا في السنة التاسعة من الهجرة . وأما ابنته صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضى الله عنها فكانت من نصيب ابن عمها أمير المؤمنين على بن طالب ، رضى الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن من الله كما يأتى في صفة عرسها وزواجها منه رضى الله عنهما .

ومنها كان عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسين ولها معه أيضا بنتان ، هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، وهى أصغر أولادها رضى الله عنها ، وسيأتى الكلام على عدة أولاد على رضى الله عنه من غيرها ، فى الكلام على بيت على كرم الله وجهه . وكل بناته صلى الله عليه وسلم توفين فى حياته الا فاطمة ، فانها عاشت بعده قليلا ، فكانت أول أهله لحوقا به كما أخبرها به صلى الله عليه وسلم فى مرض موته .

وأما خديجة رضى الله عنها أم هؤلاء الاولاد فقد توفيت بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاطعة شعب قريش التى قدرت مدتها بنحو ثلاث سنوات ، وتعد أكبر شدة مرت به صلى الله عليه وسلم فى حياته بين قومه وعشيرته بمكة ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موتها كثيرا ما يذكرها ويترحم عليها ، فقد عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو (25) سنة وقد كان لها من العمر عند وفاتها نحو (65) سنة ، وقد حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، لما كان لها من العطف عليه ، والرقه له ، ومحاجزة الكفار من قومه عنه . وذلك لما كان لها من الجاه بين بنى أسد ، رضى الله عنها .

ثم جعل النبى صلى الله عليه وسلم يتزوج بعدها ، فعقد عليه الصلاة والسلام على سودة بنت زمعة العامرية القرشية ، فى الشهر الذى توفيت فيه خديجة ، بعد أن توفى عنها ابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله ورسوله ، وخالفت قومها وأقاربها وبنى عمها وهاجرت مع زوجها الى الحبشة فى المرة الثانية خوف الفتنة ، وعقب رجوعها منها توفى عنها رضى الله عنه ، فلم يكن لها أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها ، ولو تركت لقومها على ما هم عليه

من الغلظة والشدة والجفاء في معاداة الاسلام لفتنوها في دينها ، وكان كرمها في قومها ونسبها في بنى عامر يمنعها من التزوج برجل اقل منها نسبا وشرفا ، ودخل بها بمكة المكرمة .

ثم بعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه ابي بكر رضى الله عنه وهى لا تتجاوز السابعة من عمرها ، ولم يتزوج عليه السلام بكرا غيرها . ثم دخل عليها بعد مضي ثلاث سنوات بعد الهجرة في المدينة المنورة .

المرحلة الثانية بيت المدينة

وقد ابتدأت المرحلة الثانية من بيت النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة ، بعد ان اصبح هذا البيت اوسع واعظم من بيته بمكة ، لان البيت الاول كان بيت الجهاد والكفاح مع العدو المجاور الذى لا يهدأ له بال حتى يعثر على النصر النهائى من هذا الخصم الجديد الذى لا سبيل للمفاهمة معه الا بالدخول في دين الله ، وترك ما كان عليه الآباء والاجداد من عبادة الوثنية ، وهذا ما لا يرضاه القادة الكبار من اهل مكة حتى ينتصروا عليه او يموتوا من أجله ، وقد بدل الله عز وجل سيد الوجود بيته في مكة بين أعدائه من قومه وعشيرته ببيت في المدينة المنورة بين أنصاره وأحبته واتباع دينه ، فكان البيت الاول بيت الايذاء والنقم ، والبيت الثانى بيت الحياة والنعم . وفيه انزل الله على نبيه ورسوله تميما لنعمته عليه في هذا البيت الثانى : « يا أيها النبى انا اطلقنا لك ازواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » وقد أحل الله للنبى صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الاستمتاع بأربعة أصناف من النساء .

(1) أى زوجة مسلمة ارادها النبى صلى الله عليه وسلم واعطاها صداقتها فهى حلال عليه من أى جنس كانت سابقا ، وهى قوله : « ازواجك اللاتى آتيت أجورهن » .

(2) المسنيات في الحرب ، قد خيره الله في نكاحهن بطريق الملك او بطريق الحرية والصداق ، وهى قوله : « وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » وكانت له صلى الله عليه وسلم زوجتان من هذا النوع ،

تزوجها عن طريق العتق والصداق — 1 — صفة الاسرائلية بنت حى بن
أخطب سيد بنى النضير جاءت اليه مما أناء الله عليه من سبى بنى النضير ،
فاصدقها عتقها . وتزوجها ، ثم أسلمت ، وشرفت بأن كانت من أمهات
المؤمنين رضى الله عنها — ب — بريرة بنت الحارث سيد بنى المصطلق ،
جاءت اليه من سبى بنى المصطلق مع مائتى امرأة فأعتقها صلى الله عليه
وسلم وتزوجها فى دار الحرب وسماها « بريرة » ولما كانت بنو المصطلق
أعز العرب دارا كان أسر نسائهم بهذه الحال صعبا ، فجعل النبى صلى
الله عليه وسلم من هذا الزواج مبررا للمن عليهم حتى يتحرر جميع المسبيات
اللاتى كن بيد أصحابه من الغنيمة ، ولما علم الاصحاب بزواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بريرة قالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ينبغى أسرهم وبقاؤهم تحت أيدينا ؟ فمِنُوا عليهم بالحرية ، فكانت
جويرية أيمَن امرأة على قومها ، وتسبب عن هذا المن أن أسلم بنو المصطلق
عن بكره أبيهم ، وكان ذلك فى السنة (5) من الهجرة .

(3) بنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتى
هاجرن معه وكانت أم هانئ بنت عمه أبى طالب ممن خطبها بمكة ولم
تهاجر معه ، وروى عنها أنها قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت ، أى من الهجرة فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له بعد لائى
لم أهاجر معه . وهى قوله : « وبنات عمك وبنات عماتك اللاتى هاجرن معك »

(4) صنف الواهيات نفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم ، اذا
وهبت امرأة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم . بأن يتزوجها بغير عوض
له أن يقبل الهبة ويتزوجها ، وله أن يردها فلا يتزوجها . لان الهبة من
شرطها القبول . واختلف فى هذا الصنف من الزوجات : فقال ابن عباس
رضى الله عنهما هو بيان حكم فى المستقبل ، ولم يكن عنده احد منهن بالهبة .

وقال غيره الواهية نفسها اختلف فيها : فقيل هى ميمونة بنت
الحارث وقيل هى زينب بنت خزيمة ، وقيل هى أم شريك بنت جابر ، وقيل
هى خولة بنت حكيم . وبعد نزول هذه الآية شرع النبى صلى الله عليه
وسلم فى تكميل النصاب . زيادة على من هاجر معه من مكة ، وهما اثنتان :

(1) « سودة » وهى سودة بنت زمعة بن الاسود من بنى عامر بن
لؤى فهى قرشية ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو كما تقدم عند
خطبتها بمكة .

(2) « عائشة » الصديقية بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن أبيها فهما مهاجرتان ، وشهرتهما كافية عن التعريف بهما . بين أبناء المسلمين . وهى البنت البكر التى دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة فى السنة الثانية من الهجرة ، ولها تسع سنين ، ولم يتزوج عليه السلام بكرا سواها ، وقد كان لها شأن عظيم بين أمهات المؤمنين فى الفضل والعلم والدين ، واختص بيتها بمزايا من بين سائر بيوت أزواجه صلى الله عليه وسلم ، وتشرف بكثرة نزول الوحي به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشرفت بنزول الوحي ببراءتها فى قضية الافك المهولة الشهيرة فصارت براءتها تتلى قرآنا الى يوم الدين .

كما تسببت فى نزول آيات أخرى من سورة التحريم ياتى الكلام عليها فى محلها . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختارها للخروج معه فى المغازى فخرج بها لغزوة بنى المصطلق ولما كانوا فى انابتهم الى المدينة جلسوا للاستراحة فتخلفت عن الركب لقضاء بعض حاجاتها فسقط من عنقها عقد لاختها أسماء فتخلفت تبحث عنه ، وبعد ما وجدته رجعت فوجدت الركب قد سار ، وكان الوقت آخر جزء من الليل ، فألحقها بالجيش وراء المدجج المتخلف عن الجيش للاحتياط وكانت لختها تخفى على الناس هل هى فى هودجها من الركب أم لا ؟ وحين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستيناف السفر ظن الناس أنها فى هودجها فى الركب ، وكانت الحادثة بعد نزول الحجاب ، فلم يتحققوا منها حتى كان ما كان ، وكانت حافظة للقرآن ، راوية للسنة ، فقيهة عالمة كان فتفاء المحدثين من العلماء يرجعون اليها فى كل ما غاب عن غيرها من الصحابة ، وخصوصا فى الشؤون الزوجية والمنزلية وأحكام النساء ، وكانت الى جانب ذلك تتدخل فى الشؤون السياسية ، حتى قادت الحرب يوم الجمل ضد الامام على رضى الله عنه ، وسياتى الكلام عليه فى محله ، وكانت تحظى عند النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر حبه اليها من بين سائر نسائه حتى كان يفضلها عليهن فى القسم فى البيت ، فوهبت لها سودة ليلتها ، وقالت رضى الله عنها : لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة :

(1) نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر عليه السلام أن يتزوجنى .

(2) تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى .

(3) توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجرى .

(4) أتبر فى بيتى .

- (5) ينزل عليه الوحي وأنا في لحافه .
 (6) انا ابنة صديقه وخليفته .
 (7) نزل عذرى اى براءتى من السماء .
 (8) خلقت طيبة عند رجل طيب .



(9) وعدت مغفرة ورزقا كريما . وقال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه في حقها :

حصان رزان ما تزن بريية وتصبح غرثى من ليحوم الضوافل
 حليلة خير الناس دنيا ومنصبا نبى الهدى والمكرمات الضوافل
 عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعى مجدها غير زائل
 مهذبة تد طيب الله خيمها وطهرها من كل شين وباطل
 وبالجملة فان مزاياها كثيرة تناولتها اقلام الباحثين بالبحث على الانفراد
 وذكرت منها هذا القدر تبركا بشأنها رضى الله عنها .

وفي صحيح البخارى حدثنا هشام عن ابيه قال : كان الناس يتحرون
 بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة فاجتمع صواحبى الى ام سلمة ،
 فقلن يا ام سلمة والله ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وانا نريد
 الخير كما تريده عائشة فمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يامر
 الناس ان يهدوا اليه حيثما كان او حيثما دار ، قالت فذكرت ذلك ام سلمة
 للنبي صلى الله عليه وسلم قالت : فأعرض عنى ، فلما عاد الى ذكرت
 له ذلك فأعرض عنى ، فلما كان فى الثالثة ذكرت له فقال : يا ام سلمة
 لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وانا فى لحاف امرأة منكن
 غيرها . توفيت رضى الله عنها سنة (57) هجرية .

(3) « حفصة » فهى حفصة بنت امير المومنين سيدنا عمر بن
 الخطاب رضى الله عنهما ، كانت قبل عند خنيس بن حذافة السهمى ثم
 توفى عنها من اثر جراحة اصابته ببدر ، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه
 وسلم فى السنة (2) من الهجرة .

(4) « ام سلمة » فهى ام سلمة اسمها هند بنت ابي امية بن المغيرة
 من بنى مخزوم كانت عند عبد الله بن جحش ثم تزوجها النبي صلى الله
 عليه وسلم بعد ان توفى عنها زوجها ابو سلمة رضى الله عنه بن عمه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخوه من الرضاع ، وهو اول من
 هاجر الى الحبشة ، فى السنة الرابعة من الهجرة .

(5) « زينب بنت جحش » فهي زينب بنت جحش بن حذافة السهمي من بني أسد حلفاء بني أمية ، وبنت عمته صلى الله عليه وسلم ومطلقة زيد بن حارثة ، وهي صاحبة القصة الموهولة التي ذكرها القرآن في سورة الأحزاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة (5) من الهجرة ، وفيها نزل الحجاب ، ويضاف الى هؤلاء الخمس القرشيات الزوجة الاولى المكية السيدة « خديجة » بنت خويلد الاسدية .

(6) « أم حبيبة » فهي أم حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف ، أخت معاوية بن ابي سفيان ، فهي أموية قرشبية .

(7) « جويرية » وهي جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق ، فهي خزاعية ، وكانت بعد قسم السبي وقعت في سهم ثابت بن قيس ، بن شماس ، الانتصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها ، فقال لها : هل لك الى ما هو خير من ذلك ، اودى عنك كتابتك واتزوجك ؟ فقالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما بأيديهم فقالت عائشة رضى الله عنها : ما رايت امرأة ايمن على قومها من جويرية اعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنت (20) سنة ، وتوفيت سنة 50 هجرية . وأبدل اسمها ببريرة .

(8) « صفية » فهي صفية الاسرائيلية بنت حى بن أخطب سيد بني النضير ، من نسل هارون أخى موسى عليهما السلام وكانت قبله تحت كنانة بن ابي الحقيق ، وقد جاءت النبي صلى الله عليه وسلم من سبى خيبر ، وكان أول المحرم من السنة السابعة بعد الهجرة ، وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي فتنازع بعض الصحابة في شأن ذلك ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاه بغيرها لما قيل له : أعطيته سيدة بنى قريظة والنضير ، وهي لا تصلح الا لك ، فحشي عليهم الفتنة ، ثم أضدقها عتقها وتزوجها ، فأسلمت ، وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لهما : هل لك في ؟ قالت نعم يارسول الله انى كنت اتمنى ذلك في الشرك ، وكان بعينها خضرة فسألها عنها ؟ فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها في حجرها فرأت تمرا وقع في حجرها ، فلما استيقظ أخبرته وكان ملكهم فلطمها وقال تمنين ملك يثرب ، فعاشت سيدة وتشرفت بأمومة المؤمنين . وتوفيت سنة 50 ودفنت في البقيع .

(9) « زينب بنت خزيمة » فهي زينب بنت خزيمة بن عامر بن صعصعة ، الانصارية ، وكانت في الجاهلية تسمى أم المساكين لرافقتها بهم وشفقتها عليهم واحسانها اليهم ، وكانت تحت عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة (3) من الهجرة وتوفيت في السنة الرابعة من الهجرة .

(10) « ميمونة » فهي ميمونة بنت الحارث الهلالية وكانت قبله عند عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد احد في السنة 2 من الهجرة وهى خالة عبد الله بن عباس تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة في عمرة القضاء بعد الحديبية لان عمرتها عطلها عليه المشركون بشروطهم فرجع لقضائها في السنة المقبلة ، وكانت في السنة (7) من الهجرة وقد تقدم انها هى الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .

فهؤلاء العشرة هن زوجات بيت المدينة ، واما خديجة (11) فهى من بيت مكة المكرمة كما تقدم .

واما مارية القبطية فليست منهن لانها من السراى ، وقد تقدم انها جاءت في هدية المقوقس وكانت من اجمل بنات القبط اهديت له في السنة (6) من الهجرة ، وقد كان ولده ابراهيم منها ، خلق في ذى الحجة من السنة (8) قيل عاش (70) يوما وقيل (10) أشهر ، وقيل سنة ثم توفى ولم يصل عليه بنفسه ، بل امرهم بالصلاة عليه ، وكان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم نكاح الاماء ، ولو كانت الامة مسلمة لان نكاحهن مشروط بأميرين :

(1) خوف العنت (2) عدم وجود مهر الحرة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيا عن الاميرين معا ، كما كان يحرم عليه كذلك تزوج الحرة الكتابية اى الباقية على دينها ، لما في الحديث سألت ربي أن لا أزوج الا من كان معى فى الجنة فاعطانى . لانها لا تليق أن تكون من امهات المؤمنين . وبالاحرى من ذلك المشركة والملحدة فانهما حرام عليه وعلى امته . نسا من الكتاب والسنة لقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

وقد جمع بعضهم أزواجه صلى الله عليه وسلم في بيتين وحصرهن في (11) زوجة حرة رمزاً لكل واحدة منهن بالحرف الاول من كل كلمة فقال :

خلى سبأ علقى حلى زين هالة
زهى جفنها رمزا صحىحا مهذباً

ملخص ترتيبهن

- (1) خ خديجة بنت خويلد الاسدية قرشية .
- (2) س سودة بنت زمعة من بنى عامر قرشية .
- (3) ع عائشة بنت ابي بكر الصديق قرشية .
- (4) ح حفصة بنت عمر بن الخطاب عدوية قرشية .
- (5) ز زينب بنت جحش بن حذافة السهمى قرشية .
- (6) ه هند ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة قرشية .
- (7) ز زينب بنت خزيمة بن عامر أنصارية هلالية .
- (8) ج جويرية « بريرة » بنت الحارث سيد بنى المصطلق خزاعية .
- (9) ر رملة « أم حبيبة » بنت ابي سفيان بن حرب اموية قرشية .
- (10) ص صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير اسرائيلية .
- (11) م ميمونة بنت الحارث أنصارية هلالية .

والتوفاة منهن فى حياته صلى الله عليه وسلم اثنتان هما :

من بيت مكة : خديجة بنت خويلد الاسدية ، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ومن بيت المدينة : زينب بنت خزيمة بن عامر الانصارية الهلالية ، توفيت فى السنة الرابعة من الهجرة وكان زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم فى السنة الثالثة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم توفى عن تسع نسوة هن :

- (1) عائشة بنت ابي بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابيها .
- (2) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعن ابيها .
- (3) أم حبيبة « رملة » بنت ابي سفيان بن حرب اموية قرشية .
- (4) سودة بنت زمعة الزوجة المكية قرشية .
- (5) أم سلمة هند بنت ابي امية بن المغيرة قرشية .
- (6) صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير اسرائيلية .
- (7) ميمونة بنت الحارث الانصارية هلالية .
- (8) زينب بنت جحش بن حذافة السهمى قرشية .
- (9) جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق خزاعية ، وهى «بريرة»

وقد نظمهن بعضهم بقوله :

توفى رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعمائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب

وكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم يشتمل على أكثر من تسع
نسوة حرائر قبل نزول تحديد النصاب في تسع حرائر كما حدد نصاب
أمته في أربع نسوة حرائر كذلك ، قال تعالى : « لا يحل لك النساء من
بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك
وكان الله على كل شيء رقيبا » وقد حرم الله سبحانه على نبيه صلى
الله عليه وسلم الزيادة على تسع زوجات حرائر بعد نزول هذه الآية
كما لا يجوز له كذلك تبديلهن بغيرهن ولو أعجبه حسنهن قيل نزلت في
أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبى طالب ، الذى استشهد قائدا فى
غزوة الروم بموته فى السنة (8) من الهجرة ، فانها ممن أعجبه حسنهن
ولم يذكر أحد بعد انه تزوجها .

وعن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما مات حتى أحل الله له أن يتزوج ما شاء . فالآية نسخت ،
ونسختها اما بقوله تعالى : « انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن »
الآية المتقدمة فى المصحف ، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ،
واما نسخت بالسنة . ومعنى قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء
رقيبا » أى حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده .

مشاكل النساء والبيت النبوى

ولما كانت مشاكل النساء لازمة لهن ولم يسلم منها حتى البيت النبوى
الشريف ، كان من اللازم أن توجد لها حلول تناسب حاله صلى الله عليه
وسلم كى يستريح سيد الوجود من عنائها ، ويتفرغ لما سواها ، مما
هو أهم واعظم من شؤون الرسالة ، ومن أجل ذلك كان الله سبحانه هو
الذى يتولى حلها بنفسه ويفصل فيها بنزول قرآنه . فمن ذلك القسم بين
الزوجات فى البيت ، والتي هى اعظم مشكلة داخل البيت لما فيها من حق
الله وحق غيره ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعانى منها الشيء الكثير
بين نسائه . روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه

فيعدل . ويقول هذه تسمى فيما أمك فلا تواخذنى فيما تملك ولا أمك ، يقول ذلك فيما بينه وبين ربه ، ويعنى بذلك ما كان يغلب عليه من حب عائشة رضى الله عنها ، لأنها كانت أحب نسائه إليه ، فنزل قول الله تعالى : « ترجى من تشاء منهم وتؤوى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما أتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حلما » هذه الآية حددت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته فى نسائه حتى لا يدخل قلبه الكريم شئ من الحرج ، اذا هو أقدم على ما ليس من العدل بينهن ، بعد أن كان القسم واجبا عليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وثقه ساقط . فبين الله له فى نزولها اختياره المطلق فيؤخر من يشاء منهم فى القسم ، ويقدم من يشاء ، ويأوى من يشاء منهم ، ويطلق من يشاء ويمسك من يشاء ، ولما سمعت سودة هذه الآية وكانت أكبر نسائه خشيت الطلاق فوهبت ليلتها لعائشة ، وقالت يا رسول الله لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نساءك ، ثم أدخل خمسة فى الإرجاء ، وهن : جويرية « بريرة » وسودة ، وصفية ، وميمونة ، وأم حبيبة ، وأدخل أربعة فى الإيواء ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش .

وروى انه كان يعدل مع ما اطلق وخير فيه ، فقال تعالى : « ذلك ادنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما أتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حلما » والمعنى ان ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى رضاهن ، والى قررة أعينهن ، وقله حيرتهن ، لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغير فيما بينهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم وعيد لمن لم ترض منهم بتفويض الله الى مشيئة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنها مشكلة التخيير

روى ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم التسع ، اجتمعن وقررن أن يطلبن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كن يرينه عند غيرهن من متاع الحياة الدنيا وزينتها ، حتى يخرجن مما كن يعانينه من شظف العيش فى بيت النبوة ، وطلبت اليه كل واحدة منهم ما كانت فى حاجة اليه فى بيتها

مما رآته عند غيرها ، ولم يكن بيت النبوة والرسالة معدا لشيء من ذلك ، وقد كان ذلك يكلف النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس في وسعه مما لم يكن في حاجة اليه ، وبعد أن طلبن منه ذلك أخرج الامر وعظم عليه الخطر ، فاجعل صلى الله عليه وسلم يفكر كيف يخرج منه ، لما يراه من ان الحق لهن لان ذلك شأن النساء وطبعهن ولا تسكن نفوسهن الا به . وبشريتهن لا ترفعهن الى مستوى النبوة والرسالة ، ومن هنا جاء الاشكال لما هناك من البون الشاسع بين بشرية غير النبوة وبشرية النبوة والرسالة التي لها اتصال بالمالا الاعلى من عالم الروحيات وعالم الملكوت فهي لا تفكر في شيء من هذا القبيل مطلقا ، بخلاف بشرية غير النبوة فانها مغطورة على حب الحياة الدنيا وزينتها ، ومدفوعة الى تحقيق ذلك ، وذلك ما يتنافى وجوده في بيت النبوة والرسالة ، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ولزم البيت روى ان ابا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤذن لاحد منهم ، فاستأذن أبو بكر فأذن له فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما (1) . ساكتا وحوله نساؤه ، قال عمر فقلت والله لاقولن شيئا أضحك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فمتمت اليها فوجات عنقها اى ضربتها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : هن حولي كما ترى يسلمني النفقة !! فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسئلن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ؟ !! فقلن والله لا نسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده شيئا أبدا ، ثم اعتزلهن شهرا ، فأنزل الله عز وجل حل هذا المشكل من عنده سبحانه فجاء قرآنا يتلى ، اذ هو العالم بمصالح عباده والحكم العدل فيما بينهم فيها ، فأعطى الحق لمقام النبوة بما يرفع من شأنها ويبعدها عن السفاسف من محاسن الحياة الدنيا وزينتها ، لان ذلك ليس من شأنها ثم دعا الزوجات الى التخيير ، وهو اما أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة وليس لهن ما يردنه من زينة الحياة الدنيا . أو يخترن الحياة الدنيا وزينتها ، ويتبعدن

(1) الوجع شدة السكوت لعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف . ووجع عيس وجهه وأطرق لشدة الحزن فهو وجع وواجم . ووجع من الامر اى أمسك عنه ، وهو كاره له . ووجع الشيء وكرهه ، ووجع لفلان من كذا رثى له وغم بسببه منجد ه .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس لهن الحق في أن يجمعن بين بيت النبوة والرسالة ، وبين الحياة الدنيا وزينتها البتة . لانهما متنافيتان متناقضتان اذا دخلت احدهما خرجت الاخرى . فقال جل من قائل : « يا ايها النبيء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ثم قال في ذم مريد الدنيا : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » .

وبعد نزولها بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة ، فقال : يا عائشة انى اريد ان أعرض عليك امرا أحب ان لا تعجلى فيه ، حتى تستشيرى أبويك ؟ فقالت وما هو يا رسول الله ؟ فتلى عليها الآية فقالت أفيك يا رسول الله استشير أبوى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكر لهن ذلك . فأنزل الله : « لا يحل لك النساء من بعد » الآية فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم الامر ، ثم رفع عنه ذلك الحرج بقوله : « ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له » وهذا بعد ما كان النصاب حدد في تسع زوجات حرائر ، ثم بقى حرج آخر في القسم بينهن في المبيت فرفعه الله بقوله : « ترجى من تشاء » الآية المتقدمة .

وبعد ان اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله وعدهن اجرا جزيلا على ذلك فقال : « فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما » ثم ألزمن نوعا آخر من آداب بيت النبوة والرسالة فقال لهن : « يا نساء النبيء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما » .

ثم بين الله تعالى لهن أن قدرهن في بيت النبوة (1) والرسالة ،

(1) ولذلك هددن القرآن بقوله : « من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » قيل المراد بالفاحشة الزنى ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحدث حدين لعظم قدرها كالحر بالنسبة للعبد والامة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فهو عام في جميع نساء أهل البيت ، وأما نسأوه صلى الله عليه وسلم كنساء جميع الانبياء فقد تكفل الله بصيانتهم من الخنا . ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط ، وانما خانت امرأة نوح وامرأة =

ليس كقدر من أعطى الحياة الدنيا وزينتها بل هو أرفع من ذلك شأننا ، وكانت الحكمة في التشديد عليهن من شدة تربيهن للنبي صلى الله عليه وسلم . وذلك دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن وشأنهن في بيت الرسالة المحمدية ، فلا يليق بهن التوغل في زينة الحياة الدنيا وشهواتها الفانية ، لقوله عليه الصلاة والسلام : لست من الدنيا وليست الدنيا منى .

ثم بين الله تعالى لهن قدرهن في كتابه فقال : « لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأتمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » الاحزاب .

ومنها مشكلة الحجاب

وفي بيت النبي صلى الله عليه وسلم أنزل ، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول : لو أطاع فيكن ما راكن (1) عين ، ويود أن ينزل فيه ، وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المومنين

= لوط في الايمان والطاعة * وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق . واذا وردت الفاحشة مقرونة بال فمى الزنى * واذا وردت نكرة فهى سائر المعاصي ، واذا وردت منعوتة كما هنا فهى حقوق الزوجية وسوء العشرة * المؤلف

(1) قد حقق الله قول عمر رضى الله عنه فأنزل على رسوله وقرن في بيوتكن أى أثبتن في بيوتكن ، ولا تخرجن الا للضرورة ، وكان سر المرأة المسلمة في لزوم بيتها ضمانتها لها لما فيه من سلامتها من جميع الآفات ، لان المرأة عين الشهوة والافتتان بها يسير ، ولا سيما اذا كانت شابة حسناء فان ذلك سبيل الى غرورها وسرعة لعب الشيطان بها، واغتتانها في نفسها ومتمى لها هذا الاستعداد سلك بها الشيطان سبيل البغى والفساد، وهى عاجزة بالطبع عن الذود عن نفسها ، فهى غير قادرة على أن تنقذ نفسها من مهاوى الهلاك والضلال ومركب النقص في أنوثتها يحسن لها كل تبيح ، فاذا اقتربت من مجتمع فاسد كان ضياع شخصيتها أيسر من كل يسير ، بسبب وقوعها في مخالط عقبان وأنياب أسود لا تعرف الرحمة الى تلويهم سبيلا ، فالحذر الحذر أيتها الشابات الحسان من الوقوع بين أنياب حيوانات مفترسة من بنى الانسان ، لهم قلوب تلين عند رغبتهم ، وهى بعد قضاء حاجاتهم أتمى من الحديد والحجارة ، والزمى طاعة من تكونين في رعايته ، فانه لا يتم صلاحك الا به ، لانه الذى يدفع عنك كل من يؤذيك في نفسك وشرفك وعتك فان ذلك أغلى جوهر لديك ، فلا تنخدعى حتى يختلسه منك سفهاء الاحلام بالكلمات المسولة لانها شبكتهم التى يصطادون بها عفة الحسان ، ولا خلاص من شبكتهم الا في لزوم البيت كما قال الله العالم بمكونات الضمانر « وقرن في بيوتكن » لانه عصمة أرك ، وفيه تجدين سعادتك في الحياتين ولا ينفعك الندم بعد غلو الدماغ ، والوقوع في المحذور كما هو الشأن في الكثيرات والله على ما نقول شهيد * المؤلف

بالحجاب ، فنزلت الآية ، وهى قوله تعالى : « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن » فقال رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبد الله فى سره ، أنهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب ؟ فان مات محمد لا تزوجن عائشة ، ثم نزل قوله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » أى فلا يجوز لكم ذلك ولا يصح وفى الاقدام عليه ذنب عظيم ، لما فيه من اذايته صلى الله عليه وسلم بعد موته ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب من المحارم أو نكلمهن يارسول الله من وراء حجاب ؟ فاستثناهم الله تعالى فقال : « لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن (1) ولا ما ملكت ايمنهن » فهؤلاء المستثنيات بما فيهم الايماء والعبيد يكلمن أزواج النبی صلى الله عليه وسلم بدون حجاب ، والاعمام والاخوال الذين لم ينص عليهم الكتاب يجريان مجرى الوالدين فى عدم الحجاب كذلك . ولنزول هذه الآية أسباب متعددة ، منها : ان قوما كانوا يدخلون بيوت النبی صلى الله عليه وسلم بغير دعوى ولا اذن ينتظرون نضج الطعام . ومنها : ان قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد الاطعام مستانسین لحديث بعضهم بعضا . ومنها : ان رجالا اجانب من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه اكلوا معه فى بيته بمشاركة أزواجه فأصابت يد واحد منهم يد عائشة فكره النبی صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب . وكان نزولها فى السنة الخامسة من الهجرة . ومنها أنه نزل فى تأديب الرجال مع بيت النبوة والرسالة فى وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن أنس بن مالك قال : كنت أعلم الناس بشأن الحجاب بعد نزول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبىء الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اياه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعتم فانتشروا ولا مستانسین لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبىء فيستحى منكم والله لا

(1) « ولا نسائهن » النساء المسلمات لا حجاب عليهن فى مكالمة أزواجه صلى الله عليه وسلم بخلاف النساء الكافرات فان حكهن حكم الرجال الاجانب فى مكالمتهن من وراء حجاب . قال العلماء ولا مفهوم لأزواج النبىء صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، بل الحكم شامل لجميع نساء المسلمين فلا يجوز لهن أن يبدین شيئا من أوصافهن للنساء الكافرات ، لئلا يصفهن لأزواجهن الكافرين ، وهكذا يجب أن تفهم المرأة المسلمة اليوم المرأة المسلمة بالامس ان شاءت أن تشاركها فى حكم الاسلام والا فلا . المؤلف .

يستحيى من الحق « الاحزاب . اى لا يترك بيانه ، قال أنس : وكان اول ما نزل في .

بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش حين أصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا بها فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط من الثقلاء ماكثين في البيت ، فأطالوا المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فخرجت معه ، لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد قاموا فخرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم السرير ، وانزل الحجاب ، وفي هؤلاء قال الله تعالى : « ان ذلكم كان يوذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق » يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه ويترك ، بل لا بد من بيان ما هو حق من غيره ، وعن عائشة رضى الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقال : « واذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسرين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبى » صلى الله عليه وسلم

ومنها مشكل التحدى والتظاهر

في مواجهته صلى الله عليه وسلم به من طرف زوجته : عائشة وحفصة رضى الله عنهما حتى اوقعته صلى الله عليه وسلم في محذور من تحريم الحلال ارضاء لهما ، وجبرا لخطريهما في الاستكتم عليه فلم يكتبما عليه ، ولم يخلصا لنصحهما فاغتم لذلك واعتزلهن شهرا في بيت مارية حتى نزل جبريل بحل هذا المشكل من هذه القصة ، وتعدد سببها .

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكنمى على وقد حرمت مارية على نفسى ، وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى ، فأخبرت بذلك عائشة ولم تف للنبى صلى الله عليه وسلم بما طلب منها من كتمان سره ، لانهما كانتا متصادقتين .

وقيل خلا بمارية في يوم حفصة فأرضاهما بذلك واستكتمها فلم تكتم وطلقتها واعتزل نساءه ومكث في بيت مارية (29) ليلة حتى نزل جبريل

عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة .
وروى أيضا في سبب هذه القصة انه عليه الصلاة والسلام شرب
عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عليه عائشة وحفصة على أن
يقولا له انا نشم منك ريح المغافر ، فقالتا له ذلك وكان يكره التفل فحرم
العسل ، وهو الذي وقع فيه العتاب ، قال الله تعالى وهو صدق القائلين :
« لم تحرم ما أحل الله لك » أي من ملك اليمين أو من العسل ، من قول
الله تعالى في سورة التحريم : « يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك
تبتغى مرضاة أزواجك » وكان ذلك التحريم بلا اذن من الله زلة منه صلى
الله عليه وسلم لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله ثم أنزل الله تعالى :
« والله غفور رحيم » قد غفر لك ما زللت فيه ورحمك فلم يواخذك به ،
ثم أنزل الله في حل المشكل الذي وقع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ارضاء
لامر نسائه لما كان يملك من العطف عليهن حتى لا تقع الاساءة ولو صورة
الى أحد منهن ، وان وقع شيء من ذلك سارع الى ارضائهن حتى أوقعه
ذلك في المحذور الذي هو تحريم الحلال ، فقال تعالى : « قد فرض الله
لكم تحلة إيمانكم » الذي هو تحريم الحلال لان تحريم الحلال يمين عندنا ،
والتحليل منها اذا صدرت منا يكون بما شرعه الله لنا مما يلي من الاحكام . .

(1) بالاستثناء منها ، وذلك بأن يقول عقبها ان شاء الله ، حتى
لا يحنث ، وأخذ من قولهم حل فلان في يمينه اذا استثنى فيها .

(2) بالكفارة اذا تبين الحنث ، والكفارة تكون باحدى ثلاث :

أ - الاطعام وهو اطعام عشرة مساكين تغذيتهم وتعشيتهم أو اعطاؤهم
عوضا عن ذلك ، نصف صاع لكل واحد منهم من بز ، أو صاعا من
شعير ، أو من تمر لكل واحد . وعند الشافعى مد لكل مسكين .

ب - بكسوتهم ، وهو ثوب يستتر العورة لكل واحد منهم - ج - بتحريز
رقبة مومنة أو كافرة قال تعالى : « ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم » وعقدتم
الإيمان أى عزمتم عليها ، أو قصدتموها وحنثتم فيها لا يمين اللغو فانها
لا شيء فيها وهي الحلف على الظن ، ثم تبين خطأ الحالف في ظنه ، فانهم
مما حلفوا على تحريم الطيبات انه قربة لله في ظنهم ثم تبين خطأهم ينزل
الآية : « وكلوا واثربوا مما رزقكم الله حلالا طيبا » فقالوا كيف إيماننا ؟
فأنزل الله : « لا يواخذكم الله باللغو في إيمانكم » .

وبمين اللغو عند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا

تصد . وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن البصرى رضى الله عنه انه لم يكثر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وانما هو تشريع للمومنين من امته صلى الله عليه وسلم . ثم قال تعالى : « والله مولاكم » اى سيدكم ومتولى اموركم او اولى بكم من انفسكم « وهو العليم » بما يصلحكم فيشرعه لكم « الحكيم » فيما احل وحرّم لكم . ثم قال سبحانه وتعالى شأنه : « واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا » يعنى حديث مارية لحفصة « فلما نبات به » افشته الى عائشة . « واطهر الله عليه » اى اطلعه على افشائها ما استأمنها عليه من حديث مارية وغيره ، على لسان جبريل لانه الصديق الذى لا يغيب عنه شيء « عرف بعضه واعرض عن بعض » روى انه قال لها فى تعرف البعض وهو امانة الشيخين بعده ، والمعرض عنه تحريم مارية ، الم اقل لك اكنمى على ، فاندعشت لعدم علمها من حيث وصله خبر الافشاء « وقالت من انباك هذا ؟ قال نبأنى العليم » بالسرائر « الخير » اى بما فى الضمائر ، فقالت معترفة بما فعلت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها ، وهذا هو شأن النساء من اسرار الرجال ، واما اسرارهن فيما بينهن فلا يمكن ان تظهر الا من طرف العليم الخير . ثم قال تعالى : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » وصغت قلوبكما مالت عن القيام بالواجب فى عدم اخلاصكما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، وقد كان الواجب الاخلاص له فى كتم سره . وعدم افشائه ، ولم تمتثلا امره ، وقد وجه لهما الخطاب ليكون ابلغ فى معاتبتهما ثم قال تعالى : « وان تظاهرا عليه » اى وان تتعاوننا عليه بما يسوءه ويكرهه من افشاء سره افراطا منكما فى عدم القيام بحقه ، وتلبية لدواعى الكيد والغيرة من اجله « فان الله هو مولاة وجبريل وصالح المومنين » وزيادة هو ايدان بان الله وحده هو الذى يتولى نصره عليهما بنفسه لانه وليه الاول وجبريل وليه الثانى ، وكل من آمن بالله وعمل صالحا وليه الثالث ثم قال : « والملائكة بعد ذلك ظهير » اى وليه الرابع من الملائكة على كثرة عددهم بعد نصره الله له ، وجبريل وصالح المومنين ظهير له وناصر بعد من تقدم ذكرهم من النصراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ، فالعالم العلوى كله وبعض السفلى فى كفة الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الكفة الاخرى امرأتان ، ولهذا قال الله تعالى فيهن : « ان كيدكن عظيم » لان امرأتين جعلتا فى مقابلة الكون

كله . علويه وسفليه ، وهذا ما يبعث على العجب ، وخصوصا من اكتشف أسرار النساء وكيدهن العظيم ، ومع ذلك فقد جعل الله الهيمنة عليهن بيد الرجال ، فقال جل من قائل : « الرجال توامون على النساء » وقال : « وللرجال عليهن درجة » وذلك من أجل مركب النقص الذي خلقه الله في طبيعتهم ، لقوله عليه الصلاة والسلام ما رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للرجل الحكيم منكن .

ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصره الله تعالى له صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك تأييدا لنصرتهم ، وتعظيما لمظاهرتهم : « عسى ربه ان يطلعن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ، وليس على وجه الارض نساء خير من أمهات المومنين ؟ قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذانهن اياه لم يبتين على تلك الصفة ، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات خيرا منهن : وان قلت لماذا وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات ؟ قلت لانهما صفتان متنافيتان بخلاف غيرهما من سائر الصفات ، وهذه الآية الاخيرة في حكم التهديد للثيبين تظاهرتا عليه : « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شيء قدير » وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا به .

ترجمة على واهل البيت

من هو على ؟ هو على بن ابي طالب بن عبد المطلب يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب اجتماعا اوليا لانه الجد الادنى لهما ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دنية ، فهو هاشمي النسب من بنى عبد مناف ، ويجتمع به اجتماعا ثانيا في الجد الثاني لهما وهو هاشم بن عبد مناف ، وكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا تراب ، وابا الحسن .

من هو عبد مناف ؟

فعبد مناف هو الجد الاعلى الذي يتكون منه اهل البيت النبوي باعتبار له جناحان : « الاول » بنو هاشم والنسبة اليه هاشمي .

« والثانى » بنو عبد المطلب والنسبة اليه مطلبى .

وهاشم والمطلب اخوان ابوهما عبد مناف ، وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم أما المطلبيون فعددهم ضئيل جدا قد كاد ينتقطع ، وأما عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فانه قد بقى عقبه من كثير من اولاده ، ولكن الاغلبية الساحقة والاكثرية الضخمة كانت من ولديه العباس وأبى طالب وهما هاشميان معا ، وهذه الاكثرية الضخمة هى التى ملات الدنيا وبذرت بذورها فى الاقاليم الاسلامية فى الصدر الاول من أقصى حجر فيما وراء نهر جيحون من أقاليم التركمان فى اواسط آسيا التى تعرف عاصمتها اليوم بطاشقند من ولاية الجمهوريات الروسية الى آخر نقطة فى بلاد المغرب وبلاد الاندلس فى العصور الاسلامية بها .

مولد على رضى الله عنه

ولد الامام على رضى الله عنه بمكة المكرمة لما كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم (32) سنة من مولده الشريف من امه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف فهما سليلان من البيت القرشى .

مناقبه كرم الله وجهه

أسلم صبيا ، وهو أول من أسلم من الصبيان لتربيته فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تربيته فى بيت النبوة السبب فى صيانة وجهه مما كان يفعله قوميه من السجود لاصنامهم التى كانت حول الكعبة وفى جوفها وعلى ظهرها ، ومن أجل ذلك استحق الدعوة من المسلمين بكرم الله وجهه . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة المشهود لهم بها على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم كما شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بالاخوة عدة مرات : احداهما فى التأخى بين الانصار والمهاجرين لما آخى بينهم ، ولما رأى انه لم يبق له أخ سأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : أين أخى ؟ أى من الانصار فقتل له صلى الله عليه وسلم أنا أخوك . والاخرى لما خلفه على المدينة عند ما كان خارجا الى غزوة تبوك فأظهر رغبته فى الجهاد وانه يسره ان يكون فى جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدى . فكان هذا التأخى

الثانى بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤكد للتأخى الاول .
وتصاهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحوراء الأدمية
فاطمة الزهراء رضى الله عنها سيدة نساء أهل الجنة ، وأبو سبطيه منها ،
سيدي شباب أهل الجنة : الحسن والحسين ، وجد آله الطاهرين ، وأحد
كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحد من حفظ القرآن
كله بجميع رواياته وكان يعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد العرض على جبريل عليه السلام كل سنة ، وفي السنة التى توفى فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، وكان على رضى
الله عنه يمتاز بذكاء ثابت ، وفكر مصيب وكان ذا دهاء وفصاحة لسان
وشجاعة فائقة فى الحروب ، وكان ذا زهد وورع وفقه فى الدين حتى
شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : أنا مدينة العلم وعلى بابها
الحديث . وقد خصه النبى صلى الله عليه وسلم بعلم المكاشفة وما يسمى
بالعلم اللدنى ، وورثه عنه الحسن والحسين ، وقد ظهر منه على لسان
جعفر الصادق ، وأبرز منه فى حياته ما تعجب منه أهل عصره ، ودونوه
عنه ولم يزل موجودا بين أيدي الناس الى اليوم ، كما كان مبرزاً فى علوم
الفتيا بين الصحابة رضى الله عنهم ، وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله
عنه يلتجئ اليه فى الفتيا حتى قال فى نازلة لولا على لهلك عمر .

وتقدم للمبارزة يوم بدر ، فقتل على خصمه الوليد بن عتبة بن
ربيعة . وكان أحد الزعماء الثلاثة من قريش ، وطلب البراز فى غزوة الأحزاب
فخرج اليه عمرو بن ود فقتله ، واقتلع باب حصن خيبر ، وقد اشترك فى
جره أربعون رجلاً ، وفى رواية انه تترس بباب الحصن عن نفسه ، وقد
أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الفتح يكون على يده ، وشهد له بأنه
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ومن أشهر مناقبه ان الرسول
صلى الله عليه وسلم لما أذن له ربه فى الهجرة ، استخلفه النبى صلى الله
عليه وسلم فى بيته بمكة أياما حتى يرد الودائع والإمانات الى أهلها ثم يلحقه
بأهله ففعل ، ونام على فراشه صلى الله عليه وسلم تحت رقبة غيوان
المشركين ، وكان بوده ان يفدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وشهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهدته الا تبوك ، وأصيب
يوم أحد بست عشرة ضربة . وفى صحيح البخارى ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لعلى أنت منى ، وأنا منك . وقال عمر رضى الله عنه : توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض . وفى صحيح البخارى

ايضا عن ابي حازم سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها ، فقال ، ايسن على بن ابي طالب ؟ فقالوا يشتكى عينيه يارسول الله ، قال : فارسلوا اليه فاتونى به فلما جاء بصق في عينيه ، ودعا له فبرا حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية . فقال على يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم .

وفيه ايضا عن يزيد بن ابي عبيد عن سلمة قال : كان على قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر ، وكان به رمد ، فقال انا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج على فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعطين الراية او لياخذن الراية غدا (1) رجلا يحبه الله ورسوله ، او قال : يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه . او قال : يفتح الله على يديه . فاذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا هذا على فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية . ففتح الله على يديه .

زفاف فاطمة الزهراء الى بيت على

اخرج النسائي بسند صحيح : ان نفرا من الانصار قالوا لعلى رضى الله عنه لو كانت عندك فاطمة ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ليخطبها ، فسلم عليه فقال : ما حاجة ابن ابي طالب ؟ قال فذكر فاطمة ، فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا واهلا وسهلا . فخرج الى الرهط من الانصار ينتظرونه ، فقالوا ما وراءك ؟ فقال : ما ارى غير انه قال لى : مرحبا واهلا ، فقالوا يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما ، فقد اعطاك الاهل واعطاك الرحب ، فلما كان بعد ما زوجه قال له يا على انه لا بد للعرس من وليمة ، فقال سعد رضى الله عنه عندي كبش ، وجمع

(1) بالنصب على انه معمول لاعطين ، واما اذا كان معمولا لياخذن فلا بد من رفعه على الفاعلية .

له رهط من الانصار آصاعا من ذرة ، فلما كان ليلة البناء قال : يا على لا تحدث شيئا حتى تلقاني ، فدعا له صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ به ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما .

فقال : اللهم بارك فيهما ، وبارك لهما في نسلهما ، وفي رواية فسى شملهما . وهو بالتحريك الجماع ، وفي أخرى شبليهما ، قيل وهو مصحف ، فأصحت فالشبل لغة ولد الاسد ، فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على أنها تلد الحسنين ، فأطلق عليهما شبليين ، وهما كذلك .

وأخرج أبو على الحسن بن شاذان : ان جبريل جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يأمرك أن تزوج فاطمة من على ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه فقال : الحمد لله المحمود بنعمه — الخطبة المشهورة ، ثم زوج عليا وكان في آخرها ، فجمع الله شملهما ، وطيب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة ، وأمن الأمة ، فلما حضر على تبسم صلى الله عليه وسلم وقال له : ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة على أربعمئة مثقال فضة ، أرضيت بذلك ؟ فقال قد رضيتها يا رسول الله ، ثم خر على ساجدا شكرا لله تعالى . فلما رفع رأسه قال له صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب . قال أنس رضى الله عنه : والله لقد أخرج الله منها الكثير الطيب وأخرج أكثره أبو الخير القزويني الحاكمي . والعقد له مع غيبته سائغ ، لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينكح من شاء بلا اذن ، لانه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، على انه يحتمل انه بحضور وكيله ، ويحتمل انه اعلام لهم بما سيفعله وقوله رضيتها يحتمل انه اخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهي واقعة حال محتملة .

وأخرج ابو داود السجستاني : ان ابا بكر خطبها فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم خطبها عبر فأعرض عنه كذلك ، فأتيا عليا فنبهاه الى خطبتها ، فجاء فخطبها . فقال صلى الله عليه وسلم ما معك ؟ فقال فرسى وبدنى ، فقال : أما فرسك فلا بد لك منه ، وأما يدنك فبعها وأتني بها ، ثم باعها بأربعمئة وثمانين ثم وضعها في حجره فقبض منها قبضة ، وأمر بلالا ان يشتري بها طيبا ، ثم أمرهم ان يجهزوها فعمل له سرير مشرط ، ووسادة من أديم ، اى جلد حشوها ليف ، وملا البيت كثيبا يعنى رملا رقيقا ، وأمر ام أيمن ان تنطلق الى ابنته ، وقال لعلى : لا تعجل حتى آتيك ، ثم اتاهم صلى الله عليه وسلم فقال لام أيمن : ها هنا أخى ؟ قالت أخوك

وتزوجه ابنتك ! ؟ قال نعم فدخل على فاطمة ، ودعا بماء ، فأنته بقدر فيه ماء فمج فيه صلى الله عليه وسلم ثم نضح على رأسها وبين ثدييها ثم قال اللهم انى اعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ثم قال لعلى ايتنى بماء ، فعلمت ما يريد ، فملات التعب اى القدر الكبير — فأنته به فنضح منه على راسى وبين كتفى ، وقال اللهم انى اعيدها بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته .

وقد ظهرت بركة دعائه صلى الله عليه وسلم فى نسلهما ، فكان منه من مضى ومن يأتى ، ولو لم يكن فى الآيتين الا الامام الحسن والحسين لكانتا كافيتين فى بركة دعوته صلى الله عليه وسلم . ويقصد بالآيتين قوله تعالى : « قل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وقوله تعالى : « يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : فى لسان الميزان ، الخبر المذكور سنده عن انس ، قال : بينما انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ غشيه الوحي فلما سرى عنه قال : ان ربى امرنى أن أزوج فاطمة من على ، فانطلق فادع ابا بكر وعمر ، وسمى جماعة من المهاجرين ، وبعدهم من الانصار فلما أخذوا مجالسهم خطب صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله المحمود بنعمه فذكر الخطبة ، والعقد والصداق ، وذكر البشر والدعاء أخرجه ابن عساکر فى ترجمته . وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما سميت ابنتى « فاطمة » لان الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار .

وأخرج ابو بكر الخوارزمى فى سبب تزويجها من على انه صلى الله عليه وسلم ، خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله عبد الرحمن ابن عوف ؟ فقال : بشارة أتتى من ربى ، أخى وابن عمى وابنتى ، بأن الله زوج عليا من فاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا يعنى صكاكا بعدد محبى آل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع الى كل ملك صكا ، فاذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لآل البيت الا دفعت له صكا فيه فكاكه من النار ، فصار أخى وابن عمى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من النار . وسميت أيضا بالزهراء ، أخذها لها من زهرة الحدائق البيضاء الفيحاء ولما كانت الزهور مسكن الحدائق الجميلة ، والأشجار الباسقة ، والدور الفخمة

وكانت في النضرة والجمال احسن ما يشتهي الانسان في هذه الحياة الدنيا
اشتق لها هذا الاسم منها لما بينهما من المناسبة الحسية والمعنوية مناسبة
تامة لان الزهرة الجميلة مسكنها الحدائق الرفيعة ، وفاطمة الزهراء رضى
الله عنها مسكنها بيت النبوة ، وبيت النبوة من الجنة والجنة لغة الحدائق
المزهية بألوانها وسحر جمالها ، لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين .
وكانت طهارتها من دم الحيض والنفاس ونقاؤها مما أصاب غيرها
من النساء دليلا على ذلك ، ولذلك كانت سيدة نساء اهل الدنيا في الدنيا ،
وسيدة نساء اهل الجنة في الجنة ، ومن اجل ذلك كانت تعرف بالهوراء
الآدمية .

ترجمة فاطمة الزهراء رضى الله عنها

فهي فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي
اصغر بناته كما تقدم من امها خديجة بنت خويلد الاسدية ، خلقت قبل
الوحي بستة أشهر من سن الاربعين للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة
المكرمة ، وبنى بها على رضى الله عنها وعنه في المدينة المنورة في السنة
الثانية من الهجرة ، ولها من العمر — 15 — سنة . وكان منها عقب رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ولعلى معها من الاولاد اربعة : (1) السيد
الحسن و (2) السيد الحسين و (3) السيدة زينب الكبرى و (4) أم كلثوم
الكبرى . وهي التي تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعنه وهي
صغيرة السن ، وله معها ابنه زيد ، وستأتى قصتها في الزواج بعمر رضى
الله عنه وتوفيت فاطمة الزهراء رضى الله عنها بعد أبيها بستة أشهر ،
في شهر رمضان المعظم من السنة الحادية عشرة للهجرة ، ولها من العمر
— 24 — سنة ، والصحيح انها دفنت بالبقيع ، وكان بنى عليها مسجد
وأطلق عليه مسجد الاحزان وبقي الى أن ذهب به طوفان عبد العزيز آل
سعود في جملة من ذهب من القباب والمشاهد في الحرمين ، وسويت بالارض
خشية أن تصير معبودات من دون الله وأصاب في ذلك ، لانه لا سبيل
الى رجوع الوثنية الجاهلية الى الاراضى المقدسة بعد ان طهر الاسلام
منها كافة الجزيرة العربية . ولم يستثن من ذلك الاروضة المسجد النبوى
بأمر من علماء الدين المصلحين .

وقيل دفنت ببيتها ، وعليه فهي داخلة في المسجد النبوى ، ولهذا

القول ما يؤيده ، والله أعلم بحقيقة الحال في ذلك .

وقد نص العلماء أن مدة الوحي — 23 — سنة وقد عاشت فاطمة الزهراء رضى الله عنها مدة الوحي الا أنها تقدمت عليها بستة أشهر ، وتأخرت عن الوحي بستة أشهر ، فهي بنت — 24 — سنة في عمرها .
وأخرج الشيخان عن فاطمة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم . قال لها : ان جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وانه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه الا أنه حضر أجلي ، وانك أول أهل بيتي لحاقا بى فاتق الله واصبرى ، فانه نعم السلف انا لك .

مناقب فاطمة الزهراء رضى الله عنها

وأخرج الامام أحمد والترمذى والحاكم عن ابن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ، انما فاطمة بضعة منى يؤذيها ما آذاها ، وينصبني ما انصبها .

وأخرج الشيخان عن فاطمة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا فاطمة ، الا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ؟
وأخرج الترمذى والحاكم عن أسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : احب اهلئ الى فاطمة . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى : فاطمة احب الى منك ، وأنت اعز على منها .

وأخرج الشيخان والامام أحمد ، وأو داود والترمذى عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى هاشم ابنن المغيرة استاذنونى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن ، الا أن يريد بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانما هى بضعة منى يرببنى ما رابها ، ويؤذيني ما يؤذيها . وفيه أيضا قال : حدثنى على بن حسين ان المسور بن مخرمة قال : ان عليا خطب بنت أبى جهل ، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبى جهل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت حين تشهد يقول : أما بعد انكحت أبا العاص بن الربيع ، فحدثنى وصدقنى وان فاطمة بضعة منى ، وانى أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت

عدو الله عند رجل واحد . وفيه أيضا عن الحكم سمعت ابن ابي ليلي قال : حدثنا على ان فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من اثر الرحي فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبى . فانطلقت فلم تجده ، فوجدت عائشة فأخبرتها ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم اليها وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لاقوم ، فقال على مكانكما فتعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ، وقال ، الا أعلمكما خيرا مما سألتما اني اذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعين وثلاثين ، وتسبحا ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم .

وأخرج الملا في سيرته انه صلى الله عليه وسلم أرسل ابا ذر ينادى عليا فرأى رحي تطحن في بيته وليس معها أحد ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال يا ابا ذر أما علمت ان لله ملائكة سياحين في الارض قد وكلوا بمعونة آل محمد .

ومن مناقبها ما ورد في صحيح البخارى عنه عليه الصلاة والسلام قال : فاطمة سيدة نساء اهل الجنة . وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني .

البيت الاول لعلى رضى الله عنه

ويتألف هذا البيت منه ومن زوجه الاولى « فاطمة الزهراء » رضى الله عنها سيدة نساء المومنين في الدنيا ، وسيدة نساء اهل الجنة في الجنة . وكان له منها الاولاد الاربعة .

(1) الامام الحسن رضى الله عنه ومولده في السنة الثالثة من الهجرة . اى بعد سنة من زواجها من على رضى الله عنهما .

و (2) الامام الحسين رضى الله عنه ومولده في السنة الرابعة من الهجرة ويفرق بينه وبين اخيه الحسن بتسعة أشهر ، وبعد موت النبى صلى الله عليه وسلم كان للامام الحسن (8) أعوام .

ولاخيه الامام الحسين (7) أعوام .

و (3) زينب الكبرى و (4) أم كلثوم الكبرى . هؤلاء اهل البيت الاول لعلى رضى الله عنه .

البيت الثانى لعلى رضى الله عنه

ويتألف هذا البيت الثانى من عدة زوجات : منهن أمهات أولاد ، ومنهن حرائر ، وهن : (2) أم البنين بنت حزام عامرية من بنى كلاب . (3) ليلى بنت مسعود التميمية . (4) أسماء بنت عميس الخثعمية ، (5) الصهباء بنت ربيعة من بنى جشم ابن بكر . (6) أمامة بنت أبى العاص من أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . (7) خولة بنت جعفر الحنفية . (8) أم سعيد بنت عروة بن مسعود ، (9) محياة بنت امرئ القيس الكلبية ، ولم يعرف بالضبط كم تزوج على رضى الله عنه ، من الزوجات .

وأما عدد الاولاد من غير فاطمة الزهراء فهم (27) بين الذكور والاناث ، وكان نسله من خمسة منهم بما فيهم ابنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها من البيت الاول . السيد الحسن ، والسيد الحسين ، ومن البيت الثانى ثلاثة هم محمد بن الحنفية ، والعباس بن أم البنين ، وعمر من أمه الصهباء بنت ربيعة . ذكور البيت الثانى (11) وهم محمد الاكبر بن الحنفية ، وهو أكبر أولاد البيت الثانى سنا ، والعباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، وعبيد الله ، وأبو بكر ، ومحمد الاوسط ، ويحيى ، وعمر ، ومحمد الاصفر .

واناث البيت الثانى (16) هن : زينب الصغرى ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وأم هانئ ، وميمونة ، ورملة الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة ، ورقية . ومجموع أولاد البيت الاول والثانى (31) ولدا بين الذكور والاناث ، وكان اهتمام المؤرخين ببيت فاطمة الزهراء أكثر لمكانة ولديها الحسن والحسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولشدة ما لقياه وأبناؤهما من المسؤولين فى الامة الاسلامية عبر الاجيال ، رغم توصيات النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن الكريم ولكن البشرية هى البشرية لا تتغير ولا تتبدل : فانا لله وانا ليه راجعون .

تربية الحسنين بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول : اللهم انى احبه فأحبه . وأخرج

البخارى عن أبى بكره قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جانبه ، ينظر الى الناس مرة ، واليه مرة ، يقول : ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين .

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاى من الدنيا . يعنى الحسن والحسين . وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة . وأخرج الترمذى عن أسامة ابن زيد قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين على وركيه ، فقال ، هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما ، وأحب من يحبهما . وأخرج الترمذى عن أنس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أهل بيتك أحب اليك ؟ قال الحسن والحسين . وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقبه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو . وأخرج سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : أشبه أهل النبى صلى الله عليه وسلم به ، وأحبهم اليه الحسن ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فيما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيته وهو راكع فيخرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر .

وأخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع لسانه للحسن بن على ، فاذا رأى الصبى حمرة اللسان يهش اليه . أى يتبسّم . وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال : قام الحسن يخطب فقام رجل من ازد شنوءة ، فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه على حبوته وهو يقول : من أحببى فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثت به أحدا .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجىء الحسن وهو ساجد ، وهو اذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته ، فيرفعه النبى صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا ، فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله انك تصنع بهذا الصبى شيئا لا تصنعه بأحد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان هذا ريحانتاى ، وان ابنى هذا سيد وحسبى أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم انى أحبه ، وأحب من يحبه . يعنى الحسن ، وفى رواية اللهم انى أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه ، قال أبو هريرة فما كان أحد أحب الى من الحسن ، بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال . وفى حديث أبي هريرة أيضا عند الحافظ السلفى قال : ما رأيت الحسن بن على قط الا فاضت عيناي دموعا ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا فى المسجد فأخذ بيدي واتكأ على حتى جئنا سوق بنى قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال : ادع ابنى قال فأتى الحسن بن على يشتم حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ، ويقول : اللهم انى أحبه ، فأحبه ، وأحب من يحبه ثلاث مرات . وروى الامام أحمد : من أحبنى وأحب هذين يعنى حسنا وحسينا وأباهما ، وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة .

ورواه الترمذى بلفظ كان معى فى الجنة ، وقال حديث غريب . ومعنى المعية رفع الحجاب نظير : فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

سبب تسميتها بالحسن والحسين

أخرج البغوى وعبد الغنى فى الايضاح عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمى هارون عليه السلام ابنه شبرا وشبيرا ، وانى سميت ابنى الحسن والحسين بما سمى هارون ابنه . وأخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما فى الجاهلية .

وأخرج الامام أحمد والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى عن عمر عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ابنائى هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما يعنى نفسه ، صلى الله عليه وسلم .

وأخرج الامام أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أما رأيت العارض الذى عرض لى قبل ذلك ؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة ، استاذن ربه عز وجل أن يسلم على ويبشرنى ان الحسن والحسين سيدا

شباب أهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة .

وأخرج الطبراني عن فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
أما حسن فله هيبتي وسؤددي ، وأما حسين فان له جراعتي وجودي .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
الحسن والحسين ريحانئى من الدنيا .

وأخرج بن عدى وابن عساكر عن أبى بكره ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال : ان ابنى هذين ريحانئى من الدنيا .

وأخرج الترمذى وابن حبان عن أسامة بن زيد ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال : هذان ابنائى أو ابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب
من يحبهما .

وأخرج الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم عن
بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : صدق الله ورسوله : انما
أموالكم وأولادكم فتنة « . نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم
أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما . وأخرج أبو داود عن المقدم بن معد
يكرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذا منى يعنى الحسن —
وحسين من على .

وأخرج البخارى وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى والحاكم عن أبى
سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيدا شباب
أهل الجنة ، الا ابنى الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكرياء ، وفاطمة
سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مريم .

وأخرج البخارى والامام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن
أبى بكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان ابنى هذا سيد ولعل
الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، يعنى الحسن .

وأخرج الطبرانى عن عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : الحسن والحسين سيفا العرش وليسا معلقين .

وأخرج البخارى فى الادب المفرد والترمذى وابن ماجه عن يعلى بن
مرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا منه أحب الله
من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط .

وأخرج الترمذى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحب
أهل بيتى الى الحسن والحسين .

وأخرج الامام أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب الحسن والحسين فقد أحببني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني . وأخرج أبو يعلى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى الحسن .

تولية على للخلافة الاسلامية

وفي سنة (35) من الهجرة بويج بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة الحرام في هذه السنة ولى الخلافة بعد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد أفلت زمام الامر من يد الدولة الاسلامية ، وكانت شروط الكفاءة متوفرة لدى الامام على للم شمل المسلمين ، ومن أجل ذلك رأى الكثيرون من أهل الحل والعقد من كبار الصحابة ممن كانوا مقيمين بالمدينة ان الكفاءة في لم شمل المسلمين تحت راية الدولة الاسلامية لا تتوفر الا في الامام على رضى الله عنه ، بعد أن ظل المسلمون حيارى لا يجدون لهم ملجأ كأنهم في فوضى ، ومن أجل ذلك كان الامام على رضى الله عنه يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ثم ذهب معظم أهل الحل والعقد يطلبون منه أن يلى أمر الخلافة فقدر المستقبل حق قدره ، وعلم انه انما يستقبل فتنة سائرة لا يدرى قبلها من دبرها ، فقال لهم التمسوها في غيرى ، فانا مستقبلون أمرا له وجوه ، وله ألوان لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، فناشدوه الله والدين ، وبعد ما تحقق من عزمهم على الامر قال لهم : قد أحببتكم واعلموا انى راكب بكم ما أعلم ، وان تركتمونى فانما انا كأحدكم الا انى من اطوعكم واسمعكم لمن وليتموه ، ثم سألهم أين طلحة والزبير ؟ فذهب جماعة اليهما فأحضرهما بعد ما اقتنعوا ان الامر لا يتم الا بمبايعتهما فبايعا عليا بالخلافة على مضض في أنفسهما فجاءت بيعتهما مستعجلة لاوانها ، فبايعاه ولا سبيل حينئذ لاکراههما على البيعة قبل أن يتم انعقادها لعلى ، الا أن بعض المؤرخين يحاول أن يجعل لهما مبررا باكراههما على البيعة ، حتى يكون لهما عذر للخروج من هذه البيعة التى التزامها وعقداها على أنفسهما طوعا لا اكراها فلزمتها ، لان عليا حينئذ لم يكن يملك سلطة حتى يكرههما على المبايعه بل هو الذى سأل عنهما لما رأى مكانهما شاغرا بين أهل الحل

والعقد ، وبعد أن بايعا قام الناس فبايعوا فتمت له البيعة ممن كان حاضرا بالمدينة . وتخلف عن البيعة ممن كان غائبا عنها رجال : هم سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، والمغيرة ابن شعبة ، وعبد الله بن سلام ، وقدامة بن مظعون وأبو سعيد الخدرى ، وغيرهم ، ولكن أغلب هؤلاء كان مشغولا في ولايات الامصار ، ولم يحضروا بالمدينة وقت البيعة ، ولهذا رأى الامام على ان بيعته قد أصبحت تامة ، وما عليه الا أن يشمر عن ساعد الجد لانتقاذ الموقف المتدهور الذى هو في حاجة ماسة الى أمثاله .

أول خطبة له

ثم خطب في الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس ان الله أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض الفرائض أدوها ان الله يؤدكم الى الجنة ، الا أن الله حرم حرمت غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلمين على الحرم كلها ، وشدد حقوق المسلمين بالتوحيد والاخلاص ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ، ولا يحل دم امرىء مسلم الا بما يجب ، فبادروا امر العامة وخاصة احدكم الموت ، فانما الناس امامكم ، وخلفكم الساعة تحذوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس اخراهم ، اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده ، انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به ، واذا رأيتم الشر فدعوه : واذكروا اذ انتم قليلون مستضعفون في الارض » ثم نزل بمكة المكرمة بلد الهجرة في طريقه الى العراق .

وعن مجاهد قال لى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : ما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من دار الدنيا حتى عهد الى أن أبا بكر يلى من بعدى ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على من بعده .

أول ما قام به على رضى الله عنه

فان أول ما قام به على في خلافته ، هو انه ابتدا بتبديل عمال الامصار . فرفض بعض من رأى ان الخلاف الناشئ سبيل الى الرفض والخروج على الامام وقد تبنى هذه الفكرة معاوية بن أبى سفيان فامتنع

من بيعة على محتجا عليه بما رآه ، فاتهمه بالممالة مع الغوغاء الذين قتلوا عثمان لترجع الخلافة اليه لانه كان توافقا اليها قبل ذلك ، فحيل بينه وبينها ومعاوية يرى ان بنى أمية أحق بالطلب بدم عثمان لانه أموى فتسلل معاوية وفتح من هذه الفكرة بابا لنفسه حتى لا تلزمه البيعة لعلى فأصبح من المتمردين على الخلافة الاسلامية التى تمت الكلمة فيها لعلى من الوجهة الشرعية ، وتذرع فى تمرده بقوله تعالى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل « وكان من رأيه بعد القصاص من قتلة عثمان يجتمع أهل الحل والعقد لتنصيب الخليفة . وكان رأى الامام على رضى الله عنه ، ان الذى هو أحق باقامة الحدود هو خليفة المسلمين ، وقد تمت له البيعة لخلافة المسلمين ، فهو الخليفة الشرعى ، ولم ير على بعد هذا الا الاستعداد والتشهير للحرب .

فقال لزياد بن حنظلة : يا زياد استعد ، فقال لاي شىء ؟ فقال لحرب معاوية ، قال زياد : الأناة والرفق امثل ، وانشد :
ومن لم يصانع فى امور كثيرة يدرس بأنياب ويوطأ بمنسم
فأنشد على رضى الله عنه مرتجلا قائلا :

متى تجمع القلب الذكى وصارما وانفا حميا تجتنبك المظالم
فخرج زياد الى الشام ، فقيل له : ما ورايك ؟ قال السيف وقد عد
الامام على خلاف معاوية بغيا على طاعة الامام وخروجا عليه ، وارسل
الى اهل الامصار يستنفرهم لقتال معاوية ومن على رأيه ، وممن دخل
فى رأيه أم المومنين السيدة عائشة الصديقية رضى الله عنها وتبعها على
رأيها طلحة والزبير بعد نكثها بيعة على ، وتوجها مع من تبعهم من مكة
الى البصرة بالعراق ، وكان عاملا على البصرة عثمان بن حنيف فمنعهم
من الدخول اليها ، وردهم من حيث جاءوا ، فبعث لعلى فأمره بأن يستمر
فى منعهم من دخولها ، فاجتمع من انصار الفريقين خلق كثير فنشبت الحرب
بين الفريقين ، ولم تشتد حتى وصل على من مكة ، فكانت وقعة الجمل
الشهيرة التى قادتها أم المومنين عائشة رضى الله عنها ، وكان الانتصار فيها
للإمام على رضى الله عنه ، ثم أمر بها الى المدينة ، واختار لصحبته أربعين
امراة من نساء البصرة المعروفات ، وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر ،
فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس اليها فقاتلت يا بنى لا يعتب
بعضنا على بعض ، انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون
بين المرأة وبين احمائها ، وانه على معتبى لمن الاخيار ، فقال الامام على

صدقت والله ما بينى وبينها الا ذلك ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة .
ثم خرجت يوم السبت فاتح رجب سنة (36) هجرية فتوجهت الى مكة
فحجت ثم منها الى المدينة ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، واحصيت القتلى
التي سقطت حول الجبل فكانت ستمائة قتيل . وتقدم انها توفيت سنة
(57) هجرية .

الكوفة عاصمة الخلافة العلووية

ثم توجه الى الكوفة التي جعلها مقر خلافته ، فأرسل الى معاوية
يدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، ويعلمه باجتماع المهاجرين والانصار
على بيعته ، فرفض الدخول فى طاعته ، فجهز أمير المؤمنين على رضى الله
عنه جيشا لقتال معاوية ، حتى يرغمه على الدخول فى طاعته ، فلما علم
معاوية سار اليه فى جيوش الشام ، فالتقى الجيشان فى سهل صفين على
نهر الفرات شرقى حلب ، فبدأ الامر بينهما بالمفاوضات ، فبذل الامام على
رضى الله عنه كل مجهود لحقن دماء المسلمين بأسلوب الاقتناع والحجة
الدامغة ، فلم يشأ معاوية الا الحرب ، فلما ظهرت الحجج القاطعة على
انه باغ هو ومن معه رأى الامام على وجوب حربهم فحاربهم ، وقد ازدادوا
تأكدا من أن معاوية باغ بموت عمار بن ياسر فى جيش على رضى الله عنه ،
لانهم كانوا يحفظون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا هو قوله صلى
الله عليه وسلم : ويح عمار تقتله الفئة الباغية . قال له ذلك فى بناء مسجد
المدينة كان الناس ينقلون لبنة واحدة وكان هو ينقل لبنتين ، فأتى اليه النبى
صلى الله عليه وسلم ونفض الغبار عن رأسه وقال له : الحديث : ويح
عمار تقتله الفئة الباغية . وتقاتل الجيشان قتالا شديدا فرأى معاوية الفشل
فى جيشه فعمد الى المطالبة بالصلح ، فانتهى الامر بالتحكيم وكانت النتيجة
منه ان انقسم جيش الامام على نفسه فخرجت منه فرقة عن طاعة
الامام وسموا « بالخوارج » وكانت لهم آراء فاسدة استبدوا بها ولم يرضوا
بالدخول فى طاعة أحد الطرفين المتخاصمين ، وتمسكوا بأرائهم الفاسدة
وقاتلوا من أجل تطبيقها ومكثوا على ذلك حتى اكلتهم الحروب مع مرور
الزمن ، وأصبح الوقت ربحا لمعاوية بقدر ما ازداد الامر اشتدادا على أمير
المؤمنين على رضى الله عنه . فأصبح قتال الخوارج امرا لا مفر منه ، وبذلك
ازداد الامر استفحالاً فى وجهه حيث أصبح يواجه عدوين من أشق الاعداء ،
فوجد فى ذلك معاوية ارتياحا وجعل يعد العدة لخوض معركة أخرى قد

تكون في صالحه ، وقد كانت فعلا كما قدر الله أن تكون ، ولم يزل الخرق يزداد اتساعا في وجه أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، كما ازدادت نار الحرب اشتعالا حتى أصبح لا يدرى بأيتها يبدأ قتالا . قصة الخوارج قيل أول من خرج منهم رجل من ربيعة من بنى شيكر كان مع على بصفين فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكيم استوى على فرسه وحمل على أصحاب معاوية فقتل منهم رجلا ، ثم حمل على أصحاب على فقتل منهم رجلا ، ثم نادى بأعلى صوته ، إلا أنى قد خلعت عليا ومعاوية ، وبرئت من حكمهما ثم قاتل أصحاب على حتى قتله قوم من همدان ، ثم انفصل من معسكر على بصفين اثنا عشر ألفا ، وانحازوا الى حروراء ، فسموا الخوارج الحرورية ، وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء ، وشبَّث بن ربعي . فخرج اليهم الامام على يناظرهم فوضحت حجته عليهم ، فاستأمن اليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان ، وانحاز الباقون منهم الى النهروان ، وأمروا على أنفسهم رجلين : أحدهما عبد الله بن وهب الراسبي والآخر حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذى الثدية ، والتقوا في طريقهم الى النهروان برجل راوه يهرب منهم فاحاطوا به ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب بن الارت ، فقالوا حدثنا حديثا سمعته عن أبيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من المائى ، والمائى خير من الساعى فمن استطاع أن يكون مقتولا فلا يكون قاتلا .

فشد عليه رجل منهم يقال له مسمع بسيفه فقتله ، ثم انهم دخلوا منزله وكانوا في القرية التى قتلوه على بابها ، ثم قتلوا ولده وجاريتته أم ولده . ثم عسكروا بالنهروان ، فانتهى خبرهم الى على رضى الله عنه فسار اليهم فى أربعة آلاف من أصحابه ، ومن بينهم عدى بن حاتم الطائى فقال :

نسیر اذا ما کاع قوم وبلدوا
الى شر قوم من شرارة تحزبوا
برایات صدق كالنسر الخوافق
وعادوا الیه الناس زب المشارق
وکل یرى فی قوله غیر صادق
الیهم جهارا بالسیوف البوارق
وفینا على ذو المعالی یقودنا

فلما قرب على منهم ارسل اليهم : ان سلموا قاتل عبد الله بن خباب ابن الارت فأجابوه اننا كلنا قتلة ، ولئن ظفرنا بك قتلناك ، فبدأهم بالمناظرة ، فقال لهم : ماذا نقتم منى ؟ فقالوا له : أول ما نقتم منك

انا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ، ومنعتنا من سبى نسائهم وذرائعهم ، فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية ؟ فقال : انما ابحت لكم اموالهم بدلا عما كانوا اغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم ، والنساء والذرية لم يقاتلونا ، وكان لهم حكم الاسلام بحكم دار الاسلام ، ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر وبعد لو ابحت لكم النساء ابكم ياخذ احدكم « عائشة » في سهمه ؟ فنجل القوم من هذا ، ثم قالوا له نعمنا عليك محو امرة امير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية في ذلك ، فقال ، فعلت مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو لو علمت انك رسول الله لما نازعتك ، ولكن اكتب باسمك واسم ابك فكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . واخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى يوما منهم مثل ذلك ، فكانت قصتي في هذا مع الابناء قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الآباء ، فقالوا له : فلم قلت للحكيم ؟ : ان كنت اهلا للخلافة فاثبتاني ، فان كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك اولى ، فقال : انما اردت بذلك النصفة لمعاوية ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران الى المباهلة وقال لهم : تعالوا ندع ابناؤنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين « فانصفهم بذلك من نفسه ولو قال ابتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم ترض النصارى بذلك ، لذلك انصفت انا معاوية من نفسى ، ولم ادر غدر عمرو ابن العاص ، ثم قالوا فلم حكمت الحكيم في حق كان لك ؟ فقال وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ في بنى قريظة ، ولو شاء لم يفعل ، واقمت انا ايضا حكما ، لكن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم بالعدل ، وحكى خدع حتى كان من الامر ما كان . فهل عندكم شئء سوى هذا فسكت القوم ، وقال اكثرهم صدق والله ، وقالوا التوبة ، واستامن منهم اليه يومئذ ثمانية آلاف ، وانفرد منهم اربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبي ، وخرقوص بن زهير البجلي ، وقال على للمستأمنين اعتزلوني في هذا اليوم ، ثم قال لاصحابه قاتلوهم فو الذى نفسى بيده ليقتلن منا عشرة ، ولينجون منهم عشرة ، فقتل من اصحاب على يومئذ تسعة ، وبرز حرقوص بن زهير الى على ، وقال يا ابن ابي طالب لا نريد بقتالك الا وجه الله والدار الآخرة ، وقال له

على بل مثلكم كما قال الله عز وجل : قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »
منهم أنت ورب الكعبة ، ثم حمل عليه في أصحابه ، فصرع حرقوص المعروف بذي الثدية عن فرسه ، وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة . وقتل جميع الخوارج فلم يفلت منهم إلا تسعة أنفس ، سار منهم رجلان إلى سجستان ، ومن أتباعهما خوارج سجستان ، ورجلان إلى اليمن ، ومن أتباعهما إباضية اليمن ، ورجلان سارا إلى عمان ، ومن أتباعهما خوارج عمان ، ورجلان سارا إلى ناحية الجزيرة ، ومن أتباعهما خوارج الجزيرة ، ورجل منهم سار إلى تل موزن ، وقام على يومئذ لأصحابه اطلبوا ذا الثدية ، فوجدوه تحت دالية ، وراوا تحت يده عند الإبط مثل ثدي المرأة ، فقال : صدق الله ورسوله : لما تحقق مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه . ثم أمر بقتله فقتل ، فهذه قصة المحكمة الأولى ، وكان دينهم أكفار على وعثمان وأصحاب الجمل ، ومعاوية وأصحابه ، والحكمين ، ومن رضى بالتحكيم ، وأكفار كل ذى ذنب ومعصية . ثم تفرعت عن الناجين من التسعة ، عشرون فرقة وهذه أسماؤها : (1) المحكمة الأولى ، 2 — الأزارقة ، 3 — النجدات ، 4 — الصفرية ، 5 — العجاردة المتفرقة فرقا شتى ، منها 6 — الخازمية ، 7 — الشعبية ، 8 — المعلوماتية ، 9 — المجهولية ، 10 — أصحاب طاعة لا يراد بها الله ، 11 — الصلتية ، 12 — الأخيضية ، 13 — الشيبية ، 14 — الشيبانية ، 15 — المعبدية ، 16 — الرشيدية ، 17 — المكرمية ، 18 — الحمزية ، 19 — الشمراخية ، 20 — الأبراهيمية ، 21 — الواقفة ، 22 — الإباضية ، والإباضية افتترقت فرقا ، معظمها فريقتان : حفصية ، وحرثية ، وأما الزيدية فهي من الإباضية ، والميمونية من العجاردة ، فأنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجيين عن فرق الأمة .

ثم بعد هذا وذاك ، ثقل في يده أمر الرعية ، فصدق عليه قول من قال :
إذا كان عون الله للمرء ناصرا تهيأ له من كل صعب مراده ، ،
وان لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده ، ،
ومن المؤسف جدا ان يسمع الانسان ما آلت اليه الامور بيد الامام على رضى الله عنه . ولما انتهى من قتال الخوارج أمر جيشه بالتوجه إلى الشام لمواصلة حرب معاوية ، فقالوا له يا أمير المؤمنين : نفذت نبأنا وكننا جهودنا ، وفلت سيوفنا ، ونسلت أسنة رماحنا ، وحاد أكثرها قصدا ،

فارجع بنا الى مصرنا — الكوفة — فلنستعد ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا ، فإنه أقوى لنا على عدونا ، ومن هنا بدأت سلطة أمير المؤمنين في انهيار عليه ، حتى أصبح كل يوم في نقصان — وخصمه طبعاً في زيادة — ولم يبق له الا ان يحرضهم في كل ساعة على القيام بالواجب ، بما اتاه الله من فصاحة لسان وسحر بيان ، فتيقن ان الامر لا يزيد في يده الا فتورا وارثاء ولم يبق معه من المخلصين الصابرين الا فئة رآها لا تكفى حتى للدفاع عن النفس اذا هاجمه عدوه ، وقد انحاز الى معاوية اقلية الشام واليمن والحجاز ومصر ، ولم يبق بيد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الا اقلية العراق وفي هذا الطرف اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم : (1) عبيد الرحمن بن ملجم الجهمه الله بلجام من النار ، (2) البرك بن عبد الله التميمي (3) عمرو بن أبى بكر التميمي ، وانفقوا على أن يقتلوا ثلاثة من كبار الصحابة ، هم : (1) الامام على ذهب اليه الشقى عبد الرحمن بن ملجم ، الذى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم اشقى الاولين عاقر ناقة صالح ، واشقى الآخرين قاتلك يا على . بالكوفة (2) معاوية ، ذهب اليه البرك ابن عبد الله التميمي ، بدمشق ، (3) عمرو بن العاص ، ذهب اليه عمرو ابن بكر التميمي ، بمصر ، بعد ما تعاهدوا على أن يكون تنفيذ ما عزموا وتعاهدوا عليه في يوم واحد عينوه لذلك في وقت واحد وهو وقت صلاة الصبح ، فقصد كل واحد منهم صاحبه وترصده في صلاة صبح ذلك اليوم ، لان الامراء في ذلك الوقت كانوا ائمة للصلوات الخمس في الجماعات ، فقصد البرك معاوية وانتظره حتى كان يصلى بالناس صلاة الصبح فضربه بسيفه ضربة بين اليديه أصابته في عرق النسل لم يمتم منها ، فألقى القبض عليه وأمر به فقتل وقصد عمرو بن بكر عمرو بن العاص ، وترصده في صبح ذلك اليوم ، فتاب عنه في الصلاة خارجة بن حبيب السهمي لرض كان به أتعده عن الخروج الى الصلاة ، وبعد ما تقدم خارجة للصلاة ظنه انه عمرو بن العاص فضربه ضربة قاتلة ، فقبض عليه ، فتبين ان المضروب خارجة ، فقتل له في ذلك فقال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فصار مضرب الامثال لكل خطأ وقع فيه صاحبه ، ثم أمر به فقتل .

وقصد الكوفة عبد الرحمن بن ملجم فنزل على أحد الخوارج فبث له الامر فوافقه على مرآه في اغتيال الخليفة على رضى الله عنه ، ولما كانت الليلة التى تعاهدوا على تنفيذ ما اتفقوا عليه فيها خرج عبد الرحمن ومعه شبيب الخارجى فترصدا الامام في خروجه من دار الخلافة ، وكانت

بالقرب من المسجد الاعظم بالكوفة ، وقد اتفق ان استيق
 تلك الليلة سحرا ، وقال لابنه الحسن رايت رسول الله
 وسلم في المنام ، وقلت له يا رسول الله ما لقيت من أمك
 ادع الله عليهم ، فقلت اللهم ابدلنى بهم خيرا لى منهم ،
 لهم منى ، واقبل عليه الاوز يصحن فى وجهه ، فطردوهن
 فانهن نوائح ثم دخل عليه المؤذن فقال : الصلاة ، فخرى
 وهو ينادى أيها الناس الصلاة الصلاة . فشد عليه ش
 فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب ، ثم ضربه ابن ملجم ف
 قرنه ، ووصل دماغه وقال : الحكم لله لا لك يا على ، و
 على لا يفوتكم الرجل فهرب وهرب شبيب فدخل منزله ،
 من بنى أمية فقتله ، واما بن ملجم فشد عليه الناس من
 رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه ، واخذ الس
 الى أمير المومنين على رضى الله عنه ، ولا يختلف المؤر
 المومنين عليا رضى الله عنه استشهد ليلة الجمعة (7
 40) هجرية ، وقيل اقام على تيد الحياة الجمعة والسبت
 (19) رمضان سنة أربعين من الهجرة النبوية على صاحب
 والسلام ، وبعد أن التى القبض على عبد الرحمن بن ملجم
 الامام على رضى الله عنه ، فقال : النفس بالنفس وال
 ان هلكت فامتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رايت فيه رأى ث
 المطلب فحضر جمع منهم ، فقال لهم يا بنى عبد المطلب لا
 دماء المسلمين ، تقولون قتل أمير المومنين ، الا لا يقتل
 يا حسن ان أنا مت من ضربتى هذه ، فاضربه ضربة ب
 بالرجل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وس
 والمثلة ولو بالكلب العقور . فدخل جندب بن عبد الله فقبال
 ان فقدناك ولا نفقدك ، فنبايع الحسن ، فقال ما أمر
 ابصر ، ثم دعا الحسن والحسين ، وأوصاهما وصية جا
 والآخرة ، قال فيها : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا
 تبكيا على شىء أزوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ؛
 واصنعا للآخرى وكونا للظالم خصيما ، وللمظلوم ناص
 فى كتاب الله ولا تاخذكما فى الله لومة لائم ، ثم نظر الى
 ابن الحنفية ، وقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك
 فانى أوصيكما بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما

أمرنا دونهما . ثم قال للحسن والحسين أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما ، وقد علمتما ان أبكما كان يحبه ، وقال للحسن أيضا أوصيك أي بنى بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة الا بطهور ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ثم لم يزل يذكر الله حتى توفى ، والاصح انه كان له من العمر (61) سنة وتولى غسله ولداه الحسن والحسين ، وعبد الله ابن جعفر بن ابي طالب ، ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها تميص ، وصلى عليه ولده الحسن وكبر عليه سعا ، والصحيح انه مدفون بدار الامارة بالكوفة ، ودفن ليلا او بالقرى وهو موضع يزار الآن او بين منزله والجامع الاعظم ، ثم صحح المتأخرون انه دفن في محراب الجامع الاعظم ، وأخفى قبره لامرين (1) أخفى حتى لا يعبد من دون الله من طرف غلاة الشيعة ، (2) أخفى خوفا عليه من أعدائه الخوارج حتى لا ينبشوا قبره ، وذهب في ذلك اهل الطيش الى غير هذا ولا فائدة في ذكر ما ذكروا . وكانت خلافته رضى الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وخمسة ايام ، اى خمس سنين غير (85) يوما فقام بها رضى الله عنه احسن قيام ، وقد بذل فيها أكثر من الجهد في محاولة لم شمل المسلمين فلم يحقق من ذلك سوى خروجه من الدنيا بخير ، رغم الكفاءة التى كانت متوفرة لديه ، وظل ما يقرب من خمس سنوات الى اليوم الذى قبض فيه لم يصف له فيها يوم واحد من الكدر والحروب ، وكان أمر الله بذلك قدرا مقدورا . وقد كان ذلك لحكمة ارادها الله لتتميم نعمته عليه .

قال بعض العلماء : الحكمة في عدم اجتماع الكلمة لعلى رضى الله عنه ترجع الى امرين : (1) لحديث ورد في ذلك هو قوله عليه الصلاة والسلام : انا اهل البيت لا يجمع الله لنا بين الدنيا والآخرة ، او كما قال : وأبى الله ان يجمع للامام على رضى الله عنه بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وذلك لقربه من بيت النبوة . (2) هو ما علمه الله تعالى من انه اذا اظهره بمظهر المقتدر وأجرى الكرامات على يديه كما كان ذلك ظاهرا عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقادت له الرقاب وتصرف في شئونها تصرف المالك في ملكه ، لا يؤمن جانبه حينئذ من اعتقاد الالهية فيه ، وعبادته من دون الله من طرف كثير من البشر ، سيما وقد كانت

بدأت تظهر فرق من ذلك في حياته ، وعبدته من دون الله ، كالشيعة الروافض ومن على نظرهم من الشيعة المتطرفة ، والناصرية أكثرهم غلوا في ذلك ، ولن تزال بقية من عقائدهم الكفرية الى اليوم ، واما في حياته رضى الله عنه لما وصله خبر تأليههم اياه ، دعاهم واستنطقهم فاعترفوا بذنبهم فاستتابهم فلم يتب عدد كبير منهم ثم جمعهم على اعين الناس فأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم كبار الصحابة ثم حفر لهم أخاديد في باب كندة احدى ابواب الكوفة في الارض ، وأوقد فيها النيران ، ففقدتهم فيها احياء بعد اتفاق الصحابة على قتلهم ، لكن كان مذهب ابن عباس رضى الله عنهما أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق ، وهو قول أكثر العلماء ولم يكف الامام على عن احراقهم حتى سمع حديثا من ابن مسعود لعله لم يصله : لا يعذب أحد بالنار الا الله . وقال المحترقون : الآن زدنا اعتقادا بألوهيتك ، لا يعذب بالنار الا رب النار ، وكان رئيس اولئك الغلاة المبتدعة هو عبد الله ابن سبأ اليهودى الاصل واتباعه ، وهو مؤسس العقائد السبئية وهو الذى كان سببا في اشعال نار الفتنة التى ذهبت بحياة الخليفة عثمان رضى الله عنه . قال ابن سبأ واصحابه ان عليا الههم فنهاهم فلم ينتهوا فكان مصيرهم ما تقدم من الحرق ، وقال ابن معتوق لعنه الله من متأخريهم في على :

سيد الاوصياء مولى البرايا عروة الدين صفوة الخلاق
مهبط الوحي معدن العلم والاف ضال لا بل مقدر الارزاق
عالم الغيب والشهادة لا يع زب عنه حساب ذر دقاق

انظر فانك تراهم يخلطون فيه بين اوصاف النبوة والالوهية كأنهما اجتمعا فيه لعنة الله عليهم ، وقد سبق في علم الله انه سيبتلى بهذه الدعاوى الكاذبة فانقذه منها بلطفه الخفى ، واللطف الخفى عندهم هو ان الخير ياتى في صورة الشر ، ومن ذلك معنى قوله تعالى : وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون « وانقاذه بلطفه اظهر عجزه في الوقت الذى لا يمكن له ان يدخر فيه شيئا من قوته وحزمه ، ولو كانت في ذاته قوة الالوهية كما زعموا لما عجز عن تحقيق أبسط ما قد يجتمع لن هو دون مرتبته ، وعلى رغم منه قد جمع الله الامر لخصمه وهو دونه ، فصار ينظر الى أنصاره وشيعته وهم في تفرق عنه وادبار ، بينما أنصار خصمه في طاعة واقبال عليه ، فكان رضى الله عنه اذا رأى ما هو فيه من مخالفة عسكره له وطاعة عسكر معاوية له ،

يعض على أصابعه ويقول : أَعْصِي وَيَطَاع معاوية !!؟ وهذا العجز القاهر الظاهر لو لم يبرزه القدر الالاهى الى الوجود ، وعلى التقدير لو كان النصر لعلى باظهار الكرامات على يديه لكان امتحانا له أى امتحان على أعين الاشهاد فى حياته ولكان نقلته السنة الاقلام لمن بعده ، فعند ذلك لم يكن من المستبعد أن يكون جل الذين يتحلون الآن بعجزه يعبدونه من دون الله ، فيكون ذلك اعظم بلاء على الامام على رضئ الله عنه فى دينه : فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين » ولو تركت الخلافة للاحتية بعد موت على لتقدم على معاوية فى ذلك العصر الوف ممن كانوا أفضل وأخير منه ، ممن شهد الكتاب والسنة بفضلمهم كأهل بدر ، وأحد من المهاجرين والانصار ، وأهل بيعة الرضوان ، وكل من شهد المغازى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح ، ومعاوية قد أسلم كرها بعد الفتح ، وفى ذلك يقول الله تعالى : لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولائك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » ومعاوية كان فى غزوة حنين من المؤلفه قلوبهم ، فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم أباه أبا سفيان مائة من الإبل ، وأربعين أوقية من الذهب ، وأعطى ابنه معاوية هذا مثل ذلك ، وأعطى أخاه يزيد بن أبى سفيان مثل ذلك وقال أبو سفيان للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى لانت كريم فى السلم والحرب ، وفى رواية أن معاوية قد أسلم فى السنة السابعة من الهجرة ، أى قبل الفتح بسنة ، فهو صاحب اللعبة الناجحة ، ولولا ان الامور تجرى على غير مجراها الطبيعى ، لما ترك الخلافة من كانوا أحق بها وأهلها من كبار الصحابة وأخيارهم من المهاجرين والانصار ، مثل سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى عبيدة بن الجراح ، كل هؤلاء بدريون ومن العشرة المبشرين بالجنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وغيرهم كثيرون ، ولولا جراءة معاوية عليها لما كانت تصل اليه عن طريق الاحتية لانهم كانوا أحق بها منه ، وحيث كانت الامور تجرى على نوامس الكون تهيأت له أسبابها حتى أصبح ملكا مظفرا ، وقتل خصمه الخليفة الحق مقهورا ورغم هذا العجز الظاهر الباهر الذى سار على نهج ما جرت به المقادير ، على الامام على رضئ الله عنه ، وما زال ناس كثيرون يدعون الوهيته ، ويوجد منهم طوائف فى سوريا من بلاد الشام ، وفى العراق ، وفى ايران ، وفى مصر ، وما يسمع من أطفال مصر خصوصا عند احتياجهم الى نزول المطر الغزير ، ما يؤيد ذلك من أقوالهم عند نزول أول موجة من المطر الخفيف يقولون : يا بركة على زد ، لاعتقادهم انه فى السحاب ،

وياخذون ذلك من آية في القرآن حسب تاويلاتهم الفاسدة ، وهى قوله تعالى : هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام « قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من بيدك الخير انك على كل شىء قدير » .

أوصاف شخصية الامام على رضى الله عنه

فمن اوصافه انه كان مربوع القد ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان احسن الناس وجها ، كثير التبسم ، ثقيل العينين وعظيمهما كثيف اللحية ، ولا يغير شبيهه ، أصلع الرأس ، عظيم الصدر كثير شعره لون بشرته يميل الى الادمة ، وهى حمرة يخالطها تسود دهمة وكان ضخم عضلة الذراع ، وضخم عضلة الساق مع اعتدال فى ذلك من باقى اليدين والرجلين ، كان اذا مشى عليه هيبة ووقار ، واذا تكلم أفتق الناس بسعة علمه ، وفصاحة لسانه ، وسحر بيانه وقوة جنانه هو من المعرفة بهذا عند أهل العلم غنى عن التعريف به . ومن أخلاقه انه كان شجاعا مقداما ، حمل الراية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر وبنى النضير ، وغزوة الفتح الاعظم ، وحينئذ ، وله غير ذلك من المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الى جانب ذلك كريما مؤثرا على نفسه فى الرخا والشدة ، حتى شرفه الله بنزول القرآن فى كرمه فقال الله تعالى : ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا « الى قوله تعالى : ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » .

وأخرج السلفى فى الطيوريات عن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل قال : سألت أبى عن على ومعاوية فقال : اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوه فجاءوا الى رجل قد حاربه وقتله ، ناظروه كيذا منهم له .

ومن حكمه وآدابه رضى الله عنه

فمن كلماته الدالة على علو قدرته علما وحكمة وزهدا ومعرفة بالله

تعالى ومن قضاياه وكراماته . أخرج بن سعد عنه قال : والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، ان ربي وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا . وأخرج ابن سعد وغيره ، عن أبى الطفيل قال : قال على سلونى عن كتاب الله ، فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وأخرج ابن أبى داود عن محمد بن سيرين قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطا على عن بيعة أبى بكر فلقية أبو بكر فقال : أكرهت امارتى ؟ قال لا ، ولكن آليت لا ارتدى بردائى الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا انه كتبه على تنزيله قال محمد بن سيرين لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم .

ومن كراماته الباهرة ان الشمس ردت عليه لما كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره والوحى ينزل عليه ، وعلى لم يصل العصر ، فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم الا وقد غربت الشمس ، فطلعت بعد ما غربت . وحديث ردها صححه الطحاوى من الحنفية ، والقاضى عياض فى الشفاء ، وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة ولم يتبعه غيره . وردوا على جمع قالوا انه موضوع ، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها فى محل المنع ، بل نقول كما ان ردها خصوصية كذلك ادراك العصر الآن ، اداء خصوصية وكرامة على ان فى ذلك اعنى ان الشمس اذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بردها ترددا ، حكيته مع بيان المتجه منه فى شرح العباب ، فى أوائل كتاب الصلاة . قال سبط بن الجوزى وفى الباب حكاية عجيبة حدثنى بها جماعة من مشائخنا بالعراق ، انهم شاهدوا أبا منصور المظفر ابن ازدشير القباوى الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بالفاظه ، وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس ، حتى ظن الناس انها قد غابت فقام على المنبر وأوماً الى الشمس وأنشد :

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى مدحى لال المصطفى ولنجله
 وائسى عنانك ان اردت ثناءهم انسيت اذ كان الوقوف لاجله
 ان كان للمولى وموفك فليكن هذا الوقوف لخياله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت . وهذه كرامة اخرى للواعظ واخرج عبد الرزاق عن حجر المرادى قال : قال لى على : كيف بك اذا امرت ان تلعننى ؟ قلت او كائن ذلك ؟ قال نعم ، قلت فكيف أصنع ؟ قال العنى ولا تبرأ منى . قال : فأمرنى محمد بن يوسف أخو الحجاج ، وكان أميراً من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن أن العن عليا ، فقلت

ان الامير امرنى ان العن عليا فالعنوه لعنه الله . فما قطن لها الا رجل
اى لانه لعن الامير ولم يلعن عليا فهذا من كرامات على ، واخباره بما اطلعه
الله عليه وكشف له من امر المستقبل وتلك خصوصية خصه الله بها ،
فصارت وراثية بين ابنائه من ذرية الحسين . ومن كراماته ايضا انه حدث
بحديث فكذبه رجل ، فقال له ادعو عليه : ان كنت كاذبا ، فقال : ادع ،
فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره .

وأخرج ابن المدائنى عن مجمع ان عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلى
فيه رجاء ان يشهد له انه لم يحبس فيه المال عن المسلمين .

قصاء على

وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة
أرغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الارغفة الثمانية على السواء ثم
طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضا عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب
الخمسة أرغفة يقول : ان له خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة وصاحب
الثلاثة يقول : ان له أربعة ونصفا ، فاحتكما الى الامام على رضى الله عنه
فقال : لصاحب الثلاثة خذ ما رضى به صاحبك ، وهو الثلاثة فان ذلك خير
لك ، فقال لا رضيت الا بمر الحق ، فقال على ليس فى مر الحق الا درهم
واحد ، فسأله عن بيان وجه ذلك ؟ فقال رضى الله عنه اليست الثمانية
أرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وانتم ثلاثة ولا يعلم اكثركم اكلا فتحملون
على السواء ، فأكلت أنت ثمانية اثلث والذى لك تسعة اثلث ، وأكل
صاحبك ثمانية اثلث ، والذى له خمسة وعشرون ثلثا فبقى له سبعة ،
ولك واحد ، فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك ، فقال رضيت الآن .
واتى برجل فقيل له زعم هذا انه احتلم بأمى ، فقال : اذهب فأتمه
فى الشمس فاضرب ظله .

ومن حكمه : الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم ، ومن أحاديثه :
الناس نيام اذا ماتوا استيقظوا . ما هلك امرؤ عرف قدره . قيمة كل امرئ
ما يحسنه . من عرف نفسه فقد عرف ربه . المرء مخبوء تحت لسانه ، لا
تحت طيلسانه . من عذب لسانه كثر اخوانه . بالبر يستعبد الحر . بشر مال
البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر الذى قال ، وانظر الى ما قال . الجزع
عند البلاء تمام المحنة . لا ظفر مع البنى ولا ثناء مع الكبر . لا صحبة مع

النهم والمتخم . لا شرف مع سوء الادب . لا راحة مع الحسد . ولا سؤدد مع الانتقام . لا صواب مع ترك المشورة . لا مروءة للكذوب . لا كرم أعز من التقى . لا شفيح أنجح من التوبة . لا لباس أجمل من العافية . لا داء أعيب من الجهل . المرء عدو ما جهل . رحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره . اعادة الاعتذار تذكر بالذنب . النصح بين الملا تفرغ . نعمة الجاهل كروضة على مزبلة . الجزع أتعب من الصبر . المسؤول حر من الوعد حتى يعد أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة . الحكمة ضالة المؤمن . البخل جامع لمساويء العيوب . اذا حلت المقادير ضلت التدابير . عبد الشهوة أذل من عبد الرزق . الحاسد مغتاز على من لا ذنب له . كفى بالذنب شفيها للمذنب . السعيد من اتعظ بغيره . الاحسان يقطع اللسان . أفقر الفقر الحمق . أغنى الغنى العقل . الطامع في وثاق الذل . ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، بل العجب ممن نجا كيف نجا . احذروا نفار النعم فما شاردا بمرود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الطمع . اذا وصلت اليكم النعم فلا تنفروا اقصاها بقله الشكر . اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . ما أضمر أحد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه ، وعلى صفحات وجهه . البخيل يستعجل الفقر ، ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء . لسان العاقل وراء قلبه . وقلب الاحمق وراء لسانه . العلم يرفع الوضيع . والجهل يضع الرفيع . العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه . قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك . هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه ، وذاك يضل الناس بتنسكه . أقل الناس قيمة أقلهم علما . اذ قيمة كل امرئ ما يحسنه . وكلامه رضى الله عنه في هذا الاسلوب البديع كثير تركته خوف الاطالة .

وهذه جملة من آدابه رضى الله عنه . وهى قوله : كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، ليس فى الطير شىء الا وهو يستضعفها ، ولو يعلم الطير ما فى اجوافها من الخير والبركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناس بالسنتكم واجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ، فان للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب . ومنها كونوا بقبول العمل ، أشد اهتماما منكم بالعمل ، فانه لن يقتل عمل مع التقوى ، وكيف يقتل عمل متقبل . ومنها يا حملة القرآن اعملوا به ، فان العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله . يقول الله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل

الحمار يحمل أسفارا « أى لم يصل الى قلوبهم وسيكون أقدام يحملون العلم لا يتجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم . ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله . ومنها : لا يخاف أحد منكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ، ولا يستحيى من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيى من يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم . الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ومنها : الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولا يؤمنهم من غذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه . ومنها : لا خير في عبادة لا علم فيها . ولا خير في علم لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها . ومنها : من أراد أن ينصف الناس من نفسه ، فليحب لهم ما يحب لنفسه ، ومنها : سبع من الشيطان : شدة الغضب ، وشدة العطاس وشدة التثاؤب ، والقيء ، والرعاف ، والنجوى ، والنوم عند الذكر . ومنها : الحزم سوء الظن أو ان من الحزم سوء الظن . ومنها : التوفيق خير فائدة ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والادب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب . وقال : لما سئل عن القدر ؟ القدر طريق مظلم لا تسلكه ، وبحر عميق لا تلجه ، سر الله قد خفى عليك فلا تفشه أيها السائل ، ان الله خلقك كما شاء أو كما شئت قال : فيستعملك كما شاء . ومنها ان للنكبات نهايات ، لا بد لاحد اذا نكب أن ينتهى اليها . فينبغى للعاقل اذا أصابته نكبة ان ينام لها حتى تنقضي مدتها ، فان في رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهاها .

وسئل عن السخاء فقال : ما كان منه ابتداء ، فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتكرم . وأثنى عليه عدو له فأطراه ، فقال : إني لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك . وقال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة ، والنقص في اللذة . وقال : لا ينال أحد شهوة حلال الا جاء ما ينغصه اياها . وقال : له عدوه ثبتك الله ، قال على صدرك . ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن : وقد دخل عليه باكيا ، يا بنى احفظ عنى اربعا وأربعا ، قال : وما هي يا ابت ؟ ان أغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، وأوحش الوحش العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق . قال : فالاربع الاخر ؟ قال : اياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفكك فيضرك . وياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عنك القريب . وياك

ومصادقة البخيل فانه يخذلك في أحوج ما تكون اليه . واياك ومصادقة
الفاجر فانه يبيعك بالتافه . وسأله يهودى ؟ متى كان ربنا ؟ فتغير وجهه
وقال : لم يكن مكان ولا كينونة ، كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية ،
انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية ، فأسلم اليهودى .

وضل عنه درعه بصفين ، فوجدها عند يهودى ، فحاكمه فيها الى
قاضيه شريح وجلس بجنبه ، وقال : لولا ان خصمى يهودى لاستويت معه
في المجلس ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تسوا
بينهم في المجالس وفي رواية أصغر وهم من حيث أصغرهم الله . ثم ادعى
بها فأنكر اليهودى فطلب شريح بينة من على ، فأتى بتنبر والحسن : فقال
له شريح شهادة الابن لابي لا تجوز ، فقال اليهودى : أمير المؤمنين قدمنى
الى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه فأسلم اليهودى . فقال : أشهد ان لا اله
الا الله ، وأشهد ان محمدا رسول الله وان الدرع درعك .

وأخرج الواقدي عن ابن عباس قال : كان مع على أربعة دراهم لا يملك
غيرها فتصدق بدرهم ليلا ، وتصدق بدرهم نهارا ، وتصدق بدرهم سرا ،
وتصدق بدرهم علانية ، فنزل فيه قوله تعالى : الذين ينفقون أموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقال معاوية : لضرار بن حمزة صف لى عليا ؟ فقال : اعفنى ، فقال
معاوية : اقسمت عليك بالله ، فقال فى وصفه : كان والله بعيد المدى ،
شديد القوى يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق
الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويانس بالليل ووحشته ،
وكان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام
ما خشن ، وكان فينا كاحدنا ، يجيينا اذا سألناه ، ويأتينا اذا دعواناه ، ونحن
والله مع تقريبه ايانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له . يعظم أهل الدين ،
ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .
وأشهد لقد رأيت فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه
قابضا على لحيته يتململ تملل السليم اى اللذيع ، ويبكى بكاء الحزين ،
ويقول : يادنيا غرى غرى ، الى أو الى تشوفت ؟ هيهات هيهات قد باينتك
ثلاثا ، لا رجعة فيها فعمرك قصر ، وخطرك كبير ، آه آه من قلة الزاد وبعد
السفر ووحشة الطريق ، فبكى معاوية وقال رحم الله ابا الحسن كان والله
كذلك . فارقه أخوه عقيل وذهب الى معاوية ، وكان سبب مفارقتة له انه
كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفى عياله ، فاشتتهى عليه اولاده مريسا

فصار يوفر كل يوم شيئاً قليلاً حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمناً وتمراً
 وصنع لهم فدعوا علياً اليه ، فلما جاء وقدم له ذلك ، سأل عنه ، فقصوا
 عليه ذلك فقال : أو كان يكفيكم ذاك بعد الذى عزلتم منه ؟ قالوا نعم ، فنقص
 مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم ، وقال : لا يحل لى أزيد من
 ذلك ، فغضب عقيل فحمى له وقربها من خده وهو غافل فتأوه أى عقيل ،
 فقال له اتجزع من هذه وتعرضنى لنار جهنم ؟ . فقال لاذهبن الى من يعطينى
 تمراً ويطعمنى تمراً . فلحق بمعاوية ، وقال يوماً لولا علمه بانى خير له
 من أخيه ما أقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : أخى خير لى فى دينى ، وانت
 خير لى فى دنياى وأسأل الله خاتمة خير . وقيل غير ذلك ، وأخرج ابن
 عساکر ان عقيلاً سأل علياً فقال انى محتاج ، وانى فقير فاعطنى ؟ فقال
 اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألح عليه ، فقال
 لرجل خذ بيده وانطلق به الى السوق وقتل له كسر اقفال الحوانيت وخذ ما
 بداخلها ، فقال تريد ان تتخذنى سارقاً فقال على فكذلك تريد ان تتخذنى
 سارقاً بان آخذ اموال المسلمين فأعطيكها دونهم . قال له لاتين معاوية ،
 قال له انت وذاك ، فأتى معاوية ، فسأله فأعطاه مائة ألف ، ثم قال اصعد
 على المنبر فاذا ذكر ما اولاك به على وما اوليتك ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى
 عليه ، ثم قال : ايها الناس انى اخبركم انى أردت علياً على دينه فأخترت دينه ،
 وانى أردت معاوية على دينه فأخترت على دينه .

وقال معاوية لخالد بن معمر ، لم أحببت علياً ؟ قال : على ثلاث
 خصال ، على حلمه اذا غضب ، وعلى صدقه اذا قال ، وعلى عدله اذا حكم .
 ولما وصل اليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب اليه . ثم املى عليه
 هذه الابيات :

محمد النبى أخى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن امى
وينت محمد سكى وعرسى	منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا احمد ابنائى منها	فأيكم ليه سهنم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طرا	غلاما ما بلغت اوان حلمى

قال البيهقى ان هذا الشعر مما يجب على كل أحد حفظه ، ليعلم منه
 مفاخر على فى الاسلام . وقد تتبع الباحثون فضل على فخصصوه بأسفار
 فى البحث على الانفراد . وقد رأيت مناهما أن أزيد هذا البيت هنا وهو من
 قول معاوية رضى الله عنه :

نجوت وقد بل المرادى سيفه من ابن أبى شيخ الابطايح طالب
وللامام الشافعى فيه رضى الله عنه :

اذا نحن فضلنا عليا فائنا روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر اذا ما ذكرته رميت بنصب عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما بحبهما حتى أوسد فى الرمل
وله ايضا :

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض دينى ولا اعتقادى
لكن توليت غير شك خير امام وخير هادى
ان كان حب الولى رفضا فاننى ارفض كل العباد
وله ايضا :

يا راكبا قف بالمحصب منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان اننى رافضى

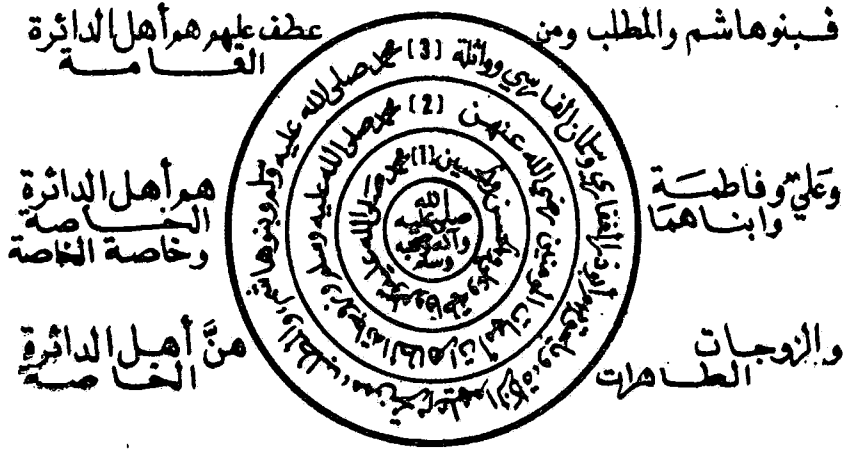
قال البيهقى : وانما قال الشافعى ذلك حين نسبه الخوارج الى
الرفض حسدا وبغيا . وذكر المفسرون ان الذى يدخل الجنة من الحيوانات
كلب اهل الكهف ، واسمه ريان ، او قطمير ، وسبب ذلك مصاحبته لاولياء
الله وقد طردوه اولا ، وثانيا ، لما كانوا فى طريقهم الى الكهف فتكلم معهم
وقال لهم انى احب ايجاب الله فناموا وانا احرصكم . ومن هذا تعلم ان
حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنت النعيم
وعلى اساس ان المجازى على الحب الصادق هو الله تعالى وحده لا غيره .
وقيل للمازنى انك رجل توالى اهل البيت فلو قلت فى هذا ابياتا
فقال :

وما زال كتما منك حتى كأتنى برد جواب السائلين لاعجم
واكتم ودى مع صفاء مودتى لتسلم من قول الوشاة واسلم

أهل بيته صلى عليه وسلم ثلاث دوائر

ينقسم آل بيته صلى الله عليه وسلم الى ثلاث حلقات بحسب ما
تختص به كل حلقة من الحلقات الثلاث ، وهم بنو هاشم والمطلب ومن
الحق بهم نسا ، ثانيا ذرية الحسين من على ، وفاطمة الزهراء رضى الله

عنهما وهم اهل المباهلة والرداء ، والحلقة الثالثة الزوجات الطاهرات
امهات المومنين رضى الله عنهن .



فبنو هاشم والمطلب الذين تحرم عليهم الزكاة هم آل صلى الله عليه وسلم والدائرة العامة ومن الحق بهم فهو في درجتهم كآبى ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى وواثلة بن الاسقع ممن الحق بهم نصا فهو منهم . وقد نظم بعضهم أبناء عبد مناف فقال :

فهاشم مطالب ونوفل وعبد شمس رابع قد نقلوا
جميعهم أبناء عبد مناف سليل فخر عندهم بلا خلاف

وفي بنى المطلب خلاف هل هم من الآل ؟ وهو قول الامام الشافعى وقول مروى في مذهب الامام مالك ، او ليسوا بال وهو المشهور من مذهب مالك رحمه الله واما بنو هاشم وهم ذرية حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، وذرية على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وذرية جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم . وذرية عقيل بفتح العين بن ابي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم . وذرية العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، فذريات جميعهم هم آل النبى صلى الله عليه وسلم وقرباته بالاجماع . وقد جمعهم بعضهم في بيت واحد ، وهم :

على وعباس عقيل وجعفر وحمزة هم آل النبى بلا نكرى

انظر تمام الكلام على اهل البيت في ترجمة المراد بال البيت في الاحاديث الواردة فيهم والترجمة التى بعدها وهى ادب المواساة والوصلة مع الشريف ، وما الحق بذلك .

ويلحق بخاصة الخاصة ذرية فاطمة الى يوم القيامة من الحسين

ويظهر ذلك من مزيد اعتناؤه صلى الله عليه وسلم بهم لانهم اهل الرداء
ثم ننتقل الى الكلام على حقوقنا المادية والادبية وموقف الولاة منها ، عبر
عصور تاريخ الاسلام .

الحقوق المادية لاهل البيت

قد قسم الله لنا منها في كتابه ما كان فيه كفاية لسد حاجة المعوزين
منا عن التعرض بأكفهم لعوام المسلمين ، حتى لا ينشف ماء وجوههم
وتداس كرامة النبي صلى الله عليه وسلم بسببهم ، وتسلق السنة
النذلاء منهم اعراض الواقعين فيما في ايديهم والمتعفين عن ذلك على السواء
كقول احدهم عند التعرض لاخذ ما في يده : — الشرفاء الكلاب — فهذه
الكلمة شاملة للواقع فيما في ايديهم والمتعفف على السواء بل هي ماسة
لجنابه صلى الله عليه وسلم لانهم آله وقرابته بالاجماع . قال الله تعالى :
في سورة الانفال : واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول
ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما
انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير «
عن ابن عباس رضى الله عنهما : انه كان على ستة : لله ، وللرسول ،
سهمان ، وسهم لاقاربه . وقال الجلال : ان لله خمسة يامر فيه بما شاء ،
وللرسول ولذى القربى اى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى
هاشم وبنى المطلب ، واليتامى اطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم
فقراء ، والمساكين اى ذوى الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل اى المنقطع
في سفره من المسلمين . ومعنى الآية ، انه يستحقه النبي صلى الله عليه
وسلم والاصناف الاربعة ، على ما كان يقسمه من ان لكل خمس الخمس ،
والاخماس الاربعة الباقية للغانمين . ان كنتم آمنتم بالله ، قال النفسى :
فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة ، فالايمان يوجب الرضى بالحكم والعمل
بالعلم ، وما انزلنا على عبدنا ، اى وبالنزل على عبدنا محمد صلى الله
عليه وسلم من الملائكة والآيات ، يوم الفرقان ، اى هو يوم بدر الكبرى
الفارق بين الحق والباطل ، بمعنى ان الايمان انتصر بهذا اليوم انتصارا
لا انهزام بعده ، وهو يومئذ فتح عظيم للاسلام ، يوم التقى الجمعان ،
الفريقان من المسلمين والكافرين ، والله على كل قدير ، اى يقدر على ان
ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر .

ماهى الغنيمة ؟

الغنيمة كل ما اصاب المسلمون من عساكر العدو وما اجلبوا به من المتاع ، والسلاح والكراع ، وجعل منها ابو يوسف صاحب ابى حنيفة ما اصيب من المعادن من قليل او كثير ، والركاز ، وهو الذهب والفضة الذى خلقه الله فى الارض يوم خلقت ، والكنوز العادية التى تصاب فى غير ملك احد ، وما اخرج من البحر من الحلى والعنبر ، كل ذلك حكمه واحد ، وهو ان للامام خمسة . اما اربعة اُخماسه الباقية فتكون حقا للغنمين فيما اصيب ، وتكون جفا للواجد فيما عداها ، ويقسم الامام اربعة اُخماس على القائميين سواء فى ذلك اهل الديوان اى الجنود المسجلون والمتطوعون يضرب للفارس منهم ثلاثة اسهم ، سهم له ، وسهمان لفرسه ، وللراجل سهم وخالف فى ذلك شيخه ابا حنيفة رحمه الله حيث قرر للفارس سهمين ، وللراجل سهما ، وقال لهارون الرشيد خذ باى القولين رأيت ، واعمل بما ترى انه افضل واخير للمسلمين ، فان ذلك موسع عليك ان شاء الله ، ولست ارى ان تقسم للرجل أكثر من فرسين . فان قلت ان هذه المصادر ذهبت مع الزمن بذهاب اهلها حيث كانت الحرب تعتمد على السيف والراكب والراجل ، وهذا عصر المذروعات والدبابات والآليات والاكطرونيات والطائرات والغواصات والصواريخ والسرؤوس النووية والذرة ، والاساطيل البحرية ، وما الى ذلك مما لا يدخل تحت حساب من لا يمارس ذلك . قلت ان الشريعة الاسلامية كانت تقرر الاصول وتبنى احكامها ، وقد ظهرت اليوم كنوز الارض ظاهرا وباطنا ما فيه غنى الجميع لولا الاستبداد السياسى والاقطاع الراسمالى ، وهذان العنصران قد اكلا ما على ظاهر الارض وما فى باطنها ولا زالا جائعين فى انتظار المزيد .

مصرف الخمس

قد بين الله مصرف الخمس فى الآيه المتقدمة من سورة الانفال ، قال ابو يوسف كان ذلك الخمس يقسم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لله وللرسول سهم ، ولذى القربى سهم ، ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة اسهم . ثم قسمه الخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان ، رضى الله عنهم ثلاثة اسهم وسقط سهم الرسول وسهم ذوى القربى ، وادخل عمر بن الخطاب فى عطائه الحسن مع اهل بدر ، لمكانته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأدخل يتامى ومساكين وذوى القربى في غيرهم ، ولم يقل أحد انهم حرموهم ، ولكن الاغنياء من ذوى القربى لم يكونوا في حاجة الى سهمهم ، ولذلك رأى الامام على رضى الله عنه رأى من تقدمه وفضله ، وهو من ذوى القربى ، لو لم يعتبره صوابا لم يكن ليتنازل عن حق قرره له القرآن الكريم ، وهو امام المسلمين ، والى جانب ذلك فلا تغب عنك قصة تصرفه في المال مع أخيه عقيل الذى تركه وذهب الى معاوية .

أول من فرض العطاء في الاسلام

فكان اول من نظم العطاء وفرضه في الاسلام ، الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قبله على حسب ما تسمح به الاحوال ، وقد كان التنظيم المذكور نتيجة لانتساع الفتوحات وازدهار الاقتصاد بكثرة العمران والجبايات من مختلف الآفاق ، وخصوصا بعد ما دخل في الاسلام اقليما الشام والعراق ، وكانا من اخصب بلاد الله في الدنيا ، فعند ذلك رأى أمير المؤمنين انه لا مندوحة من التنظيم ففرض انعطاء ورتبه لمستحقيه فاتخذ لذلك الدواوين لحصر اسماء الغزاة أى الجنود المنظمين الحربيين وسائر اهل العطاء .

فبدأ بزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض عشرة آلاف درهم لكل واحدة منهن سنويا ، ولاهل بدر خمسة آلاف لكل واحد منهم سنويا كذلك ، وأدخل سهم ذوى القربى في أهل بدر اقتداء بما فعله صاحبه الخليفة الاول رضى الله عنهما الذى رد قسمة خمس الخمس الى ثلاثة ، فكان يعطى الحسن والحسين ابني على وهو أى على من أهل بدر — ولفاطمة الزهراء خمسمائة درهم ولابنيها الحسن والحسين خمسة آلاف درهم لكل واحد منهما كذلك ولابيهما باعباره من أهل بدر خمسة آلاف درهم سنويا كذلك . والحق بذوى القربى ابا ذر الغفارى ، وسلمان الفارسي ، واعطى لمن بعد بدر الى الحديدية اربعة آلاف لكل واحد منهم ، ولنسائهم اربعمائة درهم كذلك ، ولن بعد الحديدية الى أن انتهى أبو بكر من حروب الردة ، ثلاثة آلاف درهم لكل واحد منهم ، ولنسائهم ثلاثمائة درهم لكل واحدة منهن كذلك ، ولن شهد القادسية واليرموك الفين لكل واحد منهم ، ولنسائهم هاتين لكل واحدة منهن كذلك ، ولاهل البلاء النازع منهم الفين وخمسمائة لكل واحد منهم ، ولنسائهم مائتين لكل واحدة ، وللروادف المثى خمسمائة لكل واحد، ولم يذكر لنسائهم شيئا ، ثم الروادف

الثلاث بعدهم ثلاثمائة لكل واحد ولم يذكر نساءهم ، ثم الروادف الربيع ، مائتين وخمسين لكل واحد منهم ولم يذكر نساءهم ، كما فرض لاهل الهجر والعباد مائتين لكل واحد وسكت عن نسائهم ، وفرض للصبيان مائة درهم لكل واحد سنويا كذلك وفرض للمساكين جريبتين في الشهر . وهكذا رتب عمر رضى الله عنه طبقات المستحقين فأعطى لكل ذى حق حقه ، دون ان يبخص طبقة في حقها ، وسوى بين افراد كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم دون ميز بين العرب والعجم ، على مبدأ : المسلمون كأسنان المشط تتكافأ دماؤهم ويسعى بهم ادناهم على اعلاهم ، وهم يد على من سواهم اى قوة الحديث ثم قال عمر رضى الله عنه : انى كنت امرا تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتي وقد شغلتمونى بأمركم هذا فما تامرون انه يحل لى من هذا المال ؟ فقال على رضى الله عنه لك ما اصلحك وعيالك بالمعروف ، ليس لك غيره ، ووافق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فأخذ بعد ذلك من بيت مال المسلمين ما يسد خلته بلا كفاية ، فاشتد الحال عليه بعد ذلك ، فاجتمع نفر من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب ، وطلحة والزبير ، وقالوا لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها اياه في رزقه ، فقال عثمان هلم فلنعلم ما عنده من وراء راء ، فأتوا أم المؤمنين حفصة ابنته ، فكلمته في ذلك فغضب ، وقال من هؤلاء ؟ لاسوعنهم ، قالت لا سبيل الى علمهم ، قال : انت بينى وبينهم ، ما افضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس ؟ قالت ثوبين مشقين كان يلبسهما للوفد والجمع ، قال : فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟ قالت حرفا من خبز شعير فصبنا عليه ، وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها ، قال : فأى مبسط يبسط عندك كان أوطأ ؟ قالت كساء ثخين كنا نرفعه في الصيف ، فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتذرنا بنصفه . قال : يا حفصة ، ابلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها ، وتبلغ بالترجية ، وانما مثلى ومثل صاحبي ، كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر فسلك سبيله فأفضى اليه . ثم اتبعه الثالث يعنى نفسه ، فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقا غير طريقهما لم يلحقهما . انظر أخى العزيز وتأمل كيف ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع اقبال الدنيا على المسلمين وتغير الاحوال الاقتصادية عما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يجد لنفسه مبررا أن يزيد عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل اتبع هديه وسار

بسيرته حتى يلقاه آمنا على نفسه ودينه .

رأى عمر في بيت مال المسلمين

كان رضى الله عنه يقول : انا كوصى مال اليتيم ، ان استغنيت استعففت وان افترقت اكلت بالمعروف . يريد قول الله تعالى : فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف « اى الامر المتوسط ولم يطلع احدا على ما كان ياخذ لنفسه من بيت المال ، الى ان خرج مرة حاجا فلما رجع قال لابنه : انظر كم صرفنا ؟ فنظر ابنه فاذا هو ستة عشر دينارا فأخبره ابنه بقدر المبلغ كأنه رآه غير كاف ، فأجابه عمر قائلا : لقد أسرفنا يابنى !! فان أردنا ان نقول شيئا عن هؤلاء ، فانما نقول ان امثال هؤلاء هم الذين حققوا للانسانية صورتها الكاملة بسيرتهم على نهج نبيهم ، وما بدلوا تبديلا .

واما الانسانية الباقية من بعدهم الى يومنا هذا فقد تجردت من الصفات التى رفعت من شأنها فى ايسر وجوهها ، فاستحالت صفاتهم الى اخس صفات حيوان مفترس لا يهمله الا بطنه وشهوته ، ولم تبق له الا صورة الانسان القديم فهو بهذا قد حكم على نفسه بالتجرد من كل قيمة اخلاقية او فضيلة ترفعه الى مكانته المرموقة . فجاءت الدنيا تتمثل بين ايديهم كجيفة قذرة ، وهم يتنازعون عليها تنازع الكلاب . فالسنة حالهم ناطقة ومعبرة عنهم بالصواب تقول : « نحن كلاب » اى على الحقيقة فى صورة انسان .

فنظر الامام الشافعى بهذا المعنى الى صورة هذا الانسان فأعرب عنه قائلا :

ومن يذوق الدنيا فانى طعمتها . وسيق الينا عذبا وشرابها .
فما هى الا جيفة مستحيلة . عليها كلاب همهن اجتذابها .
فان تجنبتها كنت سلما لاهلها . وان تجتذبا نازعتك كلابها .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : عرض علينا عمر بن الخطاب ان نزوج من الخمس ايمنا ، ونقضى عن غارمنا فابينا الا ان يسلمه لنا فابى علينا .

وذكر ابو يوسف : ان الصحابة اتفقوا ان يجعلوا هذين السهمين : سهم الرسول وسهم ذوى القربى فى الكراع والسلاح . وروى عن عمر بن

عبد العزيز الاموى انه بعث بسهم الرسول ، وسهم ذوى القربى الى بنى هاشم . قال : وكان أبو حنيفة وأكثر فقهاءنا يرون أن يقسمه الخليفة على ما قسمه الخليفة الاول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، رضى الله عنهم .

واقول رأى الامام محمد بن ادريس بن عبيد الله المطلبى الشافعى رحمه الله ان سهم الرسول يصرف فى مصالح المسلمين ، وسهم ذوى القربى يصرف لمن ينتسب الى هاشم والمطلب ابنى عبد مناف ، دون بنى اخويهم عبد شمس ونوفل ، ويسوى فى العطاء بين الاغنياء والفقراء ، لان سبب الاستحقاق القرابة ، ويشترك فيه الرجال والنساء بالتسوية بين الذكور والاناث كما قال المازنى وأبو ثور من أصحاب الشافعى وللذكر مثل حظ الانثيين كما قال غيرهما ، ويقول الشافعى قال الامام أحمد رحمه الله الا انه قال : ان ردوه صرف فى السلاح والكراع لفعل أبى بكر وعمر وعثمان .

ومذهب الامام مالك فى ذلك ما نص عليه الشيخ خليل بقوله :

وخمس غيرها ان وجف عليه . قال علماء المذهب فى شرحه : قد علمت حكم الارض العنوة ، ومذهب مالك وأبى حنيفة ان مكة فتحت عنوة .

ومذهب الشافعى انها فتحت صلحا : وأما غير الارض العنوة من المال والكراع ، أى الخيل ، والبغال ، والابل ، فانه يخمس أى يقسمه الامام خمسة أخماس ، الخمس لله ولرسوله ، لقوله تعالى : فأنا لله خمس وللرسول « والاربعة أخماس يقسمها الامام بين المجاهدين كما يأتى عند قوله : وقسم الاربعة لحر مسلم ، وقال الشيخ خليل أيضا : فخراجها والخمس والجزية لاله عليه الصلاة والسلام ثم للمصالح ، قال علماء المذهب : والخمس الذى لله ولرسوله أى الخمس الخارج بالقرعة من غنيمة ، أو ركاز كما مر عند قوله ، وفى ندرته الخمس كالركاز والفىء والجزية العنوية ، والصلحية ، وعشور أهل الذمة ، وخراج أرض الصلح محله بيت مال المسلمين يصرفه الامام فى مصارفه باجتهاده ، فبيدا من ذلك بال النبى صلى الله عليه وسلم على جهة الاستحباب ، ان كان فى المال سبعة . والابدئ بالاحوج فالاحوج ، ثم الباقى للمصالح التى يعود نفعها على المسلمين ، كالجهاد ، وعمارة الثغور ، وبناء المساجد ، والجسور وبناء المدارس ، وأرزاق القضاة ، وقضاء الديون ، وعقل الجراح وتزويج الاعزب ، ونحو ذلك .

ظلمونا حقوقنا المادية والادبية

فنحن معشر ذوى القربى الواجب علينا أن نحمد الله ونشكره على عنايته بنا إذ قرر لنا بفضل قرابتنا للنبي صلى الله عليه وسلم حقا في بيت مال المسلمين متلوا في القرآن عبر الاجيال لا ينكره علينا الا كافر بالله ورسوله ، لانه مقرر من طرف الشريعة الاسلامية لا ينزعه الا ظالم غاصب او كافر جاحد ، فقد جعل الله فيه لنا كفاية لسد حاجيات المعوزين المتعنفين منا والواقعين في المسألة على السواء ، ونحن إذ حرمنا هذا الحق من قبل المسؤولين عنه منذ زمن بعيد لم نتخل عن طلبه ما دام في الدنيا مسلمان ثالثهما أمير الى قيام الساعة ، ثم من وراء ذلك يكون حسابنا معهم بين يدي رب العالمين ، لان الآية محكمة ليس فيها نسخ ولا تاويل يلوذ به كل من ظلمنا حقنا من بيت مال المسلمين ولهذا فائنا نفوض أمرنا الى الله ونرد شكوانا اليه لانه هو الذى يتولى الدفاع عن حقوقنا المشروعة بأمره ، والمجازاة عليها : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

ونحن على يقين تام ان سيدنا المنصور بالله غير غافل عن أولاد مولاي عبد السلام ، وانه في كل مناسبة يبعث اليهم من ماله الخاص صلة مالية لو بلغت الى معوزيهم ممن يستحقون كان ذلك ادعى لفرحهم ونشاطهم ، كما أرجو ان يكون ذلك عاما ، وعن طريق تشريع مضمون .

الحقوق الادبية

قد ثبت لنا والله الحمد من الحقوق الادبية نظير ما ثبت من الحقوق المادية ، وضمن منها التشريع الاسلامي ما تنطوى عليه نصوص الكتاب والسنة والاجماع ، فمن الكتاب قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور .

قد نصت هذه الآية صراحة على التودد للقربى ، وعلى كل حال فمودة القربى ثابتة بالكتاب على كل احتمال في الآية ، وسواء كان الاستثناء متصلا أو منقطعا فانه لا يخرج دلالة الآية عن مودة قرابته صلى الله عليه وسلم . فالاحتمال الاول عند المفسرين في الآية اى الا ان تودوا قرابتي الذين

هم قرابتكم ولا تؤذوهم .

والاحتمال الثانى فى المعنى ، اى ان تؤدونى لقرابتى فيكم ، ولا تؤذونى ولا تهيجوا على ، اذ لم يكن هناك من بطون قريش الا وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة . وعلى ان الاستثناء منقطع فهو الاحتمال الثالث اى الا ان تحبوا الله ورسوله وقد نسر بوجه رابع اى لكن ان تؤدوا قرابتى . وقوله الا ان تحبوا الله ورسوله اى فى تقريكم اليه بالطاعة والعمل الصالح . ومن جملة طاعته على هذا الاحتمال التودد لقرابته المفهوم من دلائل اخرى صحيحة من السنة . وقال المفسرون المراد بالقربى فى الآية القرابة ، اى اهل قرابتى . ويؤكد ذلك ما روى عنه انه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وابناهما . وقوله تعالى : ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا « نزلت فى ابي بكر الصديق ومودته فيهم ، ومعنى يقترب حسنة يكسب طاعة ، وعن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى لا تختص بأبى بكر ، وقال المفسرون : وحمله على العموم اظهر ، لان تنوين التذكير فيها يؤذن بعموم اللفظ ، والعبرة عندهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعليه فانها تتناول المودة تناول اوليا لذكرها عقب المودة فى القربى . وقوله نزد له فيها حسنا اى نضاعفها اضعافا كثيرة ، والغفور الشكور من صفاته تعالى وهما عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها ، والتفضل عن المثاب . والآية فى صراحتها تقرر ان بغض اهل البيت واذايتهم خسران وحبهم عبادة شرعية ، واجبة على كل مسلم ومسلمة يومئذ بالله واليوم الآخر ، وقال الله تعالى : فى تزكية بيته صلى الله عليه وسلم ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا « ابتدا سياق الآية بنسائه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرا مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » ثم عرفهن برفعة قدرهن فى بيت النبوة والرسالة فقال : يا نساء النبىء لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله « لا يقال ان هذا مكرر مع ما قبله ، لانا نقول ذكر اوليا لانفرادهن عن غيرهن ، واعيد الكلام عليهن هنا مع غيرهن من اهل البيت

ونساء المومنين ، وعليه فلا تكرار . ولم يتغير أسلوب الكتاب عن جمع الإناث من قوله تعالى : يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وكان في هذه الآية أكبر دلالة على تزكية أهل البيت الطاهرين فمن صان منهم الآن جناب البيت النبوى عن الابتذال فهو ولا شك مشمول للآية ومن لم يصنعه فهو غير مشمول لها ، وكان النص الاول خاصا بزوجاته صلى الله عليه وسلم وفي النص الثانى تعميم الحكم ودخل فيه جميع أهل البيت نساء ورجالا الذين هم قرابته المنصوص عليهم وحدهم فى الاحاديث الواردة فى الرداء التى سيأتى الكلام عليها فى محلها ، وكل ما ورد فى الخطاب الموجه الى نساء النبى صلى الله عليه وسلم فهو شامل لجميع نساء أهل البيت من ذرية الحسنين من فاطمة الزهراء رضى الله عنها الى آخر امرأة تومن بالله واليوم الآخر من ذريتهما كما هو شامل لجميع نساء المومنين الى آخر من ماتت على قول لا اله الا الله محمد رسول الله لما تقدم من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لان نساء المومنين قلن بعد ما سمعن الخطاب الاول الموجه الى الزوجات الطاهرات رضى الله عنهن ، ما نزل فينا شيء ، فأنزل الله : ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقات والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمات والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » وبهذه الآية فلم يبق مومن ولا مومنة الا دخل فى الخطاب وكان مشمولاً بهذه العشر من الصفات الحميدة التى وعدهم الله عليها المغفرة والاجر العظيم الذى هو الجنة ونعيمها التى هى ضالة كل مومن بالله واليوم الآخر ، لا أحرمتنا الله منها .

نصوص السنة الصحيحة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وولداهما . وعنه أيضا فى قوله تعالى : ومن يقترح حسنة نزد له فيها حسنا » قال : المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لا يدخل قلب امرئ مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقرايتي .

وعن زيد بن ارقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى ، ولن يفترقا
حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما . ؟

وفي صحيح الترمذى خرج مسلم وغيره عن زيد بن ارقم انه صلى
الله عليه وسلم قال ووعظ وذكر : ثم قال : اما بعد : الا ايها الناس : انما
انا بشر يوشك ان ياتينى رسول ربى وانا تارك فيكم ثقلين : كتاب الله فيه
الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، واهل بيتى .

وفي رواية صحيحة كائى قد دعيت فأجبت ، انى تارك فيكم الثقلين
أحدهما أكد من الآخر كتاب الله عز وجل ، وعترتى بالثناة فانظروا كيف
تخلفوني فيهما ؟ فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . وفي رواية سألت
ربى ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا
تعلموهم فانهم أعلم منكم . ويعنى بقوله أعلم منكم أى أوفق منكم الى
العمل بالعلم ، أو ان اصل العلم لهم ، فانهم أثبت منكم على ذلك ، وأما
معرفة العلم وضبطه واتقانه فلم تنتف عن غيرهم ، بل هى موجودة في
غيرهم بلا نزاع ، بل قد يكون في بعض الاحوال وجوده في بعضهم كوجود
الماء في أخدود حجر ينتفع منه سائر الحيوان ولا ينتفع منه الحجر الحامل
له ، وحيث انتفت عنه صفة الانتفاع بالعلم من حيث العمل بمقتضاه انقلب
العلم في حقه جهلا ، فيصدق عليه قوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقوله ثم لم يحملوها أى لم
يعملوا بمقتضاها ، فهم في تحملها على ذلك الوجه كمثل الحمار يحمل
أسفارا ، فوجه الشبه بينهما هو حمل الثقل وعدم المنفعة في كل ، مع
العلم ان اسفار الكتب ينتفع منها الانسان ولا ينتفع منها الحمار الحامل
لها ، وتلك صفة ذميمة لحامله بهذه الصفة ، فلا يكون أفضل ممن يعمل
بالعلم من غير أن يحمله ، لان خطاب الله تعالى تعلق بفعل المكلف
تعلق عين تنجيزيا ، وتعلق بالعلم تعلق كفاية ، فلا يلزم وجوده في كل
فرد على سبيل الفرض . ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشرين
صحابيا . وفي رواية ، آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم ، اخلفوني
في أهلى . وفي رواية أخرى انظروا كيف تخلفوني فيهما ، وأوصيكم بعترتى
خيرا واذكركم الله في أهل بيتى . وأما وجه تسميتهما ثقلين ، فاعظام
لقدرهما ، اذ يقال لكل جليل خطير ثقل ، ومنه قوله تعالى : انا سنلقى

عليك قولاً ثقيلاً » وقرنها بقوله : انى تركت فيكم الثقيلين : احدهما آكد من الآخر . ومنه تسمية الجن والانس ثقلين ، لانهما قطان الارض ، ولتميزهما على سائر الحيوانات ، ولان الوفاء بالعمل بهما ثقيل على النفوس البشرية أى بأن النفس تشعر بأنها مطوقة بأمر ثقيل يصعب عليها الوفاء به ، وهذه النفس هى الامارة ، أما النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على فعل المعاصى بعد وقوعها فهى فرع عن الامارة التى تامر بها والنفس السعيدة هى المطمئنة ، ولشرفها خاطبها الله بقوله : يا ايها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى « فانها لا تثقل عليها أوامر ربها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى يحبكم الله ، وأحبوا أهل بيتى بحبى .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : سألته أن يثبت قائلكم ، وأن يعلم جاهلكم ، وأن يهدى ضالكم . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يفيضنا أهل البيت رجل الا ادخله الله النار .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال معاوية بن خديج : يا معاوية ، اياك ويفضنا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يفيضنا أحد ولا يحسدنا أحد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار .

وعن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يعرف حق عترتى والانصار ، فهو لاحدى ثلاث : اما منافق ، واما لزنية واما لغير ظهور يعنى حملته امه لغير طهر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم * اخلفونى فى أهل بيتى . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة عليها السلام : ايتينى بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم كساء كان تحتى اصبناه من حنين فقال : اللهم آل محمد
فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك
حميد مجيد ، قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لان ادخل معهم فجدبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدي وقال انك على خير .

وخرج ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : من صنع الى أحد من أهل بيتي يدا كافيته يوم القيامة .

وأخرج أبو نعيم في الحلية : عن عثمان رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أولى رجلا من بنى عبد المطلب
معروفا في الدنيا فلم يقدر المطلبى مكافاته ، فانا أكافئه يوم القيامة .

وأخرج الديلمي عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب
آل بيته ، وعلى قراءة القرآن . وفي رواية عنه والحديث فان حملة القرآن
في ظل الله يوم لا ظل الا ظله مع أنبيائه وأصفياه .

وقال الامام السيوطى : فى انموذج اللبيب فى خصائص الحبيب ما
نصه : أخرج الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي فى صلبه ،
وان الله جعل ذريتي فى صلب علي بن أبى طالب .

وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم مثل أهل بيتي مثل سفينة
نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وانهم امان للامة من الاختلاف ،
وانهم سادات أهل الجنة ، ولا يدخل قلب أحد الايمان حتى يحبهم .

وفى خبر ضعيف أربعة انا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتي ،
والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى أمورهم عند ما اضطروا اليه ،
والمحب لهم بقلبه ولسانه . وذكر الفخر الرازى ان أهل بيته صلى الله
عليه وسلم يساوونه فى سبعة أشياء : فى السلام فى قوله السلام عليك
أيها النبىء ، فى التشهد وفى قوله تعالى : سلام على آل ياسين « وفى ختم
التشهد بالصلاة عليه وعليهم وفى قوله تعالى : ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيرا « وفى المحبة فى قوله تعالى : فاتبعونى يحبيبكم الله «
وفى قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى « وفى تحريم
الصدقة والتشريك فى الخمس فى قوله تعالى : وللرسول ولذى القربى « .

وقال الامام الزمخشري فى تفسير قوله تعالى : فمن حجاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا

ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .
لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم : على ،
وفاطمة ، والحسن والحسين ، لانهما لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم
فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ، ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفهما ،
فعلم انهم المراد من الآية ، وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه ،
وينسبون اليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة .

ويؤيد ذلك أحاديث نذكرها تكميلاً للفائدة ، صح منها انه صلى الله
عليه وسلم قال على المنبر : ما بال أقوام يقولون : ان رحم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله ان رحى موصولة في
الدنيا والآخرة ، وانى ايها الناس فرط لكم على الحوض . وفي رواية
صححها الحاكم انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قاتلاً قاتل لبريدة : ان
محمدًا لن يغنى عنك من الله شيئاً ، فخطب ثم قال : ما بال أقوام يزعمون
أن رحى لا ينفع ، بل حتى جبا وحكم وهما قبيلتان من اليمن ، انى لاشفع
فأشفع حتى ان من أشفع له فيشفع ، حتى ان ابليس ليتناول طمعا في
الشفاعة .

وأخرج الدارقطنى ان علياً رضى الله عنه احتج يوم الشورى على
اهلها فقال لهم : انشدكم بالله هل فيكم احد اقرب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الرحم منى ؟ ومن جعله النبى صلى الله عليه وسلم
نفسه وأبناءه ، ونساءه نساءه غيرى اى هل تنكرون ذلك قالوا اللهم لا .
الحديث . فهو يشير الى الآية المتقدمة عن الزمخشري رحمه الله . وأخرج
البخارى في الادب المفرد ، والترمذى وابن ماجه عن يعلى بن مرة أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب
حسيناً ، الحسن والحسين بسبطان من الاسباط .
طوله كسائر عليته رضى الله عنه .
الجاهل الحاسد العدو لنفسه
الجاهل الحاسد من الجاهل الذى لا يفقه اساءة الى نفسه قبل
ان يسوء الى غيره ، واحسن ما قيل فى الحسد انه يفتح طريق المزيدي من
النعم على المحسود ويعد طريقها على الحاسد ، ووجه قبحه انه اعتراض
على الله فى قسمة عطائه فى واقع الامر ، واحسن ما قيل فيه نظماً :
الا قل لمن بات لى حاسداً اتدرى على من اسأت الادب :

أسأت على الله فى حكمه بأنك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنى بأن زادنى وسد عليك وجوه الطلب

قد تقبل علماء الشريعة الاسلامية كل ما جاء نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل شىء قد يلتبس ويشكل ويخفى على الامة ما هو وجه الحق فيه ؟ فلم يدع الكتاب والسنة المطهرة كل ما كان من هذا الوجه غامضا قد يخفى على الناس ما هو وجه الحق فيه . فما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تم له كل ما كانت الامة الاسلامية فى حاجة الى توضيحه ، فهى غنية بما ورد عنه عن كل تشريع سابق او مذهب عقائدى او فلسفى فان ذلك قد يصبح خرافة مضحكة مع مرور الايام امام التشريع الفطرى للبشر : الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد « وجاءت السنة المطهرة بتفسير المجل من نصوص الكتاب ، فأصبحت الامة الاسلامية فى غنى علمى ، لا ينقصها الا التطبيق والتوفيق والتوكل على الحى الذى لا يموت ، وأصبح التشريع الاسلامى لا ينازع فيه بعد هذا الوضوح الشامل الا معاند او مكابر جاهل . قد كثرت علينا أقاويل أهل الزيغ والجهل والحسد ، وقد استمر ذلك منذ العصر الاسلامى الاول ، فازدادت طغيانا مع مرور الزمن والانحراف عن الايمان ، فاستفحل الداء وقل الدواء ، حتى أصبح الحديث على ذلك فى السر والاعلان مثار الخذلان من طرف كل مفتون فى دينه وايمانه . فصار الايقاع فى ذرية النبى صلى الله عليه وسلم شهوة لكل مخذول سهلا من غير حياء ولا ايمان . حتى اصبحت المواجهة بين سفهاء الاحلام من العامة من رجال ونساء وبين ذريته صلى الله عليه وسلم فأول ما ينكرون عليهم انتسابهم للنبى صلى الله عليه وسلم وجها لوجه ، فى جدال عنيف وشاق ، متمسكين بسفسطة الجهلاء بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخلف ذكرا حتى تكونوا انتم من ابنائه وهى كلمة حق أريد بها انتصار باطل .

ففى ثبوت نسبنا للنبى صلى الله عليه وسلم أقول لك أيها المجادل بالباطل اولا اصلح ايمانك بالله حتى يمكنك أن تصدق بكل ما جاء به محمد ابن عبد الله نبى الله ورسوله الى هذه الامة من غير عسف ولا جدال ، وثانيا انتقد نفسك من ظلمات الامية بالعلم والتعلم حتى تاخذ مكانك كاتسان حى بين صفوف المسلمين ، وتمسك بقوله صلى الله عليه وسلم : كن عالما او متعلما او سميعا ولا تكن جاهلا . وحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا عالما ومتعلما . وثالثا وسع صدرك لما يلقي عليك من الأدلة القاطعة

في موضوع جدالك ، حتى تذهب مقتنعا ان آمنت وانصفت او كافرا منافقا ان كابرته وعاندت ، وفي حالتك الاولى فان صدق ايمانك هو الذي يتولى الجواب على جدالك وعنادك ، وحينئذ كنت ممن أراح نفسه وغيره ، وأرضى دينه ونبيه وخالقه ، والا كنت ممن ذبح نفسه بلا مدية ، اسمع وفقك الله وأصلح ايمانك . نصت السنة المطهرة على أن ذرية النبي صلى الله عليه وسلم باقية الى قيام الساعة من فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما كما أخذ ذلك من كتاب الله العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « فهو محصن من أن تلحقه الدعاوى الكاذبة ، والشبهات الباطلة من طرف أهل الزيغ في كل عصر . واسمعى أنت أيتها الاخت المجادلة بالباطل ان كنت معى في دائرة الايمان بالله ، والا فجوابك بلا جدال ما قال الله تعالى : لكم دينكم ولى دين « أى لكم كفركم ولى ايمانى ، فقد سلكنا طريق الايمان وسلكتم طريق الكفر فليس هناك ما يجمعنا وياكم في العقيدة على صعيد واحد غير تراب الوطن ، انظرى ما تقدم قريبا عن الكشف فانه من صريح الكتاب فى النص عليهم بلا جدال ، وقد أثبتته علماء الامة الاسلامية بعد وضوحه ، وتسليمه ، كما ان هناك كثيرا من الادلة الصحيحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعها فيما تقدم ، ولم يبق بعد ذلك الا أن أقول لك :

وليس يصح فى الاذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل

وأذكرك بما تقدم عن صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو ينظر الى الناس مرة ، وللحسن مرة ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين . قال البيهقى قد سماه النبي صلى الله عليه وسلم ابنه حين ولد ، وسمى اخوته بذلك .

وعن الحسن بسند حسن كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه ثمرة فألقيتها فى فمى فأخذها بلعابها فقال : أما علمت أنا لا ناكل الصدقة . ثم قال أيضا :

أنا آل محمد لا تحمل لنا الصدقة

وأخرج الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب .

وأخرج أبو الخير الحاكى وصاحب كنوز المطالب فى بنى أبى طالب ،

ان عليا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده العباس ، فسلم فرد عليه صلى الله عليه وسلم وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه فقال له العباس : اتحبه ؟ قال يا عم : والله للله أشد حبا له منى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب هذا . زاد الثانى وفي رواية انه اذا كان يوم القيامة دعا الناس بأسماء أمهاتهم سترا عليهم ، الا هذا وذريته فانهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم . ولابى يعلى والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى أم ينتمون الى عصابة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وانا عصبتهم . وله طرق أخرى يقوى بعضها بعضا حتى وصلته الى درجة الحسن .

الخليفة عمر يتزوج أم كلثوم

وقد صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه خطب أم كلثوم من على فاعتل بصفرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر ، فقال له ما أردت الباءة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببى ونسبى ، وكل بنى انثى عصبتهم لابيهم ما خلا اولاد فاطمة فانى أنا ابوهم وعصبتهم .

وفي رواية أخرجه البيهقى والدارقطنى بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان عليا عزل بناته لولد أخيه جعفر فلقية عمر رضى الله عنهما ، فقال له : يا أبا الحسن انكحنى ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حبستها لولد أخى جعفر . فقال عمر : والله ما على وجه الارض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد ، فانكحنى يا أبا الحسن ، فقال : أنكحتها فعاد عمر الى مجلسه بالروضة ، مجلس المهاجرين والانصار ، فقال هنونى قالوا بمن ياأمر المومنين ؟ قال بأم كلثوم بنت على ، وأخذ يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة الا صهرى وسببى ونسبى ، وانه كان لى صحبة فأحببت أن يكون لى معها سبب . وفي رواية للبيهقى : أن عمر لما قال : فأحببت أن يكون لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب قال على للحسين : زوجا عمكما ؟ فقلا هى امرأة من النساء تختار لنفسها ، فقام على مغضبا ، فأمسك الحسن ثوبه ، وقال له : لا صبر لنا على هجرانك يا أبتاه ، فزوجاه .

وفي رواية ان عمر صعد المنبر فقال : أيها الناس ، انه والله ما حملنى على الإلحاح على على فى ابنته الا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة الا حسبى ونسبى وسببى وصهرى . ثم أمر بها على فزينت وبعث بها اليه ، فلما رآها قام اليها وأجلسها فى حجره وتبّلها ودعا لها ، فلما قامت أخذ بساتها وقال قولى لآبىك قد رضيت ، فلما جاءته قال لها ما قال لك ؟ فذكرت له جميع ما فعله وما قاله .

وبعد ما دخل بها ولدت معه ولده زيدا فمات رجلا . وفى رواية انه لما خطبها اليه ، قال له حتى استاذن ولد فاطمة فاستاذن وأذنوا له . وفى رواية أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أبتاه من بعد عمر ؟ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى وهو عنه راض ، ثم ولى الخلافة فعدل ، فقال له أبوه صدقت ، ولكنى كرهت أن أقطع أمرا دونكما ، ثم قال لها : انطلقى الى أمير المؤمنين فتولى له ان أبى يقرئك السلام ويقول لك انا قضينا حاجتك التى طلبت ، فأخذها عمر وضمها اليه ، وأعلم من عنده انه تزوجها ، فقيل له : انها صبيبة صغيرة ، فذكر الحديث السابق ، وفى آخره أردت أن يكون بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب وصهر .

وأما تقبيله اياها ابتداء فانه وقع بناء على انها صارت زوجة شرعية قد تم نكاحها ، ولم يكن من أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه على ما هو عليه من الدين والفضل أن يفعل فعلا غير شرعى وحاشاه من ذلك فلا تحدث نفسك باسائة الظن بأمر المؤمنين عمر وهو خليفة رسول الله باختيار أهل الحل والعقد من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رشحه من هو أفضل منه لذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه . ثم ان هذا الحديث روى عن جمع من اكابر الصحابة كابن عباس ، وابن الزبير ، والمنذر ، وابن عمر ، قال الذهبى واسيناده صالح . وينبغى لكل من كان له حب فى أهل البيت النبوى الكريم أن يقتدى بأمر المؤمنين عمر رضى الله عنه ويقصد مثل قصده ويتزوج بناتهم حتى يوثق صلته بالنبى صلى الله عليه وسلم . وأرجو أن لا يكون التزوج ببنات الاشراف لمجرد الشهوة كما هو الشئ فى مطلق الاستمتاع ، انها فرصة ثمينة بيدك اياها الكريم المحب فلا تضيعها وأن لك فى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه اسوة حسنة اذ هو من الخلفاء الراشدين قد حاز من الفضل والدين والصحبة

وخلافة الحق ما قد يجعله في غنى عن التزوج من أهل البيت ، ولكنه رضى الله عنه حرص كل الحرص حتى لا تفوته هذه الفرصة الثمينة فتزوجها على صفرها ، وهو على ما هو عليه من كبر سنه فيما قد علمت .

وأهيب بأهل البيت أن يقتدوا بما فعله جدهم الامام على رضى الله عنه . ويزوجوهم من بناتهم ، واذكرك أيها المحب الكريم اذا تزوجت بشريفة أن تعلم انك متزوج من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تعرف انك كمسلم مدين بالحب والاحترام لاهل البيت ، فينبغى أن تعاشرها بمزيد الصبر والحلم على ما تلقاه من سائر النساء ، وانك ستجدها ان شاء الله وحسنت النية مهياة ببركة دعوته صلى الله عليه وسلم لامها الاولى فاطمة الزهراء رضى الله عنها كما قرأته سابقا عنها ، لان تكون لك بيتا نقيا نظيفا شريفا ان لم يات الخلل من جانب رعيتك لها ، ولا بد من الحزم في لين ، ومن اللين في يقظة وحذر ، كما هو الشأن في مطلق المرأة .

واليك مزيدا من الادلة ، اخرج الطبرانى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لكل بنى انثى عصبية ينتمون اليه الا ولد فاطمة ، فأنا وليهم ، وأنا عصبتهم . وخرج الطبرانى أيضا عن أبى عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى انثى فان عصبتهم لابيهم ما خلا ولد فاطمة فانى ان اعصبتهم وأنا أبوهم . وخرج الطبرانى أيضا عن فاطمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى انثى ينتمون الى عصبتهم الا ولد فاطمة فانى أنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم . وخرج الامام أحمد والحاكم عن المسور ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة بضعة منى يغضبني ما يغضبها ، ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة ، غير نسبي ، وسببى ، وصهرى .

وأخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار .

وعن زيد بن أرقم ان نساءه صلى الله عليه وسلم من أهل بيته . وأخذ من حديثه أنهن من أهل بيته بالمعنى الاعم دون الاخص ، وهو من حرمت عليه الصدقة . ويؤيد ذلك خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ، ثم على فأدخله رضى الله عنهم ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا «

وفي رواية اللهم هؤلاء أهل بيتي . وفي أخرى ان أم سلمة رضى الله عنها قالت يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال : وانت من أهل البيت العام . وكذا قال صلى الله عليه وسلم لوائلته ، لما قال : يا رسول الله وأنا ؟ فقال : أنت من أهلى . وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : سلمان منا أهل البيت . وفي رواية أسامة منا آل البيت ظهر البطن . وروى الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى : ان الذين نزلت فيهم الآية : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا « النبى صلى الله عليه وسلم وعلى فاطمة وابناهما رضى الله عنهم . وكذا اشتمل صلى الله عليه وسلم بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى الله عنهم وقال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت أسكنة الباب وحوائط البيت اى قالت آمين على دعائه صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات .

وحديث مسلم أصح من هذا ، وأهل بيته فيه غير أهل البيت فى حديث العباس وبنيه المذكور ، وتبين من هذا ان لهذا الحديث اطلاقين : اطلاقا بالمعنى الاعم ، وهو ما يشمل جميع الآل والزوجات تارة ، ويشمل أخرى من صدق ولاؤه ومحبته كسلمان . فاتخذة لنفسك فعده منهم باعتبار صدق صحبته ، وعظيم قربه وولائه . واطلاقا بالمعنى الاخص ، وهم من ذكروا فى خبر الامام مسلم ، وخصه بذلك تصريح الامام الحسن فى حادثته ، وذلك انه بعد ما استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد فطعنه بخنجر وهو ساجد لم يبلغ منه مبلغا ، ولذا عاش بعده عشر سنين ، فقال : يا أهل العراق اتقوا الله فىنا ، فانا أمراؤكم ، وضيفانكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا « قالوا ولانتم هم ؟ قال نعم .

نسب ولد البنت لابيها من خصوصياته صلى الله عليه وسلم

وفي رواية لابی الجوزى : ان الله عز وجل ، جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب .

وقال جمع من ائمتنا المحققين ان دلالة هذه الاحاديث ظاهرة فى خصوصياته صلى الله عليه وسلم بأن اولاد بناته ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ، حتى لا يكافىء بنت شريف يعنى به بنات الحسين ابن هاشمى

غير شريف . وأولاد بنات غيره ينسبون لأبائهم لا لإباء أمهاتهم ، فتلك خصوصية ومزية له صلى الله عليه وسلم على جميع أمته بأمر من الله تعالى . وكان سبب ذلك ان أعداءه من قريش يعيرونه ويلقبونه بالابتر ، فرد الله عليهم تعييرهم في القرآن الكريم ، فقال تعالى : انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ، ان شأنك هو الابتر » ومعنى السورة الكريمة : قد أعطيتك ما لا نهاية لكثرتة من خير الدارين ، وخصصتك بما لم أخص به احدا غيرك ، فاعبد ربك الذى أعطاك هذا العطاء الجزيل « الخازن » وقيل الكوثر هو نهر في الجنة احلى من العسل ، واشد بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، والين من الزبد ، حافظاه من الزبرجد ، وأوانيه من فضة . قد شرفك الله بهذا الاعطاء ، وصانك من ممن الخلق مراغما لاعدائك في النحر لاوثانهم ، ان شأنك هو الابتر ، وهو العاص بن وائل الذى سماك الابتر ، اذ هو المنقطع عن كل خير ، لا أنت ، اذ كل ما يولد من ذريتك وذرية المومنين الى يوم القيامة فهم اولادك واعقابك ، وذكرك مرفوع على المنابر ، وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر ، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت وصف ، فمثلك لا يقال له الابتر ، انما الابتر هو شأنك المنسب في الدنيا والآخرة . فقال : قال له ذلك حين مات ولده القاسم بعد ما عاش نحو ستين — يوما — ، وقد كان عيش الولد الذكر له بأمر الله وقضائه ولمزيد شكره على قضاء الله وقدره ، عوضه الله عن ذلك بنعمة الولد من ذرية بنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، كما كان تزويجها من على بن أبى طالب بأمر من الله أيضا ، ووحى أنزله جبريل عليه ، كما تقدم في الكلام على زفافها من بيت على رضى الله عنهما ، وقد كان خطبها أبو بكر وعمر قبله من النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يجيبهما الى ذلك ، حتى نزل جبريل بالوحى بأنها زوجة على بن أبى طالب ، فزوجها منه بأمر من الله تعالى ، وكان مباشرة الفعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان اولادها الاربعة أبناءه صلى الله عليه وسلم بأمر من الله ، ونصا منه صلى الله عليه وسلم على ذلك اذ ما من شئ كان به اهتمام الامة الاسلامية في تشريعاتها الا جاءها نصا منه صلى الله عليه وسلم ، رفعا لكل احتمال أو التباس قد يؤدي بها الى الوقوع في خطأ شنيع . وهو امر قد سلمه الصحابة رضوان الله عليهم ثم من بعدهم من علماء الامة الاسلامية جيلا بعد جيل الى يومنا هذا ، ولم يتركوا للمجال فيه نزاعا ، فلم يبق بعد ذلك الا ظلام الجهل ، ونار الحسد تمزق أحشاء المعاندين

من الجاهلين والحاسدين المتكبرين ، أو الدسائسين من المنافقين والكافرين ، ولذلك ترى القوم صرعى ظلموا أنفسهم فاستوجبوا اللعنة من الله والخزى حتى ينالوا جزاء غضبه وعقابه ، وما هى الا أيام قلائل فى ايديهم ثم يكون حتفهم للقاء مصيرهم فسرعان ما يلقون سوء عواقب ذلك المرض الوييل الذى قضى على صاحبه قبل أن تصل اساعته الى غيره ، كما ذكر الله حكاية عن ابنى ءادم عليه السلام قال الله تعالى : اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين « ثم قال المحسود المظلوم للحاسد الظالم : انى اريد ان تبوء بائى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين « ثم أصبح بعد ارتكاب جريمة القتل من النادمين على قتله ، وتلك هى عادة الحاسدين ثم يكون حسابهم على الله : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا » .

ومما يؤكد ما سبق من انتماء ابناء فاطمة لابيها عليه الصلاة والسلام زيادة على ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة قوله تعالى : ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وذكرياء ويحيى وعيسى والياس « (الانعام) وقد جاء فى آية أخرى : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين « (آل عمران) وقد سوى القرآن بينهما فى الخلق بان كلا منهما مخلوق من قوله تعالى : كن فيكون « فيكون ما عدا ذلك انما هو سبب ووسيلة للخلق ، والعبرة بالغاية لا بالوسيلة .

ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه الى ان النسب يثبت لولد البنت اخذا من الآية الكريمة ، وذهب الامام مالك رحمه الله الى خلافه وقال : ان الولد يتبع اباه فى الدين والنسب ، ويتبع أمه فى الرقية والحرية : فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون « .

ونأتى فى الموضوع بقصة مولانا الكاظم مع هارون الرشيد الخليفة العباسى لما سألته كيف قتلتم : انا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتم ابناء على ؟ فتلى هذه الآية ، وهى قوله تعالى : ومن ذريته الآية ، ولما بلغ الى عيسى قال له : عطف على ابناء ابراهيم بواسطة أمه ، وليس له أب ، ثم تلا قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم

نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين « ولم يدع النبي صلى الله عليه وسلم بعد مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين ، فكانا هما الإبناء . وقد تقدم الكلام على الآية والاعتماد عليها في هذا الموضوع حيث لا دليل عليه أقوى منها عند صاحب الكشاف .

وأخرج الديلمى في تفسير قوله تعالى : وقفوههم انهم مسؤولون « عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : وقفوههم انهم مسؤولون عن ولاية على . وكان هذا هو مراد المفسر الواحد بقوله : روى في قوله تعالى : وقفوههم انهم مسؤولون « أى عن ولاية على وأهل البيت ، لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعرف الخلق انه لا يسئلهم عن تبليغ الرسالة اجرا الا المودة فى القربى . والمعنى انهم يسئلون هل والهم حق الموالات كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة ، وأشار بقوله كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الأحاديث الواردة فى ذلك وهى كثيرة .

منها حديث الامام مسلم عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن ياتينى رسول ربى عز وجل فأجيبه ، وانى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل ، وخذوا به ، وحث فيه ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتى أذكركم الله عز وجل فى أهل بيتى ثلاث مرات . فقيل لزيد أى ابن أرقم راوى الحديث ، من أهل بيته ؟ اليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال بلى ، ان نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل على وآل جعفر وآل عقيل ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم . وأخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله عز وجل ، جبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما . وقال : حسن غريب .

وأخرج الامام أحمد فى مسنده بمعناه ولفظه : انى أوشك أن أدعى فأجيب ، وانى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى ، وان اللطيف الخبير أخبرنى انهما لن يفترقا حتى

يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوا نى فيهما ؟ وسنده لا بأس به .
وفى رواية ان ذلك كان فى حجة الوداع ، وفى أخرى ، يعنى كتاب الله ،
كسفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومثلهم أى أهل بيته كباب حطة من دخله
غفرت له الذنوب . وقال ابن الجوزى له طرق أخرى لم يستحفرها وفيه
وهم أى غفلة .

وفى مسلم عن زيد بن أرقم راوى الحديث السابق انه صلى الله
عليه وسلم قال ذلك يوم غدیر خم . وهو ماء بالجحفة ، وزاد أذكركم الله
فى أهل بيتى ، قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، أيم الله ان المرأة
تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها .
أهل بيته وعصبته الذين حرّموا الصدقة بعده .

وفى رواية صحيحة انى تارك فيكم أمرين : لن تضلوا ان تبعتموهما
وهما كتاب الله وأهل بيتى : عترتى . زاد الطبرانى انى سألت ذلك لهما ،
فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم
اعلم منكم . وفى رواية كتاب الله وسنتى . وهى المراد من الاحاديث
المقتصرة على الكتاب لان السنة مبينة له ، فاغنى ذكره عن ذكرها .

وحاصل ما ذكره ان الحث وقع على التمسك بالكتاب والسنة
وبالعلماء بهما من أهل البيت ، ويستفاد من ذلك بقاء الامور الثلاثة السى
قيام الساعة .

ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف
وعشرين صحابيا كما تقدم ، وتعدد طرقه مبسوطه فى حادى عشر الشبه ،
وفى بعض تلك الطرق انه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفى أخرى انه
قاله بالمدينة فى مرضه وقد امتلات الحجرة بأصحابه ، وفى أخرى انه قال
ذلك بغدير خم وفى أخرى انه قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف ،
ولا تنافى ، اذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماما
بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة .

وفى رواية للطبرانى عن ابن عمر : آخر ما تكلم به رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخلفونى فى أهل بيتى . وفى أخرى عند الطبرانى وابى
الشيخ أن لله عز وجل ثلاث حرّمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودينه ،
ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله لا دينه ولا آخرته ، قلت ما هن ؟ قال حرمة
الاسلام ، وحرمتى وحرمة رحى . وفى رواية للبخارى عن الصديق رضى
الله عنه : يا ايها الناس ارقبوا محمدا فى أهل بيته ، أى احفظوه فيهم

فلا تؤذوهم .

وأخرج ابن سعد والملا في سيرته ، انه صلى الله عليه وسلم قال :
استوصوا بأهل بيتي خيرا ، فاني أخاصمكم عنهم غدا ، ومن أكن خصمه
أخصمه أى أغلبه ومن أخصمه دخل النار ، وانه قال : من حفظنى فى أهل
بيتى فقد اتخذ عند الله عهدا . وقد أخرج ابن سعد أيضا أنا وأهل بيتى
شجرة فى الجنة وأغصانها فى الدنيا فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

وأخرج الملا أيضا حديثا : فى كل خلف من امتى عدول من أهل بيتى
ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين
الا وان أئمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا من توغدون .

وأخرج الامام أحمد خبر الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة .

وفى خبر حسن الا ان عيبتى وكرشتى : أهل بيتى والانصار فاتقبلوا
من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . والمراد بالعيبة والكرش فى الحديث
أنهما موضع سر وأمانة ، ومعادن نفائس معارفه وحضرتة ، اذ كل من
العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه ، مما به القوام والصلاح ، لان الاول
لما يحرز فيه من نفائس الامتعة ، والثانى مستقر الغذاء الذى به النمو ،
وقوام البنية ، وقيل هما مثلان لاختصاصهما بالامور الظاهرة والباطنة ، اذ
مظروف العيبة ظاهر ، ومظروف الكرش باطن ، ولهذه المزايا جاءت الوصية
غاية فى التعطف عليهم والاهتمام بأمرهم . ومعنى قوله وتجاوزوا عن
مسيئهم ، اذا أخلوا بالآداب ، لا انه يسمح لهم فيما اقتترفوه من جنائيات
على الغير فى نفسه او متاعه . واستحقوا اقامة الحدود على ذلك ، فان الله
لا يستحى من الحق أن تقام عليهم وعلى غيرهم حتى لا تكون الامة المحمدية
كبنى اسرائيل ، اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الوضيع
أقاموا عليه الحد . الحديث وهذا أشنع الظلم وأفظعه ، ولا يليق بأمة دينها
الاسلام ، وكتابها القرآن ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم .

والعترة لغة الاهل والنسل والرهط الادنون ، وسمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم القرآن وعترته ثقلين ، لان الثقل كل نفيس خطير
مصون . وهما كذلك اذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والاسرار والحكم
العلية والاحكام الشرعية ولذا حث صلى الله عليه وسلم على الاقتداء
والتمسك بهما ، والتعلم منهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم : الحمد
لله الذى جعل الحكمة فينا أهل البيت . وقيل سميا ثقلين : لثقل رعايتهما
الواجبة ، والقيام بحقوقهما المرعية على الوجه الاكمل ، والاقتداء لا يكون

الا بالعالم الصالح منهم ، لانهم أئمة الارواح كما قال الامام زين العابدين
رضى الله عنه لهشام بن عبد الملك : انا امام الارواح ، وانت امام الاجسام ،
وقالوا ينبغي أن يزداد في اكرام عالمهم وصالحهم . فقد روى أبو نعيم حديث :
ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك الى درجة الملوك .

والذين وقع الحث عليهم منهم انما هم العارفون بالله ، الحاملون
لكتابه وسنة رسوله ، اذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض ،
ويؤيدهم الخبر السابق ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، وتميزوا بذلك عن بقية
العلماء ، لان الله تعالى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وشرفهم
بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة . وفي احاديث الحث على التمسك بأهل
البيت اشارة الى عدم انقطاع المتأهل منهم للتمسك به في الامامة الروحية
الى يوم القيامة ، ويصحبهم في ذلك القرآن الكريم ، ولهذا كانوا امانا
لاهل الارض .

ويؤيد ما تقدم خبر الصحيحين : اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم . وورد
في رواية الا الحدود . وفسرهم الامام الشافعي بانهم هم الذين لا يعرفون
الشر ويقرب منه قول غيره هم اصحاب الصغائر دون الكبائر ، وقيل من
اذا اذنب تاب .

وأخرج الثعلبي في تفسير قول الله تعالى : واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا « عن الامام جعفر الصادق : نحن حبل الله الذي قال الله
في كتابه : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . وكان جده الامام على
زين العابدين اذا تلا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين » يقول دعاء طويلا يشتمل على طلب اللحوق بدرجة
الصادقين ، والدرجات العلية ، وعلى وصف المحسن ، وما انتحلته
المتدعة المفاوق لائمة الدين والشجرة النبوية ، ثم يقول : وذهب الآخرون
الى التقصير في امرنا ، واحتجوا لمتشابه القرآن ، فتأولوا بآرائهم واتهموا
مأثور الخبر ، الى أن قال : فالى من يفزع خلف هذه الامة ؟ وقد درست
معالم هذه الملة ، ودانت الامة بالفرقة والاختلاف ، يكفر بعضهم بعضا ،
والله تعالى يقول : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البيانات « فمن الموثوق على ابلاغ الحجة ، وتاويل الحكم الى أهل الكتاب ؟
وابناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ، ولم
يدع الخلق سدى من حجة ، هل تعرفونهم أو تجدونهم الا من فروع الشجرة
المباركة ، وبقايا الصفوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،

وبرأهم من الآفات ، وافترض مودتهم في الكتاب ، وفي الآية من قوله تعالى :
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم « اشارة الى أنهم امان لاهل الارض ، كما
كان هو صلى الله عليه وسلم امانا لهم اى لاهل الارض . وقد ورد في
ذلك احاديث كثيرة : منها النجوم امان لاهل السماء ، واهل بيتى امان
لامتى . أخرجه جماعة وفي سنده ضعف ، ومثله اهل بيتى امان لاهل
الارض ، فاذا هلك اهل بيتى جاء اهل الارض من الآيات ما كانوا يوعدون .
وروى الامام أحمد فاذا ذهب النجوم ذهب اهل السماء ، واذا ذهب اهل
بيتى ذهب اهل الارض .

وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين النجوم امان لاهل
الارض من الغرق ، واهل بيتى امان لامتى من الاختلاف ، فاذا خالفتها قبيلة
من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس .

وجاء من طرق عديدة يتوى بعضها بعضا انما مثل اهل بيتى
فيكم كمثله سفينة نوح ، من ركبها نجا . وفي رواية لمسلم من تخلف عنها
غرق . وفي رواية هلك ، وانما مثل اهل بيتى فيكم مثل باب حطة في بنى
اسرائيل من دخله غفر له ، وفي رواية غفر له الذنوب .

وفي صحيح مسلم ان الناس بعد قتل عيسى للدجال يمكثون سبع
سنين ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه
الارض احد في قلبه مثقال حبة من خير أو ايمان الا قبضه ، فيبقى شرار
في خفة الطير واحلام السباع ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا .
الحديث . قال : ويحتمل وهو الاظهر عندى ان المراد بهم سائر اهل البيت ،
فان الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبى صلى الله عليه وسلم جعل
دوامها بدوامه ودوام اهل بيته لانهم يساوونه في اشياء ذكرتها من قبل
عن الفخر الرازى ، ولانه قال : اللهم انهم منى وأنا منهم ، ولانهم بضعة
منه بواسطة ان فاطمة الزهراء أهم بضعته فأقيموا مقامه في الامان .
انتهى ملخصا ، ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر ، ان من أحبهم وقام بما
يجب لهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم واخذوا بهدى علمائهم
نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ،
وهلك في مناويز الطغيان .

وقد مر في خبر ان من حفظ حرمة الاسلام وحرمته صلى الله عليه
وسلم وحرمة رحمه حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لا فلا .

وورد : يرد الحوض اهل بيتى ومن أحبهم من امتى كهاتين السبابتين .

ويشهد لذلك خبر : المرء مع من أحب .

وباب حطة هي باب أريحاء ، أو بيت المقدس ، وان الله جعل دخولها مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة ، وجعل لهذه الامة مودة أهل البيت سببا لها كما ياتى . وقال أبو جعفر أى محمد الباقر : وثابت البنانى فى قوله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى « أى الى ولاية أهل البيت رضى الله عنهم . وأخرج الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد الحسنين وقال : من أحبني وأحب هذين واباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة .

ولفظ الترمذى وكان معى فى الجنة . وقال حسن غريب : ومعنى المعية هنا معية الشهداء والقرب لا معية المكان والمنزل .

وأخرج ابن سعد عن على خبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت يارسول الله فمحبونا ؟ قال : من ورائكم . وأخرج الحاكم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم . وأخرج ابن عدى والديلمى عن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اثبتكم على الصراط أشدكم حبا لاهل بيتى ولاصحابى . وأخرج ابن عساکر عن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله . وأخرج الخطيب عن عثمان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صنع صنيعة الى أحد من خلف عبد المطلب فى الدنيا فعلى مكافأته اذا لقينى . وأخرج أبو القاسم بن بشر عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى أن لا يدخل احدا من أهل بيتى النار فأعطانى . وأخرج الديلمى عن أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى . وورد : أنه صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينسأ فى أجله ، وأن يمتع بما خوله الله ، فليخلفنى فى أهل بيتى خلافة حسنة ، فمن لم يخلفنى فيهم بتر عمره ، وورد على يوم القيامة مسودا وجهه .

وأخرج الحاكم عن أبى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان أول من أشفع

له يوم القيامة من أمتى أهل بيتى ، ثم الأقرب ، فالأقرب من قريش ، ثم الانصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الاعاجم ، ومن أشفع له أولا أفضل . وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ، وقال ويتفاوت الناس فى الايمان على قدر تفاوتهم فى محبتى الا لا ايمان لمن لا محبة له . فبمحبتة صلى الله عليه وسلم نال من نال ، وأخرج الدارقطنى أيضا عن المسيب قال : قال ابن عمر : تحببوا الى الاشراف وتوددوا واتقوا على أعراضكم السفلة فانه لا يتم شرف الا بولادة على رضى الله عنه ، وسعد من سعد حتى وصل الى درجة الكمال والحق بالاهل ، كسلمان رضى الله عنه الذى ورد فيه الحديث المتقدم فى قوله صلى الله عليه وسلم يا على سلمان منا أهل البيت .

وفى دلالة الاحاديث المتقدمة الحث الاكيد على مودتهم ، ومزيد الاحسان اليهم ، واحترامهم ، واکرامهم ، وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة ، كيف وهم أشرف بيت اختاره الله لنبيه ، وجعل فيه الهدى والنور المحمدى ، فهم يتوارثونه بينهم لا يشاركهم من سواهم الا بمودتهم والقيام بواجبهم ، وكان أفضلهم فيه من كان متبعا لسنة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعظيم جنابه جعل الله لحسنتهم ضعفين من أجر غيرهم ، ولسيئتهم ضعفين من الوزر كذلك . وقال عليه الصلاة والسلام الحسنة بالحسنة وهى من بيت الله أحسن والسيئة بالسيئة وهى من بيت الله أشين . وقال الله تعالى مخاطبا الزوجات الطاهرات : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين « الى آخر ما تقدم فى هذا الموضوع .

ولهذا قال العلماء : الحسنة تعظم بحسب الزمان والمكان والشخص الصادرة عنه ، والمعصية كذلك تعظم بحسب الزمان ، والمكان والشخص ، ومن ثم جاء الوعيد العظيم ، والذم الشديد على معصية العالم ، لانه حامل لكتاب الله وسنة رسوله ، وكانت معصيته عظيمة لما فيها من الخطر اللاحق بالمجتمع بخلاف معصية الجاهل لهوان عضويته فى المجتمع ، لان نظرتة الى العالم الحامل لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى من هو من البيت المشرف عند الله ليست هى النظرة الى الجاهل الوضيع القدر ، ولذلك كانت معصيته ومصيبته على نفسه أكبر منها خطرا على غيره بالنسبة الى المجتمع الذى يعيش به ، ومن أجل ذلك عظمت معصية

العالم والشريف ومن جمع بينهما ، ومن أجل هذا المعنى تفاوتت الاحكام والحدود بين الاحرار والعبيد والمسلم والكافر ، ومن ثم كان لا يرجم الكافر بالزنى في ملتنا لان معصيته لدينا تساوي معصية كذب لا يلحق المجتمع الاسلامى منها اذى .

ترجمة الحسن السبط

فهو الحسن بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو محمد ولد في النصف الثاني من رمضان ، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى من السنة الثالثة من الهجرة بالمدينة المنورة ، كان رضى الله عنه شبيها بالنبي صلى الله عليه وسلم في خلقه وأخلاقه ، وكان سيدا كريما حليما فصيحاً مستحضرا مناظرا لسانه أمضى من سيفه ، لا يكلمه أحد في غير صواب الا قلب عليه مجلسه ظلمة ، ورد عليه سروره حسرة ، ونعمته نقمة ، حتى كانت تهاب صولة لسانه الفصحاء والامراء .

حبه فى الله

أخرج أبو نعيم في الحلية انه قال : انى لاستحى من ربي أن القاه ولم أمش الى بيته فحج عشرين حجة ماشيا .
وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال : لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه .

كرمه وسخاؤه

وأخرج أبو نعيم : انه خرج عن ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات ، وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها اليه ، وجاءه رجل يشكو اليه ما وصلت اليه حالته من قلة ذات يده وكان مثرى ، فأعطاه وقال : ما هذا حق سؤالك ، ان حالك يعظم لدى معرفتى بما يجب لك ويكبر على ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله ، والكثير في ذات الله قليل ، وما في ملكى وفاء لشركك ، فان قبلت اليسور ورفعت عنى مؤونة الاحتفال والاهتمام لما أتكفنه فعلت ، فقال يا ابن بنت رسول

الله اقبل القليل واشكر العظيمة وأعذر عن المنع ، فأحضر الحسن وكيلاه وحاسبه ، وقال هات الفاضل ، فأحضر خمسين ألف درهم ، وقال : ما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك ؟ قال هي عندي ، قال أحضرها ، فأحضرها فدفعتها والخمسين ألف درهم الى الرجل واعتذر .

وكان مرة هو وأخوه الحسين ، وابن عمه عبد الله بن جعفر في بعض سفر لهم ، فاستضافتهم عجوز ، فأعطاهما ألف دينار ، وألف شاة ، وأعطاهما أخوه الحسين مثل ذلك ، وأعطاهما عبد الله بن جعفر مثليهما ألفى شاة وألفى دينار .

حلمه ومجده

وأخرج ابن سعيد عن عمير بن اسحاق انه لم يسمع منه كلمة فحش الا ما قال لبعض خصومه رغم أنه ، وأرسل اليه مروان يسبه وكان عاملا على المدينة ويسب عليا كل جمعة على المنبر ، فقال الحسن لرسوله ارجع اليه وقل له انى والله لا امحو عنك شيئا بأن ارد عليك ما سببت ، ولكن موعدى وموعدك الله ، فان كنت صادقا فجزاك الله خيرا بصدقك ، وان كنت كاذبا فالله اشد بأسا واشد تنكيلا .

وقد اغلظ عليه مروان وهو ساكت ثم امتخط بيمينه ، فقال له الحسن : ويحك ، أما علمت ان اليمين للوجه ، والشمال للفرج والانف ، اف لك فسكت مروان ولما مات الحسن بكى مروان في جنازته ، فقال له الحسين : اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : انى كنت افعل ذلك الى احلم من هذا ، وأشار بيده الى الجبل .

ومن دعائه رضى الله عنه

وقد كانت اصابته شدة في ظروف قاسية ، وكان عطاؤه كل سنة مائة الف ، فحبسها عنه معاوية وحصلت له شدة وضيق ، قال : فهيمت ان اكتب الى معاوية ، فدعوت بدواة لأذكره حالتي ، ثم أمسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال : كيف أنت يا حسن ؟ فقلت بخير يا ابي ، وشكوت اليه حبس رزقى عنى فقال : ادعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ قلت نعم يارسول الله ، فكيف

اصنع ؟ فقال : قل اللهم ائذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائي عن سواك ، حتى لا أرجو أحدا سواك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه علمي ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسئلتى ، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدا من الاولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا ارحم الراحمين . قال : فوالله ما أنجحت فيه اسبوعا حتى بعث الى بألف ألف ، وخمسمائة ألف . فقلت الحمد الذى لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من دعاه .

ومن مناقبه انه كان مطلقا للنساء

فقد كان رضى الله عنه مطلقا للنساء ، وكان لا يطلق امرأة الا وهى تحبه ، وكان فى حياة ابيه بالعراق تلقاه المرأة ولا يعرفها انها كانت زوجة له واحصى له عدد الزوجات المطلقات فبلغت تسعين زوجة وقيل أكثر من ذلك ، ولما رأى أبوه الأمر قد تجاوز حدود الأدب واللباقة من الحلال ، قام فى جمع من الناس يوما خطيبا فقال : ايها الناس ان الحسن رجل مطلق فلا تزوجوه بناتكم ، فقام رجل من همدان وقال : يا أمير المؤمنين انا لنزوجه والله ما شاء أن يتزوج منا ، فمن شاء أمسك ومن شاء أطلق ، ثم قال الإمام على كرم الله وجهه : فان أبيتم الا ذاك فأنتم وشأنكم . وأخرج ابن عساکر انه قيل له : ان أبا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر . أما أنا فأقول : من اتكل الى حسن اختيار الله لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختار الله له .

خلافة الامام الحسن

الامام الحسن أحد الخلفاء الراشدين بعد ابيه كان رضى الله عنه صورة تحققت عليها أحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وسلم : الخلافة بعده ثلاثون سنة . للحسن منها ستة أشهر كانت تتميما لها . وكقوله صلى الله عليه وسلم أهل بيتى امان لامتى من الاختلاف . وكقوله صلى الله عليه وسلم : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين . وكل ذلك كان السيد العظيم مثالا له .

ولى الخلافة بعد وفاة ابيه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولم تكن ولايته عن وصاية ابيه له ، كما كان ذلك رأيا لبعض أصحابه ، قال له جندب بن عبد الله : لما دخل عليه بعد أن ضربه ابن ملجم ، ان فقدناك

ولا نفقدك يا أمير المؤمنين فنبايع الحسن ، فقال له ما أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر . وبعد وفاة أبيه تقدم إليه أهل الكوفة بالبيعة ، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضى الله عنه قائلا له : أبسط يدك أبايعك ، على كتاب الله وسنة رسول الله وقتال المحلين ، فقال الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فانها ياتيان على كل شرط ، فبايعه الناس على ذلك فأتم بها ستة أشهر خليفة حق ، وإمام عدل وصدق ، تحقيقا لما أخبر به جده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله : الخلافة بعدى ثلاثون سنة فقد كانت الستة أشهر تتميما لها ، ومن أجل ذلك كانت خلافته منصوصا عليها غير انها محدودة الاجل . فقام معاوية ينازع الحق اهله ، وتحمل في ذلك مسؤوليات جساما ، وكاد قيامه يززع أركان الدولة الإسلامية الفتية لولا تعقل السيد الحسن ويقظته واعتباره لما ارتكبه خصمه في سبيل الوصول إليها من خطوات لا تليق أن تكون من دين الله ، الأمر الذي أدهش أهل ذلك العصر ولم يرضوه أن يكون في أمة الإسلام في عهد أبيه الإمام على كرم الله وجهه ، ومعاوية على ما هو عليه مع الحسن في طريقه إلى الاستيلاء على الأمة الإسلامية مهما كانت الوسائل ، وبأى ثمن لما كان يراه من أن الغاية تبرر الوسيلة .

روى البخاري عن الحسن البصري رضى الله عنه قال : استقبل الحسن ابن على معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال مستشاره عمرو بن العاص لمعاوية : انى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال معاوية فكان والله خير الرجلين : اى عمرو — ان قتل هؤلاء ، هؤلاء ، وقتل هؤلاء ، هؤلاء من لى بأمر المسلمين ؟ من لى بنسائهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الرحمن بن عامر ، فقال : اذهبا الى هذا الرجل ، فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه ، ثم ذهبا حتى أتياه ، فدخلا عليه وتكلما ، وقالاه ، وطلبا إليه ، فقال لهم الحسن ابن على رضى الله عنهما : انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وان هذه الأمة قد عامت في دمائها ، فقالاه له : فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ، ويسالك ، قال من لى بهذا ؟ فقالا نحن لك به ، فما سألها شيئا الا قالنا نحن لك به فصالحه انتهى .

وفي رواية أخرى لغيره ، أن الحسن توجه الى حرب معاوية في أربعين ألفا فلما تراءى أى الجمعان علم الحسن انه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فكتب الى معاوية انه ان جعل له الأمر من بعده

وان لا يطلب أحدا من أهل العراق والمدينة والحجاز بشيء مما كان في أيام أبيه ، وعلى أن يقضى عنه ديونه ، وأشكل الأمر بين الطرفين في عشر نقط ، لم تزل محل المفاوضات بين الطرفين ، ثم فاجأ معاوية الخليفة الحسن فبعث إليه برق أبيض عليه طابع الخلافة قائلا له فيه : اكتب ما شئت فانى التزمه .

وقد نص بعض المؤرخين على صورة كتاب ما كتبه الامام الحسن لمعاوية وهو : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بن أبى سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين ، وليس الى معاوية بن أبى سفيان أن يعهد الى أحد من بعده عهدا بل يكون الامر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى ان الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ، وعلى ان اصحاب على وشيعته آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم حيث كانوا ، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وان لا يبتغى للحسن بن على ، ولا لآخيه الحسين ، ولا لاحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف احدا منهم في أفق من الآفاق ، أشهد عليه به فلان وفلان وكفى بالله شهيدا .

تنازل الامام الحسن لمعاوية

وبعد ما انبرم الصلح بين الطرفين وتم الاتفاق بينهما على الغرض منه ، والتزم معاوية العمل ببنوده ، التمس من السيد الحسن ان يتكلم في جموع الناس ويعلمهم انه قد سلم الامر وباع لمعاوية على شروط رآها — وتلى النص — مصالحة لجمع كلمة المسلمين ، فأجابه الى ذلك ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال : أيها الناس ان اكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور — الى أن قال قد علمتم ان الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنقذكم من الضلالة ، وخلصكم من الجهالة ، وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، ان معاوية نازعنى حقا هو لى دونه ، فنظرت لصلاح لإامة ، وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتمونى على أن تسالموا من سالمى وتحاربوا من حاربنى ، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بينى وبينه ، وقد بايعته ، ورأيت أن حقت الدماء خير لى من سفكها ،

ولم ارد بذلك الا اصلاحكم وبقاءكم : وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى الى حين » وكان من جملة الاسباب التي حملته على المصالحة غدر أهل الكوفة به في سباب المدائن ، اذ طعنه سنان الجعفي في جنبه فصرعه عن دابته . ومما شرح الله به صدره في هذا الصلح ظهور معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله في حق الحسن : ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . رواه البخارى . وكان نزوله عنها في شهر ربيع الاول سنة (41) هجرية ، وقيل ربيع الثانى وقيل جمادى الاولى .

الامام الحسن السياسى العظيم

ما اكثر صبرك ! وما اغزر حلمك ! وما اكبر عقلك ! وما انفذ تبصرتك ! وما الين طبعك ! لامثال كلام من لا ينطق عن الهوى ، وما اعظم ايثار مصلحة المسلمين على مصلحة نفسك ! ضحيت بنفسك وبعشيرتك وانصارك في سبيل مصلحة دينك وايمانك ابتغاء مرضاة ربك ، حتى تنازلت عن حق هو بيدك ، لاد اعدائك واعداء ابيك رجل قد اصبح متنكرا لما ابرمه بشهوده وامضاه بيده معاوية بن ابي سفيان الذى لا تعرف النصفة مع آل على الى قلبه سبيلا . فقد فعلت ذلك كله واقدمت على ما كنت عالما بعواقبه ابتغاء اصلاح ذات البين ، بين فئتين عظيمتين من المسلمين امتثالا لامر الله ، وتحقيقا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما كدت تنزل عن منبر الخطابة حتى اخذت سهام الالسنه تسدد الى جانبك ، من طرف من الفوا الخوض في الماء العكر ، دون أن يهمهم ما اهمك من شأن الاسلام والمسلمين ، فبدأت تسمع بدل يا امير المؤمنين ، يا عار المؤمنين ، فتجيب في رحب صدر وعظيم حلم « العار خير من النار » ويقول الآخر : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فتجيب في مروءة ووقار ، « كرهت أن اقتلكم على الملك » وكثيرا ما تسمع وتجيب في أدب . ثم ارتحل من الكوفة واختار المقام بالمدينة دار الهجرة والزهد في الدنيا الى جانب قبر جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وسمى ذلك العام « بعام الجماعة » لاجتماع كلمة المسلمين فيه واجتماع الكلمة في يد معاوية بحيث لم يعد له خصم يخشاه ، الا ما كان من امر الخوارج . وبعد ما استتب الامر بيد معاوية جعل ينقض بنود الصلح

حتى نقض الكثير منها . ومن أحسن ما يروى عنه في عدله جوابه لعامله على الكوفة ، زياد بن أبيه ، في قضية سعيد بن سرح أحد شيعة علي رضي الله عنه وصورتها : انه لما ارتحل الامام الحسن عن الكوفة واختار مقامه بالمدينة ، خلا الجوبها لمعاوية وعماله فبدأوا بمطاردة شيعة الامام علي رضي الله عنه فكانت مآسى كثيرة سجلها التاريخ بالدماء والدموع والاحزان ، منها قصة زياد بن ابيه عامل الكوفة ، لما طلب سعيد بن سرح من أجل تشييعه لعلي ففر والتحق بالحسن في المدينة واستجار به ، فألقى زياد القبض على أخيه وولده وامراته ، ونقض داره وصادر أمواله ، ولما وصل ذلك الى السيد الحسن شق عليه ذلك وكتب من فورهِ الى زياد يامرهُ بأن يعطى الامان لسعيد ، ويخلى سبيل عياله واطفاله ، ويشيد داره ، ويرد عليه أمواله ، وهذا نص كتابه :

من الحسن بن علي الى زياد اما بعد : فانك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره ، وأخذت ماله ، وحبيست أهله وعياله ، فان اتاك كتابي هذا فابن له داره ، واردد عليه ماله وعياله ، وشفعنى فيه فقد أجرته والسلام .

ولما وصله الكتاب استشاط غضبا لان الحسن لم ينسبه الى ابي سفيان — لانه ابن زنى — فأجابه زياد بما نصه : من زياد بن ابي سفيان الى الحسن بن فاطمة اما بعد : فقد اتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى ، وانت طالب حاجة وأنا سلطان ، وانت سوقة ، وتامرني فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته كتبت الى في فاسق آويته اقامة منك على سوء المرأى ورضى منك بذلك وأيم الله لا تستبقنى به ، ولو كان بين جلدك ولحمك ، فان احب لحم على ان آكله ، اللحم الذى أنت منه ، فسلمه بجريته الى من هو أولى به منك فان عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه ، وان قتلته لم أقتله الا لحبه اباك والسلام وبعد أن وصل الجواب الى الامام الحسن كتب رسالة أخرى قصيرة ، نصها : من الحسن بن فاطمة الى زياد بن سمية اما بعد : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الولد للفراش وللعاشر الحجر والسلام . وكتب الى معاوية بن ابي سفيان في حل المشكل ، وأرفق كتابه بجواب زياد عليه ، فلما بلغ معاوية ذلك غضب على زياد وكتب اليه كتابا نصه : اما بعد ، فان الحسن بن علي بعث الى بكتابك اليه ، جوابا عن كتاب كتبه اليك في ابن ابي سرح ، فأكثر العجب منك ، وعلمت ان لك رأيين أحدهما من ابي سفيان ، والآخر من سمية اما الذى من ابي سفيان فحلم

وحزم ، وأما الذى من سمية فما يكون من رأى مثلها ، من ذلك كتابك الى الحسن تشتت اياه وتعرض له بالفسق ، ولعمري انك لاولى بالفسق من ابيه ، فاما ان الحسن بدأ بنفسه فارتفاعا عليك فان ذلك لا يضعك لو عقلت ، وأما تسلطه عليك بالامر ، فحق لمثل الحسن أن يتسلط ، وأما تركك تشفيعه فيما شنع فيه اليك ، فحظ دفعته عن نفسك الى من هو اولى به منك ، واذا ورد عليك كتابى هذا فخل ما فى يدك اى من متاعه لسعد بن ابي سرح ، وابن له داره ، واردد عليه ماله ، ولا تنعرض له ، فقد كتبت الى الحسن ان يخيره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان ، وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم امه ولا تنسبه الى ابيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان ، والى اى أم وكلته لا أم لك ؟ أما علمت انها فاطمة بنت رسول الله ، فذلك افخر له لو كنت تعلمه وتعقله .

مناظرة بين الامام الحسن ومناوئيه

لم يكن فى الاسلام يوم فى مشاجرة قوم اجتمعوا فى حفل اكثر ضجيجا ولا اعلى كلاما ، ولا اشد مبالغة فى قول من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن ابي سفيان خمسة من مناوئى الامام الحسن ، ومن هم هؤلاء الخمسة ؟ هم عمرو بن العاص ، وعمرو بن عثمان بن عفان ، وعتبة بن ابي سفيان ، والوليد بن عتبة بن ابي معيط ، والمغيرة بن شعبة ، وقد تواطؤوا على امر واحد ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : الا تبعث الى الحسن بن علي فتحضره فقد احيا سيرة ابيه ، ان امر فاطيع ، وان قال فصدق ، وهذان يرفعان به الى ما هو اعظم منهما ، فلو بعثت اليه فقصرنا به وبأبيه ، وسببناه وسببنا اياه ، وصغرنا بقدره وقدر ابيه وقعدنا لذلك حتى نصدق لك فيه .

فقال لهم معاوية : انى أخاف ان يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم ، والله ما رأيت قط الا كرهت جنابه ، وهبت عتابه ، وانى ان بعثت اليه لانصفنه منكم ، قال عمرو بن العاص : اتخاف ان يتسامى باطله على حقنا ، ومرضه على صحتنا ، قال : لا ، قال : فابعث اليه اذا قال عتبة : هذا رأى لا اعرفه ، والله ما تستطيعون ان تلقوه بأكثر ولا اعظم مما فى انفسكم عليه ، ولا يلتاقم الا باعظم مما فى نفسه عليكم ، وانه لمن اهل بيت خصم وجدل .

ثم بعثوا الى الحسن ، فلما اتاه الرسول قال له : يدعوك معاوية ، قال : ومن عنده ؟ قال الرسول : عنده فلان وفلان ، وسمى كلا منهم باسمه فقال الحسن : ما لهم ؟ خر عليهم السقف من فوقهم و اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون « ثم قال : يا جارية ابلغيني ثيابي ، ثم قال : اللهم انى أدرا بك فى نحرهم ، وأعوذ بك من شرورهم ، وأستعين بك عليهم ، فأكفنيهم بما شئت وانى شئت من حولك وقوتك يا ارحم الرحمن ، وقال للرسول هذا كلام الفرج ، فلما أتى معاوية رحب به وحياه و صافحه ، فقال الحسن : ان الذى حبيت به سلامة ، والمصافحة امانة ، فقال معاوية اجل ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى ليقرروك ان عثمان قتل مظلوما وان اباك قتله ، فاسمع منهم ثم اجبهم بمثل ما يكلمونك ، ولا يمنعك مكانى من جوابهم ، فقال الحسن : سبحان الله البيت بيتك ، والاذن فيه اليك ، والله انى لاجبتهم الى ما ارادوا انى لاستحيى لك من الفحش ، ولئن كانوا غلبوك انى لاستحيى لك من الضعف ، فبأيهما تقر ؟ ومن أيهما تعتذر ؟ اما انى لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بنى هاشم ، ومع وحدتى هم اوحش منى مع جمعهم ، فان الله عز وجل ، لولى اليوم وما بعد اليوم ، فليقولوا فاسمع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

فقال معاوية : انى كرهت ان ادعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانما دعونك لنقرر ان عثمان قتل مظلوما وان اباك قاتله ، فاسمع منهم ثم اجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم ان تتكلم بكل لسان ، (1) فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال : ما سمعت كاليوم ان بقى من بنى عبد المطلب على وجه الارض من احد بعد قتل الخليفة عثمان ، وكان — من — ابن اختهم ، والفاضل فى الاسلام منزلة ، والخاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اثره ، فبيس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداء و طلبا للفتنة وحسدا ونفاسة ، وطلب ما ليسوا باهل لذلك مع سوابقه ومنزلته من الله ومن رسوله ، ومن الاسلام ، فياذلاه ان يكون « حسن » وسائر بنى عبد المطلب وقتلة عثمان احياء يمشون على مناكب الارض ، وعثمان مخرج بدمه ، مع ان لنا فيكم تسعة عشر دما ، يقتلى بنى امية بيدى . ! (2) ثم تكلم عمرو بن العاص : فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : ارحم يا ابن ابي تراب بعثنا اليك لنقرر ان اباك سم ابا بكر الصديق ، واشترك فى قتل عمر الفارق وقتل عثمان ذى النورين مظلوما ، فادعى ما ليس بحق ، ووقع فيه — وذكر الفتنة وعيره بشائنها — ثم اضاف

انكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله يعطيكم الملك ، فترتكبون فيه ما لا يحل لكم ، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن أمير المومنين ، وليس عندك عقل ذلك ، ولا رايه ، فكيف وقد سلبتة وتركت أحق في قریش ، وذلك لسوء عمل أبیک ، وانما دعوناك لنسبک وأباك ، ثم أنت لا تستطيع أن تعتب علينا ، ولا أن تكذبنا في شيء به ، فان كنت ترى انا كذبناك في شيء ، وتقولنا عليك بالباطل ، وادعينا خلاف الحق فتكلم ، والا فاعلم انك وأباك من شر ما خلق الله ، اما أبوك فقد كفانا الله قتله ، وتفرد به ، واما أنت فانك في أيدينا نتخير فيك ، والله ان لو قتلناك ما كان في ممتلك اثم عند الله ، ولا عيب عند الناس .

(3) ثم تكلم عتبة بن أبى سفيان ، فكان أول ما ابتدا به أن قال : يا حسن ان أباك كان شر قریش لقریش ، أقطعه لأرحامها ، وأسفكه لدمائها ، وانك لمن قتلة عثمان ، وأن في الحق أن نقتلك به ، وان عليك القود في كتاب الله عز وجل ، وانا قاتلوك به ، واما أبوك فقد تفرد الله بقتله ، فكفانا ، واما رجاؤك للخلافة فلست منها لا في قدحة زندك ولا في رجحة ميزانك .

(4) ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، بنحو من كلام أصحابه فقال : يا معشر بنى هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان ، وجمع الناس عليه حتى قتلتموه حرصا على الملك ، وقطيعه للرحم ، واستهلاك الامة ، وسفك دماؤها حرصا على الملك ، وطلبا للدنيا الخسيسة وحبا لها ، وكان عثمان خالكم ، فنعم الخال كان لكم ، وكان صهركم ، فكان نعم الصهر لكم ، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ، ثم وليتم قتله ، فكيف رأيتم صنع الله بكم .

(5) ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، وكان كلامه وقوله كله وقوعا في على كرم الله وجهه ثم قال : يا حسن ، ان عثمان قتل مظلوما ، فلم يكن لأبيك في ذلك عذر برىء ، ولا اعتذار مذهب ، غير أننا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلته وایوائه لهم ، ودبه عنهم ، انه بقتله راض ، وكان والله طويل السيف واللسان ، يقتل الحى ويعيب الميت ، وبنو أمية خير لبنى هاشم ، من بنى هاشم لبنى أمية ، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية ، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وأجلب عليه قبل موته وأراد قتله ، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كره أن يبائع أبا بكر حتى أتى به قودا ، ثم دس اليه فسقاه سما فقتله ،

ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبتة ، فعمل في قتله ، ثم طعن على عثمان حتى قتله ، كل هؤلاء قد شرك في دمهم ، فأى منزلة له من الله يا حسن ، وقد جعل الله السلطان لولى المقتول في كتابه المنزل ، فمعاوية ولى المقتول بغير حق ، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك ، والله ما دم على بخطر من دم عثمان ، وما كان الله ليجمع فيكم يا بنى عبد المطلب الملك والنبوة .

جواب الامام الحسن

فتكلم أبو محمد « الحسن » بن على رضى الله عنهما فقال :

الحمد لله الذى هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على سيدنا محمد نبى الله ورسوله وآله وسلم ، اسمعوا منى مقالتي ، وأعيرونى فهمكم ، وبك أبدأ يا معاوية ، انه لعمر الله يا أزرق ما شتمنى غيرك ، وما هؤلاء شتمونى ولا سبنى غيرك ، وما هؤلاء سبونى ، ولكن شتمتنى وسببتنى فحشا منك وسوء رأى ، وبغيا وعدوانا وحسدا علينا ، وعداوة لحمد صلى الله عليه وسلم قديما وحديثا ، وانه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق ! ماثورين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحولنا المهاجرون والانصار ، ما قدروا أن يتكلموا بمثل ما تكلموا به ، ولا استقبلونى بما استقبلونى به ، فاسمعوا منى ايها المألأ المجتمعون المتعاونون على ، ولا تكتموا حقا علمتموه ، ولا تصدقوا بباطل نطقت به ، وسأبدأ بك يا معاوية ، فلا أقول فيك الا دون ما فيك ، أنشدكم بالله هل تعلمون ان الرجل الذى شتمتموه صلى الى القبلتين كليهما ، وأنت تراهما ضلالة ، تعبد اللات والعزى ؟ وباع البيعتين كليهما : بيعة الرضوان وبيعة الفتح ، وأنت يا معاوية بالاولى كافر ، وبالاخرى ناكث .

أنشدكم بالله هل تعلمون ؟ انما أقول حقا ، انه لقيكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ومعه راية النبى ، ومعك يا معاوية راية المشركين تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله والمؤمنين فرضا واجبا ، ولقيكم يوم أحد ومعه راية النبى ومعك يا معاوية راية المشركين ، ولقيكم يوم الاحزاب ومعه راية النبى ومعك يا معاوية راية المشركين ، كل ذلك يفلح الله حجه ؟ ويحقق دعوته ، ويصدق أحداثته ، وينصر رأيته ، وكل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عنه راضيا فى المواطن كلها ؟ ثم أنشدكم بالله هل تعلمون ؟ ان رسول الله حاصر بنى قريظة ،

وبني النضير ، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين ، وسعد بن معاذ ومعه راية الانصار ، فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل حريحا ، وأما عمر فرجع وهو يجبن أصحابه ، ويجبنه أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرارا غير فرار ، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه ، فتعرض لها أبو بكر وعمر ، وغيرهما من المهاجرين والانصار ، وعلى يومئذ أرمذ شديد الرمد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل في عينيه فبريء من الرمد فأعطاه الراية ، فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنه وطوله ، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ورسوله ، فهل يسوى بين رجل نصح لله ورسوله ورجل عادى الله ورسوله ؟ ! ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد ، ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب ، ثم أنشدكم بالله أتعلمون ؟ ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ، ولا أسخطه ذلك ولا كرهه ، وتكلم فيه المنافقون فقال : لا تخلفني يا رسول الله ، فاني لم أتخلف عنك في غزوة قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وصيى وخليفتي في أهلى بمنزلة هارون من موسى . ثم أخذ بيدي على ثم قال : أيها الناس من تولاني فقد تولى الله عز وجل . ومن تولى عليا فقد تولاني ومن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع عليا فقد أطاعني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أحب عليا فقد أحبني . ؟ أنشدكم بالله أتعلمون ؟ أن رسول الله قال في حجة الوداع : أيها الناس انى قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده ، كتاب الله ، فأطوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واعملوا بحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب ، وأحبوا أهل بيتى وعترتى ووالوا من والاهم ، وأنصروهم على من عاداهم ، وانهما لم يزالا فيكم حتى يردا على الحوض يوم القيامة ، ثم دعا عليا وهو على المنبر ، فاجتذبه بيده فقال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، اللهم من عادى عليا فلا تجعل له فى الارض مقعدا ، ولا فى السماء مصعدا ، واجعله فى أسفل درك من النار . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ ان رسول الله قال له : أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة ، تذود عنه كما تذود أحدكم العربية من وسط ابله . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : يبكي انى أعلم : ان لك فى قلوب الرجال من أمتى ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ ان رسول الله حين حضرته الوفاة ، واجتمع أهل بيته قال :

اللهم هؤلاء أهلى وعترتى ، اللهم والى من والاهم وانصرهم على من عاداهم ،
وقال : انما مثل اهل بيتى فيكم كسفينة نوح ، من دخل فيها نجا ، ومن
تخلف عنها غرق .

أنشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد سلموا عليه بالولاية فى عهد رسول الله وحياته . أنشدكم بالله
اتعلمون ! ؟ ان عليا اول من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب
رسول الله ، فأنزل الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما
أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مومنون « وكان عنده علم المنايا ، وعلم القضايا
وفصل الخطاب ، ورسوخ العلم ، ومنزل القرآن وكان فى رهط لا نعلمهم
يتمون عشرة نبأهم الله انهم به مومنون ، وأنتم فى رهط قريب من عدة
اولئك ، لعنوا على لسان نبيه رسول الله ، فأشهد لكم وأشهد عليكم انكم
لعناء الله على لسان نبيه أهل البيت أى الحاضرين . وأنشدكم بالله هل
تعلمون ! ؟ ان رسول الله بعث اليك لتكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد
ابن الوليد ، فانصرف اليك الرسول ، فقال : هو ياكل ، فأعاد الرسول
اليك ثلاث مرات ، كل ذلك ينصرف الرسول ويقول : هو ياكل ، فقال
رسول الله : اللهم لا تشبع بطنه . فهى والله فى نهمتك وأكلك الى يوم
القيامة . أنشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ انما أقول حقا انك يا معاوية كنت
تسوق بأبيك على جمل أحمر ، ويقوده أخوك هذا القاعد ، وهذا يوم
الاحزاب ، فلعن رسول الله الراكب والقائد والسائق ، فكان أبوك الراكب
وأنت يا أزرقي السائق ، وأخوك هذا القاعد القائد .

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ ان رسول الله لعن أبا سفيان فى
سبعة مواطن ، (1) حين ، خرج من مكة الى المدينة ، وأبو سفيان جاء من
الشمام فوقع فيه أبو سفيان فسبه ، وأوعده ، وهم أن ييطئ به ، ثم صرفه
الله عز وجل عنه (2) يوم العير حيث طردها أبو سفيان ، ليحرزها من
رسول الله . (3) يوم أحد يوم قال رسول الله : الله مولانا ، ولا مولى
لكم ، وقال : أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم ، فلعنه الله وملائكته
ورسوله والمؤمنون أجمعون . (4) يوم حنين يوم جاء أبو سفيان يجمع
قريش وهوازن ، وجاء عيينة بغطفان واليهود ، فردهم الله عز وجل
بغیظهم لم ينالوا خيرا هذا قول الله عز وجل له فى سورتين كليهما يسمى
أبا سفيان وأصحابه كفارا ، وأنت يومئذ يامعاوية مشرك على رأى أبيك

بمكة ، وعلى يومئذ مع رسول الله وعلى رأيه ودينه . (5) قول الله عز وجل : والهدى معكونا أن يبلغ محله « وهددت أنت وأبوك ومشركوا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلعنه الله لعنة شملته وذريته الى يوم القيامة . (6) يوم جاء أبو سفيان يجمع من قريش ، وجاء عيينة بن حصن بن بدر بغطفان ، فلعن رسول الله القادة والاتباع والساقاة الى يوم القيامة ، فقليل يارسول الله ، أما في الاتباع مومن ؟ فقال : لا تصيب اللعنة مومنا من الاتباع ، وأما القادة فليس فيهم مومن ولا مجيب ولا ناج . (7) يوم الثانية يوم شد على رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنى عشر رجلا ، سبعة منهم من بنى أمية ، وخمسة من سائر قريش فلعن الله تبارك وتعالى ورسوله من حل الثانية غير النبي وسائقه وقائده . ثم أنشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ ان ابا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله ، فقال : يا ابن أخى هل علينا من عين ؟ قال : لا ، فقال أبو سفيان : تداولوا الخلافة فتیان بنى أمية . فو الذى نفس أبى سفيان بيده ما من جنة ولا نار .

وأنشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان ابا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان ، وقال يا ابن أخى اخرج معى الى بقيع الغرقد فخرج حتى اذا توسط القبور اجتره فصاح بأعلى صوته : يا أهل القبور ، الذى كنتم تقاتلوننا عليه صار اليوم بأيدينا وأنتم رميم ، فقال الحسين بن على قبح الله شيبتك وقبح وجهك ، ثم نتريده وتركه ، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده الى المدينة لهلك . ومن لعنتك يا معاوية : ان اباك ابا سفيان كان يهم ان يسلم فبعث اليه بشعر معروف مروى في قريش وغيرهم ، تنهاه عن الاسلام وتصدده عنه ، اوتنسى يا معاوية قولك لابيك :

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين يبدر أصبحوا مزقا
 خالى وعمى وعم الام ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الارقا
 لا تركن الى امر تكلفنا والراقصات به فى مكة الخرقا
 فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا
 ومن سبيء أعمالك ، ان عمر بن الخطاب ولاك الشام فخذت به ،
 وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون ، ثم أعظم من ذلك أنك قتلت عليا ،
 خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق وقد عرفت سوابقه وفضله
 وعمله ، على امر هو أولى به منك ، ومن غيرك عند الله وعند الناس ،
 ولادنية بل أوطأت الناس عشوة ، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخداك

وكيدك وتمويهك ، فعل من لا يؤمن بالمعاد ولا يخشى العتاب ، فلما بلغ الكتاب أجله صرت الى شر مثنوى ، وعلى الى خير منقلب ، والله لك بالمرصاد فهذا لك يا معاوية خاصة ، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل ، فهل تستطيع أن ترد علينا شيئا ؟ .

وأنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن حقيقا لحمتك أن تتبع هذه الامور ، فانما مثلك مثل البعوضة ، اذ قالت للنخلة استمسكى فانى أريد أن أنزل عنك فقالت لها النخلة : ما شعرت بوقوعك فكيف يشق على نزولك ؟ وانى والله ما شعرت انك تحسن أن تعادى لى ، فيشقى على ذلك ، وانى لمجيبك فى الذى قلت ، ان سبك عليا أبنقص فى حسبه ؟ أو تباعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بسوء بلاء فى الاسلام ؟ أو يجور فى حكم ، أو رغبة فى الدنيا ؟ فان قلت واحدة منها فقد كذبت ، وأما قولك : ان لك فينا تسعة عشر دما بقتلى مشركى قريش من بنى أمية بيدى ، فان الله ورسوله قتلهم ، ولعمري ليقتلن من بنى هاشم تسعة عشر ، وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل من بنى أمية تسعة عشر وتسعة عشر فى موطن واحد سوى ما قتل من بنى أمية لا يحصى عددهم الا الله .

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلا أخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباده خولا ، وكتابه دغلا ، فاذا بلغوا ثلاثمائة وعشرا حقت عليهم اللعنة ولهم ، فاذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة ، فأقبل الحكم ابن أبى العاص وهم فى ذلك الذكر والكلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفضوا اصواتكم فان الوزغ يسمع . وذلك حين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يملك بعده منهم امر هذه الامة . يعنى فى المنام ، وساءه ذلك وشق عليه ، فأنزل الله عز وجل فى كتابه : ليلة القدر خير من ألف شهر « فأشهد لكم وأشهد عليكم ، ما سلطانكم بعد قتل على الا الف شهر ، التى أجلها الله فى كتابه .

وأما أنت يا عمرو بن العاص الناشئ اللعين الابتر ، فانما أنت كلب ، أول أمرك أن أمك لبغية ، وانك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش ، منهم أبو سفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان ابن الحارث والنضر بن الحارث بن كلدة ، والعاص بن وائل ، كلهم يزعم انك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش الامهم حسبا ، وأخبثهم منصبا ، وأعظمهم بغية ، ثم قمت خطيبا وقلت : أنا شانىء محمد ، وقال العاص

ابن وائل : ان محمدا رجل أبتّر ، لا ولد له ، فلو قد مات انتقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ان شأنك هو الأبتّر « فكانت أمك تمشي الى عبد القيس لطلب البغية تاتيهم في دورهم ورحالهم ، وبطون اوديتهم ، ثم كنت في كل مشهد يشهد رسول الله عدوه أشدهم له عداوة ، وأشدهم له تكذيبا ، ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي ، والمهراج الخارج الى الحبشة في الاثشطة بدم جعفر بن ابي طالب ، وسائر المهاجرين الى النجاشي فحاق المكر السيء بك ، وجعل جدك الاسفل ، وأبطل أمنيتك وخيب سعيك ، وأكذب أهدوثك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى — وكلمة الله هي العليا « وأما قولك في عثمان فأنت يا قليل الحياء والدين الهبت عليه نارا ثم هربت الى فلسطين تتربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعثه دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولا نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والاسلام ، وقد هجوت رسول الله في سبعين بيتا من شعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انى لا أحسن الشعر ولا ينبغى لى أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة . فعليك اذا من الله مالا يحصى من اللعن ، وباللله ما نصرت عثمان حيا ، ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ، الست القائل : في بنى هاشم ؟ لما خرجت من مكة الى النجاشي .

تقول ابنتى اين هذا الرحيل	وما السير منى بمستنكر «
فتبوا الوليد منزل كفر	وعلى تبوا الأيماننا «
ليس من كان مومنا يعبد الله	كمن كان فاسقا خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل	وعلى الى الجزاء عيانا
فعلى يجزى هناك جنانا	وهناك الوليد يجزى هوانا

وما أنت وذكر قريش ، وانما أنت ابن عليج من اهل صفرية يقال له ذكوان وأما زعمك انا قتلنا عثمان ، فو الله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا ذلك لعلى بن ابي طالب ، فكيف تقوله أنت ! ؟ ولو سألت أمك من أبوك ؟ اذ تركت ذكوان ، فالتصقتك بعقبة بنى ابي معيط ، اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة ، مع ما أعد الله لك ولابيك ولاملك من العار والخزى في الدنيا والآخرة ، وما الله بظلام للعبيد .

ثم أنت يا وليد — والله أكبر في السن ممن تدعى له النسب فكيف تسب عليا ؟ ولو اشتغلت بنفسك لبينت نسبك الى أبيك لا الى من تدعى

له ، ولقد قالت لك أمك : يا بنى أبوك — والله الام وأخبت من عقبه .

وأما أنت يا عبته بن أبى سفيان ، فو الله ما أنت بحصيف فأجاوبك
ولا عاقل فأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يخشى ، وما كنت لو
سببت عليا لاغار به عليك ، لانك عندى لست بكفاء لعبد عبد على بن
أبى طالب كرم الله وجهه ، فأرد عليك وأعاتبك ، ولكن الله عز وجل لك
ولأبيك وأمك وأخيك بالمرصاد ، فأنت ذرية آباءك الذين ذكرهم الله في
القرآن فقال : عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس
لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع « وأما وعيدك اياى
بقتلى ، فهلا قتلت الذى وجدته على فراشك مع حليتك ، وقد غلبك على
فرجها ، وشارك فى ولدها ، حتى الصق بك ولدا ليس لك ، ويلا لك لو
شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديرا وبذلك حريا ، اذ تسومنى
القتل ، وتوعدنى به ، أما تستحيى من قول نصر بن الحجاج فيك ! ؟ :

يا للرجال وحادث الازمان ولسبة تخزى ابا سفيان
نبئت عتبه هياته عرسه لصداقة الهذلى من اللحيان
الفاه معها فى الفرائس فلم يكن فحلا وأمسك خشية النسوان
لا تعتبين يا عتب نفسك حبها ان النساء حبائل الشيطان

ولا الومك أن تسب عليا ، وقد قتل أخاك مبارزة ، واشترك هو
وحمزة بن عبد المطلب فى قتل جدك ، حتى أصلاهما الله على أيديهما نار
جهنم ، واذقتها العذاب الاليم ، ونفى عمك بأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأما رجائى الخلافة فلعمر الله لئن رجوتها فان لى فيها
للمتمس ، وما أنت بنظير أخيك ولا خليفة أبيك ، لان أخاك أكثر تمردا على
الله ، وأشد طلبا لاراقة دماء المسلمين ، وطلب ما ليس له بأهل ، يخادع
الناس ويمكرهم ويمكر الله ، والله خير الماكرين . وأما قولك ان عليا كان
شر قريش لقريش ، فو الله ما حقر مرحوما ، ولا قتل مظلوما .

وأما أنت يا مغيرة بن شعبه ، فانك لله عدو ، ولكتابه نابذ ، ولنبيه
مكذب وأنت الزانى وقد وجب عليك الرجم ، وشهد عليك العدول البررة
الاتقياء فأخر رجمك ، ودفع الحق بالباطل ، والصدق بالأغاليط وذلك لما
اعد الله لك من العذاب الاليم ، والخزى فى الحياة الدنيا . ولعذاب الآخرة
أخزى ، وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله حتى آدميتها ، وألقيت ما فى
بطنها ، استذلالا منك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة منك
لامره ، وانتهاكا لحرمة ، وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

انت سيدة نساء اهل الجنة . والله مصرك الى النار ، وجاعل وبال ما نطقت به عليك ، فلاى الثلاثة سببت عليا ؟ انقصا فى حسبه ، ؟ ام بعدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ام سوء بلاء فى الاسلام ؟ ام جورا فى حكم ؟ ام رغبة فى الدنيا ؟ ان قلت بها فقد كذبت ، وكذبك الناس ، اتزعم ان عليا قتل عثمان مظلوما ؟ فعلى والله اتقى وانقى من الائمة فى ذلك ، ولعمري ان كان على قتل عثمان مظلوما فو الله ما انت من ذلك فى شىء ، فما نصرته حيا ، ولا نصبت اليه ميتا ، وما زالت الطائف دارك ، تتبع البغايا ، وتحبى امر الجاهلية وتميت الاسلام حتى كان فى امس ما كان ، واما اعتراضك فى بنى هاشم وبنى أمية ، فهو ادعاؤك الى معاوية ، واما قولك فى شأن الامارة وقول أصحابك فى الملك الذى ملكتموه ، فقد ملك فرعون مصر اربعمائة سنة ، وموسى وهارون نبيان رسولان ، يلقيان ما يلقيان ، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر ، وقال الله عز وجل : وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين « وقال : واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » انتهى .

ثم قام الحسن فنفض ثيابه رضى الله عنه وهو يقول : الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات « هم والله يا معاوية أنت واصحابك هؤلاء وشيعتك . والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولائك مبرعون مما يقولون لهم مغفرة وأجر كريم « هم على بن أبى طالب واصحابه وشيعته ، ثم خرج وهو يقول : ذق وبال ما كسبت يداك ، وما جنيت ، وما قد اعد الله لك ولهم من الخزى فى الحياة الدنيا والعذاب الاليم فى الآخرة . وهذا الذى ذكرنا انما هو زاوية من بعض شمائله المنطوية عليها بطون الكتب لمن اراد ان يتعرف على ذلك ومنها كتاب كلمة الامام الحسن .

فقال معاوية لاصحابه : وانتم فذوقوا وبال ما قد جنيتم ، فقال له الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا الا كما ذقت ، ولا اجترا الا عليك ، فقال معاوية : ألم اقل لكم انكم لن تنتصفوا من الرجل ، فهل اطعمونى اول مرة ؟ او انتصرتم من الرجل اذ فضحكتم ؟ والله ما قام حتى اظلم على البيت ، وهممت ان اسطوبه ، فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم .

وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية واصحابه المذكورون من الحسن ابن على رضى الله عنهما ، فاتاهم فوجدهم عند معاوية فى البيت ، فسألهم ما الذى بلغنى عن الحسن وزعله ؟ قالوا قد كان ذلك ، فقال لهم مروان : فهلا احضرتمونى ذلك ، فو الله لاسبئه ولاسبن اباه واهل البيت سبا تغنى

به الاماء والعبيد ، فقال معاوية والقوم لم يفتك شيء ، وهم يعلمون من مروان بذء لسان وفحش ، — فقال مروان : فارس لاليه يا معاوية ، فأرسل معاوية الى الحسن ، فلما جاءه الرسول ، قال له الحسن : ما يريد هذا الطاغية مني ؟ والله لئن أعاد الكلام لاوقرن مسامعه ، ما يبقى عليه عاره وشناره الى يوم القيامة .

ثم أقبل الحسن عليه السلام ، فلما ان جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم عليها ، غير ان مروان قد حضر معهم ، فمشى الحسن حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص ، ثم قال الحسن : لمعاوية ، لم أرسلت الي ؟ فقال لست أنا أرسلت اليك ، ولكن مروان هو الذي أرسل اليك فقال مروان : انت يا حسن السباب رجال قريش ! فقال : وما الذي أردت ؟ قال : والله لاسينك وأباك وأهل بيتك ، سبا تغنى به الاماء والعبيد ، فقال الحسن : أما أنت يا مروان ، فلست أنا سببتك ولا سببت أباك ، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة ، على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ولأبيك من قبلك ، وما زادك الله يا مروان بما خوفك الا طغيانا كبيرا صدق الله وصدق رسوله اذ يقول : والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا « وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه السلام وقال : يا أبا محمد ما كنت فحاشا ، فنفض الحسن ثوبه وقام وخرج فتفرق القوم عن المجلس بغيظ وحزن وسواد الوجوه . انتهى .

بيت الامام الحسن (ض)

يشتمل بيت الامام الحسن السبط رضى الله عنه على ما ياتى من الاولاد الذكور ، وهم : (1) الحسن المثني أمه خولة بنت منظور بن زيان ابن حيان الفزارى وأما مليكة بنت خارجة بنت سنان المرية . (2) زيد ، الشهر ، ولم نعثر على اسم أمه ولعلها لم تكن حرة ، وزيد هذا هو الذى يقول فيه الشاعر :

وزيد ربيع الناس في كل شتوة اذا اختلفت أنواؤها ورعوها
حمول لانسان الديات كأنه سراج الرجا اذ قارنته سعودها

وفيه يقول قدامة أحد بنى جمح :

فان يكن زيد عالمت الارض شخصه فقد بان معروف هناك وجود «
و (3) حسين الاكرم ، وشقيقه الآتى أمهما واحدة وهو فى الترتيب .
(4) المسمى عبد الله و (5) أبو بكر ، وشقيقاه الآتيان وهما فى الترتيب .
(6) عبد الرحمن و (7) القاسم ، أمهم أم ولد ، ولا بقية لهم .
(8) طلحة أمه أم اسحاق بنت طلحة بن عبد الله الانصارى ، وأما بنت
قسامة الطائية (9) عمر أمه ثقفية ، وهى أم عبد الله تزوجها على بن
الحسين الملقب زين العابدين ، ويقال أم ولد . وزاد ابن حزم فى جمهرته :
محمدا ، وجعفر ، وحمزة ، وعليه فهم اثنا عشر ذكرا ومن الحسن
وزيد رضى الله عنهما العقب الكثير ، والبيت العامر ، والعدد الوافر ،
وأما عبد الله والقاسم وأبو بكر فانهم ماتوا فى معركة الحسين بكر بلاء ،
ولهم اخوة بنات لا حاجة لذكرهن . وكان الحسن المثنى وصى ابيه ، وولى
صدق على على بن الحسين زين العابدين ، وكانا يعاصران من الامويين
(عبد الملك بن مروان) ولذلك سال الحجاج بن يوسف الثقفى لما كان
عاملا على المدينة عمه عمر بن على بن أبى طالب ، فى البوصية فأبى ، ولما
الح عليه فى ذلك ، ذهب الى دمشق ودخل على الخليفة عبد الملك بن
مروان ، فرحب به ، وكان الامام الحسن المثنى قد أسرع اليه الشيب ،
فقال له عبد الملك : لقد أسرع اليك الشيب فقال كاتبه يحيى بن الحكم
شيبته أمانى العراق الذين يقدمون عليه كل عام يمنونه الخلافة ، فقال
له : ليس كما قلت ! اننا اهل البيت يسرع الينا الشيب ، فسأله عما
قدم له ، فأخبره بما سأله الحجاج ، فكتب له أن يمسك عنه ووصله ،
ثم لقى يحيى بن الحكم ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ قال : النظر
لك ، والله لولا خوفه منك ما قضى حاجتك ، وكان الحسن هو الذى
ياخذ عطايا اهل البيت ويوزعها عليهم . وسيأتى الكلام على بيته بعد
الكلام على الجناح الاول الحسينى من أعقاب السبطين رضى الله عنهما .

حادثة قتل الامام الحسن

كان سبب وفاة الامام الحسن ما كان يخشاه يزيد بن معاوية من
رجوع الامر الى الحسن بعد موت ابيه معاوية ، وكانت المعاهدة المتقدمة
كفيلة برجوع الامر اليه ، وقد كان فى علمه ان عليها طابع معاوية الخليفة
وامضاءه وكل ذلك كان تحت يد الامام الحسن حسبما أبرم بين الطرفين

عند عقد الصلح ، وكان يزيد لا يتمتع بسمعة طيبة في الاوساط الشعبية ، عكس الامر الذي عليه خصمه الامام الحسن . ومن اجل ذلك دس يزيد لبعض زوجات الامام الحسن ، وهى زوجته ، جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى ، وعاهدها ومناها انها ان فعلت وقتلت الامام الحسن انه يتزوجها ، وبذل لها مائة الف درهم فأطعمته سما فمرض (40) يوما وتوفى ، وبعد موته بعثت اليه تطلب منه الوفاء بما وعدها ، فقال لها : لم تصنعى الخير مع ابن رسول الله ومن هو خير منى فكيف تصنعينه معى ! وكان جزاء الخيانة والغدر أن باعت بالحرمان من كل ما منتها نفسها الماكرة بابن رسول الله .

ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه الناس وقال : ايها الحاضرون ، اسمعوا وانصتوا لما اقول لكم الآن : هذا الحسين اخى امام بعدى فلا امام غيره ، الا فليلغ الحاضر الغائب ، والوالد الولد ، والحر العبد ، والذكر الانثى وهو خليفتى عليكم ، لا احد يخالفه منكم ، فمن خالفه فقد كفر ، نحن ريحاننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيدا شباب اهل الجنة ، فلعن الله من يتقدم ، او يقدم علينا احدا ، وانى ناص عليه كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امير المؤمنين على رضى الله عنه ، وكما نص ابنى على ، وهو الخليفة بعدى من الله ورسوله ، ثم اوصيك يا اخى بأهلى وولدى خيرا ، واتبع ما اوصى به جدك عليه السلام ، وابوك وامك رضوان الله عليهما ، ثم التفت الى اخيه محمد بن الحنفية ، وقال له : يا محمد بن على ، اما علمت ان الحسين بن على بعد وفاة نفسى ، ومفارقة روحى جسمى ، امام من بعدى ، وعند الله فى الكتاب الماضى وراثه النبى أصابها فى وراثه ابيه وامه ، علم الله انكم خير خلقه ، فاصطفى منكم جدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، واختار محمد عليا ، واختارنى على للامامة واخترت انا اخى الحسين لها ، ثم قال له : يا اخى ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت السم ، ولم أسقه مثل مرتى هذه ، وانا ميت من يومى وجهد به اخوه يخبره بمن سقاه السم ، فلم يخبره بمن سقاه ، وقال له : الله اشد نعمة ان كان الذى اظن ، والا فلا يقتل بى والله برىء ، وفى رواية اخرى : يا اخى قد حضرت وفاتى ، ودنا فراتى لك ، وانى لاحق بربى واجد كبدى وتتقطع ، وانى لعارف من اين دهيت ، فانا اخاصمك الى الله تعالى ، فبحقنى عليك لا تكلمت فى ذلك بشيء ، فاذا انا قضيت نحبى فغسلنى وقمصنى ، وكفنى ، واحملنى على سريرى الى قبر جدى

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجدد به العهد ثم ردى الى قبر جدتى فاطمة بنت اسد ، وفي رواية ثم اصرفنى الى امى فاطمة ، ثم ردى وادفنى بالبقيع هناك ، واتسم عليك بالله ان لا تريق فى امرى بجة دم . وفي رواية ابن عبد البر ، انى يا اخى : سقيت السم ثلاث مرات ، لم أسقه مثل هذه المرة ، فقال : من سقاك ؟ قال : ما سؤالك عن هذا ؟ تريد ان تقتلهم ؟ اكل امرهم الى الله . وفي رواية اخرى ، لقد سقيت السم مرارا ، ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت طائفة من كبدى ، فرأيتنى اقلبها بعود ، فقال له الحسين : اى اخى من سقاك ؟ قال : وما تريد اليه ؟ تريد ان تقتله ؟ قال : نعم . قال لئن كان الذى اظن فالله اشد نقمة ، وان كان غيره فلا يقتلن بى برىء ، ورأى فى منامه كأنه مكتوب بين عينيه قل هو الله أحد . فاستبشر به هو وأهل بيته ، فتصوها على ابن المسيب فقال : ان صدقت رؤياه فقل ما يبقى من اجله ثم قال فى آخر وصاياه : حفظكم الله . استودعكم الله — خير خليفة من بعدى عليكم ، وكفى به خليفة ، وانى منصرف عنكم ، ولاحق بجدى وابى وامى واعمامى ، ثم قال : عليكم السلام ياملئكة ربى ورحمة الله تعالى وبركاته . فلفظ آخر انفاسه من الدنيا . وفي رواية وصلى عليه سعيد بن العاص ، لانه كان واليا على المدينة من قبل معاوية ، ودفن عند جدته فاطمة بنت اسد بالبقيع ، ولا قبة اليوم به ، توفى سنة (46) قمرية من الهجرة . والاصح ان عمره (47) سنة ، عاش منها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (8) اعوام ، وعاش مع ابيه على (38) وستة أشهر ، وستة اخرى خليفة بعد ابيه رضى الله عنهما وحاصله : انه عاش فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم (8) سنوات وفى حياة ابيه على رضى الله عنه (29) سنة ، وفى حياة معاوية رضى الله عنه (10) سنين ، فسنة رضى الله عنه يتراوح بين (47) أو (48) سنة .

اقول : لو قدر الله وجود الامام الحسين فى احدى دولة من دول العالم ، لعدوه من كبار الساسة ولعظموه ولاكرمؤه ، ولكتبوا تاريخه بماء الذهب ، نظرا لما ضحى به من حقه الذى كان بيده فى سبيل المصلحة العامة وجمع كلمة المسلمين ، حتى سمي العام عام الجماعة وقد كان فى وسعه ان يغامر ويخاطر بحياة الكثير من المسلمين ، اما الى قمة النصر والسعادة الدنيوية ، واما الى اسفل الثرى والاستراحة من الحياة المريرة تحت رحمة من كان يراهم من الاوباش ، وليسوا باهل لتقليد منصب خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماذا عساه ان يلحته من مكر على

أيديهم بسبب تنازله عن حق كان بيده لاصلاح ذات البين بين جماعة المسلمين ولكنه رضى الله عنه اثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة وتجمل ما قد تحمله ، فتنازل عن حقه لله ورسوله امثالاً وتحقيقاً لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغاء رضوان الله ، ورضى لان يكون سيداً لشباب اهل الجنة في الجنة . وفي سبيل ذلك قد تحمل محتسباً من اهانات قومه ما تدك له الجبال الشوامخ ، وما كاد ينزل عن منبر الخطابة بعد التنازل والبيعة لمعاوية حتى تلقاه من كانوا على غير رايه بالفاظ لا يستطيع تحملها من كان له أدنى شرف في قومه ، كمثل : السلام عليك يا مذل المومنين ، وهو يجيب تارة ، كرهت أن أقتلكم على الملك وكمثل السلام عليك يا عار المومنين ، فيجيب : العار خير من النار . هذا بالإضافة الى اهانة بنود المعاهدة ووقوع الخفر في الكثير منها . وما لحق ذلك من الانتقام الشنيع بأهله وشيعته ، وكل ذلك قد تحمله وعاشه حياته هذا السياسى العظيم ، ولو قدر مسلمو عصره فمن بعدهم موقفه حق قدره لاتهموا له ذكريات في محافل السياسيين في مختلف أنحاء الدنيا ، افتخارا بالسياسيين الروحيين في الاسلام الخاضعين لمشيئة الدولة في سبيل النفع العام ، وكان ذلك قليلاً في حقه ، ولكنه تخليداً لمجد السياسيين الروحيين في الاسلام ، وليس من الغريب تاريخاً قتل هذه الروح من طرف أعداء الاسلام في مثل الامام الحسن الكنز الصامت ، وقد دلت التجارب على أن الطنين لا يكون الا للطلبل ولكل شيء أجوف ، لا للكنز الصامت ، وذلك الصمت سنة موروثه في اهل البيت الكرام رضوان الله عليهم .

فالساسة عند فلاسفة اليونان : سقراط وتلميذه افلاطون وأرسطو هي ترويض النفس ترويضاً يجعل الفرد أقدر على النفع في معالجة الشؤون العامة ، واشترط في رجل السياسة سمو الاخلاق والاقدام على التضحية في سبيل النفع العام ، والخضوع الصادق لمشيئة الدولة . أقول وأقول صادقاً لم توجد هذه الصفات في احد من ساسة العالم عبر تاريخ البشرية ، لا في القديم ولا في الحديث من عصر افلاطون الى الآن وما بعد الآن ، وقد كان الامام الحسن مثلاً فذاً لها ، ولو لم يكن الامام الحسن مثلاً لها لبقى كلام الفلاسفة حبراً على ورق مجرداً عن المعنى والمفهوم ، اذ مفهوم السياسة عند حكماء البشر لم يجد له محلاً الا في هذا العصر الاسلامى ، وفي شخص الامام الحسن على الخصوص ، لان واقع سياسة العالم يشهد عليهم انهم كلهم أعرضوا وتباعدوا عن هذا النوع من السياسة لانه لا يخدم أغراضهم ومصالحهم الخاصة . واخذوا بسياسة حكم الضب بين الثعلب

والارنب لما تحاكما اليه في جحره الا وهى قوله لهما : « كل لنفسه بغى الخير » ثم قال الارنب احكم بيننا قال فقد حكمت . لما انطوى عليه هذا النوع الاخير من الاستبداد السياسى الكفيل بتقديم المصلحة الخاصة ، لانه حكم ضب أصدره من داخل جحره لما فيه من المساواة بين الظالم والمظلوم ولذلك لقى القبول ورحب به كل ساسة العالم ، وتبارزوا فيه فتجلت الاسبقية لمن كان بارعا في حيك الحيل عن طريق المكر والخداع ، والعمل على التفنن المتفوق في ذلك فأصبحت البشرية منذ العهد القديم خاضعة لتشريع الغاب وسياسة الثعلب ، وصار الحق الى جانب القوى ، والباطل الى جانب الضعيف ومن ثم قيل « ويل للضعيف » لانه أصبح كبشاً سميماً بين يدى القوى . ومن أجل هدم هذا الشر واعطاء البشرية سعادتها جاء الدين الاسلامى فأسس معالم الحق عن طريق التشريع السماوى وعرف البشرية حقها وسعادتها ، واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في تطبيق ما تلقاه عن ربه حياته ، وتبعه على ذلك رجال الحق والعدل الذين أجمعت الامة على فضلهم فأدوا الامانة كما يجب ، وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين كان آخرهم الامام الحسن ، فمرت بالاسلام هزات عنيفة كادت تأتى على كيانه لولا تنازل الامام الحسن ، فقتل زعامة الامة الاسلامية اولئك الذين رجعوا به الى سياسة المكر والخداع ، وتقديم تشريع الغاب على التشريع السماوى الذى جاء لمساواة البشر في سياسة العدل ، وسعادة الحياة ، فوضعوه بجانبهم كرسيد تاريخى للعلم والعرفان ، وتقدموا في تطبيق شريعة الغاب وراء هواهم ، كأن هذه البشرية لا تصلح الا لتشريع الغاب وسياسة الثعلب ، وحجتهم في ذلك ان العالم كله على هذا : والله من ورائهم محيط « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وكان اختيار معاوية لسياسة المكر والخداع في محاربة على وابنه الحسن لعلمه بأنهما لا يشاركانه في ذلك ، وكان على رضى الله عنه على علم بما هو عليه خصمه معاوية ، ولذلك قال لهم يوم صفين لما رفعت المصاحف على الرماح انها مكيدة ، غير أن قواد الجند لم يطاوعوه على متابعة الحرب ، وكان تطبيق التشريع السماوى أكبر عائق في وجه الامام على من الخروج الى سياسة المكر والخداع الذى كان يعلمه على خصمه ، وهو الذى كان يمنعه من ان يكون أدهى سواس العالم ، لانه كان في أحواله السياسية يرى انه كلما اشتدت الحال الى ارتكاب ما لا يحل من هذه السياسة الماكرة لربح المعركة كان يقول رضى الله عنه : الكلمة الماثورة عنه ، وهى : « لولا التقي لكنت أدهى العرب » ويؤخذ من هذه الكلمة أن تقوى الله والخوف منه على حقوق

عباده ، هو الذى كان يحول بينه وبين أن يكون داهيا من دهاة العرب ، وبموته وموت ابنه الحسن رضى الله عنهما سدت الباب على هذا النوع من السياسة الدينية السقراطية في ذلك العهد ، ومن ثم لم يعمل بها أحد الى اليوم وما بعد اليوم . لا بين المسلمين ولا بين غيرهم ، لانهم ذهبوا بالاجماع الى استحسان الدهاء فى اسلوب الحيل عن طريق الغدر والمكر والخداع ودأبوا على العمل به ولم يلتفتوا الى سواه ، معتمدين فى ذلك على رأى واحد ، وهو قولهم : « الغاية تبرر الوسيلة » .

وقد كان تنازل الامام الحسن فاتحة خير على الاسلام والمسلمين فى اجتماع كلمتهم على معاوية ، رضى الله عنه وتوحيد قوتهم ، وبذلك رجعت للاسلام قوته ومجده ، فرأى الخليفة ان لا مناص من استخدام هذه القوة فى افتتاح الاقطار المجاورة وغيرها ، ثم شرع فى تنظيم تلك القوى وبعثها ففتحت البلدان شرقا وغربا وشمالا ، وسرعان ما اكتسح الاسلام ما يقرب من نصف القارة الاسيوية ، ثم كانت نهاية الدولة الاموية سنة (131) هجرية ، فجاء بعدها دور الدولة العباسية وكان ابتداءها سنة (132) هجرية ، وبعد ان مركزت نفسها واخذت مكانتها ووحدت كلمتها شرعت فى تنظيم الجيوش وتوجيهها فى افتتاح البلاد شرقا وغربا وسرعان ما استولت على ما يقرب من نصف الكرة الارضية ، من آخر نقطة فى بلاد ما وراء نهر جيحون ، واذربجان ، وتركيا واربا وافريقيا الى ما وراء نهر السند الى جزر اندونيسيا والفلبين والصين ، كل ذلك فى مدة لا تتجاوز ربع قرن من الزمان ، ولم يكن الفتح الإسلامى فى ذلك كله معتمدا على قوة السلاح والقهر والغلبة ، وانما كان معتمدا على توحيد البشر بأسلوب الاقتناع تحت راية القرآن الكريم ، ليعيش كل البشر على التساوى فى طاعة الله وعدالة القرآن ، بدلا من ظلم الانسان لآخيه وطاعة الشيطان ، وتلك هى غاية تنازل الامام الحسن رضى الله عنه وصبره وحنكته السياسية ، وتبصره الحكيم ، حيث فاز بان صدق عليه تعريف السياسة لاعظم فيلسوف عرفه الشرق والغرب والعرب والعجم ، « سقراط » الذى يقرأ العالم اليوم كتبه على وجه الاستطلاع ، ومعرفة ما كان عليه القوم فى حياتهم .

مصير الحسين بعد أخيه الحسن

لبث الامام الحسين رضى الله عنه وصيا واماما لاهل البيت مدة عشر سنوات فى خلافة معاوية رضى الله عنه الا ان يزيد لم يكن مرتاح

البال من جهته بسبب التأييد الذي يلقاه من طرف شيعته وشيعة أخيه وأبيه ، إلا أن أباه معاوية وضع له تصميما قبل موته ، وقد تجلى في وصية أوصاه بها ، وهذا نصها : لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة من قريش : (1) الحسين بن علي ، وهو رجل خفيف ، ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه ، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه ، فإن له رحمة ماسة ، وحقا عظيما ، وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم . و (2) عبد الرحمن بن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة إلا في النساء واللهم . و (3) عبد الله بن عمر فإنه وقدته العبادة ، فإذا لم يبق أحد غيره بايعك . و (4) عبد الله بن الزبير وهو الذي سيجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك هو ابن الزبير ، فإن هو فعلها وظفرت به ، فاقطعه أريا أريا . واحقن دماء قومك ما استطعت ، وبهذا نص على هؤلاء المخالفين الذين خاف منهم الخروج على ابنه يزيد ، وقد كان ذلك كله كما أوصى به رضى الله عنه والأمر يومئذ لله .

نهاية الامام الحسين

كانت حادثة قتله من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذ أخبر بها قبل وقوعها وهي من قبيل الأخبار عن المقبيات التي أطلعها الله عليها ، لقوله تعالى : فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول « ولا ريب أن الله تعالى ارتضاه وأطلع على ما شاء من غيبه ، والممنوع عليه هو أن يطلع على الغيب من غير اطلاع الله له عليه . كما أخبر عن قتل أبيه وأخيه ، وكان هو رضى الله عنه تبعا لهما ، فإن كل واحد من هؤلاء الأئمة الثلاث كان عالما بمقتله عن النبي صلى الله عليه وسلم : وما ينطق عين الهوى إن هو إلا وحي يوحى « وقد نفذ ذلك كله على مرمى ومسمع ممن كان يعلم منهم ذلك . من ذلك ما أخرجه البغوي في معجمه من حديث أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : استأذن ملك القطر ربه أن يزورني فأذن له ، وكان في يوم أم سلمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم سلمة ، احتفظي علينا الباب لا يدخل أحد ، فبينما هي على الباب إذ دخل الحسين فاقثم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ، أى يقبله ، فقال له الملك : أتجبه ؟ قال : نعم قال : إن أمك ستقتله ، وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به ، فأراه ، فجاء بسهلة — بكسر السين — رمل خشن ، أو تراب أحمر

فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها ، قال ثابت : كنا نقول : انها كربلاء .
وروى ان الملك جبريل ، وزاد فيها انه صلى الله عليه وسلم شمهها وقال :
ريح كرب وبلاء . وفي رواية أخرى لابن أحمد في زيادة المسند ، قالت ثم
ناولني كفا من تراب أحمر ، وقال : ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها ،
فمتى صار دما فاعلمى انه قد قتل ، وقالت أم سلمة : فوضعتة في قارورة ،
وكنت أقول : ان يوم يتحول دما ليوم عظيم . وفي رواية عنها فأصبتة يوم
قتل الحسين وقد صار دما . وفي رواية أخرى ، ثم قال : اي جبريل : الا
أريك تربة مقتله ؟ فجاء بحصيات ، فجعلهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قارورة ، قالت أم سلمة : فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت
قائلا يقول :

ايها القاتلون حسينا ابشروا بالمعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحامل الانجيل

قالت فبكيت وفتحت القارورة ، فاذا الحصيات جرت دما . اهـ

وفي رواية أخرى ان عليا رضى الله عنه مر بكر بلاء في مسيره
الى صفين وحاذى نينوى ، قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، على
الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الارض ، فقيل كربلاء فبكى ، ثم قال :
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك
يا رسول الله قال : كان عندي جبريل آتفا وأخبرني ان ولدى الحسين
يقتل بشاطئ الفرات ، بموضع يقال له : كربلاء ، ثم قبض جبريل قبضة
من تراب شمى اياه فلم املك عيني أن فاضتا . ورواه الامام أحمد مختصرا
عن علي قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث .
وروى غيره ان عليا مر بمشهد الحسين فقال : ها هنا مناخ ركابهم ، وها هنا
موضع رحالهم ، وها هنا مهراق دمائهم ، فنتية من آل محمد يقتلون بهذه
العرصة ، تبكى عليهم السماء والارض . وهناك روايات أخرى فلسنا في
حاجة الى استقصائها وكان سبب موته رضى الله عنه انه لما مات معاوية
في فاتح رجب سنة (60) هجرية وقد كان قبل موته اخذ البيعة لابنه يزيد ،
بطريق القهر والجبروت ، أمر بجمع عام حضره كبار الصحابة ، فجاء مما
قال فيه معاوية : ايها الملا المجتمعون للبيعة انى احببت أن اتقدم اليكم ،
وانه قد أعذر من أنذر ؟ انى كنت أخطب فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني
على رؤوس الناس فأحمل ذلك فأصفيح ، فانى قائم بمقالة ، فأقسم بالله
لئن رد على احد منكم كلمة في مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى

يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ، مع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ولا يبتز أمر دونهم ، ولا يفضى الا عن مشورتهم ، وانهم قد رضوا وباعوا ليزيد ، فباعوا على اسم الله ، فباع الناس ، وكانوا يتربصون ببيعة هؤلاء نفر . ثم ركب راحله وانصرف الى المدينة ثم منها الى الشام ، وهكذا نقض العهد معاوية الذى كان بينه وبين الامام الحسن ، وعليه طابع الخلافة وامضاؤه ، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر فى وجه معاوية ، قد جعلتها هرقلية يموت هرقل ويخلفه هرقل آخر . وتخلف عن البيعة من كبار الصحابة عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، والحسين بن على ، وكل هؤلاء فى المدينة المنورة . وبعد أن تولى يزيد شؤون الخلافة بعث الى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان كتابا يقول له فيه ، أما بعد : فخذ حسينا ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير أخذا ليس فيه رخصة حتى يباعوا والسلام .

فأرسل الى الحسين فجاءه ، فلما أخبره بموت معاوية ، وعرض عليه البيعة ليزيد ، ترحم على معاوية وقال له ان مثلى لا يباع سرا ، ولا يجتزا منى بها سرا ، فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم الى البيعة ودعوتنا معهم كان الامر واحدا ، فقال له الوليد وكان يفضل العافية انصرف اما ابن الزبير ففر الى مكة ، وظل يتنسك بها ، وقال انى لائذ بالبيت اما ابن عمر وابن عباس فباعا لما بايع الناس ، وتبعهم محمد بن الحنفية وأما الحسين فخرج بمن معه من أهله واخوانه وأبناء عمه ممن كانوا على رايه ، وتصد مكة ، فكان أهلها يختلفون اليه ، وكذلك من بها من المعتمرين وأهل الأنفاق ، فكان الحسين بها أثقل خلق الله على ابن الزبير لانه كان يريدتها لنفسه ، وكان أهل الكوفة يكرهون يزيد ، واجتمعت الشيعة الى منزل كبيرهم ، سليمان بن صرد الخزاعى ، واتفقوا أن يكتبوا الى الحسين يستقدمونه ليبيعوه فكتبوا اليه نحواً من (150) رسالة ولما رأى كثرة الصحف عنده كتب اليهم ، أما بعد : فقد فهمت كل الذى اقتصصتم ، وقد بعثت اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل ، وأمرته ، أن يكتب الى بحالكم وأمركم ورأيكم ، فان كتب الى انه قد اجتمع رأى

ملاككم وذوى الخجا منكم على مثل ما قدمت به رسلكم اقدم اليكم وشيكا ان شاء الله ، فلعمري ما الامام الا العامل بكتاب الله والقائم بالقسط ، والدائن بدين الحق والسلام . ثم وجه اليها مبعوثه مسلم بن عقيل ، فأحدث توجهه الى الكوفة ضجة كبرى في الدوائر الحكومية بالكوفة وكان عاملها الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضى الله عنه ، وكان يفضل العافية ، فصعد المنبر وقال : اما بعد : فلا تسارعوا الى الفتنة وانفرقة فانها فيها تهلك الرجال ، وتسفك الدماء ، وتفصب الاموال ، ثم قال : انى لا اقاتل الا من يقاتلنى ، ولا ائب على من لا يئب على ، ولا ائبه نائمكم ، ولا ائحش بكم ، ولا آخذ بالقرن ، ولا بالظنة والتهمة ، ولكنكم ان ابديتهم صفحتكم ، ونكتهم بيعتكم ، وخالفتم امامكم ، فو الله الذى لا اله الا هو لاضرينكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدي ، ولم يكن منكم ناصر ولا معين . فكتبوا ليزيد بورع النعمان ، فعزله عن الكوفة وضمها الى البصرة وجعلها تحت ولاية عبيد الله بن زياد بن أبيه المعروف بابن سمية ، فلما سمع مسلم بن عقيل بابن زياد استجار بابن هانىء المرادى فصارت الشيعة تجتمع اليه هنالك ، فبعث اليه ابن زياد واستقدمه فلما قدم عليه قال له : وما ذاك ؟ قال له ابن زياد : جئت بمسلم فأدخلته دارك وجمعت اليه السلاح والرجال ، وظننت ان ذلك يخفى علينا ، وطلب اليه ان يسلمه مسلم بن عقيل ، فامتنع ، خوف السب والعار ، فأمر به فضرب وسجن فى القصر ، ولما علم بذلك مسلم نادى فى أصحابه بشعارهم « يا مصور » وقد كان بايعه ثمانية عشر الفا وحوله أربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثيرون فعباهم وذهب بهم الى القصر ، فأحاط به وامتلا السوق والمسجد من الناس ، ولم يكن مع ابن زياد الا ثلاثون رجلا من الشرطة ، وعشرون من الاشراف . فبعث ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره ان يخرج فى جماعة من أصحابه ويخذل الناس ، وبعث محمد بن الأشعث بمثل ذلك ، ويرفع راية امان لمن جاءه من الناس ، وأمر بمثل ذلك غيرهم من الاشراف ، فجعلوا يخذلون الناس ، فمنعوا اهل الطاعة وخوفوا اهل المعصية ، فشرع اصحاب مسلم بن عقيل يتفرقون حتى لم يبق معه فى المسجد الا ثلاثون رجلا ، فاخنتى ، فأرسل اليه محمد بن الأشعث فجاء به فقتله ابن زياد ، وقتل صاحبه هانىء بن عروة المرادى .

الحسين يخالف نصحاءه

ولكن هل يغنى حذر من قدر ؟ لا ننسى ان اول من نصح الحسين اخوه الامام الحسن في مرض موته ، اذ قال له : ان أباك قد استشفوفا لهذا الامر فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، ثم استشفوفا لها ، وصرفت عنه الى عمر ، ثم لم يشك في وقت الثمورى انها لا تعدوه فصرفت عنه الى عثمان ، فلما قتل عثمان ببيع بها ، ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له ، وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوءة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك ؟ .

والثانى عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال له : بلغنى انك تريد العراق وانى مشفق عليك ! أن تاتى بلدا فيه عماله ، وأمرأؤه ، ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدرهم والدينار ، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن انت أحب اليه ممن يقاتلك معه ، فجزاه الحسين خيرا .

والثالث حبر الامة وعالمها عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما . قال له : قد أرجف الناس انك تريد العراق فخبرنى ما أنت صانع ؟ فقال : قد أجمعت أى عزمت المسير فى أحد يومى هذين ، فقال له أعيذك بالله من ذلك ، خبرنى رحمك الله ، أتسير الى قوم قتلوا أميرهم ؟ وضبطوا بلادهم ؟ ونفوا عدوهم ؟ فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم ، وان كانوا انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبى البلاد ، فانما دعوك الى الحرب ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك ، فيكونوا أشد الناس عليك . فقال الحسين : انى أستخير الله وأنظر ما يكون ، ثم جاء بن عباس فى ثانيته فقال : يا ابن العم انسى أتصبر ولا أصبر ، انى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، ان أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربنهم أقم بهذا البلد ، فانك سيد أهل الحجاز ، فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكذب اليهم ، فلينفوا عاملهم ، ويقتلوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم فان أبيت الا أن تخرج فسر الى اليمن ، فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شعبة ، وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب الى الناس وترسل ، وثبت دعائك ، فانى أرجو أن ياتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية ثم قال له : فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأؤه وولده ينظرون اليه ، فلم يفد كلامه شيئا .

آخر مشهد الحسين (رض)

بعد ما قضى الامام الحسين مناسك حجه سنة (60) من الهجرة ، واتصل بأهل العراق ، والحجاج من أهل الآفاق ، وكان جميع المسلمين في هذا العهد يجلون النفوذ الروحي ، ولم يروه كامل الخلال الا في بيت النبوة وكانت مكانة الحسين رضى الله عنه من بيت النبوة هي ما قد علمت من أنه ابن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ولهذا كان الحسين يرى انه أحق من غيره بهذا الامر ، اصف الى هذا ان النفوس الابية تأبى أن يقودها من هو أدون منها ، ومن أجل هذا وذاك ان الحسين رضى الله عنه كان ينظر الى حياته كأنه بين نارين ، نار هي الحياة الذليلة ، وذاك ما لا يرضاه من كان من بيت النبوة مثل الحسين ، ونار هي حتمية الموت على كل أحد في هذه الحياة ، وقد فضل الامام الحسين رضى الله عنه الجانب الاخير على حياة الذل والخنوع للمكر السافر ، لمن يعتبره ليس بكفاء كيزيد وكل ضحايا البيت النبوى العلوى صارت على هذا المنوال عبر عصور التاريخ .

خوض المعركة الشرقية الحاسمة

ومن أجل ذلك عقد الامام الحسين العزم الفولاذى على الخروج المحفوف بالمخاطر رغم نصح الناصحين ، فخرج بأهل بيته ومن معه من فرسان أهل بيته وانصاره لخوض المعركة الفاصلة بينه وبين أعدائه ، ولا عليه فيما وراء ذلك وبينما هو في بعض طريقته الى العراق اذ لقيه الفرزدق الشاعر محب آل البيت فسأله الامام الحسين عن خبر الناس ؟ فقال له : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء ثم تابع السير بأهله وشيعته ، ثم وافاه كتاب من أمير المدينة فيه الامان ، يطلبه الرجوع ، مع كتاب لابن عمه عبد الله ابن جعفر قسم له فيه بالله ويناشده الرجوع ، فأبى الا أن يتابع السير ، ثم لقيه عبد الله بن مطيع فسأله ؟ ولما-تيقن منه العزم على المضى ، قال له : اذكرك الله يا ابن رسول الله ، وأحرمة الاسلام ان تنتهك ، أنشدك الله في حرمة العرب ، فو الله لئن طلبت ما في أيدي بنى أمية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون أحدا بعدك ، والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش ، وحرمة العرب فلا تفعل ولا تاتى الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبنى أمية ، فأبى الا أن يتابع السير ، ولما كان بموضع يدعى الثعلبية جاءه خبر مقتل

طبيعته الى العراق ابن عمه مسلم بن عقيل ، ثم قال له بعض شيعته :
 ننشذك الله الا ما رجعت من مكانك ، فانه ليس لك بالكوفة شيعة ولا
 ناصر ، بل نتخوف أن يكونوا عليك ، كل هذا والامام الحسين رضى الله عنه
 مصمم العزم على خوض المعركة بمن معه من أبطال قومه وشيعته ، انها
 المعركة التى يرى فيها نهايته ، ثم جعل يخرج عنه من دخله الرعب من
 شيعته لما تحققوه من خسارة موقفهم معه ، ولم يبق معه الا بعض أنصار
 شيعته وأبناء عمه ، ثم لما دنا من أرض المعركة جعل يفكر فى الرجوع ، فلما
 علم بذلك بنو عقيل ، اخوة مسلم الطليعة الهالك ، وثبوا عليه وقالوا له :
 والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا ، أو نتذوق ما ذاق مسلم ، فسار حتى نزل
 « بطن العقبة » على ثلاث من القادسية ، وهناك تقدم اليه رجل ، وهو ابن
 يزيد التميمي من العرب فقال له : أنشدك الله الا ما انصرفت ، فوالله ما
 انت قادم الا على الاسنة وحد السيوف ، ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا
 كفوك مؤونة القتال ، ووطنوا لك الاشياء ، فقدمت عليهم لكان ذلك رأيا ،
 فاما على هذه الحال التى تذكر فلا أرى أن تفعل . ولما انصرف عن « شراف »
 اسم موضع لقيته فيه خيل ابن زياد لم يكن معهم أمر بقتاله ، وعددهم ألف
 فارس وعلى رأسهم الحر بن يزيد التميمي ، فقال لهم الحسين : أيها الناس
 انها معذرة الى الله واليكم ، انى لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن
 أقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى . فقد جئتم
 فان تعطوني ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم ، وان لم تفعلوا وكنتم
 لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أتبلنا منه ، فلم يجيبوه على
 شيء من ذلك ، ! ثم قال له الحر : انا أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك
 حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد — المتعطش لدماء أهل البيت
 — فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ، ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا
 فمنعهم الحر من ذلك ، فقال الحسين ثكلتك أمك ما تريد ؟ فقال : أما والله
 لو غيرك من العرب قالها ما تركت ذكر أمه بالثكلى كائنا من كان ، ولكنى
 والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن مما نقدر عليه .

ثم صار الحر يراقبه حتى لا يتمكن من الانصراف ، فترك الحسين
 فى اتجاهه شمالا الى أن وصل « نينوى » وهناك قدم عليهم جيش القتال
 المبعوث من طرف عبيد الله بن زياد بن سمية المعروف هو وأبوه بالمتعطش
 لدماء أهل البيت ، وعلى رأسه عمر بن سعد بن أبى وقاص عدده (19) ألفا
 فلما قدم أرسل الى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به ؟ فقال الحسين

كتب الى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم ، فاما اذا كرهوني فاني أنصرف عنهم ، فكتب عمر الى ابن زياد بذلك ، فأجابه قائلاً : الآن اذ عرضت مخالبتنا به يرجو النجاة ، ولات حين مناص ! . وكتب له أن يعرض البيعة على الحسين ، فاذا قبل ذاك رأينا رأينا فيه ، وأن يمنعه هو ومن معه الماء وعرضوا عليه أن ينزل على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى ، فنظر الى من معه من المقاتلين ، فلم يبق معه الا (81) رجلا ، فنشب القتال بين الفريقين ، وجعل الامام الحسين ينشد ويقول :

انا ابن علي الحبر من آل هاشم كفاني بهذا مفخرا حين افخر
وجدى رسول الله اكرم من مشى ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

فالتحمت المعركة بين الفريقين ، وصارت القتلى تسقط من الجانبين فجعل الابطال من شردمة الحسين يصرعون الاقران عن اليمين والشمال فحال جيش زياد بينهم وبين الماء ، ولما طلب الحسين الماء وجده قد حالوا بينه وبينه ، فكر على الماء فضربه رجل منهم بسهم فأصابه في حنكه فقال : اللهم اظمئه . ولما بلغت القتلى (50) رجلا من أصحابه صاح الحسين اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ خرج يزيد بن الحرث الرياحى من عسكر اعداء الحسين راكبا فرسه ، وقال يا ابن رسول الله لان كنت اول من خرج عليك ، فانا الآن من حزبك لعلى انال بذلك شفاعة جدك ، ثم قاتل بين يديه حتى قتل ، ولما كاد القتال ياتى على جميع أصحابه ويبقى بمفرده حمل عليهم حملته الاخيرة فقتل كثيرا منهم ، ثم حمل عليه جمع كثير من اعدائه ، وكانت مكيدتهم الاخيرة ان حالوا بينه وبين الماء ، ومنعوا حريمه النساء والاطفال منه ، فصاح عليهم كفوا سفهاكم عن النساء والاطفال ، فكفوههم ، ثم لم يزل رضى الله عنه يقاتل حتى قتل وبعد ان ائخذوا بالجراح وسقط على الارض ، طلع على صدره الشقى المسمى (شمر) بعد ما وطئه بحافر فرسه ، فقال له : رضى الله عنه لقد رقيت مرتى عظيما يارويعتى الغنم ، فحز رأسه ثم حملوها الى ابن زياد مع السبايا ، ولما احصيت القتلى من الجانبين ، وجدوا الى جانب الحسين من أصحابه (72) قتيلاً ، بقيت جثثهم بكريلاء طعمة للوحوش والسباع ، الا الحسين فان جثته دفنت بكريلاء ، وبقي قبره مزارة يتبرك بها الى زمن الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة (237) هجرية واحصيت قتلى اعدائه فوجدت (88) تزيد على قتلاهم بسنة

عشر قتيلًا وقتل معه من بنى أخوته وبنى عمه وبنى أخيه الحسن من اولاد جعفر وعقيل نحو (19) قتيلًا شابًا ، وقيل : (21) .

قال الحسن البصرى رضى الله عنه ما كان على وجه الارض يومئذ لهم شبيهه . وصادفت الواقعة اليوم (10) من المحرم وهو يوم عاشوراء من سنة (61) هجرية ، ومما يحمل على العجب ان هذا الجيش لم يكن فيه احد من أهل الشام ، بل كان كله من أهل العراق ، الذين هم شيعة على وأبنائه وبعد انتهاء المعركة حملوا رأس الامام الحسين وبعض رعوس أصحابه على الرماح الى ابن زياد ، ومعها النساء والصبيان من بنات الحسين وأخوته وفيهم على بن الحسين الملقب زين العابدين صغير مريض ، ولما وضعت الرأس الشريفه بين يدي ابن زياد ، جعلت في طست ، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول : — به في أنفه — ما رأيت مثل هذا حسنا ان كان لحسن الثغر . وفي صحيح البخارى ، حدثنا جرير عن محمد عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أتى عبید الله بن زياد برأس الحسين بن على عليها السلام فجعل في طست فجعل ينكث ، وقال في حسنه شيئًا ، فقال أنس : كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مخضوبا بالوسمة .

وروى ابن ابى الدنيا انه كان عنده زيد بن أرقم رضى الله عنه فقال له : ارفع قضيبك ، فو الله لطلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل ما بين الشفتين . ثم جعل زيد رضى الله عنه يبكي ، فقال ابن زياد : أبكى الله عينيك ! لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك ، فنهض وهو يقول : ايها الناس ، انتم العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، والله ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم ، فبعدا لمن رضى بالذلة والعار ، ثم قال يا ابن زياد لاحتثك بما هو أغيب عليك من هذا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتمعد حسنا على فخذة اليمنى ، وحسنا على فخذة اليسرى ، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال : اللهم انى استودعك اياهما وصالح المومنين . فكيف كانت وديعة النبى صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد ؟ . ثم أمر ابن زياد بالرعوس والسبايا من بيت الحسين من النساء والاطفال بغير وطاء في ذل وانكسار ، والرعوس على الرماح ، الى يزيد بن معاوية بدمشق . وورد لما دخلوا دمشق برأس الحسين ابن على عليها السلام ، أخرجت زينب بنت الحسين رأسها من الخباء وهى ناشرة شعرها وواضعة يدها في كمها على رأسها وهى

تبكى وتقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم
بعتري وبأهلى بعد مفتدى
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

ولما وضعت الرعوس والسبايا بين يدى يزيد كان عنده أنس بن مالك
رضى الله عنه قيل : انه ترحم على الحسين ، وتكر لابن زياد ، وأرسل
براسه وبقية بنيه الى المدينة وقال سبط ابن الجوزى وغيره : المشهور انه
جمع أهل الشام ، وجعل ينكت الراس بالخيزران . وجمع بأنه أظهر الاول
وأخفى الثانى ، بقريئة انه بالغ فى رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه ، قال
ابن الجوزى : وليس العجب الا من ضرب يزيد ثانيا الحسين بالقضيب ،
وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موتقين فى الحبال ،
والنساء مكشوفات الرعوس والوجوه ، وذكر اشياء من قبيح فعله . وأصح
الاتوال ان الراس الشريف وضع فى خزانة يزيد ، وروى ان سليمان بن عبد
الملك رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام يلاطفه ويبشره فسأل الحسن
البصرى عن ذلك ، فقال له : لعلك صنعت الى آله معروفنا ، قال : نعم ،
وجدت راس الحسين فى خزانة يزيد ، فكسوته خمسة أثواب ثم صليت عليه
مع جماعة من اصحابى وأقربته ، فقال له الحسن ، ذلك هو سبب رضاه
عنك . ثم أمر للحسن المثنى الذى كان وصيا على أهل بيته من طرف أبيه
الحسن السبط بجائزة سنية .

وبعد مرور سنين نقل الرأس الشريف الى مصر وأقبر فى مدينة القاهرة
ثم بنى عليه مشهد عظيم ، وبداخله على الرأس الشريف قبة من خشب
مغلقة بالفضة الخالصة مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم بحروف مجسمة
بارزة فاخرة من الذهب الخالص . تقدر قيمة ذلك بنحو ثمانية ملايين جنيه
إسترلينى ، بعثت بها الحكومة العراقية فى عهد الملك فيصل الى مصرفى عهد
الملك فاروق تحت حراسة شديدة ، ثم صنعت بأيد تقنية صنعا محكما حتى
جاءت فى شكل مرووع ، ويحيط بذلك سياج من حديد يبعد عنه بنحو المتر
حتى لا تصل اليه يد الساقطين من الزائرين ، ويوجد لدى الضريح المذكور
حراسة مستمرة دائمة ، حدثنى به بعض الاخوان المصريين . وقد غير يهودى
المسلمين عند ما رأى فوهمهم بالامام الحسين ، وقال لهم بينى وبين داود عليه
السلام سبعون أبا وان اليهود تعظمنى وتحترمنى وأنتم قتلتم ابن نبيكم بعدما
نفضتم يدكم من تراب دفنه .

واما مصير الجثة الشريفة التي تركت بين الجثث الشهيدة نهبا للطيور والسباع بكربلاد ، قيل : قد ذهب اليها بعض الشيعة ودفنوها هناك ، وبنو عليها بيتا والى جانب البيت مسجد للصلاة ، ودور للزائرين ، ومع مرور الايام صار الناس يقصدونها للتبرك بها من كل مكان ، ويقيمون حولها لقضاء حاجاتهم ، كما كانوا يقيمون ذكرى لصاحب الضريح تحت اسم مأساة كربلاء كل سنة الى زمن المتوكل سنة (237) هجرية ، ويعرف المتوكل ببغضه للبيت العلوى وآل على ، وكان عليهم أشد ممن مضى من أسلافه ، ويكره من أسلافه من كان يرى له عظفا على البيت العلوى . كالمؤمن ، والمعتمصم ، والواثق ويأخذ عليهم في محبتهم لعلى وآل بيته . وكان ينادمه جماعة على ذلك فكانوا بطانة سوء عليه ، وكانوا يخيفونه أكثر من البيت العلوى ويشيرون عليه ببغض آل البيت العلوى وابعادهم ، والاعراض عنهم ، والاساءة اليهم ، ثم حسنوا له الوقية في أسلافهم ، الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ، ومن آثار تلك الكراهة انهم حسنوا له هدم قبر الامام الحسين بكربلاد وبتره كلية ، حتى لا يصير الناس مجتمعين عليه ذاكرين لتاريخه ، وقد أعطى أوامره لعامله على الكوفة بأن يمنع كل من أراد زيارته والاجتماع حوله ، فنادى صاحب الشرطة في الاقليم والنواحي من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثناه للمطبق فهرب الناس خوفا على انفسهم من لقاء العقاب ، وفي السنة المذكورة بعث لهدم الضريح الشريف بكربلاد وهدم ما حوله من المسجد ومنازل الزوار ، وأمره بسقى الارض وحرثها وزرعها ، فصارت أرض مزرعة ، ولم يبق اثر للحسين بالعراق الا من جانب احفاده رضى الله عنهم ، وكان امام الامامية في عهد المتوكل « أبو الحسن على الهادى » بن محمد الجواد بن على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فسعوا به الى المتوكل فاستقدمه من المدينة الى سامرا معسكر جيشه ، ووضعه هناك تحت الإقامة الجبرية (20) سنة .

انتقام الله العاجل لاجبائه وأوليائه

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . الحديث أى أعلمته انه محارب لى ، ومن حارب الله أهلكه . أخى

المستبصر في العواقب عافانا الله وإياك من الوقوع في معاداة أولياء الله تعالى ، فإن السعيد من اتعظ بغيره ، قال تعالى : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور « ولبعضهم : يغمى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن انظر واعتبر فان لم يكن الحسن والحسين وأبوهما أولياء الله ، فمن يكون وليا لله ؟ لانهم رضى الله عنهم تشرفوا على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بنزول القرآن فيهم ، وورود السنة المطهرة في فضلهم ، فصار الايمان بفضلهم من جملة الايمان بالله ورسوله ، والله تعالى غيرة على اوليائه ، لانه هو الذى يتولى رعايتهم ، ومحاربة من عاداهم . ومعاداتهم تكون ببغضهم وحسدهم ، وظلمهم واغصابهم ، والدس لهم بالقول والفعل ، وكل ما يؤذيهم من مثل هذه الاثيياء وأحرى قتالهم وقتلهم ، وكل من آذاهم بشيء من ذلك . فهو مؤذ لله ورسوله ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، فاطمة بضعة منى يؤذيها ما يؤذيها ، ويغضبني ما يغضبها . كما تقدم في فضلها . واستثنى من ذلك الخصومة معه في نحو حق خفى وجهه .

وسياتى تعريف من هو الولي في الكلام على الاولياء ، وقيل : كما تدين تدان والمرء مقتول بما قتل به ، وكن يقظا فيما سيعرض عليك من مصير اعداء الامام الحسين الذين خذلوا فحاق بهم الهلاك واحدا تلو الآخر ، وهو ما ستراه واقعا بأولئك المخذولين العناية من اهل الشقاق والنفاق الذين انتهكوا حرمة الله بما أوتوه من قوة عز ، وسلطة بأس ، واستعملوا جميع ذلك فيما يغضب الله ورسوله ، مسوقين وراء شهواتهم الشيطانية غير مكرثين بما يوتعمهم في غضب الله ورسوله عليهم مستعجلين لانفسهم الجزاء من جنس العمل : وجزاء سيئة سيئة مثلها « لقد اثاروا غضب الله ورسوله عليهم بانتهاك حرمة الامام الحسين رضى الله عنه ، وبارتكابهم ما ارتكبوا اعماهم الله وشئت شملهم ، وخيب املهم وامانيهم وأفسد رأيهم فأظلم امامهم طريق الرشاد وانقلبوا على انفسهم وحبب اليهم الانتقام ، وجعل بعضهم يقتل بعضا قبل ان يغسلوا أيديهم من دم الامام الحسين رضى الله عنه حتى هلكوا عن آخرهم في وقت قليل وها انا ابن لك مصارعهم ، لتعلم ان وعد الله حق « وانه انتقام الله منهم بفساد رأيهم وجعل كيدهم في نحرهم ، حتى هلكوا عن آخرهم .

وكان أولهم هلاكا عدو الله الشقى المسمى — شمر — الذى طلع على صدر الامام الحسين واحتز رأسه ، ولما وضع الرأس الشريف بين يدي

الملعون عبید الله بن زیاد ، جعل ینشد ویقول بطرا اشرا :

املاً ركبای فضة وذهبا فقد قتلت الملك المحجبا
ومن یصلی القبلتین فی الصبا وخیرهم اذ یذكرون النسبا
قتلت خیر الناس اما واما

فأغضبت هذه الإبيات ابن زياد ، وقال له : اذا علمت ذلك فلم تقتله ؟
والله لا نلت منى خيرا ، ولا لحقتك به ثم امر به في الحال فضرب عنقه ،
بعد أن وطىء ظهره وصدره بحافر الخيل ، فكانت المجازات بالمثل القائل
المرء مقتول بما قتل به ، وكما تدين تدان ، وهذه أمثال ضربت في الجزاء
من جنس العمل وكان قائد الجيش في وقعة كربلاء ، المختار ابن ابي عبید ،
ودونه عمر بن سعد بن ابي وقاص ، عامل البصرة يومئذ ، ثم ثار المختار
على ابن زياد ، وقتل عامل البصرة عمر بن سعد المذكور ، وهو الصريع
الثاني ، وفر ابن زياد من بطش المختار الى الشام ، وشكر الناس المختار
على ذلك ، ثم تنبأ المختار أخيرا عن خبث قبيح ، حتى زعم انه يوحى اليه ،
وان محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر ، ويسمى المختار في هذا العهد ،
رجل الفتنة الكبير ، ثم تحركت فتنة أخرى يقودها رئيس الشيعة سليمان
ابن سرد ، وكان من الذين تمائلوا على قتال الامام الحسين لكنهم ندموا
على خذلانه ، وسموا انفسهم بالتوابين ، وراوا انهم لا يخرجون من هذا
الذنب حتى يأخذوا بثأر الامام الحسين فجمعوا الرجال والسلاح وخرجوا
يطلبون بدم الامام الحسين ، وذلك بعد موت يزيد بن معاوية سنة (65)
هجرية ، فالتقوا بجيش الشام يقوده عبید الله بن زياد ، كان متوجها الى
العراق ليخرجها من يد مصعب بن الزبير ، أخى عبد الله بن الزبير أمير
مكة والحجاز يومئذ ، بموضع يعرف بعين وردة فكان بين الفريقين موقعة
عظيمة قتل فيها سليمان بن سرد ، الذي كان خرج تائبا ، وقتل معظم
من كان معه ولم ينج منهم الا القليل ، وهذه هي الضحية الثالثة من أعداء
الامام الحسين رضى الله عنه ، وكانوا ستة آلاف ، وكانت بلاد العراق
منقسمة على نفسها بين ثلاث فرق ، فرقة خوارج ، وفرقة زبيرية ، وهم
الذين بايعوا عبد الله بن الزبير أمير مكة والحجاز ودخلوا في طاعته ،
وفرقة شيعية وهم من قد علمتم وقتل مع سليمان رئيسان عظيمان للفتنة ،
وهما عبد الله بن سعد الأزدي وعبد الله بن وائل البكرى ، وكان الصريع
الرابع يزيد الملعون بن معاوية الذي استحل حرمت الله ، خرج عليه أهل
المدينة المنورة ، فبعث اليهم مسلم بن عقبة المري ، وقال له يزيد ادعهم

ثلاثا ، فان ابوا فابحها لهم ثلاثا ، فكان ما فيها من مال او دابة او سلاح فهو للجند ، فحارب المدينة وتغلب عليها ، وابعها للجند ثلاثا ، وهى البلد الحرام ، فكان يزيد اول من احل ما حرم الله . ودارت عليها معركة شديدة تعرف بمعركة الحرة ، انتهت بهزيمة اهل المدينة بعد قتل ساداتها ، وكان ذلك فى (28) حجة ، سنة (63) هجرية .

ثم ان مسلما لما انتهى من امر المدينة تحول عنها وذهب الى مكة ، وبعد ان وصل اليها حاصرها وقاتل أميرها عبد الله بن الزبير ، ثم لما استمر فى حصار مكة اصابه داء الشلل فهلك منه ، واستخلف على الجند الحصين بن نهر ، كما امر يزيد بذلك ، فواصل حصين بن نهر حصار مكة ، وكان ذلك فى (26) محرم الحرام فاتح (64) هجرية فخرج أميرها عبد الله بن الزبير ، للقاء اهل الشام فحاربهم فانهزم جنده ، ورجع الى مكة ، فقدم عليه نجدة بن عامر الحنفى الخارجى يمنع مكة وبقي القتال متواصلا بين الطرفين ، حتى رموا البلد الحرام بالمنجنيق (37) يوما حتى اتاهم نعى يزيد الملعون ، وهذا احلال ثانى لما حرم الله ، والثالث احلال دم عترة النبى صلى الله عليه وسلم . فتوقف القتال ، فحرق يزيد حرمة البلد الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، وسفك الدم الحرام ، وهذا غاية ما يكون فى تهتك حرمة الله بالاضافة الى حرمة اعراض اهل المدينة التى اباحها ثلاثا للجند وقد توج هذه الحرمة بقتل الامام الحسين رضى الله عنه ، من قبل ، وبهذا انتهت حياة هذا التعس اللئيم ، ولم يمكث الا ثلاث سنوات و (64) يوما كلها شرور وخزى وعار وكان هلاكه موافقا 10 نوفمبر سنة 683 ميلادية .

ثم فرجع الى امر المختار بن ابي عبيد الثقفى ، وكان وثوبة على دعوته باسم محمد بن الحنفية ، زاعما انه هو الذى ارسله للاخذ بثار الامام الحسين رضى الله عنه ، وكان خروجه فى (14) ربيع الاول ، سنة (66) هجرية ، بعد موت مروان بن الحكم ، الخليفة الاموى الثالث فى رمضان سنة (65) هجرية ، وكان تولى الخلافة فى (3) ذى القعدة الحرام سنة (64) هجرية ، ولم يمكث فيها الا (11) شهرا ، ثم وليها بعده ابنه عبد الملك ، فبويع بالخلافة بعد موت ابيه سنة (65) هجرية . وبقي فيها الى منتصفها شوال سنة (86) هجرية ، وكانت مدة خلافته (21) سنة . وهو الذى صفا له الجو بعد ما تكدر بموت الامام الحسين ، مدة (13) سنة وكان المختار يود فى خروجه ان يتبعه ابراهيم بن الاشر ،

لقوة بطشه وسمو شرفه وبعد قليل دخل ابراهيم بن الاشر تحت بيعة المختار ، فكان من أمره أن وثب وثار على الكوفة ، وهى يومئذ فى طاعة ابن الزبير صاحب مكة والحجاز ، فدخلها وكانوا ينادون بثار الحسين ، فبايعه أهل الكوفة ، وكانت بيعتهم له على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت ، وقتال المحلين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلهم ، ومسالمة من سالمهم ، ثم بعث العمال على الامصار وهو بالكوفة يومئذ لا يهيمه الا تعبئة الجيش ، وانتخاب رجاله ، ثم تتبع قتلة الحسين ، فقتل على من بقى منهم ، وهذه هى الضحية (5) وكان محمد بن الحنفية ومن معه بالبصرة ، فجعل أهل البصرة يبايعون المختار ، فلما أحس عاملها مصعب بمبايعة أهل البصرة المختار ، دعا محمدا ابن الحنفية ومن معه من أهل بيته ، وطلبهم بالبيعة لامير مكة فأبوا عليه ، فأمر بهم الى السجن فسجنوا فأرسل اليهم المختار من خلصهم من السجن ، ثم ان المختار لا زال منهمكا فى تعبئة الجيش وجمع العدة ، واختيار الرجال لمحاربة عبد الملك بن مروان الذى هو بدوره يستعد كذلك لفتح بلاد العراق ، وتصفيتها من الاقطاع فبعث جيشا من الشام بقيادة عبيد الله بن زياد ، فخرج اليه المختار وجعل قائده على الجيش ابراهيم ابن الاشر ، فسار حتى التقى بجنود الشام ، على نهر الخزر فكان بين الفريقين موقعة هائلة انتصر فيها ابن الاشر ، امير الاقطاع . وقد قتل فى هذه المعركة المباركة عدو الله وعدو الامام الحسين عبيد الله بن زياد .

قتل عبيد الله بن زياد

قتل عبيد الله بن زياد بن سمية الملعون ، وكان هو الكبش السمين الثمين من هذه الضحايا المتقدمة ، سنة (69) هجرية ، ثم أتى رجال من اشراف الكوفة لم يرضوا بالمختار ، الى مصعب بن الزبير بالبصرة ، وطلبوا اليه أن يخلصها من يد المختار فأجابهم الى ذلك ، ووجه اليهم مصعب جيشا عظيما قاده بنفسه ، ومعه اشراف المصريين ، فصار نحو الكوفة ، فخرجت اليه جنود المختار ، فالتقى الفريقان عند المذار فانهزم جيش المختار ، وتابعه مصعب حتى وصل الكوفة ، وقتل بها اصحاب المختار حتى قهرهم ثم خرج المختار من القصر مستقتلا فقتل ، وقتل جميع من كانوا معه بالقصر صبورا . وهذا هو الضحية السابع من اعداء الامام الحسين رضئ الله عنه ثم جعل مصعب يعبىء الجيش وينتقى الرجال والسلاح

لمواجهة عبد الملك بن مروان ، ثم خرج عبد الملك في جيش متوجها الى العراق يقوده بنفسه فتجهز له مصعب بن الزبير بجيش جرار ، وجعل على رأسه ابراهيم الاشر فتقابل الجيشان « بمسكن » فانهمز اهل العراق ، وقتل ابراهيم الاشر وهو الضحية (8) وبقي ابن الزبير في قليل من المخلصين فأنشد :

وان الاولى باللفظ من آل هاشم تاسوا فسنوا للكرام التاسيا
ثم تابع مصعب القتل حتى قتل ، سنة (72) هجرية . وبقتله دخل العراق في يد عبد الملك ، ورجع الامر فيه الى بنى أمية ، ولم يبق له الا الحجاز ومكة ، في يد عبد الله بن الزبير ، فجهز له عبد الملك جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي .

واخرج الحاكم من طرق متعددة انه صلى الله عليه وسلم قال : قال جبريل : قال الله تعالى : انى قتلت بدم يحيى بن زكرياء سبعين الفا ، وانى قاتل بدم الحسين بن على سبعين الفا . ولم يذكر ابن الجوزى هذا الحديث في الموضوعات ، وليس معنى الحديث ان هذا العدد كله اشترك في قتل الحسين ، بل تبع قتله تدهور في العقول ، وفساد في الراى ، وفتنة ادت الى قتال طويل ، يمكن ان يكون وفي بهذا العدد وزاد عليه ، ولم تستقر الاوضاع حتى قتل امير مكة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه سنة (73) هجرية ، ثم بعد ذلك توحد امر الامة الاسلامية لعبد الملك بن مروان ، وكانت عمالة الحجاج على يديه لاهل العراق خاتمة عقد لما سبق كما سيأتى الكلام على ذلك . ثم عاش عبد الملك بن مروان بقية حياته في استقرار وأمن ، واطمئنان نفس ، في الشؤون الداخلية للدولة الاسلامية ، الامر الذى ساعده على القيام بأعمال خارجية ، فجهز الجيوش وبعثها في الفتوحات ، ففتحت على يده بلدان شاسعة الاطراف من شمال المملكة وجنوبها في القارة الاسيوية من بلاد خراسان شرقا الى شمال افريقيا غربا ، ومنها الى غرب أوروبا بما يعرف ببلاد الاندلس ، ولن يزال آثار ذلك شاهدا بعظمة ما كان عليه القوم الى اليوم ، ولن يزال اثر ذلك من كل بلد اسلامى لا يسع احدا انكاره . ولن يمضى على الدولة الاسلامية نصف قرن حتى اكتسح الاسلام نصف الكرة الارضية ، في الفتوحات الاموية .

ومن غريب الاتفاق ما رواه عبد الملك بن عمير قال : دخلت قصر الامارة بالكوفة على ابن زياد ، والناس عنده سماطان ، ورأس الحسين

على ترس عن يمينه ، ثم دخلت على المختار فيه ، فوجدت رأس ابن زياد عنده ، وعنده الناس كذلك سباطان ، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فوجدت عنده رأس المختار عنده كذلك ، ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك فأخبرته بذلك ، فقال : لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدم القصر ، ثم بعد ذلك استعمل عبد الملك بن مروان على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي جزار البشرية الشهير وقد نص المؤرخون ان قتلى الحجاج بين الرجال والنساء يفوق السبعين الفا فكان فريد دهره في سفك الدماء البشرية ، واشتهاره بذلك عبر عصور التاريخ بين الخاصة والعامة ، وقد تحققت بذلك فيه دعوة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما هاله أمر العراق ، فقال فيهم : أهل العراق أهل الشقاق والنفاق ، اللهم عجل فيهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم حكم الجاهلية ، لا يرحم صغيرهم ولا يوقر كبيرهم وهذا من مكاشفات عمر ، واجابة دعائه .

ثم مرت فترة على أهل البيت العلوي أخذوا فيها شيئا من الراحة ، ابتداء من زمن عبد الملك بن مروان سنة (65) هجرية ، وانتهاء بمروان الثانى (13) من الخلفاء الامويين سنة (127) الا ما كان من خروج زيد بن على زين العابدين بن الامام الحسين ، قتله وصلبه هشام بن عبد الملك ، وقد كان سبب خروجه ظلم وطغيان يوسف بن عمر عامل المدينة ، فخرج بالكوفة في نحو (15) الف ، وقيل أربعون من مبايعيه ، وقد نصحه بعض أبناء عمه بأن الكوفة لا يعتمد عليهم ولا يعول على قولهم في الخروج خشية أن تتكرر مأساة جده الحسين ، فأبى الا أن يخرج ، فخانه الحظ فلقى نفس المصير والأمر لله وحده . وقد كان اتفق مع شيعته على اليوم الذى يخرج فيه فلم ياته الا مائتا مقاتل ، فقاتل حتى قتل ، ودفنه أصحابه ، فدل على قبره ، ثم نبشوه وأخرجوه وصلبوه بباب الكناسة من الكوفة وسيروا رأسه الى هشام بن عبد الملك ، فصلبه على احدى أبواب دمشق والذى يبعث على الاسف الشديد ، ان ابنه يحيى خرج من بعده فلقى نفس مصير أبيه ، فاتا لله وانا اليه راجعون « من هذه الحياة التى هى أشبه بالجحيم على هؤلاء حتى جعلتهم يذهبون ضحايا مآسى الظلم والطغيان الواحد تلو الآخر ولا حول ولا قوة الا بالله .

واثر هذه الحوادث دخل الانهيار في دولة بنى أمية ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية وهو الذى تناظر مع بعض شيعته فرفضوا نظريته

فسماهم الرافضة ، وهذه هي الشيعة المتطرفة ، ولا تزال طائفة منها موجودة بالعراق الى الآن ، وكان سبب تسميتهم بهذه الكلمة انهم رفضوا امامة الشيخين « أبى بكر وعمر » رضى الله عنهما ، وعدوها غاصبين لحق على كرم الله وجهه ومن الشيعة الزيدية طوائف باليمن ، وهم سنيون .

بيت على من السبطين له جناحان

ثم ان بيت امير المؤمنين على كرم الله وجهه من السبطين تفرع الى جناحين جناح أغلب أحفاده بالمشرق ، وهم ذرية الامام الحسين السبط رضى الله عنه وجناح أغلب ذريته بالمغرب وهم ذرية الامام الحسن السبط رضى الله عنه وذرية هذين الامامين هي المقصودة عندنا بالبحث فى أهل البيت من هذا الكتاب وقد قدمنا الكلام فيه على جناح أهل المشرق لتتفرغ للكلام على جناح أهل المغرب لتوحيدهما فى المآسى والاحزان ومن الجناح الاول .

الائمة الاثنا عشرية

اتجهت فرق الشيعة الى الاهتمام بهؤلاء الائمة ، وخصوصا الائمة الاثنا عشرية منهم ، ومن بين تلك الفرق الفرقة التى أطلق عليها اسم الامامية ، وهؤلاء الائمة هم : (1) الامام على بن أبى طالب ، وصى النبى صلى الله عليه وسلم و (2) الامام الحسن السبط وصى على كرم الله وجهه و (3) الامام الحسين السبط ، وصى الامام الحسن رضى الله عنهما . وكل واحد من هؤلاء الائمة الثلاث ذكرنا عنه ما يكفى فى التعريف به . و (4) ابنه الامام على زين العابدين ، ولم يخلف الامام الحسين شهيد كربلاء سواه ، ولم تقتصر درجته فى الفضل عن درجة أبيه ، فكان رضى الله عنه عالما عابدا زاهدا ، وكان اذا توضع اصغر لونه ، فقيل له فى ذلك : فقال : الا تدرون بين يدي من اقف ؟ ، وحكى عنه انه كان يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة ، ومن شعره :

فان ثواب الله أعلى وأنيل	فان تكن الدنيا تعد نفيسة
فقله حرص المرء فى الكسب أجمل	وان تكن الأرزاق ههما مقدر
فقتل امرىء فى الله بالسيف أفضل	وان تكن الإبدان للموت انشئت
فما بال متروك به المرء يبخل	وان تكن الاموال للترك جمعها

وله أيضا :

يارب جوهر علم لو أبوح به لقليل لى أنت ممن يعبد الوثن
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما ياتونه حسنا
انى لاكتم من علمى جواهره كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتن

وحكى ابن حمدون عن الزهرى ان الخليفة عبد الملك بن مروان حمله مقيدا من المدينة بأثقله من حديد ، ووكل به حفظة ، فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى ، وقال : وددت انى مكانك ، فقال : أنتظن ان ذلك يكربنى ؟ ولو شئت لما كان ، وانه ليذكرنى عذاب الله ، ثم أخرج رجله من القيد ، ويديه من الغل ، ثم قال : لاجرين معهم على هذا يومين من المدينة ، وبعد مضى يومين فقدوه حين طلع الفجر ، وهم يحرسونه ، فطلبوه فلم يجدوه ، قال الزهرى فقدمت على عبد الملك فسألنى عنه فأخبرته فقال : قد جاءنى يوم فقدته الاعوان ، فدخل على فقال : ما أنا وأنت ؟ فقلت أقم عندى فقال : لأحب ، ثم خرج ، فو الله لقد امتلا قلبى منه رعبا . ثم كتب عبد الملك ابن مروان للحجاج بن يوسف ، ان يتجنب دماء بنى عبد المطلب وأمره ان يكتم ذلك ، فكوشف به الامام زين العابدين ، فكتب اليه انك كتبت للحجاج يوم كذا سرا فى حقنا بنى عبد المطلب بكذا ، أى اجتنب دماء بنى عبد المطلب وقد شكر الله لك ذلك ، وبعث به اليه ، فلما اطلع عليه عبد الملك ، وجد تاريخه موافقا لتاريخ الكتاب ، ومخرج الغلام موافقا لمخرج رسول عبد الملك الى الحجاج ، ففتطن عبد الملك ان عليا زين العابدين كوشف بأمره ، فسر به ، وارسل اليه مع غلامه بوقر راحلة دراهم وكسوة ، وسأله ان لا يخليه من دعائه .

وأخرج أبو نعيم والسلفى انه لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة ابيه لم يمكنه ان يصل الى الحجر الاسود من شدة الازدحام ، فنصب له منبر الى جانب زمزم وجلس ينظر الى الناس ، وحوله جماعة من اعيان أهل الشام ، فبينما هو كذلك ، اذ أقبل زين العابدين : فلما انتهى الى الحجر تنحى به الناس حتى استلم ، فقال أهل الشام لهشام ، من هذا ؟ قال لا اعرفه ، وقد فعل ذلك هشام حتى يخفيه عليهم ليلا يعظم شأنه فى اعيانهم ، فتقوى رغبتهم اليه فسألوا الفرزدق ، فقال أنا اعرفه ثم أنشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى التقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها : الى مكارم هذا ينتهى الكرم

عن نيلها عرب الاسلام والعجم
 بجده انبياء الله قد ختموا
 العرب تعرف من انكرت والعجم
 يستوكفان ولا يعرفهما عدم
 يرينه اثنان : حسن الخلق والشيم
 حلو الشمائل تحلو عنده نعم
 لولا التشهد كانت لاءه نعم
 عنها الغياهب ، والاملاق والعدم
 الى مكارم هذا ينتهى الكرم
 فما يكلم الا حين يبتسم
 من كف اروع فى عرينه شمم
 ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
 جرى بذاك له فى لوحه القلم
 لاولية هذا اوله نعم
 فالدين من بيت هذا ناله الامم
 عنها الاكف وعن ادراكها القدم
 وفضل امته دانت له الاهم
 طابت مفرسه والخيم والشيم
 كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
 كفر وقربهم منجى ومعتصم
 فى كل بدء ومختوم به الكلم
 او قيل «من خير اهل الارض» قيل هم
 ولا يدانيهم قوم وان كرموا
 والاسد اسد الشرى والبأس محتدم
 سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
 ويستقرب به الاحسان والنعم .

ينمى الى ذروة العز التى قصرت
 هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
 فليس قولك من هذا ؟ بضائره
 كلتا يديه غياث عم نفعهما
 سهل الخليفة لا تحشى بوادره
 حمال ائثال اقوام اذا امتدحوا
 ما قال : لا ، قط الا فى تشهده
 عم البرية بالاحسان فانقشعت
 اذا رآته قريش قال قائلها :
 يغضى حياء ويغضى من مهابته
 بكفه خيزران ريحه عبق
 يكاد يمسكه عرفان راحته
 الله شرفه قدما وعظمه
 اى الخلائق ليست فى رقابهم
 من يشكر الله يشكر اولية ذا
 ينمى الى ذروة الدين التى قصرت
 من جده دان فضل الانبياء له
 مشتقة من رسول الله نبعته
 ينشق ثوب الدجى عن نور غرته
 من معشر حبه دين وبغضهم
 مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
 ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم
 لا يستطيع جواد بعد جودهم
 هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت
 لا ينقض العسر بسطا من اكفهم
 يستدفع الشر والبلوى بجبههم

وهى تسعة وعشرون بيتا .

فلما سمعها هشام غضب وخبس الفرزدق بعسفان ، ولما وصل
 الخبر زين العابدين وصله باثنى عشر الف درهم ، قائلا له : اعذر لنا لو كان
 عندنا اكثر لوصلناك به فقال : انما مدحت لله لا لعطاء ، فرد العطية ،
 فقال زين العابدين انا اهل البيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده ، ثم قبلها

الفرزدق متشكرا ثم هجا هشاما في السجن ، ولما وصله ذلك أمر باطلاقه .
 وكان من أخلاقه رضى الله عنه الاعراض عن الجاهلين ، فقد بالغ
 رجل في سبه ، وهو متغافل عنه ، فقال له : اياك اقصد ، فقال : وعنك
 اعرض ومن كلامه رضى الله عنه ما يسرنى بنصيبى من الذل حمر النعم .
 توفي رضى الله عنه سنة (97) هجرية ، بعد موت الحجاج بن
 يوسف في خلافة يزيد الثانى بن عبد الملك بن مروان ، وعمره (57) سنة ،
 عاش سنتان منها مع جده على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، ثم عشرة
 اعوام مع عمه الامام الحسن ، ثم (11) سنة مع أبيه الحسين ، ثم (34)
 بعدهم ، وقيل مات مسموما سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع بجانب
 عمه الامام الحسن ، وخلف من الاولاد (11) ذكرا وأربع اناث فجميع
 اولاده رضى الله عنه (15) ولدا ، فكان وارثه في الفضل والعلم ، والعبادة،
 والزهد ، والمعرفة بالله ولده « الباقر » .

أبو جعفر محمد الباقر

فهو الامام « محمد » بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم
 الله وجهه ، وكنيته أبو جعفر ، ولقبه الباقر ، ولقب به للوصف الذى قام
 به ، واشتقاقه من بقر الارض اذا شقها ، واثار مخابثها ومكائنها ، أطلق
 عليه لما اظهره من مخبئات كنوز الاسرار والمعارف وحقائق الاحكام ، والحكم
 واللطائف ، وقد اثير عنه من ذلك ما لا يخفى الا على منظمس البصيرة ،
 او فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه ،
 ومشهره ورائعه ، صفا قلبه ، وزكى علمه وعمله ، وطهرت نفسه وشرف
 خلقه ، فعمر أوقاته بطاعة ربه ، وله من الرسوم في مقامات العارفين
 ما تكل عنه السنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف
 ليس هذا مقامها وكفاه شرفا ان ابى المدينى زوى عن جابر انه قال له :
 وهو صغير ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام وهو من
 كرامته رضى الله عنه ، فقيل لجابر في ذلك : فقال : كنت جالسا عنده ،
 والحسين في حجره ، وهو يداعبه ، فقال يا جابر ، يولد له مولود اسمه
 على اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم زين العابدين فيقوم ولده ، أى
 على ثم يولد له ولد ، اسمه « محمد » فان أدركته يا جابر فاترته منى السلام .
 ومن مناقبه الاخبار بملك العباسيين ، توفي رضى الله عنه سنة (113)

هجرية ، وتوفى في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقد خلق ولابيه (17) سنة ، وعلى هذا فتكون حياته رضى الله عنه (58) سنة ، وقيل مات مسموما كأبيه على زين العابدين رضى الله عنه وهو علوى من جهة أبيه وأمه ، ودفن بالبقيع الى جانب عميه الحسن والعباس رضى الله عنهم وخلف ستة اولاد ذكور ، افضلهم واكملهم وارثه في ذلك ولده الامام « جعفر » ابنه (6) .

جعفر الصادق

فهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ، ومن ثم كان خليفته ووصيه . ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته في جميع البلدان وروى عنه الائمة الاكابر ، كىحيى ابن سعيد ، وابن جريج ، ومالك ، والسفيانيين وابى حنيفة ، وشعبة وايوب السختياني ، وروى ابن أبى الدنيا عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن جده على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ، ومن الكتاب الا رسمه ، مساجدهم عامرة ، وهى خراب من الهدى . وفي رواية اخرى لغيره ، وقلوبهم خراب من الهدى ، علماؤهم أشر ممن هو تحت اديم السماء ، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود . ومن مناقبه ما روى فيه ، انه سعى به عند أبى جعفر المنصور العباسى ، ولما حج المنصور أراد أن يتحقق من القضية ، فأمر باحضار جعفر الصادق فحضر ، وعند المنصور الساعى به ، ليشهد ، فقال جعفر الصادق : للشاهد أتحلف ، ؟ قال : نعم ، فحلف بالله العظيم كما هو اليمين ، فقال جعفر الصادق : احلفه يا امير المومنين بما اراه ، فقال له : لك ذلك ، فقال جعفر الصادق للشاهد الساعى به ، قل : برئت من حول الله وقوته والتجأت الى حولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا ، وقال : كذا وكذا ، فامتنع الرجل فأجبر على الحلف من قبل الامير فحلف جبرا ، وروى انه ما أتم حلفه حتى هلك مكانه . فقال امير المومنين لجعفر لا بأس عليك ، أنت مبرا الساحة ، المامون الغائلة . ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة حسنة ، وكسوة سنية .

ومنها ما روى عنه أيام ضعف بنى أمية ، وتضعف سلطانهم ، أنه طلب منه البايعة ابن عمه عبد الله الكامل ، « الامام محمد » النفس الزكية ، واخوه يحيى ، فامتنع ، واتهم بأنه يحسدهما ، فقال : والله ليست لى ولا لكما ، وانها لصاحب القباء الاصفر ، ليلعبن بها صبيانهم وغلماهم ، وكان أبو جعفر المنصور حاضرا وقريبا ، وعليه قباء اصفر ، فبلغه الحديث لها زالت كلمة جعفر الصادق محط امله حتى ملكوا ، وسبق جعفر الى ذلك والده محمد الباقر ، فانه أخبر المنصور بملك الارض شرقها وغربها ، وطول مدته ، فقال ، اى المنصور له : وملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم ، قال : لمدة بنى أمية أطول أم مدتنا ؟ قال : مدتكم ، وليعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة ، هذا ما عهد الى أبى . فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الارض تعجب من قول الباقر رضى الله عنه ، ومنها انه كان مجاب الدعوة .

فقد أخرج أبو القاسم الطبرى ، من طريق ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد يقول : حججت سنة (146) هجرية ، فلما صليت العصر فى المسجد ، اى مسجد المدينة ، رقيت ابا قبيس ، فاذا رجل جالس يدعو فقال : يارب ، حتى انقطع نفسه ثم قال : يا حى ، يا حى ، يا حى ، حتى انقطع نفسه ، ثم قال : الاهى انى اشتهيت العنب ، فاطعمنيه اللهم وان برداى قد خلقتنا فاكسنى ، قال الليث : فو الله ما استتمت كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنبا ، وليس على وجه الارض يومئذ عنب ، واذا ببردتان موضوعتان لم أر مثلهما ، فى الدنيا ، فأراد ان ياكل ، فقلت أنا شريكك ، فقال : وبم ؟ فقلت لانك دعوت وكنت أومن ، فقال تقدم وكل ، فتقدمت واكلت عنبا لم أكل مثله قط ، وما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ، ولم تتغير السلة ، فقال ، لا تدخر ولا تخبىء منه شيئا ، ثم أخذ أحد البردين ودفع الى الآخر ، فقلت انا فى غنى عنه ، فاتزر بأحدهما وارتنى بالآخر ، ثم أخذ برديه الخلفتين ، فنزل وهما بيده ، فلقينى رجل بالمسعى فقال : اكسنى يا ابن رسول الله مما اكساك الله ، فانى عريان ، فدفعهما اليه فقلت من هذا ؟ فقال جعفر الصادق فطلبتة فلم أجده ، وارتدتان اسمع منه شيئا فلم أقدر عليه . وتوفى فى سنة (184) هجرية مسموما أيضا على ما حكى والله أعلم ، وعمره (68) سنة ، ودفن بالبقيع عند قبر أبيه وأهله ، وخلف ستة ذكور ، وبنت فورثه فى الفضل منهم موسى .

و (7) ابنه :

موسى الكاظم

فهو موسى بن جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، ولقب بالكاظم لكثرة حلمه وصبره ، وتجاوزه ، وكان معروفا عند اهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، فهو الذى ورث سر ابيه فى العلم والمعرفة بالله ، والكمالات الاخلاقية ، فهو رضى الله عنه لشهرته عند اهل الشرق والغرب غنى عن التعريف به ، وكان اتقى اهل زمانه ، وأكثرهم علما وعبادة ، واکرمهم يدا ، وأحسنهم خلقا وخلقاً ، ومن مناقبه ان الرشيد سأله ، كيف قلت ان ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلى قوله تعالى : ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ، وموسى وهارون ، وكذلك نجى المحسنين وزكرياء ويحيى وعيسى « فقال : وليس له اب ، وايضا قال تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ولم يدع النبى صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غيرهم بعد ما دعا عليا وفادله والحسن والحسين فهما الابناء ، ومن بديع كراماته ومناقبه ما حكاه ابن الجوزى والهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخى انه خرج حاجا سنة (149) هجرية ، فرآه بالقادسية منفردا عن الناس ، فقال فى نفسه : هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس ، لامضين اليه ولاوبخه ، فمضى اليه ووبخه ، فقال : ياشقيق ، اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم « فأراد أن يحالله فغاب عن عينه ، فما رآه الا بواقصة يصلى ، وأعضاؤه تضطرب ، ودموعه تتحاذر ، فجاء اليه ليعتذر ، فخفف فى صلاته وقال : قال الله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى « ولما نزلوا زمالة ، رآه على بير ، فسقطت ركوته فيها ، فدعا ، فطفا الماء له حتى أخذها ، ثم توضأ وصلى أربع ركعات ثم مال النى كتيب رمل فطرح منها فيها وشرب ، وقال له : اطعمنى من فضل ما رزقك الله تعالى فقال : ياشقيق ، لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بريك ، فناولنيها فشربت منها ، فاذا هو سويق وسكر ، ما شربت والله الذم منه ، ولا اطيب ريحا ، فشبع ورويت ، واقمت اياما لا اشتهى شرابا ولا طعاما ، ثم لم اره الا وهو بمكة وهو بغلمان وغاشية ، وامور على خلاف ما كان عليه بالطريق ولما حج الرشيد سعى به اليه ، وقيل له : ان الاموال تحمل اليه ، من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار ، فقبض عليه وانفذه

الى اميره بالبصرة ، عيسى بن جعفر بن المنصور ، فحبسه سنة ثم كتب اليه الرشيد في دمه ، فاستعفى واخبر انه لم يدع على الرشيد ، فكتب الى الرشيد بذلك ولما بلغه الكتاب كتب الى عامله السدي بن ساهيك بتسليمه ، وامره فيه بأمر ، فجعل له سما في طعامه ، فتوَعك ومات بعد ثلاثة أيام ، وعمره (35) سنة . وذكر المسعودي : ان الرشيد رأى علما في النوم ، ومعه حربة ، وهو يقول : افرج عن الكاظم ، والا نحررتك بهذه ، فاستيقظ فزعا ، وأرسل في الحال والى شرطته اليه يطلقه ، وبعث اليه بثلاثين ألف درهم ، وانه يخيره بين المقام عنده مكرما ، او الذهاب الى المدينة ، فاختر الذهاب الى المدينة . فقال له الرشيد رايت عجبا ! قال : وما ذاك ؟ قال له : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وعلمنى كلمات ، فقلتها ، فما فرغت منها الا وجاعنى رسولك بالامر بالافراج عنى . وقيل قد كان سجنه موسى الهادى اخو هارون الرشيد في خلافته ، ثم امر باطلاقه ، لانه وقف عليه الامام على كرم الله وجهه مناما وهو يقرأ عليه هذه الآية : فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم « فانتبّه وعرف انه المراد فأمر باطلاقه ليلا . ومن جوابه للرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة بعد ما قال له : انت الذى تبايعك الناس سرا ؟ فقال : أنا امام القلوب وانت امام الجسوم ، ولما اجتمعا امام القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد : السلام عليك يا ابن العم ، يا رسول الله ، سمعها من حوله ، فقال : الكاظم : السلام عليك يا أبت ، فتغير وجه الرشيد ، فكانت سببا لالقاء القبض عليه ، وحمله معه الى بغداد ، ثم أمر بسجنه ، فلم يخرج منه حتى مات مقيدا وهذا السبب غير السبب الاول ، ويحمل على ان السبب الاول كان سجنه بأمر موسى الهادى ، والسبب الثانى كان سجنه بأمر هارون الرشيد ، وليس ذلك ببعيد على من تأمل حياة هؤلاء العباقرة الامجاد ، رضى الله عنهم ، ودفن بالجانب الغربى من ظاهر بغداد ، وخلف من الاولاد سبعة وثلاثين ذكرا وانثى واحدة والذى ورث مقام ابيه منهم أجلهم وانبهم على .

و (8) ابنه :

على الرضى

فهو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على

ابن أبى طالب كرم الله وجهه وهو الذى ورث سر ابيه فى العلم والدين والمعرفة بالله ، فكان أعلم أهل زمانه ، وأحسنهم خلقا وخلقا ، وكان يعاصر من الخلفاء العباسيين المامون ، ولذلك قربه اليه ، واختاره لنفسه ، وأحله محل مهجته ، وأنكحه ابنته ، وأشركه فى مملكته حتى فوض اليه أمر خلافته ، وكتب بيده كتابا سنة (201) هجرية نص فيه على أن عليا الرضى ولى عهده ، وأشهد عليه جمعا كثيرا غير أنه توفى قبل المامون ، ويقال : أسف عليه أسفا شديدا ، وأخبر قبل موته انه يأكل رمانا مبيوثا ويموت ، وان المامون يريد دفنه خلف أبيه هارون الرشيد ، فلم يستطع ولكن لا تنسى ان ذلك لوجه على الرضى فيهم لانك تعلم الحالة الداخلية فى عهد المامون من استبداد قواده عليه ، وطفيان أمر شيعة العلويين ، الذين كانوا يجعلونهم هدفا لأغراضهم ، أو يعرضوهم للموت بسبب دفعهم والتستر وراءهم ، وفى سنة (199) هجرية ، قد استفحل أمرهم فخرج منهم على المامون محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، بالكوفة وقام بأمره رجل من شيعته ، وهو أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى فاستولى على الكوفة من يد عاملها سليمان بن أبى جعفر المنصور ، الا أن محمدا فاجأ الحمام فولى أبو السرايا بدله غلاما أمرد حدثا ، وهو محمد بن محمد بن زيد بن على زين العابدين فكانت الامور كلها بيد أبى السرايا ، والشاب الحدث ، الذى قدمه عليه انما هو للتبرك به فقط ، ثم ازداد الامر تفاقما بخروج ابراهيم بن موسى الكاظم باليمن ، ولما سمع عامل صنعاء اسحاق بن موسى بن عيسى بقدم ابراهيم ترك صنعاء وانصرف مقلدا عمه داود بن عيسى فى مكة ، فاستولى ابراهيم على اليمن ، وكان يقال له الجزار ، لكثرة من قتل باليمن ، من الناس سنة (200) هجرية ، ولم تطل هذه الفتن حتى أخذت هذه السنة بانهازم القائمين معا ، فنرى المؤرخين يتعامون عن الحقيقة ، وينسبون عيوبها ، ويحملون مسؤوليتها العلويين وحدهم ، ويسكتون على المحركين الحقيقيين لها الذين كانوا من وراء حجاب ، يدفعونهم من الوزاء لتحقيق أغراضهم ، ولذلك لم ينج المامون من تهمة قتل صهره ، زوج ابنته الشريف على الرضى رضى الله عنه مسموما ، ولكن سياسة المكرهى هى فى كل زمان ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين « حيث ان أسباب ذلك واضحة ، وهى أن أبناء عم الماهون الاقربين ، كانوا ينقمون عليه تقربه وتودده للعلويين ، وأبرزهم على الرضى ، وقد يكون ذلك من فعل الباطنية المامونية ليخففوا عن المامون ما هو فيه من اضطراب أبناء عمه العباسيين عليه ،

حتى خرج عليه منهم عمه ابراهيم ، حتى يخلصوه ويستريحوا مما يعتقدونه شرا عليهم وهو خوفهم على خروج الخلافة من ايديهم الى آل علي ، ويؤكد هذا ان المامون كتب بعد موت علي الرضى فوراً الى بنى العباس ، والموالى واهل بغداد يعلمهم بموت علي الرضى ، لما كان بطوس ، وكانت وفاة علي الرضى رضى الله عنه سنة (202) هجرية ، وكان العباسيون اجتمعوا للنظر في امر المامون ، قالوا نولى بعضنا ونخلع المامون ، واتفقوا أخيراً على مبايعة عمه ابراهيم بن المهدي عامل بغداد وخلع المامون ، وكان ذلك في اول المحرم سنة (202) وكان المامون قد زوج محمد بن علي الرضى ، المعروف « بالجواد » ابنته الاخرى ، وعلى الجملة فان المامون كان يعامل الطالبين معاملة تناسب اعتقاده فيهم ، لان البرامكة ربوه على موالاتهم ، واليهم يرجع الفضل في ذلك ومن مواليه معروف الكرخي استاذ السرى السقطى ، لانه أسلم على يده ومن مناقبه انه قال لرجل يا عبد الله ، ارض بما يريد الله ، واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ثلاثة ايام ، رواه الحاكم . وروى الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام في المنزل الذي ينزل فيه الحجاج ببلدنا فسلمت عليه فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني فناولني منه ثمانى عشرة ، فتأولت أن أعيش مدتها ، فلما كان بعد عشرين يوماً قدم أبو الحسن على الرضى من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه . فمضيت نحوه فاذا هو جالس في الموضع الذي رأيت فيه النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فيه ، وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني ، فسلمت عليه فاستدناى وناولني قبضة من ذلك التمر ، فعددتها فاذا هى بعدد ما ناولني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت زدنى ، فقال : لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك . وقال الشيخ أبو العباس السوسى في وصلة الزلفى تقرباً بال المصطفى ، ما نصه : وفي تاريخ نيسابور ان عليا الرضى بن موسى الكاظم ، لما دخل نيسابور كان في قبة مستورا بالسفلاط ، وهو المظلة التى يستعملها الملوك على بغلة شهباء ، وقد شق سوق نيسابور ، فتعرض له الامان الحافظان : أبو زرعة الرازى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، ومعهما خلائق لا يحصون عددا من طلبة العلم والحديث واهل الرواية والدراية ، فقال له : ايها السيد الجليل ، ابن السادات الائمة بحق آبائك الاطهرين ، واسلافك الاكرمين ، الا ما اريتنا وجهك المامون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكرك به . فاستوقف البغلة ، وأمر

غلمانه بكشف المظلة ، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعتة المباركة ، فكانت له دؤابتان مدليتان على عاتقه ، والناس كلهم على اختلاف طبقاتهم ناظرون اليه ، وهم ما بين صارخ وبكاء ، ومتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته ، وعلا الضجيج ، فصاح الائمة والفقهاء والعلماء ، معاشر الناس اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم ، ولا تؤذوننا بكثرة صراخكم وبكائكم ، وكان المستملى أبو زرعة الرازى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، فقال الامام على الرضى حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه على زين العابدين ، عن أبيه الحسين سيد شباب اهل الجنة ، وشهيد كربلاء ، عن أبيه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال : حدثنى حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حدثنى جبريل قال : سمعت رب العزة يقول : لا اله الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابي . ثم أرخى الستر على القبة وسار ، قال أبو زرعة : فعذ أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على (20) ألفا ، قال الاستاذ أبو القاسم القشيري : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب ، وأوصى أن يدفن معه في قبره ، فرىء في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى بتلفظى بلا اله الا الله ، وبتصديقى بأن محمدا رسول الله . وذكر الجمال الدرني في كتابه معراج الوصول : ان الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن أهل البيت المذكورين الى على بن أبى طالب سيد الاولياء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد الانبياء ، حدثنى جبريل سيد الملائكة قال : قال الله تعالى : اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدونى « فمن جاء منكم بشهادة ان لا اله الا الله بالاخلاص دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابي . قال : وفي رواية غير أبى نعيم ، قال الله تعالى : لا اله الا الله حصنى الحديث ، ثم نقل ما قاله الاستاذ القشيري ، وزاد عقب قوله وتصديقى بأن محمدا رسول الله ، وكتابة هذا الحديث بالذهب تعظيما له واحتراما .

وقال الحافظ جمال الدين أبو نعيم : قال أبو الليث عبد السلام بن صالح الهروى كنت مع على الرضى بن موسى الكاظم ، وقد دخل نيسابور ، وهو على بغلة شهباء فعدا في طلبه العلماء من أهل البلد ، وهم أحمد بن حرب ، وابن النضر ، ويحيى بن يحيى وعدة من أهل العلم ، فتعلقوا بلجامه في المريعة ، وقالوا له بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك فقال : حدثنى أبى العبد الصالح موسى بن جعفر الصادق قال :

حدثني أبي جعفر الصادق بن محمد قال : حدثني أبي محمد الباقر عَلمُ الانبياء قال : سمعت أبي سيد العابدين علي بن الحسين قال : حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي قال : سمعت أبي سيد العرب علي بن أبي طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالاركان . قال الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبريء من حينه . توفي الإمام علي الرضى رحمه الله بعد خروج المامون لطوس في شهر عيد الفطر ، وله من العمر (55) سنة وخلف من الاولاد خمسة ذكور وبنات فكان أجلهم ووارثهم لسر أبيه هو محمد .
و (9) ابنه :

محمد الجواد

فهو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وهو وارث سر أبيه في العلم والمعرفة بالله ، وكان في الفضل يعد آية بيّنة في زمانه ، وستراه يناظر العلماء بحضرة المامون لم تطل حياته أكثر من (25) سنة ، ومن مناقبه ما اتفق له مع المامون بعد موت أبيه بسنة انه وجده واقفا والصبيان يلعبون في أزقة بغداد ، فبينما هم على ذلك ، اذ رأوا المامون مارا بهم ففروا وبقي محمد مكانه لم يتحرك وعمره ثمان سنوات ، فلما وصل اليه المامون دعاه وسأله عن عدم فراره مع أصحابه فقال له : يا غلام وما منعك أن تنصرف مع أصحابك ؟ فقال له مسرعا يا أمير المومنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لي جرم فأخشاك ، والظن بك حسن انك لا تضر من لا ذنب له ، فوقع كلامه منه موقع الإعجاب ، فتعجب من حسن صورته وأدبه مع صغر سنه وسأله من أنت ؟ فقال محمد بن علي الرضى فقال المامون نعم الولد ، ثم ساق جواده وكان معه بازة للصيد ، فلما بعد عن العمار أرسل الباز وراء دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقية من الحياة ، فتعجب من ذلك ، ثم رجع والزمان لم يطل كثيرا ، فوجد الصبيان على حالهم ، فلما رأوه فروا على عادتهم وبقي محمد للمرة الثانية مكانه ، فلما وصل اليه الخليفة دنا منه وسأله عما في يده فقال : يا أمير المومنين ان الله خلق في بحر قدرته سمكا صفارا يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى ، فقال له : أنت ابن الرضى حقا فأخذه

معه واحسن اليه واكرمه ، وبالغ في اكرامه ، فلم يزل موضع حظ من عنايته
 بعد ما عرف فضله وعلمه وكمال عقله ، وظهر برهانه مع صغر سنه ،
 حتى عزم على زواجه بابنته أم الفضل ، ولما علم بذلك أبناء عمه العباسيون
 حاولوا الوصول الى أن يحولوا بينه وبين تنفيذ رغبته ، وذلك خوفا من أن
 يعهد اليه كما عهد الى أبيه من قبل . ولما ذكروه وأظهروا له رغبتهم أجابهم
 بأنه انما اختاره لفضله وعلمه ، وكمال عقله ، وتمييزه بذلك على سائر
 أقرانه ، فنازعه بأن يكون لمحمد بن علي هذا الشأن مع صغر سنه ، ثم
 تواعدوا مع الخليفة علي أن يعتقدوا معه ومحمد بن علي مناظرة بمحضر
 الخليفة ، فلما حضروا الى الخليفة ومعهم محمد بن أكثم ، وخواص الدولة ،
 أمر المامون بتشديد قاعة للمناظرة ، واختاروا لمحمد مكانا رفيعا منها ،
 فأجلسه فيه ، فسأله يحيى عن مسائل أجاب عنها أحسن جواب وأوضحه
 فقال الخليفة : أحسنت ! أبا جعفر فان أردت أن تسأل يحيى ، ولو مسألة
 واحدة فقال محمد : ما تقول ؟ في رجل نظر الى امرأة أول النهار حراما ،
 ثم حلت له ارتفاعا ثم حرمت عليه عند الظهر ، وتزوجها للعصر ، ثم حرمت
 عليه للمغرب ، ثم حلت له للعشاء ثم حرمت عليه لنصف الليل ، ثم حلت
 له للفجر . فقال يحيى : لا أدري ، فقال محمد هي أمة نظر اليها أجنبي
 بشهوة ، وهي حرام ، ثم اشتراها ارتفاع النهار ، فأعتقها للظهر ، وتزوجها
 للعصر ، وظاهر منها للمغرب ، وكفر للعشاء ، وطلقها رجعيا لنصف الليل
 ثم راجعها للفجر ، فعند ذلك قال المامون لابناء عمه : قد عرفتم ما كنتم
 تنكرون ، ثم زوجه في ذلك المجلس ابنته أم الفضل ، وبعد أن دخل بها ذهب
 بها الى المدينة المنورة ، وفي بعض الايام بعثت الى أبيها تشتكى منه انه
 تسرى عليها فيبعث اليها أبوها بالجواب ، انا لم نزوجك له لنحرم عليه
 الحلال ، فلا تعودى لمثله ، ومات المامون في (18) رجب الفرد سنة (218)
 هجرية . ثم بعد وفاته قدم محمد الجواد بزوجه أم الفضل بغداد بأمر من
 المعتصم لليلتين بقتيا من المحرم سنة (220) هجرية ، ثم توفي محمد بعد
 ذلك بيومين ودفن بالجانب الغربى من ظاهر بغداد بمقبرة قریش ، الى
 جانب جده موسى الكاظم ، وعمره (25) سنة ، ويقال انه مات مسموما
 أيضا ، وحملت زوجة أم الفضل الى دار المعتصم ، وخلف ذكرين وبنتين ،
 أجلهما وارث سر أبيه على .

و (10) ابنه :

على الهادى العسكرى

فهو على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فهو وارث سر أبيه فى العلم والعبادة ، والمعرفة بالله والدين والفضل وهو عاشر أئمة الامامية وسمى بالعسكرى لسكنائه تحت المراقبة العسكرية وكان سبب ذلك انه لما سعى به لدى المتوكل ارسل اليه ، ووضعته تحت الامامة الجبرية بمدينة « سر من رأى » العسكرية ، وكانت على مرحلة من بغداد ، وتسمى اليوم عند المؤرخين سامرا ، وهى الآن خراب من المدن الاثرية من ذلك العهد لانه لا فائدة فى سكنائها بعد جلاء القوات العسكرية عنها ، وكانت تسمى العسكر أيضا ، وكان زاهدا جواد الكفين يعطى بكلتا اليدين ، ومن مناقبه فى الكرم : ان اعرابيا من اعراب الكوفة جاءه وقال له : انى من المتمسكين بولاء جدك ، وقد ركبني دين اثقلنى حمله ، ولم أقصد لقضائه سواك ، فقال : كم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فقال طب نفسا بقضائه ان شاء الله ، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ دينا عليه ، اى المتصدق ، وقال له : ايتنى به فى المجلس العام للعلم وطالبنى بما فيها ، واغلظ على فى الطلب ففعل الرجل كما طلب اليه ، فاستمهله ثلاثة ايام ، فبلغ ذلك المتوكل ، فأمر له بثلاثين الفا فلما وصلته اعطاها الاعرابى كلها ، وقال يا ابن رسول الله ان العشرة اقضى بها اربى ، فأبى أن يسترد من الثلاثين شيئا ، فولى الاعرابى وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالاته » ومن مناقبه ان امرأة زعمت انها شريفة بحضرة المتوكل فسأل من يخبر بأمرها ، فدل على الهادى العسكرى فجىء به واجلسه معه على السرير وسأله فقال : على العسكرى ان الله حرم لحم اولاد الحسنين على السباع ، فلتلق للسباع ، فعرض عليها ذلك فاعترفت بكذبها . ثم قالت البطانة للمتوكل الا تجرب فيه ذلك ، فأمر بثلاثة من السباع فجعلت فى صحن قصره ، ثم دعاه فلما دخل بابه أغلق عليه ، والسباع قد أصمت الاسماع بزئيرها ، فلما دخل فى الحصن يريد الدرجة مشى اليه وقد سكتت وتمسحت به ودارت حوله ، وهو يمسحها بكفه ، ثم ربضت فصعد للمتوكل ، وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه ثانية كما فعلت فى الاولى ، ثم خرج فأمر المتوكل بجائزة عظيمة فالحق بها ، فقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه ، وقال لهم : اتريدون قتلى ؟ ثم أمرهم ان لا يفشوا ذلك ثم سعى به الى المتوكل ، فأقدمه من المدينة المنورة مثنى الآباء والاجداد الى سامرا ، وقد ظل مقبها بها تحت

الاقامة الجبرية نحو (20) سنة ، ولم تنقطع السعيات عنه ، وهو مقيم في المعسكر ، فقيل للمتوكل ان بمنزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته ، فوجه اليه ليلا من هاجمه في منزله وهو غافل ، فوجده في بيت وحده ، عليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من صوف ، وهو يقرأ ويدعو فحمل الى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه وهو يشرب الخمر فأجلسه الى جنبه ، وعرض عليه الخمر ، فاستغنى فأعفاه ، ثم قال له : انشدنى شعرا فأنشده :

باتوا على قتل الاجبال تحرسهم	علب الرجال فما اغنتهم القتل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم	فأودعوا حفرا يا بيسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا	اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة	من دونها تضرب الاستار والكلل
فانصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
تد طالما اكلوا دهرا وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا
وطالما عمروا دورا تحصنهم	ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا	فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
فأضحت منازلهم قفرا معطلة	وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته ، ثم أمر برفع الشراب ، وأمر له بأربعة آلاف دينار ، ورد الى منزله مكرما ، ثم سعى به بعد ذلك فأمر بقتله فألقى في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن اكله ، ولذت بجانبه ، وهابت الدنو منه ثم بنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حى حتى توفي رضى الله عنه بسامرا في جمادى الاخرة سنة (254) هجرية ، ودفن بداره ، وعمره (40) سنة فيكون ميلاده (214) في خلافة المأمون ، وخلف من الذكور أربعة وانثى واحدة ، والذي ورث سر ابيه منهم اجلهم واكرمهم الحسين .

و (11) ابنه :

الحسن الخالص العسكري

فهو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، فكان رضى الله عنه وارث ابيه في العلم والعرفان ، والعبادة والدين والفضل والجود

وكمال العقل وهو طفل ، ومن مناقبه ما رواه ابن خلكان أن بهلولا وجده يبكى وهو صبي فظن أنه يبكى لما رآه في يد الصبيان وهم يلعبون فقال له : انشترى لك ما تلعب به ؟ فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا ! فقال له : ولماذا خلقنا ؟ قال : للعلم والعبادة ، فقال له : من أين لك هذا ؟ قال من قول الله تعالى : أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون « ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات لم ينقلها الحفاظ ثم خر مغشيا عليه ، فلما أفاق قال له بهلول ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك ، فقال : اليك عنى يا بهلول ، انى أرى والدتى توقد النار بالحطب الكبير فلا تتقد الا بالصغير ، وانى أخشى أن أكون من صغير حطب نار جهنم ، وسعى به لدى المعتمد على الله بن المتوكل فسجنه فتحطوا تلك السنة تحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد أن يخرج الناس للاستسقاء فخرجوا واستسقوا ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب فمد يده وجعل يدعو وسرعان ما انتشر الغيم وهطلت السماء ، ثم فى اليوم الثانى وقع مثل ذلك ، فشك بعض الجهلة وارتد فشق ذلك على الخليفة ، فأمر باطلاق الحسن ، ثم دعاه وقال له : ادرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تهلك ، فالتمس منه الحسن أن يخرجوا فى يوم الغد ، وكلم الخليفة فى اطلاق أصحابه من السجن ، فضى سبيلهم ، فلما خرجوا وجعل الراهب يدعو رافعا يديه الى السماء ، وهو فى وسط النصارى ، فغميت السماء فى الحين وجعل المطر ينزل ، فطلب الحسن من الامير أن يوتى بالراهب فأمر بفتشه فوجد معه عظم آدمى كان يتوسل به فأخذه منه وقالوا له بعد ذلك ادع وتوسل بما كنت تتوسل به ، واطلب المطر فتوسل وارتفع ما كان موجودا من الغيم ، وصحت السماء ، وظهرت الشمس فعجب الناس من ذلك ! فسأل الخليفة الحسن وقال له : يا أبا محمد ما هذا ؟ قال هذا عظم نبي من الانبياء ظفر به هذا الراهب من بعض القبور فجعل يتوسل به الى الله ، وما توسل بعظم نبي الا استجيب له ، وهطلت السماء مطرا فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال : وزالت الشبهة عن الناس ، ورجع الحسن مشكورا مكرما عند الخليفة ، فأقام فى داره والخليفة يصله فى كل مناسبة صلة الى ان مات بسامرا سنة (260) هجرية ، وكان ميلاده فى (232) وله من العمر (28) سنة فى خلافة المعتمد على الله ودفن بها عند أبيه وعمه ، ويقال : انه مات مسموما أيضا ولم يخلف غير ولده ووارث سره محمد .

و (12) ابنه :

الامام محمد الحجة

فهو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وكان له من العمر عند وفاة ابيه خمس سنوات ، وهو آخر الائمة الاثني عشرية ، للشيعة الامامية ، ويسمى عندهم القاسم المنتظر وفيه اقوال عندهم ، فقيل ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب ؟ ومن ثم يعتقدون انه المهدي المنتظر ، وقد بسط محب اهل البيت ابن حجر الهيتمي الكلام على ذلك في الفصل الاول من كتابه الصواعق المحرقة .

وقد بسطت الكلام عليه في تأليفي العتيدة الناصعة للمسلم والمسلمة ، وما ورد من الاحاديث في ذلك ، منها ما له طرق الصحيح ، ومنها ما هو ضعيف ، وترجع الحقيقة في ذلك لله وحده لا رب سواه والله أعلم بغيبه واحكامه .

الشيعة والتشيع لاهل البيت

كثيرا من الناس يجهلون ما هو التشيع ، ومن هم الشيعة ، وسأبينه لك لغة وعرفا وحقيقة ، فمن الوجهة اللغوية معناه في هذا الموضوع التبعية والمرافقة ماخوذ من شاعكم السلام ، وشاعكم الله بالسلام ، أي رافقكم السلام ، واتبعكم الله بالسلام ، فهو من الثلاثي ومن الرباعى المعدى بالالف والمضعف ، ومنه شيع الرجل أي قواه ، ويأتى من شايح الرجل أي تابعه وقواه ووالاه على أمر ، ويقال : تشيع الرجل ادعى دعوة الشيعة ، والامام الحسن السبط رضى الله عنه هو الذى يفسر لنا كلمة الشيعة والمحب ، قال له رجل يا ابن رسول الله من شيعتكم فقال له عليه السلام : يا عبد الله ان كنت لنا في اوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وان كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من اهلها ، لا تقل أنا من شيعتكم ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم ، ومعادى أعدائكم وانت في خير والى خير ، ومن كلامه رضى الله عنه ، صور الله عز وجل على بن ابي طالب في ظهر ابي طالب على صورة محمد فكان على بن ابي طالب أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الحسين أخى أشبه الناس بفاطمة بنت رسول الله ، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ، نحن الآخرون ونحن الاولون ، ونحن النور ، وبنور

الروحانيين نور من نور الله ، ونروح بروحه . فينا مسكنه ، والينا معدنه ، الآخر منا كالاول ، والاول منا كالاخر ، ان الله اختارنا لنفسه ، وارتضانا لدينه ، واصطفانا على خلقه ، وأنزل علينا وحيه ، وان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا ، ونحن نفس محمد ورهطه ، واهل بيته هو الذي بعث محمدا بالحق لا ينقص من حقنا — اهل البيت — أحد الا نقصه الله حقه مثله من عاجل دنياه وآخرته ، ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة : ولتعلمن نبأه بعد حين » والله لا يحبنا عبد ابدا ولو كان أسيرا في الديلم الا نفعه حبنا ، وان حبنا لساقط الذنوب من بنى آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر نحن الابرار ، كل ما في كتاب الله عز وجل ، ان الابرار ، هو الله ما أراد به الا على بن ابي طالب وفاطمة واياى والحسين أخى ، لاننا نحن الابرار ، بأبائنا وأمهاتنا وقلوبنا علت بالطاعات والبر ، وتبرأت من الدنيا وحبها ، وأطعنا الله في جميع فرائضه وآمنا بوحدايته ، وصدقنا برسوله .

وأخرج الطبرانى بسند فيه ضعف ، ان عليا أتى يوما بالبصرة بذهب وفضة ، فقال : أبيض أصفر غرا غري غرا أهل الشام غدا اذا ظهروا عليك ، فشق قوله ذلك على الناس ، فذكر ذلك له ، فأذن في الناس فدخلوا عليه ، فقال : ان خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا على : انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه أعداؤك غضابا متحمين ، ثم جمع يده الى عنقه يريهم الاقماح ، وشيعته هم اهل السنة الذين أحبوهم كما أمر الله ورسوله ، وأما غيرهم فأعداؤه على الحقيقة لان المحبة اذا لم تكن موافقة للشرع ولم تكن جارية على سنن الهدى ، تلك هى العداوة الكبرى ، ولهذا كانت محبة مبتدعة اهل العراق سببا لهلاك جلمهم كما مر آنفا . وعن على رضى الله عنه بسند رجاله ثقات انه قال : على المنبر هلك في رجلان : محب غال — تبين انهم الشيعة الروافض واصحاب عبد الله بن سبا — ومبغض قال : تبين انهم هم الخوارج : وروى فيهم الامام أحمد وغيره : انهم كلاب اهل النار . فقيل للصحابي : الازارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بل الخوارج كلها ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلك مثل عيسى بن مريم ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، واحبته النصارى حتى تركوه بالمنزلة التى ليست له . ثم قال هلك في رجلان : محب مطر مفرط بما ليس في ، ومبغض مفتر يحمله شئنانى على أن بهتنى ، الا انى لست بنبى ، ولا يوحى الى ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم بطاعة الله فحق عليكم طاعتي ، فيما

أحببتهم وكرهتهم . وقد أخرج صاحب المطالب العلية عن علي كرم الله وجهه ، انه مر على جمع فأسرعوا اليه قايما فقال : من القوم ؟ فقالوا من شيعتك يا أمير المؤمنين ، فقال لهم خيرا : ثم قال : يا هؤلاء ، مالي لا أرى فيكم سيمة شيعتنا ، وحلية احبتنا ، فأمسكوا حياء فقال له من معه : نسألكم بالذي أكرمكم — أهل البيت — وخصمكم وحبابكم ، لما نباتنا بصفة شيعتكم ، فقال رضى الله عنه : شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل ، الناطقون بالصواب مأكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيههم التواضع ، نجعوا لله بطاعته ، وخضعوا اليه بعبادته ، مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم ، رامقين أسماعهم على العلم بربهم ، نزلت منهم أنفسهم في البلاء ، كالتى نزلت منهم في الرخاء ، رضوا عن الله تعالى بالقضاء ، فلولا الأجال التى كتب الله تعالى لهم : لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين ، شوقا الى لقاء الله والثواب ، وخوفا من اليم العقاب عظم الخالق فى أنفسهم ، وصغرا ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها وأهلها على أرائكها متكون ، وهم والنار كمن رآها وأهلها فيها معذبون ، صبروا أياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم فأعجزوها ، أما الليل فصافون أقدامهم تالون لاجزاء القرآن ترتيلا يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة وتارة ، يفترشون جباههم وأكفهم ، وركبهم ، وأطراف أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يجدون جبارا عظيما ، ويجنرون اليه فى فكاك رقابهم هذا ليلهم ، أما نهارهم فحكماء بررة ، علماء اتقياء ، يرأسهم خوف باريهم ، فهم كالقذاح تحسبهم مرضى أو قد خولطوا وما هم بذلك بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم ، فاذا أشفقوا من ذلك بادروا الى الله تعالى بالأعمال الزاكية ، لا يرضون بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لانفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، ترى لاحدهم قوة فى دين وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصا على علم ، وفهما فى فقه ، وعلما فى حلم ، وكسبا فى قصد ، وقصدا فى غنى ، وتحللا فى فاقة ، وصبرا فى شفقة وخشوعا فى عبادة ورحمة لجهود ، واعطاء فى حق ، ورزقا فى كسب ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، واعتصاما فى شهوة ، لا يفره ما جهله ، ولا يدع احصاء ما عمله ، يستبطنه نفسه فى العمل ، وهو من صالح عمله على وجل ، يصبح وشغله الشكر ، ويمسئ وهمه الشكر ، يبيت حذرا من سنة الغفلة ، ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ورغبته فيما يبقى ، وزهادته فيما يفنى قد

قرن العلم بالعمل ، والعلم بالحلم دائما نشاطه ، بعيدا كسله ، قريبا أمله ، قليلا زلله ، متوقعا أجله ، عاشقا قلبه شاكرا ربه ، قانعا نفسه ، محرزا دينه ، كاظما غيظه ، آمنا منه جاره ، سهلا أمره ، معدوما كبره ، بينا صبره ، كثيرا ذكره ، لا يعمل شيئا من الخير رياء ، ولا يتركه حياء أولئك شيعتنا ، وأحبتنا ، ومنا ، ومعنا ، الا هؤلاء شوقا اليهم ، فصاح بعض من معه ، وهو همام بن عباد بن خيثم ، وكان من المتعبدين صيحة فوقع مفشيا عليه فحركوه فاذا هو فارق الدنيا ، فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين ومن معه .

فتأمل وقتنا الله واياك لطاعته ، وأدام علينا وعليك سوابغ نعمته ووقانا واياك من كيد الشيطان بعصمته ، وحمانا بحمايته ، هذه الاوصاف الجليلة الرفيعة الباهرة الكاملة المنيعة ، تعلم انها لا توجد الا في أكابر العارفين بالله من الائمة الوارثين الواصلين . أما الشيعة من غير هؤلاء الموصوفين بمحامد الصفات ، فهم منقسمون حسب أهوائهم وأفكارهم الى ما يأتي : فمنهم الشيعة الروافض ، وفيها مذاهب ، وكلها مبتدعة ، وهى أخبث الفرق الشيعية ، وسموا بهذا الاسم لانهم رفضوا امامة الشيخين : أبى بكر وعمر ، كما رفضوا كذلك امامة الشيخ البتلى عثمان بن عفان ، الذى كانت تستحى منه ملائكة الرحمن رضى الله عنهم ، واعتبروهم غاصبين لحق على كرم الله وجهه فى الخلافة ابتداء ، وهذا أمر ينكره على كرم الله وجهه ولا يراه لنفسه ولا أحد من أبنائه ، ولا يراه أهل السنة والجماعة التى فيهما عصمة الامة ، الذين اخلصوا العمل لله ولرسوله من قادة أئمة المسلمين ، وانما هو وحى شيطانى أوحى به النفوس الخبيثة الامارة بالسوء ، ومحكوم عليه بأنه اعتقاد فاسد وأهله خارجون به عن طريق أهل السنة والجماعة ، الا أنه ذنب لا يوجب كفرهم عندهم ، وان أئدحوا فى امامة الاشياخ الثلاثة ، وسبوهم علانية فهم مبتدعون فاسقون ، وأول من سماهم الرافضة سيدنا زيد بن على زين العابدين بن الحسين وكان سبب ذلك محاورة جرت بينه وبينهم بعد مبايعتهم له فى الكوفة على خروجهم على ظلم يوسف بن محمد عامل الكوفة فى عصر هشام بن عبد الملك وهو القائم الثانى بعد جده الامام الحسين فى عصر الامويين ، ومن المؤسف انه لقى نفس مصر جده ، ولما عزم على الخروج نصحه بعض بنى عمه بأن أهل الكوفة لا يعتمد عليهم فى الخروج سيما وقد تكرر غدرهم لأهل البيت ، فأبى الا ان يخرج مفضلا الانتحار فى المعركة على الحياة التعتسة تحت سلطة من كن يراه من سقطاء الاوباش ، فخرج ، وقتل ، وصلبت

جثته على باب الكناسة من ابواب الكوفة ، وصلب رأسه على احدى ابواب دمشق ، والامر لله وحده ولا يغنى حذر من قدر ، وقبل خروجه جاءه وفد من شيعة العراق يناظرونه فقالوا له : ما قولك في ابي بكر وعمر ؟ قال : رحبهما الله وغفر لهما ، ما سمعت احدا من اهل بيتي يقول فيها الا خيرا ، وان احق ما اقول فيما ذكرتم : انا كنا اهل حق بسطان ما ذكرتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس اجمعين ، فدفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كثيرا ، وقد ولوا فعدلوا في الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة . ثم قالوا له : فلم يظلمك هؤلاء ، اذا كان اولئك لم يظلموك فلم تدع الى قتالهم ؟ فقال لهم : ان هؤلاء ليسوا كأولئك ، هؤلاء ظالمون لى ولكم ولانفسهم ، وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن ان تحيى ، والى البدع ان تموت ، فان اجبتونا سعدتم ، وان ابيتهم فلست عليكم بوكيل ، ففارقوه ونكثوا بيعته ، وقالوا سبق الامام يعنون اخاه محمدا الباقر ، وكان قد توفي سنة (117) فسماهم رافضة .

ومما يزيد الاسى أسفا أن ابنه يحيى خرج على اثره فلقى نفس مصير لبيه وجده رضى الله عنهم وكانت هذه الحوادث بعد ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق سنة (120) هجرية ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية ، وهم كثيرون باليمن الى الآن . ومنهم الشيعة الامامية ، ومنهم الشيعة الفاطمية ، ومنهم الشيعة الكيسانية ، وينسبون الى كيسان ، وهو لقب للمختار بن ابي عبيد داعية محمد بن الحنفية الذى تقدم الكلام عليه وصاحب فتنة الكوفة بعد وقعة كربلاء ومنهم من تولى ابنه عليا زين العابدين ويرى الخلافة حقا له ، الا أنه مفضوب فيما هو حق له ، ويرون ان الخلافة محصورة في اولاد على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومنهم الشيعة الاسماعلية ، نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويرون ان الامام بعد ابيه بالنص ، وفائدة النص عندهم بقاء الامامة في عقبه ، وهم متفقون في الراى مع الامامية الاثنى عشرية ، القائلين بأنه لا بد للناس من امام معصوم يبلغهم الشريعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشريعة لا تؤخذ بالراى ، ويتفقون معهم على امامة الستة ، الى جعفر الصادق ، وينفرد الآخرون بقولهم : بالائمة الاثنى عشرية ، وهؤلاء يقولون ان الحسين هو الذى قتل دون الخلافة فهى في عقبه ، وعلى زين العابدين هو الذى بقى من عقبه بعد وقعة كربلاء ، وان عليا امير المؤمنين هو الوصى اوصى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة ، ثم الامام من بعده ، الحسن ثم الحسين ، ثم ابنه على زين العابدين ، ثم محمد الباقر ، ثم

جعفر الصادق ، ثم موسى الكاظم ، ثم على الرضى ، ثم محمد الجواد ،
 ثم على الهادى العسكرى ، ثم الحسن الخالص العسكرى ، ثم أبو القاسم
 محمد الحجة . وقد قدمت تراجم هؤلاء الائمة ، وأشرت الى أحوالهم وحياتهم في
 عصر الخلفاء ، ليطلع كل واحد على أهل الفضل وما لقوه من بلاء على يد
 معاصريهم ، تعرفا عليهم وتبركا بهم لانهم كانوا عباقرة أهل زمانهم فى
 الفضل والتقوى والاستقامة الكاملة . رضى الله عنهم ، وهذه الفرق كلها
 سنية ما عدا الروافض فمبتدعون فاسقون ، لان فرقتهم انفردت برأيها
 ودعوتها فى الاشياخ الثلاثة رضى الله عنهم وقد نفى الامام على كرم الله
 وجهه بكلامه الشيعة الرافضة المبتدعين ومن يرون رأيهم ، فانهم اخوان
 الشياطين ، وأعداء الدين ، وسفهاء العقول ، ومخالفوا الفروع والاصول .
 ومنتحلوا الضلال ومستحقو عظيم العذاب والنكال ، فهم ليسوا بشيعة
 لاهل البيت الذين هم من كل ما ادعوه مبرعون ومن قبيح الاثم والرجس
 مطهرون ، وحتى من شوائب النقص والدنس منزهون ، فانهم قد أفرطوا
 وفرطوا فى جنب الله . فاستحقوا منه أن يبقئهم متحيرين فى مهالك الضلال
 والاشتباه ، وانما هم شيعة ابليس اللعين ، وحلفاء ابنائه المتمردين ،
 فعليهم لعنة الله وملائكنه والناس أجمعين . فكيف يزعم محبة قوم من لم
 يتخلق قط بأخلاقهم ، ولا عمل فى عمره بقول من أقوالهم ، ولا تأسى فى دهره
 بفعل من أفعالهم ، ولا تأهل لفهم شىء من أحوالهم ليست هذه محبة فى
 الحقيقة ، بل هى بغضة عند أئمة الشريعة والطريقة ، اذ حقيقة المحبة
 طاعة المحبوب وايثار محابيه ومرضاته ، على محاب النفس ومرضاتها
 والتأدب بأدابه ، والتخلق بأخلاقه ، ومن ثم قال الامام على كرم الله وجهه
 لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر ، لانهما ضدان ، لا يزعم الرافضة انهم
 يحبون أهل البيت لانهم أفرطوا وأبدعوا فانقلب عليهم حبهم بغضا لاهل
 البيت يقينا ، بسبب ما ادعوه من تكفير الاشياخ الثلاثة وسبهم علانية ،
 وهم أصحاب رسول الله والقائمون على هديه وسنته ، وخلفاؤه العاملون
 بكتاب الله من بعده . وقال عليه الصلاة والسلام تشريفا وتعظيما لحقهم :
 عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدى عضوا عليها بالنواجذ
 واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وقد أجمع
 أهل السنة والجماعة من أهل عصرهم على أن رأيهم هذا فاسد أى الرافضة
 المنتدمون وليس من الدين فى شىء ولا يمكن أن يتقرب به الى الله أبدا ، بل
 اعتقادهم ذلك زيغ منهم عن الصراط المستقيم ، : أزاع الله قلوبهم والله

لا يهدى القوم الفاسقين « وفي هذا القدر كفاية ، لان اللبيب تكفيه الاشارة ،
ومن اراد استقصاء أمر الشيعة ومذاهبهم فعليه بالملل والنحل للامام
ابن حزم رحمه الله .

حب آل البيت شعبة من الايمان

كيف يصح ايمان من فقد شعبة من شعبه ، ومبدأ صحيحا من مبادئه ،
وقد قال عليه الصلاة والسلام الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها لا اله الا الله ،
وادناها اماطة الاذى عن الطريق . وكيف يعقل أن يأتى مسلم بأنواع من الطاعات
وفي قلبه معاداة وبغض لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسد على ما آتاهم الله من فضله ،
ومودتهم جاءت منصوبا عليها في الكتاب والسنة واجماع اهل السنة والجماعة ،
وفي الآداب قيل في حبه : ومن يدعى حب النبي ولم يكن بسنته مستمسكا فهو كاذب
علامة صدق المرء في الحب أن يرى على منهج كانت عليه الحبايب فكيف بهذا
المخذول الذي أصم سمعه وجعل في اذنيه وقرا عن سماع ايراد شيء من النصوص
في فضلهم ومودتهم وحبه ، أن يحدث نفسه بشفاعه جدهم ، وقد عرضت عليه
أعماله معهم صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدمت أحاديث كثيرة في هذا الشأن ،
منها ما أخرجه ابن عساکر ، عن علي كرم الله وجهه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
من آذى شعرة منى فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله . ولو ذكرنا على سبيل
الفرض والتقدير ان احدا قال : جاهلا او متجاهلا ، انه مسلم ولكنه يبغض اهل البيت ،
فهل يقبل منه عمله ؟ نصوص السنة انه لا ايمان له حتى يتوب ويرجع الى حبه ،
واذا مات بغير توبة ، فان أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه سيكون واقفا على
الحوض وبيده عصا يطرد بها عن الحوض أعداء اهل البيت ، وعلى هذا فإيمانه باطل ،
وأعماله غير مقبولة لما فيها من المخالفة لنصوص الكتاب والسنة والاجماع ، ولا يمكن أن يكون عمله مقبولا بعد الموت ويثاب عليه ثواب المحسنين . قال الله تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا « وقد تقدم تفسير الآية في محله ، ومن السنة المطهرة عن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا يدخل قلب امرئ مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقربايتي . وان شئت سعة الأدلة في الموضوع فراجع ترجمة حقوقنا الأدبية ، وكما جاءت نصوص

الشريعة بالترغيب في حبهم كذلك جاءت بالنهي عن بغضهم واذابيتهم ، وبما ان الحب والبغض ضدان يفترقان ولا يجتمعان ، لذلك جاءت نصوص الشريعة بالحض على كل منهما اذ الترغيب في الشيء نهى عن ضده، وحكمة الترغيب في حبهم ايصال نتيجه لهم وهو النفع الدنيوى ، ونية التقرب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسواء كان ذلك النفع ماديا كالبذل لهم والدب عنهم، او معنويا كايصال العلم للمتعلم منهم ، والذي هو أكد من هذا كله هو العفو عن مسيئتهم ، ومن ذلك ما فعله امام الائمة « مالك » بن انس رحمه الله ، وقد ورد في قصته مع جعفر بن سليمان العباسى عامل المدينة المنورة ، انه لما ضربه ونال منه حتى حمل مغشيا عليه ، فلما افاق قال : أشهدكم انى جعلت ضاربى في حل . ثم سئل فقال : خفت أن أموت والتى النبى صلى الله عليه وسلم واستحيى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى . وهذا ابلغ ما يكون في تقدير اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم واعظم ذلك العفو عن مسيئتهم ابتغاء وجهه الكريم ، قيل ولما قدم جعفر المنصور المدينة ، ارادا قادته من عاملها جعفر بن سليمان المذكور ، فقال مالك رضى الله عنه : اعوذ بالله ، والله ما ارتفع منه سوط الا وقد جعلته في حل ، لقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما ذكرته كفاية ، وحكمة الترهيب من بغضهم ، ابعاد نتيجة البغض عنهم ، وهى اذابيتهم بالقول كسبهم ، ولعنهم ، والسعى بهم الى من بيده هلاكهم ، وقول ما يبعث على اغضابهم كالكذب عليهم ، واما اذابيتهم بالفعل فهى كضربهم ، وقتالهم ، وقتلهم ، والوقوع في اعراضهم كالزنى بالمرأة الشريفة طوعا او كرها ، فان ذلك كله يسوء النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذيه عند ما تعرض أعمال امته عليه مرتين في كل أسبوع ، وافدح من ذلك الاعتداء على شرف بناتهم ، ويستوى في هذه المنهيات التى تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو من سفهاء اهل البيت ومن غيرهم من سائر اهل الايمان بالله . وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم على من آذاهم ، وكل نبى مجاب الدعوة . فقال : اللهم آذ موزيهم ولو كان منهم . وكل من تعمد اذابيتهم فليس بمعجز في الارض وليس له من دون الله ولى ولا نصير . وليكن على يقين ان عقابه محقق ان عاجلا او آجلا لانه اعتداء على حرمة صلى الله عليه وسلم فى نهاية الامر ، لان الله تعالى هو الذى اكرمه وجعل له اهل بيت ، وهو الذى أمر باحترامهم فوق كل اعتبار ، اذ حرمة المسلم عند الله تعالى اعظم من حرمة الكعبة ، كما لا يجوز شرعا الاعتداء على الكعبة بين المسلمين ، كذلك لا يجوز الاعتداء على حرمة مطلق المسلم

المتحلّي بالإيمان والاعمال الصالحة ، وكما لا يجوز شرعا الاعتداء على مطلق مسلم لا يجوز الاعتداء على من جمع بين الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يغار على أن تنتهك حرّماته ، وقد ضرب لنا مثلا بالبیت العتيق والكعبة المشرفة وقص علينا دفاعه عنهما وغيرته عليهما في سورة الفيل : وهو قوله تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل السورة « وأوصى باحترام حرّمات الله فقال : ذلك ومن يعظم حرّمات الله فهو خير له عند ربه » وقال في آية أخرى : ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب « وقال صلى الله عليه وسلم : الله في أهل بيته . أى خافوه في أهل بيته . فاذا كان احترامهم فرضا على الأمة من طرف شريعة الاسلام ، فانه كان من اللائق بنا أن نعاملهم من نفس الشريعة بأن نحسن الى محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم ، غير أننا لا نترك تذكيرهم وارشادهم بالتي هي أحسن ، فان تمادوا في غيهم ، وطفخوا بعد ذلك فلا خير فيهم ، قال الله تعالى : ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين « وان كانت الشريعة تحتم طاعة اولى الامر ، كما قال تعالى : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم « فان هذه الطاعة امر تكميلي ، لان المومن ان اطاع الله تعالى في امثال امره واجتناب نهيه ، واطاع الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك ، بقى عليه أن يطيع القائم عليهما كذلك لان امره ونهيه منهما ، فاذا أتى بشيء من عند نفسه مما يخالف نصوص الكتاب والسنة . فهناقف ، وقل لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وهى السنة ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : الطاعة في المعروف . وسبب هذا الحديث ما روى في صحيح البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلا من الانصار ، وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب ، فقال : ليس أمركم النبى صلى الله عليه وسلم أن تعطونى ؟ قالوا بلى ، قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا فأوقدوها ، فقال : ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ، ويقولون فررنا الى النبى صلى الله عليه وسلم من النار ، فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة ، الطاعة في المعروف . وأخذ من الحديث ان صاحب التاويل الفاسد غير معذور ، ولنا في آية لقمان مبلغ* في حسن المعاشرة ، وهى قوله تعالى : وانجاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى « فان الانسان اذا ابتلاه الله بكافر في أهله وله يد

عليه ، فان الشرع يامر به من جهة بمعاشرته بالجميل والاحتمال في هذه الحياة الدنيا ، وينهاه من جهة أخرى عن اطاعته اذا اراد منه أن يشرك بالله ويكفر به ، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وهو مع ذلك مأمور باتباع سبيل من اناب اليه تعالى من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما سيعود على من اتبعهم من النفع ، : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » من الكفر والنفاق وبغض آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم سيعطون الشفاعة يوم القيامة .

روى أبو الفرج الاصبهاني من حديث عبد الله بن عمر عن القواريري قال : حدثنا يحيى بن سعيد بن ابان القرشي قال : دخل عبد الله الكامل ابن حسن بن حسن بن علي بن علي بن عبد العزيز ، وهو حدث السن ، وله وفرة ، فرفعه عمر وأجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم أخذ بمنكبه فغمزها حتى أوجعه ، وقال : اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج لامه قومه وقالوا فعلت بغلام حدث : فقال : ان الثقة حدثني لكأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما فاطمة بضعة مني يسرنى ما سرها ، وانا اعلم ان فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها ، قالوا فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت ؟ فقال : انه ليس احد من بنى هاشم الا وله شفاعة ، فأردت ان اكون في شفاعة هذا .

ترغيب الشارع في حب آل البيت

وصح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، واحبوني لحب الله ، واحبوا أهل بيتي .

وأخرج البيهقي وغيره لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه ، وتكون عترتي احب اليه من عترته ، ويكون أهلي احب اليه من أهله ، وتكون ذاتي احب اليه من ذاته .

وصح ان العباس قال : يا رسول الله ، ان قريشا اذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال : والذي نفسي بيده ، لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله . وفي رواية لابن ماجة عن ابن عباس كنا نلقى قريشا وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال : ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجال من أهل بيتي قطعوا حديثهم ، والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقربانهم منى .

وفي رواية أخرى للإمام أحمد وغيره : لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقربانتي . وفي رواية أخرى للإمام الطبراني جاء العباس رضى الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انك تركت فينا ضغائن ، منذ صنعت الذى صنعت أى بقريش والعرب فقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ الخير أو قال : الايمان عبد حتى يحبكم لله ولقربانتي ، اترجو سهاب أى حى من مراد شفاعتى ولا يرجوها بنو المطلب ؟ .

وروى الإمام الطبراني أيضا يا بنى هاشم ، انى قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته أن يهدى ضالكم ، ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم . وان العباس رضى الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انى انتهيت الى قوم يتحدثون ، فلما راونى سكتوا وما ذاك الا أنهم ييغضوننا ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو قد فعلوها ؟ والذى نفسى بيده لا يومن أحد حتى يحبكم لحبى ، أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب .

وفي حديث بسند فيه ضعف انه صلى الله عليه وسلم خرج مغضبا فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال رجال يوذوننى فى أهل بيتى ؟ والذى نفسى بيده ، لا يومن عبد حتى يحبنى ، ولا يحبنى حتى يحب ذوى .

وفي رواية للبيهقى وغيره ، وفي بعض سندها ضعف واه ، أن نسوة عيرن بنت أبى لهب بأبيها ، فغضب صلى الله عليه وسلم حتى اشتد غضبه ، فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس مالى أودى فى اهلى ؟ فوالله ان شفاعتى لتنال قربانتي . وفي رواية ما بال أقوام يوذوننى فى نسبى وذوى رحمى ؟ الا ومن آذى نسبى وذوى رحمى ، فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله تبارك وتعالى .

وروى الإمام الطبراني : ان أم هانئ اخت على رضى الله عنهما ، بدا قرطاهما ، فقال لها عمر : ان محمدا لا يغنى عنك من الله شيئا فجاءت اليه وأخبرته ، فقال صلى الله عليه وسلم : تزعمون ان شفاعتى لا تنال أهل بيتى ؟ وان شفاعتى تنال صداء وحكما وهما قبيلتان من عرب اليمن .

وروى البزار : ان صفة عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى

لها ابن فصاحت فصبر النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت ساكنة فقال لها عمر : صراخك ان قرابتك من محمد صلى الله عليه وسلم لا تغنى عنك من الله شيئا ، فبكت فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها ، فسألها فأخبرته بما قال عمر ، فأمر بلالا فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال : ما بال أقوام يزعمون ان قرابتي لا تنفع ، كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ، الا سببي ونسبي ، فانها موصولة في الدنيا والآخرة . الحديث بطوله وفيه ضعفاء .

وصح انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر : ما بال رجال يقولون ؟ ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه يوم القيامة ، والله ان رحمتي موصولة في الدنيا والآخرة ، وانى ايها الناس فرطكم على الحوض .

ولا ينافي هذه الاحاديث ما في الصحيحين وغيرهما : انه لما نزل قوله تعالى : وانذر عشيرتك الاقربين « خرج فجمع قومه وقال : يا معشر قريش ائتروا انفسكم ولا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا ، يا صافية عمه رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا ، زاد في بعض الروايات ، غير ان لكم رحما سألها ببالها .

وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم سعد على الصفا ، فجعل ينادى ، يا بنى فهر ، يا بنى عدى لبطن من قريش ، قد اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء ابو لهب وقريش فقال : ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم ، اكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال ، فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال ابو لهب : تبالك ، الهذا جمعتنا ؟ فنزلت سورة : تبت يدا ابي لهب « روى ان حمالة الحطب لقتت به لانه كانت تحمل الاثواك ليلا وتضعها في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام ، ولقتت ايضا بالعوراء ، لكونها هجمت على النبي صلى الله عليه وسلم بحجر يملأ كفه ، وهو في المسجد فلم تره ، وهو جالس الى ابي بكر الصديق ، وكانت تسمى ام جميل ، وبعد ما قرئت عليها سورة : تبت يدا الى آخرها . اصعدت وارعدت كأنها مجنونة ، وحملت حجرا ملء كفه ، لتضرب به فاهه صلى الله عليه وسلم ، وكانت في شدة الاسراع والخفة كالورقاء ، — الحماية — فجاءت المسجد وهى غضبى ، من شدة وقع ما سمعته في نفسها ، وفي

زوجها ، قائلة : أفى مثلى وأنا ابنة سيد بنى أمية — وهى أخت سفيان بن حرب — وزوجة أبى لهب ، يقال الهجاء ! ؟ أى السب والذم ، صادرا من أحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما رآها أبو بكر ، قال يا رسول الله انها امرأة بذئة اللسان فلو قمت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انها لن ترانى ، وهما فى المسجد الحرام فجاءت فلم تر الا أبا بكر ، فقالت يا أبا بكر أين صاحبك ؟ كيف يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ، والله انى لشاعرة ، وأنشدت :

مذمما عصينا وأمره أبينا

فقال لها أبوبكر : لا والله هو لا يقول الشعر ، فقالت أنت عندى مصدق ، فأنصرفت فقلت يا رسول الله : لم ترك ، قال : لم يزل ملك يسترنى منها بجناحيه .

وفى رواية قد أخذ الله بصرها عنى . وكانت قریش تلقب النبى صلى الله عليه وسلم مذمما ضد محمدا ، ثم يسبون به ، ثم تولت أى رجعت ولم تره ، وهى فى غاية من عمى البصيرة ، وطمس السريرة ، وهل ترى الشمس العمياء ؟ ولقبت بعد ذلك بالعمياء ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : الا تعجبوا لما صرف الله تعالى عنى من أذى قریش ! ؟ يسبون ويهجون مذمما ، وأنا محمد .

وقالوا هذه الرواية مؤولة بمن مات كافرا ، أو انها خرجت مخرج التغليظ والتنفير ، أو انها قبل علمه بأنه يشفع عموما وخصوصا .

وروى الشيخان ان آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء ، انما ولى الله وصالح المومنين . زاد البخارى تعليقا ، ولكن لهم رحم سابلها ببلالها . أى ساصلها بصلتها التى تنبغى لها . وروى مسلم كذلك فى صحيحه ، والطبرانى فى معجمه الكبير بلفظ ان لبنى طالب عندى رحما سابلها ببلالها ، وهى محمولة على من لا خير فيه منهم . وفى حديث ورد موقوفا ومرفوعا ، صالح المومنين على كرم الله وجهه قال النووى رحمه الله ، ومعنى الحديث ، ان ولى من كان صالحا وان بعد منى نسبه . وروى الطبرانى ان أهل بيتى يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك ان أولى الناس بى منكم المتقون من كانوا ؟ وحيث كانوا .

وقال غيره : المعنى : انى لا اوالى احدا بالقرابة ، وانما احب الله لما له من الحق الواجب على العباد ، واحب صالح المومنين ، أى المومنين الصالحين لوجه الله تعالى ، واوالى من والى الايمان والصلاح ، سواء

كانوا من ذوى رحمة أم لا ؟ ولكن أرعى لذوى رحمة حقهم فأصل رحمتهم .
وفى توثيق عرى الايمان للبخار ، عن الامام الحولى ما حاصله : ان خواص
العلماء يجدون فى قلوبهم مزية تامة بمحبته صلى الله عليه وسلم ثم محبة
ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم . ثم قال : وينبغى الاغضاء عن انتقادهم .

رؤيا عجيبة رأيتها

قد كنت عقدت العزم عند الشروع فى هذا التاليف المتواضع على أن
اتعرض فيه لانتقاد ما أعرفه من أخلاق غير لائقة بأهل النسب الشريف
من بعض العائلات من أبناء عمى ، وكان تصدى أن يعرفوا قبحها ويرجعوا
عن ممارستها لأنها تسمى الينا جميعا على السواء ، وأخص ذرية القطب
مولاي عبد السلام الساكنين ببنى عروس من جبل العلم ، ففوجئت برؤيا
منامية عجيبة صرفتني عن ذلك العزم ، ثم نويت أن لا أمس أحدا بما قد
كنت عزمت عليه ، واكتفيت بما سوى ذلك ، وهى : اننى رأيت نفسى فى
المنام ذاهبا الى زيارة جدى القطب مولاي عبد السلام ، وأنا عريان مكشوف
العورة ، وأنا فى غاية ما يكون من التحسر والحياء ، والخوف من أن يرانى
الناس على ذلك ، وبعد ما اقتربت ووصلت من الضريح المبارك جعلت
اتسلل لائذا بالاحجار الكبيرة الحجم ، مارا من ورائها ، ولما اقتربت جدا
والثقت بنظرى على ساحة الضريح التى تكون دائما مفعمة بالواردين اليه
وجدتها فارغة ليس هناك الا اسوار الاضرحه والساحة خاوية على عروشها ،
ثم رميت ببصرى الى البعد فلم أر أحدا لا ماشيا ولا مجيئا كأن الاحياء ليس
بها احد ، وكان البلد ليس به سكن مع العلم انه مفعم وأهل بالسكان ،
والساحات تعج عجا بالخلائق الذاهبين والآيبين ليلا ونهارا على الدوام ،
ولا يستثنى من ذلك الا أيام الثلوج والبرد القارس فى فصل الشتاء ، حينما
تكون الارض مغطاة بالثلوج المتراكمة الاحجام ، وقد كنت من أجل الاخلاء
مطئن النفس ومرتاح البال ثم أخذت فى الانحذار نحو الطريق المرصف الذى
يمر بوسط قرية السكان ، وبينما أنا واقف على الشروع فى التصريف اذ
فوجئت بأخ لى عليه جلبابان صاعدا فى حال زيارته لضريح الشيخ فطلبت
اليه واحدة البسها حتى لا يرانى الناس على ذلك الحال من كشف العورة ،
فاستيقظت وجعلت أفكر فى هذه الرؤيا وما اشتملت عليه ، فأولتها بأن
الشيخ رحمه الله يغار على أحفاده ، ولا يسمح لمن يتعرض لانتقاد ذريته ،
وان روحه الشريفة لن تزال مهيمنة عليهم وعلى غيرهم ، وعند ذلك مزقت

ما قد كنت كتبت في ذلك ورجعت عنه ، لما قد كان فيه من الفضيحة لى ولابناء عمى لان النقد الخلقى قد تكون فيه مرارة على صاحبه ولا يحتمله ، وفقنا الله لما فيه رضى الله ورسوله ونفعنا بالصالحين من آباءنا وأجدادنا وجعلنا من شفعاتهم آمين ، وانى أرجو منهم أن تكون هذه الرؤيا خيرا لى ولهم حتى يعتبروا ويرجعوا عن ممارسة ما الفوه من تهاون بالاخلاق الكريمة الشريفة الى خير رشدهم ، ويتبعوا ما كان عليه سلفهم الامجد بالامس القريب والبعيد ، لان السىء من الاخلاق يطبع الشريف بغير طابع أصله ، وهى صفة تتنافى مع النسب الشريف ، لان الحجة ناطقة ، الاصيل يعمل بأصله ، كما ضرب به المثل ، وليس بيدنا حجة صحيحة على اتصال نسبنا بالنبي صلى الله عليه وسلم اتصالا يثبت الحقيقة وينفى ما سواها ، غير التمسك بما كان عليه سلفنا من مكارم الاخلاق ، لانها الطابع الاصيل ، وقد فتح علينا السىء من الاخلاق ثغرة للطعن لا يمكن التناهما من طرف رعاى المسلمين وهمجهم الامر الذى يشفى غليلهم فى اعتقادهم الاعمى ان النسب النبوى لا وجود له فى زمنهم هذا وفى نظرهم السائل ان الشريفة باعت عفتها بملء كفها ، ونحن لا ننكر انه يوجد سقيطات الاخلاق بيننا كما هو الشأن فى كل مجتمع ، ولكن النادر لا حكم له والحكم منوط بالاكتر ، والاكثرية لا تزال بخير والحمد لله ، ولا يمنعنا من الصاق هذه التهم بنا الا التمسك بمكارم الاخلاق وان بلغت الامة فى الفساد ما بلغت لانها وراثه صحيحة بل هى المعيار الباقي لصحة دعوانا الاتصال به صلى الله عليه وسلم والامة تنظر الى افعالنا وتحكم علينا ، ولهذا فانه يجب علينا أن لا نعرض النبى صلى الله عليه وسلم بسبب سىء اعمالنا لتهجماتنا ، فنحن الآثمون على ما جنته سفهاء الامة على نفسها وعلينا وعلى النبى صلى الله عليه وسلم . بسببنا ، اللهم الهما رشدنا ، واجعلنا هداة مهتدين ، واجعل وراثتنا فى النبى الكريم وراثه ثابتة خالدة الى يوم الدين . ثم نرجع الى اتمام كلام البزار قال : ومن ثم كان الفاسق من اهل البيت لقله دين ، او ارتكاب بدعة انما يوجه البغض لانفعاله ، لا لذاته ، تأدبا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، لانها اى الذات بضعة منه ، وان كان بينه وبينها وسائط . لانه روى فى قوله تعالى : وكان أبوهما صالحا « انه كان بينهما وبين الاب الذى حفظ فيهما ، سبعة او تسعة آباء » ومن ثم قال جعفر الصادق رضى الله عنه ، احفظونا فينا ما حفظ الله العبد الصالح فى اليتيم . وما انتقد ذريته صلى الله عليه وسلم محب له . هـ

وقد صرح العلماء بأنه ينبغي إكرام سكان بلده صلى الله عليه وسلم على العموم ، وان تحقق منهم ابتداء ونحوه ، رعاية لحرمة جواره الشريف .

وأخرج أبو سعيد في شرف النبوة وابن المنثى انه صلى الله عليه وسلم قال : يا فاطمة ان الله يفضب لفضبك ، ويرضى لرضاك . ولهذا فمن آذى أحدا من ولدها فقد تعرض ل غضب الله لانه اغضبها في ولدها . وقالوا اذا استحق جوار حرمه الشريف حق رعاية الجوار ، فما بالك بأهل بيته ، الذين هم بضعة منه صلى الله عليه وسلم .

وأخرج الديلمى مرفوعا : من أراد التوسل الى ، وان يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصل أهل بيتي وليدخل السرور عليهم

وورد عن عمر رضى الله عنه من طرق انه قال : للزبير انطلق بنا نזור الحسن بن على فتباطأ عليه الزبير ، فقال : أما علمت ان عيادة بنى هاشم فريضة ، أى على حد قوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب ، اراد به التأكيد للسنة ومثل ذلك قصد عمر بقوله فريضة .

وأخرج البخارى في صحيحه : عن أبى بكر رضى الله عنه انه قال : والذى نفسى بيده لقراية رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان اصل من قرابتى . وفي رواية أخرى أحب الى من قرابتى . وفي أخرى والله لان أصلكم أحب الى من ان أصل قرابتى ، لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللعظم الذى جعله الله على كل مسلم . وهذا قاله رضى الله عنه على سبيل الاعتذار لفاطمة رضى الله عنها عند ما جاءته تطلبه ميراث أبيها فمنعها منه .

وأخرج الدارقطنى أن عمر رضى الله عنه قال لفاطمة : ما من الخلق أحب الينا من أبيك ، وما من أحد أحب الينا منك بعد أبيك .

وروى انه وقعت جراحة من الحسن في صغره غيرة على منبر النبى صلى الله عليه وسلم فهجم على الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو على المنبر فقال : انزل عن مجلس أبى فقال : صدقت ، والله انه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه في حجره وبكى ، فقال على رضى الله عنه أما والله ما كان عن رأيى ، فقال : صدقت ، والله ما اتهمتك . فانظر محبة خليفة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره للحسن . وقد اتفق ان وقع للحسين نحو ذلك مع الخليفة عمر رضى الله عنه وهو على المنبر فقال له : منبر ابيك والله لا منبر ابي ، فقال على والله ما امرت بذلك ، فقال عمر : والله ما اتهمتك ، زاد ابن سعد انه اخذه واقعده الى جنبه وقال : وهل اُنبئت الشعر على رعوسنا بعد الله الا ابوك ؟ . اى ان الرفعة ما نلناها الا به . وجاء عن الحسن انه قال لرجل يغلوا فيهم ، ويحكم احبونا لله ، فان اطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ، فقال له الرجل : انكم ذووا قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، فقال : ويحكم ! لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا ، وانى أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، ويقصد بقوله من هو أقرب اليه منا من مات كافرا من اهله . وقد حاول النبي صلى الله عليه وسلم انقاذ عمه ابي طالب ، وفاء بالعهد الذى عهد به اليه ، وهو قوله : لاستغفرن لك ما لم انه عنه ، فجعل يستغفر له لعل الله يشفعه فيه ، وشاركه فى الاستغفار جمع من المؤمنين ، فنهاه الله واياهم عن ذلك بقوله تعالى : ما كان للنبيء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » اى ما كان ينبغى للنبيء ولا يصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته .

وأخرج ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال : رأى فتية من بنى هاشم ، فاغرورقت عيناه ، فسئل فقال : انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وان أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا الحديث .

وأخرج الامام احمد : خرج عمرو الاسلمى وكان من أصحاب الحديدية مع على رضى الله عنهما ، الى اليمن ، فرأى منه جفوة ، فلما قدما المدينة اذاع شكايته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد آذيتنى ، فقال : اعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله ، فقال : بل من آذى عليا فقد آذانى . وزاد ابن عبد البر ومن أحب عليا فقد أحببني ، ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ، ومن آذى عليا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله .

وأخرج الملا : لا يحبنا أهل البيت الا مؤمن تقى ، ولا يبغضنا الا منافق شقى .

وروى الامام احمد والترمذى من أحببني وأحب هذين يعنى حسنا وحسنا وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة . وفى رواية فى درجتى . زاد أبو

داود متبعاً لسنتي . وبها يعلم ان مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة الرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا يفيد مدعيها شيئاً من الخير ، بل تكون وبالاً عليه وعذاباً اليماً في الدنيا والآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : ان اهل بيتي سيلقون بعدى من امتي قتلاً وتشريداً ، وان أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية ، وبنو المغيرة ، وبنو مخزوم ، صححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور .

وأخرج ابن عساکر : أول الناس هلاكاً ، اهل بيتي . وفي رواية فما بقاؤنا بعدهم ؟ قال : بقاء الحمار اذا كسر صلبه .

ومن أشد الناس بغضاً لاهل البيت مروان بن الحكم ، وكان ذلك هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ، ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال : هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون ، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال : لما بليع معاوية رضى الله عنه لابنه يزيد قال مروان : سنة أبى بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه سنة هرقل وقيصر فقال له مروان انت الذى أنزل الله فيك : والذى قال لوالديه أف لكما « فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبى مروان ومروان فى صلبه .

وروى عن عمرو بن مرة الجهنى وكانت له صحبة رضى الله عنه ان الحكم بن العاص استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف صوته ، فقال : ائذنوا له عليه لعنة الله ، وعلى من يخرج من صلبه الا مؤمن منهم ، وقليل ما هم ، يترفهون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ، ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق : وقيل ان صح ذلك فليحمل على انه كان يرمى به قبل الاسلام ، وان النبي صلى الله عليه وسلم تراجع عن ذلك بعد الاسلام .

سياسة المكر والخداع ليست من دين الله

منذ فجر الاسلام فى عصره الزاهر ابتلى من طرف الامويين بسياسة المكر والخداع ، التى هى بعيدة كل البعد من دين الله وبما جاء به محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه من دين الاسلام ، وكان الذى سن هذه

السنة السيئة في الاسلام لن بعده ، أمرهم ورئيسهم معاوية بن ابي سفيان عفى الله عنه ومستشاره ووزيره عمرو بن العاص في ذلك . وفي قضية التحكيم ابتدء عهد هذه السياسة الظالمة الماكرة ، بين الامام على ومعاوية بن ابي سفيان وكانت هذه السياسة الظالمة بداية عهد جديد في الاسلام على يد معاوية وهي التي كانت السبب الوحيد الذي عاقه عن لحوقه بمن تقدمه من الخلفاء الراشدين الذين ساروا في سياستهم على نهج الكتاب والسنة وكان خاتمهم الامام الحسن المتنازل عن حقه في الامامة ابتغاء جمع كلمة المسلمين ، ومراعاة للمصلحة العامة في الاسلام ، وكل من ذهبت به العاطفة الى ان يجعل معاوية في عداد الخلفاء الراشدين ، وجد خندقا شاسعا مملوءا بتصرفاته المنافية لدين الاسلام وأخلاقه الفاضلة عائقا شديدا بينه وبينهم . وكانت ولايته في صدر الاسلام فتحا جديدا لعهد الملوك والامراء الذين صاروا على نهج سياسته من بعده . وكانت لعبة الخداع في التحكيم سياسة ناجحة ظفر فيها معاوية بحصاة الاسد ، ولذلك قد طبل وزمر له فيها كل من استحسناها وجعلها من الاعمال الخالدة في سجل معاوية الصحابي الذي سبق له ان كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاه ليكتب لبني خزيمية حين اصابهم خالد بن الوليد فانصرف اليه الرسول ثلاث مرات ، وفي كل مرة يقول هو ياكل ، فدعا عليه بقوله : لا ائسب الله بطنه ، فكان لذلك ياكل ولا يشبع أبدا ولم يكن هذا الفضل الذي حازه من الصحبة وغيرها ليحمله على التقوى والابتعاد عن هوى النفس . خلاف الامر الذي كان عليه خصمه الامام على رضى الله عنه الذي شهدت له الأدلة والنصوص الشرعية ، واجمع على ذلك علماء الامة واهل السنة والجماعة من اهل الصدر الاول ، على انه كان رضى الله عنه في سياسته ورأيه على الحق ، ولم يمنعه ان يرتكب ما ارتكبه خصمه من سياسة المكر والخداع ، الا الوازع الديني والاخلاقي وتربيته في بيت النبوة والرسالة ، ولهذا اثرت عنه تلك الكلمة الشهيرة التي كان يقولها عند ما يرى الامور تجري على غير مجراها الاخلاقي والديني الا وهي قوله : رضى الله عنه ، « لولا التقى لكنت أدهى العرب » وانه ما كان يمنعه من ارتكاب ما ارتكبه خصمه معاوية الا التقوى والدين وخوف العيب بمصير الامة الاسلامية ، وكان ذلك هو الحافز الوحيد الذي جعله يتكبد في سبيل اصلاح شأن الامة ما تكبده مما هو مسطور عنه في بطون كتب التاريخ ، وبعد التحاقه بربه تقلد نجله الحسن سيد شباب اهل الجنة حق الامامة التي كانت عند ابيه باختيار الامة الاسلامية ثم ان الامام الحسن

رضى الله عنه لما رأى أن أمر الأمة الإسلامية في انهيار ولا يزداد الحال بعد أبيه الا تفاهما في الاختلاف وبعد وجهة النظر والتنازع عليه ، الأمر الذى نهى الله تعالى عنه بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » أى قوتكم ، ولم يستقم قبل ذلك الأمر لابيه الذى كان أقدر على ممارسة شؤون الأمة وسياستها بمقتضى الحكمة والدين والاخلاق والقوة ، رأى ان الموقف يدعو الى التنازل ابتغاء جمع كلمة المسلمين ، وقد بلغ أجل ما كان يحمله منذ الصغر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فتنازل فعلا وابتعد عن كل هول من تلك الاحوال ، فسمى ذلك العام بعام الجماعة ، وقد تحمل في تنازله ما لا يدخل تحت وصف من اهانات وسخریات من طرف خصومه وخصوم أبيه ، وما لقي أهله وشيعته من ذلك ما لا يدخل تحت حصر ، فعند ذلك رأى انه لابد من تجريد سيف الكلام للدفاع عن نفسه وعن أهله ، وذلك ما سطرته أقلام الباحثين الأمر الذى يحمل من اطلع عليه على العجب العجائب ، وهكذا ظلت حياته حتى التحق بربه شهيدا مسموما ولم يفارق الدنيا حتى لفظ طرفا من كبده في حياته ، وعند ذلك خلا الجو لخصمه معاوية عفى الله عنه فجعلها هرقلية ، كما صرح له بذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بقوله : « يموت هرقل ، ويخلفه هرقل آخر » وهكذا تأسس ظلم الحكم الفردى في الأمة الإسلامية على يد معاوية وبنى سياسته على المكر والخداع ، في الطور الاول من اطوار الأمة الإسلامية ثم جعل بعد ذلك حقيقة واقعية ، وسنة متبعة من طرف كل ظالم غاصب كيفما كان لون نظامه ، وليس هناك نظام أحسن من نظام غير تطبيق تشريع الاسلام وكان معاوية اول من أخذ البيعة لابنه يزيد بتهديد السيف بعد اجتماع أهل الحل والعقد من الصحابة والتابعين ، قال بعض من ندبه معاوية لذلك : أيها الناس أمير المؤمنين هذا مشيرا الى معاوية — فان مات فهذا مشيرا الى يزيد — فمن أبى فهذا مشيرا الى السيف . فأين العدل يا ترى ؟ وقد أنتقد مؤرخوا الاسلام هذا على معاوية عفى الله عنه لانه غير لائق بمن يتولى خلافة المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين عدل الاسلام يا معاوية ؟ وأين اخلاق الاسلام ؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام بعثت لائم مكارم الاخلاق ، وأين تربية الاسلام منك ؟ وأين معاشرتكم للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وأين التقى التى كان ينشدها خصمك الامام على رضى الله عنه خشية أن يرتكب في الاسلام مثل ما ارتكبت ؟ ، كل هذه الاسئلة

ضرب بها معاوية عفى الله عنه عنه عرض الحائط ، وسن الملك الروائي في الاسلام على غرار ما كان عليه الهراقلية ، والقياصرة ، والاكاسرة من ظلم الرعية ، وهذا ظلم للاسلام سجل في صحيفتك يا معاوية في فجر الاسلام بادخالك فيه ما هو اجنبى عنه ، وسوقه بمقتضى القوة بعد ارغام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعة ابنه يزيد الذى كان الكل يراه غير صالح لخلافة المسلمين ، وفيهم من الصحابة من هو افضل منه لتحمل اعبائها لولا مبدا الضب الذى قال : « كل لنفسه بغي الخير » والذى كان اول نتائجه قتل الامام الحسين شهيد كربلاء رضى الله عنه ، وقد كان في امكانه لو اراد الخير للامة ان يجمعها على غير ابنه ، ممن يقع عليه اختيار اهل الحل والعقد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم امثالاً لتعاليم الاسلام الحنيفية السمحاء ، والابتعاد به عما هو اجنبى عنه ، وادخال فيه ما ليس منه ممن هو من سنن الجاهلية وبهذا نكص معاوية عفى الله عنه على عقبه ، ورجع بالامة الاسلامية الى سنن الجاهلية ومصائبها الوراثية ، وكان لزاما على الحكم الفردى ان يستأنف عمله متحديا شعور الامة في اختيار رأيها ، ولا يقيم عليه الا ظالم غاصب الذى لا وازع له ولا اخلاق تمنعه من ان ينطلق مع هوى نفسه ويتجرد من كل خلق حافظ له عن الالتجاء الى شريعة الغاب ، وعند ذلك يظل بعيدا عن كل قيمة للانسان وكان لزاما عليه ان يسير في طريقه ، وان يرتكب من عظام المنكرات ما هو طبيعى ان يرتكب ، لانه يشعر في قرار أعماقه انه ظالم لنفسه غاصب لحق غيره فهو وجل حذر على مصيره ، ومن اجل ذلك كان المفروض فيه ان تتحول اخلاقه من صفة انسان الى صفة « نمر مفترس » فيزيد بن معاوية الجامع لهذه الصفات لما تحولت اخلاقه الى صفة نمر مفترس ، قتل الامام الحسين ثم هانت عليه كل الحرمات الاسلامية ، فأباح المدينة لجيشه ثلاثة ايام ، وبذلك يعد خارقا لثلاث حرمات في آن واحد حرمة المسلم ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومنه للحرم المكي فأباحه لجيشه ، فأحل منه ثلاث حرمات ، حرمة الاسلام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، واثناء هتكة لهذه الحرمات جاء نعيه ونعى قائده مسلم بن عقبة ، فرجع جيشه الى مقره بالشام وهذا كله في سبيل الاستيلاء على امة الاسلام في اوج مجدها بالقهر والغلبة امة مارست العدل والسعادة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده ، وابلت مع النبي صلى الله عليه وسلم بلاء حسنا في سبيل نصره الاسلام ، وتطبيق تعاليمه ، وكيف يخضع من عاش الحياة السعيدة لمن

ليس بكفاء في توليته شؤون المسلمين ، وكان لا بد في حملها على سلوك سبيل الحكم الفردي المطلق من ضحايا يقدمها كهدايا لتحقيق واثبات دعائمه ، فكان الامام الحسين السبط سيد شباب اهل الجنة رضى الله عنه اول من وقع ضحية لهذا النوع من الحكم الفردي المطلق ثم التحق به نجل حفيده سيدنا زيد بن علي ، ثم التحق به على الفور ابنه يحيى فكان مصير هؤلاء الضحايا واحدا على يد بغاة الامويين المتعطشين الى الدماء الطاهرة من بيت النبوة لاقرار ملكهم المغصوب خوفا عليه من المستحقين وكان لزاما على الامة الاسلامية بعد تسليمها واستسلامها للامر الواقع أن تجود بأخبارها وفضلاتها ورجالها الامجاد ، وتتقف بعيدا متأولة كأنها راضية فيما يبدو باقرار هذا النوع من الحكم الفردي الغاصب المبني على سياسة المكر والخداع ، وما أدى اليه من تقتيل لاختيار الشباب الاسلامى الناهض ، وفي هذا التاريخ كسفت شمس الحرية وظلت محجوبة عن فضلاتها وأخبارها العباقرة الافذاذ من بنى الاحرار ، وقد ازداد الامر تفاحلا والخطورة شدة عبر عصور الدولة العباسية باضعاف مضاعفة ، فخرقت الجهود التي كان الانسان العربي يفتخر ويعتز بالوفاء بها ، وأصبح المسلم في عصور الاسلام يعدها من مفاخره ، حيث ان دين الاسلام أقرها وحض على التخلق بها واحترامها ثم زادت الوحشية الخلقية فيهم وطغت حتى جعلوها مصايد لاغراضهم بعد نفاذ مكائدهم . ومن ثم سهل على رجال الدولة الامر ، فأعطوا اوامرهم للقائد السفاح أبى مسلم الخراسانى بأن يقتل كل من اتهمه بالميل الى البيت العلوى الذى يعدونه أخطر خصم على سيادتهم المغصوبة ، حتى قال المؤرخون : قد بلغ من ضعف العباسيين على أبناء عمهم أهل البيت العلوى وحرص الضيق الذى نالهم منهم حتى صاروا كالطائر المحبوس فى قفصه فهو يحاول التخلص منه على غير هدى ، كما فعل الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، الذى ثار بمكة فى مدة موسى الهادى بن جعفر المنصور سنة (169) هجرية ، وقتل وصلب فى وقعة شهيرة بموضع قريب من مكة يدعى « فنج » والتي ذهب فيها أكثر ذرية بنى الحسن ، وهذا الموضع يوجد على بعد (6) أميال من مكة المكرمة .

وقد نجا من أهل البيت العلوى رجلان لهما تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله الكامل ذهب الى بلاد المغرب ، وكون بها دولة اقتطعها من مملكة العباسيين ، وأخوه الامام يحيى ذهب الى بلاد الديلم فأراد أن يكون بها دولة فلم يفلح لقربها من عاصمة الخلافة بغداد . ثم فى نهاية

الامر لقي أبو مسلم منهم نفس المصير الذى فعله بغيره ، فقتلوه شر قتلة ، ثم استمروا على هذه السياسة الغاشمة التى أدت بهم الى قتل الآلاف من مواليهم ، وقد بالغوا فيها حتى كانوا يقتلون الرجل ولو لمجرد الوشاية المتقنة ، كل ذلك خوفا على سلطانهم المغصوب بطريق المكر والخداع ، ولم يعولوا فيه على رضى الامة الاسلامية ، ولم يعتمدوا فى الحصول عليه الا على اسلوب المكر والخداع وحد السلاح ، وكل ملك اعتمد على هذا الاسلوب كانت نتائجه قتلا وتصليا ، ولو كان فى ذلك ذهاب دينهم جملة وتفصيلا . فنفسهم لا تترتاح الا بنشوة الانتصار فى سياستهم ، والاطمئنان على بقاء ملكهم ، وقد كانت مصيبة العلويين اشد لما كانوا يرون عليهم من الفضل والخير الذى كان يدفع بالناس الى ازدياد حبهم ، وتمنى الخلافة فى بيتهم لانهم كانوا يرونهم من حيث النفوذ الروحى فى قلوب الامة اوسع منهم ، وكان النفوذ الروحى فى ذلك الوقت له وزنه الخاص ، فحاولوا بكل قوة أن يقطعوا الطريق عليهم حتى لا يصلوا الى شىء من السلطة الزمنية ، فيكمل لهم الامر ويتسع لهم مجال القوة للانقضاض عليهم ، وزوال ما بأيديهم من ملك مغصوب .

وكانت الامة الاسلامية لذلك العهد تتطلع الى أن تكون الخلافة الاسلامية فى البيت العلوى من ذرية الحسنين ، لانهم كانوا يعتبرونه نفس البيت النبوى ، فهم بهذا يحاولون بها الرجوع الى منبعها الاصيل الذى خرجت منه ، لعلهم يجدون فيهم ضاللتهم المنشودة ، فى سياسة الامة بالاخلاق والدين ، التى كانوا يرونها مفقودة بين من بنوا سياستهم على المكر والخداع ، والتقتيل لمجرد وشاية متقنة ، حتى شملت تلك السياسة نكبة البرامكة الذين كانوا رجال دولة العباسيين على عهد هارونهم الرشيد ، فلم يزل الحاسدون لهم والواشون بهم يصورونهم لطبيعة الملك الاستبدادى بانهم يساؤونهم فى درجتهم ، ويزينون لهم ما اشتد من وطأتهم ، وسماع كلمتهم ، حتى ضاق صدرهم منهم ، فعند ذلك خشى صاحب الملك المغصوب ولم يبق له الا اللجوء لطبيعة الاستبداد ، فجعل يتبع عوراتهم ويسجل معائبهم ، وهفواتهم ، ويغض العين عن محاسنهم ، حتى يسهل عليه أن ياخذهم بمساويهم ، ولو كانت مصنوعة بخيوط من عنكبوت الوشاة ، فجاعت المحنة ، وقتل هارون الرشيد ثلاثة رجال من كبارهم ، وهم : يحيى بن خالد وولداه جعفر والفضل ، وقد كان هؤلاء الثلاثة من كبار الدولة عند الرشيد حتى رآهم الناس بعد العز المتين ، والشرف المبين منكوبين بسبب وشايات حاسديهم .

وقد طغت روح الانتقام من جانب الحكم الفردي في عصر المتوكل حتى صار لا يقنع بقتل من يعنيه قتله ، بل يتبع قتله بمصادرة ماله ، من متاع منقول وعقار ، ولو أدى ذلك الى ضياع أهل بيته ، فالى هذا الحد وصل ضعف الوازع الدينى في قلوب المستبدين من أهل الحكم الفردي في صدر العصور الاسلامية ، وقد ثبت بهذا عند المؤرخين ان شهوة الانتقام ازدادت طغيانا حتى حالت بين القوم وبين دينهم الذى نهى عن التعذيب والتصليب والمثلة .

المراد بالآل في الاحاديث الواردة فيهم

اخرج الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خيركم خيركم لاهلى من بعدى . واخرج الطبرانى والحاكم عن عبد الله بن ابي اوفى ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربي ان لا أتزوج الى احد من امتى ، ولا يتزوج الى احد من امتى الا كان معى في الجنة فأعطانى ذلك .

واخرج الشيرازى في الالقاب عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربي ان لا أزوج الا من أهل الجنة ، ولا أتزوج الا من أهل الجنة . قد تقدم بعض الكلام على الآل ، وعلى الآية الواردة فيهم ، وناتى هنا بمزيد من الأدلة فنقول : اخرج الامام احمد عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان آية قوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا « نزلت في خمسة : النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . واخرج ابن جرير مرفوعا بلفظ انزلت هذه الآية في خمسة : فى وفى على ، والحسن والحسين وفاطمة . واخرجه الطبرانى أيضا ، ولمسلم فى صحيحه ، انه صلى الله عليه وسلم ادخل اولئك تحت كساء عليه ، وقرا هذه الآية . وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على هؤلاء كساء ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة : وأنا معهم ، قال : انك على خير . وفى رواية انه قال : بعد قوله وطهرهم تطهيرا ، انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم .

وفى رواية أخرى ألقى عليهم كساء ، ووضع يده عليها ، ثم قال :

اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد .

وفي اخرى ان الآية نزلت ببیت أم سلمة ، فأرسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم دعا لهم . وفي اخرى انهم جاءوا واجتمعوا فنزلت ، فان صحتا حملا على نزولها مرتين . وفي رواية اخرى انه قال : اللهم اهلى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ثلاثا . وان أم سلمة قالت له : ألسنت من أهلك ؟ قال بلى وانه أدخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم . وفي اخرى انه لما جمعهم ودعا لهم بأطول مما مر ، قال وائلة : . وعلى : يا رسول الله ، فقال : اللهم وعلى وائلة .

وفي رواية صحيحة قال وائلة : وانا من أهلك ؟ قال : وانت من اهلى . قال وائلة : انها لمن أرجى ما أرجوه قال البيهقي : وكأنه جعله في حكم الاهل ، تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا .

وأشار المحب الطبري الى ان هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة وبيت فاطمة رضى الله عنهما وغيرهما . وبه جمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم ، وما جللهم به وما دعا به لهم ، وما أجاب به وائلة وأم سلمة وأزواجه ويؤيد ذلك رواية — انه قال : نحو ذلك لهؤلاء ، وهم في بيت فاطمة . وفي رواية انه ضم الى ذلك بقيقة بناته وأقاربه وأزواجه .

وصح عن أم سلمة ، فقلت يا رسول الله انا من أهل البيت ؟ فقال : بلى ان شاء الله . وذهب الثعلبي الى ان المراد من أهل البيت في الآية جميع بنى هاشم ، ويؤيده الحديث الحسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى ، فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقال آمين ، وهى ثلاثا . وفي رواية فيها من وثقه ابن معين وضعفه غيره ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى في خيرهم بيتا ، وذلك قوله عز وجل : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » والحاصل انه لما كان سياق الآية في مخاطبة أزواجه صلى الله عليه وسلم لانهم أهل بيت سكناه وكان قد يخفى ذريته من شمول الآية لهم بينهم صلى الله عليه وسلم بطريق النص الصريح حتى لا يخفى على احد ما هو المراد من الآية ، وانهم هنا ما يعم بيت سكناه وغيره ، وهم أزواجه وأهل بيت نسبه من بنى هاشم والمطلب .

وفي بعض طرق الحديث بالسند الحسن عن الحسن رضى الله عنه
وانا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا .
فبيت النسب مراد في الآية كبيت السكنى . وأخرج مسلم في صحيحه عن
زيد بن أرقم انه سئل ، أنساؤه من أهل بيته ؟ فقال : نساؤه من أهل
بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الله الصدقة عليهم . فأشار الى أن نساءه
من أهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات ، وخصوصيات أيضا لا من
أهل بيت نسبه ، وانما أولئك من حرمت عليهم الصدقة . وكان ابتداء
الآية الشريفة بأنا لافادة الحصر ، فهذه الإرادة الإلهية خاصة بأهل بيت
سكناه وبيت نسبه ومنحصرة فيهما ، ولان الله تعالى خصهم باذهاب الرجس
عنهم الذى هو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به ، وطهرهم تطهيرا من
سائر الاخلاق والاحوال المذمومة ، ولان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله
ذريتها على النار . وكذلك بنو هاشم كما تقدم قريبا من أن النبى صلى الله
عليه وسلم دعا لهم وقال : واسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه .
وذلك هو التطهير وغايته . ومنه الهام الانابة الى الله تعالى ، وازهاب
الخلافة الفاسدة عنهم ، حتى يتفرغوا للخلافة الروحية بالاعمال الصالحة ،
وعوضهم سبحانه بها عن حقهم في الخلافة الجسمانية التى استحالت ملكا
عضوفا كما ثبت ذلك كله عنه صلى الله عليه وسلم وتجردت من الخلافة
الروحية ، وكانت شرا على من تولاها . وأولئك اشتغلوا بالخلافة الروحية ،
حتى ذهب قوم الى أن قطب الاولياء فى كل زمان لا يكون الا منهم فى الغالب
وقد يكون من غيرهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو مذهب الشيخ
أبى العباس المرسي تلميذ الامام الشاذلى ، ونقله عنه تلميذه التاج بن
عطاء الله .

ومما هو من جملة التطهير فى حقهم تحريم صدقة الفرض عليهم بل
والنفل على قول للامام مالك ، لانها أوساخ الناس ، مع كونها تنبىء عن عز
المعطى وذل الآخذ والمأخوذ ، وعوضوا عنها بحقهم فى خمس الخمس من
الفىء والغنيمة المنبىء عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه .

أدب المواصلة والوصلة مع الشريف

وينبغى لمن أراد أن يصلهم بشىء اكراما لهم ولجنابه الشريف صلى
الله عليه وسلم وعلى جهة الادب معه ، أن يكون ذلك على وجه الهدية ،
من غير أن يكون صدقة فرض ولا نفل ، مراعاة لتطهير الله اياهم ظاهرا

وباطنا ، ومثل صدقة الفرض في التحريم عليهم تحريم النذر ، والكفارات ،
وخالف في ذلك بعض المتأخرين ، وقال : ان النذر كالنفل ، فيحمل على
خفة الامر .

وبعد ما منعوا من أخذ حقهم من الخمس أفنى العلماء : للمحتاج
والمضطر منهم بحل زكاة الفرض والنفل والنذر ، والكفارات الى غير ذلك
مما يباح للمضطر شرعا ، أما الغنى منهم فلم تتغير الحرمة في حقه ، فهي
باقية لان علتها موجودة والقاعدة ان العلة تدور مع المعلول وجودا وعمدا ،
بحيث يلزم من وجود الغنى وجود حرمة أخذ الصدقة ، وتنتفى حرمتها
للمحتاج والمضطر ، أما من عرف نفسه بأنه في غنى عنها ، فلا يزاحم
المحتاج والمضطر عليها فانها حرام عليه . والقدر الذي يحصل به الغنى
أن يكون له كفاية قوت سنته ، فلا يحتاج فيها الى الصدقة والمحتاج
والمضطر لها من لا يملك قوت يومه .

واستدل الشافعي رحمه الله لحل صدقة النفل لهم بقول الباقر رضی
الله عنه لما عوتب في شربه من سقايات بين مكة والمدينة ، قال : انما حرم
علينا الزكاة المفروضة . ووجهه ان مثله لا يقال من قبل الراى لتعلقه
بالخصائص ، فيكون مرسلا لان الباقر تابعى جليل ، وقد اعتضد مرسله
بقول أكثر أهل العلم ، وتحريم ذلك يعم بنى هاشم والمطلب ومواليهم ،
قيل وأزواجه وهو ضعيف ، وان حكى ابن عبد البر الاجماع عليه اى القول
بالحرمة ، ولزوم نفقتهم بعد الموت يحرم الاخذ ، الا من جهة الفقر والمسكنة
بخلافه من جهة أخرى كدين أو سفر اى فانه لا يحرم الاخذ كما هو مقرر
في كتب الفقه . وفي خبر انها تحل لبعض بنى هاشم من بعض لكنه ضعيف
مرسل فلا حجة فيه .

وأما شربه صلى الله عليه وسلم من سقايات زمزم ، فواقعة حال ،
تحمل على أن الماء الذى فيها من نزعه صلى الله عليه وسلم ، أو نزع ماذونه ،
فلم يتحقق انه من صدقة العباس . وحكمة قول الله تعالى في ختم الآية
بتطهيرا ، المبالغة في وصولهم لاعلاه ، وفي رفع التجوز عنه ، والحكمة في
تنوينه أيضا للتعظيم والتكثير والاعجاب المفيد انه ليس من جنس ما
يتعارف ويؤلف ، ثم أكد ذلك كله صلى الله عليه وسلم بقوله لهم في تكرير
طلبه اللهم هؤلاء أهل بيتى الى آخر ما مر ، ثم أكده أيضا بادخال نفسه
معهم في العد لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه .

وفي رواية انه اندرج جبريل وميكائيل ، اشارة الى علو قدرهم ثم

زاده تأكيدا بطلب الصلاة عليهم ، بقوله : فاجعل صلواتك وبركاتك الخ ما مر ، ثم زاده تأكيدا أيضا بقوله ، أنا حرب لمن حاربهم . وفي رواية أنه قال بعد ذلك : الا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى . وفي أخرى والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوى . فاتمامهم مقام نفسه ، ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال : انى تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى . والحقوا به أيضا في قصة المباهلة كما تقدم . والحاصل ان المراد في الاحاديث المتقدمة بالآل ، وذوى القربى ، وعترتى ، وقرابتي ، وذوى ، هم مومنون بنى هاشم والمطلب على العموم ، لشمولهم الدخول في الخمس وتحريم الزكاة عليهم . ثم تاتي بعدهم في درجة القرب منه صلى الله عليه وسلم ، وهم خاصة الخاصة ، ، وهم من شملهم الكساء ، وقصة المباهلة ، وآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، وهم المعروفون بأهل البيت الى الآن ، وما بعد الان . وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ، وفاطمة والحسن ، والحسين وذريتهما الى يوم القيامة . وأما خبر آلى كل مؤمن تقى ، فهو ضعيف بالمرّة . ولو صح لتأيد به جمع بعضهم بين الاحاديث ، بأن الآل في الدعاء لهم بالصلاة يشمل كل مؤمن تقى ، وفي تحريم الصدقة عليهم يشمل مؤمنى بنى هاشم والمطلب ويختص بهم ، ويختص اهل البيت منهم بقصة المباهلة ، وآية انما يريد الله الآية ، والدخول تحت الكساء ، وهم خاصة الخاصة به صلى الله عليه وسلم واصحاب كل فضل . ويؤيد ذلك خبر البخارى : ما شبع آل محمد من خبز مادوم ثلاثا ، اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا .

وفي قول : ان الآل هم الازواج والذرية فقط ، ويؤيد ذلك خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة في مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ثم الحسين فأدخله ، ثم فاطمة فأدخلها ، ثم على فأدخله ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفي رواية اللهم هؤلاء اهل بيتي .

وفي رواية أخرى ان أم سلمة أرادت الدخول معهم ، فقال صلى الله عليه وسلم بعد منعه لها : انت على خير . وفي رواية أخرى انها قالت : يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال : وانت من اهل البيت العام . بدليل الرواية الاخرى ، لما قالت وأنا ؟ قال : انت من اهلى وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : لوائلة ، لما قال : يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال : انت من اهلى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : سلمان منا أهل البيت . وهى رواية صحيحة . فاتخذة لنفسك وعده منهم تحقيقا باعتبار صدق صحبته ، وعظيم قربه وولائه وهو فوز عظيم لسلمان رضى الله عنه ، حيث أدخله النص من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والحقه بأهل بيته وخاصته ، وفى ذلك قيل :

عليك بتقوى الله فيما تريده ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارسى وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب
فهنيئا لك ياسلمان على ما نلته من القرب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسبب صدق محبتك له ولاهل بيته ، حتى أدخلك النص
الصريح فيهم ، فأحل لك ما يحل لهم وحرم عليك ما يحرم عليهم ، فهنيئا
لك لقد طهرت نفسك ، وزكى عملك ، وربحت الاندماج فى آية قوله
تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الآية . هكذا ينبغى أن يدفع
الحب الصادق بصاحبه حتى يجعله من أهل البيت الذين هم خاصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاذنين ، وقد دفعت بك الاقدار من دولة
آبائك واجدادك فارس الذين تركتهم وراءك غارقين فى بحر الجوسية ثم
انتقلت منها الى الكنيسة النصرانية ، طالبا بها دينا يرضيك فلم تجده ،
ثم هاجرتها وابتعدت عنها باحثا عن دين صحيح يقنعك ويرضيك فى
المعرفة بريك ثم رمت بك الاقدار الى أن سببت والحقت بعروض التجارة ،
فبعثت بثن بخس سقطت به قنا بيد يهودى من يهود يثرب ، فكان ذلك
سببا لانعام الله عليك بنعمة الايمان والاسلام ، الذى ما فتئت من أجله
تبحث عن دين سماوى تسكن اليه نفسك ، ويطمئن اليه ضميرك ، ولما
فتح الله على المسلمين بالهجرة من القرية الظالم أهلها الى أرض عز
الاسلام وانتصاره « يثرب » فوصل الى سمعك ان الاوس والخزرج ،
اجتمعوا بقباء على رجل يزعم انه نبي ، تشوقت نفسك اليه ، فذهبت
لاختباره بما عندك من علم عليه ، فعثرت على ضالتك المنشودة عند ما
جئته ووجدته يودع جنازة بالبيع فتأخرت من وراء الرسول صلى الله
عليه وسلم فعلم انك تريد منه شيئا تطلع عليه فكشفت لك عن السر الذى
كنت طالبه ، فتأكدت من ضالتك المنشودة ، فأسلمت وجهك لله وأنت
محسن واستمسكت بالهروة الوثقى بعد أن انتقلت اليها من أرباب بلغ
عدددهم بضعة عشر سيدا وكم حال أعداء الاسلام بينك وبين هذه النعمة
الكبرى حتى لا تصل اليها بحال ، وعند ما ائتمت عزمك على الوصول

اليها ، لطمت على خدك في سبيلها من سيدك اليهودى فجنّت شاكياء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليك بالكتابة من سيدك ،
فأعانتك وعمل معك بيده الشريفة في حائط سيدك ، ثم أدى عنك بيضة
النضار — أى الذهب — من الغنيمة ، فصرت حرا مسلما شريفا من أهل
بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصته الأدينين ، فهنيئا لك يا سلمان
بهذا الأب العطوف والرحيم العرف ، وقد ثبت فيك حديث : ان الله
ليرضى لرضى سلمان ، ويسخط لسخطه ، وان الجنة لتشتاق الى سلمان
اشد من اشتياق سلمان الى الجنة . ولما سئل عن نسبه قال : أنا سلمان
ابن الاسلام ، ولم يزد على ذلك شيئا ، وعاش سلمان مائتى وخمسين
سنة على الاصح ، وكان عطاؤه أيام الخلفاء الراشدين مع ذوى القربى
خمسة آلاف درهم سنويا ، فكان يفرقها وياكل من كسب يده من صنعة
الخوص أى الاطباق المصنوعة من ورق النخيل ، ومهما كانت العواقب
حسنة كان كل ما يلقاه الانسان فى سبيلها سهلا ، لقولهم ما نيل عظيم
الا بجسيم ، ومن لم يركب الأهوال لم ينل الآمال ، وفى مثل ذلك قيل :

لا تكره المكروه عند حلولة ان العواقب لم تنزل متباينة
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله فى طى المصائب كامنة

وفى رواية : أسامة منا أهل البيت ظهر البطن . وروى الإمام أحمد
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان الذين نزلت فيهم الآية : النبى
صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة ، وابناهما رضى الله عنهم . وكذلك
اشتمل النبى صلى الله عليه وسلم بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى
الله عنهم ، وقال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم
من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت أسكنة الباب وحوائط البيت
أمين ، أمين ، أمين . وحديث مسلم أصح من هذا ، وأهل البيت فيه غير
أهله فى حديث العباس وبنيه المذكور . لما مر ان له اطلاقا بالمعنى
الاعم ، وهو ما يشمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى ، ومن صدق فى ولائه
ومحبته أخرى . واطلاقا بالمعنى الاخص وهم من ذكر .

وفى خبر مسلم وقد صرح الحسن رضى الله عنه بذلك ، فانه حين
استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ
منه مبلغا ، ولذلك عاش بعده (20) سنة ، فقال يا أهل العراق اتقوا

الله فينا فانا امرؤكم وضيقاتكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل
فيهم : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا «
قالوا ولانتم هم ؟ قال : نعم .

وسبق عن زيد بن أرقم ، ان نساءه من أهل بيته ، ثم قال : ولكن
أهل بيته الخ ويؤخذ منه انهم من أهل بيته بالمعنى الاعم ، دون الاخص ،
وهم من حرمت عليهم الصدقة . ويؤيده خبر مسلم السابق قريبا . ويؤيد
الآل بالمعنى الاعم تفسير الامام الشافعى رحمه الله الآل بنى هاشم
والمطلب ، وعوضوا عن حقهم في الصدقة بحقهم في خمس الخمس من
الفى والغنيمة المذكور فى الآيتين من سورتى الانفال والحشر اذ هم المراد
بذى القربى فيهما . وهما قوله تعالى : واعلموا انما غنمتم من شىء الآية .
وقوله : ما افاء الله على رسوله الآية . وقوله صلى الله عليه وسلم
انما بنو هاشم والمطلب شىء واحد ، فضيلة أخرى ، وهى انه حرم عليهم
الصدقة ، وعوضهم عنها خمس الخمس فقال : ان الصدقة لا تحل لمحمد
ولا آل محمد .

قال : وذلك يدل ايضا على ان آله الذين امرنا بالصلاة عليهم معه ،
هم الذين حرم عليهم الصدقة ، وعوضهم عنها خمس الخمس ، فالمسلمون
من بنى هاشم والمطلب يكونون داخلين فى صلاتنا على آل نبينا صلى الله
عليه وسلم فى فرائضنا ونوافلنا وفيمن امرنا بحبهم ه .

وقصر الامام مالك وأبو حنيفة النعمان رضى الله عنهما تحريم
الزكاة على بنى هاشم وعن أبى حنيفة جوازها لهم مطلقا ، وقال
الطحاوى : من أصحاب أبى حنيفة ، جوازها لهم مقيد بان حرموا حقهم
من سهم ذوى القربى . ه وصاحبه أبو يوسف يقول : تحل من بعضهم
لبعض . ومذهب أكثر الحنفية والشافعى وأحمد ، حل أخذهم صدقة
النفل . وهو رواية عن مالك أيضا ، وعنه أيضا أخذ الفرض دون التطوع
لان المأخوذ الأكثر . ولم يقيد الاخذ بحرمانهم من حقهم فى خمس الخمس
الا الطحاوى من الحنفية . والباقي سكتوا عن التقييد ، ويفهم من
سكوتهم عنه الاطلاق ، أخذوا أو منعوا . واسند المحب الطبرى خبز
استوصلوا بأهل بيتى خيرا فأتى أخاصمكم عنهم غدا ، ومن أكن خصمه
أخصمه ومن أخصمه دخل النار قال الحافظ السخاوى لم أقوله
على اصل أعتمده ، وفى معناه : ما صح عن أبى بكر رضى الله عنه أنه

قال : ارقبوا محمدا ، أى احفظوا عهده ووده ، صلى الله عليه وسلم في أهل بيته . قد يظن بعض الناس ان الائمة المجتهدين ، وجميع أهل السنة قصروا كلامهم على الامور النظرية ، والحق انهم كثيرا ما تعرضوا للمسائل السياسية بالانتقادات المرة . كمسألة الامامة ، فقد نقم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه على العباسيين سطوتهم وشدتهم ، ومال الى العلويين ، بعد موت العبقرين : محمد النفس الزكية ، وأخيه ابراهيم ، وقد روى ان المنصور استدعا أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد لاتهامه بمناصرة ابراهيم ، فظل بها (15) يوما ثم توفى ، وكانت وفاته سنة (150) هجرية وقيل انه دس له السم فمات مسموما .

وكان مالك بالمدينة يفتى الناس بأنه ليس على مكره يمين ، فامتحن بالضرب والتطويف ، ومعنى هذا أن من بايعهم على ما كانوا عليه من أخذ يمين البيعة على الناس بالطلاق ليلا يرجعوا فيها ، ويبايعوا محمدا النفس الزكية ، وكان أخذهم البيعة على ذلك على جهة الاكراه ، فكان مالك يفتى ضدهم ، بأنه ليس على مكره يمين ، ولا تلزمه ان هو أداها كرها . فامتحن على ذلك بالضرب بالسياط والتطويف بأسواق المدينة على عظم قدره رضى الله عنه ، وكان يقول : له أن يتحلل منها متى شاء ، ويبايع غيرهم ، ويروى عن مالك رضى الله عنه انه كان يطاف به على حمار ووجهه الى الخلف . وهو لشدة صلابته في رأيه ، كان يقول : من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس طلاق المكره لا يلزم . وذلك أقسى شيء على سياسة العباسيين وسلطتهم المختلصة في الظلام ، وبطريق المكر والخداع ولذلك جنت جنونهم في الفتك بغيرهم .

قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى

ورد في تفسير هذه الآية احتمالات ، وكلها ترجع الى معنى واحد ، وهو التودد لقربته صلى الله عليه وسلم . سبب نزول الآية وشاهده مختصر صحيح ، كان سبب نزولها افتخار الانصار بآثارهم الحميدة في الاسلام على قريش ، فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجالسهم فقال : ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى ، قالوا بلى : يا رسول الله ، قال الا تقولون ؟ ألم يخرجك قومك ؟ فأويناك ، أو لم يكذبوك فصدقناك ؟ أو لم يخذلوك فنصرناك ؟ فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله . فنزلت الآية . ونفى

رواية أخرى ضعيفة ان سبب نزولها ، انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده شيء فجمع له الانتصار مالا ، فقالوا يا رسول الله انك ابن أختنا ، وقد هدانا الله بك ، وتنوبك نوائب حقوق وليس معك سعة ، فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها ؟ فنزلت الآية . وكونه ابن أختهم جاء في الرواية الصحيحة ، لان أم عبد المطلب من بنى النجار منهم ما صدق الآية .

وأخرج الامام أحمد ، والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا . يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وابناهما . وروى أبو الشيخ وغيره عن علي كرم الله وجهه ، فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا مومن ، ثم قرا : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » .

وأخرج البزار والطبراني عن الحسن رضى الله عنه من طرق بعضها حسان ، انه خطب خطبته من جملة من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم تلا : واتبعته ملة آباءى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ثم قال : انا ابن البشير أنا ابن النذير ، ثم قال : وأنا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم وموالاتهم فقال : فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » وفي رواية الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسنا » واقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت . وأخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جرى به أسيرا ، وأقيم على درج دمشق ، قال : بعض أعدائهم من جفاة أهل الشام ، الحمد لله الذى قتلكم ، واستأصلكم ، وقطع قرن الفتنة ، فقال له : أما قرأت : ؟ قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » قال : وأنتم هم ؟ قال : نعم .

وأخرج الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسنا » قال : الموالة لآل محمد صلى الله عليه وسلم . ونقل الثعلبي والبخارى عنه انه لما نزل قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » قال قوم في نفوسهم : ما يريد الا ان يحثنا على قرابته من بعده ، فأخبر جبريل النبى صلى الله عليه

وسلم : بأنهم اتهموه ، فأنزل الله : أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور « فقال القوم : يا رسول الله ، انك صادق ، فنزل : وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون » ونقل القرطبي وغيره عن السدي ، انه قال : في قوله تعالى : ان الله غفور شكور « غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم . ورأى ابن عباس رضى الله عنهما حمل القربى في الآية على العموم .

وفي صحيح البخارى وغيره ، عنه ان سعيد بن جبير لما فسر القربى بآل محمد قال له : عجلت اى اسرعت في التفسير ، انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن في قريش الا كان له فيه قرابة ، فقال : الا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة .

وفي رواية عنه : قل لا أسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا المودة بأن تودوا قرابتي فيكم وتحفظوني في ذلك .

وفي اخرى انهم لما ابوا ان يبايعوه ، انزل الله عليه ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا أبيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني . وتبعه على ذلك عكرمة ، فقال : كانت قريش تصل الارجام في الجاهلية فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الله ، خالفوه وقاطعوه ، فأمرهم بصلة الرحم التى كانت بينهم وبينه ، فقال : ان لم تحفظوني فيما جئت به ، فاحفظوني لقرابتي فيكم . وجرى على هذا التفسير قتادة ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم . ويؤيده ان السورة مكية ، وقيل انها مدنية ، وعلى صحة هذا القول تكون نزلت مرتين ، وعلى كل فانها لا تنافي ما مر فانها لا تنافي تخصيص القربى بالآل ، لان من ذهب اليه كابن جبير اقتصر على اخص افراد القربى ، وبين ان حفظهم أكد من حفظ بقية تلك الافراد ، ويستفاد من الاقتصار عليها طلب مودته صلى الله عليه وسلم وحفظه بالاولى ، لانه اذا طلب حفظهم لاجله ، فحفظه هو اولى بذلك واخرى . ولذا لم ينسب ابن عباس ابن جبير الى الخطأ ، بل الى العجلة ، اى السرعة عن تأمل ، ان القصد من الآية العموم ، والا هم منها اولا وبالذات ، وده صلى الله عليه وسلم ، ومما يؤيده انه لا مضادة بين تفسيرى ابن جبير وابن عباس ، ان ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا ، فافهم صحة ارادة كل منهما فيها ، بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير ، وهو رواية الحديث الذى ذكرناه : ان فيه

شيئياً غالباً ، لكنه صدوق ، ولا ينافي ذلك كله أيضاً تفسيرها بأن المراد
إلا التودد إلى الله . لما أخرج غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما
مرفوعاً ، لا أسألكم على ما آتيتكم به من البينات والهدى أجزاً إلا أن تودوا
قربتي ، وتقتربوا إليه بطاعته . ووجه عدم المناطات بين التفسيرين
أن من جملة مودة الله سبحانه والتقرب إليه ، مودة رسوله التي منها
مودة أهل بيته وذكر بعض معاني اللفظ لا ينافي ما يصاده منها ، فضلاً عما
يوميء ويشير إليه .

وقيل الآية نزلت بمكة وهي منسوخة ، لأن المشركين كانوا يؤذونه ،
فأمرهم بمودته وصلة رحمه ، فلما هاجر إلى المدينة ، وآواه الأنصار ،
ونصروه الحقه الله بأخوانه من الأنبياء ، فأنزل عليه : قل ما سألتكم من
أجر فهو لكم أن أجرى إلا على الله « وهذا تنصل ظاهر من مودة أهل
البيت ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه ثقلًا ، والتنصل من مودتهم
يلزم عليه التنصل من مودته صلى الله عليه وسلم ومودة الله سبحانه
لأنهما طاعة واحدة وحقيقة لا تتجزأ ، كما تقدم الكلام على ذلك قريباً ،
وقد رده الحافظ البغوي بما نصه : أن مودته صلى الله عليه وسلم وكف
الأذى عنه وعن أقاربه ، لأنها أذية له ، ومودة أقاربه والتقرب إلى الله
بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أي الباقية على ممر الأبد
فلم يجز ادعاء بنسخ الآية المحكمة ، لأن حكمها باق ومستمر ، فكيف
يدعى رفعه ونسخه وقد رده الإمام الثعلبي أيضاً في تفسيره وبالغ في الرد
فقال : وكفى قبحا بقول من زعم أن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه
وأهل بيته صلى الله عليه وسلم منسوخ ولا دليل عليه ، لأن سياق الآية
التي أتى بها في قصة نوح عليه السلام مع قومه الذين كانوا يهددونه
ويتحدونه ، ثم يعرضون عنه ، فوصف الله حاله معهم تسلياً للنبي صلى
الله عليه وسلم بما وقع لأخوانه من أولى العزم مع قومهم فقال : ثم
اقضوا إلى ولا تنظرون « جواباً على تحديدهم وتهديدهم له ، ثم قال : في
توليهم عنه ، وعدم سماعهم له : قل ما سألتكم من أجر فهو لكم « تهكماً
عليهم في بعد عن امتنانهم عليه ، أي فإن أعرضتم عن تذكيري ونصحي
فما سألتكم من أجر فأوجب التولى ، أو ما سألتكم من أجر ففانتى ذلك
بتوليكم ؟ ثم أجابهم الله تعالى عنه بقوله : أن أجرى إلا على الله « ، وهو
القواب المنتظر في الدار الآخرة ، أي ما نصحتكم إلا لله لا لغرض من
أغراض الدنيا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : فإن لم تستحي فاصنع

ما شئت .

ويصح دعوى انه متصل ، بخبر الملافى سيرته ، ان الله جعل
أجرى عليكم المودة فى القربى وانى سائلكم عنهم غدا ، وحينئذ فتسمية
ذلك اجرا ، مجاز هـ .

وصح من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر قوله
تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى « بأن المراد منه انه
ما من بطن من بطون قريش الا وللنبي صلى الله عليه وسلم اليها ولادة ،
وقرابة قريبة ، أى ان لم تومنوا بما جئت به ، وتتابعونى عليه : فلا
أسألكم مالا ، وانما أسألكم ان تحفظوا القرابة التى بينى وبينكم فلا
توذونى ، وتنفروا الناس عنى صلة للرحم التى بينى وبينكم ، اذ انتم فى
الجاهلية كنتم تصلون الارحام ، ولا تدعوا غيركم من العرب يكون أولى
منكم بحفظى ونصرتى . وتبعه على ذلك جماعة من تلامذته ، ولكن خالفه
أجلهم الامام سعيد بن جبير ، ففسر بحضرته الآية فان المراد قل لا أسألكم
أيها الناس مالا على ما بلغته اليكم ، وانما الذى أسألكموه ان تصلوا قرابتى
وتودوهم ولا توذونى فيهم ، وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجه الاول
أيضا ، وهو التحقيق ، لانها صالحة لكل منهما ، لكن يؤيد الاول ان السورة
مكية ، وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسيره ، ولم يرجع اليه أى الى
التفسير الاول . وجاء من طرق ضعيفة أن ابن عباس فسرهما بما فسر به
ابن جبير ، ورفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قالوا :
يا رسول الله ، عند نزول الآية من قرابتك هؤلاء ؟ الذين وجبت علينا مودتهم
قال على وفاطمة وابناهما . وفى حديث سنده حسن الا ان لكل نبى تركة
وضيعة ، وان تركتى وضيعتى الانتصار فاحفظونى فيهم . ويؤيد ما مر
تفسير ابن جبير ان الآية فى الآل ، ما جاء عن على كرم الله وجهه قال :
نزلت فينا فى الرحم آية .

وأخرج الدولابى ان الحسن كرم الله وجهه ووجه أبيه ، قال : فى
خطبته ، انا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال :
لنبينا صلى الله عليه وسلم : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى
ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا « واقتراف الحسنة مودتنا
أهل البيت .

وأورد المحب الطبرى . انه صلى الله عليه وسلم قال : ان الله جعل
أجرى عليكم المودة فى أهل بيتى ، وانى سائلكم غدا عنهم .

وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة احاديث : منها حديث انى تارك فيكم ما ان تمسكتكم به لن تضلوا بعدى الثقلين : أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى ، أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما . قال فيه الترمذى حسن غريب . وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزى فى اخراجه فى العلل المتناهية . كيف ؟ وفى صحيح مسلم وغيره فى خطبته قرب رابع مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر ، انى تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ثم قال : وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد ابن أرقم : راويه ، من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده . قيل ومن هم ؟ قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس رضى الله عنهم ، قيل : كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم .

حذار من بغض آل البيت

ان بغض آل البيت من الآفات فى الدين ، فليتب الى الله من كان يجد فى نفسه شيئا عليهم ، وليحذر على دينه الذى هو عصمة أمره ، حتى فيمن تظهر عليه الخطيئة منهم ، فانه قلما يطول أمره منحرفا عن الصواب ، لان ذلك حظ البشرية من كل مومن ، فاذا كانت الطينة الطاهرة محفوظة غير مشوبة بما سواها ، فلا بد من أن ترجع الى أصلها الاصيل والامة فى ذلك على قسمين : فيها التوابون ، وفيها المتطهرون ، وكل القسمين محبوب عند الله تعالى مصرحا به فى قوله : ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . قال المفسرون قدم التوابين ليلا يياسوا ، وآخر المتطهرين ليلا يعجبوا والكل محبوب اليه تعالى . والذى مات بلا توبة فحكمه انه موقوف فى المشيئة . لقوله تعالى : ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وهو مذهب أهل السنة وهذا البغض اذا كان راجعا الى أمر قلبى ، أما اذا تعداه الى البغى عليه والحاق الأذى به فى نفسه أو ماله أو ولده فلا شك ان اذايته بمثل هذا اذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذايته صلى الله عليه وسلم اذاية لله تعالى . لان أعمال أمته تعرض عليه صلى الله عليه وسلم مرتين فى كل أسبوع ، وقد تقدم فى ذلك حديث : من أذى عليا فقد أذانى ومن أذانى فقد أذى الله . واليك ما ورد فى النهى عن ذلك ، صح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل

البيت أحد الا أدخله الله النار . وأخرج الامام أحمد مرفوعا من أبغض أهل البيت فهو منافق . لانه قد دلت التجارب من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن بغض أهل البيت لم يكن يوجد الا في المنافقين ، ومعاذ الله أن نرمى أحدا ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الخطر في الدين من غير المنافقين ، لانه حرفتهم التي يتوجون بها كفرهم الباطنى . وأخرج الترمذى عن جابر ، ما كنا نعرف المنافقين الا ببغضهم عليا .

وأخرج الطبرانى حديثا ، وفي سنده ضعف عن الحسن رضى الله عنه مرفوعا لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد الا زيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار .

وفي رواية له ضعيفة أيضا من جملة قصة طويلة ، أنت الساب عليا لئن وردت عليه الحوض وما أدراك ترده ، لنجدنه مشمرا حاسرا عن ذراعيه يزود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم . قول الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الطبرانى يا على معك يوم القيامة عصا من عصى الجنة تزود المنافقين بها عن الحوض وأخرج الديلمى مرفوعا بغض بنى هاشم والانصار كفر ، وبغض العرب نفاق.

وفي رواية فلو ان رجلا صنف بين الركن والمقام — أى جمع قدميه — فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لآل محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار . وصح أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال : ستة لعنتهم ولعنتهم الله وكل نبى مجاب : (1) الزائد فى كتاب الله ، و (2) المكذب بقدر الله ، و (3) المتسلط على أمتى بالجبروت ليزل من أعز الله ، ويعز من أذل الله ، و (4) المستحل حرمة الله ، وفي رواية لحرم الله ، و (5) والمستحل من عترتى ما حرم الله و (6) التارك للسنة . وفي رواية زيادة سابع والمستأثر بالنفس .

وورد من سب أهل بيتى فانما يرتد عن الله والاسلام ، ومن آذانى فى عترتى فعليه لعنة الله ، ومن آذانى فى عترتى فقد آذى الله ، ان الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتى أو قاتلهم ، أو أعان عليهم ، أو سبهم ، يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة فمن بغاهم العواثر كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين ، من يرد هوان قريش أهانه الله ، خمسة أو ستة لعنتهم وكل نبى مجاب : الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمستحل محارم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك للسنة .

وأخرج الامام أحمد عن أبى دجاجة كان يقول : لا تسبوا عليا ولا أهل

هذا البيت ان جارنا لنا قدم من الكوفة فقال : ألم تروا هذا الفاسق بن الفاسق ان الله قتله ، يعنى الحسين رضى الله عنه فرماه الله بكوكبين فانطمس بصره .

وأخرج القاضى عياض فى الشفاء ما حصله ان من سب أبا أحد من ذريته صلى الله عليه وسلم ولم تقم قرينة على اخراجه صلى الله عليه وسلم من ذلك قتل .

وقد تقدم ان من أبغض أحدا من أهل بيتى حرم شفاعتى . وحديث لا يبغضنا الا منافق شقى . وحديث من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله . وقال الحسن رضى الله عنه من عادانا فلرسول الله عادى . وروى الامام أحمد وغيره : من أبغض أهل البيت فهو منافق . وفى رواية بغض بنى هاشم نفاق . وصح انه صلى الله عليه وسلم قال : يا بنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : أن يثيب قائلكم ، وأن يهدى ضالككم ، وأن يعلم جاهلكم سألت الله أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء ، فلو ان رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو يبغض آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار .

وقد أخرج الثعلبى فى تفسير قول الله تعالى : وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم « عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : الاعراف موضع عال من الصراط ، عليه العباس ، وحمزة ، وعلى بن أبى طالب ، وجعفر ذو الجناحين ، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ، ومبغضيهم بسوادها . وقد صرح الامام البيهقى والامام الحافظ البغوى ان محبة آل البيت من فرائض الدين . كما نص على ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه محب آل البيت فيما نقل عنه من قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الجيد انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
وعلم مما أوردنا ذكره من الاحاديث السالفة ، ان بغض آل البيت حرام ، والاقدام عليه اقدام على اعظم جرم ، وأكبر اثم ، اذ هو من الكبائر التى قد تجر بصاحبها الى الكفر والعياذ بالله ، وذلك هو الضلال البعيد ، والخسران المبين ، وفقها الله واياكم لما فيه رضى الله ، واجتناب سخطه .
وأورد الديلمى وابنه معا ، لكن بلا اسناد ان عليا رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق من ابغضنى وأهل

بيتى كثرة المال والعيال ، كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم ، وان تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم ، قال : وحكمة الدعاء عليهم بذلك انه لا حامل لهم على بغضه صلى الله عليه وسلم وبغض أهل بيته الا الميل الى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد ، فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته ، فلا يكون الا نقمة عليهم لكفرانهم نعم من هدوا على يده ايثارا للدنيا الفانية على الاخرى الباقية ، ومن هذا المعنى قوله تعالى : ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون » وهذا بخلاف دعائه صلى الله عليه وسلم بتكثير المال والولد لانس بن مالك ، خادمه صلى الله عليه وسلم ومحبه رضى الله عنه اذ القصد منه اتمام نعمة الله عليه جزاء له على قيامه بخدمته عشر سنين وقد جمع له صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء بين نعمتى الدنيا والآخرة : فكان كثرة المال والولد بالنسبة له نعمة ايما نعمة ، بخلاف الاول ، فان نعمة كثرة المال والولد ستتقلب عليه شرا في دينه ، فتكون في حقه نقمة ايما نقمة .

احترام عموم قريش احترام له عليه السلام

اخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الناس تبع لقريش في هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا . واخرج البخارى عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا اكبه الله على وجهه في النار . واخرج البيهقي عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا ايها الناس لا تتقدموا قريشا فتهلكوا ، ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فانهم اعلم منكم ، لولا ان تبظر قريش لآخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل . واخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ، امان لاهل الارض من الغرق القوس ، وامن لاهل الارض من الاختلاف الموالات لقريش ، قريش اهل الله ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس . ومعنى القوس في الحديث هو القوس المشهور « بقوس قزح » وسمى بذلك لانه اول ما رؤى في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة ، او لان قزح هو الشيطان ، ومن ثم قال على كرم الله وجهه ، لا تقل قوس قزح ، فان قزح هو الشيطان ، ولكنها قوس الله تعالى ، وهى علامة كانت بين نوح عليه السلام وبين ربه

عز وجل ، وهى امان لاهل الارض من الغرق .

وأخرج الامام أحمد والترمذى والحاكم عن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يرد هوان قريش أهانه الله . وأخرج الامام مسلم وأحمد عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الناس تبع لقريش فى الشر والخير .

وأخرج الامام أحمد عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : أما بعد : يا معشر قريش فانكم اهل هذا الامر ما لم تعصوا الله ، فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحوقكم كما يلحى هذا القضيب . ولحيه ازالة قشرته .

وأخرج الامام مسلم وأحمد عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا اكبه الله ما أتموا الدين .

وأخرج الامام أحمد والنسائى والضياء عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما أن استرحموا رحموا وان استحكموا عدلوا ، وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وأخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : يكون بعدى اثنا عشر أميرا كلهم من قريش .

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قريش ما لم يعط الناس ، اعطوا ما أمطرت السماء ، وما جرت به الانهار ، وما سألت به السيول ، وأخرج الحاكم والبيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ابرارها امراء ابرارها ، وفجارها امراء فجارها ، وان امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا ، ما لم يخير احدكم بين اسلامه وضرب عنقه ، فان خير بين اسلامه أى تركه وضرب عنقه فليقدم عنقه .

وأخرج الامام أحمد وغيره ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : انظروا قريشا فخذوا مع قولهم وذروا وأخرج البخارى فى الادب والحاكم والبيهقى عن ام هانئ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فضل الله قريشا بسبع خصال : لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم ، فضل

الله قريشا ، انى منهم ، وان النبوة فيهم ، وان الحجابة فيهم ، وان السقاية فيهم ، ونصرهم على الفيل وعبدوا الله (20) سنة لا يعبده غيرهم ، وانزل الله فيهم سورة من القرآن ، لم يذكر فيها احدا غيرهم : لايلاف قريش « وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما ، اللهم كما أذقتهم عذابا فأذقتهم نوالا . وقد نص العلماء على أن المخصوص بالاشارة في الحديث ، هو الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس ابن عبد الله الشافعى المطلبى القرشى فهو أصيل في قريش من بنى المطلب . وأخرج ابن عرفة العبدى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله . وأخرج الامام مسلم والترمذى وغيرهما عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم . وفي رواية ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم ، واتخذة خليلا ، واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزارا ، ثم اصطفى من نزار مضرا ، ثم اصطفى من مضر كنانة ، ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ، ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب .

وأخرج الامام أحمد بسند جيد عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول الناس : فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله فقال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلنى من خيرهم فرقة ، وخلق القبائل ، فجعلنى من خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا ، فجعلنى من خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وأنا خيركم نفسا .

وأخرج الامام أحمد والحاملى والمخلص الذهبى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل عليه السلام ، قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم . وخصهم الله تعالى بدعاء الامة لهم بالصلاة عليهم .

شرعت الصلاة عليهم تبعا للصلاة عليه (ص)

وتلك هى غاية شريفة لاهل البيت رضى الله عنهم ، لو قدروها حق قدرها لطوا ليلهم ونهارهم فى عبادة الله تعالى ، واتقوه حق تقاته ، شكرا

لهذه النعمة الجزيلة العظيمة ، اذ شرع الله تعالى لامة نبيه صلى الله عليه وسلم ، الدعاء لهم بالرحمة وجعله فرضا على كل مسلم في عبادته لله تعالى في سائر اوقات صلاته فرضا ونفلا ، وتلك مزية عظيمة لو قدرها كل شريف حق قدرها لاستحيى من الله تعالى ان يقف حيث نهاه ولطوى من اجل شركرها في عبادته ليله ونهاره .

وأخرج أبو الشيخ من جملة حديث ، يا ايها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الاباطيل . الحديث وروى الامام احمد : اعطيت في على خمسا هن أحب الى من الدنيا وما فيها ، أما واحدة فهو بين يدي الله حتى يفرغ من الحساب ، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته ، وأما الثالثة فواقف على حوضي بسيفي من عرف من امتي الحديث . فان قلت ان هذه الذرية قد أصبحت في منئى بعيد عن العمل بما يقتضيه شرفها ومنزلتها من النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت ان الجهل والامية قد ابتلعتا اهل عصرنا ومن قبلهم بطبقة أو طبقتين ، وعم الاكثرية منهم ، فلم يبق بأيديهم الا التمسك بالاصول الضرورية البارزة من تعاليم الايمان والاسلام ، وجهلوا كل شيء عن انفسهم وعن دينهم حتى أصبحت الجاهلية الاولى تناديهم بالرجوع اليها ، وقد زينت لهم جميع احوالها ، ولكنهم رغم ذلك فلن نعدم فيهم الاستعداد الفطرى السليم لقبول كل خير والمسايرة اليه ، ولا ينقصهم الا الموجه والمرشد الذى اثنتدت اليه الحاجة الآن اكثر من كل وقت مضى حتى يتخلصوا من الاحوال التى أصبحت مفروضة من قبل الظروف القاهرة ، واننا على يقين من ان سلفنا الصالح وخصوصا الذين ساعدتهم عصر الازدهار العلمى كانوا سادة اجلاء عملوا بما ورثوه من العلم ، فكانوا اعبد الناس واتقاهم لله تعالى ، فحققوا فضل انتسابهم اليه صلى الله عليه وسلم بشرف العلم والعمل الصالح ، فكان وصولهم اليه عن طريق النسب الدينى اولى من وصولهم اليه عن طريق النسب الظنى ، بل قد جمعوا بين الغايتين ، وتلك هى استنى الغايات لكل من انتسب اليه صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسنين ومن غيرهم من ذوى القربى الذين حرمت عليهم الزكاة المفروضة . واليك ما ورد في حقهم .

روى النسفى في تفسير قوله تعالى : ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما « سئل عليه السلام عن هذه الآية فقال : ان الله وكل بى ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم

فيصلى على — اى فيقول اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبىء
الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما — أو نحوه من كل صيغة من صيغ
الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الا قال : ذاك الملكان غفر
الله لك ، وقال الله : وملائكته جوابا لديك الملكين آمين ، ولا اذكر عند عبد
مسلم فلا يصلى على الا قال ذاك الملكان : لا غفر الله لك . وقال الله
تعالى : وملائكته جوابا لديك الملكين آمين .

ثم هى واجبة مرة في العمر عند الطحاوى من الحنفية وكلما ذكر
اسمه صلى الله عليه وسلم عند الكرخى ، وهو الاحتياط وعليه الجمهور ،
وان صلى على غيره بحسب التبعية فلا كلام فيه ، كقوله صلى الله على النبى
وآله ، واما اذا أفرده غيره بالصلاة عن أهل البيت فمكروه ، وهو من
مبتدعات الروافض وشعائيرهم تبجح الله سعيهم . وقال غيره من المفسرين
هذه الآية فيها أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات
وأفضل الخلق على الاطلاق ، اذ الصلاة من الله على نبى رحمة المقرونة
بالتعظيم ، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة ، لقوله تعالى : هو
الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » وذلك هو
الفضل بين الصلاتين والفرق بين المقامين ، والمراد بالملائكة جميعهم ،
والصلاة منهم عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء له بما يليق به وهو الرحمة
المقرونة بالتعظيم ، فصار بذلك مهبط الرحمات ، ومنبع التجليات ، فرحمته
صلى الله عليه وسلم من رحمة الله تعالى : التى وسعت كل شىء وقوله
تعالى : يا أيها الذين آمنوا صلوا « اى ادعوا وهو امر منه تعالى لامته صلى
الله عليه وسلم بالدعاء له بهذا اللفظ المشروع عن الله سبحانه ، فان قلت
كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غنى عن صلاة ودعاء أمته له بصلاة الله
وملائكته جميعهم عليه ، فما الفائدة من صلاة أمته بعد ذلك على جهة
التبعية لصلاة الله والملائكة ، قلت حكمة صلاة الملائكة والمؤمنين عليه
تشریفهم بذلك ، ولتبقى صلته بهم صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة
كأنهم معه اظهارا لتعظيم الله اياه ، ومكافاة لبعض حقوقه على أمته لانه
الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت اليهم ، وحق على من وصل النعمة
لاجد أن يكافئه عليها ، فصلاتهم عليه مكافاة له ببعض ما كان يجب عليهم
من الحقوق له ، فان قلت هذا قليل فى حقه صلى الله عليه وسلم عليهم ،
قلت قد علم الله عجزهم عن مكافاته بغير ذلك ، فلم يكلفهم الا بما هو فى
وسعهم واما الصلاة الواصلة اليه من الله تعالى فلا يعلم كنهها الا هو ،

فهى فى ازدياد دائم مستمر بدوام الله سبحانه لا رب سواه .

واعلم ان العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فى تعيين الواجب ، فعند الامام مالك تجب الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، مرة فى العمر ، وعند الامام الشافعى تجب فى التشهد الاخير من كل صلاة مفروضة من الصلوات الخمس ، والى ذلك يشير فى قوله : من لم يصل عليكم لا صلاة له ، اى فهى باطلة ، وعند غيرها تجب فى كل مجلس مرة او هى واجبة عند ذكره كما تقدم ، وقيل يجب الاكثر منها بغير تشييد بعدد لان امرها عظيم ، وفضلها جسيم وهى من افضل الطاعات واعظم القربات ، حتى قال بعض العارفين : انها توصل الى الله من غير احتياج الى شيخ او مرب لانه صلى الله عليه وسلم هو السند فيها بنفسه لانها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الاذكار فلا بد فيها من شيخ عارف لمن واظب عليها حتى يكون فى مأمن فى طريقه من جميع الآفات الذى قد يلقيه فى اسرار أسماء الله الحسنى ، ولا سيما الاسم المفرد . « الله » . وصح عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .

وفى رواية للحاكم : فقلنا يا رسول الله : كيف الصلاة عليكم اهل البيت ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الى آخره . فسؤالهم بعد نزول الآية واجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، دليل ظاهر على الامر بالصلاة على اهل البيت وبقية آله مراد من هذه الآية ، والا لم يسألوا عن الصلاة على اهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر فلما اجيبوا به دل على ان الصلاة عليهم من جملة المأمور به ، وانه صلى الله عليه وسلم اقامهم فى ذلك مقام نفسه ، لان القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ، ومنه تعظيمهم بها ، ومن ثم لما ادخل من مر فى الكساء قال : اللهم انهم منى وانا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على وعليهم . وقضية استجابة هذا الدعاء ان الله صلى عليهم معه ، فحينئذ طلب من المومنين صلاتهم عليهم معه . ويروى ولا تصلوا على الصلاة البتراء ، فقالوا وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .

وفي رواية اياكم والصلاة البتراء ، قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال : ان تصلوا على دون آلى ولا ينافى حذف الآل ما تقرر في الصحيحين ، قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم الخ لان ذكر الآل ثبت في روايات أخر ، وبه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر ، ثم عطف الأزواج والذرية على الآل في كثير من الروايات يقتضى انها ليسا من الآل ، وهو واضح فى الأزواج بناء على الاصح فى الآل انهم مومنون بنى هاشم والمطلب ، واما الذرية فمن الآل على سائر الاقوال ، فذكرهم بعد الآل للاشارة الى عظيم شرفهم .

وروى ابو داود من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل : اللهم صل على النبى محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد . وقولهم علمنا كيف نسلم عليك ؟ اشاروا به الى السلام عليه فى التشهد كما قاله الامام البيهقى : وغيره .

ويدل له خبر مسلم : امرنا اننا نصلى عليك فكيف نصلى عليك ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا اننا لم نسأله ، ثم قال : صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ، وزاد آخره والسلام كما قد علمتم أى من العلم . ويروى من التعليم ، لانه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن . وصح ان رجلا قال : يا رسول الله ، اما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلى عليك ؟ اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا صلى الله عليك فصمت صلى الله عليه وسلم حتى احببنا ان الرجل لم يسأله .

وصح ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته لم يمجده الله ، ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : عجل هذا ثم دعاه فقال له : او لغيره ، اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء . ومحل البدء بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهد وبهذا كله اتضح قول الامام الشافعى رضى الله عنه بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد ، لما علمت منه انه صح عنه صلى الله عليه وسلم الامر بوجوبها فيه ، ومن انه صح عن ابن مسعود تعيين محلها ، وهو بين التشهد

والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذي ذهب اليه الشافعى هو الحق
الموافق لصريح السنة ، ولقواعد الاصوليين .

واعلم ان النووى رحمه الله نقل عن العلماء كراهة افراد الصلاة
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة
السابقة لان السلام سبقتها فى التشهد فلا افراد فيه ، وقد جاء ذكر الصلاة
مقرونة بالسلام فى مواطن : منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه
الطبرانى فى الدعاء مرفوعا وانما حذف فى بعض المواطن اختصارا ، وكذا
حذف الآل .

وروى الديلمى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء محجوب
حتى يصل على النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، اللهم صل على
محمد وآله . وكأن قضية الاحاديث السابقة وجوب الصلاة على الآل فى
التشهد الاخير ، كما هو مذهب الامام الشافعى وأما قوله فى احد البيتين
المشهورين عنه :

كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فهو يشير الى كلا قوليه فى مذهبه ، فليحتمل لا صلاة له ، اى لا صلاة
له صحيحة فتكون باطلة اذا خلت من الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم .
وهو القول بوجوبها فى الصلاة لانها ركن من أركانها ، ومن ترك ركناً من
أركان الصلاة بطلت صلاته . ويحتمل قوله لا صلاة له ، اى لا صلاة له كاملة
فيوافق الاظهر من قوله ، فتكون الصلاة على القول الثانى صحيحة وانما
لم يأت بها على الوجه الاكمل المطلوب فيها طلباً غير جازم . واخذ القول
بالوجوب من الامر فى الحديث المتفق عليه ، قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد ويؤيده الحديث الذى أخرجه الدارقطنى والبيهقى وفى
سنده ضعف : من صلى صلاة ولم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم
تقبل منه ه .

واجب أهل البيت فى أنفسهم

فمن الواجب على أهل البيت أن يقوموا مقام مشرفهم صلى الله عليه
وسلم اقتداءً بسلفهم من أهل البيت المطهر المكرم ، وأن يجروا فى جميع
أحوالهم على هديه وسننه ، اعتقاداً ، وعبادة ، ومعاملة ، وزهداً ،
وورعاً ، وتقوى كاملة كما فعل أولئك العباقرة من العارفين بالله فى صدر
السلف الصالح ، ولا تستبعد أن تصل الى ما هو أعلى من ذلك ، لان فضل

الله لا يحجر ، ولا يلتفت الى قول بعض من فسدت نيتهم ، وكسدت سلعتهم في أسواق الريح من العمل الصالح ، بدعوى فساد الأزمنة والاخلاق ، وعدم المعين على الخير ، فانى أقول قال العلماء : أهل السنة والجماعة من كان على الحق ولو واحدا ، لقوله تعالى : ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

واعلم انه وقع خلاف في التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحى هذه الامة ، فقد ذهب الامام العلامة أبو عمر بن عبد البر الى انه يوجد فيمن ياتى بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة ، واحتج لذلك بخبر : طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة ، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات . وبخبر عمر رضى الله عنه قال : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون أى الخلائق أفضل ايمانا ؟ قلنا : الملائكة ، قال : وحق لهم بل غيرهم ؟ قلنا : الانبياء ، قال : وحق لهم ، بل غيرهم ؟ ثم قال : صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ايمانا ، قوم فى أصلاب الرجال ، يؤمنون بى ولم يرونى ، فهم أفضل الخلق ايمانا . وبحديث مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله . ياتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين ، قيل منهم أو منا يا رسول الله ؟ فقال : بل منكم . وفى رواية أخرى زيادة وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : انتم تجدون على الحق أعوانا ، وهم لا يجدون على الحق أعوانا .

وبخبر : ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا ، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها . وبخبر : يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى . ويؤيد ذلك ما روى عن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، ان اكتب لى سيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها ، فكتب اليه سالم ، ان عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر ، فان زمانك ليس كزمن عمر ، ولا رجالك كرجال عمر . وكتب الى فقهاء زمانه ، فكلهم كتب بمثل قول سالم . قال العلامة : أبو عمر بن عبد البر ، فهذه الأحاديث تقتضى مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الامة وآخرها فى فضل العمل بطاعة الله تعالى ، إلا أهل بدر والحديبية وقال : وأما خبر : خير الناس قرنى فانه خرج مخرج الغالب ، لان منهم المنافقين وأهل الكبائر الذين أقيمت على بعضهم الحدود . وبعض هذه الأحاديث له طرق قد يرقى بها الى درجة الصحة . والحديث الذى

رواه الترمذى ، وهو من الستة المتفق على صحة كتبها — ان الفضول قد تكون فيه مزية لا توجد في الفاضل ، وقال : مجرد زيادة الاجر لا تقتضى الافضلية المطلقة ، والخيرية بينهما انما هى باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المومنين ، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من ياتى على بعض الصحابة في ذلك ، وسياتى الكلام على ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم بعد اتمام الكلام على اهل البيت .

أقول : ان ظروفنا الملت بأهل البيت في زماننا هذا والذي قبله ، وأنزلت الاغلبية منهم منزلة من الجهل كادت أن تلقى بهم في مهاوى الضلال البعيد ، فأصبح من بين فضلائهم من لا تتوفر فيه الشروط لامامة الصلوات الخمس والجمعة ، لعدم معرفته بأحكام ما تصح به الصلاة والطهارة وما تبطل به على وجه اجمالى . اذا هو رشح لها من طرف من اختاروه لخيارته وفضله وتقواه ، وعلى هذا فانه أصبح من المؤكد على اهل البيت الشريف الاعتناء بتحصيل العلوم الدينية والشرعية قبل غيرهم ، وقوفا مع شريعة جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتأكد ذلك على كل من حفظ القرآن الكريم منهم . ثم يسترسل في دراسة علوم العربية من نحو ومعتول وبلاغة وفقه في العبادات والمعاملات وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ولا ينبغى لهم أن يتقوا عند تحفيظ القرآن الكريم لاولادهم ، ويقنعوا بثن الربع من الخير كله وانى أعرف انهم يتوفرون على كمية هائلة من الشباب الذى لا يتجاوز الخمسة عشر سنة من حفاظ القرآن الكريم ، ولكن مجهودات هذا الشباب كثيرا ما تذهب سدى من وجهين اثنين : الاول فقر الوالدين وجهلها ، والثانى عدم المرشد والمشجع وأرجو من اولياء أمورهم أن يتجافوا بفلذات أكبادهم وان لا يجازفوا بهم في التنافس الدنيوى المهلك ، وقد رأيت طائفة من خيار اهل البيت من أبناء العلميين من الذين جمعوا بين العلم والقرآن الكريم ، غرتهم الدنيا بزخارفها واتبعوا سبيل الشيطان والهوى ، فتحقق فيهم قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا . فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقد كنت أمل أن يسلكوا سبيل الأكياس وأن يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة ويحققوا بذلك ما قال حاكم الشعراء :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا . وما أقبح الكفر والافلاس بالرجل

رزقنا الله واياهم الثبات على كتاب الله وحفظه ، والعمل بمقتضاه

والسير على هداه ، ووقفنا واياهم لتدارك المجتمع الاسلامى المههد بأعمال الشياطين المحفوف بالاطار التي تمس العقيدة والدين والايان بالله الذى هو رأس مال كل مسلم ، ولن يزال رجاؤنا فيهم وطيدا حتى يحققوا لنا نهضة علمية دينية تخلد لهم مجد ميراث الآباء والاجداد فى المحافظة على الايمان والدين لهذه الامة الاسلامية ، ويطردوا من مجتمعهم وصمة عار الجهل المخيم على هذا المجتمع ويحققوا انبعاثا جديدا من خير قادات لخير سادات ، تلك عهود من الآباء توارثتها الابناء . ولهذا رأى العلماء انه يتأكد على المسلمين عامة وعلى أهل البيت خاصة الاعتناء بتحصيل العلوم الدينية والشرعية ، لانه لا خير فى اسلام ولا فى نسب بغير العلوم الدينية والشرعية ، ودلائل الحث على تحصيلها وتحصيل آدابها ، وآداب العلماء والمتعلمين ، وتفضيل ذلك كله ظاهر معروف من كتب الائمة فراجعه هناك . وقد قدمت لك الكلام على جملة من عباقرة أهل البيت والمشاهير من أقطابهم رضى الله عنهم الواحد تلو الآخر من ذرية الحسنين بالمشرق وسأزيدك الكلام على ما بقى منهم بالمغرب ان شاء الله ، وستراهم بتراجمهم حتى يكون خاتمهم الشيخ مولانا عبد السلام بن مئيش الذى وضع الكتاب من أجل التعريف بأولاده ونسبهم اليه .

ولك فى ذلك ايها الاخ الشريف احسن قدوة بأولائك العباقرة الافاذ من آبائك واجدادك وابناء عمك الذين ملأت شهرتهم مشارق الارض ومغاربها ، وانى لك ايها الاخ الشريف أن يتحقق لك مقام بين اولائك بدون الاستقامة والسير على طريقهم ، والتأسى بهم فى جميع احوالهم فانهم حققوا لك خيرا جزيلا ، وخلفوا لك من ورائهم ذكرا جميلا . وكما أود لك أن تتباعد عن غرور الجهلاء الذين يريدون أن ينبذوا سبيل آبائهم واجدادهم فى الحصول على اسمى المقامات فى الفضل والصلاح وأن يعتمدوا على مجرد الانتساب فى الوصول الى ذلك ، ولا احسب ذلك الا غرورا من وحى اللعين وخذلانا بما يزينه لهم الشيطان الرجيم . أجل ، فانه ليس بعد الحق الا الضلال ، فانه من اتبع القبح واطلم الظلم ان يتبع الشريف غير طريق آبائه واجداده فى الاخلاق والفضل والدين ويتكل على الامانى الكاذبة قال تعالى : فانه لا يابن مكر الله الا القوم الخاسرون » وقد رأيت هناك طائفة من المعتوهين تضوا حياتهم فى ظلمات الغفلة متمسكين بأوهام كاذبة وربما كان معيناً لهم على ذلك من كان غارقاً فى الكبائر من المنتمين الى العلم والتقوى المصنوعة بخيوط عنكبوتية ، فى سبيل الحصول على النفع الدنيوى وما يتبع ذلك من

أمانى الاستغلال ، وعلى مثل هذا سارت الادمغة الفارغة المملوءة بأحلام
 النائمين من حلفاء ابليس ومردة الشياطين . الذين زين لهم جهلهم وغرورهم
 ان ما هم عليه من الدين ، ولم يكتفوا بذلك في انفسهم بل جعلوا يصورون
 للغاوين أن أفعالهم وسائر ما ينتهجونه من الدين ، وقد كنت منذ الصغر وأناكره
 ما ينتهجونه من هذه الترهات والباطيل ، وأنا في ضيق نفسانى منها حيث
 لم يكن عندى من العلم ما يبطلها ، وقد كان حجب الله الى العمل بالدين ،
 وبعد ما حفظت القرآن الكريم شرعت في الترحال في طلب العلم تأسيا بقوله
 تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفتخوا في الدين ولينذروا قومهم
 اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون « ولما من الله علينا بنصيب من العلم تمكنت
 من مقاومة أولئك الجاهلين المغرورين ودحض شبهاتهم الباطلة التى وجدت
 لها محلا في أدمغة الكثيرين ، وبعد ما دخلت معهم في صراع اصطدمت بصخور
 صلبة من كبار أهل الجهل والغرور من عشيرتى ، فكانت عاقبتى معهم أن
 سد في وجهى كل سبل الحياة ووجوه النفع ، فانتضى الحال أن أعيش منبوذا
 مطرودا من بين ذوى وعشيرتى في اهلى ، فمر بى الحال على ذلك أياما
 وأياما ، وقد كان من قدر الله أن لا بد للحق أن ينتصر ، وبعد ما ذهبت تلك
 الايام بأقوامها وجاءت أيام أخرى بآخرين ، زالت العقبات فواصلت السير
 على ما كنت عليه من بيان ما هو الحق ، وتيسر لى أن أتصل بأبناء عمى
 في كل ناحية من أنحاء بلدتى فقممت في كل مناسبة بمحاضرة مشتملة على ما
 هو الصواب في العقائد الصحيحة فيما بين الانسان وربه ، وان كل ما وصل
 الى أذهانهم من غير ذلك فهو جهل وغرور ، فلا يصح ان يدان الله به .
 فحاضرت بجامع قرية تزية ، ثم جامع قرينتنا أفرنو السفلى ، ثم سيدى
 مشيش ، ثم سيدى سلام وقد تكرر ذلك بتكرار المناسبات وقد اسحسنتم
 أن أركز جهادى على تنظيف العقيدة للمسلم من كل ما علق بها من الاوهام
 الكاذبة والغرور الشيطانى الامر الذى قد يجر بصاحبه ان ترك على ذلك
 الى العودة الى الشرك المحرم على هذه الأمة المحمدية والعياذ بالله ، وقد
 جعلت تأليف هذا الكتاب من مكملات جهادى في هذا السبيل لما اشتمل عليه
 من تصحيح المعتقدات في كل حال من الاحوال . وفي الحديث :

لعن الله الداخل فينا بلا نسب

لقد فتح ابليس اللعين بابا من ابواب الخسران المبين ، للذين طغت
 عليهم أهواؤهم من الذين ساءت سريرتهم وخبثت نفوسهم ، وتعطلت أحوالهم
 وأفعالهم غير مباليين أو متأولين ما ورد في الحديث الشريف من اللعنة عند ما

ادعوا لانفسهم ولوج النسب الشريف ، ولم يقنعهم الاسلام ومبادئه ان يدخلوا به على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده من جميع ابوابه عن طريق التقوى والعمل الصالح وحبهم لله ولرسوله ولاهل بيته الطاهرين المكرمين ، حتى يرفع الاسلام من درجاتهم ويلحقهم بقائد المتقين والمحبين في الله ورسوله واهل بيته وعشيرته الاقربين . من قد علم الله منه صدق ايمانه ، واخلاص محبته ، فشرفه نسا منه باذن من الله سبحانه ان يلحقه بأهل البيت . فقال : صلى الله عليه وسلم « سلمان منا اهل البيت » واكد له ذلك حين أخذ من تمر الصدقة : يحرم عليك يا سلمان ما يحرم على اهل البيت ، ويحل لك ما يحل لهم ، ومثله في اللاحق بهم اسامة ابن زيد رضى الله عنه ، ووائلة ، وابو ذر الغفارى رضى الله عنهم ، فكل هؤلاء ادخلهم الاسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد من جميع ابوابه ، ولم يطلبوا منه ان يكونوا من اهل بيته ، فقد رفعهم ايمانهم واسلامهم وحبهم الصادق في رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته ، حتى جاءتهم البشارة والحقهم النبي صلى الله عليه وسلم نسا بأهل بيته . وكل من اراد اللحقوق بهم فعليه ان يسلك سبيلهم ولو خلا من النص لانهم انتقلوا من البيت العام الذى هو المسجد الى البيت الخاص الذى هو القرب منه صلى الله عليه وسلم بسبب اخلاصهم وحبهم في الله ورسوله واهل بيته ، فهؤلاء قد ولجوا البيت من بابه ، وكل من كانت له رغبة في الوصول الى ما وصلوا اليه ، كان لازما عليه ان يسلك سبيلهم ، لانهم مثلهم فيما لهم وفيما عليهم . وقد أخذوا سهم ذوى القربى معهم فكانت لهم احكام اهل البيت سواء بسواء ، وفي ذلك قال بعضهم :

عليك بتقوى الله فيما تريده ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارسى وقد وضع الكفر الشريف ابا لهب

ومن احاديثه ما رواه الحاكم وصححه ، اخرج ابن مردويه عن سلمان الفارسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا كان حج الملوك نزهة ، والاغنياء للتجارة ، والمساكين للمسألة والقرآن رياء وستعة ، فعند ذلك يظهر نجم له ذنب . ولذلك يظهر ان البيت الخاص به صلى الله عليه وسلم ليس له الا بابان : الاول باب فاطمة الزهراء وذريتها الى يوم القيامة فانهم باجماع الامة الاسلامية اهل بيته صلى الله عليه وسلم وخاصته الادنون ، وهم من تقدم الكلام عليهم ، والثانى باب احباب النبي صلى الله عليه وسلم واحباب ذريته الطاهرة . اذ هو القائل فيه للرجل الذى

سأله عن الساعة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت ، فقال الحاضرون من الصحابة : ما فرحنا بشيء أشد من فرحنا بقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت والباب الثانى هو باب سلمان الفارسى ومن عطف عليه رضى الله عنهم . بل هو باب كل محب لله ورسوله وأهل بيته وذريته فاطمة الزهراء الى يوم القيامة ، وهو أحسن باب للدخول فى أهل البيت ، والحصول على ما تشرفوا به من خيرى الدنيا والآخرة ولا بد فى ولوج البابين من تحقيق التقوى والابتعاد عن الامانى الكاذبة لاهل الباب الاول والثانى ، لقوله صلى الله عليه وسلم ايتونى بأعمالكم لا بأئسابكم . وقوله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ولو لم يكن فى زجر أهل الامانى الكاذبة من أهل البيت الا هذان الحديثان لكانا كافيين فى حملهم على التقرب اليه صلى الله عليه وسلم بالتقوى والعمل الصالح ، والابتعاد عن الاوهام الباطلة وأحلام المخدولين من أهل الكبائر والكسل . لقوله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم « فكان لازما على من أراد ولوج احدى البابين أن يكون من أهل التقوى امثالاً لامر الله واقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم واما من أراد الدخول فى صفوف أهل البيت من باب هواه فلن يكون واصلاً اليهم أبداً وليتوبوا مكاناً مرموقاً من لعنة الله عليه من دعوته صلى الله عليه وسلم عليه بذلك ، وذلك هو عين الخسران المبين والعذاب المهين ، لان قائده الى هلاكه هواه ونفسه الامارة ، فهو جسور على النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك لعنه وطرده من رحمة الله ، فأصبح مع الشياطين ومردة ابليس اللعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يتوب .

وقد نقلت من كتاب الاملاء للنقيب العلامة ابن عبد الوهاب الفرنويى الذى هو النسابة الفقيه سيدى على بن عبد السلام بن عيسى بن يوسف ابن يوسف مكر بن عبد الوهاب كان من أهل القرن العاشر ، وكان معاصراً للمولى اسماعيل العلوى ما نصه : وفى الذخيرة : من انتسب الى النبى صلى الله عليه وسلم كاذباً يضرب ضرباً وجيعاً ويسجن طويلاً حتى تظهر توبته ، لانه استخف بحق النبى صلى الله عليه وسلم و فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : من انتسب الى غير أبية وهو يعلم فالجنة عليه حرام . رواه البخارى . وفى صحيح البخارى أيضاً من انتسب الى غير أبية أو تولى

غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وحديث الترجمة قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الداخل فينا بلا نسب ، والخارج منا بغير نسب . وقال تعالى : ادعوهم لأبائهم هو أقمسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم « ونظرا لرقعة الديانة وقلة الخشية من الله جهلا بمصير العواقب ، فقد كثر اليوم أكثر من كل وقت مضى المتطلعون لولوج النسب النبوي رغبة منهم في الحصول على التحلية الدنيوية الفانية التي تعقبها الندامة والحسرة ، تاركين وراءهم ما هو أفيد من تقوى الله والعمل الصالح الذي قد يرفع بهم الى درجة سلمان الفارسي رضى الله عنه . ولم يكن ولوج النسب الشريف حادثا خاصا بأهل هذا الزمان ، بل كان ولوج النسب النبوي الشريف غرض كثير من ينتمى لدين الاسلام في مختلف العصور من لدن الصدر الاول للاسلام الى يومنا هذا ، ولذلك فتح النبي صلى الله عليه وسلم الباب لمن سلك سبيل الوصول الى أهل البيت ، وكان هناك من قدر له الدخول فدخل لانه سلك سبيل الباب اليه ، وأن هناك كثيرين ممن أخطأوا سبيل الباب فضلوا عنه ولم يصلوا اليه فحرموا الدخول في صفوف أهل البيت . وكان من بين هؤلاء من أقحم نفسه وادعى النسب الشريف لنفسه ، فبأبى بلعنة الله عليه وملائكته والناس أجمعين ، ومن أجل ذلك أصبح ملعونا مطرودا من رحمة الله ، فصار من حزب ابليس ولم يبق من حزب الله ، لانه افتات على صاحب الشرع فكان جزاؤه الطرد من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وليس هناك ظلم للنفس أضر بصاحبه من هذا الافتيات الشنيع . فكيف يرجو الجزاء بالحسنى في المعاد هذا الشقى الذى تسبب في حرمان نفسه من جزاء الايمان والاسلام ، وعرضها للعقاب والعذاب المهين لكونه ادعى لنفسه ما ليس له عن طريق الزور والتدليس وركن الى ذلك معجبا بنفسه ومتحديا بذلك ضميره ودينه الذى يحرم عليه ذلك ، فأين العقل والرؤية اللذان يحفظان صاحبهما من الوقوع في مثل هذا ؟ وأين الحياء من الاقدام على رسول الله بدعوة النسب المزور ؟ فأين أنت يا مدعى النسب المزور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تستحي فاصنع ما شئت ؟ فما أعظمها فرية وأعمقها سخافة ! وأين أنت من الطعن الذى يتبعك من الخلف ، فهيهات هيهات أن تعيش مع ما زورته لنفسك مطمئنا مرتاح البال ، وكفالك بذلك زجرا وقد كان لك يا معتوه في تقوى الاسلام ما يكفيك ويفنيك عن اقحام نفسك في مثل هذا مدعيا ما ليس لك ، فكيف تدومك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فستجده متنكرا لك لانه لم يعرفك من أهل بيته . اللهم ان هذا من المنكرات المحدثه والمتعلق

به لا عقل له ، وسيقال لهم يوم القيامة : وذلك ظنكم الذى ظننتم ببربكم
أرداكم فأصبحتم من الخاسرين « لانهم سيفضحون على رؤوس الاشهاد
يوم القيامة ، اذ ينادى كل شريف باسم أبيه ، وتنادى الامة بأسماء امهاتها
سترا عليها ، وأين يكون حينئذ هذا الكذاب الملعون من شهادة الواقع عليه ،
وتكذيب ضميره ، وضلال شيطانه ، ولعنة الله ورسوله عليه ، ولن يكون
الحامل لهم على ارتكاب مثل هذا الخطأ الشنيع الا الاعجاب بالنفس ،
والكبر ، وحب المحمودة والرضى عن النفس ، وهذه كلها أمراض نفسانية
محبطة للعمل . وانى أنصحك أيها الاخ الكريم أن تشفق على نفسك
واهلك ، ولا تقحمها واياهم فيما ليس لك فتظلمها بما هو حرام عليك من
الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم عن طريق الزور والبهتان لان ذلك
لا يرفع من قيمتك ولو كنت منهم حقا ، واعتمد على العمل الصالح ، وجرده
من دعوى الزور والبهتان ان أردت التقرب للنبي صلى الله عليه وسلم ،
لان الانتساب المجرد لا يكفى حتى لمن كان منهم . فما هذا الغرور وما هذا
الخدلان ! ؟ وما هذا الهول الذى أصاب العقيدة السالمة ؟ وقد عاش الكثير
من المسلمين فى انسابهم بتقوى الله والعمل الصالح . وما ضرهم ذلك ،
حتى أصبح اليوم الولد ينازع أباه على بقاءه فى الاسم العائلى القديم ، واننى
أعرف من نازع أباه على ذلك فلم يرجع اليه ، وخالفه وأطلق على نفسه
اسما لاشهر العائلات الشريفة ، مقتنعا فى ذلك بتشريف من يعرفه من جديد ،
كما أعرف أن هناك كثيرا من المتطلعين للانسلاخ من الاسم العائلى القديم ،
واستبداله بغيره ، والظاهر ان التهاون أصاب العقيدة حتى أصبح كل
شئ على من أراده سهلا ، فان كان هناك بقية من الايمان بالله فالله تعالى
يقول : ادعوهم لإبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم
فى الدين ومواليكم « وليس لنا أن نقول بعد هذا شيئا الا ما قال الشاعر :

فلا والله ما فى العيش خير . ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

والحياء أثر ومظهر من مظاهر العقل فى الانسان لانه يمنع صاحبه
من فعل ما هو منكرو ويلومه عليه قبل أن يقع فيه ولهذا كانت خلته فى الانسان
محمودة ، وقال عليه الصلاة والسلام لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء .
وقال ايضا الحياء شعبة من الايمان . وقال الامام على فى الحياء : من كساه
الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

انظر الى الصحابى الجليل سلمان الفارسى الذى قدمنا الكلام عليه
رضى الله عنه كيف رفعه عمله واخلاصه وحبه الصادق حتى فاز بنص من

الشارع : سلمان منا أهل البيت . ألم تقنع أن تكون في الإسلام بمنزلة سلمان ، إذا أردت أن تكون مثل سلمان فاسلك سبيله ، فان سلمان من الذين أفتنهم الإسلام ، وكن أنت مثله ، واجب عن نفسك بمثل ما أجاب به لما سئل عن نسبه ، فقال : أنا سلمان بن الإسلام . ولم يزد على ذلك شيئا ، ولم يكن ليجهل نسبه ، لانه كان من سلالة مالكة باصبهان ، ولكن عقله الراجح ، وإسلامه المتين ، ونيته الخالصة ، وحبه في النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبته له أفتنته بأن يتجاهل نسبه الجاهلى مبتدئا طريقته الصحيح من الإسلام . وهكذا ينبغي أن يفعل كل الذين يتوقنون في الوصول الى ما وصل اليه عن طريق اللاشرعى ، ما أخس نفوس أولئك الذين يريدون أن يعيشوا مع الانتساب المزور قسرا والألسنة تطعنهم من الخلف الى الأبد قاطعة عليهم الطريق حتى لا تركز نفوسهم الى ما انتطوه زورا لأنفسهم ، ولا ريب ان ذلك أكبر جزاء لهم في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة سيلقون الخزي والفضيحة والعار يوم ينادون بأسماء أمهاتهم تحقيرا لهم على ما صنعوه وابتدعوه لأنفسهم من النسب المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون . قال العلماء قد ورد التحذير العظيم من الانتساب الى غير الآباء وان منتحلته كافر ملعون ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من انتسب الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . اعلم ان اللعنة الواردة في الحديث هى الطرد والبعد من رحمة الله فمرتكب من استحق هذه اللعنة كان نظير ابليس في ذلك البعد والطرده من رحمة الله ، ومن أجل ذلك صار من حزبه ، فالرحمة والدخول فيها وشمولها لكل عاص من أهل الكبائر هو آخر ما ينتظره المسرفون على أنفسهم من الذين اعترفوا بذنبهم ولم يتوبوا حتى ماتوا على ذلك . وقال الله في المتقين الكبائر : ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير « وأخرج البخارى في صحيحه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من انتسب الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام . وروى عن الإمام مالك في الاحكام الفقهية من كتاب الذخيرة ما نصه : من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويسجن طويلا حتى تظهر توبته ه وفي الحديث ان الداخل فيهم وليس منهم يفتضح بين الخلائق — أى يوم القيامة — اذا لم يدع باسم أبيه ويستحى . وهذا اذا لم يكن هو المتسبب فيه ، وأما المدعى الكذاب الاول فما يناله من العقوبة واللعنة أشنع ، وأفضح من فضيحة تابعيه اذا لم يكن يعلم باعتداء آباءه ومما يحمل

على العجب والاندھاش ان بعض العلماء ممن يزعم ان له القيادة في علم الحديث ، والتصوف في السلوك الرباني وقد نصب نفسه في هذا العصر لتربية السالكين لم يتورع دعوة النسب الى اهل البيت ، ويظهر ذلك على وجه تأليفه انه ادريسي وحسنى النسب ، ولم يعرف أحد من عامة الناس وخاصتهم ان له نسبا لا في الحسنية ولا في غيرها ولم يعد الى رشده ، ولم يحمله ذلك من الاحاديث والاحكام الفقهية وغيرها ولم يعد الى رشده ، ولم يحمله ذلك كله على التورع ان يدعى ما ليس له وينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاذبا ؟ وكيف لا ياخذك العجب من امثال هذه الشخصية التي لها وزنها في المجتمع بين العلماء المعاصرين دون أن ياخذها الحياء والخجل من الاقدام على مثل هذه الفرية والوتموع في المغامرة المخزية ، ولكن ضعف الوازع الديني هو الذي يهون على صاحبه كل جليل خثير ، ويجل له كل هين حقير . ان دعوة النسب صارت في بلدنا شعار كل سياسي محتال ، او متصوف زاهد نصب نفسه لتربية الامثال . واما العامة المساكين فهم مثل الانعام ، لا يصرفهم عن الانتساب المذكور الا العصا وفصل القضاء . وقد بردت الهمم فلم تبق غيرة لخواص المسلمين ولا لعامتهم على هذا النسب الذي هو نسب نبيهم وينشأ عنه ضبط اولاد سيدهم ، حتى لا يدخل في نسبه الشريف من ليس من اهله ، وقال العلماء : ينبغي لكل أحد من المسلمين أن تكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق ، فان انتساب اهل البيت النبوي لم تزل مضبوطة على تطاول الايام ولم تزل احسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها اللئام من الجهال ، قد الهم الله من يقوم بتجديدها وتصحيحها في كل زمان ، ومن يعتنى بحفظ تفاصيلها في كل اوان ، خصوصا انتساب الطالبين والمطلبين ، ومن وقع الاصطلاح على اختصاص الفرية الطاهرة ببنى فاطمة الزهراء من بين ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزيد شرفهم .

وقد نقل عن العلامة القاضى في حينه سيدى الحسن الالالى في اجوبة له ، صححها تلميذه العلامة القدوة سيدى ببيد العميرى رجبها الله ، ونصه : قال : وجواب التاسعة أن صيانة هذا النسب الكريم من المنتسبين المختلسين ، وحماية حواء من المنتحلين في زماننا لهذا النسب الكريم جراحة على سيدى الوجود صلى الله عليه وسلم ، وجهلا منهم بالوعيد الوارد في حديث من انتسب الى غير ابيه الحديث المتقدم ، وانضم الى ذلك تساهل

العوام في شهادتهم ومسامحة الخاصة في الإنكار على كل من انتسب إلى هذا النسب الشريف ظنا منهم ان ذلك أسلم لهم ، وهيهات فاني السلامة ؟ وقد أسلموا الذخيرة الحسنى الذى هو النسب النبوى الذى اليه المفزع معاشا ومعادا ، ومنه استمداد العالم ظاهرا وباطنا وتركوه في أيدي العوام يبيعونه بثمن بخس ، فما رame منتحل الا وجده على طرف التمام ، وقد علموا انه محض حق الله ، الذى تجب المبادرة فيه بالإمكان ، فكان حقا عليهم ان يعتنوا بحفظ نور نبيهم وضبط أولاد سيدهم اذ هو نفس ذخائرهم ، فيقدر قدره ، وتستمطر بركته وسره ، فيستسقى به الغمام ، وتستشفى به العاهات والاسقام . ويستعان على ذلك بأن يامر الامام ، زين الله به الليالى والايام ، رجلا من الاناضل يجمع خاصة البلد عند قاضيه ، ويوقعون شهادتهم بين يديه على افراد شرفاء ذلك البلد بحسب ما هو محق عندهم كالشمس من مجمع عليه مع كونه متواترا أو حادثا فتدون تلك الجواهر المجمع عليها مع بيان المتواتر منها والحادث ، لتبنى الاحكام الشرعية على ذلك حسبما أسلفناه من كلام البرزلى ، قال في آخر كلامه بعد ان فصل المهمة التى يقوم بها نقيب الاشراف المعين من طرف من له الولاية العامة قال : فهو خصم لكل دخيل في النسب الاثيل ، والرب سبحانه يوفق الكل ويسدده ويعمر أرجاء قلوبنا بمحبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة أصحابه ، وازواجه وذرياته ، وأن يحيينا على سنته ، ويتوفانا على ملة الاسلام مع السلامة والعافية ، والمقامات الكاملة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة بمنه وكرمه . وكتبه غبار نعال آل البيت الحسن الالالى . رحمه الله.

روى البخارى في صحيحه ان من أعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينه ما لم تر . وروى ايفاليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه الا كفر . وروى جماعات أحاديث أخر ، ان ادعاء نسب بالباطل أو التبرى منه كفر . أى للنعمة أو استحل ما يؤدى اليه ، ومن هنا توقف كثير من قضاة العدل عن الدخول في الانساب ثبوتا أو انتفاء ، لا سيما نسب أهل البيت الطاهر المطهر . وعجيب من قوم ينادرون الى اثباته بأدنى قرينة من حجة موهومة ، يسألون عنها يوم القيامة : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

فصل الصحبة يتفاوت

الصحابى : هو كل من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم

مومنا به ومات على ذلك سواء رآه أو لم يراه . قال أبو منصور البغدادي من اكابر أئمتنا : لقد أجمع أهل السنة والجماعة على ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على العموم ، ثم عمر ، رضى الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام : عمر بن الخطاب حسنة من حسنات أبى بكر الصديق ، ثم عثمان ثم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وهم سعد ، وسعيد ، وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، بعد الخلفاء الاربعة . ثم أهل بدر من غير هؤلاء ، ثم باقى أهل أحد ، ثم باقى أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، ثم أضاف الصحابة فى الفضل على هذا الترتيب ، (1) المهاجرون ، و (2) الانصار ، والثالث خلفاؤهم من الذين جاؤوا بعدهم ، و (4) من أسلم يوم الفتح ، أو بعده ، ثم السابقون من الانصار أفضل من متأخرى المهاجرين وسباق المهاجرين أفضل من سباق الانصار ، ثم هناك تفاوت آخر اعتبارى فرب متأخر اسلاما أفضل ممن تقدم بين المهاجرين كعمر رضى الله عنه ، فانه أفضل ممن تقدم عليه كبلال بن رباح ، قال الامام ابن حجر الهيتمى : محب آل البيت رحمه الله ، وأما ما اخص به الصحابة رضوان الله عليهم ، وفازوا به من مشاهدة طلغته صلى الله عليه وسلم المباركة ، ورؤية ذاته المكرمة المشرفة ، فأمر من وراء العقل ، اذ لا يسع أحدا ان ياتى من الاعمال وان جلت بما يقارب ذلك فضلا عن ان يماثله ، ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك ، وناهيك به جلالة وعلما أيما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ، فقال : الغبار الذى دخل انف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز ، كذا وكذا مرة . أشار بذلك الى ان درجة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيته لا يعد لها شئ ، ومن ذلك علم الجواب عما سبق من مساوات عمر بن عبد العزيز لعمر بن الخطاب فى الفضل ، وقد استدل أبو عمر بن عبد البر بقضية عمر بن عبد العزيز ، وقول أهل زمانه له : أنت أفضل من عمر ، وقالوا انما ذلك يخرج بالنسبة لما تساويا فيه من العدل فى الرعية ، وأما من حيث الصحبة وما فاز به عمر رضى الله عنه من حقائق القرب ، ومزايا الفضل ، والعلم والدين الذى شهد له به النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنى لابن عبد العزيز أو غيره ان يلحقه فى ذرة من ذلك ، فالصواب ما قاله جمهور العلماء سلفا وخلفا لما ياتى ، وعلم من قول أبى عمر بن عبد البر ، الا أهل بدر والحديبية ، ان الكلام فى غير اكابر الصحابة ممن لم يفز الا بمجرد رؤيته صلى الله عليه وسلم ، وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من بعده ،

وان من بعده لو عمل ما عساه ان يعمل لا يمكنه ان يحصل على ما يقرب من هذه الخصوصية ، فضلا عن ان يساويها ، هذا فيمن لم يفز الا بذلك ، فما بالك بمن ضم اليها انه قاتل معه صلى الله عليه وسلم او في زمنه بأمره او نقل شيئا من الشريعة الى من بعده ، او أنفق شيئا من ماله بسببه فهذا مما لا خلاف في ان احدا من الجاعين بعده لا يدركه ، ومن ثم قال تعالى : لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى « الحديد . ومما يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف ، من انهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين ، ما هو مسطر في كتب السلف والخلف ، والذي منه حديث الصحيحين لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل أحد ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفي رواية لهما فلو ان احدكم بكاف الخطاب ه ورواية الترمذى لو أنفق أحدكم الحديث والنصيف بالفتح لغة في النصف ، وروى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال : اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . ومن ذلك أيضا الخبر المتفق على صحته ، خير القرون أو الناس أو أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . ويطلق القرن على أهل زمن واحد متقارب لو اشتركوا في وصف مخصوص مقصود ، وقد اختلفوا في تفسيره ، فقيل من عشرة أعوام الى مائة وعشرين غير التسعين والمائة والعشرة ، فلم يحفظ تائل بهما ، وما عداها قيل به . وأعدل الأقوال في ذلك قول صاحب المحكم ، هو القدر المتوسط من أعمال أهل كل زمن ، والمراد بقرنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الإطلاق بلا خلاف ، وآخر من مات منهم هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى كما جزم به الإمام مسلم في صحيحه ، وكان موته سنة مائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على الصحيح . وقيل سنة سبع ومائة ، وقيل سنة عشر ومائة ، وقيل سنة عشرين ومائة وصححه الذهبي لمطابقته للحديث الصحيح ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر : على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم أحد .

وفي رواية لمسلم أرايتكم ليلتكم هذه ، فانه ليس من نفس منفوسة ياتى عليها مائة عام . فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقاتله . وأما القول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح ، وعلى القول به فانه استكملها بعد ذلك لا انه بقى بعدها

مائة سنة ، وبهذا القول قال الائمة . واما ما قاله جماعة في رتن الهندي ، ومعز المغربي ونحوهما فقد بالغ الائمة سيما الذهبي في تزييفه وبطلانه ، وقال الائمة في ذلك : ولا يروج ذلك على من له ادنى مسكة من العقل . وافضلية قرن من يلي قرنه صلى الله عليه وسلم هم التابعون بعد اصحابه ، ثم تابع التابعين رضوان الله عليهم اجمعين . وبعد هذه الطبقات الثلاث اقرا عليها قول سعد وابن مسعود رضى الله عنهما ، ونظمه بعضهم فقال :

هذا الزمان الذى كنا نحاذره فى قول سعد وقول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم ييك ميت ولم يفرح بمولود

وروى الديلمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من احب الله احب القرآن ومن احب القرآن احبنى ومن احبنى احب اصحابى وقرابتى .

واخرج الانصارى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابا بكر ليت انى لقيت اخوانى فقال ابو بكر نحن يا رسول الله اخوانك ؟

قال : لا ، انتم اصحابى ، اخوانى الذين لم يرونى وصدقوا بى واحبونى حتى انى لاحب الى احدهم من ولده ووالده ، قالوا يا رسول الله انحن اخوانك

قال : لا ، انتم اصحابى الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبى اياك ، فاحبهم ما احبوك بحبى اياك . وفى رواية اخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ايها الناس احفظونى فى احبائى واصهارى واصحابى لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعى . وروى المخلص

الذهبي انه صلى الله عليه وسلم قال : الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، من احبهم فقد احبنى ومن ابغضهم فقد ابغضنى ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك ان ياخذه .

وهذا الحديث والذى قبله خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب فى حبهم ، والترهيب عن بغضهم ، وفيه ايضا اشارة الى ان

حبهم ايمان ، وبغضهم كفر ، لان بغضهم اذا كان بغضا له صلى الله عليه وسلم كان كفرا بلا نزاع ، لخبر : لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه

من نفسه .

وهذا يدل على كمال قريتهم منه حيث انزلهم منزلة نفسه ، حتى كان آذاهم واقعا عليه صلى الله عليه وسلم ، وفيه ايضا محبة من احبه النبى

صلى الله عليه وسلم كآله واصحابه رضى الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ان محبته صلى الله عليه وسلم علامة على

محبة الله تعالى . وكذلك عداوة من عاداهم ، وبغض من ابغضهم وسبهم

علامة على بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبغضه صلى الله عليه وسلم وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه ،قال الله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه « فحب أولئك أعنى آلہ صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات العينية كما ان بغضهم من المهلكات ، ومن محبتهم توقيهم ، وبرهم ، والقيام بحقوقهم والاعتداء بأخبارهم ، وأهل الفضل والصلاح منهم ، والمشى على سنتهم وآدابهم ، وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس فيه للعقل مجال ، وفيه مزيد الثناء عليهم ، وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد تعظيمهم ، فقد اثنى الله عليهم في آيات كثيرة من كتابه المجيد ، ومن اثنى عليه فهو واجب الثناء ، ومن الثناء الاستغفار لهم ، وثواب المستغفر لهم راجع أكثره عليه .

وقال العلامة : سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه . وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وماله ، وولده ، والناس أجمعين . وقال : ويتفاوت الناس في الإيمان على قدر تفاوتهم في محبتي ، إلا لا إيمان لمن لا محبة له . فبمحبتة صلى الله عليه وسلم نال من نال ، وسعد من سعد حتى وصل الى درجات الكمال والحق بالاهل كسلمان رضى الله عنه ، اللهم ارزقنا قلبا كقلب سلمان ، وعقلا كعقله ، ومحبة في الله ورسوله كمحبته آمين .

توقير أهل البيت وقار له عليه السلام

والعمل بتوقير أهل البيت يظهر في العفو عن مسيئهم لوجهه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما فعله الامام مالك رحمه الله مع جعفر بن سلمان الذى جلده وطاف به في أسواق المدينة لعدم خضوعه لخداعهم ومكرهم السياسى بالناس ولما حج أبو جعفر المنصور وعرض عليه القود من جعفر امتنع وقال : والله انى جعلته في حل كلما رفع سوطه عنى لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الامام أحمد رضى الله عنه لما امتحن فى قضية خلق القرآن في عصر المامون وأخيه محمد المعتصم فانه جلد وسجن من أجل قوله : القرآن كلام الله غير مخلوق .

ولما عرض عليه العفو والقود ، قال مثل مقالة مالك فيمن فعل به ذلك وهذا هو التوقير ، وله نظائر كثيرة مذكورة في حق أهل البيت وغيرهم ،

واليك منها ما جاء في جواهر العقدين في فضل الشرفين : شرف العلم الجلى
 وشرف النسب العلى ، للامام جمال الدين عبد الله السمهودي الحسنى
 ما نصه ومن العجب ان ابا المحاسن نصر الله بن عين الشاعر ، توجه الى
 مكة المكرمة ومعه مال وقماش ، فخرج اليه بنو الاشراف المقيمون بوادى
 الصفراء فأخذوا ما كان معه وجرحوه ، فكتب في ذلك قصيدة الى الملك العزيز
 طفتكين بن ايوب التركى صاحب اليمن ، وقد كان اخوه الملك الناصر ارسل
 اليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتتح من قبل الافرنج ، فكتب اليه ابن عين
 يزهده في الساحل ، ويرغبه في اليمن ويحرضه على الاشراف المذكورين
 بقصيدة بعثها اليه ومطلعها :

اغنت صفات نذاك المصنع اللسنا وحزت في الجود فخر الحسين والحسنا
 وما تريد بجسم لا حياة له من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنا
 ولا تقل ساحل الافرنج افتحه فما يساوى اذا قايسته عدنا
 وان أردت جهادا فادن سيفك من قوم أضاعوا فروض الله والسفنا
 طهر بسيفك بيت الله من دنس وما أحاط به من خسة وخننا
 ولا تقل انهم اولاد فاطمة لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسننا

وبعد نظمه لهذه القصيدة رأى في نومه سيدتنا فاطمة الزهراء رضى
 الله عنها وهى تطوف بالبيت وسلم عليها فلم تجبه ، فتضرع اليها وتوسل
 وتذلل لها ثم سألها عن ذنبه الذى اوجب ذلك الاعراض ، فأنشدته رضى
 الله عنها أبياتا :

حاشا بنى فاطمة كلهم من رجس بغيض أو من خنا
 وانما الايام فى غدرها وفعلها السوء أساءت بنا
 فقتب الى الله فمن يقترب اثما بنا لا يامن مما جنا
 ائن ساء من ولدى واحد يجعل كل السوء عمدا لنا
 فاكرم بعين المصطفى أحمد ولا تهن من أهله أعينا
 فكل ما نالك منهم غدا تلقى به فى الحشر منا

قال : فانتبهت من نومي فزعا وقد اكمل الله عانيتى مما كنت أجده
 من ألم الجراح والمرض ، فكنت الابيات وحفظتها ، وتبت الى الله تعالى
 مما قلت وقطعت تلك القصيدة وقلت فى أخرى :

عذرا الى بيت نبى الهدى تصفح عن ذنب محب جنا
 وتوبة مقبولة من أخى مقالة توقعه فى العنا
 والله لو قطعنى واحد منهم بسيف البغى أو بالقنا

لم أر ما يفعل الله سيئاً بل انه في الفعل قد أحسنا
هذه أقوالهم رحمهم الله وان صحت الرؤيا كانت كرامة لصاحبها
ومنقبة عظيمة لاهل البيت النبوي الشريف مع جدتهم البتول فاطمة الزهراء
رضي الله عنها ويستفاد منها كرامة الاولياء بعد موتهم ، والرد على من
انكر ذلك ، مستشهدا له بنظائر ويستفاد منها أيضا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سيشمل بعطفه وشفاعته كل من اتاه متظلماً من اولاد
فاطمة بل وكل من اتاه متظلماً من اهل البيت على العموم ، كما تقدم في
قصة الامامين : مالك وأحمد رضي الله عنهما ، ولهذه القصة نظائر في الذنب
المغفور ، من ذلك قصة الصحابي البدرى الجليل حاطب بن ابي بلتعة رضي
الله عنه الذي نزل عفوه فيها قرآناً يتلى . روى ان مولاة لابي عمرو بن
صيفى بن هاشم يقال لها سارة ، اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهو يتجهز للفتح ، فقال لها : امسلمة جئت ؟ قالت : لا ، امهاجرة
جئت ؟ قالت : لا ، قال : فما جاء بك ؟ قالت احتجت حاجة شديدة ، فحث
عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها ، وزودوها ، فأتاها حاطب بن
ابى بلتعة ، واعطاها عشرة دنائير ، وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل
مكة نصه : من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذرکم . فخرجت سارة ونزل جبريل
بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وعمارا ، وعمر ،
وطلحة ، والزبير ، والمقداد ، و ابا مرثد ، وكانوا فرسانا وقال : انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ ، فان بها طعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة
الى اهل مكة فخذوه منها وخطوها ، فان اُبت فاضربوا عنقها ، فادركوها
فجدت وحلفت فهموا بالرجوع ، فقال على : والله ما كذبنا ولا كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسل سيفه وقال : اخرجى الكتاب
او تضعى رأسك ، فأخرجته من عقاص شعرها ، واستثنيت يوم الفتح
من الامان فقتلت ، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ،
وقال ما حملك عليه ؟ فقال يا رسول الله ، ما كفرت منذ اسلمت ، ولا
غشيتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم . ولكنى كنت امرا ملصقا في
تريش اى حليفا ولم اكن من انفسها ، وكل من معك من المهاجرين لهم
قرابات بمكة ، يحمون اهلهم و اموالهم غيرى فخشيت على اهلى ، فأردت
ان اتخذ عندهم يدا ، وقد علمت ان الله ينزل عليهم بايه ، وان كتابى
لا يغنى عنهم شيئا . فصدقته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره ،
فقال عمر : رضى الله عنه يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . واى ذنب اعظم من هذا ؟ — فنزل توبيخا لحاطب قول الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء « آيات من سورة الممتحنة ، فكان مشهده ببدر حصانة اى حصانة ، وغفرت عليه حياته بعد ما ارتكب ضد الاسلام ما يؤدى بحياته ، لولا الحصانة البدرية ، انظر مقدار جرم ما ارتكب حاطب ضد الاسلام ، وهو بدرى ، وضد رسول الله ومن معه من المسلمين وفي اخرج الظروف ، ولولا الوحي لكان خيانة كبرى من حاطب وكان اقراره اعترافا بما جنى على نفسه ، ومنها أخذ العلماء ان الكبرية لا تسلب الايمان .

ومن الذنب المغفور قصة يوسف عليه السلام مع اخوته . اذ قال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم « حيث أخذوه معهم للعب على عهد من ابيهم وفعلوا به ما فعلوا ، وقال تعالى : لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين « .

وقصته : انهم عقدوا مؤتمرا في غيبة ابيهم فيما بينهم على انه واخاه امتازا بحب ابيهم لهما دونهم : اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصابة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين « ثم عقدوا عزمهم على ما وقع اتفاتهم عليه فاحتالوا على ابيهم حتى ارسله معهم للرعى واللعب فنفذوا ما قد كانوا عقدوا عليه العزم من أحد ثلاثة أشياء : القتل ، أو الطرح في الارض أو الالتقاء في الجب ، فوقع اختيارهم على هذا الاخير فآلقوه في الجب قال تعالى : فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب واوحينا اليه لتبيننهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاعوا اباهم عشاء يكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين وجاعوا على قميصه بدم كذب « زاعمين انه دمه ، وهو دم سخال ذبحوه وجعلوا من دمه على قميصه ليوهموا اباهم انه دم يوسف ، فلم يثق فيهم ولكنه استسلم لامر الله وقضائه ، قائلا لهم : بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل « وهو الذى لا شكوى فيه لغير الله والاحتساب اليه وحده وقد علمت مصير يوسف من وقت الالتقاء في الجب الى وقت المسغبة وهى مدة تزيد على اربعين سنة ، ثم جاء دور يوسف عليه السلام ، واحتمل عليهم في أخذ شقيقه بالسرقة

المصطنعة ، فلما ظهرت السرقة عليه قال بعضهم في وجهه يوسف عليه السلام وهو يجهله : أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم « وقال في نفسه : أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون » وفي نهاية الدور اعترفوا بكل ما صنعوه وحلفوا ليوسف بأنهم كانوا في فعلهم خاطئين متعمدين للآثم : قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين « وقال يوسف عليه السلام شاكرا الله على ما أسدى إليه من نعم بعد البلاء الذى أصابه : وقد احسن بى إذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى أن ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم « أى لطيف فى تدبيره عليم بتأخير الآمال الى الاجال ، حكيم بالائتلاف بعد الاختلاف .

ومن الذنب المغفور قصة خالد بن الوليد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وهى انه قتل مالك بن نويرة وتزوج امراته ، وقد شهدت بينة من من الصحابة بأن مالكا راجع الاسلام ، فطلب له عمر القود من أبى بكر الصديق من أجل قتله لمالك بن نويرة ، والذى أكد مضمون التهمة التى وقع من أجلها الاثهاد هو تزويجه امراته فى دار الحرب ، فالح عمر بن الخطاب على أبى بكر فى القصاص من خالد واقامة حد من حدود الله عليه ، وقد كان أبو بكر حريصا على أن لا يسمع قول عمر فى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ولما أكثر عمر على أبى بكر فى الحاحه عليه ، أجابه فقال : خالد تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، فانى لا أشيم سيفا سلبه الله على الكافرين ، فاستبد أبو بكر على عمر ولم ييأس برأيه وطلبه فى خالد كما لم يهمه موت مالك بن نويرة وان كان ثبت اسلامه بشهادة الشهود ، وذلك كله حرصا على خالد ومكانته فى الاسلام والجهاد ، وقد حمل قضيته على انه تأول فأخطأ ، وهى شبهة تدرأ عنه الحد ، لقوله صلى الله عليه وسلم ادراوا الحدود بالشبهات وتلك شبهته التى درأت عنه الحد ، ويا ليت شعرى لو تأول الناس أغلاط أهل البيت ويجعلوا لهم مبررات لاغلاطهم التى وقعوا فيها عن قصد أو عن غير قصد ، وقد فهم هذا كبار علماء الاجتهاد الذين امتحنوا على يد أهل البيت حسبما أسلفنا الكلام على ذلك فى محله ، فكان وقارهم لهم وقارا له صلى الله عليه وسلم وكان عفوهم عنهم ابتغاء وجهه صلى الله عليه وسلم ولا يعرف قدر ذوى الفضل الا نوره ، ومن هذا العنقضية الطلبة الذين احتجزهم الشريف مولاى أحمد الولى الصالح المجاهد المخلص فى سبيل الله وذلك من أجل

شنان كان بين قبيلتي بنى عروس وبنى يدر قبيل فرض الحماية على المغرب، وذلك ان هؤلاء الطلبة كانوا يقرؤون العلم مهاجرين من القبائل على العلامة الولي الصالح سيدي احمد السرحاني بقرية العنصر من بنى يدر خرجوا من جامعتهم قاصدين زيارة الولي الصالح الشيخ مولا عبد السلام ولما كانوا آيين في حال رجوعهم الى جامعتهم ومروا بقرية تزية أمر الشريف المذكور أصحابه بالقاء القبض عليهم ، ولما وصل الخبر لقبيلة بنى يدر عزموا على انتزاع الطلبة بالقوة ، ولما رأى الشريف المذكور انه لا قبل له بقوة قبيلة بأسرها أمر بقتلهم جميعا فقتلوا ، ولما بلغ خبر الحادث لشيخهم العلامة السرحاني المذكور ، طلب الناس منه ان يتوجه فيه الى الله لياخذ له الحق في طلبته الذين قتلوا ظلما ، فقال لهم ، سامحته في ذلك ، وبعد ان الحوا عليه قال لهم : والله لا اقدر ان اتف بين يدي جده رسول الله وأنا واخذ ولده بمظلمتي . هكذا ذكر لى شيخى سيدي محمد بوزد رحمه الله وهو من احد طلبة العلامة المذكور .

الزهد والورع خلقان لدار النبوة

اخرج الامام احمد وغيره ، ما حاصله : انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر أتى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، واطال المكث عندها وفي بعض الايام صنعت لها مسكين من ورق بكسر الراء أى الفضة وقلادة وقرطين ما يوضع فى الاذن ، وستر لباب بيتها ، فقدم صلى الله عليه وسلم ودخل عليها ثم خرج ، وقد عرف الغضب فى وجهه حتى جلس على المنبر فظنت انه انما فعل ذلك لما رأى مما صنعته ، فأرسلت به اليه ليجعله فى سبيل الله ، فقال : فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء . ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل عليها ، زاد الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم أمر ثوبان أن يدفع ذلك الى بعض أصحابه ، وأن يشتري لها قلادة من عصب ، وسوارين من عاج ، وقال إن هؤلاء أهل بيتى ، ولا أحب أن ياكلوا طبيباتهم فى حياتهم الدنيا . فتأمل ذلك تجد الكمال ليس الا بالتخلى بالزهد والورع ، والدأب على الطاعات ، والتخلى عن سائر الرذالات ، وليس فى التخلى بجمع الاموال ، ومحبة الدنيا ، والترفع بها الى غاية المتاعب والنقائص والمثالب ، ولهذا طلق الامام على الدنيا ثلاثا ، وقال : لقد رمت مدرعتى أى قميصى هذه حتى استحيت من راقعها ، وستقف على فضائل أخرى من فضائله وأخلاقه رضى الله عنه .

المساواة في الواجبات

قال الله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم « روى الامام أحمد وغيره يا أيها الناس ان ريبكم واحد وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربي على عجمي ولا لاسود على احمر الا بالتقوى خيركم عند الله اتقاكم لله . وقد سئل صلى الله عليه وسلم اى الناس اكرم ؟ قال : اكرمهم عند الله اتقاهم لله ، ثم قال : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، ليس احد اكرم من احد الا بتقوى الله . وروى الامام أحمد : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر : انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى الله . وروى الطبرانى المسلمون اخوة ، ولا فضل لاحد على احد الا بالتقوى . وصح على نزاع فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمكة ، فكان من جملة خطبته ، يا أيها الناس ان الله قد اذهب عنكم عيبة الجاهلية ، بفتح العين وكسرهما ، وتعاضلها بآبائها ، فالناس رجالان : رجل بر تقى ، ورجل شقى هين على الله ، ان الله يقول : يا أيها الناس انا خلقناكم « الآية . قال : اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم . وفي رواية لينتهين اقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم ، او ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخرا بأنفه ، اى يدحرجه ، ان الله قد اذهب عنكم عيبة الجاهلية ، انما هو مومن تقى ، وفاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم ، وادم خلق من تراب .

وفي هذا حجة على من ترك العمل بالتقوى من اهل البيت النبوى الشريف واتكل على شفاعته الآباء والاجداد ، مومنا بذلك الى قوله تعالى : الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء « ولا يغنى عن ابطال العمل بالتقوى الاتكال على عمل الآباء والاجداد مع الاستغفال بالافتخار بالاحساب والانساب عند الله : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم « روى ابن جرير وغيره . ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة الا عن اعمالكم : ان اكرمكم عند الله اتقاكم « واخرج القضاعى والنووى فى الاربعين من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه . رواه الامام مسلم فى صحيحه . واخرج ابن حبان يا بنى هاشم لا ياتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم ، وتاتون بالدنيا على ظهوركم لا اغنى عنكم من

الله شيئا .

وأخرج البخارى فى الادب المفرد : اوليائى يوم القيامة المتقون ، وان كان نسب اقرب من نسب ، لا ياتين الناس بالاعمال ، وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم ، فتقولون يا محمد فاقول هكذا وهكذا وأعرض فى كلا عطفيه .

قال العلامة ابن حجر : رحمه الله ، واعلم انه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان اوليائى منكم المتقون ، وقوله انما وليى الله وصالح المومنين ، ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته ، ان لم تنتف عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ، ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عمن يقول له منهم يوم القيامة يا محمد كما تقدم . وقال عليه الصلاة والسلام : ايتونى باعمالكم لا بأنسابكم . ولا بن جريير الطبرى فى تفسيره والعسكرى : الناس لآدم وحواء ، ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة ، الا عن اعمالكم : ان اكرمكم عند الله اتقاكم « يا اهل البيت لا يضل سبيل الحق عنكم ، ولا يغرنكم بالله الشيطان ، وجنوده من الانس والجن ، حتى تصبح دعوتكم مثل دعوة اليهود والنصارى القائلين ما حكاه القرآن عنهم ، قال تعالى : وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه « اى كائنا فى القرب والمنزلة ، وهو كائنا فى الرحمة والشفقة . وفى احتمال آخر نحن ابناء رسل الله ، وابناء اوليائه ، فكان جوابهم من الله تعالى : قل « اى يا محمد : فلم يعذبكم بذنوبكم « اى وقد عذبكم فانتم كاذبون فى زعمكم ، ثم قال تعالى : بل انتم بشر ممن خلق « اى انتم من مطلق البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم : يغفر لمن يشاء « اى المغفرة له ، : ويعذب من يشاء « اى عذابه فلا اعتراض عليه فيهما ، وفى خبر من قبلهم ما جاء القرآن يقصه علينا كذلك فى سورة هود عليه السلام ، من خبر نبى الله ورسوله نوح عليه السلام مع ولده كنعان ، الجمهور انه ولد صلى ، وقيل ربيبه ، وعلى كل فهو من اهل كما جاء نصا فى القرآن : ان ابنى من اهلى « فانه لنا طفا الموج واضطربت السفينة ، تفقد ابنه ، فوجده فى معزل عن السفينة اى بعد عنها رقى عليه بعد تأكده من غرقه فناداه قائلا له : اركب معنا ولا تكن مع الكافرين « اى اخلص اسلامك لله واركب معنا ولا تكن مع الكافرين : قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء « ثم نصحه بقوله : لا

عاصم اليوم من امر الله الا من رحم « أى وهو الله سبحانه وتعالى :
وحال بينهم الموج فكان من المغرقتين « ثم توجه الى الله فى شأنه ، لعل
الله يقبل شفاعته فيه قائلا : رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وأنت
احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى
ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين » .

وقوله : انه ليس من اهلك ، نفى له منهم ثم علل سبحانه انتفاءه
بقوله : انه عمل غير صالح ، قال : العلامة النفسى ، فيه ايدان بأن قرابة
الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيك فى دينك وان كان عبدا حبشيا ،
وكنت قريشا لصيكتك ، ومن لم يكن على دينك ، وان كان أمس أقاربك رحما
فهو أبعد بعيد ه أى أبعد من كل بعيد منك ، وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة فى ذمه ثم قال : وفيه اشعار بأنه انما أنجى من انجى من أهله
لاصلاحهم ، لا انهم أهله ، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته ،
أى قرابته الطينية ، وقد تبين من هذا انه كان منافقا متظاهرا بالايمان
لابيه ، ولم يكن مومنا حقا ، والا فما صح له أن يناديه ويطلب منه الركوب
معه لانه كان قد نهاه الله عن أن يكلمه فى شأن الظالمين الكافرين بقوله
تعالى : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون « وقال الجلال : انه أى
سؤالك اياى بنجاته عمل غير صالح على حذف مضاف ، وعليه فيكون الضمير
لنوح عليه السلام ، والمعنى على هذا قال الله : له يا نوح ، ان سؤالك
عمل غير صالح ، أى غير مقبول ، لان الله لا يقبل الشفاعة الا فى المسلمين ،
فسؤالك خطأ ، لان نوحا عليه السلام كان يظن اسلامه ، لانه كان يظهره ،
والرسل يعتمدون على الحكم بالظاهر ، وعلى هذا فلا خلاف بأنه كان
منافقا ، وقد علم الله ما يحويه باطنه من الكفر فنهاه عن الشفاعة فيه تفصيلا
كما نهاه عن الشفاعة فى الكفار اجمالا بقوله : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا
انهم مغرقون « ولهذا فان الاخذ بالاحوط كان أسلم ، وهو مذهب السلف
رحمهم الله من اهل البيت ، أى وهو العمل على التقوى وفى هذا المعنى قيل :
عليك بتقوى الله فيما تريده ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام بسلطان فارسى وقد وضع الكفر الشريف ابا لهب
وفى معناه قيل :

ولا تتكل إلا على ما فعلته
فليس يسود المرء الا بنفسه
اذا العود لم يثمر وان كان شعبة
ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
وان عد آباء كراما ذوى حسب
من المثرات اعتده الناس فى الحطب

وفي معناه : فخر الفرزدق وهجو جرير قال الفرزدق مفتخرا :

اولئك آبائي فجننى بمثلهم اذا جمعنا يا جرير الجامع
رد جرير في الهجو قائلا :

لئن فخرت بأباء ذوى شرف فقد صدقت ولكن ببسما ولدوا

ومن اقوال السلف قال الحسن المثنى رضى الله عنه ، لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله ، فان اطعنا الله فأحبونا ، وان عصينا فابغضونا ، ويحكم لو كان الله نافعنا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا — يعنى بذلك اياه وامه و ابا طالب ، لما روى من انهم كانوا يستغفرون لهم فنهاهم الله تعالى عنه بقوله : ما كان للنبيء والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » وفي ابيه وامه صلى الله عليه وسلم خلاف بين العلماء والله أعلم لانهما من أهل الفترة ، ثم قال : والله انى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، وأن يتولى المحسن منا أجره مرتين . وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى : يا نساء النبيء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين « وقوله تعالى : واخشوا يوما لا والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور » وقد ذكر أهل السير : ان زيد بن موسى الكاظم خرج على الخليفة المامون فظفر به فأرسله الى اخيه على الرضى الذى كان ولى هذه فوبخه بكلام طويل ، من جملته : ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء بغير حق ، واخفت السبيل ، واخذت المال من غير حله ، اغرك حمقى أهل الكوفة ؟ او غرك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ؟ اعلم ان هذا يا اخى لمن خرج من بطنها فقط لالى ولا لك ، فوالله ما نالوا ما نالوه الا بطاعة الله لا بالاتكال على الحديث ، فان اردت بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله ، فانت اذا لاكرم على الله منهم واخرج الطبرانى ان أهل بيتى هؤلاء يرون انهم اولى الناس بى وليس كذلك انما اوليائى منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا واخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه كان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقوله : ان آل بنى فلان ليسوا بأوليائى انما وليى الله وصالح المومنين ، لكن لهم رحم سابلها ببلالها . يعنى ساصلها بصلتها . ووجه عدم المنافاة كما قاله الحب الطبرى وغيره من العلماء انه

صلى الله عليه وسلم لا يملك لاحد شيئا نفعا ولا ضرا ، لكن الله عز وجل يملكه نفع أقرابه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة ، فهو لا يملك الا ما يملكه له مولاه كما أشار اليه بقوله : غير ان لكم رحما سابها ببلالها . وكذا قوله لا أغنى عنكم من الله شيئا أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله من نحو شفاعاة أو مغفرة . وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل ، والحرص على ان يكونوا أولى الناس حظا فى تقوى الله وخشيته ، ثم اوماً الى حق رحمه ، اشارة الى ادخال نوع طمانينة عليهم .

وروى الامام مسلم فى صحيحه : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . وروى الامام احمد ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على احد ، كلكم بنو آدم ليس لاحد على احد فضل الا بدين أو تقوى . ولا بن لال والعسكرى : الناس كلهم كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . أى كلهم متساوون فى الصور ، وانما يتفاوتون بالاعمال ، فلا تصحب احدا لا يرى لك مثل ما ترى له . ولا بى يعلى وغيره : كرم المومن دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه . وقال عمر : رضى الله عنه للمفتخر بابائه القائل : أنا بن بطحاء مكة كدئها وكدائها — قال : ان يكن لك دين فلك كرم ، وان يكن لك عقل فلك مروءة ، وان يكن لك مال فلك شرف ، والا فأنت والحصار سواء .

علامة تمييز الأشراف من غيرهم

قد تكون تلك العلامة حسية جلية طبيعية يمتاز بها الشريف من غيره وهى لا تكاد تخفى على احد ، فهى معروفة من طرف الخاص والعام ، وقد تكون معنوية ، وتدرک كذلك بالاحساس الباطنى ، ومن ثم كان جلاؤها غير خاف على احد ، فيحكم العقل السليم على ان صاحب هذه الاخلاق او-الخلال الحميدة لا يكون الا شريفا أصيلا ، والامثلة الموجودة على ذلك شاهدة فى كل مكان حل به الأشراف المعروفون ، وقد حاول الخليفة المامون (7) الخلفاء العباسيين ان يتخذ شعارا للفاطميين ، وخصه بلباس الثوب الأخضر ، لان شعار العباسيين كان لباس الاسود ، ومن حسن سياسته انه أراد ان يرد الخلافة الى بيت على ، فقام عليه ابناء عمه وحارنوه ، فلما رأى الامر سيفضى الى ما لا تجمد عواقبه ، رجع الى شعاره الاول السواد ، بعد ان كان استبدله بالشعار الاخضر الذى اختاره شعارا للعلويين ، وبقي

اللون الاخضر شعارا للفاطميين من العلويين وحدهم ، لكنهم حولوه عن اللباس الى قطع خضر توضع فوق العمائم واستمر ذلك الى آخر القرن الثامن ، وفي سنة 773 هجرية أمر السلطان الاشرف شعبان بن الناصر محمد بن تلاوون التركي أن يمتازوا على الناس بعصائب خضر تجديدا لامر الخليفة المامون ، وأمر بذلك في كل بلد يقيم بها الاشراف المذكورون ، كمصر والشام ، والحجاز ، من البلدان التي كانت خاضعة لنفوذهم ، وقال في ذلك الاديب :
محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقي المزني :

اطراف تيجان اتت من سندس خضر بأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها شرفا ليعرفهم من الاطراف
وقد انتقد ذلك الشاعر الاديب ، الاندلسي الاعمى المعروف بابن جابر
نزيل حلب بقوله :

جعلوا لابناء الرسول علامة ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

قال بعض العلماء من السلف الصالح رحمه الله ، ولم تزل انساب اهل البيت التي اليها ينتمون ، وبها يتميزون على تطاول الايام مضبوطة ومن صيانة كل خلل محوطة ، على تداول الايام والاعوام ، وفي كل زمن يقيد الله لهم من يقوم بتصحيح نسبهم ، وضبط اتصالاتهم من علماء الامة ، ومن يعنى بتبريز عموم العدالة فيهم ، في كل عصر من النسابين والمؤرخين نقل الخلف عن السلف ، سيما من ظهرت بركة الدعوة فيهم من نسل البتول رضى الله عنها ومن اشرفت انوارهم على آفاق الوجود من بنى السبطين على الشمول لا يمترون فيمن حاز منهم نسبة الشرف المنبعث من تلك المعنى الكامن في اصولهم تراه يظهر في وجوههم وسمه لائحة ، ونفحات طيب عرفهم فائحة وفي ذلك قيل :

ومن يقل للمسك اين الشذا كذبه في الحال من شمه

وذلك المعنى الذى هو كامن فيهم يظهر شعاعه في جميع احوالهم ، ومن ثم كان صعب الحصر والتفشير ، وذلك المعنى ينتقل بالوراثة في ذرية فاطمة خاصة ، وقد ظهر لأول مرة في الحسنين رضى الله عنهما ، ولذلك كانت تختلف تفسيرات الناس من اهل عصرهم فيه ، وكان مبغضوهم يفسرونه بالتيه ، فواجه بعضهم الامام الحسن رضى الله عنه في محاوره جرت بينهما فقتال الوقح للامام الحسن : ان بك لتيها ، فقتال الامام ليس

ذاك بتيه ، انما هو نور ورثناه من مقام النبوة ، فلم يقتنع ، فرد عليه مجادلا ، ما أرى ذلك الا تيتها ، فغضب الامام وقال مرتجلا :

لنا الفضل في الدنيا وانفك راغم ونحن لكم يوم القيامة افضل
ونحن اذ نستحسن تفسير الامام الحسن له رضى الله عنه لكثرة ما
نشاهده عنهم في مختلف احوالهم من مجتمعنا بما فيه ابناؤنا نرى من خلال
ذلك ما يصح التعبير عنه بما يطلق عليه « نشوة الشرف » وتلك النشوة
يبتدىء ظهورها في الطفل من ثلاث او اربع سنوات ، ولها تفسيرات شتى ،
لا يمكن لاحد كائنا من كان ان يحصرها في زاوية خاصة لكثرة تشعب معناها ،
فكان ذلك تحقيقا شبيها بشعاع الشمس الوهاج الذي لا تنحصر اطرافه ،
او هو كموج البحر في الحركة والكثرة على الدوام ، ومن الذى في وسعه
ان يحصر شعاع الشمس او حركة موج البحر ، وكائنا سناخذ جانبا من
هذا التفسير ، من احوال الامام على رضى الله عنه اذ قيل للامام الشافعى
فيه : كان الناس يفرون من الامام على لما يلاحظون عليه من اللامبالاة
فقال : ان عليا كان زاهدا ، والزاهد لا يبالي بالدنيا واهلها وكان عالما
والعالم لا يبالي بأحد ، وكان شجاعا ، والشجاع لا يبالي بأحد ، وكان
شريفا والشريف لا يبالي بأحد ، فكانت هذه هى بعض ملاحظاتهم عليه
رضى الله عنه رغم ما هو عليه من النبل ، والذكاء والفتنة ، وما أوتيته
من غزارة عقل ورجاحة حلم وحكمة وسعة علم ، واما ما وهب له من
القوة والمنعة فحدث ولا حرج ، فهو بحر زاخر تجمعت فيه جميع معانى
الخير والفضل : ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم «
وتاريخ الامام على في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد صدق
على ذلك ، وكذلك مواقفه في حياة الخلفاء الثلاثة قبله ، وكذلك المواقف
التي وقفها لما عهد اليه بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه
كالذين تقدموه ابلى فيها بلاء حسنا ، مما يحتم على ان أقول بحق ، ان
ذلك امر يبعث على الدهشة والعجب من رجل مثل أمير المؤمنين على الجامع
لاوصاف الفضل بعد الخلفاء الثلاثة ، ولن يكون هناك في الصحابة من
يساويه او يدانيه فيها ، كيف لا يستقيم له الامر ، ولا تجتمع له كلمة الامة ،
وكلهم معترف بفضله وكفائه . ! انظر الى هذه السمائل التي كانت
تؤثر على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وكان الناس يلاحظون عليه
انه يفعل لها ، وتأخذ من عزمه وشدته وأخلاقه وصفاته الجامعة ، هب
انها اجتمعت بأخلاق النبوة المنحدرة من طريق فاطمة الزهراء ، دون بقية

أخواتها اللاتي كن تحت الغير ، وظهرت تلك الوراثة النبوية جلية في الحسينين
رضي الله عنهما ، فأكدتها النبي صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح ،
بأنهما ابناه مباشرة ، وبدون واسطة ، ومن ثم لا يشك أحد في ان هذه
الوراثة حقيقة محضة قد ظهرت معالمها كاملة ، وغير ناقصة في ذرية
الحسينين ، من فاطمة الزهراء رضي الله عنها فجاءت منها بثمرات أولئك
الاقطاب المشاهير من العارفين بالله ، فامتلا بهم المشرق والمغرب ، من
بلاد ما وراء نهر جيحون الى أندونيسيا الى افريقيا من دول المحيط الاطلسي،
الى غرب أوربا ، فكل هذه البلاد لا تخلو من ذرية فاطمة الزهراء في القديم
والحديث ، وكل ذلك ببركة ذلك المعنى الموروث عن السر النبوي الشريف
الذي انعكس شعاعه على ذرية علي من فاطمة الزهراء رضي الله عنها .
فتراه جليا تارة على ظاهر محياهم ، وتارة يكون كامنا ويتولى الكشف
عنه روح المومن التقى وتارة يظهر سر ذلك المعنى في ذكاء فائق ، يهيم
صاحبه لعبقرية نادرة ، وتارة يظهر في ناحية أخرى من الاخلاق كالشجاعة
والكرم ، فتعيان صاحبها لان يكون عبقريا في ميدان التضحية والبذل
النفساني ، وتارة يظهر في ناحية أخرى من البذل والعطاء حتى تهيئان
صاحبها لان يكون حاتم زمانه ، وتارة يظهر في حب الله ورسوله والعمل
بطاعته ، فسرعان ما يتحقق له الوصول ، ويصبح من اكابر العارفين
بالله ، ولا عجب فيما اذا انعكس الامر ، ورأينا ذلك المعنى ظاهرا في
الطغيان والجبروت ، وقد تجتمع بعض تلك المعاني في أشخاص وتنفرد
في آخرين ، ولا يخلو شريف أصيل من شيء من ذلك المعنى أصلا ولو انحط
قدره عن المكانة الاجتماعية فيما يظهر للعيان ، فان أصله من ذلك المعنى
الموروث سوف يحتفظ له بالخير ويرفعه الى أسنى درجات الفضل والتقى
وتلك سنة الله مع أوليائه وأحبابه . وتارة يطغى ذلك المعنى فيأخذ صاحبه
من طريق الجذب ويخرجه من صفوف العقلاء ، فيرتفع عنه التكليف ، وينقطع
عن عالم الاحساس فيهم ، ومن أجل هذا فإنه يصعب علينا أن نفسر
مستقبل أولادنا في الغالب لما نراهم عليه من غلبة « تلك النشوة الشرفية »
عليهم ، لانه لا يستطيع أحد أن يعرف إلى أين يتجه ذلك المعنى الكامل
الوراثي مع مستقبل الأيام ، ويشترك في ذلك المعنى بالطبع الذكور والاثاث
على السواء ، ويزداد ذلك المعنى الوراثي في الذرية بالتزوج بينات العم
أكثر من التزوج بغيرهن في الغالب ، وتارة يبرز كأنه فتور وفراغ فكري
يفقد صاحبه توازنه الفكري والعقلي ، واذا لازمه طويلا ولم يتغير مع
المستقبل كان أكبر عائق له عن بلوغ أسنى الغايات التي يرغب فيها

الراغبون ، ويتنافس فيها المتنافسون . وهو نوع من تلك « النشوة الشرفية » وتظل هذه ميزة لهم وراثية معروفة عند كل أحد حيثما كانوا الى الابد . وكل من ادعى دعوتهم ودخل في صفوفهم حتى عد منهم فانه لا يحظى بهذه الوراثة بل تصحبه وراثته الاصلية حتى يظل متميزا بها ومعروفا عند كل احد ، لما بين الوراثة من البون الشاسع ، ولا يمكن ان يحظى بميزتهم النبيلة ما بقى الميراث ، ولهذا سيبقى منعزلا عنهم حتى لا يخفى على أحد بأنه لا نسب له لانه فاقد لوراثةهم فلم يحظ بحظوتهم من « النشوة الشرفية » فهي الاصل لمن كان نسله من نسب الحسنين ظاهرا او باطنا وقد تكثر تلك النشوة في بعض العائلات كثرة فاحشة تفقد صاحبها التوازن الفكري والعقلي حتى يصبح في عداد الانعام ، فلم يبق له الا رسم بنى آدم ، فحينئذ يكون صاحبها جديرا أكبر من غيره بعطف غيره عليه ، والتودد الفعلى اليه ، لقوله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » والمودة الرحمة ، والرحمة تقتضى التفضل والانعام الفعلى . ولن يغيب عنا ان هناك مرضا نفسانيا عضالا لا ينجو منه الا من له قلب سليم ، وهو داء الحسد ، وان هناك قلوبا تحترق غيظا وحسدا من طرف من هم مرضى النفوس على تلك النعمة التي هي منحة الالهية لا توجد في الاسواق معروضة للبيع ، حتى يشتريها اولئك الذين تطاولت اغنائهم اليها ، وانى لهم بها ، فتظل صدورهم موهرة على الدوام ومن ثم تنبعث نار الحاسد عن شهوته الانتقامية ، فيبيد شره كل ما وجدته على وجه الارض من الحرث والنسل ، وكل المعاداة التي بين البشر فان لها أصلا واحدا وهو داء الحسد وشروره وافساده ، ولخطره العظيم أمر الله سبحانه وتعالى : بالتعوذ منه فقال : ومن شر حاسد اذا حسد » ولهذا والله أعلم طلب الله سبحانه وتعالى : من أمة نبيه ان يودوا قرابة النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يذهبوا ضحية الحسد وهم لا يشعرون ، ولهذا فاننا نعانى من جيران السوء مرارة تنغص الحياة وتتعلل معها اسباب كل خير ، : فانا لله وانا اليه راجعون » ومن تتبع تاريخ أهل البيت وما نزل بهم في كل زمان ومكان من الكوارث العظمى علم ان وصاية القرآن بهم ظلت من طرف الامة الاسلامية حبرا على ورق الا في فترات قليلة من الزمن قد لا تدخل في حساب ، فقدمت طاعة الهوى والنفس الامارة وأرضت شيطاني الجن والانس ، وما علينا الا ان نرد الامر في ذلك كله الى الله سبحانه ، ولا حول ولا قوة الا به ، اليه المصير ، وبيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير لا رب سواه .

افترق أهل العلم في أهل البيت على ثلاث فرق

الفرقة الاولى هى التى تحب اهل البيت بلا جدال ، وتعتقدان هذا الحب حق لهم على غيرهم ، ولا يكفل ايمان المسلم الابه ، امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتكم منى . وهى الفرقة الموفقة وقليل ما هم ، وعلى رأسهم الائمة المجتهدون كما تقدم الكلام على معاملتهم نحوهم ، وقال الامام الشافعى فيهم معرباً ومعبراً عن حبه لهم : « انا من شيعة اهل البيت حتى قيل كيت وكيت » . وأما غيره فكل واحد قدم من التوضيحات فى سبيلهم ما يدل على حبههم وتقديرهم لاهل البيت الشريف رضى الله عنهم وأرضاهم .

والفرقة الثانية ادعت لنفسها النسب الشريف ، ووضعت نفسها بين اهله وتخلصت من عبء الحب لاهله ، فهى لا ترى لاحد منهم فضلاً يزيد على فضلها وشرفاً زائداً على شرفها ، وقد تقدم الكلام على من ادعى لنفسه النسب الشريف وليس من اهله ، فراجعه تجده مقروناً بأدلته .

والفرقة الثالثة هم المتصلون المتأولون الذين اولوا الآيات والاحاديث الواردة فى حب اهل البيت ومودتهم ، فمثلاً قالوا فى آية : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى « هذه الآية لا شاهد فيها لاهل البيت ومودتهم ، ولو كان ذلك لكان من جنس الاجر على تبليغ الرسالة ، وكان آخر الآية يناقض اولها ، فانتفى بذلك دلالتها على حبههم ومودتهم وموالاتهم ، وكما اولوا الاحاديث الواردة فى حبههم بأحد الامرين ، اما أن يتهموه بأنه من مختلفات الشيعة وهذا النوع محكوم عليه بالوضع طبعاً فلم يدخل فيما يسمى بالحديث وفى معناه الحديث الضعيف عندهم فلا تقوم به حجة لهم ، فلا يلزمهم اعتباره والعمل بمقتضاه ، غاضين بصرهم عما ذهب اليه العلماء فى شأن الحديث الضعيف من انه يعمل بمقتضاه فى المناقب وفضائل الاعمال بشروط خمسة (1) أن يعتقد صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم ، (2) أن يكون له أصل يعضده بأن يكون مندرجاً تحت أصل عام ، و (3) ان لا يشتد ضعفه حتى يلحق بالموضوعات ، و (4) أن لا يعارضه خاص ، و (5) يعمل به فى المناقب وفضائل الاعمال . وحب اهل البيت منقبة عظيمة ، والحديث الضعيف صالح للدلالة عليها والامر الثانى اذا ورد عليهم حديث صحيح مسلم ، قالوا خبر الاحاد ، ولا يلزم العمل به ، والحديث الذى تقوم به الحجة هو المتواتر ، وبهذه التاويلات تنصلوا من موالات اهل البيت ، فسلبهم الله حلاوة الايمان ، فأصبحوا فى تاويلاتهم

كعلماء بنى اسرائيل ، الم يواخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق » وقد ذهب العلماء المجتهدون الى ان حب آل البيت من فضائل الاعمال ، بل يتجاوزها الى حدود الواجب كما يواخذ ذلك من صريح كثير من الاحاديث ، وقال غلاة المتنصلين : اذا كان حب آل البيت امرا مشروعا لهم ، فهو عبادة لهم مثل عبادة الوثنية ، والقرآن يحرم عبادة غير الله ، فلا يستحق احد منهم في زعمه حقا على غيره ، ويجعل الحى والميت من اهل البيت في ذلك سواء ، سيما وهم يشددون في النكير على الاولياء الاموات من اهل البيت وغيرهم ، ويصورون ذلك للسذج من العامة ان زيارة الاولياء مثل عبادة الوثنية ، ملبسين عليهم في ذلك ، ولا يفرقون لهم بين الزيارة الشرعية والبدعية ، وحجتهم في ذلك يقيمونها لهم من انفسهم هو انهم يقطعون زيارة كل ولى لله ، مع المبالغة في التنفير من زيارته ، وسياتى الكلام على زيارة القبور سواء كانت للاولياء او لعامة المسلمين ، خلافا لغلاة المتنصلين ، والحق الذى لا مرأى فيه ان هذا النوع من العلماء يسيرون وراء هواهم ولا يشعرون بضلالهم لانهم آمنوا مكر الله وغدر الشيطان بهم ، : ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » ولذلك تراهم يتكلفون حمل الشريعة على ما يوافق هواهم الذى هو الاهم الحقيقى ، ولذلك لا تراهم يتهمون انفسهم بالضلال عن سبيل الحق ، فهم عن الوقوع في الضلال آمنون ، وعن زيغ الشيطان بهم مطمئنون ، وقد ذكر الله في القرآن هذا النوع من هؤلاء العلماء فقال : افرايت من اتخذ الاهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله « اللهم وفقنا واياهم لاتباع الحق واهدنا اليه ، وان بعضهم يعتمد على ما كتبه الامام احمد بن تيمية ، ولكنه يختار منه ما يوافق هواه ، ويسكت على ما سواه .

يقول قائد الثورة العقائدية ، شيخ الاسلام الامام تقى الدين احمد ابن تيمية رحمه الله في كتابه المسمى « قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة » ما نصه : تحت رقم 25 ما يفند مزاعم هذه الفرقة المضلة المتصلة ، « ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، فالزيارة الشرعية ان يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ، كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له ، فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه ، ومعنى القيام الاقامة ، عند القبر للدعاء للميت سواء كان القائم جالسا او مضطجعا ، فالتعبير بالقيام جرى مجرى الغالب والممنوع العكوف عند القبر لا يقصد الدعاء له ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى

على جناز المسلمين ، ويقف على قبورهم ، وفعل ذلك برئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ارضاء للمنافقين رجاء توبتهم ، فنهاه الله سبحانه وتعالى أن يعود الى ذلك مع باقى المنافقين فقال : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » فنهى نبيه عن الصلاة عليهم ، والقيام على قبورهم ، ثم علل الله تعالى ذلك بقوله : انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون « أى كافرون ، فلما نهى عن هذا وهذا لاجل هذه العلة وهى الكفر دل ذلك على انتفاء هذا النهى عند انتفاء هذه العلة — وهى الكفر فالنهى خاص بالكفر — ودل تخصيصهم بالنهى على ان غيرهم من المسلمين يصلى عليه ويقام على قبره ، اذ لو كان هذا غير مشروع فى حق أحد لم يخصوا أى المنافقون بالنهى المعلن بكفرهم ، ولهذا كانت الصلاة على الموتى من المومنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة ، فكان ذلك تشريعا لامته صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا دفن الرجل من أمته ، يقوم على قبره ويقول : سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل . ومن هنا يؤخذ ما يقرأ عند حشر الميت من قولهم : وهو ما رواه أبو داود ، اللهم ان صاحبنا قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره وافتقر الى ما عندك ، اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبثله فى قبره بما لا طاقة له به والحقه بنينا عليه السلام ، رواه أبو داود وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يزور أهل البقيع بالمدينة ، وشهداء أحد .

ذكر ابن هشام فى سيرته رقم 624 عن محمد بن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فى جوف الليل مع مولاة أبى مويهبة الى بقيع الغرقم مقبرة المدينة فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أصبحت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة أشر من الأولى ، قال أبو مويهبة : ثم أقبل على فقال : يا أبا مويهبة ، انى أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخبرت بين ذلك ، وبين لقاء ربي والجنة ، قال : فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا ، والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف ، فكان وجعه الذى قبض فيه ه وكان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقول أحدهم : السلام عليكم أهل الديار من المومنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون ، ويرحم الله منا ومنكم المستقدمين والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا

أجرهم ولا تفتنا بعدهم ه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . والاحاديث في ذلك صحيحة معروفة ، فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم ، وهذه غير الزيارة المشتركة اى بين المسلم والكافر ، وهى الزيارة التى تذكر بالموت التى تجوز في قبور الكفار كما ثبت في صحيح مسلم ، وأبى داود ، والنسائى وابن ماجة ، عن أبى هريرة انه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى ، وبكى من حوله ثم قال : استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لى فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة ه .

فهذه الزيارة التى تنفع في تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافرا بخلاف الزيارة التى يقصد بها الدعاء للميت ، فتلك لا تشرع الا في حق المؤمنين انتهى قول الامام ابن تيمية رحمه الله ، تأمل كلامه وما يشيعة عنه أولئك الدعاة الغشثة الذين ياخذون من كلامه ما يوافق أهواءهم ، ويتركون ما سواه ، مع مقاطعتهم لزيارة اولياء الله من المسلمين والدعاء لهم ، وتبيين ذلك للامة كما يقوله الامام ، فذلك كله حجة على كذبهم عليه ، وشاهد صدق عليهم بأن الاهم الذى يدعون اليه هو اهم كما قال الله فيهم : وأما كلام الامام رحمه الله فهو ما رأيت ووقفت على نصه ، فهو برىء من أقوالهم وأفعالهم المكذوبة عليه ، وسيحاسبهم عند الله على ما ينسبون له مما هو برىء منه . ويشددون في النكير على من يزور اولياء الله من غير أن يبينوا للناس ما هو الوجه المشروع من غيره في زيارة اولياء الله وغيرهم من المسلمين ، بل لبسوا عليهم في ذلك وكرهوا لهم كل من يتردد الى زيارة مقابر المسلمين . وصوروهم لهم بأنهم عباد أوثان ، وحرموهم من أجر سنة صحيحة متواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم عن الامام رحمه الله .

وبعد أن اتهمت الكلام على الجناح الاول من السبطين من أهل المشرق وما يتبع ذلك مما هو ضرورى الذكر في هذا المبحث الرقيق ، اتبعته بالمبحث في الكلام على الجناح الثانى من أهل المغرب مبتدئا ذلك ببيت الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم فأقول : أكرم بيت يتشرف به النسب في بلاد المغرب هو :

بيت الحسن المثنى

فهو الحسن المثنى بن الحسن السبط دفين ينبوع النخيل بين المزرعة
وذى هجر ، يشتمل بيته على ما يأتى من الاولاد الذكور .

1 — عبد الله الملقب بالمحض لمحض شبيهه بالنبي صلى الله عليه
وسلم ، والكامل لكمال نسبه من جهتي أبيه وأمه ، لان أمه فاطمة بنت
الحسين ، ومن أجل ذلك كان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كأنه ولدنى مرتين . و (2) الحسن ، وهو المعروف بالحسن
المثلث ، و (3) ابراهيم وأمه فاطمة بنت الحسين شهيد كربلاء رضى الله
عنه ، و (4) جعفر ، و (5) داود أمهما أم ولد ، و (6) محمد أمه بنت
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

بيت عبد الله الكامل

فهو عبد الله الكامل بن الحسن المثنى مات في سجن المنصور ودفن
ببغداد وبيته يشتمل على ما يأتى من الاولاد الذكور ، 1 — محمد وهو
الملقب بالنفس الزكية لقب به لدينه وفضله وأخلاقه ، 2 — ابراهيم ،
3 — ادريس ، 4 — موسى وهو الملقب بالجون ، وكلمة الجون من أسماء
الاضداد تستعمل في البياض والسواد ، واستعملت هنا في السواد ، لما
كان غالبا على أديمه من الدهمة التى تميل الى السواد ، 5 — عيسى
أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومي ، 6 — يحيى أمه ركيمة بنت
أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة . وناسب أن أذكر هنا نسب القطب الرباني
مولانا عبد القادر الجيلانى ، دفين بغداد ، فهو رحمه الله الشيخ مولانا
عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة 561 هجرية ابن موسى بن عبد الله بن
يحيى بن محمد بن داود بن موسى الثانى بن عبد الله الرضى بن موسى
الجون بن مولانا عبد الله الكامل .

بيت عبد الله الكامل ورأى الامة في الخلافة

كان البيت الكاملى يرى الحق لنفسه في الخلافة الاستلامية وانه
أولى بها من كل أحد من أهل البيت ، وعليه رأى اكثر الامة الاسلامية ،
ومن أجل ذلك أبهم الدعوة بنو عمهم أبناء العباس في كلمة أهل البيت ،
وكانت تفسر سرا بالبيت العباسى ، وظاهرا بالبيت العلوى ، وكان جمهور
الامة الاسلامية يختار رجوعها للبيت العلوى ، وكان يتزعم هذا الراى

محمد بن عبد الله الكامل ، الملقب بالنفس الزكية ، وكان يتزعم الدعوة السرية من البيت العباسي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان ابتداء الدعوة سنة 117 هجرية ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الاموي الى أن ظهرت وتمكنت من يد بني العباس سنة 132 هجرية ، وكان رأى الامصار الاسلامية بالاجماع ان المرشح الوحيد لها في نظرهم ، هو محمد ابن عبد الله الكامل « النفس الزكية » بعد خروجها من بيت بنى أمية ، وكان بنو هاشم انتخبوه للخلافة ، وبايعوه بها سرا في أواخر عهد بنى أمية ، وكان ممن بايعه منهم أبو جعفر المنصور ، بينما هو وانصاره يعدون العدة للخروج على بنى أمية ، اذ فاجأهم أبناء عمهم أهل البيت العباسي بالاسبغية للخروج على بنى أمية لانهم كانوا يعملون في الخفاء بواسطة مواليتهم بخراسان ، وكان دعواتهم هناك قد اتقنوا لهم الدعوة السرية في الخفاء ، وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني ، وكان في الخبرة الحربية يعادل ما يسميه أهل هذا العصر بالجنرال ، ولخمس بقين من رمضان سنة 129 هجرية نزل أبو مسلم قرية من قرى مرو ، يقال لها « سفيد نج » وبث دعواته في الناس ليجتمعوا اليه فاجتمع اليه خلق لا يحصون عددا ، ثم عقد لواعين : أحدهما يسمى الظل ، والآخر يسمى السحاب ، وكان طول الاول 7 أذرع ، والثاني 6 أذرع وأمر بلبس السواد ، وكان شعارهم قول الله تعالى : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير « وقد ساعد العباسيين على انتظام الدعوة وانبعائها مركزهم « بالحمية » وكانت اقامة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بها سببا في انتظام المواصلات وكنتم سرها ، كما اختاروا بلاد خراسان لتكون مشرقا لدعوتهم ، فتم لهم ما أرادوا بحول الله وقوته .

وأما أهل الكوفة وهم شيعة علي بن أبي طالب ، فقد حاولوا الاخذ بثار الحسين السبط شهيد كربلاء ، بحفيده زيد بن علي بن الحسين ، وزينوا له الخروج على الامويين في زمن هشام بن عبد الملك وكانت مدته 19 سنة ، وكان يعد من خيار خلفاء بنى أمية ، وفي سنة 120 هجرية خرجوا على هشام ، وجاهدوا مع زيد حتى سقط شهيدا وصلب جسده بباب الكناسة من أبواب الكوفة وصلب رأسه بباب دمشق ، ولم يلبث ابنه يحيى بعده الا قليلا حتى خرج بعد أبيه فكان مصيره مصر أبيه في القتل والتصلب ، وهذه ثلاث ضحايا من البيت العلوي سقطت في عهد الامويين ، لان شوكتهم في هذا العهد كانت لا زالت عزيزة الجانب ، ولم يحن الوقت

للتغلب عليها ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية وبهذا انتهى أمر بنى الحسين ولم يتم بعد منهم أحد .

ثم بلغ الوقت لان تفتضح دعوة بنى العباس ، وكان افتضاحها بكتاب من ابراهيم بن محمد بن على المذكور ، وقع في يد مروان بن محمد الى ابي مسلم الخراساني داعية اهل البيت العباسي يامره فيه بقتل كل من يتكلم اللغة العربية بخراسان فأرسل مروان الى عامله بدمشق أن يلقى القبض على ابراهيم بن محمد بن على فسلم ابراهيم نفسه ، وأوصى الى أخيه ابي العباس السفاح ، وأمر اهله بالسير الى الكوفة ، والسمع والطاعة لابي العباس ، فسجن « بحران » ولم يزل في السجن حتى مات به ، وسبب موته مجهول ، وأما اهله فقدموا الكوفة في صفر سنة 132 هجرية ، وكان رئيسها ابو سلمة الخلال ، الذي كان يعرف في ذلك الوقت بوزير آل محمد ، فأنزلهم في احدى دور الكوفة وكتب أمرهم عن سائر القواد 40 ليلة وكان لا يزال في معسكره بحمام اعين خارج الكوفة ، ويقال انه لما سبر احوالهم عزم على العدول عنهم الى بنى على ابن ابي طالب ، فكتب الى ثلاثة من اعيانهم : 1 - جعفر الصادق بن محمد الباقر من ذرية الحسين ، و 2 - عبد الله الكامل من ذرية الحسن المثنى ، و 3 - عمر الاثرف بن على زين العابدين بن الحسين أيضا ، شهيد كربلاء وأرسل الكتاب مع رجل من مواليهم ، وقال له : اقصد أولا جعفر الصادق ، فان أجاب فابطل الكتابين الآخرين ، فان لم يجب فارفع الكتاب الى عبد الله الكامل ، فان أجاب فابطل كتاب عمر الاثرف ، وان لم يجب فألق الكتاب الى عمر الاثرف ، أما جعفر الصادق فانه قال : مالى ولا بنى سلمة وهو شيعى لغيرى ، فأحرق الكتاب على السراج وقال : للرسول هذا هو الجواب ، أما عبد الله الكامل الملقب بالمحض ، فانه قرأ الكتاب وقبله ، وركب في الحال الى جعفر الصادق يستشيره فى الامر ، وقال له : هذا كتاب ابي سلمة يدعونى فيه للخلافة ، وقد وصل الى على يد بعض شيعتنا من اهل خراسان ، فقال له جعفر : ومتى كان اهل خراسان شيعتك ؟ أنت وجهت اليهم ابا سلمة ؟ هل تعرف احدا منهم باسمه او صورته ؟ فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك ؟ فقال عبد الله الكامل : كان هذا الكلام منك لشيء ؟ قال جعفر : قد علم الله أنى اوجب النصح على نفسى لكل مسلم ، فكيف ادخره عنك ؟ فلا تمن نفسك الباطيل ، فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء ، وقد جاعنى مثل الكتاب الذى جاءك ، ثم انصرف عبد الله الكامل غير راض ، وأما

عمر بن علي زين العابدين فانه رد الكتاب وقال : أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه ، فلما أحس بعض القواد بأمر أبي سلمة أحبوا ما أراد ، فذهبوا الى الكوفة وقابلوا أبا العباس السفاح ، وسلموا عليه بالخلافة ، ودخل بعدهم أبو سلمة ففعل كما فعلوا ووصله الخبر بما فعل أبو سلمة فأوجد في نفسه عليه ، ولما تم له الامر بالبيعة التي اخذها من القواد أبو العباس السفاح نفسه خرج لأول مرة فصلى الجمعة بالكوفة في 13 ربيع الاول سنة 130 هجرية ، وكان بين عقد أبي مسلم لالويتي الخلافة الظل ، والسحاب ، وخروج أبي العباس للصلاة 5 أشهر و 8 أيام ، وقد ذكر في خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وافخر بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى على الخلفاء الرشدين ونعى على بنى حرب ، وبنى مروان اثرتهم وظلمهم ثم قال : واني لارجو ان لا ياتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث أتاكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله ، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدتم في اعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا « فانا السفاح المبيح والثائر المنيح » وبهذه الجملة لقب بالسفاح ، كان السفاح على علم بما يفعله بنو عبد الله الكامل الذين يهيئون الخلافة لانفسهم لانهم المستحقون لها بيتا وعلما وفضلا ، فشرط القيادة الروحية كانت متوفرة لديهم بكثير الا ان الوصول اليها أصبح من الامر العسير ، وكان الاصل لديهم في انتخاب الخليفة رضى الامة ، ومنها كان يستمد قوته ، وهذا الاصل هو الذى جعل المغترين من البيت العلوى يتطلعون اليها ، ويطمعون فيها لكثرة ما كانوا يرون من تأييد الناس لهم ، وهذا هو الذى جعل الاجلة منهم يسقطون صرعى الميدان من أجلها ولم تتحقق الا لاثنين منهم ، الاول : ادريس بن عبد الله الكامل منهم بالمغرب الاقصى لان الادارسة قد دامت دولتهم به ثلاث سنوات ، ومائتا سنة ابتدئت بتاريخ 172 هجرية ، وكان إنتهاؤها بتاريخ 375 هجرية أيضا ، وكيف يكتب البقاء لهذه الدولة الفتية بين عملاطين : عملاق في الشرق مقره ببغداد ، وعملاق في الغرب مقره قرطبة من بلاد الاندلس ، كل منهما يريدان لنفسه تكون ملكا له من جملة أملاكه ، والثانى : الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن الامام على ، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نجح السيد الحسن في تكوين هذه الدولة الزيدية

بفضل شيعته وأنصاره ، واقتطعها من ملك بنى العباس « بطبرستان » وكانت دولته تعاصر دولة المستعين بالله العباسي بتاريخ 247 هجرية ، وكان لهم على هذه الولاية الشاسعة الاطراف ، آل طاهر ، ودخل تحت يده منها اقليم عظيم ، تحميه جبال طبرستان والديلم واستمر وجود هذه الدولة نحو قرن كامل ، ابتداء من 250 هجرية ، وانتهاء بتاريخ 355 هجرية أيضا ، ولم تطل حياة السفاح حتى توفي سنة 136 هجرية أيضا ، فكانت خلافته نحو ست سنوات ، ثم تولى الخلافة بعده أخوه أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس ، تمت بيعته في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو العباس السفاح ، وكان يقابله في الاندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، المعروف بالسقر سنة 138 هجرية الى 172 هجرية أيضا ، ويعاصرهم في فرنسا شارلمان 768 — 814 للميلاد ، وكانت شيعة آل البيت قد افرقت ثلاث فرق فرقة ترى ان امام المسلمين معين بالنص اى من طرف الخليفة الحق ، وهو على وابنه الحسن ، ولا يكون الا من ذرية فاطمة الزهراء ، وهؤلاء هم الشيعة الامامية وكانوا يرون ان مستحقها امامهم : جعفر الصادق ، وفرقة ترى ان امام المسلمين يكون من بنى فاطمة الا أنه معين بالوصف ، لا بالاسم ويرون الخروج مع كل امام دعا لنفسه من بنى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، متى وجدت فيه صفات الامام وهى : العلم ، والشجاعة ، والورع ، وغير ذلك ، وهؤلاء هم الذين نصرنا زيدا بن علي زين العابدين ، وابنه يحيى ، وسمو الشيعة الزيدية ، وفرقة ترى ان الامام في اهل البيت ، ولكن من غير تقييد ببنى فاطمة الزهراء ، وهؤلاء هم الذين نصرنا بنى العباس ، وكانت الفرقتان الاوليتان منتشرتين في الآفاق في كثير من الاقاليم الاسلامية سواء منها العربية أو العجمية ، وقد علمت ان الدعوة في أول الامر كانت مبهمة لحاجة في نفس يعقوب ولما عقدت الوية الخلافة لبنى العباس من طرف داعيتهم ابي مسلم الخراساني في مرو ، سقط في يد العلويين ، وتغطنوا للمكيدة ، وعلمو عمق الهوة بينهم وبين بنى عمهم من بنى العباس ، فصاروا ينقمون عليهم خدعتهم هذه كما عدوهم غاصبين لحقهم ، وكما نقموا ذلك على عدوهم الاول جميعا بواسطة شيعتهم المتفرقين في جميع البلدان ، ومنهم اهل الامصار كانوا متتبعين لعوراتهم متربصين للانقضاض عليهم متى راوا الفرصة مناسبة لذلك مما ينقمه الناس عليهم من سياسة الظلم والطغيان التي أخذوا بها على سابقينهم بنى امية ، حتى أعانوهم عليهم ، وكان خلفاء بنى العباس يرون ويلمسون

ان بنى فاطمة أكبر خطر يهدد دولتهم ، وان بابهم يعسر سده ، وكان يعاصرهم لهذا العهد منهم امامان عظيمان ، هما : جعفر الصادق من ذرية الحسين السبط شهيد كربلاء وثانيا : الامام محمد بن عبد الله الكامل الملقب النفس الزكية من ذرية الحسن السبط . فأما الاول فانه كانت لديه تعاليم عن ابيه محمد الباقر آمن بها بأنه لا شيء له فيها ، ولذلك لم يغوه طمع ، ولم يحرك ساكنا ، وكان يوصى شيعته وأصحابه بالركون الى السكينة ، والرضى بما تم للعباسيين لان الامر لهم ، وأما الثانى فكان طمع فى الامر لما حصل عليه من بيعة بنى هاشم له أواخر عهد بنى أمية ، وكان أبو جعفر المنصور أحد مبايعيه معهم ، وهو الآن من قد علمت مكانه ، وهو من أولى الشدة والشوكة فرجع على الامام محمد وأخذ يطلب البيعة منه ، فاخفى له ، ولما تم الامر لأبى جعفر المنصور حج سنة 141 هجرية ، فلما كان بالمدينة حضر اليه بنو هاشم جميعا الا محمد النفس الزكية وأخاه ابراهيم ، فسأل عنهما فقال له أمير المدينة : زياد بن عبد الله الحارثى ما يهكم من أمرهما أنا آتيتك بهما فضمنه اياهما وأبقاه عاملا على المدينة ثم دعا بنى هاشم رجلا رجلا كلهم يخليه فيسأله عنهما فيقول يا أمير المؤمنين قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافا ، ولا يحب لك معصية ، وكان من بينهم حسن بن زيد بن الحسن السبط ، فانه أخبره ، وقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، يعنى الخلافة ، فر فيه رأيك ، فأيقظ بقوله هذا من لا ينام .

محنة أبناء عبد الله الكامل وأبناء عمهم بنى الحسن

احتال أبو جعفر المنصور بجميع الوسائل حتى يعلم نية عبد الله الكامل من ابنه محمد النفس الزكية ، وما عنده من أخبار عليه فحج سنة 142 هجرية ، فدعاه وسأله عن ابنه محمد و ابراهيم ، فأنكر أن يكون عنده علم بهما ، فتيقن المنصور انه يخفى الحقيقة عليه ، فاتهمه بتواطئه معهما ، وأمر بسجنه ، ومصادرة أمواله ، ثم اتهم ابن زياد عامله على المدينة فعزله وولى بدله محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، وبسط يده فى النفقة فى طلبهما ، حتى أنفق كثيرا من المال فى هذا السبيل ، وتحت عنهما بحثا كبيرا فى المدينة وغيرها فلم يحصل على خبرهما ، فعزله المنصور أيضا ، وأشير عليه أن يولى على المدينة رجلا من آل الزبير حتى يستغل ما بين آل الزبير وآل على من العداوة ، ويجعل ذلك شائقا له فى البحث الشديد والجد فى الامر ، فلم يفد المنصور شيئا من ذلك فى أمرهما ، ثم

ألى أن لا يجعل عليها الا صلوكا من صعاليك العرب ، فولى على المدينة رباح بن عثمان بن حيان. المرى فورد المدينة فى شهر رمضان سنة 144 هجرية ، وهو عازم على عسف الاعراب وظلمهم الذين يستخفون محمدا وأخاه عندهم ، فكان أول شىء فعله أن استهان بمحمد بن خالد القسرى ، الذى كان عاملا قبله ، وعذبه هو وكتابه ، ثم أرهق محمد بن عبد الله طلبا حتى لقى الشدائد فى طلبه ، ما كان يراها فى عهد أسلافه من ولاة المدينة ، فقال فى ذلك : « منخرق السريال يشكو الوجا » تنكبه الاطراف مرو وحداد .

طرده الخوف وأزرى به « كذا من يكره حر الجلاذ »
قد كان فى الموت له راحة « والموت حتم فى رقاب العباد »

وزاد المنصور فى ارهاق محمد وأخيه ، فألقى القبض على ابناء عمهما من بنى الحسن السبط ، وكان عددهم 13 رجلا ، وحبسهم بالمدينة ، ولما علم محمد بذلك جاء الى أمه هند ، وقال لها انى قد حملت عمومتى وأبى مالا طاقة لهم به ، ولقد هممت أن أضع يدى فى أيديهم ، فعسى أن يخلى عنهم ، فتالت أمهل حتى أراجع أباك فى السجن ، فتنكرت ولبست أطمارا أى ثيابا بالية ، ثم جاءت السجن كهيئة رسول ، فاستأذنت فأذن لها ، فلما رآها عبد الله الكامل اثبتها فنهض اليها ، فأخبرته بما قال ابنه محمد النفس الزكية ، فقال : كلا بل نصبر ، فو الله انى لأرجو أن يفتح الله به خيرا ، قولى له : فليدع الى أمره ، وليجد فيه ، فان فرجنا بيد الله ، فأنصرفت واستمر محمد وأخوه على اختفائهما ، وبنو الحسن مساجن عنده ، وفى شهر ذى الحجة ، من تلك السنة حج أبو جعفر المنصور ، فاستقصى الامر ، فلم يجد ما يبرد غلته من جهة محمد وأخيه ابراهيم ، فأمر بحملهم الى العراق ، وأشخص معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وهو أخو بنى حسن بن حسن لامهم ، اذ أن أمهم جميعا فاطمة بنت الحسين بن على كرم الله وجهه ، وكان ابراهيم بن عبد الله صهره على ابنته ، فحملوا مقيدىن فى الاتقال والاغلال ، وسيق بهم على ثر ما تكون الاحوال ، حتى وصلوا العراق ، فحبسوا بقصر بن هبيرة ، وهو بموضع شرقي الكوفة مما يلى بغداد على نهر الفرات ، وقد ارتكب معهم المنصور من العظائم فى تعذيبهم مالا قبل لاحد به فى تاريخ الانسانية ، ولا طاقة لاحد من الناس حتى يقوى على سماعه ، فضلا عن تسطيره ، فكانت الغاية من ذلك أن مات جلهم

تحت العذاب ، ودعاة بنى العباس ملأوا الدنيا تهويلا ورياء بأنهم خرجوا انتقاما من قتلة الحسين شهيد كربلاء ، وحفيده زيد وحفيد حفيده يحيى ، ويعلم الكل ان هؤلاء قتلوا في ميادين القتال وهم خارجون ، ولم يقتل بنو أمية أحدا من آل علي بالشكل الفظيع الذى قتلهم به أبناء عمهم بنو العباس ، ولما وصل محمدا كل ما فعل أبو جعفر المنصور بأهل بيت علي من التعذيب والتقتيل ، اضطره ذلك أن يخرج بعد اختفاء دام 14 سنة ، وهل يظل الانسان حياته مختفيا من لقاء الواقع الذى لا مفر منه ؟ كلا ، بل ان محمدا فضل أن يلقي مصيره الحتمى بكل ما أوتى من ايمان وحزم وعزم وشجاعة نادرة كما لقيه اخوانه من آل بيت علي من الذين لم يكتب لهم البقاء والنصر على أعدائهم ، وفضلوا الموت بالسيف في ميدان الشرف على حياة الذل والخنوع لمن لا يرونه أهلا لان يطيعوه ، لانهم كانوا رضى الله عنهم أولى همم عالية موروثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه سيدنا حسان :

له همم لا منتهى لكبارها . وهمته الصغرى أجل من الدهر

فأعلن خروجه وتحدث أهل المدينة بذلك ، فجعل رياح أمير المدينة يعد العدة للقائه ، فعاجله محمد ودخل المدينة في 25 رجلا فأتى السجن ففتحه ، وأخرج منه من كان بقى فيه ولم يقاومه أهل المدينة بل أعانوه وخذلوا رياحا ، ووافق خروجه أول يوم من رجب سنة 145 هجرية ، وبعد أن استولى على البلد صعد المنبر وقال : أيها الناس انه كان من أمرنا وأمر الطاغية عدو الله أبى جعفر المنصور ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندا لله فى ملكه ، وتصغير الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : أنا ربكم الاعلى ، وان أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الاولين ، والانتصار المواسين ، اللهم انهم قد أطو حرامك وحرموا حلالك وأمنوا من أخفت ، وأخافوا من أمنت ، اللهم فاحصدهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، أيها الناس ، والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوة ولا شدة ، ولكن اخترتكم لنفسى والله ما جئت هذه وفى الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد أخذت لى فيه البيعة . وكان محمد هذا يتطلى بخصال الخير التى كانت ترفع من شأنه فى أعين أهل المدينة ، وكان من أهل الفضل والصلاح يمتاز بحب الخير للناس ، ويتجنب الميل للعسف والظلم ، بل كان يكره سفك الدماء ويتجنبه ما وجد الى ذلك سبيلا ، وكان الناس

لا يرون فيه غشم أبى جعفر المنصور ، ولذلك كانوا يلقبونه « النفس الزكية » وسئل الامام مالك امام دار الهجرة في الخروج مع محمد ، وقيل له : ان في اعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين ، وكان الامام مالك يرى الخروج على بنى العباس ضروريا ومؤكدا لانهم استولوا على الامة عن طريق المكر والخداع ، والظلم والاستبداد فلا تلزم الامة بيعتهم ولا يمينهم بالطلاق والعقاق على سبيل الاكراه ، ولذلك افتى بعدم لزوم طلاق المكره ، لانهم اوقعوا الامة فى حرج عظيم وضنك جسيم تبريرا لاستبدالهم بالامر وانتزاعهم من اهله اهل بيت على رضى الله عنهم ومن اجل ذلك اخذه والى المدينة جعفر بن سليمان وجلده حتى حمل مغشيا عليه وطيف به فى سوق المدينة على حمار ووجهه الى الخلف ، فكان يقول فى صراحة وشجاعة نادرة يعز وجودها ان تكون صفة لاي فقيه غيره ، قولته الشهيرة : « من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن انس طلاق المكره لا يلزم » وكان ابو جعفر المنصور يبعث اليه ويطلب منه البيعة ، ويعدده على ذلك ان يحمل جميع الناس على مذهبه ، فأبى وضحى بنفسه فى سبيل نصرته الحق ، فأصيب بإآفة فى جسمه وبقي سبع سنين لم يصل الى المسجد النبوى ، فقيل له فى ذلك فقال أخشى ان اصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذى ، لانه لم يجد قدرة على امساك البول من شدة ما لقيه من الجلد والتعذيب ، وهو من هو رضى الله عنه بين علماء عصره ، وكفى بذلك تعسفا لابي جعفر المنصور المجنون على حرص الرياسة الغاشمة ولما عيب عليه ذلك ولقى التشنيع عليه فى جميع الاقطار الاسلامية ، رأى ان يحجج فى تلك السنة ، ويعرض على مالك القود من جعفر بن سليمان الجلاد الظالم ، فقابلته مالك بالعفو عن ظالمه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم نرجع الى اتمام الكلام على العبقرى الثائر سيدنا محمد النفس الزكية ، فقد تقدم اليه محمد بن خالد القسرى بنصيحة مفيدة لو كان عمل بها ، ولكنه كانت له خطة فلم ير بدا من تنفيذها لما كان يراه من ان امامه عقبات كآداء ، لا سبيل لتخطيها والخروج منها سالما ، فقال : انك قد خرجت فى هذا البلد ، والله لو اتى عدوك ووقف على نقب من انقابها لهلك أهله جوعا وعطشا ، فانهض معى فانما هى عشر حتى نضربه بمائة الف سيف فأبى عليه ، وصمم العزم على اللقاء ولا عليه فيما وراء

ذلك ، ويظهر ذلك من جوابه في كتابه للمنصور ، وان السبيل الوحيد الذى بينه وبين عدوه هو ميدان اللقاء ، ولن يكون هناك فهم صحيح يفسر خروجه بعد كومه الطويل الا ذلك ، لا سيما وهو من أهل العلم والحجا والزهد والورع والدين ، ومن ثبتت له تلك الاوصاف يكون بعيدا ان يختار الحياة الذميمة تحت طاعة من كان بايعه بالخلافة بالامس ، ولن يسهل ذلك الا على من كان ذليلا خنوعا يرى لغيره ما يراه لنفسه ، واما ما نسبته اليه بعض المؤرخين من الغرور والخطأ فانما ذلك من قصورهم التصورى لفهم ابعاد ما كان يرمى اليه الزعيم الثائر ، ومراعاة الظروف وتقدير القيم للعظماء من الرجال ، ولو كان من كان من السياسيين وسقط في مثل ما سقط فيه هذا الزعيم الثائر لكان مصيره مصره ، وتبع ذلك ظروف احاطت بأهل بيت على يشبه بعضها بعضا في التنكيل بكل عبقرى ظهر فيها ، ولا سبيل لخروجهم من محتهم الا بمثل ما رآه هذا العبقرى الثائر ، ولكن من لم تحنكه التجارب لا يلام على رايه . وبعد ان وصل خبر خروجه للمنصور استشار الخبراء الحريين فأشار عليه الربيع بن عبد الله بن عبد المدان بقوله : هلك محمد خرج والله في غير عدد ولا رجال ، وموقع المدينة لا يعد من المواقع الاستراتيجية ، وان محمدا كما تقدم عرف ذلك وأعرب عنه في خطبته ، ولكنه فضل اللقاء على الارض المقدسة حتى لا يحرم جسده الشريف من جوار جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنصور مشغولا ببناء بغداد ، فخرج الى الكوفة حتى يرى أخبارها ويرعى أحوالها بنفسه ، لان أهلها شيعة لآل على ، ويخاف منهم ان يخرجوا لمساعدة محمد فأقفل أبوابها حتى لا يخرج منها أحد ولا يدخلها أحد ، وراسل محمدا قبل الخروج للحرب .

تبادل الرسائل

فكتب المنصور اليه كتابا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين ، الى محمد بن عبد الله أما بعد : قال الله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم « ولك عهد الله وميثاقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل ان نقدر

عليك أن تؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ، ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن اعطيك ألف درهم ، وان انزلك من البلاد حيث شئت ، واقضى لك ما شئت من الحاجات ، وان اطلق من في سجنى من اهل بيتك وشيعتك وانصارك ، ثم لا أتبع منكم أحدا بمكروه ، فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من ياخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما احببت والسلام .

فأجابه محمد بن عبد الله بكتاب نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد اما بعد : قال الله تعالى : طسم تلك آيات الكتاب المبين فتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلهما شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وانا اعرض عليك من الامان مثل الذي اعطيتني وقد علمت ان الحق حقنا ، وانكم انما طلبتموه بنا ، ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا ، وان ابانا عليا عليه السلام كان الموصى والامام ، فكيف ورثتموه دوننا ونحن احياء ، وقد علمت انه ليس احد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ، ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا ، وانا بنو ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمر في الجاهلية دونكم ، وبنو بنته فاطمة في الاسلام من بينكم فانا اوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم اما واما ، لم تلدنى العجم ، ولم تعرق في امهات الاولاد ، وان الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيئين افضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه اقدمهم اسلاما واوسعهم علما واكثرهم جهادا على بن ابي طالب ، ومن نسائهم افضلهن خديجة بنت خويلد اول من آمن بالله ، وصلى الى القبليين ، ومن بناته افضلهن سيدة نساء اهل الجنة ، ومن المولودين في الاسلام الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة ، ثم قد علمت ان هشاما ولد عليا مرتين ، وان عبد المطلب ولد الحسين مرتين ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين ، من قبل جدى الحسن والحسين ، فما زال الله يختار لى فولدنى ارفع الناس درجة في الجنة ، فانا ابن خير الاخيار ، وانا ابن اهل الجنة ، ولك عهد الله ان دخلت في بيعتى ان تؤمنك على نفسك وولدك ، وكل ما

اصبته الا حدا من حدود الله او حقا لمسلم او معاهد ، فقد علمت ما يلزمك في ذلك ، فأننا اوفى بالعهد منك واخرى بقبول الامان ، فأما أمانك الذى عرضت على ، فأى الامانات هو ؟ آمان ابن هبيرة ؟ أم آمان عمك عبد الله بن على ؟ أم آمان ابن مسلم ؟ والسلام .

ذكر له هؤلاء الرجال الثلاثة لانهم كانوا قوادا عظاما حاربوا الدولة الاموية حتى شردوها فى الآفاق ، ونصبوا بدلها دولة بنى العباس ، فغدروا بهم وقتلوهم خوفا منهم ، وحرصا على بقاء ملكهم ، شأن كل غادر ماكر ، وهناك جواب من المنصور على الرسالة المذكورة ، كله سفه وكذب يستحى العاقل من نشره ، ثم ان المنصور اختار لقتال محمد النفس الزكية ، المذكور عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس ، ابن أخيه والمرشح لولاية العهد عندهم بعد ابيه ، وكان السفاح جعله وليا للعهد بعد المنصور ، فقال عيسى للمنصور : شاور عمومك ؟ فقال له المنصور : امض ايها الرجل فو الله ما يراد غيرى وغيرك ، وما هو الا أن تشخص او أشخص وزوده بوصية فقال : يا عيسى انى بعثتك الى ما بين هذين ، وأشار الى كتفيه فان ظفرت بالرجل فشم سيفك ، وان تغيب فضمنهم اياه حتى ياتوك به ، فانهم يعرفون مذاهبه ، ثم جهز المنصور جيشه احسن تجهيز ، ثم بعثه ، ولما وصل الى فيد بعث الى رجال من اهل المدينة فى خرق من الحرير ، ولما وردت كتبه المدينة تفرق ناس عن محمد ، وخرج معه بعضهم الى عيسى ، وفيهم من آل على ، وقد كان قبل ان يصله الخبر بمجىء عيسى بن موسى خندق حول المدينة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عيسى بجنوده حتى وصل المدينة فأرسل فصيلا من الجند تحرس طريق مكة حتى لا يهرب محمد ، فقدم له عيسى دعوة الى الاستسلام والخضوع فلم يجبه ، وهناك لقيه محمد البطل بمن معه من الجند القليل ، تدارت المعركة بين الجانبين ، فأظهر محمد شجاعة نادرة فى القتال ، حتى ظهر ظهورا عظيما ، الا أن قوة العدو كانت أكثر مما يكون فى الحساب ، وظلت المعركة يومها الاول والثانى ، وفى آخر الثانى سقط محمد البطل شهيد المعركة ، وبذلك حقق شعار آل البيت العلوى الذى يقول فيه سيدنا على زين العابدين رضى الله عنه :

اذا كانت الابدان للموت انشئت فقتل امرىء فى الله بالسيف أفضل وبموته ظهرت الاعلام السوداء على مرتفعات المدينة ، وعلى

منارة المسجد النبوي ، وكان ابتداء القتال في اليوم 12 من رمضان ، ونهايته في آخر اليوم 14 منه سنة 145 هجرية ، ثم أرسل عيسى برأس محمد وبمصادرة أمواله مع جميع اموال بنى الحسن الذين سقط جلهم في ميدان المعركة الشرفية الى ابي جعفر المنصور بالعراق ، بعد ان امن اهل المدينة ، وفي 19 من رمضان شخص يريد مكة ، وكانت مدة ايام محمد بن عبد الله النفس الزكية من اليوم الذي ظهر فيه واعلن خروجه على اعدائه الى ان استشهد في ميدان المعركة 77 يوما ، والبقاء لله وحده لا رب سواه ، وان ذلك هو ما كان صمم عليه العزم محمد البطل وفضله على ان يعيش بين يدي من كان يراهم من الاوباش ، ويعرفهم اهل مكر وخديعة وخوف على ملكهم المغتصب بسياسة المكر والخداع ، وقوة البطش بالاهل والانسار ، وقد كان يعلم ان الولاية العامة في الاسلام يجب ان تكون باختيار الامة الاسلامية ، كما كان الشأن في عهدها الاول ، ويتولاها افضل الناس من بيت النبوة علما وتقوى وزهدا وورعا ، وتلك كانت عندهم صفات امام الحق ، الذي تكون ولايته رحمة على من سواه ، ولم يكن يتقدم فيها احد على البطل محمد بن عبد الله النفس الزكية ، لذلك كان يرى ان الحق حقه فيها ، واما غيره فيعتبر غاصبا لحق غيره الشرعى ، ولهذا لم يكن يبالي بما هو عليه خصمه من الملك المغصوب بطريق القوة والقهر والخداع ، لان ذلك يخالف شريعة الاسلام ، وليس من شأنه ولا من شأن الامة المسلمة ، وانما هو رجوع بالاسلام الى ما كانت عليه الجاهلية ولن يكون من صفة امة ، دينها الاسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتابها القرآن .

واما مصر اخيه ابراهيم بن عبد الله الكامل ، فانه ذهب الى البصرة ودخلها سرا رغم ما كان عليها من الحصار من قبل ابي جعفر المنصور لما كان يخشاه ان يخرج بها لما علمت من قبل ، وطلب البيعة الى اخيه محمد ، فبايعه الكثير من اهله والى جانب ذلك اجابه الكثيرون من فتيان العرب ، وكان ابو جعفر قد حصنها باثارة من خبره الخزي جعفر بن خنظلة البهراني ، وكان ذا رأي وخبرة في الحرب فاثار عليه بقوله بعد ظهور اخيه محمد بالمدينة ، ليست المدينة بمكان للحرب وحصن البصرة واهل الكوفة تحت قدمك ، واما اهل الشام فانهم اعداء لآل ابي طالب فاهتم بارسال الجنود واقامة المساليح بين الكوفة والبصرة ، حتى لا يخرج اهل الكوفة لمساعدة ابراهيم ، وبعد قليل ظهر ابراهيم بالبصرة ، واستولى عليها وعلى ما قرب منها من الاهواز وواسط ، ولم يزل على

امره ذلك حتى أتاه نعى أخيه محمد من المدينة قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ،
 فصلى بالناس يوم الفطر وعليه أثر الحزن فأرسل أبو جعفر المنصور
 الى عيسى بن موسى يستحثه في القدوم كي يتصدى لحرب ابراهيم أيضا ،
 فأسرع نحو البصرة فخرج اليه البطل ابراهيم بن عبد الله الكامل ، فالتقيا
 عند باخمري ، ودامت المعركة بين الجانبين نحو شهر ونصف وكان
 ابراهيم يتفوق على عيسى فزاد المنصور في عدد الجند والعدة الحربية
 حتى تفوق بكثير على ابراهيم ، ومع ذلك فقد أبلى معه بلاء حسنا الى
 أن سقط شهيد المعركة كأخيه محمد لخمس بقين من ذى القعدة الحرام ،
 سنة 145 هجرية ، وكان محمد وأخوه ابراهيم من أحسن الطالبين خلقا
 وانظفهم تاريخا لم يعرف عنهما ما يشينهما في معاملة الناس لهما ، وفي
 صفاء السريرة وصدق العزيمة ، الا ان الحظ خانها فلم يكتب لهما
 النجاح ، كما لم يكتب لمن تقدمهما من آل البيت الفاطمي النظيف ، ثم
 قام المنصور بعدهما خطيبا فنعى عليهما وعلى كل قائم من أهل هذا البيت
 باللائمة ، وأعطى لنفسه من الحق والصواب ما يوهم الناس ان الملك
 خلق له ، وهو خلق للملك وليس هناك في الوجود من ينزع منه هذا
 الحق ، وختم خطبته بقوله : فقر الله الحق مقره ، وأظهر مناره ، :
 فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين « وكان افتتاح
 خطبته بعد النصر الذي حققه ، على أهل خراسان ، يا أهل خراسان
 انتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من
 هو خير منا ، وان أهل بيتي هؤلاء ، من ولد على بن أبى طالب ، تركناهم
 والذي لا إله غيره ، والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا بكثير ،
 فقام على بن أبى طالب فتلطخ وحكم عليه الحكيم ، فافتقرت عنه الأمة ،
 واختلطت عليه الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته ،
 وثقاته ، فقتلوه ، ثم قام من بعده ابنه الحسن ، فو الله ما كان فيها
 برجل ، قد عرضت عليه الاموال فقبلها ، فندس اليه معاوية انى أجعلك
 ولى عهدى من بعدى فخدعه فانسلخ له مما كان بيده وسلمه اليه ،
 فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدا ، فلم يزل على
 ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن على فخدعه
 أهل العراق وأهل الكوفة من أهل الشقاق والنفاق والفتن والاغراق ،
 أهل هذه المدرة السوداء ، وأشار الى الكوفة ، فو الله
 ما هي بحرب فأحاربها ، ولا هي بسلم فأسلمها ، فرق الله بيني وبينها
 فخذلوه وأسلموه ثم قام من بعده زيد بن على فخدعه أهل الكوفة وغروه

فلما أخرجوه أظهروه وسلموه وقد كان أتى محمد بن علي فنأشده في الخروج ،
وسأله الا يقبل أتاويل أهل الكوفة وقال له أنا نجد في
بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف
أن تكون ذلك المصلوب ، ونأشده عمى داود بن علي ،
وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل ، وأتم على خروجه ، فقتل وصلب بباب
الكناسة من الكوفة ، ثم وثب علينا بنو أمية ، فأماتوا أشرافنا ، واذهبوا
عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها ، وما كان ذلك كله الا فيهم ،
وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد وصرنا مرة بالطائف ، ومرة
بالشام ، ومرة بالشرارة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فأحيا شرفنا
وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا وأصار
الينا ميراثا من نبينا صلى الله عليه وسلم . فلما استقرت الامور فينا على
قرارها من فضل الله علينا ، وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظلما وعدوانا
وحسدا منهم لنا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا من ميراث نبيه صلى الله
عليه وسلم دونهم ، ثم نزل وهو يتلو : وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل
بأشيعاهم من قبل أنهم كانوا في شك مريب .

وكان من ذلك أن بقيت بقايا بنى الحسن مشردين في الاقطار ، في عهد
أبى جعفر ، بعد أن قتل منهم من قتل ، ومات من مات منهم في سجنه ، وبقي
فيه من بقى ، وهكذا يفعل كل ظالم غاصب وصل اليه هذا الامر الذى عصم
الله منه كل ولى له ، وخصوصا أمثال هؤلاء العباقرة الكرام من أهل
البيت الطاهرين الذين أراد الله منهم أن يلقوه فى حلل
الشهادة رافلين ، وتلك سنته مع أوليائه وأصفيائه . ولن تجد لسنة الله
تبديلا » وقال الله أيضا فيهم انما : يزيد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيرا « وليس هناك من شك فى ان منصب الولاية على
شؤون المسلمين قد تحولت بعد الخلفاء الراشدين الى أهل البغى والظلم
المعبر عنه بالرجس الذى طهرهم الله منه ، ولذلك لم يكتب النجاح فيها
الا لم يكن طاهرا من بيت النبوة ، قاله خير حفظا وهو أرحم الرحمين «
ومن غريب ما نقل عن محمد بن جرير الطبرى ، ان محمد المهدي بن جعفر
المنصور لما تولى الخلافة بعد ابيه ، فألت اليه خزانته ، فدخلها مع زوجه
ريطة ، فاذا أزج ، أى البيت الطويل ، ويجمع على أزج ، فيه جماعة من
قتلى الطالبين وفى آذاتهم رقاع فيها انسابهم ، وفيهم أطفال ورجال ،
وشباب ، ومشاخ عدة كثيرة ، فلما رأى ذلك محمد المهدي ، ارتاع لما
رأى ، وأمر بهم فحفرت لهم حفرة فدفنوا فيها وبنى عليهم دكان .

ترجمة مولانا عبد الله الكامل :

لقب بذلك لكمال نسبه من جهة ابيه وامه ، وقيل لشببه بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان رضى الله عنه من كبار التابعين وروى عنه الامام محمد بن اسماعيل البخارى فى كتاب التوحيد بواسطة ، وكان كبير بنى هاشم فى وقته ، قال ابن سعد : وكان من اهل العلم والتقوى والعبادة وله عارضة وهيئة ، قال مصعب الزبيرى : ما كان علماء المدينة يكرمون احدا ما يكرمونه ، وثقه ابن معين ، والنسائى وغيرهما ، وله رواية عن امه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها ، ولد سنة 68 هجرية ، وتوفى فى سجن المنصور تحت هدم ، ودفن بالقادسية ، وعلى قبره مشهد عظيم يزار ، سنة 143 هـ ، وله من العمر 75 سنة ، وروى عنه انه قال : اتيت عمر بن عبد العزيز الاموى ، فى حاجة فقاتل لى : اذا كانت حاجة فارسى الى او اكتب فانى استحيى ان يراك الناس على بابى .

ونقل فى نظم الدرر والعقيان فى شرف بنى زيان ، ان من وصاياه لولده سيدى محمد النفس الزكية ، اياك ومعادات الرجال ، فانك لن تعدم مكرم حليم ومعاصات لئيم . لم يمض غير قليل على خلافة بنى العباس حتى توالى الخارجون عليهم ، سواء من اهل البيت العلوى او من ابناء عمهم الاقربين من ذرية العباس انتقاما من ظلمهم وطغيانهم ، وكان من بين القائمين الافراد الآتى ذكرهم من بيت على ، حتى انه لم يخل خليفة لهم من قائم ، واول قائم عليهم من العلويين محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى فخلع امير العباسيين من مكة وخطب لنفسه بها فى الموسم ، وقال : الحمد لله الذى اعاد الحق الى نظامه ، وابرز زهر الايمان من اكمامه ، واكمل دعوة سيد المرسلين بأسباطه لا ببنى اعمامه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وكف عنهم ايدى المعتدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ثم انشد :

لاطلبن بسيفى ما كان للحق دينا
واسطون بقوم بغوا وجارو علينا
يهدون كل بلاء من العراق الينا

وبقى بها حتى مات ثم ملكها بعده ابن ابنه جعفر بن الحسين بن محمد ابن سليمان ، ثم ابو الفتوح بن جعفر ، ثم شكر بن ابي الفتوح واتسع نفوذ هذا حتى عم الحرمين ، وجميع ارض الحجاز ، وهو المدعو « بالشرىف

ابن هاشم « تزوج الجارية بنت الحسن بن سرجان الذي كان بينه وبين بنى هلال ما تحدث الناس عنه ، ومات ولم يعقب ، فانقرضت دولة السليمانيين من مكة اذ قام عليهم الهواشم من ولد أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن أبى الكرام بن موسى الجون ، وكان بين هؤلاء الهواشم وبين بنى عمهم السليمانيين فتن متصلة ، ولما مات الشكر الذي يدعوه بنو هلال . « الشريف ابن هاشم » صاحب الجارية ، تقدم رجل لم يكن من بيت الإمارة ، فقام عليهم الهواشم ، ورئيسهم محمد ابن جعفر بن أبى هاشم ، فأخرجهم عن الحجاز ، وساروا الى اليمن ، وبه انتهت دولة السليمانيين من مكة . انتهى وفيه ما فيه .

ثورة الحسين بن على بن الحسن المثلث

وفي عهد موسى الهادى خرج عليه بالمدينة الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله عنهم ، وكان ذلك فى 14 ذى القعدة سنة 169 هجرية ، وكان والى المدينة لوقته عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وسبب خروجه ان والى المدينة المذكور ، أخذ الحسن بن محمد النفس الزكية ، وجماعة ، اتهموهم بأنهم كانوا على شراب لهم ، فأمر بهم فضربوا جميعا ، ثم أمر بهم فجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة ، فسار اليه الحسين المذكور فكلمه فيهم ، وقال له : ليس عليهم هذا ، وقد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لان أهل العراق لا يرون به باسا ، ولم تطوف بهم ؟ فبعث اليهم وقد بلغوا البلاط أن ردهم الى ثم ردهم وأمر بهم الى السجن فحبسوا يوما وليلة ، ثم كلم فيهم فأطلقهم جميعا ، وكان آل على يراقبون ويعرضون على والى المدينة كل عشية مثل الشياه ، ففقد الحسن بن محمد فتكفل به الحسين بن على الثائر ، ويحى بن عبد الله الكامل ، لان والى العمري كان يكفل بعضهم بعضا اذا غيب أحد منهم ، فغاب عن العرض ثلاثة أيام ، فأخذ الكفيلين وسألهم عنه فحلنا انهما لا يدریان موضعه ، فكلهما بكلام اغلظ لهما فيه ، فحلف يحيى بن عبد الله الا ينام حتى ياتيه به ، أو يضرب عليه باب داره ، حتى يعلم انه قد جاءه به ، فلما خرجا من عنده ، قال له الحسين : سبحان الله ، ما دعاك الى هذا ؟ وأين تجد حسنا ؟ حلفت له بشيء لا تقدر عليه ، قال : والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف ، فقاتل الحسين : اذا تكسر ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة ، قال : قد كان بيننا وبين أصحابنا الذى كان وكانوا قد تواعدوا أن يخرجوا بمكة

أو منى أيام الموسم ، وكان بالمدينة جماعة من أهل الكوفة من شيعتهم ، وممن كان بايع الحسين بن علي ، ففى آخر الليل خرجوا وجاء يحيى بن عبد الله حتى ضرب باب مروان بسيفه على العمري تبريرا ليمينه ، فلم يجده فيها وتوارى منهم ، فجاءوا حتى اقتحموا المسجد ، ولما أذن الصبح جلس الحسين على المنبر وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وجعل الناس ياتون المسجد فاذا رأوهم رجعوا ولا يصلون فلما صلوا الصبح جعل الناس ياتون ويبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد وتاومهم جماعة من نصراء الدولة فلم يقدروا عليهم ، ولما تم للحسين بن علي ما أراد انتهت جماعته ما في بيت المال ، فأقام الحسين بالمدينة بعد اعلان الخروج 11 يوما ثم فارقتها لست بقين من ذى القعدة سنة 169 هـ قاصدا مكة ثم انتهى خبر الحسين الى موسى الهادي وكان قد حج وفد من بنى العباس وأمر عليهم موسى الهادي ، محمد بن سليمان بن علي ، وكتب كتابا بتوليته على الحرب وخرج في عدة من السلاح تتدر بثلاثين ألف مقاتل ، فشرع للحرب وسار نحو الحسين بن علي فلقيه بموضع يدعى « فخ » على بعد نحو ستة أميال من مكة ، ودارت المعركة بين الجانبين في 8 من ذى الحجة الحرام ، وأبلى فيها الأبطال من بنى علي بلاء حسنا بعد أن أظهروا شجاعة فائقة في ميدان القتال وكانت العاقبة أن سقط البطل الحسين شهيد المعركة في وسط جماعة من الجانبين ، وكان لهذه المعركة صدى كبير في الأوساط التاريخية ، وأفلتت من المعركة رجلان لها تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله الكامل فر الى المغرب وكون هناك دولة ابتدئت بتاريخ 172 — 375 هجرية ، وفر أخوه يحيى بن عبد الله الكامل أيضا الى بلاد الديلم ، ياتى الكلام عليها ، وتقف هنا وقفة التأمل حتى نستعرض أحوال هؤلاء الأبطال كيف يحيون وكيف يذهبون عبثا ، قد يقول قليل الفكر في حياتهم : ان هؤلاء السادات كثيرا ما يتعرضون للهلاك دون أن يحققوا آمالا لانفسهم سوى الانتحار في المعركة ، وقد يكون الدافع الى ذلك قلة التفكير في العواقب ، والحق ان أولئك السادات كانوا مضطرين أن يدفعوا ثمن هذه المعارك التي يكون فيها حتفهم ، لان كثيرا من الناس لا يتصورون حياة أولئك الإبادة وسط جحيم يحيط بها ضغط سياسى ، واقتصادى واجتماعى ، فهم يشعرون انهم في حياتهم سجناء ، وهم يعرفون حتفهم المصوب من طرف عدوهم الخائف والامة كلها تعترف بأن الحق حقهم ، وهم سلبوا منه بالقهر والقوة الغاشمة وهم الى جانب ذلك تحت حصار وضيق مستمر من طرف الولاة المباشرين ، هذا وان عدوهم لهم

بالمِرصاد لا تنام له عين عنهم ، فكم يصبر عزيز النفس على هذه الحياة التعبة ؟ وكيف لا يفضل الانتحار في ميدان الشرف على حياة المراقبة والعرض كل مساء على وال البلد ؟ فهو لا يملك حرية التنقل حتى في مصالح نفسه ، كيف لا يفضل الانتحار أولئك العباقرة الافذاذ في ميدان الشرف على حياة الذل والخنوع لمن لا يخشى الله ولا يراقبه في حقوق عباده ؟ ان هي الا الدنيا شقى بها قوم وسعد بها آخرون ، قال الله تعالى : ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين « ولم يكن اضطراب الدولة العباسية وزعزعة الامن فيها ناشئا من العلويين وحدهم ، بل كان هناك كثير في الامة من ينعى على الخلفاء استبدادهم وظلمهم ومكرهم وغدرهم ، وعدم الوفاء للامة بكتاب الله وسنة نبيه ، ومنهم الخوارج الذين كانوا متفرقين في البلدان ، فانهم حاربوهم والحقوا بهم شر الهزائم المنكرة ، عبر مختلف السنين من أيام حياتهم .

ومما يحسن ذكره ما رواه الطبري قال : دخل عيسى بن داب على قائد موسى الهادي ، موسى بن عيسى عند منصرفه من فتح ، فوجده خائفا يلتمس عذرا من قتل من قتل ، فقال : أصلح الله الامير ، وأنشده من شعر اليزيد بن معاوية بعد قتل الحسين ، مطلعاه :

يا ايها الفادي لطيته على عضافرة في سرها تحم
الى ان قال :

لا تركبوا البغي ان البغي مصرعة وان شارب كأس البغي يتخم
قد جرب الحرب من كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الامم
فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا فرب ذى بذخ زلت به القدم

قال : فسرى عن موسى بعض ما كان فيه من الغم ، ثم اشتد تطلع أهل البيت الفاطمي الى قلب نظام الدولة ، بعد ان راوا أبناء عمهم العباسيين ازدادوا تصلبا عليهم ، وغيروا من امرهم بعد ان كان دعواتهم يقدمون عليا على الشيخين قلبوا ذلك وقدموا الشيخين على علي رضي الله عنهم ، ثم امعنوا في شدة التضيق على آل علي ، حتى صاروا كالطائر المحبوس في قفصه يحاول التخلص منه على غير هدى ، بعد ان فتك المنصور بأخبار آل بيت علي ، وقضى على كل عبقرى منهم شم عليه انه يتطلع لهذا الامر ، وان كانت بقيت منهم بقايا ولكنه اكتفى بحراستهم بدل الاخذ بالشدّة والعنف ،

ولما جاء محمد المهدي وضعهم تحت نظره ببغداد ، والذين كانوا بالمدينة اكنفى بمراقبة أميره لهم ، فكانوا يعرضون عليه كل يوم كالانعام ، الا أنه غير سياسة أبيه معهم وأطلق كل من كان في سجن أبيه المنصور منهم ، الا من كان لاحد قبله مظلمة او حق ، ولما جاء هارون الرشيد غير سياسة الشدة معهم أول أمره واستمال قلوبهم بشيء من الاحسان اليهم ، وأول ما صنعه معهم أن رفع الحجر عن من كان معه منهم ببغداد ، وسيرهم الى المدينة ، ولكن حزازات النفوس لا تنجبر بالاحسان ، فهذا يحيى بن عبد الله الكامل مات أبوه في سجن المنصور ، كما تقدم ، وأخوه محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم ، وابن عمه الحسين بن على في فسخ كل هؤلاء علاوة على ما قتله المنصور في سجنه منهم بطريق التعذيب والتنكيل ، مما وجد بعضه بعده في الأزج ، كما رايت . كل ذلك لا ينسيه احسان الرشيد ، وكان هناك مشجع آخر ، وهو اغراءات الشيعة في كل مصر فهي بمثابة النار التي تكمن في الرماد ، فانهم يتطلعون بكل حرارة وتلهف ، وليسوا بمنفكين حتى يردوا الامر الى البيت العلوي الذي هو أعز بيت لديهم طال الزمان أم قصر ، وبناء على هذا وذاك خرج يحيى بن عبد الله .

خروج يحيى بن عبد الله الكامل ببلاد الديلم

قد تقدم ان يحيى بن عبد الله الكامل أحد الناجين من وقعة فسخ في عهد موسى الهادي ذهب الى بلاد الديلم فاكتسب أنصارا بها ، فزيناوا له الخروج على الرشيد فخرج عليه بها ، فقوى أمره ، واشتد ساعده بها حتى نزع اليه الناس من الامصار والكور ، فاغتم الرشيد لذلك ، وترك شرب النبيذ ، ثم ندب الى قتاله الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى في 50 ألفا ، وفيهم صناديد القواد فصار في اتجاه يحيى وكتب الى صاحب الديلم وجعل له ألف ألف درهم على أن يسهل له خروج يحيى ، وحملت اليه بالفعل ، ولما وصل ذلك الى يحيى علم ان صاحب الديلم قد أسلمه في مقابلة ما أخذه من الاموال ، وكان الفضل بن يحيى قائد الجند يكتبه في التنازل على الامان ، وأشار عليه، وبسط له الأمل فلم يسع يحيى الا أن يختار طريق التنازل ، أو يسلم في مقابلة ما أخذه صاحب الديلم على اسلامه ، وان الدائرة في النهاية ستدور عليه ، فرأى ان التنازل على الامان خير له ، والمصالحة على يد الفضل بن يحيى البرمكى أصوب له ، فاشتراط ان يكتب الرشيد الامان بخطه ، فكتب الفضل بذلك الى الرشيد فسره وعظم موقعه عنده فكتب الامان وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ، وأجلة بنى هاشم ومشاخهم ثم وجهها الى الفضل مع

جوائز وكرامات ، وهدايا سنوية عظيمة ، ثم وجه الفضل ذلك الى يحيى ابن عبد الله فقدم عليه بالامان والصلح ، ثم قدم به الى الرشيد ولما ورد الفضل بغداد لقيه الرشيد بكل ما طلب واحب ، وأمر له بمال كثير ، وأجرى عليه أرزاقا سنوية ، وانزله منزلا بعد ان اقام بمنزل الفضل أياما ، وكان يتولى أمره بنفسه ، ولا يجعل ذلك الى غيره ، وأمر الناس بزيارته بعد انتقاله من منزل يحيى البرمكى ، وبلغ الفضل الغاية من اكرام الرشيد لانجاح سياسته التي اراحته من حرب يحيى ، ولكن الامراء المستبدين يجعلون آذانهم صيدا لكل قول ، وتلك ثغرة فتحتها أهل الاهواء للتوصل بها الى مرادهم ، وكثيرا ما يلعبون بالامراء ، وهم لا يشعرون ، ويحرمونهم خدمة الصالحين الصادقين فهؤلاء بطانة سوء لهم ، ومن وقى بطانة السوء فقد وقى فهم غير منفكين عن اظهار النصح لمن والوهم تحت كتمان الحقيقة ، وهم لا يزالون في حبك التهم وتوجيهها الى اصحابها كى يتقربوا بها حتى ينالوا ما ارادوا ويصبحوا من المحظوظين عند من قدموا لهم تلك النصائح المسمومة الساذجة التي ذبجتها يراعتهم وحلتها بحلل القبول والاستحسان ، فقد كان أبو الفضل يحيى بن خالد البرمكى هو القائم بأمر الرشيد أيام أخيه محمد المهدي وكان الرشيد يدعوه يا أبى ، وكانت أم الفضل ظئرا للرشيد وأرضعت الخيزران أم الرشيد الفضل بن يحيى البرمكى حتى كان المامون يقول : لم يكن كى يحيى بن خالد وولده الفضل أحد في الكفاية ، والبلاغة والجود والشجاعة ، وكان الفضل من أهل الورع ، والعقل والنجدة ، وترك الشراب مع الرشيد حتى انه كان يقول : قد علمت ان النبيذ ينقص من مروعتى فما شربته ، وانقطع عن الرشيد حتى كان أبوه ينهاه عن ترك الانس به ، فترك أمر أبيه فيه ، ويقال انه كتب اليه حين أعيته الحيلة فيه ، انى انما أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك وان كنت لاخشى أن تكون كالتي لاشوى لها . ولكن سرعان ما تغيرت الاحوال على يحيى بن عبد الله الكامل ، وذهب ذلك الاكرام والاستئزال الحسن مع تلك العهود والامان في مستقبل الزمان ادراج الرياح ، بعد ما تدخلت السعأة ورفعوا عن يحيى ما يريب ، وكان الرشيد يرتاب لادنى شيء ، فرموه بتهمة قاتلة ، وهى ان يحيى بن عبد الله لا يزال يدعو لنفسه ، وانما ينتظر الفرص ، وكان أكثر الناس سعاية في ذلك بكار بن عبد الله الزبيرى ، وكان شديد البغض لآل أبى طالب وكان يبلغ عنهم الرشيد ويسئ بأخبارهم قصد الفتك بهم ، فكان من وراء تلك السعائيات أن سجن الرشيد يحيى بن عبد الله الكامل بعد العهد والامان المكتوب بخطه ، وضيق عليه في سجنه لكى يقتله ،

ولم يكن يمنعه الا ان يقول الناس فيه شيئاً لما كتبه من كتاب الامان بيده ، فرجع الى العلماء حتى ياخذ رخصة تمكنه من قتله ، فأحضر احد قضاته ، وهو ابو البحرى ، واحد الفقهاء وهو محمد بن الحسن الحنفى صاحب ابى يوسف ، فقال هذا ما تصنع بالامان ، وجعل يعد له وجوه النقض ثم رفعه الى درجة قاضى القضاة ، وقال له انت أعلم بذلك فخرق الامان ، وكانت هناك يد اخرى تحرك هؤلاء السعاة من وراء جدار ، وهى يد الفضل بن الربيع لانه كان يحسد الفضل بن يحيى على المزية التى نالها بحسن سياسته وأخلاقه ، عند الرشيد فى استئزال يحيى بن عبد الله بالامان وكان يحاول أن ينال مع الرشيد مركز البرامكة ، وفى بعض الايام اجتمعوا عند الرشيد فنظر يحيى بن خالد البرمكى الى الفضل بن الربيع وقال له : هذا من آفاتك ، فجعل البرامكة يجتهدون فى تخليص يحيى بن عبد الله الكامل من ظلمه وقد جعل الفضل بن الربيع على جعفر بن يحيى عينا من خدمه وخاصته قال ابو محمد الزيدى وكان فيما قيل : أعلم الناس بأخبار القوم ، فقال : من قال : ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى البرمكى بغير سبب يحيى بن عبد الله الكامل فلا تصدقه ، وذلك ان الرشيد كان دفع يحيى بن عبد الله الى جعفر بن يحيى البرمكى فحبسه ثم دعا به ليلة من الليلية ، فسأله عن شىء من أمره فأجابه فدخلا فى حوار جدلى حتى قال يحيى بن عبد الله لجعفر : اتق الله فى أمرى ولا تتعرض أن يكون خصمك غدا محمد صلى الله عليه وسلم ، فو الله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق جعفر البرمكى عليه وقال له : اذهب حيثما شئت من بلاد الله ، قال : وكيف اذهب ولا آمن ان أوخذ بعد قليل ، فارد اليك أو الى غيرك ؟ فوجه معه من أداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من طرف العين التى كانت له عليه من خاصته ، فاستقصاه فوجده حقا ، وانكشف عنده فدخل على الرشيد فأخبره الخبر ، فأراه انه لا يعبأ بأوامره ، فقال الرشيد ، وما انت وهذا ؟ لام لك ، فلعل ذلك عن أمرى فانكسر ابن الربيع وخاف على نفسه ، فجاء جعفر ودعا بالغداء فأكلا ، وجعل يلقيه ويحادثه الى أن كان آخر ما دار بينهما ، ان قال الرشيد ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال هو بحاله يا امير المؤمنين فى الحبس الضيق والاكبال ، قال : بحياتى فاحجم جعفر وكان من أدق الخلق ذهننا ، وأصحهم فكرا ، فهجس فى نفسه أنه قد علم بشىء من أمره ، فقال : لا ، وحياتك ياسيدى قد علمت انه لا حياة به ، ولا مكروه عنده ، فأطلقتته ، قال : نعماً فعلت ، ما عدوت ما كان فى نفسى ، فلما خرج أتبعه نظره حتى كاد يتوارى عن وجهه ، ثم قال : قتلنى الله

بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم اقتلك ، وهكذا كانت حياة القوم
أخطر على الوزراء وكبار الدولة ، وكان سبب عدم نجاح يحيى بن عبد الله
في ثورته قربه من مركز الخلافة بغداد ، كما كان السبب في نجاح أخيه
ادريس بالمغرب بعده عن مركز الخلافة بغداد في قيام دولته بالمغرب الاقصى

ادريس بن عبد الله الكامل في المغرب

قد أدت محنة البيت العلوي صاحب النفوذ الروحي الى أمر لم يكن
في الحساب عند أبناء عمهم العباسيين ، وهو انهم قد استطاعوا الحصول
على أوفر قسط من عطف الامة الاسلامية عليهم بسبب ما مر بهم أيام قيام
الدولتين : الاموية ، والعباسية ، وما قدموه من ضحايا خلال قرن كامل
حتى استطاعوا من خلال ذلك أن يؤثروا على الدولة العباسية العتيدة في
عنقوان شبابها ، وقد تبين ذلك من خلال حادثتين :

1 — جعفر البرمكى رقى على يحيى بن عبد الله الكامل فمن عليه
وأطلقه بدون أمر الرشيد ، وأمره أن يذهب حيث يشاء من بلاد الله بل
رافقه رجلا أبلغه مأمنه ، وقد سبب ذلك ريبة في قلب الرشيد من رجال
دولته ، فجعل يشدد في العقوبة على من يتهم بالميل اليهم ، والعطف
عليهم ، ثم شدد في التضييق على من بقى منهم بالمدينة ، وجاء بموسى
الكاظم بن جعفر الصادق الى بغداد ليقيم تحت ولاية نظره .

2 — واضح الذى كان من موالى بنى العباس على بريد مصر فانه
هو الذى سهل لادريس المرور بأرض مصر مع معرفته به ، وكان والى
مصر وعاملها على بن سليمان الهاشمى .

قصة فرار الامام ادريس الى المغرب

خرج الامام ادريس من مكة بعد أن أفلتت من وقعة فنج يوم التروية ،
ثامن ذى الحجة الحرام سنة 169 هـ ، قاصدا بلاد المغرب الاقصى ، سرا
خوفا على نفسه من موسى الهادى رابع الخلفاء العباسيين ، فاستصحب
معه مولاة راشدنا ولما وصلا الى مصر ، ومرا بدار حسنة أعجبها حسننا
فخرج اليهما رجل فسلم عليهما وبعد كلام دار بينهما كشف الحال انه واضح
الذى كان على بريد مصر هـ ثم استرسلا معه في الكلام فسألاهما من هما ؟
ومن أين أتيا ؟ فخافا منه أن يصدقه في الجواب ، فعرض عليهما الضيافة
فأضافهما ، وبعد أن استوثقا منه عرفاه من هما ومن أين أتيا ، فأعطاهما

الامان وطمأنهما على انفسهما واعلمهما بأنه من شيعة آل البيت الفاطمى ، وبعد أن ادخلهما منزله اقاما معه مدة في اكرام ونعيم ، ثم وصل خبر الضيفين الى عامل البلد ، فاستدعى واضحا ، وابلغه ما عنده من أمر الخليفة بأنه لا يترك احدا من الغرباء يمر حتى يسأل عن حاله ، ويعلم صحة نسبه ، ومن أين قدم ؟ والى أين يسير ؟ ثم افاده بأنه يكره التعرض لآل البيت الفاطمى ، ثم قال له : ابلغهما عنى الامان ، واعلمهما بمقاتلى لهما وقتل لهما يخرجان من عملى ليلا يصل خبرها الى الخليفة الهادى ببغداد ، وقد اجلتكم في الخروج ثلاثة ايام ، ثم اتى اليهما واضح ، فجهزهما ، واشترى لهما راحتين ولنفسه أخرى ، وصنع لهما زادا يبلغهما الى افريقيا ، وقال لراشد أخرج أنت مع الرفقة ، على الجادة ، وأخرج أنا على طريق لا تسلكه الرفاق ، وموعدا مدينة برقة ، ثم خرجا من مصر في زى التجار حتى بلغا مدينة برقة ، وفيها لقيه برفيقه ، وودعهما بعد أن اشترى لهما زادا يبلغهما ، ثم رجع الى مصر فسارا حتى وصلا الى القيروان ، فأقاما بها مدة ثم خرجا منها ، فى اتجاههما الى المغرب الاقصا ، فغير راشد ما كانا عليه من الزى فى سفرهما فألبس الامام ادريس مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة ، وصيره كالخادم له يامره وينهاه ، حتى وصلا الى تلمسان ، فاستراحا بها اياما ، ثم ارتحلا عنها عبر وادى ملوية فدخلوا بلاد السوس الادنى ثم سارا عبر شواطىء المحيط الاطلسى ، فشاهدوا ما فى بلاد المغرب من خصب وخيرات ، فاستمروا فى طريقهما حتى وصلا الى مدينة طنجة ، وهى يومئذ قاعدة بلاد المغرب فأقاما بها اياما ، فلم يجدا بها اكراما ، ثم رجعا فى طريقهما حتى وصلا الى مدينة ولىلى قاعدة جبل زرهون وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل ، فنزل الامام ادريس بها على صاحبها اسحاق ابن عبد المجيد الاوربى المعتزلى ، فأكرمه وبالغ فى اكرامه ، ثم عرفه ادريس بنفسه وبسره ، فوافقه على حاله ، فتولى خدمته والقيام بشؤونه ، وكان نزوله بها فى فاتح ربيع الاول سنة 172 هجرية ، وبوصوله للمغرب ظهر جرح جديد فى جنب الدولة العباسية ، حيث اجترأت امة من الامم الاسلامية وهى امة البربر بالمغرب الاقصا أن تخرج عن طاعتها معتقدة انها وجدت ضالتها المنشودة من بنى فاطمة الزهراء والذى كان العالم الاسلامى كله متطلعا الى خلافة بنى فاطمة دون أن يستطيع أحد أن يحقق شيئا من ذلك ، طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظا اعلى من بين مختلف اقاليم المملكة الاسلامية الكبرى المترامية الاطراف من مدينة طاشقند فيما وراء نهر جيحون الى نهاية تمشتالة من بلاد الاندلس فى اسبانيا غرب اوربا

فعلا صيت المغرب في العالم الاسلامى داويا لانه عثر على رجل من آل البيت النبوى الشريف ، فأعلن انفصاله عن عاصمة بغداد حاضرة خلافة العالم الاسلامى فخاف الرشيد من المغاربة لانهم كانوا يعرفونهم أهل حرب وشدة من الفتح الاسلامى لما اشتهر من وصفهم بأنهم مثل موج البحر ، كلما بادت امة خلفتها أخرى ، وهكذا بدون انقطاع ، فأتم الرشيد بافريقيا دولة الاغالبية ، وجعل مقرها القيروان كى تكون فاصلا بين عاصمة الخلافة والدولة الادريسية الجديدة ، كما يفعل من رأى حريقا شب بجزء من داره ، فاجتهد أن يفصل بين ما تناولته النار وبين سائر البيت وهذا ما استطاع أن يقوم به هارون الرشيد تلافيا لهذا الحادث الخطير .

الامام ادريس يقيم دولة بالمغرب

وبعد استقرار الضيف الكريم بأرض المغرب جعل اسحاق بن عبد المجيد الاوربى يستشير اعيان قبائل البربر فى الدعوة الى ادريس واتمامة دولة جديدة بالمغرب مستقلة عن حاضرة بغداد ، فاستحسنوا رايه ، ثم جعل يدعو رؤساء البربر واعيانهم للاجتماع الى دعوته ، فاجتمع عليه خلق كثير كلهم مسرورون بالدعوة للضيف الكبير وبعد أن تم الجمع بايعوه بالخلافة بمدينة ولىلى ، وافق ذلك يوم الجمعة 14 رمضان المعظم ، سنة 172 هجرية ، على أن يقيم فيهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأول من بايعه قبائل مكناسة ، وغمارة ، ولماية ، ولواتة ، وصدراتة ، وغياتة ، ونفزة من قبائل أوربة ، ثم زناتة ، ثم اصناف قبائل البربر ، منهم زواغة ، وزواوة ، ولما تم له الامر صار ينظم الجيوش ويجمع العدة الحربية ، ثم خرج يفتح البلاد حتى وصل الى مدينة تلمسان ، وفى عزمه غزو افريقيا كلها ، فحال الامر هارون الرشيد فجعل يفكر فى امره ، فأراد أن يرسل اليه جيشا لحربه ، ولكن خبراءه نصحوه بأن لا يفعل ، ولا يجوز أن يرتكب طريق الفشل ، معللين له ذلك ببعد المسافة عن حاضرة الخلافة بغداد وحسنوا له أن يستخدم الغيلة ، فجعل يبحث عن متطوع كفاء لذلك حتى يسهل عليه الانتقام من ادريس الخليفة المغربى المستقل ، فعثر على سليمان ابن جرير الشماخ ، وطلب منه أن يحتال فى قتل ادريس ، وزوده مالا وطرفا يستعين بها على مرآه فتوجه الى المغرب وبعد وصوله اليه أظهر عداوته للعباسيين ، ففرح ادريس به ، وآواه وطلب اليه أن يقيم عنده ليتعاون معه ، وكان عالما ذكيا فصيحا ادبيا ، فأصاب من قلب ادريس موقعا فرحب به

لانه كان في أمس الحاجة الى امثاله ، ليعينوه على القيام بالمهمة ، التي أنيطت به ، ولما آتس من موتمعه في قلبه جعل يتحين الفرصة لتنفيذ رغبته ، فلم يجد له أحسن من الاختلاء به ، حين اتفق له يوما أن خرج مولاه راشد للاصطياد فاختمى به فسمه في قارورة طيب اهداها اليه ، وقال له : يا مولاي هذا نوع من الطيب الجيد أتيت به معى من الشرق ، لا يصلح الا لك ، فلما شمه ادريس سقط من حينه مغشيا عليه فمات ، وفر سليمان ابن جرير ، متجها في سبيله الى بلاد الشرق من حيث أتى ، ولما جاء مولاه راشد ووجده ميتا علم المكيدة ، ثم ركب في الحين جوادا أعده لذلك ، وركب معه جماعة من شبان البربر ، ثم توجهوا في طلبه ، قاصدين طريقه ، فأعيت بهم خيلهم وتبعه راشد وحده ، فلحق به في وادى ملوية ، فتضاربا بالسيف في وسط الوادى فأصابه راشد بجراح وقطع يده اليمنى ، ففر مثنخا بالجراح مقطوع اليد اليمنى ، وقد أخبر من رآه بيغداد ويده اليمنى مبطولة وبرأسه وجسده اثر الجراحات قد برئت ثم رجع راشد الى سيده ادريس الخليفة المرحوم ، فجهزه ودفنه هو ومن حضر معه من أعيان البربر بجانب مدينة ولىلى ، ثم استدعى راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن سيده ادريس ، فأخبرهم ان الامام ادريس المرحوم لم يترك ولدا الا حملا بجاريتيه كنزة النفزية ، وهى في الشهر السابع من حملها ، ثم قال لهم : فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع الجارية حملها ، فان كان ذكرا ربيناه حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه ، وان كان جارية نظرتم لانفسكم من ترضونه وترونه أهلا لذلك ، فقالوا له : ايها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رايت ، فأنت عندنا عوضا من ادريس المرحوم تصلى بنا وتقوم بأمرنا وتحكم فينا بما يقتضيه الكتاب والسنة كما كان الامام ادريس رحمه الله ، حتى تضع الجارية حملها ، فان كان غلاما ربيناه وبايعناه ، وان كان جارية نظرنا في أمرنا ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا ، فقام راشد في الامر حتى أتمت الجارية أشهر حملها ، فوضعت غلاما شبيها بوالده ادريس المرحوم ، فدعا راشد اعيان البربر ورؤساءهم فأخرج اليهم الغلام قبل سابع الولادة ، فلما نظروا اليه ووجدوه شبيها بأبيه المرحوم اقترحوا أن يكون اسمه كآبيه ثم أجمع رأيهم على أن يسموه باسم آبيه ، فسموه ادريس ، فهو ادريس الثانى بن ادريس الاول ، واسم أمه كنزة النفزية ، ونفزة قبيلة كبيرة من بلاد طرابلس وسكانها برابرة ، وقد استوطن منهم المغرب من بايعوا المولى ادريس ، وصاهروه منهم وقد تقدم أن نفزة من قبائل أوربة ، وأوربة من ولد أورب بن برنوس كان لها أيام الفتح الاسلامى

التقدم على سائر القبائل البربرية لكثرة عددها ، وقوة بأسها ، ومنها كسيلة ، قاتل الصحابي الجليل عقبة بن نافع بأرض تلمسان من عمالة الجزائر اليوم ، وقبره هناك رضى الله عنه مزارة مشهورة ، وكان وضع ادريس الثانى صبيحة يوم الاثنين 3 رجب سنة 177 هجرية من السنة التى مات فيها أبوه رحمه الله ، وكانت خلافته بالمغرب 4 أعوام و 7 أشهر ثم اقام راشد على كفالة ادريس الثانى بأمر من رؤساء البربر وأعيانهم الى أن بلغ مبلغ الشباب ، وظهرت نجابته وهو ابن 8 أعوام ، حفظ فيها القرآن ، وعلمه الفقه والسنة والادب والنحو والشعر وأمثال العرب وحكمها ، وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ، ورباه على ركوب الخيل ، وعلمه الفروسية والرماية بالسهم كما علمه مكاييد الحروب وبعد أن أخذ تعليمه من ذلك كله ، وكملت له من السنين 11 سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل البربر بالمغرب فبويع له بجامع مدينة ولىلى ، وكان ذلك يوم الجمعة 17 ربيع الاول سنة 188 هجرية قتاله البكرى والبرنوسى : استعجل راشد بذلك لما رأى على المولى ادريس الثانى من النبيل والذكاء والعقل والعلم ما جعله جديرا بذلك ، وقد ظهر عليه من الفصاحة والبلاغة واصابة مواعع الكلام ونضج الذوق ما أذهل عقول الخاصة والعامة ، وبعد أن أخذ له البيعة صعد على المنبر وخطب الناس فى ذلك اليوم فقال :

الحمد لله أحمده وأستعين به ، وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به من شر نفسى وشر كل ذى شر ، وأشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أيها الناس ، انا قد ولينا هذا الامر الذى يضاعف فيه للمحسن الاجر ، ويضاعف للمسيء فيه الوزر ، ونحن — والحمد لله — على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ، ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب الناس من نبله وفصاحة لسانه ، وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه ، ثم نزل عن المنبر فتسارع الناس الى اتمام بيعته ، وازدحموا عليه مقبلين يديه ورجليه ، بهايعة كافة قبائل المغرب من زناتة ، وأوريسة ، وصنهاجة ، وغمارة ، وسائر قبائل البربر ، وتم له بذلك البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفى مولاه راشد والله أعلم . واياك أن تنسى يقظة العباسيين

واقامتهم دولة الاغلبة بافريقيا ، فاستغلوا فرصة قرب بهلول بن عبد الواحد من الامام ادريس الثانى فأرادوا أن يعيدوا الكرة عليه مثل التى صنعوا بأبيه ، فجعله ادريس من خاصته لانه كان رئيسا معظما فى قومه ، فكاتبه ابن الاغلب عامل الرشيد على افريقيا ، واستماله اليه بالمال فمال اليه ، وباع لهارون الرشيد ، فأحس به الامام ادريس فقتل فى ذلك :

ابهلول قد سمتت نفسك خطة تبدلت منها صولة برشاد
أظلك ابراهيم من بعد داره فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب غدا آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ومنك ابراهيم شوك قتاد

فدس ابن الاغلب من ابلغ الى بهلول بن عبد الواحد اموالا كثيرة ، وقد كان ذلك لما عزم راشد على أخذ البيعة لادريس ، وكان له من العمر 11 سنة ، و 5 أشهر ، فأخذ بهلول المال ، وقتل راشدا ، وقد تم له ذلك سنة 188 هجرية ، فقام بأمر ادريس بعده ابو خالد يزيد بن الياس العبدى ، وفى رواية أخرى هو الذى أخذ البيعة لادريس الثانى بعد موت راشد بـ 20 يوما ، يقول عامل افريقيا فيما كتب به الى الخليفة ببغداد : بعد نجاح المكيدة الثانية يعرفه بخدمته ونصيحته :

الم ترنى بالكيد أرديت راشدا وانى بأخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمى على بعد داره بمحتومة قد هيأتها المكاييد
فتاه أخو عك بمقتل راشد وقد كنت فيه شاهدا وهو واقد

وابن عك هو منافسه فى عمالة افريقيا محمد بن مقاتل العكى ، سبقه بالكتاب الى الرشيد يعمل به بأن قتل راشد مولى ادريس هو من صنعه وتدبيره ، وكتب صاحب البريد الى هارون الرشيد بكذب العكى ، فعزل عن افريقيا ، وكان الذى دس لقتل راشد هو ابراهيم بن الاغلب ، فصدق وكذب العكى وفى ذلك قيل :

فلو كنت ذا عقل فقتل لابن اغلب فلا تحد من هارون تقتل راشدا
دثرت طريق الحق ويك حاسدا وأنت على بعد ولا شك حايدا
أيا راشدا والله لا زلت راشدا لقد طال ما قد كنت لله ساجدا
خديم لاهل البيت ما دمت ناصحا وقيمت قياما ياقظا ومشاهدا
فكنت تقى ادريس فى كل شدة بنفسك من لص ومن كان حاسدا
زمانا طويلا فى أمور شظيظة مع الاب ثم النجل معه شذائدا
فما صحبت نفسى وما ملكت يد كمثلك راشد لمن كان راشدا

شرقت في أرض الغرب شمسا منيرة وادريس فلك السيران كان راصدا
فعرف بأن الرشد منه اشتقاقه دليل لاهل العلم فيه معاهدا
جزاك الاله العرش خير جزائه وأسكنك الفردوس ما دمت خالدا

وبعد أن تمت البيعة لادريس الثاني ثبتت الخلافة الحسنية بالمغرب
الاقتضا على رغم الرشيد وعملائه ، وبذلك قد بطل ما بذل هو واعوانه
على ابطالها .

وفي سنة 193 هجرية توفي هارون الرشيد 3 جمادى الآخرة ،
موافق 24 مارس سنة 808 ميلادية ، وكانت مدته ثلاثة وعشرين سنة
وشهرين ، وكان سنه 48 سنة ، وكان يعاصره في الأندلس عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الملقب بالصقر ، وهو المعروف
بعبد الرحمن الداخل ، وكانت مدته من 138 — 172 ثم جاء بعده ابنه
هشام بن عبد الرحمن من 172 — 180 هـ ثم الحكم بن هشام من 180 —
206 هـ ولم يبق الخطر على دولة هارون الرشيد قاصرا على المغرب ، بل
تعداه الى غرب أوروبا ، فقد اقتطع منها قطر الأندلس عبد الرحمن الداخل
وبنى فيه دولة أخرى للامويين على رغم أنف العباسيين ، وليس خطر
المغرب وغرب أوروبا ، بأقل خطرا من خطر المشرق فيما وراء نهر جيحون ،
فقد حصل ما يؤذن بخطر مستقبل من جراء والى خراسان ، وهكذا أحاط
الخطر بدولتهم بسبب مكرهم وتعسفاتهم حتى من رجال دولتهم والأمر
لله سبحانه .

البيعة وولاية العهد

اقتضى الحال شرح البيعة وولاية العهد ، وان كان ذكرها استطراديا
لان الكتاب له مساس بالأحوال التاريخية ، ولذلك كان لا مندوحة عن
العرض لها من الوجهة الإسلامية . والناس في أمرهم يفعلون ما يشاءون ،
فالبيعة مأخوذة من البيع ، وهو التعاقد بين الطرفين اللذان هما البائع
والمشتري ، فانهما كانا يتصافحان بالأيدي عند الرضى بالثمن فيفترقان
على ذلك ، وقد تم عقد البيع بينهما ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يفزع اليها عند الشعور بالوقوع في خطر داهم ، كما وقع في خطر الحديدية، فانه
عندما شعر بأن الخطر داهمه دعا أصحابه وقال لهم : من يبائعني على الموت،
ومديده الكريمة وقال : هذه يدي ومعها يد عثمان ، وقد ضرب عليها كل
من كان معه وكان عددهم 1500 من المهاجرين والأنصار ، ووقعت هذه

المبايعة بالقرب من مكة تحت شجرة فسميت بشجرة الرضوان ، ومع مرور الزمن جعل الناس يزورونها ويتبركون بها ، فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زمن خلافته بقطعها ، وكانت هذه البيعة أصلا للبيعة في الاسلام . لان خليفة الحق منها كان يستمد قوته ، وكانوا يرون الوفاء بها من الزم ما يوجبه الدين على كل مسلم ، وكان عقدها يتم من طرف اهل الحل والعقد بين جمهور المسلمين ، لان الاصل في انتخاب الخليفة رضى الامة وبهذا أخذ المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واول من انتخب برضى الامة في الاسلام أبو بكر الصديق ، اعتمادا على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رشحه لها بأمره بالنيابة عنه في الصلاة في مرضه الذى مات فيه ، وقالوا : لقد رضيه لديننا أفلا نرضاه لديننا ؟ فاجتمعت كلمة الصحابة له ، وتم بذلك انتخابه للخلافة الاسلامية ، فبايعوه بها ، اى عاهدوه على السمع والطاعة فيما فيه رضى الله ورسوله ، وعهد هو اليهم ان يحكم فيهم بمقتضى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا التعاقد بين الخليفة والامة ، هو معنى البيعة تشبيها له بما ينعقد بين البائع والمشتري ، واما ولاية العهد فهى ترشيح الخليفة من رءاه كفؤا لتحمل اعباء الخلافة ، وهى سنة أبى بكر قد رشح لها من رءاه كفئا من غير عشيرته ، وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاختره لها اهل الحل والعقد وجمهور الصحابة واتباع هو فيها سنة أبى بكر ، ولما رأى كثرة الاكفاء من غير عشيرته جعلها شورى بين ستة تعينها القرعة ، فكانت من نصيب الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وهذا لم يرشح لها احدا لانه مات مغبوبا مظلوما ، فتولاها الخليفة على بن أبى طالب بترشيح الامة واختيار اهل الحل والعقد من كبار الصحابة ، فتمت بيعته بعد ذلك ، وهو لم يرشح لها احدا وتركها لاختيار الامة ، فرشحت لها الامام الحسن ، وانهقدت له البيعة باختيار اهل الحل والعقد وجمهور الصحابة والتابعين وتمت خلافته بالتنازل لمعاوية بن أبى سفيان فجعلها هذا الاخير هرقلية كما تقدم ، فكان ذلك من جملة الاسباب التى عاقته عن ان يدخل في عداد الخلفاء الراشدين ، وتبعه على ذلك الخلفاء العباسيون فكانت ولاية العهد من جملة الاسباب التى زعزعت ركن دولتهم ولم يعتبروا بمن مضى فجلبوا على انفسهم من الشرور والفتن ما كان السبب فى تقويض دولتهم ، قال الله تعالى : قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير « والدوام والبقاء لله وحده . وبالخلافة الحسينية فى المغرب ، والخلافة الاموية فى

الاندلس تم خروج اقليمين عظيمين من الولاية العباسية الواسعة الاطراف ، ثم بعد ذلك ظهرت دولة الحسن بن زيد بطبرستان سنة 250 — 355 هـ ، وظهرت دولة الفاطميين بافريقيا ، فاستولوا عليها ، وعلى الجزائر والمغرب الاتصا ، ثم مدوا سلطانهم على مصر وسوريا والحجاز ، واليمن وشواطئ الفرات ، وكادت نارهم تلمح وجه الدولة العباسية ، وقد اتخذ احد الثوار العراقيين هذه الدعوة ذريعة الى التمكن من الامر ، وخطب للعلويين سنة كاملة على منابر بغداد ، ولما رأى العباسيون انهم عاجزون عن دفع هذا العدو اللدود عنهم لجأوا الى ما ظنوا أنه يفيدهم ، وهو آخر سلاح بأيهم وهو الطعن في نسبهم ، فكتبوا محضرا بذلك في بغداد ، ودعوا العلماء والفقهاء والقضاة لتوقيعه ، وكذلك دعوا من كان تحت نظرهم ومراتبهم من كبار بنى هاشم ، وقالوا ان نسب العبيديين بمصر غير صحيح ، وانهم ادعياء ملعونون ولما وصل ذلك الى نقيب الطالبين ببغداد الشريف الرضى قال فيهم :

ما مقامى على الهوان وعندى	مقول صارم وأنف حمى
واباء محلق بى عن الضيـ	م كما زاغ طائر وحشى
اى عذر له الى المجد ان ذ	ل فى غمده المشرفى
البس الذل فى ديار الاعادى	وبمصر الخليفة العلوى
من ابوه أبى ومولاه مولا	ى اذا ضامنى البعد القصى
لف عرقى بعرقه سيد النا	س جميعا محمد وعلى
ان ذلى بذلك الجو عز	واو أمى بذلك النقع رى
قد يذل العزيز ما لم يشمر	لانطلاق وقد يضم الابى
ان شرا على اسراع عزمى	فى طلاب العلا وعزمى بطى
ارتضى بالاذى ولم يقف العز	م قصورا ولم تعز المطى
كالذى يخطب الظلام وقد أتم	ر من خلفه النهار المضى

ولما عتب الخليفة القادر بالله على والده انكرها ، ولم يثبتها فى ديوانه وهى مشهورة عنه ومن طراز شعره ، ولم تقدم محاولاتهم هذه شيئا فى رفق الفتق واطفاء نار الفتن المشتعلة فى ولايتهم ، ومما زاد النار اشتعالا ، والفتن اتساعا ان بنى بويه الذين استولوا على بغداد فى منتصف القرن الرابع كانوا شيعة لال على ، فأباحوا للشيعنة الظهور فى بغداد بما يشتهون من البدع والعادات التى كانوا ياتونها يوم عاشوراء ، فقد كانوا يجعلونه يوم حزن يخرج فيه النساء حاسرات نادبات لاطمات ينعين الحسين

شهاد كربلاء رضى الله عنه ، وصار الناس يتقربون الى السلطان بالتشيع ، ولما جاء المامون بن هارون الرشيد ، ورأى الخطر محققا بدولته ، سلك مع العلويين غير سياسة ابيه لما رأى من عطف رجال الدولة وأنصار الدعوة على العلويين والميل اليهم وكراهة ما نالهم على أيديهم ، وأظهروا مزيد الشفقة عليهم من أن يلحقهم مثل ذلك ، فغير سياسة الشدة معهم وتقرب اليهم ببعض ما يحبون ، مما يرضى رغبة العاطفين والمائلين ، حتى يكسر من حدتهم ويخفف من عملهم وشيعتهم ضد الدولة ، فاختر لقربه منهم الشريف على الرضى بن موسى الكاظم الحسينى الذى يتولاه أكثر الشيعة ، فقربه اليه وولاه عهده ، وزوجه ابنته ، وقد فعل ذلك ارضاء لوزيره الحسن ابن سهل لانه كان احد شيعة آل على ، واحد رجال نعمة المامون فى سوق الخلافة اليه بعد تنحية أخيه الامين عنها ، ويقدر ما ارضى المامون بهذه السياسة الجانب العلوى ومن تبعهم من الشيعة ، اغضب رجال عصبيته من العباسيين فثاروا ضده ببغداد ، وخلعوه ، واختاروا من بينهم عمه ابراهيم ابن المهدي فلم يجد امامه ما يلئم به هذا الصدع الخطير ، الا أن يحتال أولا فى التخلص من وزيره الحسن بن سهل ، فبعث اليه من تناولوه بأسياهم ، ثم تخلص ثانيا من صهره وولى عهده على الرضى فسمه وقتله ، وهناك قرائن قوية تدل على ذلك ، ثم رجعت الامور الى مجراها فرجعت اليه عصبية أبناء عمه العباسيين ، وانحرفوا عن عمه ابراهيم بن المهدي ولكن المامون ظل متمسكا بعد ذلك بعطفه على العلويين وشيعتهم ، والولاء لعلى ابن ابي طالب معلنا ذلك فى كلامه وفى خطبه وكتبه ، حتى اذا رأى منهم ما يبعث على الريبة والخروج عليه جعل يلاطفهم ، ولكن الى متى تظل سياسة الملاطفة والمجاملة ؟ مع الخوف من اغضاب عصبيته عليه ، فلم يسعه مع ذلك الا أن يغير سياسته معهم ويرجع الى سياسة ابيه فى الاحتياط والحذر منهم ، وأمر أن لا يدخلوا عليه بعد أن ثار عليه بعضهم باليمن ، فرأى أن يؤسس دولة باليمن ، شبيهة بدولة الاغالبة بافريقيا وهى الدولة الزيدانية ، والغرض منها قطع الطريق على من باليمن من العلويين وشيعتهم حتى لا يخرجوا عليه مرة أخرى ، ثم سلك سياسة الحجر مع أئمة الشيعة فأماطهم على مرأى ومسمع من اعينهم ببغداد ، وفى سامرا بعد اختطاطها .

سرد ترتيب الخلفاء العباسيين

ولتنام الفائدة رأيت سرد من تولى الخلافة من العباسيين على الترتيب مصحوبا بتاريخ البدء والنهاية لكل واحد منهم مع تطور العصور التى مروا بها ، الى أن خرجت الخلافة من أيديهم الى بنى أيوب من الاكراد

والاتراك : وتلك الايام نداولها بين الناس » .

(1) فأولهم : عبد الله أبو العباس الذى لقب نفسه « السفاح » ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ببيع بالخلافة يوم الخميس 13 ربيع الاول سنة 132 هـ .

(2) اخوه عبد الله أبو جعفر الملقب المنصور تولى الخلافة سنة 136 هجرية .

(3) ابنه محمد المهدي تولى الخلافة بعد ابيه سنة 158 هجرية .

(4) موسى الهادي بن محمد المهدي ببيع بالخلافة سنة 169 هجرية — 785 ميلادية .

(5) هارون الرشيد بن محمد المهدي أخوه ببيع بالخلافة سنة 170 هجرية — 786 ميلادية .

(6) محمد الامين بن هارون الرشيد ببيع بالخلافة سنة 193 هجرية — 808 ميلادية .

(7) عبد الله المامون بن هارون الرشيد ببيع بالخلافة يوم خلع اخوه محمد الامين سنة 198 هجرية — 813 ميلادية .

(8) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد ببيع بالخلافة سنة 218 هجرية — 833 ميلادية .

(9) هارون الواثق بالله بن المعتصم ببيع بالخلافة سنة 227 هجرية — 842 ميلادية .

(10) جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله ببيع بالخلافة سنة 232 هجرية — 847 ميلادية .

(11) محمد المنتصر بن المتوكل بايعه قواد الاتراك سنة 247 هجرية — 861 ميلادية .

(12) أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بالله ببيع بالخلافة سنة 248 هجرية — 862 ميلادية .

(13) المعتز بالله بن المتوكل ببيع بالخلافة سنة 252 هجرية — 866 ميلادية .

(14) محمد المهتديع بالله بن الواثق بالله بن المعتصم ببيع بالخلافة سنة 255 هجرية — 869 ميلادية .

(15) أحمد المعتد على الله بن المتوكل بن المعتصم ببيع بالخلافة سنة 256 هجرية — 870 ميلادية .

(16) أحمد المعتض بالله بن أبي طلحة الموفق بن المتوكل ببيع بالخلافة سنة 279 هجرية — 892 ميلادية .

(17) على المكتفى بالله بن المعتض بن أبي طلحة الموفق ببيع بالخلافة سنة 289 هجرية — 902 ميلادية .

(18) جعفر المقدر بالله بن المعتض بن أبي طلحة الموفق ببيع بالخلافة سنة 295 هجرية — 908 ميلادية .

(19) محمد القاهر بالله بن المعتض بن أبي طلحة الموفق ببيع بالخلافة سنة 320 هجرية — 933 ميلادية .

(20) أحمد الراضى بالله بن المقدر بن أبي طلحة الموفق ببيع بالخلافة سنة 322 هجرية — 935 ميلادية .

(21) ابراهيم المتى الله بن أحمد بن المعتد بن المتوكل على الله ببيع بالخلافة سنة 329 هجرية — 942 ميلادية .

ثم جاءت الخلافة السورية تحت سلطان آل بويه الديلميين .

(22) عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى بن المعتض ببيع بالخلافة سنة 334 هجرية وظلت هذه الخلافة السورية من هذا التاريخ الى سنة 447 هجرية تداولها 5 خلفاء في مدة تقدر بـ 113 سنة اولهم المستكفى ثم المطيع ، ثم الطائع ، ثم القادر ، ثم القائم ، كلهم يستمدون السلطة والنفوذ من آل بويه الديلميين ، وتسمى بلادهم جيلان والديلم ، وتقع غربى شاطيء بحر الخزر سهلها لجيلان ، وجبالها للديلم ، وقصبتها روزبار ، كانت في القديم تابعة لحكم فارس ، الا أن أهلها لم يكونوا من عنصر فارسى، بل كانوا أهل عنصر يمتازون على غيرهم بخلال الجودة والهمة الرفيعة العظيمة ، ولذلك سموا الديالمة أو الجيلانية ، وكانت بلادهم مما فتحه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واستمروا خاضعين للنفوذ الاسلامى مع بقائهم على وثنيتهم ، ولم يؤثر عليهم النفوذ الاسلامى فى تحويل مجتمعهم الجاهلى ، كما لم يفقدهم جنسيتهم ، وكانت تجاورهم اقالييم طبرستان التى قامت فيها الدولة العلوية المسماة بالدولة الزيدية التى تقدمت الاشارة اليها سابقا ، وكانت عاصمتها مدينة آمل وكان جل أهلها يدينون بالاسلام ، ويتشيعون لبيت آل على كرم الله وجهه .

(23) الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله ببيع بالخلافة سنة 335 هجرية — 947 ميلادية . وكان النفوذ في حياته لمعز الدولة من آل بويه ، ومما أحدثه في الاسلام سنة 352 هـ أن أمر باغلاق الدكاكين ، وابطال الاسواق ، وترك البيع والشراء في يوم « عاشوراء » عاشر المحرم وجعله يوم حزن على الامام الحسين شهيد كربلاء من كل سنة ، وأباح للنساء فيه أن يظهرن النياحة ، وأن يخرجن حاسرات الى الشوارع ، ناشرات الشعور مسودات الوجوه ، قد شققن ثيابهن متجولات في الشوارع ، مولولات نائحات لاطمات خدودهن باكيات على الامام الحسين ، ولم يكن لاهل السنة والجماعة قدرة على منعهن لكثرة الشيعة وتأييدها من طرف السلطة الحاكمة ، كما أحدثت لهم ذكرى أخرى في يوم 18 حجة ، وجعلها يوم عيد للفرحة والسرور ، احياء لذكرى « غد يرخم » احتفالاً به ، وأمر باظهار الزينة في البلد ، وايقاد الشموع والنيران ليلا بمجلس الشرطة مع اظهار كل نوع من أنواع الفرحة ، وتفتح الاسواق ليلا ، كما هو الشأن في ليالى الاعياد ، وضرب الدفوف والابواق ، وان يكون اليوم يوماً مشهوداً . وسبب هذه الذكرى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بموضع غد يرخم ، من أنه قال فيه : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . وما انه الا قد امتحن الله المسلمين بخروجها من يداهلها « قريش » فعم عليهم سلطان عدوهم من الروم ، واكتسح البلاد شرهم ، فقتلوا وحرقتوا ، وسبوا ونهبوا ، ولم يستطع أحد أن يقف في وجوهم في ظرف ثلاث سنوات ، من 358 — 361 هجرية اغار ملك الروم فيها على الدهى ونواحيها ، وهى مدينة تقرب من نهر الفرات ، فهرب أهلها عنها ، وساروا في الجزيرة بين الدجلة والفرات حتى وصلوا الى نصيبين ، فنهبوا وسلبوا وحرقتوا وخربوا البلاد ، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر بن وائل ، ولم يظهر من أبى تغلب حاكم الموصل في ذلك العهد حركة ولا سعى في دفع ذلك الخطر عن البلاد ، لانه خاف على نفسه فدفعهم عنه بالاموال التى حملها اليهم فلم يقصدوه فتحركت جماعات من أهل تلك البلاد فساروا الى بغداد مستنصرين ومستنجدين بمن فيها ، فأقاموا في المساجد والمشاهيد يستنفرون المسلمين ذاكرين لهم ما فعله الروم الغازون لبلادهم من القتل والنهب والسلب والاسر ، فاستعظم ذلك الناس وخافوا من إنفتاح الطريق اليهم ، وطمع الروم فيهم ، ولم يروا من يمنعهم منهم ، فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخلافة وأرادوا الهجوم عليها فمنعوا من ذلك بغلق الابواب في وجوهم ، وكان والى البلاد باختيار يصطاد بنواحي الكوفة

فخرج اليه وجوه أهل بغداد منكرين ومستغيثين وناقمين عليه انشغاله بالصيد وقتاله عمران بن شاهين صاحب البطيحة ، وهو مسلم ، وترك جهاد الروم ومنعهم وردهم عن بلاد الاسلام ، لانهم قد عثوا فيها فسادا ، واهلكوا الحرث والنسل ، حتى توغلوا في معظم البلاد الاسلامية فوعدهم التجهز للغزو وارسل الحاجب سبكتكين وامره بالتجهز للقتال ، واستنفر العامة ، فاجتمع اليه عدد كثير ، فكتب باختيار الى ابي تغلب بن حمدان صاحب الموصل يامره باعداد الميرة والعلوفات ، ويعلمه بعزمه على قتال الروم الغازين للبلاد الاسلامية ، فأجابه باظهار السرور واعداد ما طلب منه ، ثم أنفذ باختيار عامل بغداد الاستبدادي الى الخليفة الصوري (المطيع لله) يطلب منه مالا ، فقال له : ان الغزو والنفقة عليه وعلى غيره من المسلمين ، فمتى كانت مصالحهم تلزمني ؟ فان كانت الدنيا في يدي والاموال تجبى الى كنت أكفيك ما طلبت الى ، واما اذا كانت حالي ما أنا عليه ، فليس يلزمني شيء من ذلك ، وانما يلزم من كانت البلاد في يده والاموال تجبى اليه ، واما انا فلم يبق في يدي الا الخطبة ، فان شئتم ان اعتزل فعلت ، ثم ترددت الرسائل بينهما الى ان وصل الحال الى تهديد الخليفة ، فبذل الخليفة المطيع لله اربعمائة الف درهم ، احتاج فيها الى بيع ثيابه ، واثاث داره ، وشاع بين أهل العراق ان الخليفة صودر ، وشاع ذلك في خراسان وغيرها من بلاد الاسلام ، فلما قبض عامل بغداد باختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزو هكذا صارت الخلافة في يد المطيع لله ، فعلى من تكون اللائمة يا ترى ؟ وفي ذلك العهد استرد الروم جميع الثغور الاسلامية الكبرى ، وصار أهل الشام وأهل الجزيرة من المسلمين يهابونهم وبنو بويه وبنو حمدان يجاوب بعضهم بعضا ، وهم عما نابهم من عدوهم مشغولون وفي خوضهم يلعبون ، وفي سنة 361 هجرية استولى عامل الخلفاء الفاطميين جوهر الصقلى بعد رجوعه من المغرب على مصر وصارت تابعة لافريقيا ثم بعده معد الفاطمي .

(24) عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله بن المقتدر بالله ، بويج بالخلافة سنة 363 هجرية - 974 ميلادية .

(25) أحمد القادر بالله بن اسحاق المقتدر بالله بويج بالخلافة سنة 381 هجرية - 984 ميلادية .

(26) عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن اسحاق بويج بالخلافة سنة 422 هجرية - 1031 ميلادية .

- (27) عبد الله المقتدى بأمر الله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله بويج بالخلافة سنة 467 هجرية — 1077 ميلادية .
- (28) أحمد المستظهر بالله بن محمد القائم بأمر الله بويج بالخلافة سنة 487 هجرية — 1121 ميلادية .
- (29) الفضل المسترشد بالله بن محمد القائم بأمر الله بويج بالخلافة سنة 512 هجرية — 1166 ميلادية .
- (30) المنصور الراشد بالله بن المسترشد بالله ، بويج بالخلافة سنة 530 هجرية 1136 ميلادية .
- (31) يوسف المستنجد بالله بن المقتفى لأمر الله ، بويج بالخلافة سنة 555 هجرية — 1160 ميلادية .
- (32) الحسن المستضيء بالله بن المستنجد بالله ، بويج بالخلافة سنة 566 هجرية — 1171 ميلادية .
- (33) أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بالله ، بويج بالخلافة سنة 575 هجرية — 1181 ميلادية .
- (34) محمد الظاهر بأمر الله الناصر لدين الله ، بويج بالخلافة سنة 622 هجرية — 1225 ميلادية .
- (35) المنصور المستنصر بالله بن الظاهر بالله ، بويج بالخلافة سنة 623 هجرية — 1226 ميلادية .
- (36) عبد الله المعتصم بالله بن المنتصر بالله ، بويج بالخلافة سنة 640 هجرية — 1242 ميلادية .

وفي هذا العمود 36 خليفة ، أولهم أبو العباس السفاح ، وآخرهم المعتصم بالله ، المتوفى بين يدي هلاكوخان التتري في حرب التتار للعالم الاسلامي ، توفي في 20 محرم سنة 656 هجرية — 27 يناير سنة 1258 م ، والدوام والبقاء لله ، وبموته طفئ سراج البيت العباسي في الشرق والغرب وكانت أيامهم 524 سنة قمرية : ولله الامر من قبل ومن بعد . « ما هو مصير بغداد بعد سقوط الخلافة الاسلامية الكبرى ؟ فقد كان من الطبيعي أن يجرى عليها ما جرى على سواها من أمهات المدن الاسلامية الكبرى بعد قتل معظم أهلها ، ولم يبق المغول الا جماعة من الشيعة ، ومن كان على دين النصرانية ثم سكن بغداد أشتات وأخلاق تجمعوا اليها من شتى الاقطار المختلفة الذين زحفوا اليها مع هولاكوخان ، واصطبغت حاضرة الخلافة

الاسلامية بصيغة دولة لا تعرف للدين اسما ولا معنى بعد أن كانت شمسا للدين والعلم تمد العالم الاسلامى بشعاعها الوهاج ، ثم ما هو مصر ولايتها التاسعة الاطراف ؟ من وراء نهر جيحون شرقا الى بلاد الاندلس فى غرب أوروبا غربا ، فقد كان مصيرها بعد سقوط الخلافة العباسية ان انقسمت على نفسها الى 13 ولاية مستقلة بعضها عن بعض .

(1) دولة بنى نصر ، والقائم بالامر فيها مؤسسها محمد الغالب بالله ابن يوسف بن نصر وعاصمتها « قرطبة » من سنة 629 — 671 هجرية .

(2) دولة الموحدین بشمال افريقيا بالمغرب الاتصا ، والقائم بالامر فيها ، أبو حفص عمر المرتضى بن اسحاق بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المومن ، وعاصمتها « مراكش » من سنة 646 — 665 هجرية .

(3) الدولة الزيانية بالجزائر ، والقائم بالامر فيها يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة ، وعاصمتها « الجزائر » من سنة 633 — 681 هجرية .

(4) الدولة الحفصية بتونس والقائم بالامر فيها أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، وعاصمتها « القيروان » من سنة 647 — 675 هجرية .

(5) قيام دولة جديدة بالمغرب الاتصا للمرينيين ، والقائم بالامر فيها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ، وعاصمتها « مراكش » وكان قيامهم بتاريخ 620 هجرية — 912 هجرية ، أيضا .

(6) دولة المماليك البحرية بمصر ، والقائم بالامر فيها المنصور نور الدين على بن المعز عز الدين ابيك ، وعاصمتها « القاهرة » من سنة 655 — 675 هجرية .

(7) الدولة الرسولية باليمن ، والقائم بالامر فيها المظفر بالله بن يوسف بن المنصور بالله عمر بن على بن رسول ، وعاصمتها « صنعاء » وقام بها من أئمة الزيدية المتوكل شمس الدين أحمد .

(8) وحاز الاول شطرا من اليمن من سنة 647 — 674 هجرية ، والثانى من سنة 656 — 680 هجرية .

(9) فيلج ارسلان الرابع ركن الدين من السلاجقة بتركيا من بلاد الروم من سنة 655 — 666 هجرية .

(10) نجم الدين غازى السعيد من الدولة الاررقية بماردين من سنة 637 — 658 هجرية .

- (11) أبو بكر بن سعيد بن زكى بن مودود من الاتابكية السلغرية
بفارس من سنة 623 — 658 هجرية .
- (12) الهزار سبية دكلا بن هزار سب من الاتابكية بلورستان من
سنة 650 — 657 هجرية .
- (13) قتلغ خاتون من دولة قتلغ خان بكرمان من سنة 655 —
681 هجرية .

ملخص دولة العباسيين

تولى العباسيون الخلافة الاسلامية سنة 132 هجرية ، من لدن
بويح لاولهم عبد الله أبى العاس السفاح بالكوفة ، واستمرت خلافتهم الى
سنة 656 هجرية وانتهت بسقوط عبد الله المعتصم بالله بين يدي هلاكوخان
المغولى من أعقاب جنكيز خان ، موحد التتر الذى ثار على بلاد الاسلام ،
وكانت هذه الثورة أعظم محنة مرت بأرض الاسلام لشمولها لاكثر الاقطار
الاسلامية الا مصر ، وافتتحت الدولة العباسية شعارها بالرايات السوداء
من بلاد المشرق الى أن تمكنت من الاستيلاء على جميع بلاد الاسلام وبانتهاء
أجلها ظهرت رايات التتر ، من مشرق بلاد التركستان ، فثلت عرشهم ومحت
اسمه من بغداد زهرة العالم الاسلامى فى المشرق وجنته الدنوية ، فمن
المشرق أشرق كوكب سعدهم ، ومنه بزغ نجم نحسهم ، استمرت خلافتهم
524 سنة هجرية استخلف منهم فيها 37 خليفة ، فمتوسط الخلافة منهم
نحو 14 سنة ، وأكبر مدة قام فيها خليفة عباسى 46 سنة ، وأقلها سنة
فما دونها .

ميزان القوة فيها

مكنت الدولة العباسية 100 سنة لخلفائها الكلمة العليا ، والسيادة
الفعلية التامة على العالم الاسلامى ، ما عدا المغربين مغرب افريقيا ومغرب
أوربا ، يقولون فيسمع قولهم ، ويأمرون فيأتمر الناس بأمرهم ، ولا يستطيع
أحد أن يجسر على مخالفتهم من صنائعهم من الاجناد غير منافسيهم فى
القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الخوارج الذين خرجوا
على رأى على بن أبى طالب ، فانهم ما تكاد تخبو نارهم وتلمع حتى تفاجأ
بقوة عباسية قاهرة ماحقة لهم ولذاهبهم الهدامة ، وأقام فى هذا العصر
الباهر منهم 8 خلفاء : السفاح والمنصور ، والمهدى ، والرشيد ، والامين ،
والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، ومتوسط خلافة الواحد منهم 12 سنة

ونصف ، وينتهي هذا الدور بوفاة الواثق ، سنة 232 هجرية ثم جاء بعد ذلك قرن آخر من سنة 222 – 334 هجرية أخذت الدولة في النزول شيئا فشيئا ، وضعفت تلك القوة ، وانهدت تلك المكانة التي كانت لهم ، في أنفس الامم ، الاسلامية فاجتروا الامراء بالاطراف على الاستقلال ، وصار أمر الدولة في الاضمحلال ، حتى لم يبق بيدهم الا العراق ، وفارس ، والاهواز ، وهي مملوءة اضطرابا وفتنا ، فآل الامر الى أن يتولى بغداد مملوك ديلمى أو تركى يطلق عليه أمير الامراء ، فهو صاحب السيادة والنفوذ الفعليين والسلطان المطلق ، والولاية العامة ، وليس للخليفة معه الا الخطبة قام في هذا العصر 12 خليفة ، وهم : المتوكل والمنتصر ، والمستعين ، والمعز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتمد ، والمكتفى ، والمعتمد ، والقاهر ، والمتقى ، والمستكفى ، الذى ملك بنو بويه في آخر عهده ، ومتوسط خلافة الواحد منهم ، 8 سنوات ونصف ، ولم يمت منهم موتا طبيعيا الا أربعة ، والباقي خرجوا من الخلافة بين قتل ومخلوع ، وكان استيلاء بنى بويه على بغداد سنة 334 هجرية ثم جاء بعد ذلك دور ثالث من نفس هذا التاريخ الى 447 هجرية ليس للخليفة فيه الا اسم الخلافة ، وكانت السيادة والسلطة الفعلية للامة الديلمية التي كانت في العصور الجاهلية تابعة للامة الفارسية ، وكان ممثل الديالة من آل بويه (توزون) الذى حظى من طرف المستكفى بشرف عز الدولة ، وهو الذى كانت اليه الكلمة العليا ، يستوزر من شاء ، ويعزل عنها من شاء ، حتى ضربت السكة في اسمه ، وبقي الخليفة كرئيس شرفى للدين ، وكان الديالة شيعة زيدية لآل على يرون الحق لآل على ، في الخلافة ، ومن ثم كان توزون الملقب بعز الدولة يعزم على تنحية الخليفة العباسى وابداله بخليفة علوى صاحب الحق المغصوب ، ولكن بعض خواصه نصحه وأشار عليه بأن لا يفعل ، والا فضل بأن يظل مأمورا بعد أن كان أميرا ، قائلا له : انك مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا ، فاعرض عما كان قد عزم عليه وابقى اسم الخلافة لبنى العباس ، وظل الخليفة على هذا الحال كأنه مطلق موظف مع الدولة له كاتب واحد يدير شؤونه واقطاعاته ، ويتناول منهم ما يقوم بأوده ، ليس له تصرف ولا نفوذ ، يومر فيأتمر ، ويفعل ما يراه منه ، لا ما يريد وليس له على أنفس المالكين شئ من النفوذ الروحى لانهم اجانب عن دين الاسلام ، فعقيدته وعقيدتهم متباينتان ، وكونهم شيعة غلاة في على وآل

بيته لا يصرفهم عن عقيدتهم باطنا ، وان كانوا يتظاهرون بالاسلام ، ويفضلون آل على على من عاداتهم ، وقد رأيتهم كيف قدموا مصالحتهم على حق شيعتهم ، وأبقوا الخليفة العباسي الصوري كرئيس شرفي لهم ، ليكون أمره هينا عليهم بيتونه متى راوا المصلحة ببقائه ويعزلونه متى راوا خيرا لهم ، ان لم يفضلوا قتله ، وقد قام في هذا الدور المستكنى بالله ، والمطيع ، والطائع ، والقادر ، والقائم ، ومتوسط مدة الخليفة منهم 22 سنة ونصف ، وكان القائم هو حلقة الاتصال في هذا الدور ، يليه فيه الثلاثة الاولون من خلفاء هذا الدور ، خلعه بنو بويه ، ثم جاء بعد هذا دور آخر ، من سنة 447 — 550 هجرية ، انتقل النفوذ الفعلي فيه الى أمة تركية ، يمثلها تميم من آل سلجوق يقيم ببلاد الجبل من تركيا ، وكان بنو العباس في هذا الدور أحسن حالا منهم مع بنى بويه الديلميين . وذلك لما كان بين الطرفين من النفوذ الروحي ، لان الامراء الاتراك كانوا متدينين بالمعنى الصحيح ، ولذلك كانوا يحترمون خلفاءهم العباسيين ، ويبدون لهم من مظاهر التعظيم والاجلال ، ما يقضى به منصبهم الديني لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ولى في هذا الدور 7 خلفاء ، وهم : المقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ، والرائد ، والمتقى ، والمستنجد ، والمستضىء ، ومتوسط خلافة الواحد منهم نحو 20 سنة ونصفا ، ولم يكن الخلفاء في هذه المدة على حال واحدة ، فانهم من عهد المسترشد ، شرعوا يستردون السيادة والنفوذ الفعلي شيئا فشيئا ، في بغداد حاضرة خلافتهم وما جاورها من بلاد العراق ، والذي ساعدهم على ذلك خضوع بنى سلجوق ، وبعدهم عن حاضرة الخلافة بغداد ، وهم بتركيا وتفرقتهم في البلدان ، ووقوع الحرب بينهم حتى تم استبدالهم بأمر العراق في عهد المقتضى ثم انقضت دولة السلاجقة سنة 490 هجرية على يد خوارزم شاه ، واضمحل نفوذهم في العراق تماما ، ثم مكث العباسيون بعد سقوط السلاجقة ، 66 سنة لم يكونوا فيها تحت سلطان أحد ، بل كانوا مستقلين بنفوذهم في العراق الى قيام المغول التتر بثورتهم ضد العالم الاسلامي ، وقد ابتدئت حركتهم بأقصى بلاد التركستان فعصف ريحهم بالبلاد الاسلامية قتلا وحرقا وتخريبا ، ولما انتهوا الى بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية ، قتلوا بها في ظرف 24 ساعة الفى ألف وستمائة الف 2،600،000 نسمة ، ثم قتلوا الخليفة المعتمد بأمر الله ، والقوا بخزائن كتب العلم في نهر الدجلة ، حتى كانوا يملون عليها بخيلهم ، وعلقوا مصاحف القرآن الكريم في أعناق الكلاب ، فدخل رعبهم صدور الناس ، حتى

كان التتري الواحد يوقف 40 رجلا ويدبجهم وحده ، واحدا تلو الآخر وهم ينظرون مثل الاكباش ، ليس منهم من يحرك ساكنا ، وبموت المعتصم بالله خمد نفس الدولة العباسية ودخلت في خبر كان على يد هلاكوخان سنة 656 في النصف الثاني من القرن 7 الهجرى : لله الامر من قبل ومن بعد « لا رب سواه .

ملخص الاعمار التى مرت بالدولة العباسية

العصر والسنة :

- 100 — عصر القوة والعمل الحاسم من سنة 132 — 232 .
- 102 — عصر استبداد الماليك والاتراك من سنة 232 — 334 .
- 113 — عصر استبداد الملوك من آل بويه من سنة 334 — 437 .
- 083 — عصر استبداد آل سلجوق الاتراك من سنة 447 — 530 .
- 126 — عصر استعادة العباسيين بعض نفوذهم من سنة 530 — 656 .
- مجلها سنة 524 .

ترجمة ادريس الثانى فى المغرب

فهو رحمه الله ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . مولده بمدينة (ولى) من بلاد المغرب الاتصى ، خلق يوم الاثنين 3 رجب الفرد الحرام عام 177 هجرية ، وكنيته ابو القاسم صفته صفات ابيه كان ابيض اللون مشوبا بحمرة اكحل العينين جعد الشعر جميل الوجه اتنى الانف مليح العينين ، ابلج ، افلج ، ادعج ، واسع المنكبين ، شتن الكفين والقدمين ، مريوع القد ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو فيما بين ذلك ، وكان فصيحاً بليغاً ادبياً ، عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله ، قائماً على حدوده ، راوياً لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، عارفاً بالفقه والسنة ، والحلال والحرام وفصول الاحكام ، ورعاً تقياً ، جواداً كريماً حازماً بطلاً ، شجاعاً عبقرياً صاحب حلم واسع ، وعقل راجح ، ورأى مصيب ، جرىء مقدام فى مهمات الامور ، معاصروه ، يعاصره الخليفة المأمون فى بغداد من بلاد الشرق من سنة 198 هجرية ق سنة 813 ميلادية الى 218 هجرية ق 833 ميلادية وفى مغرب اربا من بلاد الاندلس الحكم بن

هشام ثالث أمراء بنى أمية بها من سنة 180 — 206 هجرية ، ثم ابنه عبد الرحمن الثاني من سنة 206 — 238 هجرية ويعاصره في افريقيا من بنى الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ، من سنة 196 — 201 هجرية ، ثم ابنه زيادة الله بن ابراهيم ، فاتح جزيرة صقلية من سنة 201 — 223 هـ ، ويعاصره في فرنسا شارلمان المتوفى سنة 814 ميلادية ، ويعاصره في القسطنطينية ليون الارمينى من سنة 813 — 820 ميلادية ، ثم ابنه ميخائل الثانى الملقب التتمام من سنة 820 — 829 ميلادية .

مناقب ادريس ، قال داود بن القاسم : شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر ، فلتيناهم وهم ثلاثة اضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فركب فرسه ، فتقدم للقتال ، فقاتلناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ، ثم يكر في الجانب الثانى لم يزل على ذلك حتى ارتفع النهار ، ثم رجع الى رايته ، فوقف بازائها ، والناس يقاتلون بين يديه ، فجعلت انظر اليه ، وأكثر من الالتفات نحوه ، وهو تحت ظلال البنود اى الاعلام يحرض الناس ويشجعهم ، فأعجبني ما رايت من شجاعته وقوته وثبات جائسه ، فالتفت الى وقال : ياداود مالى اراك تكثر النظر الى ؟ فقلت ايها الامام : لقد أعجبني منك خصال لم أرها في غيرك ، فقال ، وما هى ؟ فقلت (1) ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ، وطلاقة وجهك ، وما خصصت به من البشر عند لقاء العدو ، فقال : ياداود ، ذلك الذى رايت هو ما ورثناه من بركة جدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعائه لنا وصلاته علينا ، ثم هو وراثه عن أبينا الامام على كرم الله وجهه ، ثم قلت له : (2) ايها الامام انى اراك تبصق بصاقتا مجتمعا ، وأنا اطلب قليلا من الريق فى فمى فلم أجده ، فقال : يا داود ان ذلك من اجتماع عقلى وقوة بأسى عند اللقاء فى الحرب ، وأما عدم الريق من فيك فليطيش بك ، وافتراق عقلك ، وما خابرك من الرعب ، ثم قلت له : (3) ايها الامير ، انى اتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك ، وقلة ترارك فى موضعك فقال : ذلك الذى تراه منى هو من زعمى الى القتال ، مع حزم وصرامة وهو احسن ما يكون فى الحروب ، فلا تظنه رعبا ، ثم جعل ينشد ويقول :

اليس ابونا هشام شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولم نشتك قط ما يؤول الى النصب
وكان شاعرا مجيدا ، ومن مناقبه رضى الله عنه بناء مدينة فاس ،

وسبب بنائها انه في سنة 189 هجرية ، وفدت عليه وفود غزيرة من العرب المهاجرين الذين كانوا يتشيعون للبيت العلوي ، فوجد فيهم أنسه ، وحتى يامن بهم من غدر البربر ، ولن يزال شعار نقص في رجولتهم ، ووصمة عيب في أخلاقهم فهي منقصة ورائية في الاخلاق لا زالت طابع عقبتهم اصلح الله من شأنهم ، ويظهر ذلك من فعل بهلول بن عبد الواحد المتقدم فسى الذكر براشد ، ثم اعاد الكرة على ادريس فتفطن له وقال في ذلك شعرا ، ثم نعى ذلك وتكرر بتكرار الفتن مع الادارسة حتى كان خاتمة عقدهم الحسن ابن كنون ياتى الكلام عليه ، ومن أجل هذه الخلة الماكرة جعل ادريس يبحث عن العنصر العربى ليعينه في مأمن من الغدر من أعدائه الاغالبية ، فاستوزر من الوافدين عليه من العرب ، عمير بن مصعب الازدى ، وكان من فرسانهم وسادتهم ، ولابيه مصعب مآثر عظيمة بافريقيا والاندلس ومشاهد كثيرة في غزو الروم ، كما استتضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى من قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا ، ورعا ، فقيها نظيفا سمع من الامام مالك وسفيان الثورى ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ، ثم وفد على ادريس في جملة من وفد عليه من العرب ، ثم لما استقرت الامور ، وكثرت الوفود العربية عنده ، وقد اجتمع اليه خلق كثير من البربر في مدينة ولىلى حتى ضاق بهم المكان ، وكثرت الحاجة الى الماء الغزير ، ثم جعل ادريس يفكر فى انشاء مدينة فى موضع كثير المياه ، وممرت مدة فى البحث على العثور على مكان صالح لاقامتها فلم يوجد ، ثم بعد ذلك ندب وزيره (عمير) بن مصعب الازدى فى جماعة ، حتى يتخروا مكانا صالحا لبنائها ، ولما وصل الى مكان مدينة فاس نظرا الى غيظة بين جبلين ملتفة بالاشجار مطردة العيون والانهار ، وكان فى بعض جهاتها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة ، يعرفون بزواغة ، وبنى يرغيثن ، فرجع الى الامام ادريس ، وأعلمه بما وقع عليه استحسانه من هذه الارض ، لكثرة مائها وطيب هوائها ، وجودة تربتها ، ورطوبة موقعها الصحى ، مع اعتدال فى المناخ بها فسأل عن مالك الارض ، فقيل له : هى لقوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فقال الامام ادريس هذا فال حسن فبعث اليهم كاتبه الفقيه ابا الحسن بن عبد الله ابن مالك الخزرجى الانصارى ، فاشترى منهم مواضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد عليهم بذلك ، وكانوا اهل اهواء مختلفة ، منهم من كان على الاسلام ومنهم من كان على المسيحية النصرانية ، ومنهم من كان على اليهودية ، ومنهم من كان على الجوسية ، وهم بنو يرغيثن ،

وكانت خيامهم بما يعرف اليوم بحومة الاندلس ، وكان بيت نارهم بالشيبوية أو شيلوبية ، وكانت قبيلة زواغة بمدوة القرويين ، وكان القتال مستمرا بين القبيلتين على مر الايام من أجل حدود الارض بينهما ، فبعث اليهما المولى ادريس من نديهما الى الصلح ، فأصلح بينهما ، ثم اشترى منها الفيضة ، وكانت لتراكم أشجارها يسكنها اجناس من الحيوانات كالسباع والخنازير ، وقد تم بيع الفيضة المذكورة يوم الخميس غرة ربيع الاول من سنة 191 هجرية .

بناء مدينة فاس

ثم نزل الامام ادريس بها وضرب أبينته وتبائه بالموضع المعروف اليوم بجرواوة ثم شرع في بناء السور ، ودور عليها سياجا من القصب والخشب ، وسمى الموضع بجرواوة ، وفي سنة 192 هجرية اختط عدوة الاندلس وفي سنة 193 اختط عدوة القرويين ، وبنى مساكنه بها ثم انتقل اليها ، ثم أدار السور بها ، وكان ابتداءه من جهة القبلة ، كما بنى بها الجامع الذي برجته البير المعروف بجامع الاشياخ ، واقام فيه الخطبة ، ثم رجع لعدوة القرويين ونزل منها بموضع يعرف بالقرمدة فضرب قبة قيطونه بها ثم شرع في بناء الجامع المعروف الآن بجامع الشرفاء ، شرفها الله بذكره ، واقام فيه الخطبة ، ثم أخذ في بناء دار سكناه ، وهي المعروفة الآن بدار القيطون ، التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من أحفاده ، ثم بنى القيسارية الى جانب المسجد الجامع ، وادار الاسواق حوله من كل جانب ، ثم قال لهم من ابنتى موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله .

دعاء المولى ادريس عند الشروع في البناء

وذكر انه لما اراد الشروع في البناء توجه لله رافعا يديه اليه ، قائلا في دعائه : اللهم اجعلها دار علم وفقه ، يتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها ، ثم أخذ المعول بيده وابتدا بحفر الاساس ، وانسب ما يروى في سبب تسميتها بفاس ، ما ذكر من ان راهبا اتى المولى ادريس وسأله عن العمل الذي يقومون به ، فأخبره بأنه شرع في بناء مدينة بهذا الموضع ، فأخبره الراهب بأن مدينة قديمة العهد كانت هنا فخربت منذ 17 قرنا وكانت تسمى ساف ، ولكن اقبلوا اسمها

فقلبوه فأتى منه « فاس » فسميت مدينة فاس ، ولما فرغ الامام ادريس رضى الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلته ، واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وحاضرة الخلافة الحسنية في المغرب الاقصى . وفي سنة 197 هجرية ، خرج برسم غزو قبائل المصامدة من بلاد النفيس ، وتعرف اليوم بقبائل سوس ، ومدينة أغمات ففتح سائر بلاد المصامدة ثم رجع الى فاس واقام بها الى شهر المحرم من سنة 199 هجرية ، ثم خرج برسم غزو قبائل نفزة — وتعرف اليوم بقبارل بنى يزناسن — وما اليها من بلاد تلمسان ، فحاربها ودخل مدينة تلمسان ، فنظر في احوالها وأصلح أسوارها وجامعها ، وصنع فيها منبرا فقتل ابو مروان : عبد المالك ، دخلت مسجد تلمسان في سنة 255 هجرية ، فرأيت في رأس منبرها لوحة من بقية منبر تقديم سمريت عليه مكتوب فيها ، هذا ما أمر به ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم في شهر المحرم سنة 199 هجرية ، ثم أقام ادريس بها 3 سنوات ثم رجع الى مدينة فاس فلم يزل بها حتى توفي رحمه الله سنة 213 هجرية وله من العمر 36 سنة ، ودفن بمسجد الشرفاء بازاء الحائط الشرقي منه ، والصحيح انه دفن بقبيلته حيث هو الى اليوم ، ولذلك تنبغى زيارته والترحم عليه من قبل وجهه الشريف من وراء القبة بنفس الشارع الممرور الى جامع القرويين وهو الصواب ، وأما ما يفعله الجهلة داخل القبة من الدخول تحت الكسوة والكلام السرى والتمسح بالشباك وغيره فهو من البدع المنكرة . وقال البرنوسى توفي ادريس بن ادريس بمدينة ولى من بلاد زرهون في ليلة 12 من جمادى الاخرة ، سنة 213 هجرية ، ودفن الى جانب قبر ابيه في رباط ولى ، وكان سبب وفاته انه أكل عنباً فشرق بحبة منه فمات من حينه ، وكانت خلافته بالمغرب 26 سنة قمرية .

بيت الامام ادريس الثانى

خلف الامام ادريس الثانى من الذكور 12 ولدا ذكرا وهم على المشهور:

- | | |
|----------------|--------------|
| (1) محمد . | (7) يحيى . |
| (2) عبد الله . | (8) القاسم . |
| (3) عيسى . | (9) عمر . |
| (4) ادريس . | (10) على . |
| (5) أحمد . | (11) داود . |
| (6) جعفر . | (12) حمزة . |

وكان محمد أكبر اخوته سنا ولذلك خلف اياه ادريس في الامامة بعهد منه اليه ولذلك بويع بالخلافة في 15 من جمادى الاخرة اى بعد ثلاثة ايام من وفاة ابيه .

ترجمة الامام محمد بن ادريس الثانى

فهو الامام محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امه حرة من اشراف نفزة فهى من عائلة جدته كنزة النفزية ، ومن اوصافه انه كان اسمر اللون ، حسن القد مليح الوجه شاب السن جمع الشعر ، ولما تم له الامر بعد البيعة قسم بلاد المغرب بين اخوته ، وذلك باشارة جدته كنزة ، فاختص (1) القاسم منها بطنجة وسبته ، وقصر مصمودة (القصر الصغير) والبصرة ، وتلمعة حجر النسر ، وتطوان ، وما والى ذلك من القبائل والبلاد ، واختص (2) عمر منها بتكساس وترغة ، وما حولها من قبائل غمارة وصنهاجة ، واختص (3) داود ببلاد هوارة ، وتسول ، وتازا وما حول ذلك من قبائل مكناسة وغيثة ، واختص (4) يحيى بأصيلا والعرائش والقصر اى الكبير ، وما والى ذلك من بلاد ورغة ، واختص (5) عيسى بسلا وشالة - وهى خربة بجانب الرباط على نهر ابي رقرق - وتامسنا وآزمور ، وما والى ذلك من قبائل تامسنا ، واختص (6) حمزة بمدينة ليلى وأعمالها واختص (7) أحمد بمدينة مكناسة ، ومدينة تادلا وما حولها من قبائل فازان واختص (8) عبد الله بأغمات وبلاد النفيس ، وجبال المصامدة ، وبلاد لمطة والسوس الاقصى . وأما الباقيون فكانوا صفارا لا زالوا تحت كفالته وكفالة جدتهم كنزة ، ثم توفى الامام محمد في 15 من جمادى الاخرة ، سنة 221 هجرية ، وكانت ولايته 8 أعوام وشهرا واحدا ، ودفن بجانب قبر ابيه واخيه عمر ، بازاء الحائط من مسجد الشرفاء . واستخلف على امامة المغرب ولده عليا الملقب بحيدرة ، واستعير له هذا اللقب من لقب جده الامام على كرم الله وجهه ، بويع له بالخلافة قبيل وفاة ابيه ، وكان له من العمر 9 سنوات وأربعة أشهر ، سنة 221 هجرية . وهو آخر من تولى الخلافة في سلك عقد العلميين .

ترجمة الامام على حيدرة

فهو الامام على الملقب حيدرة بن محمد بن ادريس الثانى بن ادريس

الاول ، وقاتل في الاستقصا : هو جد الاشراف العلميين — اهل جبل العلم — ومنهم المشيشيون اولاد مولانا عبد السلام بن ميثيش رضى الله عنه ، واولاد سيدى محمه بن يملاح ، واولاد سيدى الحاج موسى الرضا ، وسياتى الكلام على تفاصيل الشرفاء العلميين وفروعهم مع الاصل الذى يجمعهم ، ولصفر سنه قامت بتربيته الحاشية والاولياء من العرب والبربر ، واحسنوا كفالتة وطاعته فكانت ايامه خير ايام ، واسم امه رقيه بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الازدى فهى عربية ، وقد ظهر عليه من الذكاء والنبيل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ثم سار في الناس بسيرة ابيه وجده في الدين والفضل والحزم والعدل ، واقامة الحق وضبط الثغور وقمع الاعداء ، وكان المغرب في زمانه في أمن ودعة ورخاء ، ثم توفي رحمه الله في شهر رجب الفره سنة 234 هجرية ، وكانت مدته نحو 13 سنة قمرية ، ولم يعهد لابنه مزوار وكان خاتمة السلسلة المشيشية من بنى ادريس ، ثم اتبعت هذه السلسلة المباركة بطلقات اخرى من النساك والاولياء والاقطاب من العارفين بالله حتى بلغت الى الكوكب الساطع ، والبدر اللامع الذى لقبه اهل عصره « بالشيخ الجامع » مولانا عبد السلام ابن ميثيش الذى رنت شهرته مسامع العالم الاسلامى من اهل الشرق والغرب والعرب والعجم ، ولن تقف أقلام الكاتبين في البحث عن فضله ومنبع علمه . ولا اخاله الا امتدادا من ذلك النور المنبعث من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، معبرا تعبيراً صادقاً عن ذلك السر الذى استودعه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة دعائه لها يوم زفت لبيت على بن أبى طالب ، وبعد أن رفع على رأسه من السجود شكر الله ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب ، كما تقدم في ترجمتها ، وتلك السلسلة المباركة من الاقطاب هى ثمرة اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية للنسائى : اللهم بارك فيهما ، وبارك لهما في نسلهما .

العواصف التى مرت بالادارسة

لما كنت بصدد البحث عن الكوارث ، والاحداث التى مرت بأهل بيت على في الشرق والغرب عبر العصور التى مروا بها ، لم يكن من المناسب أن اتبع التاريخ وأحواله ورجاله ، غير أنى أخذت من كل حال ما يناسب المقام .

قد نشأت الدولة الادريسية الفتية بالمغرب بين عملاطين عظيمين كانا يهيمنان عليها ، أحدهما بالمشرق وينبعث شره من حاضرة الخلافة الاسلامية بغداد ، ويمر في طريقه بمركزها الانتقامى بافريقيا (القيروان) بتونس ، والآخر كان مقره (قرطبة) من بلاد الاندلس في غرب اربا ، وكانت دولة الادارسة بينهما كلسان ميزان يتراجح بين ثقل احدي كفتيه على الاخرى .

استيلاء العبيديين على المغرب الاقصى

وكان ذلك على يد قائدهم مصالة بن جبوس المكناسى قائد عبد الله الشيعى قد تقدم الكلام على الاغلبة ولاة افريقيا ، وكان ابراهيم بن الاغلب آخرهم ، وانه أورث بها ملكا لبنيه ، فاستمرت دولتهم بها الى أواخر المائة الثالثة ، وانقرضت على يد أبى عبد الله المحتسب داعية العبيديين ، وكان سبب ذلك ان المحتسب حج واجتمع بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف اليهم ، ووعدهم بظهور المهدي من آل البيت على أيديهم ، ويكون لهم معه الملك والسلطان ، فتبعوه على رأيه وصحبهم الى بلادهم ورأس فيهم رئاسة دينية ، وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا برأيه ثم بايعوا مولاه عبد الله المهدي أول خلفاء العبيديين ، فاستولى على افريقيا في خبر طويل ، ثم سمت همته الى تملك المغرب الاقصى ، فأغزاه على يد قائده .

(1) مصالة بن جبوس المكناسى صاحب تاهرت (الجزائر) والمغرب الاوسط ، ثم زحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة 305 هجرية حتى انتهى الى فاس ، فبرز اليه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثانى الذى كان واليا على المغرب الاقصى في جموع من العرب والبربر والموالى ، وكان لقاؤهما بقرب مكناسة ، فانهزم يحيى وعاد مفلولا الى مدينة فاس ، ثم تقدم مصالة الى فاس فحاصرها الى أن صالح مصالة يحيى على مال يؤديه اليه ، وعلى البيعة لعبيد الله المهدي فقبل يحيى الشرط ، وخرج له عن أمر المغرب ، وأنفذ بيعته الى عبيد الله المهدي وعقد له مصالة على عمالة فاس وسكانها بها ، كما عقد لابن عمه موسى بن أبى العافية المكناسى ، على ما سوى ذلك من بلاد المغرب ، وموسى هذا هو صاحب تسول ، وبلاد تازا ، وكان كبير مكناسة بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم الى المغرب وتعرف اليه ، وهاداه ، وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب ، فحسنت منزلته لديه ، فولاه بلاد المغرب كله ، ما عدا مدينة فاس واعمالها ،

فانه تركها بيد الامام يحيى ، وصار المغرب الاتصى خاضعا لنفوذ العبيديين وانصهرت الدولة الادريسية في مملكتهم . وقال في الاستقصا ناقلا عن ابن خلدون ، كان يحيى واسطة عقد البيت الادريسي واعلاهم قدرا ، وابعدهم ذكرا ، واكثرهم عدلا ، واغزرهم فضلا ، واوسعهم ملكا ، وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ، بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاح ودين وورع ، لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في الدولة والسلطان ، الى أن طما عليه عباب بحر العبيديين القائمين بافريقيا فأغرقه . وكان قائد المغرب موسى ابن أبى العافية ، بعد رجوع قائده مصالة بن حبوس الى القيروان ، كلما اراد الظهور والاستبداد بالمغرب غمره يحيى بن ادريس بحسبه ونسبه وفضله ودينه ، فقطع عليه بذلك كل ما كان يريده من الاستبداد والظهور عليه ، وكان على قلبه منه عبء ثقيل ، وانتهاز فرصة رجوع قائده مصالة من القيروان للمرة الثانية سنة 309 فسعى به عنده حتى أوغر صدره عليه ، ولما قرب مصالة من فاس خرج يحيى للقائه والسلام عليه في جماعة من وجوه دولته ، فألقى القبض عليهم وعليه ، وقيده بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه ، موثقا على جمل فاستصفى أمواله وذخائره ثم عذبه بكل أنواع العذاب ، ثم نفاه الى نواحي أصيلا ، وقد ساء حاله ، وانفض جمعه ، فأقام عند بنى عمه ببلاد الريف مدة ، فوصلوه من أموالهم بما يصلح حاله ويقيم أوده ، فلم يرض الاستكائة ، فغادرهم يريد افريقيا فاعترضه ابن أبى العافية في طريقه ، فقبض عليه وسجنه ، بمدينة الكاى ما يقرب من 20 سنة ، ثم أطلقه بعد ذلك ، فواصل سيره الى افريقيا ، وهو في حالة فقر وذلة ، قد بلغ سوء الحال منه كل مبلغ ، فوصل الى المهديّة التونسية على تلك الحال ، فصادف بها فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى ، وحصاره اياها ، فمات بها جائعا غربيا ، قالوا : وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس الثانى قد دعا عليه أن يميته الله جائعا غربيا فأجيبته دعوته فيه ، وكان موته سنة 332 هجرية .

ثم عاد المغرب الاتصى الى الادارسة بعد ظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ، وبعد أن أطاح مصالة بن حبوس بدولة يحيى وعذبه واستصفى أمواله وذخائره استعمل على فاس ربحان الكتامى ثم عاد الى القيروان ، ومكث ربحان عاملا على فاس وأحوازها نحو ثلاثة أشهر ، فثار عليه الحسن الحجام سنة 310 هجرية ودخل فاس في جماعة من شيعته وأنصاره ، وكان شجاعا مقداما ، دخلها على

حين غفلة من اهلها فاستولى عليها ، وقتل ريحان ، وقيل نفاه عنها ، واجتمع الناس على بيعته ، ودخل في طاعته اكثر قبائل البربر بالمغرب ، واستولى على عدد من مدنه ، مثل مدينة صفرو ، ومدين ، ومدائن مكناسة ، والبصرة ، واستقام له الامر بالمغرب ، وعرف بالحجامة لانه كان بينه وبين عمه احمد ابن القاسم بن ادريس الثانى حرب فحمل الحسن على اصحاب عمه فانهزموا فطعن منهم ثلاثة من الخلف في مكان المحاجم ، فقال عمه المذكور : ابن اخى الحجامة ، فلزمه ذلك اللقب ، وفي ذلك قتال :

وسميت حجامة ولست بحاجم ولكن لطعن في مكان المحاجم ثم هاجمه الطاغية على اهل البيت الادريسي موسى بن ابي العافية ، خليفة مصالة على ولاية المغرب ، فخرج اليه الحسن الحجامة فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ، ما بين فاس وتازا ، فأوقع الحسن الحجامة بابن العافية وتعة عظيمة ، لم يقع في دولة الادارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن العافية نحو الالفين وثلاثمائة ، من بينهم ابنه منهال ، وقتل من عسكر الحسن نحو السبعمائة ، ثم كانت العاقبة لموسى على الحسن الحجامة ، لعودة عسكره الى فاس مفلولا ، ولما فطن الحسن بفلول الجيش تعجل ودخل الى فاس وحده ، وترك عسكره خارج المدينة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان الهمداني ، ويقال الاوربي من قرى افريقيا دخل عليه ليلا في داره فقيدته واخذه اليه ، واغلق المدينة في وجه الجند ثم بعث الى موسى بن ابي العافية يخبره بصنعه ، ويستعجله في القدوم عليه ليتمكن منه لانه كان موثقا لديه ، فسارع اليه ابن ابي العافية فدخل عدوة القرويين لم يلق فيها حربا ولقيها من عدوة الاندلس ، فحاربها حتى استولى عليها ، فطلب من حامد أن يتمكن من الحسن الحجامة ليأخذ منه الثار بولده منهال أو سهل ، فكره حامد أن يسلمه له لما عرف من مصيره بيد عدوه موسى ، وجعل يماطله في تسليمه لما كرهه من مجاهرة سفك دماء اهل البيت ، فجاء اليه ليلا وأطلقه من القيد ، وأدلاه عن سور المدينة دون حبل فسقط وانكسرت رجله من الساق ، فتحصن بعدوة الاندلس فمات مستخفيا بها بعد ثلاثة ايام من الحادث سنة 313 هجرية ، وكانت ولايته نحو عامين ، ثم غضب ابن ابي العافية على حامد وأراد أن يقتله ، ففر منه والتحق بالمهدية التونسية ، ثم خلص الامر لابن ابي العافية بالمغرب ، وضم اليه جميع مدنه ، واخذ البيعة لنفسه .

موسى بن ابي العافية عدو الادارسة

من هو هذا الطاغية العتيت ؟ واللذود الحسود الذي لقي جزاء

فعله بموته شريدا طريدا عن ملك المغرب بواد ملوية ، بعد انتقامه من أهل البيت الكرام ، لم يمكث بعد محنتهم على ولاية المغرب الا 11 سنة كلها حرب عليه حتى قتل بعد رجوعه من الصحراء بوادي ملوية شريدا طريدا حقيرا ذليلا بعد العز والسلطان ، هذا هو موسى بن أبي العافية ، بن أبي ناسل بن أبي الضحاك المجدولى المكناسى التسولى وفى سنة 313 هجرية تم استيلاؤه على فاس وأخذ البيعة لنفسه ، فبايعه القبائل والأشياخ ، ولم يكن مستقلا بنفسه بل كان داعيا عميلا لاسياده. مصالة ولى نعمته وعبيد الله الشيعى أمير القيروان وحاضرتة المهدية التونسية ، وسماها المهدية لادعائه انه المهدي الفاطمى المنتظر ، وكان هدفه توحيد المغرب مع افريقيا لان المغرب فى عصر الادارسة أهل فاس لم يكن تابعا لاحد من الشرق والغرب بل كان مستقلا بنفوذته الى عهد يحيى بن ادريس المتقدم ، فبعث عبيد الله الشيعى قائده مصالة بن حبوس المكناسى فى تحقيق مراده ، وبعد سقوط يحيى جمع الامر لابن عمه وتركه فى يده موسى بن أبي العافية، وبعد أن تمكن من النفوذ شرع فى تصفية الادارسة من المغرب هجمل يطاردهم ويقتلهم ويخرجهم من ديارهم فى جميع نواحي المغرب وخصوصا مدينة فاس وشالة وأصيلا والبصرة ، ولما اشتد الخناق عليهم والجيش يطاردهم من ورائهم ويقتلهم لجأوا بأجمعهم الى قلعة حجر النسر التى ياتى الكلام عليها ثم نزل عليهم وحاصرهم بها كى يستأصلهم من المغرب ، وبعد أن اشتد الحصار عليهم وضاق بهم الامر الى أن يئسوا من الحياة ، وقد كان ذلك على مرأى ومسمع من بنى اخوالهم البرابرة ، فرقوا لهم وأشفقوا عليهم ، وكان الى بعضهم الكلمة والرأى فى سياسة المغرب مع ابن أبي العافية ، فعذلوه على سوء فعله ، وقبح نيته معهم ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ؟ فهذا أمر لا نوافقك عليه ولا نتركك له ، فخاف وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولى فى الف فارس يمنعهم من التصرف ، وكان ذلك سنة 317 هجرية ، وبعد أن رجع الطاغية الى فاس قتل عاملها على عدوة الاندلس ، عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبوه الأزدي ، وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ، ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبى يزيد ، فلم يزل عاملا عليها الى أن خرجت فاس عن يه ابن أبي العافية ، ثم انتقل الى تلمسان ، وجعل يطرد من بقى من الادارسة بأرضها ، وكانت بيد للحسن ابن أحمد أبى العيش بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى واستعمل على المغرب ولده مدين ، وأنزله بعدوة القرويين ، ثم

التحق به جيش كبير الى بلاد تلمسان فأخرج منها الحسن المذكور وتحصن بمدينة مليلية من جزائر ملوية ، ثم زحف ابن أبي العافية الى مدينة النكور فملكها أيضا ، ثم حاصر الحسن في حصنه اه من الاستقصا ، وقال ابن أبي زرع : ثم زحف على مدينة تكرير ، وهي التي تعرف اليوم بتاوريرت ، فتم له الاستيلاء عليها ، وقال في الاستقصا ثم عقد سلما للحسن على حصنه ، وبعث بالبيعة لعبد الرحمن الناصر لدين الله الاموي بالاندلس ، وانقلب على دعوة العبيديين ، ثم قام بدعوته وخطب له على جميع منابر المغرب ، سنة 320 هجرية ، فاتصل خبره بعبيد الله الشيعي بالمهدية التونسية ، بأنه نكث بيعته وبايع للامويين بالاندلس فبعث عبيد الله الشيعي قائده حميد بن سهل الكتامي ، ومعه حامد بن حمدان الذي كان سابقا عاملا على فاس ، وهرب من ابن أبي العافية ، في أمر عدم تسليم الحسن الحجام ، ومعه 20 ألف من العساكر ، فالتقى بابن أبي العافية بموضع يعرف بفحص ميسون ، فجرت بينهما حرب طاحنة ، ثم ان حميد بيته ليلة فضرب في عسكره ليلا ، فانهزم ابن أبي العافية وأصحابه ، وفر الى مدينة بأرض تسول ، تسمى عين اسحاق ، فتحصن بها ، وارتحل حميد بن سزل الى فاس ، فلما قرب منها هرب عنها عاملها مدين بن أبي العافية ، فدخلها حميد بن سهل قائد عبيد الله الشيعي ، ورد عليها عاملها السابق حامد ابن حمدان ، فوصل الخبر لاهل قلعة حجر النسر بخبر هزيمة ابن ابي العافية ، وهروب ابنه عن مدينة فاس فثاروا على ابي الفتح التسولي ونهبوا عسكره وخرجوا من حصارهم الذي دام عليهم أربع سنوات ، وقد تم ذلك سنة 321 هجرية ، واثناء ذلك ثار احد عمال ابن أبي العافية ، أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي على حامد بن حمدان عامل فاس من قبل حميد بن سهل قائد عبيد الله الشيعي ، وقتله ، وبعث برأسه ويولده الى موسى بن أبي العافية ، ثم قام هو ببعثه الى عبد الرحمن الناصر لدين الله الاموي بعدوة الاندلس من غرب اربا ، ونصب عاملا آخر على فاس من قبل ابن أبي العافية داعيا للروانيين بالمغرب ، بعد موت عبيد الله الشيعي سنة 322 هجرية ، وعادت الدعوة في المغرب الى بني مروان ، ثم ولى بعد عبيد الله الشيعي ابنه ابو القاسم بن عبيد الله المهدي ، ولما وصله خبر ما صار اليه المغرب من دعوة الروانيين وجه اليه قائده ميسور الفتى كما عند ابن أبي زرع والخصي ، والاستقصا سنة 323 هجرية ، اثر وفاة والده عبيد الله الشيعي ، فزحف على مدينة فاس فحاصرها أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبي بكر مبايعا بعد أن أحجم ابن أبي العافية

عن لقاءه ، وفر وتحصن بمدينة آلكاى ، وقدم بين يديه هدايا جلييلة ، فقبض ميسور الهدايا والاموال ، ثم ألتى القبض على بكر فقيده وبعث به الى المهديّة التونسية ، ولما انذر أهل فاس عليه واغلقوا أبوابهم دونه ، وقدموا على أنفسهم حسن بن فحاصرهم ميسور سبعة اشهر ، فرضخوا للسلم ، فصالحهم ستة آلاف دينار ، وانطاعا ، ولبودا ، وقربا للماء ، واثانا ، الى أبى القاسم المهديّ الشيعي بالمهديّة التونسية ، وخطبوا فاس كلها فقبل منهم ميسور ذلك ، وارتحل عنهم الى مواضع ابن أبى العافية ، وكانت هذه فرصة سانحة وانتصارا على من بنى ادريس على طاغيتهم وعدوهم أتاهم الله بها من حين ثم التحق أبناؤهم بجيش ميسور الفتى للاحقة عدوهم ميسور العافية ، ثم تبعه ميسور حتى لحق به ، وجرت بين الفاتحة طاحنة ، ولى معظمها الابطال من بنى ادريس ، فقاتلوه حتى أمامهم فى الصحراء ، وتفرق عنه من كان معه من الجيش بالصحراء شريدا طريدا ، الى أن رجع للمغرب فريدا وحيدا فلقى حتفه وقتل ببعض بلاد ملوية ، سنة 331 هجرية ، وقيل سنة 328 وبذلك انتهى أمر طاغية أهل البيت الادريسي عليهم معه ما يقرب من 20 سنة ، ذاقوا فيها أعظم بلاء من والنفى والتشريد ، والجوع والتقييد ، وكانت نيته فى التصفد الى الابادة الكلية ، لولا العقلاء من وجوه رجاله ، الذين فوقفوا فى وجهه ، ومنعوه من تنفيذ مراده ، فى أهل البيت الادريسي واليهم يرجع الفضل فى بقاء هذه الذرية الطاهرة المباركة اليوم ، والحمد لله على فضله واحسانه اذا لكل منه واليا

ترجمة عبيد الله الشيعي

قال المؤرخون : موئل الدولة الفاطمية (قرية سلمية حمص من بلاد ما يعرف اليوم بسورية ، والعبيدية هي ولخوفهم من العباسيين كانوا يختفون من وراء العناوين وراء الاسوار والاحجار والاشجار واللباس ، وقد ارتكبا عليهم حتى لا يرصدونهم فيتمكنوا من قوتهم ، لانهم كانوا آثار أبناء العلويين ، ومن أجل ذلك صاروا يظهرون تارة

وتارة في مغايره ، حتى يلتبس الحال عليهم وتضل عنهم حقيقة أمرهم ، فلا يعيرونهم كبير الاهتمام بهم فينجوا من مكربهم والفتك بهم كما فعلوا بسلفهم ، فمنهم المقتول في المعركة ، ومنهم المسموم ، ومنهم المعضب المسجون وقد مر الكلام على جميع ما نالهم من قبلهم فراجعه في محله ان أردته. ويرجع نسل عبيد الله الشيعي الى نسل ميمون القداح من الديصانيين والديصانية والباطنة هما من صنع أهل البيت العلوي ، صنعوا ذلك كي يتوصلوا الى الظهور عن طريق الدعاة من شيعتهم دون ان يتفطن لهم أبناء عمهم العباسيون ، وقد انتقلوا الى قرية سلمية من البصرة ، وأن عبيد الله المهدي المعروف بالشيعة رأس الدولة الفاطمية العبيدية من نسل ميمون القداح ، واسمه الحقيقي (سعيد بن الحسين) بن عبد الله بن ميمون القداح ، وانه تسمى بعبد الله لما ورد على مصر بالغرض السياسي المذكور ، والعناوين مهما كانت سرية الا وحامت حولها الظنون ، وجعلتها الشكوك في ظلمات حتى لا تتميز حقيقتها فنشأ عن هذا المذهب قوتان كبيرتان : احدهما منظمة معتدلة ، ومركزها قرية سلمية وهي موئل الدولة الفاطمية العبيدية ، ومجمع أسرارها على غرار ما كانت عليه الحميمة أيام الدوة العباسية .

والاخرى قوة منحرفة ذات فوضى وجور ونكوب عن الطريق ، ولاول ظهورها كان مركزها بالعراق ، قد ظهرت بوادر شرها في عهد المعتمد على يد القرامطة من شعية آل علي ، وانظر التاريخ على الباطنية وافعالمهم وأحوالهم ، وان آل علي وشيعتهم يمثل هذا مع مرور الزمن أتوا على الدولة العباسية من أساسها حتى كان لهم شأن الى جانبها أيام ضعف أمرها .

وكان عبيد الله الشيعي أحد الدهاة السياسيين ، وفي نسبه خلاف طويل ، وقد تقدم بعض الكلام عليهم ، وان على الرضى نقيب الطالبين ببغداد قال : انهم منهم ، وقد نقلت من شعره ما يدل على ذلك وانهم أبناء عمهم الا أن السياسة هي التي منعتهم من لباسهم الحقيقي ، وقد كان هذا بث رجالا من شعبيته في المغرب يبشرون بزمان ظهور المهدي المنتظر ، ويدعون اليه ، فاستجاب لهم خلق كثير ، ولما اتصل خبرهم بالمكتفي بالله العباسي طلب القائم بدعوتهم ففر مختفيا الى أن وصل الى سجلماسة ، فقبض عليه عاملها ، وعلى ابنه أبي القاسم ، ولما استفحل أمر داعية عبيد الله الشيعي فسي افريقيا قدم الى سجلماسة وأخرجها من السجن ثم رجعا الى افريقيا ، وببيع له في القيروان البيعة العامة سنة 297 هجرية واستقام أمره ،

وبعث العمال الى النواحي ، واختط مدينة المهديّة بافريقيا (تونس) سنة 303 هجرية و فرغ منها سنة 308 واتخذها قاعدة ملكه الى أن مات بها سنة 321 هجرية ، وكانت أيامه نحو 24 سنة .

قلعة حجر النسر معقل الادارسة

وهو حصن منيع مرتفع جدا طلع في عنان السماء بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثاني ، يطل من احد جانبيه على قبيلتي آل سريف وبنى يوسف وموقعه في الجانب الغربي من قبيلة سماتة ، ويبعد عن تطوان في الجنوب بنحو 100 ميل ، ولن تزال به معالم اثرية من البنيان والنحت الحجري ما يشهد بواقع الامر ، وما كان عليه الناس من العظمة والسلطان في أيامهم حتى في رؤوس الجبال ويوجد تحته قرية صغيرة تسمى (دار الراطى) يوجد بها من جمال النساء ما يلفت الانظار ، وذلك معروف بين سكان قبيلة سماتة ، وغوق القرية المذكورة يوجد مشهد عظيم يعلوه خمس قباب بنى في عهد المولى عبد الرحمن العلوى الوسطى منها لضريح الولى الصالح جد الاشراف العلميين سيدنا العارف بالله تعالى الناسك العابد احمد مزوار المتوفى سنة 350 وتاريخ بناء القبة 1213 هـ وكان المشرف على بنائها عامل العرائش وناحتها السيد ابو سلهام ازطوط وأمام روضته قبر ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس الثاني .

وبعد أن استراح الاشراف الادارسة من عدوهم اللدود موسى بن أبى العافية ودخل سلطانه في خبر كان ، اجتمع الاعيان والوجهاء منهم بقلعة حجر النسر معقلهم وعاصمة أمرهم في الشدة والرخاء في عهدهم الاخير ، ورشحوا لامامة المغرب خيرهم وأفضلهم الامام القاسم الملقب كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثاني ، ثم أخذت له البيعة من جميع مدن المغرب وقبائله ما عدا مدينة فاس لان فيها للمؤرخين قولين ، ثم يأتى ثالث ، (1) للبرنوسى ، فانه قال : لما مات موسى بن أبى العافية ولى الامر بعده ولده عبد الله ابن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الى أن توفى سنة 360 هجرية ، فولى بعد عمله ولده محمد ، وعليه انقضت أيام بنى ابن أبى العافية المكناسيين ، وهناك رواية اخرى في محمد هذا وفي أسلوبها بعض الغموض الاختلاط الامر واشتباهاه على المؤرخين ، ومن تأمل وجد السبيل مذلا سهلا وذلك انه ذكر بعض المؤرخين لايامهم ، انه لما توفى عبد الله بن ابراهيم المذكور ، ولى بعده ابنه محمد المحارب للمقونة فكانت بينه وبينهم حروب

كثيرة الى ان غلب عليه يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين فقتله واستأصل شأفة ذرية ابن ابي العافية من المغرب ، وكانت ايامهم على هذا من سنة 305 — 445 هجرية نحو 140 سنة تمهية وكان يقابله في قرطبة عبد الرحمن الناصر لدين الله الروانى الاموى الى قيام لمتونة ومحاربة يوسف لابن ابي العافية . و (2) يقول لما صلح ميسور الفتى اهل مدينة فاس واخذ منهم البيعة لابي القاسم المهدي بن عبيد الله الشيعي ، أقر عليهم عاملا نصبوه باختيارهم ، وهو حسن بن القاسم اللواتي ، وبقي عاملا عليها حتى اطلق سراح أحمد بن ابي بكر بن عبد الرحمن بن سهل من سجن المهديّة التونسية فرجع الى المغرب عزيزا مكرما عاملا على مدينة فاس ، وبمجرد وصوله اليها تخلى له عنها حسن بن القاسم اللواتي ، واستأنف أحمد بن ابي بكر بن سهل عمله عليها سنة 341 هجرية ومكث نحو 18 سنة اه . وقال : ابن الباز في تاريخه المسمى بجلاء الازهان ، لما فر موسى بن ابي العافية امام ميسور الفتى ، صارت رئاسة المغرب بعد فراره أو قتله على أصح التعبير لابن محمد بن القاسم بن ادريس الثاني ، وهو القاسم كنون المتقدم ، وكان القاسم هذا واخوه ابراهيم ابنا محمد ابن القاسم بن ادريس الثاني ، أخوين شقيقين ، فتقدم منهما لامامة المغرب كنون وهذا لا معارضة فيه مع عامل فاس أحمد بن ابي بكر بن عبد الرحمن ابن سهل على أحد القولين أو محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن ابي العافية ، فان الواحد من المذكورين كان عاملا على فاس وحدها من طرف ابي القاسم بن عبيد الله الشيعي ، وانه أى أحمد بن سهل المذكور كانت له صفة الاستقلال بها عن بقية المغرب .

وكان الامام القاسم كنون واليا عاما على جميع مدن المغرب وقراه ، ما عدا مدينة فاس فان الادارسة ما دخلوا اليها بعد ان أخرجهم منها موسى ابن ابي العافية ، وكانت قلعة حجر النسر حاضرتهم ايام ملكهم الاخيرة ، هذا هو التحقيق في شأنهم بعد البحث والتنقيب عن مناقبهم وأحوالهم ، وكان الامام القاسم كنون يلى شؤون المغرب من قلعة حجر النسر فاتمه اتمام على ولايته بها الى ان توفى سنة 337 هجرية ، على ما في ذلك من الخلاف وكانت ايامه نحو 7 سنوات وكانت ولايته وبيعته بعد وفاة ابن ابي العافية سنة 331 هجرية . ثم ولى بعده ابنه أحمد المكنى ابو العيش وابنه الحسن هو الذى طرده موسى بن ابي العافية من تلمسان وتحصن بمدينة مليبية ومن ثم جهل أمره الى الآن . واحمد أبو العيش بن القاسم كنون بن

محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ، بويح له سنة 337 هجرية لمكانته بين الادارسة وفضله وحلمه كان عالما فقيها ، متدينا ورعا خيرا بتاريخ الناس واحوالهم وانسابهم ، وانساب قبائل العرب والبربر ، وكان يعرف بين بنى ادريس (بأحمد الفاضل) وكان يميل الى تبعية بنى مروان ، ويفضلها ، فانه لما ولى بعد ابيه قطع الدعوة للعبيديين ، وبايع لعبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى بقرطبة ، وخطب له على منابر عمله ، ولكن الناصر لم يقنع منه بذلك ، حتى يقطع طنجة وسبتة ويمكنه منهما ، فامتنع أبو العيش من ذلك ثم بعث الناصر بفصائل الجيوش الى قتاله ، والتضييق عليه ، فصالحه على ما طلب منه ، فأعطاه سبتة وطنجة ، وبقي أبو العيش مع اخوته وبنى عمه على مدينة اصيلا ، والبصرة ، وقلعة حجر النسر ، تحت وطأة الناصر القاهرة ، وفي كنفه متمسكين بدعوته ، ثم ان الناصر لم يكتف بما صالحه عليه أبو العيش من طنجة وسبتة ، بل جعل يجلب الجيوش للمغرب وجعل يحتله ويحارب من لم يدخل تحت طاعته من البربر ، وكان الناصر ممدا لهم بماله ورجاله ، حتى دخل فى طاعته أكثر بلاد المغرب ، وبايعه كبريات قبائله من زناتة وغيرهم من البربر ، وخطب له على جميع منابر المغرب ، من (تاهرت) الجزائر الى مدينة طنجة ما عدا « سجلماسة » ، فانه كان قائما بها لذلك العهد « **مناذر البربرى** » ثم امتد سلطانه الى فاس فبايعه أهلها ، وولى عليهم عامله محمد بن الخير ابن محمد اليفرنى الزناتى ، وكان من أبسط أمراء زناتة يدا ، واعظهم شأنا ، واخلصهم الى بنى أمية طوية ، وذلك لان جدهم حربا أسلم على يد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان يقدمه على قومهم زناتة ، فصارت محبتهم لبنى أمية وراثية ، فأقام **محمد بن الخير** على فاس نحو سنة ، ثم طلب الجواز لارض العدو بقصد جهاد الروم ، وخلف مكانه على مدينة فاس ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان ابن سعيد المغراوى الزناتى ، وهو الذى أمر بتجديد صومعة القرويين بفاس سنة 344 هجرية ، وهذا قول ثالث فى.مصر مدينة فاس بعد ابن أبى العافية ، والعلم كله لله . ولما ضاق الامر بالامام أحمد أبى العيش من فعل الناصر به فى المغرب كتب اليه الى قرطبة يستأذنه فى الجهاد ، وأمر أن يبني له فى كل منزل ينزله قصرا من الجزيرة الخضراء الى الثغر وأن يجرى له فى كل منزل الف دينار فى اليوم ضيافة ، ومن الفرش والاثاث والطعام والشراب ما يقوم بالقصر ، فبنى له ذلك ، وأجرى فيها ما يلزمه ، فكانت منزله فى رحلة 30 منزلا ، فلم يزل متنقلا فيها حتى وصل الى الثغر ، وكان

استخلف على عمله بالمغرب أخاه الحسن بن كنون الذى عصفت به رياح الشرق والغرب فكانت أيامه خاتمة عقد أبناء البيت الادريسي في المغرب ، وأما أخوه المذكور أحمد أبو العيش فاته مات شهيدا في جهاد الروم بأرض عدوة الاندلس سنة 448 هجرية ويعتبر أحمد أبو العيش هذا رئيسا لدولة الادارسة الثانية بالريف ، حيث انها لم تكن في درجة دولتهم الاولى في الاستقلال والاستبداد بالامر في المغرب ، وقال في الاستقصا : وكان السواد الاعظم من اهل المغرب الاقصى لهم محبة موروثه في جانب آل ادريس ، وايتارهم لهم لا يبيغون بهم بدلا ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

ترجمة الامام الحسن بن كنون

وفي سنة 447 هجرية ، ولى الناصر على مدينة طنجة واحوازا يعلى ابن محمد اليفراني فنزلها في قبائل يفران ، وأمضى امره ونهيه فيها ، وكان الامام الحسن بن القاسم كنون آخر من تولى الخلافة الادريسية بالمغرب الاقصى من الادارسة وكان في سياسته كأخيه أبى العيش يميل للمروانيين ، ولم يكن لاحد الاخوين في هذه الدولة الادريسية الثانية الرفية استقلال بالنفوذ السياسى بل كان كل منهما تابعا للمروانيين ، وحيث رأى أخوه أبو العيش ان لا راحة له مع هذه التبعية طلب الخروج من المغرب برسم الجهاد الى الاندلس سنة 443 هجرية ، عهد الى أخيه الحسن بن كنون . وبعد ما اتصل الخبر بالخليفة الشيعى المعز لدين الله (معد) بن اسماعيل العبيدى ، بغلبة الناصر لدين الله الاموى ، واستيلائه على أرض المغرب ، وان القائم به صار مواليا له ، وان جميع من بها من قبائل زناتة والبربر ، رفضوا دعوتهم ، ودخلوا في دعوة بنى أمية ملوك عدوة الاندلس عظم الامر عليه ، ثم بعث قائده **جوهر الصقلى** بن عبد الله الرومى المعروف بالكاتب في جيش كثيف يقدر بـ 20 ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم ، وأمره ان يوطى بلاد المغرب ويذلها ، ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم ، فأخرج القائد جوهر من القيروان سنة 347 هجرية يؤم بلاد المغرب ، فاتصل خبره بيعلى بن محمد اليفراني صاحب طنجة ، وقائد الناصر على عدوة المغرب فحشد قبائل زناتة ، ونهض الى القائد جوهر ، فالتقى الفريقان بمدينة (تاهرت) الجزائر ، فالتحمت الحرب بين الفريقين ، فأخرج القائد جوهر الاموال ويذلها في قواد كتامة ، فضمنوا له قتل أمير زناتة ، يعلى المذكور ولما اشتد القتال ، صممت فرقة من قواد كتامة ، وانجادها ، وقصدوا يعلى

فقتلوه واحتزوا رأسه ، واتوا به الى القائد جوهر ثم بذل لهم مالا جزيلا على النصر الباهر الجديد ، ثم بعث بالراس المذكور الى مولاه المعز لدين الله ، فطيف به في القيروان ، ثم تقدم جوهر الى سجلماسة ، وكان يرأسها محمد ابن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف (بالشاعر لله) وكان قد ادعى الخلافة وتسمى بأمر المومنين ، وضرب السكة في اسمه ، وكتب عليها (تقدست عزة الله) وكانت السكة تعرف بالشاكرية وكانت في غاية الجودة ، وكان سنيا مالكي المذهب ، فنزل عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ، ثم فتحها عنوة ، وهرب الشاكر عنها ، ثم عاد بعد يومين او ثلاثة ، ودخل متكررا فعرف والتى القبض عليه ، وأوثقه جوهر في الحديد ، وساقه أسيرا بين يديه ، حتى نزل على مدينة فاس بعد ان أفنى حماة الصفرية ورجالها بالسيف فحاصرها وادار بها القتال من كل جهة ما يقرب من نصف شهر ، وكان ذلك سنة 349 هجرية ثم فتحها عنوة على يد زيري بن مناد الصنهاجي ، فانه تسنم أسوارها ليلا ودخلها وقتل بها خلقا كثيرا ، فألقى القبض على أميرها ، أحمد بن أبي بكر الزناتي الذي ولاه الناصر عليها ، ونهب المدينة ، وقتل حماتها وشيوخها ، وسبى نساءها وهدم أسوارها ، فكان الحادث بها عظيما ، ثم استولى القائد جوهر على بلاد المغرب بعد ان قتل اولياء المرwanيين ، فخافته البربر ، وذهبت قبائلها أمامه ، فأنفذ أمره في المغرب الاقصى 30 شهرا ، فانتهى الى البحر المحيط واصطاد سمكه وجعله في قلال الماء ، بعد ان دوخ البلاد وأثن فيها وقطع منها دعوة المرwanيين ، وردھا الى العبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، انظر قد وقع كل هذا بالمغرب من القائد جوهر ، ولم يمس شرف الامام الحسن بن كنون ، أمير قلعة حجر النسر ، ولعل ذلك كان بايعاز من رئيسه (معد) لما كان يزعمه من الدعوة الفاطمية ، وفيه دليل على القرابة الجامعة بينهما ثم انصرف القائد جوهر عن المغرب متوجها الى المهديّة التونسية ، حاملا معه أمير سجلماسة ، الشاكر لله وأحمد بن أبي بكر الزناتي ، ودخل بهما أسيرين بين يديه في أقفاص من خشب على ظهور الجمال ، جاعلا على رأسيهما قطنسوتين من لبد مستطيلة ، منبثة بالقرون فطيف بهما في بلاد افريقيا ، وأسواق القيروان ثم ردا الى المهديّة وحبسها بها حتى ماتا في سجنها ، وكان الامام الحسن بن كنون قد بايع للعبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على بلاد المغرب وأخضعه لهم ، وفي سنة 349 هجرية انصرف جوهر الى افريقيا ، دون ان يخلف حامية وراءه من المرwanيين تحمي المغرب منهم ، وبعد انصرافه وجد الامام الحسن بن كنون نفسه مضطرا الى بيعة المرwanيين ، والتمسك بدعوة الناصر ، ثم ابنه الحكم المستنصر فبايع ونكث

بيعة العبيديين خوفا منهم لقرب بلاده من بلادهم ، وأقام على ذلك الى أن قدم **بلكين بن زيري** ، قائد المعز بالله بن معد بن اسماعيل من افريقيا للاخذ بثار أبيه زيري بن مناد ، قد كانت زناته تقتله سنة 361 هجرية ، وحمل رأسه الى الخليفة الاموي الحكم المستنصر بالله بن الناصر بالاندلس فزحف بلكين بجيوشه على زناته ، فقتلهم واستأصلهم ، وقتل جميع المواليين لبنى مروان ، وقطع دعوتهم من المغرب ، وقد اخذ البيعة من جميع اهل المغرب للمعز بالله معد بن اسماعيل ، كما فعل جوهر قبله ، وكان الامام الحسن ابن كنون اول من سارع معه الى قتل اولياء الروانيين ، ونصرته عليهم وكشف عن وجهه في بيعة العبيديين ، والعمل الجدى من أجلهم ، ثم اتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه لذلك ، ولما انصرف بلكين بن زيري الى افريقيا ، بعث الحكم المستنصر صاحب عدوة الاندلس قائده بن القاسم بن طلمس في جيش كثيف الى قتال الامام الحسن بن القاسم كنون ، فخرج من الجزيرة الخضراء مارا في طريقه على سبتة ، في عدد كبير وعدة كاملة ، وذلك في شهر ربيع الاول سنة 362 هجرية فزحف اليه الحسن بن كنون في قبائل البربر ، فالتقى الجمعان في أحواز طنجة بموضع يعرف بفحص مصرخ فكان بينهما حرب عظيمة ، قتل فيها محمد بن القاسم قائد الحكم المستنصر بالله ، وقتل معه عدد كبير من جنوده ، وفر الباقون فدخلوا سبتة وتحصنوا بها ، وكتبوا الى الحكم يستغيثون به ، فبعث اليهم صاحب حروبه وانتصاراته مولاه غالبا ، البعيد الصيت المعروف بالشهامة والنجدة والدهاء ، والخبرة الحربية وأعطاه الحكم أموالا جلييلة ، وجيوشا كبيرة ، وعدة وافرة ، وأمره بقتال آل ادريس واستنزاليهم من معانقهم ، وقال له : عند وداعه ، يا غالب ، سر مسير من لا اذن له في الرجوع ، الا حيا منصورا ، او ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال ، وابسط يدك يتبعك الناس ، ثم خرج غالب من قرطبة فسى آخر شوال ، سنة 362 هجرية .

فاتصل خبر قدومه بالامام الحسن بن كنون ، فخاف على نفسه منه ، واخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمة وأمواله ونخائره الى قلعة حجر النسر ، فعبّر غالب البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصمودة ، فلقية الامام الحسن بن كنون هناك بمن كان معه من جنود البربر ، فقاتله أياما ففسد غالب الاموال الى رؤساء البربر ، لانه الاسلوب الذي جرب لفشلهم فسى الحروب منذ العهود القديمة ، فأخرج غالب الاموال وبثها بين رؤساء البربر ، ووعدهم وأمنهم على مصيرهم ، ففروا عن الامام الحسن بن كنون دون حياء

ولا كرامة ، واياك ان تغيب الفطرة البربرية عنك ، فهي لا زالت خلة موروثية لهم منذ العهود القديمة ولن تزال في عقبهم خلفا عن سلف ، فهي ثلثة نقص في خلقهم وطبعهم لا تفارقهم ابدا والمنصفون منهم يشهدون بها في انفسهم ، ويعدونها نقصا في خلقهم رغم ما أوتوه من عزة نفس ، وحمية أنف ، وكرم طبع ، وشهامة عند اللقاء في المكاره ، وصلابة وشدة في العصبية والرأى ، وهم مع ذلك كله لا يستطيعون الثبات أمام الدينار والدرهم ، ولو كان فيه بيع دينهم بدنيا غيرهم ، مثلهم مثل بضاعة وقود معروضة لمن يملك النفوذ والنقود والسلطة الواسعة والمال الكثير ، فحاجتهم الى شرف المال تقضت على كل شرف . اغناهم الله من فضله ورزقهم الله كرم الطبع والاخلاق الكريمة ورزقنا واياهم الثبات على الايمان والكرامة ، والخاتمة الحسنة ، فلم يبق مع الامام الحسن الا خاصته ورجاله ، وعند ذلك فر بأهله الى قلعة حجر النسر ، وتحصن به ، فتبعه غالب ونزل عليه بجميع جيوشه ، فحاصره وقطع عنه جميع موارد الحياة ، ثم أمده الحكم من أرض العدو بجيش آخر فيه العرب ، ورجال الثغور سنة 363 هجرية .

ثم ازداد الحصار اشتدادا على الامام الحسن المذكور حتى اضطر الى النزول عن الحصن فطلب من غالب الامان على نفسه واهله ، وماله ورجاله ، ثم بعد ذلك يسير معه الى قرطبة فيكون بها ، وينزل اليه عن الحصن ، فأجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه ، فنزل الامام الحسن بأهله وماله ورجاله ، وأسلم الحصن الى غالب ، وبذلك تم له الاستيلاء على جميع بلاد المغرب ، واستنزل جميع العلويين من معانئهم وأجلاهم عن وطنهم ، ولم يترك به رئيسا منهم ، ثم انصرف غالب الى العدو ، وحمل معه الحسن بن كنون ، وجميع من استسلم له من رؤساء الادارسة ، وبعد أن وطأ المغرب فرق العمال في نواحيه ، وقطع منه دعوة العبيديين ، ورد ولايته الى المروانية الاندلسية ، وكان خروجه من مدينة فاس في آخر شهر رمضان سنة 363 هجرية وقطع البحر عن طريق مدينة سبتة ، واستقر بالخضراء ، وكتب الى مولاة المستنصر بالله يعلمه بقدمه وبمن قدم معه من العلويين الادارسة ، وعند ما وصل كتابه الى الحكم المستنصر بالله ، أمر الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب هو في جمع عظيم من وجوه دولته للقائهم والسلام عليهم ، فكان يوم دخولهم قرطبة يوما مشهودا ، وكان ذلك اول يوم من المحرم سنة 364 هجرية ، فسلم الحسن بن كنون على الخليفة الحكم المستنصر بالله فأقبل عليه وعفا عنه ، ووفى له بعهده ، وأوسع له ولرجاله في العطاء ، وأجرى عليهم الجرايات الكثيرة ، وخلع عليهم الخلع

الرفيعة ، وأثبت جميع أهله ورجاله في ديوان العطاء ، وكانوا 700 رجل انجاد يعدلون سبعة آلاف من غيرهم ، وأسكنه قرطبة وأقام الحسن في مأمّن بين أهله وعشيرته سنة واحدة ، وفي سنة 365 هجرية وقع خلاف بينه وبين الحكم المستنصر بالله على قطعة عنبر في شكل غريب ، كبيرة الحجم حملها الحسن بن كنون معه من المغرب لأنه كان يتوسدها ويتكىء عليها ، كان قد ظفر بها من بعض سواحل البحر بالمغرب ، فبلغ خبرها للخليفة الحكم ، فاستوهبها منه ليضمها الى ذخائره ، على أن له حكمه مسمطا (أى سهلا ، مجوزا نافذا) فامتنع الحسن من تسليمها اليه ، فنكبه عليها ، وصادر جميع أمواله حتى القطعة فجعلها في خزانة الامويين ، وظلت محفوظة بها الى أن غلب ابن حمود الادريسي العمراني على المروانية الاموية بالاندلس ، حتى نفذ الى قطعة العنبر التي كانت لابن عمه ملكا فنكب عليها ، ثم وجدها محفوظة قائمة العين ، قد عقيتها الايام حتى رجعت الى أهلها ، ووجد الحكم ذلك سبيلا الى الاستراحة من عبئهم ، والتخفيف من نفقاتهم ، فأمر بتغريبهم ، ثم وجههم عن طريق البحر من المرية الى المهدية التونسية سنة 365 هجرية ، ومنها ساروا الى مصر ، فنزلوا بها على نزار بن معد ، فأقبل عليهم ، وأكرم وفادتهم ، ووعد الحسن النصر ، والاخذ بثاره وأقام عنده نحو 8 أعوام ، من سنة 365 — 373 وفي أيام هشام المؤيد بالله الاموي كتب نزار بن معد بعده على المغرب ، وأمر عامله على افريقيا بلكين ابن زيري بن مناد أن يقوى الحسن بالجيوش الكافية لاحتلال المغرب ، فاقطع له جيشا يوصله قوامه ثلاثة آلاف فارس ، فاقتمح بلاد المغرب حتى وصل — الى قلعة حجر النسر — فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة ، فعاد امره الى ما كان عليه من الظهور بالمغرب فاتصل خبره بالمنصور بن أبي عامر — حاجب المؤيد بالله ، والقائم بملكه — فبعث اليه ابن عمه الوزير ابا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر — المعروف بعسكلاجة — فى جيش كثيف ، وقلده أمر المغرب ، وسائر أعماله ، وأمره بقتال الحسن بن كنون ، فعبر اليه البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، ومنها خرج الى حرب الحسن ، فأحاط به وحاصره اياما — بقلعته — ثم بعث المنصور مددا آخر الى ابن عمه الوزير ، وأجازته من سبتة فى أثره ، قوامه جيش كثيف ، ويرأسه ابنه عبد الملك ، وعند ما ضاق الامر بالحسن ولم يجد منفذا ولا حيلة يلجأ اليها من ابن عمه اضطر أن ينزل بالامان على نفسه وعلى أن يسير معه الى بلاد الاندلس كما فعل فى الاولى ، فأعطاه الوزير ابو الحكم ما وثق به من الامان ، وكتب الى ابن عمه المنصور بالخبر ، وأن

يمضى له الامان ولما بلغ الكتاب للمنصور لم يمض له الامان ، وام
به الى قرطبة موكلًا به من يحفظه ، فعجل الوزير بالحسن ،
الخبر الى المنصور بقدمه بعث اليه من قتله في طريقه ، فدفن
مقتله ، وحمل رأسه الى المنصور وكان ذلك في جمادى الاولى
هجرية ، وبموته تفرق أبناء عمه الادارسة في المغرب ، ولأدوا
ان خلعوا شارة ذلك النسب الشريف واستحالت صبغتهم منه ال
ومن العجب أن ريجا هبت بعد قتل الحسن بن كنون واحتم
فطلبوه فلم يجدوه بعد ، وقالوا ان الحسن هذا كان فظا غليظا ؛
وكان اذا ظفر بعدو أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ا
بقلعة حجر النسر ، الى الارض ، وكان الحصن مرتفعا جدا
خشبة للمجرم فيهوى منها الى الارض فنتقطع أوصاله قبل أن
وبموت هذا العبقرى الادريسي انتهت ولاية الادارسة بالمغ
ابتداؤها يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة
يوم بويج للامام ادريس الاول بمدينة ويلي ، واستمرت الخا
الى أن قتل الحسن بن كنون في شهر جمادى الاولى سنة 5
من سنة 172 — 375 هجرية وتداول هذه الخلافة 12 رجلا
مدة أيامهم 202 من السنين وخمسة أشهر وكانت ولايتهم م
الاقصى الى مدينة تلمسان ، ووهران ، وقاعدة ملكهم الاولى
ثم البصرة ، ثم قلعة حجر النسر ، وكانوا ينافسون الخلفا
الخلافة الا أنهم كان يتعدهم ضعف سلطانهم ، وقلّة مالهم ، ود
سلطانهم بلغ الى مدينة تلمسان ، واذا ضعف واضطرب ال
يجاوز البصرة والعرائش واصيلا ، الى قلعة حجر النسر ال
أيامهم بعد دولتهم الثانية الريفية التي كان ابتداؤها بعد انطا
موسى بن أبى العافية الى نهاية الامام الحسن بن القاسم
الله ، وبموته طقىء سراج الادارسة بالمغرب والدوام والبقا
لا رب غيره ولا معبود بحق سواه .

واليك ملخص من ولى الامر من الادارسة ، مع تاريخ
هجريا وميلاديا الا واحدا منهم فلم يوجد من بين المؤرخين من أث
1 — ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن

172

تـ : 177

- 2 — ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ولى
188 هـ ق 804 م
تـ : 213 هـ ق 829 م
- 3 — محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ولى
213 هـ ق 829 م
تـ : 221 هـ ق 837 م
- 4 — على الاول الملقب حيدرة بن محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول و
221 هـ ق 837 م
تـ : 234 هـ ق 851 م
- 5 — يحيى الاول أخو على الاول ابنا محمد بن ادريس الثانى ولى
234 هـ ق 851 م
تـ : 250 هـ ق 866 م
- 6 — يحيى الثانى بن القاسم بن ادريس الثانى بن ادريس الاول الملقب
العوام ولى
250 هـ ق 866 م
تـ : 292 هـ ق 904 م
- 7 — على الثانى بن عمر بن ادريس الثانى بن ادريس الاول
- 8 — الحسن الاول الملقب (بالحجام) ابن محمد بن القاسم بن ادريس
الثانى ولى
311 هـ ق 904 م
تـ : 313 هـ ق 915 م
- 9 — يحيى الثالث بن ادريس بن عمر بن ادريس الثانى المتوفى جائعا
غريبا ولى
300 هـ ق 925 م
تـ : 332 هـ ق 934 م
- 10 — القاسم الملقب (كنون) ابن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ولى
332 هـ ق 934 م
تـ : 337 هـ ق 929 م
- 11 — أحمد المكنى (أبو العيش) بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم
ابن ادريس الثانى ولى
337 هـ ق 930 م
تـ : 348 هـ ق 935 م
- 12 — الحسن بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ولى
343 هـ ق 935 م
تـ : 375 هـ ق 967 م

ترجمة أكبر النساك العارف بالله مزوار بن علي حيدرة

فهو الولي الصالح جد أجداد الاشراف العلميين سيدي مزوار .
واسمه أحمد بن علي حيدرة بن محمد بن ادريس الثاني بن ادريس الاول
ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة
الزهراء رضى الله عنهم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرد للعبادة
بعد نهاية الفواجع والكوارث العظيمة والحوادث المؤلمة ، التي آلت بأهل
البيت الادريسي بالمغرب ، والتي كانوا هدفها لها عبر عصورهم وأيام حياتهم
في الشرق والغرب ، في ملجأه الاخير بقلعة حجر النسر الى أن توفي بها ،
ودفن هنالك بالقرب منها ، فهو معدود في سلك البارزين من العارفين بالله
في السلسلة العلمية الى ان انتهت الى حفيده الشيخ الجامع « القطب »
اللامع مولانا عبد السلام بن مشيش خاتم تلك الفواجع والاحداث التي
أودت بحياة الكثير من أختيارهم وعبادتهم ، وكانت قلعة حجر النسر ملجأهم
الاخير بعد نكبة ابن أبي العافية الذي كان يريد تصفيتهم من المغرب ، فبارك
الله في أعقابهم حتى كان منهم الخير الكثير ، ولن تزال ذريتهم متفرقة
في قبيلتي سماتة وبنى عروس الى يومنا هذا ، وتقدم الكلام على ضريحه
في الكلام على قلعة حجر النسر ثم ارتبطت حلقات السلسلة وتتابع
بالاحفاد من صلبه الى الآن وحتاه حسبما تقف عليه مسطرا محفوظا نقلا
عن العلماء الاعلام من أهل الدراية بأنساب أهل البيت الكرام من أهل سكان
جبل العلم وغيرهم ، ومن بينهم أولاد الشيخ مولانا عبد السلام ، واليك
اسماءهم على الترتيب ، وفي بدايتهم الولي الصالح الذي عقدت الترجمة
من أجله . فهو رحمه الله الولي الصالح سيدي (1) أحمد مزوار بن علي
حيدرة ابن محمد بن ادريس الثاني ، بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل
ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

(2) ثم ابنه سيدي سلام بن مزوار دفن بالقرب من قرية مجمولة
بموضع يدعى (البيمل) دفن بالقرب من دار سكناه التي كان يعرف موضعها
عند أهل البلد (بالركن) وكانت خربتها باقية الى هذا التاريخ فخرّبها بعض
الجهلة ليحرق موضعها ويقع هذا الموضع على بعد ميل من سوق خميس

بنى عروس الى جهة القبلة عن يسار الصاعد الى قرية مجمولة .

(3) ثم ابنه الولي الصالح سيدي عيسى بن سلام المذكور اعلاه دفن بالقرب من قرية بوعمار بموضع يقع أسفل القرية من جهة القبلة ايضا (4) ثم ابنه الولي الصالح سيدي بوحزمة بن عيسى المذكور اعلاه ، دفن بالقرب من قرية مجازلين .

(5) ثم ابنه الولي الصالح سيدي علي بن أبي حرمة المذكور اعلاه دفن بأرض أوجة على جرف الوادي تجاه قرية بوجبل بالقرب من سوق الخميس على نحو نصف ميل عن يمين القبلة ، وبه سمى السوق المذكور فيقال له خميس سيدي علي .

(6) ثم ابنه الولي الصالح « سيدي أبو بكر » بن علي المذكور اعلاه دفن بالقرب من قرية عين الحديد بموضع يدعى بغابة الدك عن يمين طريق السيارات الصاعدة الى سوق الخميس وهو على بعد عنه بنحو أربعة أميال . ومن سلام المذكور اعلاه الى أبي بكر لم يوجد لاحد منهم الا عقب واحد ليس له غيره ، ولأبي بكر هذا سبعة رجال ، وكان عقبه من خمسة منهم ، وفيهم يجتمع النسب العلمي من قبيلتي بنى عروس وسماتة ، واثنان لم يعقبا وهما سيدي ميمون بن أبي بكر دفن قبيلة سطا في أعلى الجبل وهو مزاراة مشهورة بين أهل تلك البلاد ، والآخر سيدي الفتوح بن أبي بكر دفن بموضع يدعى العناصر بالقرب من مدشر عين زيانه ، وعلى مسافة قريبة من مدفن أبيه ، ويتعاهد زيارته أهل تلك البلاد المجاورة له ، وأما الإبناء الخمسة المعقبون فسيأتي الكلام عليهم مع ترجمة كل واحد منهم ، وهؤلاء من مزوار الى الشيخ مولانا عبد السلام كانوا يعيشون في فترة تاريخية ما بين سنة 235 الى سنة 530 تقريبا ، حيث انفالم نعر على أي تاريخ لاحد منهم لانهم كانوا يعيشون في ظروف تحت المراقبة والاهمال السياسي ، ولم يبق لهم الا الحياة الروحية .

سبب تسمية القبيلة ببنى عروس

ويعلم ذلك مما يذكر ، وتلقيته عن اكابر قبيلة بنى عروس ، وذلك ان قصة مجيء الولي الصالح سيدي سلام بن مزوار اليها لما روى في قصة مجيئه ما كان السبب في تسميتها بهذا الاسم ، ويرجع سبب ذلك الى أن

بعض قبائل الهبط التي كانت تسكن بالقرب من قلعة حجر النسر ، لما سكنت
الفتن وارتفع سوط العذاب عن بنى ادريس ، وبقيت منهم بقية بقلعة حجر
النسر وكان على رأسهم مزوار ، اجتمع أهل الفضل والدين من أخيار السكان
المجاورين ، وقالوا نذهب الى هذا الشيخ بقلعة حجر النسر ، وناتى برجل
من أهله نسكنه بيننا تبركا بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في بلادنا ،
واجتمع من أجل ذلك بعض أهل هذه الطوائف التي ستذكر وهي 8 طوائف
وهم : 1 — أولاد العافية ، 2 — وأولاد بوحراث ، 3 — وأولاد الرواص ،
وكانوا يدعون بأولاد عبد الله ، 4 — وأولاد النقموش ، 5 — وأولاد
الكموش ، 6 — وأولاد سبو ، 7 — وأولاد الحايك ، 8 — وأولاد العبوري ،
ولا تزال بقية أعقاب هذه الطوائف بقبيلة بنى عروس وسماته ثم انتدبت هذه
الطوائف افرادا عنها ، فذهبوا الى قلعة حجر النسر ، وكان رئيس القوم
العابد الناسك الولي الصالح سيدي مزوار ، وتقدم أن له اسما غير هذا
وأما كلمة مزوار فكانت تطلق على رئيس القوم ونقيبهم ، وكان رحمه الله
رجلا دينيا من أهل الخير والصلاح والتقوى ، فاتصلوا به وتقدموا اليه طلبهم ،
وما اقتضته وجهة نظرهم بأن يرسل معهم من أولاده أو أهله من يسكن معهم
تبركا بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان منه الا أن لبي طلبهم
وحقق رغبتهم ، فانتدب ابنه « سلما » واسمه عبد السلام ، وأطلق عليه
سلام تخفيفا للاسم الاول ، قيل كان في تلك الايام عريسا ، فوقع اختيار أبيه
عليه لما قيل من أنه جمع أولاده أو أهله ، وأجرى عليهم اختبارا دقيقا لم
يتفطنوا لما هو المقصود منه ، وجعل يدعوهم ويختبرهم واحدا تلو الآخر
بسؤال كان يلقيه عليهم ، وهو : يا ولدى من يصنع معك الخير والمعروف
في حياتك ، بماذا تكافئه ؟ فيقول طبعاً أكافئه بالخير ، ومن يعمل معك الشر
بماذا تكافئه ؟ فيقول طبعاً بالشر ، : وجزاء سيئة سيئة مثلها « ثم يتركه
وينادى الآخر ، فأجابوا كلهم بجواب واحد ، الا سلما العروس فإنه أجاب
على عمل الشر بقوله : أنا أكافئه على شره بالخير حتى يغلب خيري على
شره ، فعند ذلك أجابه أبوه قائلاً له : يا ولدى أنت الذى تصلح لمعاشرة
الناس ، لما أعطاك الله من مكارم الاخلاق ، والصبر على المكروه ، ومجازاة
السيئة بالحسنة ثم ذكر له الغرض المذكور الذى جاء الناس من أجله ، فقال
له : يا أبت أنا فى طاعتك ورضاك ، فافعل ما بدا لك ، تجدنى شسع نعلك ،
ولا اعصى لك أمراً ترى فيه صلاح حياتى . فأمره بالاستعداد للتوجه صحبة
القوم للإجابة الى ما طلبوا ولما أخذوه صحبة زوجه العروس ، وأرادوا
مغادرة القلعة ، أوصاه بتقوى الله والصبر والسماحة فى معاشره القوم ، ثم

دعا لهم بالخير والبركة والاستقامة في طاعة الله تعالى : وقال لهم : قد أعطيتكم « ابني عروس » فكونوا منه كما تكونون لانفسكم واهليكم فهو واحد منكم واليكم ، ثم ودعهم وانصرفوا به آييين الى قراهم ولما بلغوا الى ارض تدعى البيمل بالقرب من مدشر مجمولة اليوم حيث يوجد مدفنه بها ، وكانت تلك الارض ملكا لاحد اولاد الرواص الذين كانوا يسمون بأولاد عبد الله احدى الطوائف المنتدبة المتقدمة الذكر ، وكانت ارضا زراعية خصبة ، عند الوادى الكبير فعرضها عليه فأعجبته وأعجبه المقام بها وأراد اولاد العافية أن يصحبوه معهم الى قريرتهم ، وكذلك اولاد بوحرث ، ولكنه أبى عليهم وقال لهم هذا هو المنزل ان شاء الله ، وعند ما حظى الرواص بمقامه بأرضه تبرع عليه بها وجعلها له هدية ، قائلا له : « قد أهديتها لك مجمولة » ثم تكونت قرية بالقرب من هذا المكان ، وأطلق عليها اسم مجمولة ، وهى موجودة الى اليوم وأكثر سكانها حفدة الولى الصالح العروس ولن تزال بقية من اولاد الرواص بها يسكنون معهم الى الآن ، ثم سكن الولى الصالح بها مدة حياته حتى توفى ودفن بها ، ولم يخلف سوى ولد واحد اسمه (عيسى) فتنازعت فى أخذه معهم الى قريرتهم طائفتا اولاد العافية ، وأولاد بوحرث ، وكانت طائفة اولاد العافية أقوى من طائفة اولاد بوحرث فأخذت نجل الضيف الكريم الى قريرتها وعاش معهم وبين أكنافهم حتى توفى ودفن بالقرب من قريرتهم حيث هو الآن ، بالمشهد العظيم ، ولن تزال القرية المسماة مرج حمود عامرة بأبناء اولاد العافية الى الآن ، ويعتبر أهلها من أقوى قرى بنى عروس كما وكيفا ، ولم يخلف الولى الصالح سيدنا عيسى ابن سلام سوى ولد واحد اسمه « بوحرمة » أخذته الى قريرتها مجازلين طائفة اولاد بوحرث وعاش بين أكنافهم مكرما مرفوعا كأبيه حتى توفى ودفن بالقرب من القرية المذكورة ، وعليه مشهد عظيم مثل مشهد أبيه ، ولم يخلف الولى الصالح سيدنا بوحرمة بن عيسى سوى ولد واحد اسمه « على » تربى بين أحضان أبيه وامه عزيزاً مكرما ، ولما توفى دفن بالقرب من مكان جده سلام العروس ، ويعتبر هذا الموضع بمثابة القلب من قبيلة بنى عروس ، وليس لهما مشهد بل عليهما حوش من الحجارة كالعادة ، ولم يخلف الولى الصالح سيدنا على بن بوحرمة ، سوى ولد واحد اسمه « أبو بكر » بن على ، وعاش بقرية الحصن ، وتوفى بقرية عين الحديد ودفن بالقرب منها بموضع يدعى بغاية الدك ، وعليه مشهد عظيم ، وان دلت تلك المشاهد الفخمة المبنية فى وسط الغابات ، تحيط بها الاشجار الباسقة المخضرة على شىء فانما تدل على مقدار اعتناء المحبين لاهل بيت

النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، ويذكر أنه توجد عادة متبعة لاحفاد أولاد العافية ، من لدن أجدادهم الاقدمين خلفا عن سلف ، هي تحظير مقبرة الولي الصالح سيدنا عيسى بن سلام المتقدم ويفتتحون بها موسم الحرث من كل سنة ، ومن أجل ذلك ظلت بركة هذه النية الحسنة مضافة على أهل هذه القرية الخير والبركة الى الآن ، ولن تزال ميزة خاصة بهم في لم شملهم وجمع كلمتهم ، وهي ظاهرة فريدة لهم حتى ان الكلمة والرأى في قبيلة بنى عروس لن يبيت ذيبها دونهم ، وعليهم الاعتماد في الامور الجليلة ولو أتيت قريتهم ، وخبرت مجتمعهم لرأيت فيهم من التوفيق والوفاق ، وسداد الرأى وجمع الكلمة ، والحزم في الامور شيئا عجبا ولن يكون نساؤهم بأقل من رجالهم في ذلك كله فهم عهد من الآباء توارثتها الابناء ، وعند ذلك يتحقق ولا ريب ان صلاح الفرع من صلاح أصله ، بأن سابقهم فازوا بدعوة مستجابة تخلدت بركتها في أعقابهم الى اليوم وما بعده ان شاء الله ، أن لم يرفضوا العهد بينهم وبين أسلافهم ، فان رفضوا : فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

والملاحظ على طائفة أولاد بوحرث أهل قرية مجارلين انهم كانوا أهل قوة وشدة بالاضافة الى ان لهم سمعة طيبة ، كما انهم من أهل الخير والدين والصلاح ، وأنتجت قريتهم رجالا كانت تشار اليهم الأصابع في سداد الرأى وعلو الكلمة والجاه ، وقد كان مجتمعهم يكاد ينافس الطائفة الاولى في اختصاصاتها ، ولن يزال ذلك وراثه لهم عن أسلافهم الى العهد القريب فانهم أصابهم نكسة وجعل بأسهم بينهم وأصابهم تدهور لما ساد الغاؤون منهم وجعل بعضهم ينتقم من بعض ارضاء لشهوة الحسد ، وحقدا على التنافس العائلى ، وأظن ان ذلك أصابهم عند ما ساد المغرورون منهم وانحرفوا عما كان عليه أسلافهم مع أهل البيت المقيمين بينهم ، وارتموا على دعوة النسب النبوى لانفسهم وانهم من أعقاب أولاد مولاي عبد السلام، ورفعوا قضاياهم مع أولاد مولاي عبد السلام الذين منعوهم من اخذ فتوحاته معهم الى المحاكم وزوروا حججا بذلك وادعوها لاسلافهم ، والحق ان أسلافهم كما علمت بريئون منها فكانت عاقبتهم ان حكمت المحاكم ببطلان ما ادعوه كما يستتف على ذلك في آخر الكتاب ان شاء الله ، ورجاعى منهم أن يتوبوا ويأووا الى رشدهم ولهم في التقوى والدين وصحة أهل الخير والفضل والصلاح أعظم شرف ، تلك هي طريقة أهل الخير والدين من أسلافهم ، ولو فكروا قليلا أصلح الله من شأنهم لآووا الى رشدهم وكانوا خير مجتمع

من خير أناس يضاھون بذلك ما كان عليه الآباء والاجداد من خير ورشاد ،
رحمهم الله وأثابهم وأسكنهم فسيح جناته ، وفقنا الله وإياهم لما فيه رضى
الله ورسوله .

ترجمة أبى بكر الجد الجامع لنسب العلميين

فهو الولى الصالح سيدنا أبو بكر الجد الجامع لنسب العلميين بن
الولى الصالح سيدى على بن الولى الصالح سيدى أبى حرمة بن الولى
الصالح سيدى عيسى بن الولى الصالح سيدى سلام العروس بن الولى
الصالح سيدى مزوار . ولم نعثر على من ذكر رقما تاريخيا لهؤلاء الاجلاء ،
ولعل الامر راجع فى ذلك الى ظروف الاهمال التى تحتها حالة العباد
والزهاد فى الدنيا ، وخصوصا هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى بعد عن
السياسة والظهور تحت الرقبات التى أعقبتهم بعد دولتهم كما هو الشأن
فى كل من عاش الحياة الدولية ثم أبعد عنها ، ولعله كان يعيش حوالى النصف
الثانى من القرن الخامس .

بيت الولى الصالح سيدنا أبى بكر

خلف الولى الصالح سيدنا أبو بكر الجد الجامع لنسب العلميين من
الاولاد الذكور سبعة ، اثنان منهم لم يعقبا وقد تقدم الكلام عليهما ،
والمعقبون منهم خمسة أجلة ، نذكرهم على سبيل الترتيب وهم : ابنه الاول .

(1) سيدنا (سليمان) المشتهر بلقب « مشيش » بالميم ، وقيل بالباء
دفين قرية أغيل عليه حوش فوق القامة مطلقا بالجير ، وبالتقرب من الخلوة
المخضرة مسجده القائم الى الآن واثار دار سكناه ، ولن يزال مسجده محفوظا
للصلاة لا يصل اليه الا من أراد الصلاة والعبادة والذكر فى الخلوة ، وأما
القرية المذكورة فقد أتفرت منذ ما يقرب من 52 سنة هجرية ، وتفرق سكانها
فى القبائل المجاورة وكان منهم الفقيه العلامة الشهر المعروف بالفقيه مرسوا
المتوفى اثر احتلال الاسبان لجبل العلم ، وهو السبب فى جلاء أهل القرية
عنها ، وكان ذلك بعد فرض الحماية على المغرب ، عام 1346 هجرية موافق
1927 ميلادية ، ودفن بالقرب من ضريح عمه سيدى مشيش ، وبالتقرب
من الضريح المذكور دور قلية ساكنة تسمى بوعلقمة ، وهى قرية من
مدشر أغيل الخرب .

(2) ابنه سيدنا « يونس » بى أبى بكر ، دفن بأعلى قرية الحصن

في سفح جبل العلم من جهة القبلة ، وعليه حوش من الحد
في قليل من أشجار الدلم .

(3) ابنه سيدنا « على » بن أبى بكر دفين قرية م
ضريحه بالقرب من القرية المذكورة في خلوة من الأشجار
حوش من الحجارة دون طين وتحيط به مقبرة لحفدته وبنى
من سكان اهل القرية .

(4) ابنه سيدنا « أحمد » بن أبى بكر دفين بغابة الدك
داخل السور في جهة القبلة عن يمين الصاعد الى القرية
من الحجارة دون طين .

(5) ابنه سيدنا « محمد » بن أبى بكر الملقب المهلى ،
الى جانب قبر أبيه بغابة الدك ، ولا يبعد عنه الا بنحو خم
وعليه حوش من الحجارة دون طين ، مطلى بالجير ، م
القرية وغيرهم من اهل القرى المجاورة لهم . فهؤلاء الذ
هم المعقبون من اولاد سيدنا أبى بكر بن على رحمهم الله
كل من صحت نسبته الى جبل العلم ، دون غيرهم من أبناء
ولو سكنوا بينهم بالحرم العلمى . ولن يزال عقب كل واحد م
المذكورين الى الآن ، في دائرة عائلات كثيرة متفرقة في ق
وغيرها ، وسنأتى لك بتفصيل عن تلك العائلات الشريفة
وربطها بالمشاهير من الآباء والاجداد ، حتى تراها موصولة
في الصدور عن طريق المعرفة والمشاهدة العيانية الى ر
الله عليه وسلم حسبما وثقت عليه مضبوطا ومفصلا في
العلمى لعدة نقباء رسميين كانوا منتدبين لاجل هذا ال
دولهم التى عاشوا معها ، ومبتدئا في ذلك بالابن الاول لسيدنا
الرقم الاول المتقدم ، الى نهاية الرقم الخامس ، من س
سيدنا محمد المهلى ، وقد ابتدئ بمشيش لكثرة عقبه ،
الاكثرية من الشرفاء العلميين ، وبالله التوفيق وعليه التذ

البيت المشيشى

قد خلف الولى الصالح (سليمان) الملقب « مشيشر
ولا يعرف له غيرهم .

(1) الشيخ الجامع والقطب اللامع صاحب الاشارات العلية ، والعلوم الفقهية والدينية والهمة العرشية ، من حاز الكمالات ، في المواهب الالهية : وذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم « أبو محمد » مولانا عبد السلام « بن مثنيش دفين تنة جبل العلم حيث هو موجود وضريحه قائم الى الآن .

(2) أخوه الاكبر منه سنا الولي الصالح سيدنا « الحاج موسى الرضى » دفين أعلى قرية دار بجاو بالقرب من قرية تزروت العلمية ، ولا يبعد عنها الا بنحو ثلاثة أميال ، وعليه حوش بناؤه مرتب من الحجارة دون طين في قليل من أشجار البرى ، وبالقرب منه مسجده للصلاة ، ولا يزال بناؤه محفوظا لمن أراد الصلاة والذكر في الخلوة ، توفي قبل أخيه الشيخ المذكور بـ 20 سنة ، ويروى ان الشيخ المذكور كان يزور قبر أخيه كل جمعة الى وفاته . وكان يلتقيه في طريقه الى قبر أبيه .

(3) أخوها سيدنا « يملاح » بن مثنيش المدفون وراء قبر أبيه على أمتار بينهما وعليه حوش من الحجارة نحو الذراع مطلقا بالجير ، وكلهم اشقاء من الام المصونة سيدتنا زهرة ، أخت سيدنا ابراهيم بن عريف دفين وسط الجبل ، ويعرفه كل الناس لانه مزاراة مشهورة متبرك به حيا وميتا ، ينتهى نسبها لسيدى حنين فهى شريفة عمرانبة ادريسية ، مدفونة بموضع يعرف بخندق ابران كانت به قرية فخرت قديما ، وعليها حوش من الحجارة دون طين مطلقا بالجير ، يظهر للعيان من تنة المنازه .

بيت الشيخ الجامع مولانا عبد السلام

قد خلف الشيخ المذكور مولانا عبد السلام بن مثنيش أربعة رجال وبناتا واحدة اسمها فاطمة ، وهم ولده :

(1) سيدنا « محمد » وهو اكبر اولاده سنا المدفون وراء ظهر أبيه داخل الروضة المباركة ، وبين يدي أبيه خديمه ابن خدامة ، فالروضة الشريفة مشتملة على ثلاثة قبور لمن ذكر ، ذكره الشيخ مولاي عبد الله الغزوانى ، ونقله من خط شيخه العلامة سيدى محمد بن أحمد المسناوى رحمه الله . ثم ولده .

(2) سيدنا « أحمد » بن مولانا عبد السلام ، مات في حياة أبيه رجلا ذا اولاد ودفن بالقرب من دار سكا أبيه ، بموضع كان يدعى (ادياز الفوقانى) كانت به قرية فخرت قديما ، ولم يبق بها الا الاطلال ، وكانت

توجد هذه القرية على مسافة ميلين من ضريح القطب ، ومنها كان يصعد للعبادة بمسجده المعروف بقنة الجبل المدعو اليوم بجامع الملائكة ، وانتقل اهل القرية الخربة الى موضع آخر قريب من الاولى اسفل منها بموضع فضائي لان القرية الاولى كانت تحيط بها غيظة الاشجار من كل جانب ، ويوجد بها رسوم دار الشيخ رحمه الله ومسجده الخريتين ، ومن وراء المسجد عدة قبور اكثرها للاطفال محيت تعاليمها الا قليلا ، ومن بينها قبر زوجة الشيخ مولانا عبد السلام سيدتنا خديجة بنت عمه ، ولن يزال معلما باثنا وبالقرب منها عين ماء لا زالت على حالها ولم تتغير مع طول الزمن ، وسيأتى التعريف بزوجة الشيخ قريبا رحمهما الله ، وبأسفل دار الشيخ بقليل يوجد ضريح ابنه السيد احمد المذكور ، وعليه حوش من الحجارة المرتبة دون طين مطلى بالجير ، وبالقرب منه بنيت له مسجد لمن اراد العبادة والخلوة فيها ، قد أتممه في العهد القريب اولاد السيد احمد المذكور : اولاد الطريق واولاد أبلال ، ومن هذه القرية كان الشيخ رحمه الله في أيام الدفاء يخرج من داره في الثلث الاخير من الليل ، ويصعد الى مسجده الخاص ، وكان له مسجد آخر بالقرب من عين البركة نعهده قائم البناء قبل احتلال الاسبان لشمال المغرب ، ثم خرب وبقى بموضعه كومة من الاحجار ، والى جانبه المصلى الصفيى لن يزال قائم العين ، وكان الشيخ رحمه الله يتوضأ بعين البركة ويصعد لمسجد بقنة الجبل المعروف اليوم بالمنازه ، وبالقرب من باب المسجد توجد مغارة الشيخ على بعد نحو اربعة أمطار ، وهى صالحة للجلوس فقط كان يعمرها في وقت الحر متجه القبلة ، وعن يمين المسجد على مسافة نحو 70 مطرا توجد مغارة أخرى ، كان يسكنها في العهد الاخير عابد يدعى الحاج الودراسى وقد بنى اليوم فوق المغارة الاولى خزان للمياه ، الا ان صخرة المغارة لم تتغير ومن الخزان المذكور يتدفق الماء الى محلات الوضوء بالضريح ، والى القرية والسوق . وياخذ الخزان المذكور ماءه من عيون بأسفل الجبل على مسافة نحو ميل ونصف من الضريح ، من الجهة الغربية ، وكان اصلاح هذه المياه داخلا في الاصلاح الجديد الذى انشئ بضريح الشيخ سنة 1392 هجرية ق 1972 م بواسطة جهاز نارى اعد لذلك فى بناية محكمة ، ومسجد الشيخ الذى بجانب المغارة مبنى بحجارة مرتبة دون طين ، مفروشا بالفرشى ولم يزل بناؤه على حاله القديم لم يتغير فيه الا نافذة كانت بمحرابه كان الشيخ يرقب منها الفجر ، ولعله خرب وأعيد بناؤه فتركت .

(3) أخوها سيدنا « على » المدعو علال بن الشيخ مولانا عبد السلام دفن في مدينة شفشاون حيث مقبرة حفيده مولاي على بن راشد مؤسس مدينة شفشاون ، وعليه حوش مبنى نحو القامة بناء عاديًا مطليا بالجير وقيل غير ذلك .

(4) أخوهم سيدنا « عبد الصمد » بن مولانا عبد السلام بن مشيش ، توفى رحمه الله بقبيلة بني مصور ، ودفن بالقرب من قرية المنازل ، وبني عليه حوش من الحجارة دون طين ، تحيط به أشجار الغابة الملتفة ، وحوله مقبرة لاهله وللجيران القربى منه .

الزوجة المصونة سيدتنا خديجة اليونسية

وكل الانجال البررة الكرام أشقاء من أمهم المصونة سيدتنا خديجة بنت عمه سيدنا يونس رحمه الله فهي شريفة علمية ، ولم يثبت انه تزوج غيرها وقد حذفت من الترتيب اسم بنت الشيخ مولانا عبد السلام سيدتنا فاطمة شقيقة اولاده الاربعة المذكورين ، اكتفاء بذكرها أولا ، ولانهم في دواوين النسب لا يذكرون في تراجمهم الا الرجال ، للاعتداد بالنسب من طرف الرجال فقط ، واما البنت فلا يذكرونها الا على وجه التبعية لآخوتها ، وسيأتى الكلام عليها قريبا عند زواجها ، وفي آخر جمادى الآخرة سنة 1392 هـ ق 28 غشت 1972 م تيسر لي أن أصل إليها وأزور قبرها بالموضع المذكور سابقا ، وترحمت عليها وأهديت الي روحها سورة من القرآن الكريم ، وقد رافقتني الى زيارتها رجلان محبان لم أكن قد عرفتهما قبل فسألاني عن القبر لمن هو فعرفتتهما به ، ولم يبق من علامة قبرها الا الحجر الاساسي المغروز في الارض ، فجعلت أرد الحجارة الى تعليم القبر فأعاناني عليه حتى عاد القبر معلما كما كان .

زواج السيدة فاطمة بنت القطب مولانا عبد السلام

لما بلغت السيدة فاطمة بنت القطب مولانا عبد السلام سن الزواج ، وكان لديها ابن عمها الشاب الأنجب سيدنا « محمد » بن يملح ، الذي مات أبوه عنه وتركه صغيرا يتيما فربى في حجر عمه الشيخ مولانا عبد السلام ، وتحت ولاية نظره ورعايته وكانت السيدة فاطمة من سهمه وسعادته زوجة له ، تزوجها على الكتاب والسنة وكان تزويجها منه بإشارة من عمه سيدنا الحاج موسى الرضى .

وقصة ذلك حسبها وفتت عليه منصوصا في مناقبهم ، هي ان الشيخ المذكور سيدنا الحاج موسى الرضى اقترح على ابن اخيه محمد بن يملاح ان يتزوج ابنة عمه السيدة فاطمة ، مع العلم بأنه ربي في حجر عمه وتحت حضائته يتيما فقيرا ، فأجاب عمه المذكور ، قائلا له : قد علمت ان عمى كفلنى صغيرا وربانى وأنا الآن أستحيى ان أكلمه فى شىء كهذا ، ! فكان من أمره ان أخذ بيده وذهب به الى أخيه ، ولما دخلا عليه وجلسا عنده قليلا ، ودار الحديث بينهما اقترح سيدنا الحاج موسى الرضى وجهة نظره على أخيه الشيخ مولانا عبد السلام فى أن يزوج ابنته السيدة فاطمة من ابن أخيه السيد محمد بن يملاح ، قائلا له : يا أخى زوج ابنتك من ابن أخيك السيد محمد بن يملاح ، فانه كفؤ لها وابن عمها بكلمة الله العلية ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى اليها استناد البرية فسكت الشيخ قليلا عن اجابة أخيه مفكرا فى الامر ، ثم تكلم السيد الخاطب ولعله فهم علة السكوت من أخيه فأجابه بأبيات ، وهى هذه :

يعيب الناس كلهم الزمانا وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا فلو نطق الزمان اذا هجانا
فليس الذيب ياكل لحم ذيب وناكل بعضنا بعضا عيانا

ثم تكلم أبو الخطيبة الشيخ مولانا عبد السلام ، فقال : الحمد لله الذى جعل النكاح عصمة لانبيائه ، وشعارا لمن تمسك بالدين وارتنى بردائه ، فسكت ، ثم تكلم الشيخ الخاطب فقال : مكتوب فى التوراة ، الكريم لا يضام أبدا ، وفى الانجيل : مال البخيل تاكله العدا ، وفى الزبور : الحسود لا يسود أبدا ، وفى الفرقان : والذى خبث لا يخرج الا نكدا « ثم تكلم أبو الخطيبة مجيبا أخاه وقائلا له : انى قد فوضت اليك فى شأنها فزوجها منه . ويظهر من محاوراة الشيخين ان موضوع محاورتهما كان يدور حول الكفاءة الاقتصادية ، وقد علم الشيخ مولانا عبد السلام رحمه الله ان ابنته لا ترضى بابن عمها الذى ياكل من تحت يد أبيها ليتمه وفقره ، فكان الامر كذلك ، ولم ترض بالزواج منه ، فأجبرها عمها الخاطب فرفضت أن تتزوج منه ، ولم تتزوج منه الا بعد أن أرضاها أبوها تطيبيا لخطرها ، بأنه يضمن لها السعادة الدنيوية ان اجابت وقبلت ، فقبلت على مضض حياء من أبيها وعمها ثم تزوجت منه ، فأنجبت له ببركة الله ولدين ذكرين هما السيد عبد الغفار والسيد عبد الجبار ، فهما أصلان وجدان للثرفاء اليملاحيين حيثما كانوا ، ولهذا السبب أطلق عليهما « شرفاء دار الضمانة »

وأدركننا الآباء والأجداد يتحدثون بهذا وأما ما يروى من أنها كانت قبيحة المنظر فامتنع ابن عمها المذكور من الزواج بها ، فأرضاه أبوها بأنه يضمن له السعادة الدنيوية ثم تزوجها ، فهو من الحدسيات التي يتطفل بها غيرنا علينا ، وليس في بناتنا الاصيلات من هي قبيحة المنظر الى الآن وذلك معلوم مشهور عن طريق الحس والعيان فلا يحتاج الى بيان : وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

بيت سيدنا محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام

قد خلف الولي الصالح سيدنا محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام ولدا واحدا اسمه عبد الكريم ، دفن قرية تزيه بحومة أولاد عيسى فوق طريق السيارات الصاعدة الى ضريح جده الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ، ويقع قبره الشريف تحت شجرة الدلم الكبيرة الحجم ، وعليه حوش من الحجارة دون طين طلى بالجير في العهد القريب ، وبالقرب منه مقبرة لاحفاده وأهله وأبناء عمه .

بيت ابنه سيدنا عبد الكريم

قد خلف الولي الصالح سيدنا عبد الكريم بن سيدنا محمد بن القطب مولانا عبد السلام على الاصح ولدين ذكرين هما السيد عبد الوهاب ، وأخوه السيد عبد الواحد وأما ما قيل من أن هناك ثالثا اسمه العافية ، وذكره صاحب مرآة المحاسن في طرة وألحقه بسيدى محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام ، وادعى انه اخ للسيد عبد الكريم ، فهو من المدسوسين في النسب العلمى ولا أصل له فيه ، وأظن انه دسته فيه اليد الآثمة ، لاننا قد بحثنا أولا عن اسمه العافية بين الادارسة فلم نجده الا واحدا عند القاسميين لما قد علمت من أن هذا الاسم هو اسم لعدو الادارسة ، وليس من المعقول أن يسمى أحد ابنه باسم عدوه ، فضلا عن الادارسة بأنهم غالبا لا يسمون أبناءهم الا بأسماء الاخيار من أجدادهم وأحبابهم ثم بحثنا عنه من جهة أخرى أين كان يسكن من قرى قبيلة بنى عروس ، فوجدت العلامة السيد محمد بن التهامى الشهير ببن رحمون قد أثبت له سكنى في قرية تجزرت وذكر ان له أولادا بها ، فرفعنا الامر لكبار أهل السن من شرفاء تجزرت

فأنكروا ان يكون لهم علم ولا لأبائهم الذين كانوا يحدثونهم عن عائلات النسب الشريف ، وعن المقيم والظاعن منهم وأين هو ؟ كما كانوا يحدثونهم عن مشاهير القبور لمن هي ؟ وكل أهلها مشهور ومعروف بينهم ، ولم يذكر أحد منهم بتاتا انه له علم بسماع أو معرفة عن احد من ابناء العافية كان موجودا في هذه القرية فانقطع نسله أو انتقل منها الى قرية أخرى ، ومعروف عند الخاص والعام من أهل النسب كما عندهم أيضا ان أهل تجزرت هم من ابناء ثلاثة رجال الهاشمي ، والطاهر ، والحضر ، وانهم يضغطون على ابنائهم لحفظ عمود نسبهم الى الآن لشدة تحفظهم من الدخلاء ، وقد غلط العلامة بن رحمون حيث لم يتثبت في النقل ، ولم يوجد بيننا وبينه الا 272 سنة ومثل هذه المدة لا يمكن أن يندثر السماع بعائلة شهيرة ولو اندثر افرادها فيها ، وعليه فوجود حديث العافية بين ابناء سيدى محمد بن عبد السلام من الازليات الخيالية الشبيهة بالاسرائليات الدخيلة على الاسلام .

فسيدنا عبد الوهاب بن عبد الكريم المذكور هو دفين بالمقبرة التي بجانب ابيه واما أخوه السيد عبد الواحد فهو دفين بأعلى قرية دشر الاثنتين من قبيلة بنى يدر فرقة بنى احمايد .

بيت سيدنا عبد الوهاب الاكبر

قد خلف الولي الصالح سيدنا عبد الوهاب الاكبر بن سيدنا عبد الكريم ولدا واحدا وعقبه منه وهو سيدنا يوسف ، وعقب هذا من ابنه سيدنا ابراهيم وعقب هذا من ولدين : وهما السيد مبخوث ، وأخوه السيد محمد ، فمبخوث هو الذى ينتهى اليه نسب الردام بقرية افرنو السفلى لا المسمى الردام بقرية ميزن فهو غير شريف النسب ، وابناء عمهم اولاد عيسى من قرية تزيه الذين منهم الشريف المجاهد في اعداء الله ، المخلص عمله في مسبيل الله الذى كان يميل الى الجذب المتوفى فاتح ذى الحجة عام 1346 هجرية موافق 1927 ميلادية ودفن عند الحجر المعروف بسيدى المدنى بالقرب من ابيه و أمه ، وسنم قبره بالحجارة واما أخوه سيدنا محمد فابنه سيدنا عبد الوهاب الاصفر ، والى هذا ينتسب جميع شرفاء اولاد بن عبد الوهاب على مختلف فرقهم الذين اشتهروا بأسماء أخرى كالعمريين ، واللهويين ، والصيديين ، والتايديين ، واليوسفيين ، واما الوهبيون منهم

فهم من لسم يتغير لهم اسم الوهابية وباقون على الاسم القديم . كما سيأتى بيان ذلك ، وعبد الوهاب الاصغر الذى يجمعهم هو دفين قرية افرنو السفلى فى وسط خلوة ملتفة بالأشجار البرية ، وعليه حوش صغير من الحجارة الغير المرتبة طلى بالجير فى العهد القريب ، ويقع تحت الطريق الذى تمر عليه السيارات الى الشيخ مولاي عبد السلام أو الى تطوان ، والى جانبه قبر ابنه الولى الصالح سيدنا عيسى (1) بن عبد الوهاب الاصغر ، وعقبه منه ومن أخويه الولى الصالح سيدنا محمد (2) ابن عبد الوهاب دفين مدشر تزينة بمقبرة اولاد ابن عبد الوهاب ، عند حومة اياوش وأخيه الولى الصالح سيدنا يوسف (3) بن عبد الوهاب ، ولم أعثر على مدفنه .

بيت سيدنا عيسى بن عبد الوهاب الاصغر

قد خلف الولى الصالح سيدنا عيسى بن سيدنا عبد الوهاب الاصغر أربعة رجال ، هم سيدنا محمد بن عيسى المذكور بن عبد الوهاب الاصغر ، ليس له عقب وكان عقبه من باقى الثلاثة ، (1) الولى الصالح سيدنا عمر ابن عيسى بن عبد الوهاب دفين عند ضريح جده القطب مولانا عبد السلام ، (2) أخوه الولى الصالح سيدنا أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر دفين مقبرة اولاد بنخجو بقرية بويبين بالقرب من شفشاون ، و (3) أخوهما الولى الصالح سيدنا ابراهيم بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . دفين بالقرب من أبيه وجده بقرية افرنو السفلى .

ترجمة سيدنا عمر بن عيسى المذكور

فهو الولى الصالح العلامة الصوفى العارف بالله تعالى صاحب أخى الانوار المحمدية العارف بالله أبى عبد الله محمد بن على الخرويسى الطرابلسى أوفده الى المغرب كسفير سلطان الاتراك على بلاد ليبيا والجزائر الى سلطان المغرب أبى عبد الله محمد الشيخ السعدى فى شأن الحدود بين المغرب والجزائر . قدم عليه بمراكش سنة 961 هجرية ، ثم رجع للجزائر وتوفى بها سنة 963 هجرية ودفن خارج الجزائر . وصاحب مولاي عبد الله الغزوانى المراكشى ، سيدنا عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر

ابن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الاكبر بن عبد الكريم بن محمد بن الشيخ الجامع والغوث اللامع مولانا عبد السلام بن مشيش كان الله له ، توفي سنة 1019 هجرية ودفن امام قبر جده الاكبر مولانا عبد السلام ، وعليه سور من الحجارة دون طين مطلى بالجير منذ عهد قديم ، والى جانب قبره مغارة ، وفوقها حجرة للأذان للصلوات الخمس ، فى وقت المصيف ، وقد صنع فى العهد القريب درج لصعود المؤذن عليها للأذان وتقام صلاة الجماعة بجانبها الايمن كما ان الساحة المواجهة لضريح الشيخ هى ماوى الطلبة حملة القرآن الكريم ، وتقام بها حلقة واسعة لقراءة حزب القرآن بعد صلاة الصبح والمغرب من كل يوم ثم يقوم الطلبة الغير الشرفاء والشرفاء الذين ينتمون الى غير الشيخ مولانا عبد السلام ، ويقتى حملة القرآن من اولاد الشيخ مولانا عبد السلام ياخذون الهدايا من الزوار ، ويدعون الله لهم فى أن يستجيب لهم رغباتهم التى جاءوا من أجلها وهنا يأتى قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى الحديث . وكثيرا من الناس يقصدون مأوى الطلبة المذكورين ويقدمون لهم الهدايا تلو الهدايا للدعاء معهم ومع من يحبونهم من الاهل والجيران بأن يبلغ الله لهم حاجات أولئك المحبين ويستجيب للراغبين ، ثم انك لا تسمع فى هذا المكان المعظم الا صوت القرآن ، وصوت الدعاء ، وكلمة آمين ، وأما لو رايت ختمات القرآن الكريم ، واهداء ثوابها الى روح الولى الصالح الشيخ مولانا عبد السلام ومن حوله من اهله وأحفاده ، لتحتقت أن ارواح : أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما « ولسيدى عمر المذكور مسجده الخاص لعبادة ربه على غرار ما كان عليه آباؤه وأجداده من الخلوة للعبادة والذكر وتلاوة القرآن بحومة ايوش بمدشر تزيه ، ولن يزال قائم البناء لمن يريد العبادة والخلوة فيه ، وقد بلغ هذا المقام أوجه فى تلاوة القرآن واهداء ثوابها للارواح المومنة بالله ، أيام كان شمال المغرب زاخرا بحملة ورش والقراءة السبعية وهناك تمنيت أن لو حضر كل محب لله ورأى بعينه وسمع بأذنه كلام الله يتلى بالقراءة السبعية لوجد نفسه فى غير هذا العالم المظلم الذى اوصلنا القدر اليه فذهب ذلك الزمان بخيره ورجاله ، وجاء زماننا بفضيحة العرض وقلة الحياء ، وجاءت الفتاة ولا أقول المسلمة لانها لم تمتثل أمر الله ، متبرجة تبرج الجاهلية كأنها ليست

في أرض الاسلام مكشوفة عن عورتها المغلظة والمخففة ، وهى تجول بين الرجال في غير حياء ولا حشمة لا من الله ولا من العباد ، وكانت زينتها في الاسلام الحياء ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : الحياء حسن وهو في النساء أحسن ، وقال : من لا حياء له لا ايمان له . فكيف جمع بين محبة أولياء الله ومعصية الله ، هذا ضلال مبين ، وامثال لما أمر به الشيطان اللعين ، وكان عليها وعلى أوليائها المسؤولين أمام الله عنها قبل أن تتوجه الى هذا المكان المحترم الذى يجتمع فيه أهل الله ، والمحبون في أولياء الله أن تغير من حالها وتطرح اللباس الذى فيه سخط الله عنها ثم تلبس لباس المسلمين الذى فيه رضى الله ، لتكون متأدبة بآداب الاسلام ، وان لا تجرح في مثل هذا المقام عواطف المسلمين ، ثم هى في حاجة أن يستجيب الله دعائها ، فאלله لا يستجيب دعائها حتى تتوب وترجع الى آداب الاسلام لانها في مقام الرجل الذى ورد في الحديث : ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الى أن قال : صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فانى يستجاب له . أى فهو بعيد من الاستجابة لان من القواعد المقررة للنساء والرجال شقائق في الاحكام ، والوارد على سبب خاص معتبر عمومه عند الاكثر .

بيت سيدنا عمر بن عيسى المذكور

قد خلف الولي الصالح سيدنا عمر بن عيسى المذكور ولدين ذكربن وعقبه منهما ، وهما سيدنا « محمد » بن عمر دفين قرية ادياز ، وأخوه سيدنا « أحمد » بن عمر بن عيسى دفين حومة النيارين زنقة سيدى أحمد ابن عمر بمدينة تطوان ، وقبره مشهور متبرك به عند الخاص والعام ، وعليه بنائة قديمة العهد ولا اثر لتعهدا واصلاحها ، وكل الهدايا التى تصله يأخذها اولاده وفي هذا الوقت وجدت به رجلا اجنبيا يقيم به يأخذ فتوحاته ، وذلك من كثرة الاهمال من طرف اولاده .

بيت سيدنا محمد بن عمر

قد خلف الولي الصالح سيدنا محمد بن عمر ثلاثة اولاد ذكور ، أما

أحدهم وهو على فلا عقب له ، وعقبه من اثنين ، هما سيدي محمد رقم (1) وسيدي أحمد رقم (1) فسيدي محمد صاحب الترجمة هو ابن عمر دفين . قرية ادياز ، وأما محمد رقم (1) فهو سيدي محمد بن محمد بن عمر ، وسيدي أحمد الرقم الاول هو سيدي أحمد بن محمد بن عمر .

بيت سيدي محمد رقم (1)

قد خلف الولي الصالح سيدي محمد بن محمد بن عمر ثلاثة أولاد ذكور وعقبه الموجود الى الآن من اثنين منهما ، وأما الثالث فقد انقرض عقبه ، فالاثان الباقي عقبهما هما : سيدي أحمد بن محمد بن محمد مكرر ، ابن عمر ، وأخوه سيدي عبد السلام بن محمد بن محمد مكرر أيضا ، بن عمر

بيت سيدي أحمد رقم (1)

قد خلف سيدي أحمد بن محمد بن عمر ولدين ذكرين ، وعقبه منهما ، وهما : سيدي التهامي رقم (7) وسيدي الطاهر رقم (8) فالاول هو سيدي التهامي بن أحمد بن محمد بن عمر ، وأخوه سيدي الطاهر ، هو سيدي الطاهر بن أحمد بن محمد بن عمر ويأتي للمؤلف انه خلف ستة أولاد من صلبه .

بيت سيدي التهامي رقم (7)

قد خلف سيدي التهامي بن أحمد بن محمد بن عمر ، ثلاثة أولاد ذكور ، هم سيدي محمد وسيدي عبد السلام ، وسيدي المهدي ، ومستقرهم بتطوان بعد القرن الحادي عشر الى الآن ، 1392 هجرية .

بيت سيدي الطاهر رقم (8)

قد خلف سيدي الطاهر بن أحمد بن محمد بن عمر ثلاثة أولاد ذكور ، وعقبه منهم ، وهم : سيدي عبد السلام ، وسيدي محمد الاكبر ، وسيدي محمد الاصغر ، ومستقر هؤلاء قرية افرنو الاسفل . وأما أبناء أعقاب هؤلاء فقد تشعبت فروعهم ولا يمكن ضبطهم الا عن طريق عقود أصدقاء نسائهم على يد نقيب خبير بأنسابهم وتتبع محلات سكناهم ، ولذلك سنذكرهم على الطريقة التي اتبعها النسابون في تدوين أنسابهم قال المؤلف : وأما أولاد سيدي عبد السلام أخى سيدي أحمد المذكور فهم أولاد سيدي على بن عبد

السلام من ولديه **السيد ادريس والسيد الهاشمي** ، وله ثلاثة اولاد ذكور ، هم : السيد على ، واخوه السيد محمد ، واخوهما السيد ادريس ابناء الهاشمي ، فالاول وهو على مسكنه بقرية افرنوا السفلى ، والثاني وهو محمد فمسكنه بقرية اولاد العائفة الحسانية ، والثالث وهو ادريس غاب في ناحية الشرق غيبة انقطاع ، واما السيد محمد بن السيد ادريس بن السيد على بن السيد عبد السلام ، والسيد الهاشمي بن الطاهر بن السيد عبد السلام ، وولدا اخى السيد على بن عبد السلام ، وهما : السيدان على ، والسيد الهاشمي بن عمر بن عبد السلام فمستقرهم افرنوا السفلى . واما ولدا اخيهما السيد محمد ، فهما السيد الهاشمي والسيد عمر ، ومستقرهما قرية افرنوا السفلى . وانتقل عنهما اخوهما الى مدينة شفشاون ، وهما : السيد محمد والسيد عبد السلام ، قتاله المؤلف ابن الصادق رحمه الله في زمانه 1191 هجرية ، وخلف سيدي أحمد بن محمد بن عمر المذكور ستة اولاد ذكور من صلبه ، هم : السيد محمد الاكبر ، والسيد محمد الحاج ، والسيد أحمد والسيد عبد الوهاب ، والسيد ادريس ، والسيد عمر ، فأحفاد السيد محمد الاكبر هم : السيد عبد السلام والسيد على ، والسيد التهامي بنو عمر بن محمد الاكبر واما ولدا السيد على المذكور فهما : السيد ادريس والسيد محمد ، واما ولد السيد التهامي فهو السيد محمد ، ولهم اولاد صغار من غير تأهل وكلهم بمدشر ميسرة العروسية ، ولا بد من البحث عما بقى بها من أعقابهم لانها قرية لها موقع ممتاز في قبيلة بنى عروس من الناحية الاقتصادية .

واما اولاد السيد ادريس اخى السيد الهاشمي المذكور ، قبل بمحوله فوق السطر ، فهم السيد محمد بن الخضر بن ادريس ، وابناء عمه السيد محمد والسيد ادريس ولد الحاج محمد بن محمد بن ادريس ، ومقرهم افرنوا السفلى ، واما اولاد السيد بن عمر فهم ثلاثة فرق ، وهم الفقيه السيد محمد بن على ، بن عمر ، وولدا عمه السيد عبد السلام بن عمر ، وهما السيد محمد واخوه السيد أحمد ابنا السيد عبد السلام بن عمر ، فأولاد السيد محمد هم : السيد ادريس ، والسيد عبد السلام والسيد العربي ، واما اخوه السيد أحمد فله ولد واحد اسمه السيد الطاهر ، ومقر الفقيه السيد محمد بن على بن عمر المتقدم فهو قرية افرنوا السفلى ، ومقر

السيد محمد بن على بن عبد السلام بن عمر فهو قرية ميزن ولن تزال أعقابهم بها الى الآن ، او انتقلوا لمدينة تطوان ، او بشفشاون ، وله بها ولدان هما : السيد محمد والسيد الطاهر ، وله ولد ثالث اسمه ادريس بقى بقبيلة بنى عروس ، فى قرية مجازلين ، وله ولد رابع ايضا ، اسمه العربى مثره مع ابيه بقرية ميزن ، واما السيد محمد الحاج واخوه السيد عبد الوهاب فلم يعقبا ، اه .

بيت سيدى محمد بن عمر

ومن أبناء سيدى محمد بن عمر العائلات المتنقلة من قرية افرنوا الاسفل الى قبيلة الغربية ، وعنهم نقلت سلسلة نسبهم ، وهم : اولاد ابن الهاشمى سكان قرية دشر جديد وتبتدىء سلسلة نسبهم من الشريف سيدى عبد الله بن أحمد بن محمد بن الهاشمى بن على بن الهاشمى بن على بن عبد السلام بن محمد بن محمد مكرر بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . ويبقى النسب معروف مما سبق ، وابناء عمهم اولاد ابن الهاشمى مدشر جلاولة ، وهم اولاد السيد الهاشمى بن الصادق بن محمد ابن الهاشمى بن أحمد بن على بن عمر بن عبد السلام بن محمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور . واولاد عمهم المعروفون بأولاد القاضى ، فهم عائلة دار السطيطة ، وهم السيد محمد واخوه السيد عبد السلام ابنا السيد أحمد بن محمد بن محمد المكنى السطيطة بن أحمد المدعو القاضى ، بن الطاهر بن محمد بن محمد القاضى أيضا زمن مولاي سليمان 1204 بن الطاهر بن أحمد بن محمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر .

وابناء عمهم المعروفون بأولاد سيدى الطاهر ، وهم اولاد السيد محمد بن محمد الكبير بن أحمد المدعو القاضى بن الطاهر بن محمد بن محمد ابن الطاهر بن أحمد بن أحمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وابناء عمهم اولاد السيد أحمد واخيه السيد عبد الصمد ابنا السيد المختار بن السيد أحمد المدعو القاضى بن الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن أحمد بن محمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور ، بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وابناء عمهم

أولاد بن الشيخ ، فهم أولاد السيد عبد السلام بن محمد بن عبد السلام المدعو سلام بن الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن أحمد بن محمد ابن محمد المكرر بن عمر المذكور بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر . وأبناء عمهم أولاد ابن صالح ، فهم أولاد السيد أحمد بن صالح بن محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد المكرر ابن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر ولهم دار بتطوان ، وبها سكناهم بزنتقة الوطيا .

بيت عم المكي بن عبد الوهاب بتطوان

خلف السيد المكي المذكور ولدين ها السيد محمد والسيد أحمد وخلف السيد محمد ثلاثة أولاد هم محمد وأحمد ومصطفى وخلف أخوه السيد أحمد أربعة أولاد هم المكي وعبد السلام ، والحسن والحسين وكانا توأمين . وخلف السيد محمد بن محمد المذكور أربعة ذكور هم عزة والحسين وجعفر وعبد الآلاه ، وكلهم عزاب ، وسكناهم بهذا التاريخ 1396 هجرية بعمارة الحبس الكبيرة خارج باب العتلة .

وأما أخوه السيد أحمد فإنه خلف ذكرين هما المهدي ، وجهاد وسكناهم بحومة النيارين بالقرب من جامع المصمدي في دار واحدة في درب صغير ، وأما السيد مصطفى المحترف مهنة العدالة بتطوان فلم يخلف أحدا ، وكذلك السيد المكي بن أحمد فلم يخلف ذكرا وله بنات وأما شقيقه السيد عبد السلام فقد خلف ولدا واحدا اسمه جعفر ولن يزال أعزب ، وأما السيد الحسين بالتصغير فإنه مات أعزب .

. وأما الفقيه العلامة القاضي السيد الحسن الذي يملى على هذه المعلومات عن بيتهم المكرم فله ثلاثة ذكور ، هم جمال الدين وصلاح الدين ولسان الدين وكلهم أشتاء ، والمتأهل منهم اثنان : لسان الدين وله ولد اسمه عامر وأما جمال الدين فحديث عهد بالتأهل وصلاح الدين لن يزال أعزب . وأما عمود نسبهم فإنه يبتدىء من السيد لسان الدين بن الحسن المذكور بن أحمد بن المكي بن المهدي بن أحمد بن عبد السلام بن عمر بن أحمد ابن محمد بن محمد مكرر بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر وبأبى النسب معلوم .

بيت الولي الصالح سيدي أحمد بن عمر

فهو سيدنا أحمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر ، دفن في حومة النيارين بتطوان ، والغالب من ذريته انه آت عن طريق ابنه السيد محمد بن أحمد بن عمر وقال العلامة : السيد محمد التهامي بن رحمون ، كان السيد أحمد بن عمر المذكور نقيبا للاشراف العلميين بتاريخ 983 هجرية أيام السلطان عبد الملك السعدي صاحب معركة وادي المخازن ، مع البرتغاليين ، وكان له من الاولاد عشرة ، هم : محمد الاول ومحمد الثاني وأحمد الاول ، وأحمد الثاني ، وعمر ، وعيسى ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد السلام ، وعبد القادر ، اه . من مرآة المحاسن وهذه هي الذرية الآتية من نسل ابنه محمد الأكبر ، وعبد القادر هذا كان نقيبا للاشراف العلميين في وقته ، وكذلك حفيده كان نقيبا لهم أيضا وهو مولاي أحمد بن محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد الولي الصالح العالم بن العلامة الولي الصالح سيدنا عمر بن عيسى بن عبد الوهاب نقله العلامة ابن رحمون.

أولاد اللهوى (1)

ومن أولاد السيد محمد بن الولي الصالح سيدنا أحمد بن عمر صاحب الترجمة — أولاد اللهوى العائلة التي ينتسب اليها مؤلف هذا الكتاب بقرية افرنوا السفلى وهم نسب مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم حسبما ستقف عليه رفعا رسميا عن طريق عقد نكاحه ، وهو مسجل بدفتر الانكحة بتطوان رقم 36 صحيفة 88 رقم 43 بتاريخ 1374 هجرية موافق 27 غشت سنة 1954 ميلادية ونصه بعد خطبته : أما بعد : فهذا الذكر الذي نطقت به عن أقوى المحابر السنوية الاقلام ، وقذفت بدرره النفيسة بحور الكلام ، فان النكاح سنة مشروعة ، وأحكام على وفق اتصال الاسباب وحفظ الانساب مطبوعة ، وعصمة للدين وسبب للتعاطف بين الاقربين والابعدين فمن أخذ بها فقد استوثق نصف الدين ، واستوفى بالاحصان وجوه التحصين ووضع أمانة الاسرة في يد القوى المعين ، ولما علم الفقيه الاجل الشريف المثيل الافضل العالم المبجل سيدي الطاهر بن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الطاهر بن الهاشمي بن محمد بن محمد مكرر بن أحمد بن عمر بن عيسى ابن عبد الوهاب الاصغر بن محمد بن ابراهيم

ابن يوسف بن عبد الوهاب الاكبر بن عبد الكريم
ابن محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع « مولانا عبد السلام » بن
مشيش بن أبى بكر بن على بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن
على المدعو حيدرة بن محمد بن ادريس الازهر بن ادريس الانوار بن عبد
الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن باب مدينة العلم صهر
رسول الله سيدنا الامام على بن أبى طالب وسيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء
البتول بنت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ،
ومجد وعظم ، أنجح الله مقاصده ، ويسر للصالحات رغائبه ومصادره
وموارده ، ما فى النكاح من محصنة هى من تمام الدين وكماله ، وشرط
لازم فى أعمال التقى وأفعاله ، أراد لطهارة أثوابه ومحاسن شيمه اللدنية
وأسبابه التحصن بالنكاح الذى رغب فيه الله تعالى فى كتابه ، وندب صلى
صلى الله عليه وسلم الى اقتنائه واكتسابه فخطب من الشريف الوجيه
الاثيل الاصيل الفاضل الاسعد سيدى عبد الله بن عبد السلام بن محمد
الصيد كريمته المصونة ودرته النفيسة الثمينة السيدة رحمة خطبة تابلها
بالقبول والاعتبال ، وتلقى دواعيها بالاحسان والافضال ، وعلم انه الكفو الذى
يغبط بمثله أحسن اغتباط ، وشرح صدر الانبساط ، وانعقد النكاح على
الزوجة المذكورة لزوجها المذكور وأمضاه ، على وفاق الشرع ومقتضاه ،
والدها المذكور بما جعل الله للآباء فى أمر بناتهن الابكار ، اذ هى بكر فى
حجر المولى عليها من الرفق فى كل ايراد واصدار ، بآتم ما يدليه كافل
مكفولا ، وهى خال من كل ما يمنع عقد النكاح عليها مستوفاة الشروط التى
توطن لها اصولا ، وتؤكد لها فصولا ، بالغ فى سنها حل للتزويج شرعا وعلى
اكمل الاحوال التى تعتبر فى صحة العقد وترعى ، انعقادا صحيحا أضحى
له التوفيق زائرا ، والبشر المتكفل بتوالى السعود ودوامها مصباحا مساعدا ،
على حكى كتاب الله الذى عز شأنه وعلا سلطانه ، وعلى سنة رسول
الله التى باتباعها يزكو للمربى ايمانه وعلى صداق مبارك سوغت الشريعة
مبذوله ، وربطت بالتحليل وصحة العد مقبولة ، قدره اربعمائة ريال
سكة اسبانية ، دفع الزوج المذكور الى يد والد الزوجة المذكورة من الصداق
المذكور ، ثلاثمائة ريال ، حازها حوزا تاما اعترافا ، وأبراه منها فبرىء ،
والباتى ومقداره مائة ريال ، يؤديها بحكم الحلول الذى لا يبرئه الا الواجب
على أن تكون هذه البضعة لدى زوجها من الكرامة وحسن المعاشرة والمراقبة

امثالاً لما أمر الله به في حق الزوجات من امسك بمعروف أو تسريح
باحسان في نص القرآن واتباعاً لقول مولانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم استوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوان ، والله تعالى يبارك
لهما وعليهما بأعز ما توديه عنايته الكاملة وتقتضيه ، ويجمعهما على أفضل
ما يحمده كل من صاحبه ويرتضيه ، ويسعدهما ويحفظهما بمنه ويجعل
السعد والاقبال موافقهما آمين .

عرف المتعائد ان قدره شهد على اشهادهما بالمذكور فيه عنهما وهما
بأتمه وعرفهما في سابع وعشرين حجة الحرام عام ثالث وسبعين وثلاثمائة
والف موافق 27 غشت سنة 1954 عبد ربه أحمد بن ادريس الحسنى
العلمى وعبد ربه التهامى المؤذن الحسنى العلمى ، نص الاداء الحمد لله
أديا فقبلا واعلم به خلافة عبد ربه محمد بن محمد العثمانى كان الله له .
قال العلامة ابن الصادق : في ديوانه فتح العليم الخبير ، فأما أولاد اللهوى
فهم السيد محمد بن أحمد اللهوى وأخوه السيد ادريس بن السيد أحمد بن
عمر صاحب الترجمة ، وابن عمهما السيد عبد الوهاب بن عبد السلام بن
عمر المذكور ، وابن أخيه السيد محمد بن المهدي بن عبد السلام المذكور ، وابن
عمهم السيد محمد بن عمر بن عمر المذكور ، وابن عمهم السيد الهاشمى
ابن محمد بن أحمد بن عمر المذكور بتطوان ، وابن أخيه السيد أحمد بن محمد
بمدشر تفروت اليدرية بضم الراء ، وأبناء عمهم محمد بن محمد بالضم
بأولاد كنون اليدرية ، وله بداره صبى يدعى انه ولده ، وهو قد وجده ملقى
فالتقطه ورباه وسماه المهدي — مات اللقيط ولم يعقب — والسيد الطاهر
وولده التهامى بقرية افرنوا السفلى وأخوه السيد عبد السلام انتقل الى
قرية اشقريش من قبيلة بنى يدر ، والسيد الهاشمى بالخروب الحبيبي ،
وولده السيد محمد وأخوه السيد أحمد بقرية افرنوا السفلى ، وقد كان
ابن عمهم السيد أحمد بن الحسن بمدشر تلفتة اليدرية ، وولده السيد محمد
بقرية افرنوا السفلى .

احصاء أولاد اللهوى الاصليين

وهم على ثلاث فرق أهل قرية افرنوا السفلى وتمزجيدة أبناء رجل واحد
وهو السيد عبد الوهاب بن الطاهر ، وأبناء عمهم دار سى ابن أحمد

المنتقلون لزاوية الشيخ التليدى من قبيلة الاخماس لاسباب قاهرة أدت الى انتقالهم أوائل القرن الرابع عشر ، ولا زالت اصولهم وديارهم تنسب اليهم بالمدشر المذكور ، واهل قرية بومزود من قبيلة جبل حبيب ، فأهل قرية أفرنو السفلى وتمزجيدة اليوم هم أبناء الشيخ المسن السيد عبد الوهاب ابن الطاهر اللهيوى المتوفى سنة 1349 هجرية عن سن يناهز المائة سنة ، وخلف أربعة رجال ، هم : السيد محمد والسيد أحمد والسيد الطاهر والسيد عبد السلام ، أما السيد محمد فقد انقرض نسله ، وأما السيد أحمد فقد خلف ولدا واحدا اسمه السيد عبد الله ، وخلف السيد عبد الله ثلاثة أولاد ذكور ، هم : السيد محمد ، والسيد عبد السلام والسيد عيسى ، ولهم أولاد ذكور فأما أولاد السيد محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الوهاب المذكور ، فهم خمسة رجال ، هم : السيد المختار والسيد محمد ، والسيد أحمد والسيد عبد الواحد والسيد عبد السلام ، وأما أخوه السيد عبد السلام بن عبد الله ابن أحمد بن عبد الوهاب المذكور ، فله أربعة أولاد ذكور هم محمد والبشير وعبد الواحد وأحمد ، وأما السيد عيسى فله ولد واحد اسمه أحمد ، وأما أبناء عمهم السيد الطاهر فهم من ابنه السيد عبد السلام وأما أخوه السيد محمد فلم يعقب ، وعقب السيد عبد السلام بن الطاهر بن عبد الوهاب المذكور . ثلاثة رجال هم السيد محمد والسيد الطاهر والسيد أحمد ، وقد انتقلوا بعد موت أبيهم واستوطنوا بوخلف وعين الزياتن من أحواز طنجة مع اخوالهم الشرفاء التايديين ، وهم أربعة رجال ، عبد السلام وأحمد وعلى وعيسى والرابع هو أب مؤلف الكتاب السيد عبد السلام بن عبد الوهاب المذكور المتوفى سنة 1385 هجرية عن سن يناهز التسعين سنة ، قد خلف خمسة أولاد ذكور ، هم : السيد محمد والسيد أحمد والسيد الطاهر والسيد المختار والسيد الحسن ، ولكل واحد منهم أولاد ذكور ، فأما السيد محمد فله ولدان ذكران هما السيد الأمين وعبد العزيز ، وللأمين ولد اسمه نور الدين ، ولعبد العزيز ولد اسمه رضوان ، وأما أخوه السيد أحمد فله ولد واحد ذكر اسمه عبد السلام ، وأما أخوهما السيد الطاهر فله خمسة أولاد ذكور ، هم : السيد أحمد عصام ، والسيد محمد عصام ، والسيد عبد السلام سعيد والسيد عبد الكريم اسماعيل ، والسيد جعفر ، وهم يسكنون بتطوان بحومة مولاى الحسن من سانية الرمل ، وأما السيد المختار بن عبد السلام أخوهم فله من الاولاد الذكور خمسة هم : السيد محمد والسيد أحمد والسيد

عبد السلام والسيد عبد الهادي والسيد ادريس ، وهم مع عمهم احمد يسكنون بحومة تمزجيدة ، واما السيد الحسن بن عبد السلام ، فله من الاولاد الذكور خمسة ، هم : السيد المصطفى والسيد عبد الخالق ، والسيد الامين ، والسيد الحسن والسيد السعيد ، وهم يسكنون بقرية الخميس الجديدة ، واما اهل الاخماس المعروفون بأهل دار سى ابن احمد ، فهم : السيد الحسن ابن عبد السلام بن الفقيه محمد المنتقل بن احمد بن عبد السلام اللهيوى وله من الاولاد الذكور اربعة هم : السيد محمد . وله والدان السيد محمد والسيد المصطفى ، والسيد عبد السلام الاكبر وهو يقيم بطنجة مع امه المطلقة بنت الشاهد اللبتي بحومة الدار البيضاء تجاه المدارس الثانوية ، وعبد السلام الاصغر ، وشقيقه السيد الحسن . ولن يزالا في كفالة ابويهما بزاوية الاخماس ، واما اولاد عمه السيد محمد فقد بقى منهم ولد واحد اسمه السيد المفضل بن عبد السلام بن محمد . بن الفقيه محمد اللهيوى المنتقل المدعو سى ابن احمد ، واما أبناء عمهم المعروفون بأولاد العلمى المنتقل من قرية ابو جبل الى زاوية الاخماس ، واخوه السيد محمد المنتقل الى مدشر عين احبار من قبيلة بنى عروس ، وبها عقبه ، واما اولاد السيد العلمى اسما ونسبا ، فهم السيد احمد واخوه السيد العياشى ، وللسيد احمد اربعة اولاد ذكور ، هم : السيد محمد والسيد احمد ، والسيد المصطفى والسيد الحسن ، واما ولدا اخيه السيد العياشى فهما السيد محمد واخوه السيد احمد ، وهؤلاء عدة اولاد اللهيوى الموجودين بقبيلة الاخماس ، واما السيد محمد اخو السيد العلمى المستوطن بقرية عين احبار ، فله ولدان السيد محمد والسيد الحسن ، فأما محمد فقد توفى وخلف ولدا واحدا اسمه السيد الحسن وقد استوطن مدشر بولقمة ، واما عمه السيد الحسن فهو لا يزال بقرية عين احبار ، وله اولاد لم تبلغنى اسمائهم لصغرهم ، وتلقيت هذه المعلومات عنهم عن اكبرهم سنا السيد الحسن المذكور أولا . واما اهل مدشر بومزود فقد اتصلت باكبرهم سنا السيد الطيب بن السيد العلمى اللهيوى بتاريخ 24 جمادى الاولى سنة 1393 هجرية موافق 26 يونيه سنة 1973 ميلادية بسوق ثلاثاء جبل حبيب وقد افادنى بأنه يتجاوز 90 سنة ، وبعد ما سألته استدعى ابن اخيه السيد عبد السلام ، وكان لديه اكبر شرفاء اولاد افيلال من مدشر الجبيلة الحبيبي المكنى السيد عبد السلام

ولد طريفة ، وسنه يقرب من الاول ، فأجابنى بأنه لم يدرك فى مدشر بومزود الا دارين احدهما لابيه السيد العلم اللهوى والاخرى لعمة السيد الطاهر اللهوى ، وقد خلف ابوه السيد العلم 4 ذكورة ، هم السيد محمد ، والسيد أحمد ، والسيد الطيب والسيد المفضل ، ولكل واحد من الاخوة الثلاثة عقب الا السيد المفضل فلا عقب له ، فأما السيد محمد فقد خلف ولدين ، وهما السيد عبد السلام ، وشقيقه السيد الامين ، أما السيد عبد السلام فلا عقب له ، وأما أخوه السيد الامين فله ولدان ذكران وهما السيد محمد والسيد المصطفى ، وأما السيد الطيب الحاضر المجيب ، فله أربعة اولاد ، هم السيد محمد والسيد العلم ، والسيد المصطفى ، والسيد عبد السلام ، وللسيد محمد ولدان هما السيد عبد الواحد ، والسيد عبد السلام ، وللسيد العلم ولدان هما السيد محمد والسيد عبد السلام والآخران أعزبان وأما السيد أحمد بن العلم فقد خلف أربعة اولاد ، هم السيد محمد والسيد عبد السلام ، والسيد محمد والسيد علال ، وللسيد عبد السلام ولدان بطنجة هما السيد محمد والسيد السعيد ، وباتى الاخوة عزاب . وأما السيد الطاهر أخو العلم المذكور فقد خلف ولدين هما السيد أحمد والسيد الطاهر ، وللسيد أحمد ولد واحد اسمه المختار ويسكن بتطوان حرفته حلاق بزنتة المقدم ، ولاخيه السيد الطاهر ولدان هما : السيد محمد ، والسيد عبد السلام . انتهى احصاء اولاد اللهوى الذين لا شبهة فيهم ، وقد سألته عن اخواله المدعويين بأولاد المامون واولاد المكى الحاملين لاسم اللهوى الساكنين بقرية افرنو السفلى النازحين اليها أوائل القرن 14 فأجابنى غير أنه يعرف عنهم أنهم كانوا سبع اخوة خرجوا من مدشر قنوعة الحبيبية ، منهم من استوطن القرية المذكورة بأفرنو السفلى ، ومنهم من استوطن قرية بنى مرقى من قبيلة آل سريف ومنهم من استوطن غير ذلك ، والذين لهم عقب منهم بقرية افرنو السفلى هما دار المكى ودار المامون ، وقد سمعت سماعا فاشيا من أهل قريتنا من نساء ورجال وخصوصا أهل السن منهم أنهم لا نسب لهم وان حملوا اسم اللهوى ، ولربما وصل اليهم عن طريق امرأة شريفة من عائلة اللهوى فدعى اولادها بهذا الاسم ، وهذه طريقة مسلوكة لولوج النسب لمن ليس من أهله ، وقد كان جدنا المسن السيد عبد الوهاب ينفيهم من النسب وهو أعلم بهم لانه كان يسكن بمدشر بومزود من قبيلة

جبل حبيب في أول عهده ، ثم رجع الى مسقط رأس الآباء والاجداد بحومة
تمزجيدة الى أن توفي بها ، ولم يذكر العلامة بن الصادق رحمه الله اى دار
للشرفاء اولاد اللهيوى بمدشر تنوعة الحبيبية ونظرا للغموض والطعن
الحاصل فيهم أخرجتهم من بين صفوف العائلة اللهيوية ولم اعد أحدا من
عقبهم فيها ، وقد طلبتهم بعمود نسبهم فلم يدلو بحجة في الموضوع وقد ازدادت
ارتيابا في دعوتهم ، ولم اجد ما يطمئن اليه البال ، والله أعلم بحالهم .

أولاد أيو العلميين (2)

ومن أبناء سيدى أحمد بن عمر صاحب الترجمة اولاد أيو ومركزهم
الاصلى قرية تزية وهم السيد محمد بن أحمد بن الهاشمى بن محمد بالضم
ابن أحمد بن عمر المذكور ، وهو بقرية تزية مع بنيه السيد الهاشمى ، والسيد
الطاهر والسيد عمر ، والسيد عبد السلام ذهب الى بنى مصور ، وابن
عمهم السيد محمد بن الفقيه السيد محمد بالضم ، واولاد عمهم السيد عبد
السلام ، وهم السيد الطيب ، والسيد الطاهر ، والسيد عبد الوهاب ،
وولد السيد الطيب السيد العربى ، وكلهم بقرية تزية ، وولد اخيهم السيد
المفضل بن محمد بقرية اكرسان من قبيلة سماتة ، وابن اخيهم ايضا السيد
الحاج محمد بن أحمد بن عبد السلام المذكور بقرية تزية ، وابناء عم السيد
محمد بن أحمد المذكور . الادنون اربعة رجال ، هم : السيد العربى والسيد
أحمد والسيد الطاهر والسيد التهامى ، وكلهم بقرية تزية ، وأخوهم السيد
ابن الهاشمى مع ولديه السيد محمد والسيد عبد السلام ، بمدشر بنى راثن
الجزمرية ، وولد عم الجميع السيد محمد بن عبد الله بن الهاشمى المذكور
بمدشر الملاح الجرفطى ، وولده السيد محمد بمدشر غنيشس منها ايضا ،
والسيد محمد بن محمد بالضم بقرية تزية .

أولاد الفاسى (3) العلميون

من اولاد سيدى أحمد بن عمر المذكور اولاد الفاسى بمدينة شفشاون
وهم : السيد المفضل بن العربى ، وأخوه السيد العلم بقرية غيروزيم الخمسية
وأخوهما السيد أحمد ، وابن عمهم السيد محمد بشفشاون ، وكلهم من نسل
السيد أحمد لقب الفاسى .

أولاد بن عبد الوهاب العمريون (4)

ومن اولاد سيدى أحمد بن عمر صاحب الترجمة ، اولاد ابن عبد الوهاب العمريون ، قيدتهم بهذا لوجود غيرهم من أبناء عمهم الذين اشتركوا معهم فى الوهابية ، ولانهم اشتهروا بهذا النسب قديما ، وقد بقى لهم الى الآن ، وهم اهل قرية الحارث وتجزرت ودار الحيط ، فأهل قرية الحارث هم : السيد أحمد بن أحمد بن عمر مع ولده السيد عبد السلام ، وابن أخيه السيد الحاج محمد بن عبد السلام بن أحمد ، وأولاد عمه السيد محمد بن عمر المذكور ، وولدا عمهم السيد محمد والسيد عبد السلام ، وولد السيد على بن عمر المذكور ، وكلهم بالحارث ، وتفصيلهم الآن يتلخص فى أربعة ديار ، هم : سكان الحومة الفوقية ، فأولهم دار عم على ، ومنهم المعروف اليوم بالسيد العلم سعودة ، وابن عمه السيد محمد المعروف بولد سلامة ، ابن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام المدعو الطويل ، ومنهم السيد العلم بن عبد السلام المدعو ولد الحليمية ، بن على ، وثانيا دار بن أحمد ، ومنهم السيد محمد بن محمد ، وأخوه المرابط ، وأما السيد أحمد بن على المدعو القليلز ، فهو من دار عم على المتقدم وكذلك ابن عمه السيد على بن على وأخوه السيد الطيب بن على ، وثالثا دار البشير ، ومنهم السيد الحسين المدعو ولد شقافة بن على بن البشير ، وولد أخيه السيد أحمد بن عبد السلام ، وكذلك ولد أخيه السيد المختار بن عبد السلام ، ومن أبناء عمه السيد عبد السلام بن محمد بن الحاج محمد . ومنهم السيد محمد ابن الصاق المدعو ولد الحرشية المقيم بطنجة بالقرب من جامع السوانى ، الحامل لنيابة النقيب ، وله من الاولاد الذكور ، السيد أحمد وهو أكبرهم والسيد الفاضل ، والسيد المختار ، والسيد محمد البشير ، والسيد عبد السلام ، ولا زالوا فى كفالة أبيهم ، ومن أبناء عمه العلم أهل السكان أبناء المرحوم السيد عبد السلام ، ومن اولاده الذكور السيد محمد وهو بمدينة العرائش ونور الدين ، وأدريس ، ولحمد عبد الحق ، وعبد العزيز ، ومحمد ، وعبد المالك ، وعبد الحفيظ وانتقلوا من قرية السكان ، وأخوان السيد المرحوم أبو السيد محمد الذى بالعرائش أيضا هم السيد الحسين وهو بمدشر السكان ، وأخوه السيد أحمد المجذوب وهو بمدشر السكان أيضا وأبناء عمه عبد السلام الساكن بقرية طردان ومنهم السيد أحمد بن عبد

السلام بن عبد السلام المكرر ، وأخوه السيد محمد ، والبشير والحسن
وعبد العلى وعبد السلام ولهم أبناء عمهم بناحية فاس ، وأما أخوهم أحمد
فانه ترك السيد عيسى ولم يعقب ومن أبناء السيد الصادق بن البشير المذكور
السيد عبد السلام وهو أخ السيد محمد النقيب المذكور ، وله ابن اسمه
الصادق ، وقد خلف محمدا والحسين ، وأما أخوه أحمد فقد ترك محمدا
وأخوهما العلمى ترك عبد العزيز وعبد السلام ، والمصطفى ، ومحمد وسعيد
والبشير ، وأدريس ، وكلهم خرجوا من قبيلة بنى عروس بتاريخ 1954
ميلادية 1373 هجرية واستوطنوا مدينة طنجة وكلهم اولاد السيد أحمد بن
البشير ، وهذا عمود نسبهم ويبتدىء من السيد محمد الحامل لنيابة النقيب ،
وهو محمد بن الصادق المكنى ولد الحرشية بن أحمد بن محمد بن البشير بن
محمد بن أحمد بن الخضر بن أحمد بن أحمد بن عمر بن عيسى بن أحمد بن
عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر .

وأبناء عمهم أهل تجزرت فهم أبناء ثلاثة رجال ، اولاد الطاهر ، واولاد
الخضر واولاد الهاشمى ، فأما اولاد السيد الطاهر فهم السيد محمد والسيد
الوافى والسيد على ، والسيد الطيب ، والسيد الهاشمى ، بنو السيد أحمد
ابن الطاهر المذكور ، وعمهم السيد الذهبى ، وأخوه السيد عبد المالك ،
وولد السيد الطاهر وولد أخيهما السيد أحمد الخضر ، وهما السيد محمد
والسيد الشاهد ، وولد أخيهما أيضا السيد المهدي بن الحسن بن بضم الحاء ،
وكلهم بقرية تجزرت .

وأما اولاد الخضر فهم السيد العربى بن أحمد بن الخضر المذكور ،
واولاد التهامى والراضى ، والمصطفى ، واولاد أخويه السيد الهاشمى ،
والسيد أحمد ولدا السيد أبى البركات بن أحمد بن الخضر المذكور ، والسيد
البشير بن محمد بن أحمد بن الخضر المذكور ، وكلهم بقرية تجزرت ، وأما
اولاد الهاشمى ، فهم البركة الولى الصالح السيد عبد السلام ، والسيد عبد
الكريم ، واولاد أخيهما السيد ادريس وهم السيد المواهب ، والسيد محمد ،
والسيد أحمد ، والسيد ادريس ، وأبناء أخيهما أيضا السيد عمر بن الهاشمى
المذكور ، وهما السيد المفضل ، والسيد عبد السلام وكلهم بقرية تجزرت ،
وكلهم أهل النسب المرفوع الى النبو صلى الله عليه وسلم وهذا عمود
نسبهم توصلت به املاء عن الفقيه الاستاذ الشريف السيد الامين بن السيد

أحمد بن السيد محمد بن الحسن بن الطاهر بن محمد بن عبد السلام بن الهاشمي بن أحمد بن عمر بن عيسى بن أحمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر . الجد الجامع للوهابيين وأبناء عمهم أهل دار الحيط ويدعون أولاد ابن عمر ، وهم أولاد العلامة السيد الطاهر بن محمد بالضم ، وولدا أخيه السيد أحمد والسيد عيسى ، وولد عمه صنو أبيه السيد عبد السلام ابن محمد وأولاده هم : العلامة السيد محمد والسيد عمر والسيد الطيب ، وكلهم بقرية دار الحيط وهم أهل النسب المرفوع ، ويبتدىء نسبهم من الشريف الوجيه السيد المختار بن محمد بن عبد السلام بن عمر بن عبد السلام بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر . انتهى الكلام على أولاد سيدي أحمد بن عمر .

أولاد سيدنا أحمد بن عيسى المذكور

وأما أهل قرية تايدة ، فهم أولاد سيدنا أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر وهو أخو سيدنا عمر المتقدم ، فسيدنا « أحمد » هذا دفين مقبرة أولاد بن خجو بقرية بوبيين الحسانية ، خلف رحمه الله ولدين ذكرين ، هما: السيد أحمد الأكبر ، وأخوه السيد أحمد الأصغر ، أما السيد أحمد الأكبر فهو دفين بالقرب من قرية تايدة ، ويدعى بسيدى أحمد تايدة ، وهو من المزارات الشهيرة ، وعلى يد أولاده بركة ملموسة لمن أصيب بوجع البطن ، من طرف ربح الجن ، وهم دار علم وتقوى وأخلاق شريفة طيبة ، خلفا عن سلف ، وتوجد قريتهم على بعد أربعة أميال من ضريح القطب مولانا عبد السلام الى جانب قرية تزية ، ولسيدى أحمد الأكبر ولد واحد اسمه عمر ، وخلف الولي الصالح سيدى عمر هذا ولدين ذكرين هما : سيدى أحمد وسيدى عمر ، فأولاد السيد أحمد هم الفقيه البركة السيد الطيب ، وشقيقه الفقيه السيد التهامي ، أبناء الفقيه العالم الورع الزاهد العارف بالله تعالى الولي الصالح المكنى أبا حفص عمر بن أحمد أخى عمر المتقدم الذكر وابن عمهما الفقيه السيد العربي بن الولي الصالح البركة سيدى أحمد بن أحمد المذكور وكل هؤلاء يقطنون قرية تايدة ، إلا السيد الطيب فان له دارا أخرى يسكنها بمدشر عين مطيع من قبيلة بنى مصور ، وابن عمهم السيد أحمد بن

على بن أحمد المذكور ، بقرية بوبيين ، وأبناء عمهم السيد الطاهر وأخواه من الاب السيد محمد والسيد أحمد الاول بقرية بوبيين ، والآخرون بقرية « كر » من قبيلة جبل حبيب ، وهم بنو السيد محمد بن أحمد المذكور ، وأما أولاد السيد عمر بن عمر المذكور ، فهم السيد محمد والسيد أحمد والسيد عمر بنو السيد عبد السلام بن عمر المذكور ، وبنو عمهم السيد عبد الهادي ، والفتيه السيد الرشدى ، والفتيه السيد ادريس ، والسيد الهاشمى ، بن الحاج الهاشمى ، بن عمر المذكور ، وبنو عمهم الفتية الاستاذ البركة سيدى محمد ، والسيد عبد السلام ، والسيد أحمد الخضر والعلم ورضوان الاولون بقرية تايدة ، والآخرون بينى حرشان من قبيلة بنى مصور ، وهم بنو السيد أحمد بن عمر المذكور ، وهم أهل النسب المرفوع ، قد توصلت من طرف الحرشنيين برفع عمود نسبهم من يد الشريف السيد عبد الكريم ، وهو عبد الكريم بن عبد السلام بن الطيب بن الوافى ، بن السيد الرشدى ابن الحاج الهاشمى بن عمر بن عمر بن السيد أحمد بن الولى الصالح سيدى أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الاصفر . وباقى النسب معلوم فلا حاجة الى ذكره ، كما توصلت أيضا من طرف احد شرفاء كر بقبيلة جبل حبيب برفع عمود نسبهم بوثيقة عقد نكاحه ، وهو ثابت بمحكمة العدل بطنجة تحت عدد 799 بتاريخ فاتح رجب عام 1389 هجرية ق 17 شتنبر 1969 ميلادية نص الوثيقة المذكورة الحمد لله باذن من يجب اعزه الله ببطاقة تحت عدد 135 / 98 بتاريخ 18 غشت 1969 وبمقتطع 73 عدد 88 بتاريخه يعرف الواضع شكله عقب تاريخه الشرفاء أهل تايدة الاخوان هم : السيد محمد ، والسيد مصطفى ، والسيد عبد المجيد أبناء الشريف السيد محمد بن الطيب بن عمر التايدى بن السيد محمد بن السيد الطيب بن السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد عمر بن السيد أحمد الاكبر بن السيد عيسى بن عبد الوهاب الاصفر الجد الجامع لبنى عبد الوهاب ، وباقى النسب معلوم .

الشرفاء المنوفيون أهل مكة والمدينة

وأما السيد أحمد الاصفر فانه غادر بلده بقصد أداء فريضة الحج صحبة ابن عمه الفتية العالم سيدى محمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب ، أوائل القرن 11 ثم استوطن دون ابن عمه بلدة منوفة ، وهى قرية من بلاد

مصر ، وترك بها ولدا اسمه محمد ثم انتقل هذا الاخير منها الى مكة المكرمة واستوطنها وترك بها اربعة اولاد ذكور ، هم : السيد محمد سعيد ، والسيد زين العابدين ، والسيد أحمد ، والسيد عارف ، أما أحمد وعارف فقد انقرض عقبهما ، وأما اولاد السيد محمد سعيد فهم الفقيه العالم السيد ابراهيم ، والسيد محمد سعيد ، والسيد على ، والسيد عثمان ، وهم بنو الفقيه العالم السيد سالم بن الفقيه العالم السيد ابراهيم بن محمد سعيد ، بن جعفر بن محمد سعيد المذكور وهم بمكة ، ويدعون الشرفاء المنوفيين ، وأما السيد زين العابدين فقد ترك اولادا ذكورا بالمدينة المنورة ، وهم الفقيه العالم أحد خطباء المسجد النبوي السيد محمد سعيد ، وأخوه السيد محمد عبد السلام ، وأخوهما السيد أحمد ، وهم بنو السيد عز الدين بن السيد عبد الرحمن بن السيد زين العابدين المذكور ، ويعرفون بها أيضا بأهل البيت المنوفى انتهى الكلام على اولاد السيد أحمد ويليهِ الكلام على اولاد أخيه ابراهيم بن عيسى ابن عبد الوهاب .

بيت ابراهيم بن عيسى المذكور

فابراهيم هذا هو أخو السيد عمر والسيد أحمد ، وكلهم بنو السيد عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وقد كان يعرف اولاده في القديم بأولاد ابن الحاج . وقد اشتهرت فرقة منهم بأولاد الطالب نسبة الى جدهم سيدي أحمد الطالب بن الطاهر المدعو الطالب دفين قرية تزية بالقرب من الجامع القديم الخرب كان في الظاهر من المجازيب ، وفي الباطن من أهل الاسرار والبركات ، وأما الفرق الاخرى فهي على ما وجدته منصوصا : اولاد ابن قاسم ، وأولاد الصيد وأولاد الحويك بالتصغير .

أولاد الطالب

فأما اولاد الطالب فهم السيد محمد بن أحمد الطالب بقرية تزية ، والسيد ادريس والسيد على ، وأبناء عمهم السيد محمد بن العربي ، والسيد الهاشمي بن محمد بالضم وكلهم بقرية عين معبد من بنى ومراس ، وابن عمهم السيد الطاهر بن محمد وابن أخيه السيد امحمد بالفتح بن عبد السلام ، وابن عمه السيد عبد السلام بن النادي وأخوه السيد محمد بن النادي بقرية

ميسرة ، قد انتقل اليها من قرية عين الحديد وولد عمه السيد محمد بن محمد بالضم ، وابن عمهم السيد محمد بن قاسم ، والسيد عبد السلام ابن محمد وهم بقرية عين الحديد ، واخوته السيد ادريس ، والسيد ميثس والسيد الطاهر ، والسيد أبو بكر ، وكلهم بنو السيد محمد المذكور ، ومستقرهم بقرية أبي جارية مع اولاد اخيهم السيد ابراهيم ، والسيد الخضر ، وولد ابن اخيهم السيد المفضل بن محمد بن الهاشمي ، وابن عمهم السيد المجاهد بن عبد الله بن الهاشمي وأخوه السيد الطيب ، وعمهم السيد أحمد ابن الهاشمي المذكور ، وابن عمه السيد التهامي بن عيسى الطالب ، وابن عمه السيد بن ادريس ، وكلهم بقرية أبي جارية وابن عمهم السيد محمد بن محمد بن النادى بالملعب من قبيلة سماتة ، وابن عمهم السيد محمد بن أبي حرمة الطالب بمدشر امغارت الحزمية ، وابن عمهم السيد الطاهر بن عبد السلام الطالب بمدشر مزيوش اليدرية ، وداران منهم بالفرغور من قبيلة تسول في هوارة الحجر ، للسيد محمد بن علي الطالب ، والسيد العربي ابن محمد بالضم الطالب قال المؤلف رحمه الله ، وأما أهل غروزم الخمسية الذين سموا أنفسهم بأولاد الطالب واولاد الرحموني فلا نسبة لهم مع اولاد القطب مولانا عبد السلام ، ودعواهما النسب الشريف داحضة ، ومنبوذة في القديم والحديث .

أولاد بن قاسم

وأما اولاد ابن قاسم فهم السيد أبو حرمة بقرية مجازلين ، وأخوه السيد محمد بدار بن راطية ، العروسية ، فهما ولدا السيد أحمد بن قاسم ابن محمد بن قاسم ، وأبناء عمهما السيد محمد والسيد الطيب ، فالاول ابن أحمد ، والثاني ابن محمد بدار بن راطية أيضا ، وابن عمهم السيد علي بن محمد بن قاسم بمدينة طنجة ، وأبناء عمهم السيد الطاهر والسيد العربي ، أبناء السيد أحمد بن قاسم بقرية بغورة ، وابن أخيها السيد الطيب بن أحمد بن أحمد المذكور ، بمدشر دار الصف الجرفطية ، وابن عمهم السيد قاسم بن الطاهر بقرية تزية .

أولاد السيد

وأبناء عمهم اولاد السيد ، قال المؤلف : هو لقب حادث لهم ، وكانوا

يدعون قبل بأولاد ابن عبد الوهاب ، ومركزهم الاصلى قرية تزية ، وهم :
السيد احمد بن احمد الصيد وأخوه السيد عبد الوهاب ، الاول بشفشاون ،
وله دار مع أخيه المذكور بقرية بوبيين الحسانى ، وأخوهما السيد الطاهر
بتزية ، وأبناء عمهم السيد عبد السلام بن محمد المدعو اليوسفى الصيد
بتزية ، وأولاد عمهم السيد أحمد وولد أخيه السيد محمد والسيد الفضيل ،
وولد السيد محمد بتزية ، وأخوهما السيد الطاهر بقرية ميزن ، وولد أخيهما
السيد عبد السلام بخندق ابران ، — خرب منذ زمن بعيد — وأولاد عمهم
السيد محمد بالضم بن على ، وأولاد السيد محمد ، والسيد عبد الوهاب ،
والفقيه البركة سيدى على ، والفقيه البركة سيدى الطاهر ، والسيد أحمد
والسيد عبد السلام ، اولاد السيد محمد بالضم بن أحمد الصيد بقرية تزية .
وهم أهل عمود النسب المرفوع ، وتوجد لهذا العهد جماعة وافرة منهم بعين
مديونة من قبيلة صنهاجة بناحية فاس ، وهم : السيد ادريس وأخوه السيد
عبد الوهاب ، والسيد الصغير ، وأولاد السيد ادريس منهم السيد محمد بن
ادريس وأخوته قد ضلت عنى أسماؤهم والسيد محمد بن عبد الله ، وعنهم
نقلت عمود نسبهم ويبتدىء من الشريف السيد لحسن بن المكى بن العلم بن
محمد بن أحمد بن عبد السلام بن عبد الوهاب بن أحمد المعروف بالكبير
وهو الملقب الصيد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر ،
وكان انتقالهم من قرية بوبيين ، وأما أبناء عمهم الباقون بقرية تزية فهم السيد
احمد بن أحمد الصيد وأخوه السيد عبد الوهاب الاول بشفشاون وله دار
مع أخيه المذكور بقرية بوبيين ، وأخوهما السيد الطاهر بتزية وأبناء عمهم
السيد عبد السلام بن محمد المدعو اليوسفى الصيد بتزية ، وأولاد عمهم
السيد أحمد وولد أخيه السيد محمد والفضيل وولد السيد محمد بتزية ،
وأخوهما السيد الطاهر بقرية ميزن ، وأولاد عمهم السيد محمد بالضم بن
على وأولاد السيد محمد والسيد عبد الوهاب ، والفقيه البركة سيدى على ،
والفقيه البركة سيدى الطاهر ، والسيد أحمد والسيد عبد السلام أولاد محمد
بالضم بن أحمد الصيد بتزية .

• أولاد الحويك

وأبناء عمهم أولاد الحويك بالتصغير ، ومستقرهم قرية عين الحديد ،

وهم السيد الحسن بن قاسم الملقب « الكويك » وولداه السيد محمد والسيد قاسم وولدا أخيه السيد العربي بن المهدي وولد عمه بن عيسى ، والسيد الفضيل وابن عمهم السيد المفضل بن محمد بن علي بن عيسى ، وابن أخيه السيد محمد بن العربي وولدا عمه السيد محمد والسيد العربي ابنا السيد محمد بن قاسم بن علي ، وكلهم بقرية عين الحديد الا ابن عمهم المعروف باسم الحويك وهو السيد محمد بن محمد فقد استوطن قريسة العشائش الهبطى من قبيلة الاخماس السفلى .

أولاد أبخوث بن ابراهيم

فبخوث هذا هو مبخوث بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الاكبر ابن عبد الكريم بن محمد بن القطب مولانا عبد السلام . ومن اولاده اولاد الردام بقرية افرنو السفلى وليس ردام قرية ميزن منهم . ومن اولاده ايضا اولاد عيسى بقرية تزية ، ومن اولاده ايضا اولاد بنعلى بقرية تزية أيضا ، وهذه القرية هي المعتل الاصلى لشرفاء بنى عروس من ذرية سيدنا عبد الكريم ، كما هي قرية افرنو السفلى المعتل الاصلى لشرفاء اولاد بن عبد الوهاب لوجوده بها ، وقد التبس الحال على المؤلف هنا سيدى محمد بن الصادق حتى عد اولاد الردام من اولاد ابراهيم بن عيسى ، وذلك لعدم توصله بالوثائق التى يعتمد عليها ، ولم يحقق المسألة عند مرآة المحاسن ، والحق كما جاء بها واعتمادا على عمود نسبهم انهم من اولاد ابراهيم بن يوسف المذكور فى الترجمة ، ولعله اعتمد فى ذلك على ما بغله عن الشرفاء الذين التبس عليهم الحال ولم يحققوا المسألة ، والتحقيق ما ذكرته اعتمادا على ما وجدته عند صاحب مرآة المحاسن ، وشهد به ما وجدته بأيديهم من الوثائق الرسمية المشتملة على رفع عمود نسبهم ، وتعتبر عائلة دار الردام بافرن الاسفل من اخير عائلات القرية واکرمهم ، وهى دار فضل وخياره وكرم وأخلاق فاضلة ، وتلاوة قرآن ، ويكفى فى ذلك شهرة المقرئ السبعى الشهير بالفقيه الردام ، ويذكر انه كان مقرنا لطلبتى الجن والانس ، وحدثنى اولاده أن جنيا جاء معزيا فى الفقيه المذكور وترك لهم آنية كانت تعرف عندهم بآنية الجن ، توفى الفقيه المذكور عن سن عالية سنة 1320 هجرية ، وهم أهل عمود النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فجدهم المعروف

بالسيد أحمد الردام وهو دفين قرية احميمون التابعة لقبيلة آل سريف
 بأسفل قلعة حجر النسر ، وقد خلف السيد أحمد الردام هذا ثلاثة أولاد هم :
 السيد محمد ، والسيد على ، والسيد عبد الهادي ، فهذا الآخر هو
 دفين جامع قرية دار زهرو من قرى فحص طنجة ، ولا عقب له ، والمعقبان
 هما محمد وهم أهل دار عم الصادق الردام ، وعلى ، وهم أهل دار الفقيه
 الردام ، ويبتدىء نسب دار عم الصادق الردام من حفيده السيد المختار بن
 الفقيه محمد بن الصادق بن أحمد بن محمد بن المفضل بن محمد بن أحمد
 الحميموني بن محمد بن قاسم بن على بن مبخوث بن أحمد بن أبى بكر بن
 ابخوث بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الكبير بن السيد عبد الكريم
 ابن الولي الصالح سيدنا محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ
 « مولانا عبد السلام » ويبتدىء نسب أهل دار الفقيه الردام من حفيده
 السيد عبد السلام بن عبد السلام بن محمد الفقيه المقرئ المذكور ، بن
 عبد السلام بن محمد بن على بن أحمد الحميموني بن محمد بن قاسم بن على
 ابن مبخوث بن أحمد بن أبى بكر بن ابخوث بن ابراهيم بن يوسف بن عبد
 الوهاب الكبير بن السيد عبد الكريم بن الولي الصالح سيدنا محمد بن
 القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » وباتى النسب
 معلوم فلا نطيل به . وأما أبناء عمهم أولاد عيسى فانهم يجتمعون معهم فى
 ابخوث بن ابراهيم عن طريق أحمد بن عيسى بن موسى بن سليمان بن عبد
 الكريم بن ابخوث ، وأبناء عمهم السيد العربى بن أحمد بن عيسى ، وابن
 عمه السيد عبد السلام بن قاسم ، وابن عمه السيد أحمد بن الطاهر
 وابن عمهم السيد محمد بن محمد بن قاسم بن عيسى
 وعمه السيد محمد بن محمد بن عيسى وهو بمدشر
 عين اسمن السريفى ، والفقيه المدعو المحجور هو السيد محمد بن
 محمد ووالده السيد المامون ، والسيد أحمد وأخوه الفقيه السيد الطاهر
 وولده بمدشر الخب الحبيبي ، هو السيد محمد ، وولد أخيها السيد محمد
 ابن أحمد المحجور بقلعة مرجانة المصورية ، وغير الخارجين عن بنى عروس
 فمستقرهم قرية تزية ، وأبناء عمهم السيد محمد والسيد أحمد ، وولدا السيد
 محمد بالضم بن عيسى بقرية عين الحديد ، وابن أخيها أيضا السيد عيسى
 ابن عمر ، وأولاد السيد أحمد المذكور ، خمسة رجال ، هم : السيد العربى ،

والسيد أحمد ، والسيد محمد والسيد امحمد بالفتح بقرية عين الحديد .

واما ابناء عمهم اولاد بنعلى فانهم يجتمعون معهم في أحمد بن أبى بكر ابن ابخوث بن ابراهيم وهم السيد أحمد بن أبى بكر بن على بن مبخوث بن أحمد بن أبى بكر المذكور . وباتى ابناء عمهم فهم السيد محمد بن محمد بالضم بقرية تزية ، وولده السيد عبد السلام بمدشر اولاد كنون اليدرية — وتعرف اليوم بدار الشريف — وولد أخيه السيد محمد بن أحمد بتزية ، والسيد الخضر بن محمد بن على بنى حزم ، وابن عم الجميع السيد ادريس بن عبد السلام بن على بقرية ظهر جعادة . ومنهم اولاد بن على بقرية عين زيانة ، وأبناء عمهم بقرية عين قمر من قبيلة بنى يدر .

أولاد يوسف بن عبد الوهاب الاصغر

ومن اولاده العلامة النقيب النسابة سيدى على بن عبد السلام صاحب املاء في النسب العلمى المعاصر للمولى اسماعيل العلوى 1101 هجرية وهو السيد على بن عبد السلام بن عيسى بن يوسف بن يوسف مكرر بن عبد الوهاب الاصغر . ولم نعلم له عقباً يذكر الا أن نسبه يجتمع مع ابناء عمه في عيسى ومنهم اولاد ابن لحسن الذين وقع الغلط فيهم للمؤلف سيدى محمد بن الصادق فتوهم انهم من ابناء سيدى أحمد بن عمر المتقدم ، والحق انهم من اولاد يوسف بن عبد الوهاب الاصغر ، وهم : السيد عبد السلام وشقيقه السيد الحسن باقرن الاسفل ، وولدا السيد أحمد بن لحسن ، وابن أخيهما محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بمدينة شفشاون ، وأبناء عمهم السيد لحسن وشقيقه السيد عبد السلام وأبناء السيد أحمد بن لحسن بقرية ظهر جعادة ، وبها ايضا الشريف الوجيه المسمى ولد عيشة رقية ، وعنه نلقت عمود نسبهم وهو السيد عبد السلام بن عبد السلام بن محمد ابن الطاهر بن عبد الكريم بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن عيسى بن يوسف بن يوسف مكرر بن عبد الوهاب الاصغر . ومن ابناء عمهم اولاد السيد محمد بن عبد الوهاب وهم السيد الهاشمى بن عبد الوهاب بن محمد المذكور ، وأولاد عمه السيد على والسيد محمد أبناء السيد عيسى بن محمد المذكور ، وكلهم بقرية افرنو السفلى ولهم ابناء عمهم بمدشر الصخرة المصورية ، والسيد الهاشمى بدار بن عثمان اليدرية ، وولد السيد

الطاهر بن محمد المذكور ، وعم جميعهم السيد أحمد بن محمد المذكور وولده السيد محمد فهما بينى ومراس ، وولد ابته السيد محمد بن المهدي بافرنو السفلى والغالب على الظن انهم من ذرية يوسف بن عبد الوهاب الاصفر . وهذه أسماء عائلات منهم توصلت عنهم بعمود نسبهم الا واحدة لم أتوصل عنهم بشيء والمعروفون هم دار الفقيه بن الحاج ، وهذا عمود نسبهم ، ويبتدىء من الشريف الوجيه الفقيه السيد أحمد بن الفقيه السيد محمد بن الفقيه السيد محمد المتوفى عن سن يناهز المائة سنة 1370 هجرية ابن محمد بن محمد بن الحاج محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن الحسن بن أحمد بن عيسى بن يوسف بن يوسف بن عبد الوهاب الاصفر . نقلته عن عقدي صداق أحدهما يناهز المائة والآخر يناهز المائتين ، وهذه عائلة أخرى توصلت عنها بعمود نسبها عن عقد صداق لاحد أجدادها ، وكانوا يعرفون بدار عم عبد السلام بن على ، ويبتدىء عمود نسبهم من الشريف الوجيه السيد أحمد بن عبد السلام بن على بن عيسى بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن عيسى بن يوسف بن يوسف مكرر بن عبد الوهاب الاصفر . ويرجع تاريخ هذا العتد الى سنة 1242 هجرية ، ودارهم القريبة من المسجد هى الدار التى كان يسكنها الولي الصالح سيدى عيسى بن عبد الوهاب وكلهم انتقلوا منها الى مدينة طنجة وهم ثلاث اخوة السيد أحمد المذكور واخوه السيد عبد السلام ، واخوهما السيد على وكلهم لهم اولاد ذكور ولا نعرفهم وأما عائلة اولاد ابن عبد الوهاب الوهابيين قد قيدتهم بهذا للفرق بينهم وبين أبناء عمهم الحاملين لهذا الاسم أيضا لانهم لم نجد بأيديهم الا اسم الوهابية مع اقامتهم بالاصل دون تحول عنه الى غيره من لدن جددهم عبد الوهاب الاصفر ، ومن تحول عنه من أبناء عمهم الاقربين فانهم يعرفونهم ، وقد صعب علينا أن نعرف من الاجداد المشاهير من يجتمع فيه تعددهم مع أبناء عمهم ، وذلك لغلبة الأمية عليهم حتى وجدنا ان حامل القرآن لا يوجد بينهم الا نادرا ، وأخيرا وقفت على تأليف العلامة سيدى محمد بن التهامى بن رحمون في النسب الادريسي والعلمى فوجدت لاولاد بن عبد الوهاب بقرية ظهر جعادة عمود نسبهم ، وقيل لى انهم اقرب أبناء عمهم اليهم ، وعليه فهم ينتمون الى يوسف بن عبد الوهاب الاصفر المترجم له.

أولاد محمد بن عبد الوهاب بالفتح

وكانت هذه العائلة تعرف عند أهل القرية ، بأولاد ابن الحاج ، ومنهم عائلة دار سي الهاشمي ، وعنهم نقلت عمود نسيبهم ، ويبتدىء من الشريف الوجيه السيد أحمد بن شيخنا القرآني للسيد الهاشمي المتوفى سنة 1388 هجرية ، بن السيد أحمد المقرئ الجليل بن السيد الهاشمي بن أحمد بن الهاشمي بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بالفتح بن عبد الوهاب الاصفر ، وهو دفين بمقبرة أولاد بن عبد الوهاب بجانب حومة اياوش ، في وسط غيظة من اشجار تثت الباسقة ، وعليه حوش من الحجارة دون طين ولا جير . فهؤلاء هم عائلات اولاد بن عبد الوهاب من بيت عبد الوهاب الاصفر ، ويستثنى منهم اولاد مبخوث بن ابراهيم ، فانهم لا يحملون اسم الوهابية لان الوهابية خاصة بعبد الوهاب الاصفر وقد قيدتهم بأسماء عائلاتهم المشتهرين بها ، وهم اولاد الردام بأفرونو السفلى واولاد عيسى واولاد بن على بقرية تزية ، والذين خرجوا عنها واستوطنوا غيرها .

قرية أفرونو السفلى معقل أولاد بن عبد الوهاب

نذكر هذه القرية لاهميتها وجمال موقعها المنخفض في سفح جبل وهوائها الصحي ، ومياها العذبة الجارية خلال فصول السنة كلها ، وبذلك تكون حقولها المخضرة في أيام المصيف تطفى عليها حلة تشيية تسحر الناظر اليها والى جانب ذلك تحيط بها الجبال المخضرة على الدوام الغنية بالاشجار الباسقة ذات الالوان المزهية ، تتخللها الدور البيضاء في وسط الغابات وذلك ما يزيدها جمالا ساحرا في أعين الناظرين ، والى جوانبها القرى المحيطة بها التي لا يقل جمالها عن القرية المذكورة ، فهي متشابهة المناظر ، ويغلب عليها الريح الشرقية في بعض فصول السنة من بعض السنين ، وتفصل بينها وبين قرية افرونو الاعلى التي يسكنها شرفاء اولاد مروان ، طريق السيارات الصاعدة الى مدينة تطوان أو الى ضريح القطب « مولانا عبد السلام » ولا تبعد عنه الا بنحو 15 ميلا ، وهى القرية الخالصة من سكان غير الاشراف باستثناء النزلاء الجدد المشبوهين الذين تكلمنا عنهم وعن اصولهم سالفا عند الكلام على اولاد اللهوى ومن غير هؤلاء لم يكن بها

سكنى قديما لغير أولاد بن عبد الوهاب . الا ما كان من حومة تمزجيدة ، فانها يسكنها العناصر الآتية ، هم : أولاد اللهوى وأولاد بن عبد الوهاب ، وأولاد شقور المنتقلون اليها من زاوية بنى حماید من قبيلة بنى يدر وهؤلاء شرفاء ، وبها من غيرهم أولاد الركاز المنتقل من قرية دار الشريف اليدرية ، وأولاد بوكر السوسى الدمناثى الاصل ، وبها المدعو أحمد ولد العربية المربى أبوه المجهول الاصل بقرية أبى زهرى ، وتزوج امرأة شريفة من أولاد الخراز الفرنبوى فولد معها ثلاثة أولاد ، هم : محمد الذى توفى وترك أولادا مع الشريفات بتمزجيدة وطردان وادياز ولا اعرف أسماءهم ، وأحمد أخوه وهو بحومة تمزجيدة الا انه متزوج ببنت الركاز ، وله معها أولاد ذكور ، وأخوهما عبد السلام ، وهو متزوج بامرأة شريفة بنت خاله من أولاد الخراز ويسكن حاليا بتطوان بحومة كديوة الشجر ، وله أولاد ذكور معها ، ونظرا لكثرة الدخلاء المشبوه فيهم والمعروفين بين العائلات الشريفة ، فان الحاجة ماسة الى تنصيب نقيب كفاء ثقة ورع صارم عالم بأصول العائلات الشريفة على غرار ما كان عليه الحال عند الاجداد القديما مع ملوك زمانهم للسهر على النسب النبوى الشريف من دخول غيره فيه ، ومن بدل أو غير فالله حسيبه ، ان الدنيا الا كسحابة صيف لا يفتربها الا الجاهل والاحمق ، وأما العاقل فبعبعد عن الاغترار بها ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ويتلخص أولاد ابن عبد الوهاب فيما ياتى من العائلات :

أولا : بيت سيدنا عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصفر ، ويتألف هذا البيت من ولدين هما : سيدى محمد بن عمر دفين قرية ادياز ، وأخوه سيدى أحمد بن عمر دفين تطوان .

بيت سيدنا محمد بن عمر ومن أولاده

- 1 — أولاد محمد بن محمد بن عمر
- 2 — أولاد أحمد بن محمد بن عمر
- 3 — أولاد أحمد بن محمد بن محمد بن عمر
- 4 — أولاد عبد السلام بن محمد بن محمد بن عمر
- 5 — أولاد التهامى بن أحمد بن محمد بن عمر

- 6 — أولاد الطاهر بن أحمد بن محمد بن عمر
- 7 — أولاد محمد بن التهامي
- 8 — أولاد عبد السلام بن التهامي
- 9 — أولاد محمد الأكبر بن الطاهر
- 10 — أولاد محمد الأصغر بن الطاهر
- 11 — أولاد المهدي بن التهامي
- 12 — أولاد علي بن عبد السلام
- 13 — أولاد محمد بن عبد السلام

هذه هي الأصول ، ولتشعب الفروع من باقى العائلات ذكرتها إجمالاً
كما ذكرها المتقدمون ، وهم من أولاد بن عبد الوهاب العمريين . ولفروع هذه
العائلات أسماء أخرى .

بيت سيدنا أحمد بن عمر ومن أولاده

- 1 — أولاد اللهيوى
 - 2 — أولاد أيو
 - 3 — أولاد الفاسى
 - 4 — أولاد بن عبد الوهاب العمريون أهل الحارش وتجزرت
 - 5 — أولاد ابن عمر دار الحيط من العمريين الوهابيين
- بيت سيدنا أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الأصغر . ومن أولاده :
- التايديون ، وهم خمس عائلات :

- 1 — أهل قرية تايدة
- 2 — وأهل بنى حرشان فى بنى مصور
- 3 — وأهل قرية كمر فى جبل حبيب
- 4 — والمنوفيون « أهل مكة وأهل المدينة »

بيت سيدنا ابراهيم بن عيسى ومن اولاده :

1 — اولاد الطالب

2 — اولاد بن قاسم

3 — اولاد الصيد

4 — اولاد الحويك

بيت ابخوث بن ابراهيم بن يوسف ومن اولاده :

1 — اولاد الردام بقرية افرنو السفلى

2 — واولاد عيسى بقرية تزية

3 — واولاد بنعلى بقرية تزية . وليست هذه من اولاد بن عبد الوهاب

بيت يوسف بن عبد الوهاب الاصغر ، ومن اولاده :

1 — اولاد بن لحسن

2 — اولاد محمد بن عبد الوهاب

3 — اهل دار الفقيه بن الحاج

4 — اهل دار عم عبد السلام بن على

5 — اولاد بنعبد الوهاب الوهبيين

واغلب هذه الفرق الوهابية تسكن قرية افرنو السفلى ، وقد بلغت الفرق الوهابية بين من يسكن في الاصل ومن خرج عنه الى 31 عائلة كما رايتها معدودة الواحد تلو الاخرى وكلها تجتمع تحت اصل واحد وهو عبد الوهاب الاصغر . وقد تنوعت عن طريق ثلاثة من اولاده هم :

1 — الولي الصالح سيدنا عيسى دفين قرية افرنو السفلى

2 — واخوه سيدنا يوسف

3 — واخوهما سيدنا محمد بفتح الميم دفين مقبرة اولاد بن عبد الوهاب بتزية والظاهر ان عبد الوهاب الاصغر هذا كان من اوائل القرن التاسع الهجرى . وكل هذه العائلات الوهابية توجد اصولها بقرية افرنو السفلى ، ومن انتقل منهم بقى ريعه او عقاره بها ، على ملكه ، او ملك

اعتقابه . وقد تنوعت الوهابية الى ان بلغت في عددها 35 عائلة فأغلب أصولها لا زالت تسكن قرية أفرنو السفلى ومن تلك الاصول من خرج عنها وسكن في جهات اخرى لكن الذين لم ينقطعوا عن الاتصال بأصولهم بها فهم معروفون عند أبناء عمهم وغيرهم واما الذين انقطعوا عن أصولهم ولم يبق لهم بها صلة من قريب أو بعيد ، فذلك ليس من اسباب جهالتهم ، اللهم الا ان يكون بيدهم وثائق صحيحة تشهد بأصالتهم ، وتشهد لهم بصحتها عموم شرفاء أهل العلم على العموم لما لديهم من الخبرة بأبناء عمهم حيثما كانوا من بلاد المغرب أو غيرها ، وكل هذه العائلات يجمعها عبد الوهاب الاصفر عن طريق ثلاثة من اولاده ، هم : سيدنا عيسى بن عبد الوهاب الاصفر المذكور وسيدنا يوسف بن عبد الوهاب الاصفر المذكور ، وسيدنا محمد بن عبد الوهاب الاصفر فتحا .

بيت سيدنا عبد الواحد بن عبد الكريم

ومن اولاده اولاد ابن حليلة ، وهم عائلة شهيرة الصيت معروفة برجالها الاخيار الابرار ، والفضل والعلم ، وهم نسب مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم الا أنهم التصق بهم من الدخلاء في نسبهم ما قد يربو على عددهم الاصيل ، فانك كلما طرق سمعك ابن حليلة وبحثت عنه ، وجدته دخيلا في اسمها العائلي ، ولا شيء أضر عليها من هذا الداء الذي كان ينبغى لاهل النظر منهم أن ينهضوا للذب عن انفسهم حتى يطهروا صفوفهم ، لان بيدهم أحسن الوسائل ، وهو عمود نسبهم الخالص ، فمن وجد بيده فهو منهم ، ومن لا شيء له الا المشاركة في الاسم طردوه وأعلنوا عنه ، انه ليس منهم ، ويساندوهم في ذلك جميع أبناء عمهم من سكان جبل العلم ، والخطب في ذلك سهل كما كان يجب لهم أن يجادلوهم في انتمائهم اليهم في كل مكان لقوهم فيه ويرتفعون معهم الى المحاكم ، وما عليهم في ذلك اثم ولا عار ، وانما هو دفاع مشروع لتطهير صفوفهم وازالة وصمة العار من بينهم ، ولو بواسطة وكيل يقيمونه على ذلك منهم ، لما في المثل ، ما حك جلدك مثل ظفرك ، كما يجب على الدخلاء أن يتوبوا الى الله ولا يفرحوا بالاسم المزور ، لانه سرعان ما يزول وترجع الحقيقة الى اصلها ، ومن أجل ذلك وجب عليهم أن يرجعوا عن الاندماج في النسبة الطاهرة ، وهم يعلمون

انهم ليسوا من أهلها حتى لا يحيون ملعونين ثم تكون فضيحتهم في القيامة على رؤوس الأشهاد ، ولو حثقوا التقوى كفتهم رتبة الاسلام ، وليكن اسم عائلتهم ما كان ، ولا يمكن أن تتصور التوبة مع الاصرار على الذنب ، واين التقوى بلا توبة ، ويا حسرتهم يوم القيامة على هذه النسبة المزورة وحلاوتها في هذه الدنيا الفانية ، ولو تصدقوا وصلوا وصاموا وحجوا وزاروا فان ذل المعصية لا يفارق رقابهم ، ولا يكون ذلك صارفا عنهم ما استوجبوه من اللعنة انظر ما تقدم من الادلة الواردة في الموضوع ، اما اولاد ابن حليلة واقرب ابناء عمهم اليهم اولاد الخراز فهم السيد الحاج العربي بن حليلة ابن الطاهر بن علي بن قاسم بن يوسف بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن الولي الصالح سيدنا عبد الواحد بن عبد الكريم صاحب الترجمة ، بن سيدنا محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع « مولانا عبد السلام » بن مشيش ، وباقي النسب معلوم فلا نطيل به ، وولده السيد المهدي ، وحفيده السيد الطاهر بن محمد بن العربي المذكور ، وكلهم بقرية ادياز مقرهم الاصلى الواقعة في سفح جبل العلم غربا ، واخوه الوجيه المكرم السيد الطيب بن السيد الطاهر المذكور ، واولاد السيد علي وهم أيضا بقرية ادياز واخوته السيد محمد والسيد محمد بالفتح ، والسيد المفضل ، والسيد الحسن ، وهؤلاء انتقلوا واستوطنوا قرية « كر » من قبيلة جبل حبيب ، وبنو عمهم السيد الحسن والسيد الغالى ، والسيد ادريس بنو السيد الهاشمي بن الطاهر المذكور فهم أيضا بقرية كر ، واولاد عمهم الحاج علي بن محمد ، واخوه السيد محمد بالفتح ، والسيد قاسم ، وكلهم بتطوان ، وبها أيضا ابناء عمهم الحاج محمد بن الوافي والسيد الطاهر بن علي وأما السيد المفضل بن علي ، فهو بمدشر منكال اليدرية ، وابن أخيها السيد عبد السلام بن محمد بن علي بمدشر بنى وخلف اليدرية ، وابنه السيد علي ، واخوه السيد محمد بمقرهم الاصلى قرية ادياز ، مع ابن أخيه السيد الطاهر بن الطاهر ، بن حليلة ، وابن عمهم السيد أحمد بن أحمد المقدم ، وولده السيد محمد ، وولد عمهم السيد محمد المحجور ، والمشاع الذائع بين سكان أهل قرية ادياز من اولاد دار حليلة ، وغيرهم من أهل القرى المجاورة لهم ان الذين اشتهروا باولاد المحجور ، وترقوا قريبا لابن حليلة ، وجعلوا من هذا الاسم حلة جديدة ، وصار المحجور الاصيل نسيا منسيا

لعدم الاستعمال ، وقد كانوا في أول امرهم يدعون اولاد المجبور ، لما يقال من أن أباهم كان لقيطا مجبورا ربي عند أحد أفراد هذه العائلة ، وكان الناس ينادونه به ، فكان يسوءه ذلك ، فحول اسمه الى المحجور وندب الناس اليه ، وكان أجداد الاولاد الحاليين لا يستطيعون أن يجهروا بأنهم اولاد بن حليلة الى أن انخرق برزخ البحرين بعهد الاستقلال والحريّة المطلقة ، وكانوا لا ياخذون من فتوحات الشيخ مولانا عبد السلام ، ولما جاء اولادهم وجدوا الطريق معبدا فأصبحوا مثل الشرفاء ، غير أنهم يلتقون الطعن من الشرفاء من أمام ومن خلف وهذا الذي تحدث به الاوائل من خاصة قبيلة بنى عروس وعامتهم الى الآن . اللهم انى أعوذ بك ان أدخل أحدا في النسب الشريف وهو ليس من اهله ، او أخرجته منه وهو من اهله ، والحق في هذا الباب أحق أن يقال ، والعلم لله بغيبه وأحكامه ومنهم أبناء عمهم اولاد الفقيه القاضى في حينه 1191 هجرية سيدى قاسم بن حليلة ، هم : السيد أحمد والسيد امحمد بالفتح والسيد قاسم والسيد عمر ، وابن عمهم السيد محمد ابن سليمان ، وولده السيد سليمان ، والسيد ادريس ، وكلهم بمقرهم الاصلى قرية ادياز ، واولاد السيد الهاشمى بن محمد بقرية طردان هما السيد محمد وولده السيد محمد أيضا ، وأما السيد عبد السلام بن الهاشمى فهو بمدشر عين بوعمار من قبيلة آل سريف .

أولاد الجبيلى

وأما اولاد الجبيلى فهم فرع من اولاد بن حليلة ، وهم السيد محمد ابن مولاي عبد الرقيع وأخوه السيد عبد السلام ، ولم يخلف رحمه الله سواهما ، وأبناء عمهم السيد محمد بن محمد بتطوان ، والسيد محمد والسيد الطيب ، ولدا السيد العربى الجبيلى بمدشر بنى وخلف اليدرية ، ولهذا العهد توجد دار بمدشر ازكاوط اليدرية لربها السيد العربى ولد الجبيلية .

أولاد الخراز نسبا لاحرفة

وأبناء عمهم من اولاد سيدنا عبد الواحد صاحب الترجمة اولاد الخراز نسبا لاحرفة وأما اولاد الخراز حرفة فلا نسب لهم ، ومن اولاد الخراز نسبا الشريف المسن الذى تجاوز المائة سنة ، السيد محمد بن السيد أحمد بن

عمر بن قاسم بن عبد الكريم بن يوسف الاصغر المذكور فى سلسلة اولاد بن حليلة لانه الجد الذى يجتمعان فيه ، وتوفى السيد محمد المسن فى مدشر عين ابوط اليدرية ، واولاده هم : السيد أحمد والسيد عبد المجيد ، والسيد عبد المالك ، وهم مع ابيهم بمدشر عين ابوط ، والسيد عبد الجليل والسيد التهامى يسكنان بمقرهم الاصلى قرية العجالية ، واما ولد اخيه السيد على بن أحمد فهو بمدشر بنى راثن الحزمية ، واولاده معه بها ، وهم : السيد محمد والسيد النادى ، والسيد عبد السلام ، وله ابن آخر اسمه السيد العربى ببنى ومراس وله ابن آخر اسمه السيد الخضر بقرية منكال اليدرية ، واما ولدا السيد محمد بن على المذكور ، فالسيد على بمدشر بنى راثى الحزمية، والسيد الراضى بمدشر امغارث الليتية واولاد عمهما السيد الحسن الخراز فهم اربعة رجال ، السيد الطاهر والسيد أحمد والسيد محمد والسيد عبد السلام ، وكلهم بمدشر الدرادر الليتية ، واما حفيده السيد محمد بن محمد فهو بمدشر بنى عمران الحسانية ، وبالتقرب من دار افكث الليتية السيد ادريس بن محمد الخراز ، وبمدشر العجالية مقرهم الاصلى السيد الهاشمى ابن محمد وولد اخيه السيد محمد بن محمد بالفتح ، وولد عمه السيد الهاشمى ابن محمد بالضم بن قاسم الخراز وولد عمهم السيد على بن أحمد وولد اخيه السيد محمد بن قاسم بن أحمد المذكور العم مقره بضريح القطب مولانا عبد السلام وابن اخيه بمدشر اراريوش وولد عمهم السيد قاسم بن عيسى الخراز ، وولداه السيد محمد والسيد المهدي ، واخوانه السيد عبد القادر والسيد محمد ابنا السيد عيسى المذكور ، وابن عمهم السيد محمد بالفتح بن محمد بالضم الخراز ، واولاد السيد الحاج الخراز هم السيد محمد وولداه السيد التهامى والسيد الطيب ، واخوهما السيد النادى وولده السيد محمد وابن اخيهما السيد قاسم بن الطاهر وكلهم بمقرهم الاصلى مدشر العجالية، ومنهم اولاد الفرنيوى وسبب تسميتهم بهذا الاسم كما رويته عنهم ان امرأة شريفة تزوجت رجلا من ابناء عمها اولاد الخراز ، فأتت منه بولد فماتت زوجها عنها وترك بيدها الطفل صغيرا ، ثم تزوجت رجلا آخر فنقلها الى محل سكنه بافرنو الاعلى فعاشت معه هناك مدة حتى كبر ولدها اليتيم وصار رجلا ، ثم مات الزوج الثانى عنها فرجعت بولدها الاول الى دار ابيه بالقرب من قرية ادياز ، ثم اطلق عليه هذا الاسم من طرف ابناء عمه

أولاد الخراز ، لتربيته بقرية افرنو الاعلى قال المؤلف : وهم اربعة رجال :
السيد محمد بن قاسم ، والسيد أحمد بن محمد بقرية ادياز والسيد عبد
السلام بن محمد بن أحمد بقرية عين الحديد .

أولاد مروون

ومن أبناء عمهم أولاد مروون ومقرهم الاصلى قرية افرنو الاعلى ، وفي
مرآة المحاسن هم أولاد السيد محمد بن أبى القاسم بن أبى القاسم بن
مبخوث بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن
عبد الكريم بن محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع « مولانا عبد السلام »
ابن ميثيس . ومن اولاده السيد عيسى بن عمر وولداه السيد الفقيه الحاج
محمد والسيد عبد الكريم ، وولد ابن أخيه السيد محمد بن محمد بن السيد
على بن على بن عمر المذكور . وابن عمهم السيد محمد بن عبد الرحمن
والسيد عمر وابن أخيه السيد محمد بن سليمان وابن السيد محمد بن
محمد المذكور ، وهؤلاء الثلاثة بقرية طردان ، ومن أبناء عمهم من انتقل
الى تفلت وهى قرية على طريق الخميسات من أرض الشلوح وتبعد عن
سلا بنحو 150 ميلا ، ومنهم أهل عمود ، وهم جماعة كبيرة ، ومشاهير
معروفون لدى أبناء عمهم الباقين بمقرهم الاصلى قرية افرنو الاعلى ،
ويستثنى منهم المعروف بالعربى الليثى فانه من عوام بنى ليث ، ومن أبناء
عمهم أولاد بن قاسم بن مبخوث ، وهم السيد عبد الواحد بن السيد على ،
وابن عمه السيد الحسن بن السيد محمد بالضم ، وأخوه السيد عبد
السلام بن السيد محمد ، وله ولدان السيد أحمد والسيد محمد ، وابن
عمهم السيد محمد بن الهاشمى وأخوه الحاج الطاهر ، وابن أخيهما السيد
محمد بن محمد بالضم بن الهاشمى المذكور ، وولد عمهم السيد عيسى بن
على بن أحمد ، وأخوه السيد الطيب والسيد عبد السلام والسيد عبد
الكريم ، وابن أخيهما أيضا السيد على بن أحمد بن على المذكور ، وابن
عمهما السيد محمد بن الحاج عيسى وولدا عمهم السيد عبد الكريم والسيد
محمد ابنا السيد قاسم ، وولدا أخويهما السيد الطيب بن أحمد بن على ،
والسيد الطاهر بن عبد السلام وابن عمهما السيد محمد بالفتح ، وابن
عمهم السيد محمد بن عيسى ، وأولاد السيد عيسى وعبد الكريم وأحمد ،
ومبخوث وعبد السلام ، وأخواه الحاج أبو حرمة والسيد عبد السلام ،

وأولاد السيد محمد بقرية بويبين الحسانية ، والسيد امحمد بالفتح بالصحفة والسيد أحمد والسيد عمر ، وابن عمهم السيد أحمد بن مبخوث والسيد على مع ما تقدم بقرية تفلت ، ومن لم ينتقل منهم فهو باق بمقره الاصلى افرنو الاعلى .

أولاد الشعل

ومن أبناء عمهم أولاد الشعل ومقرهم الاصلى قرية عين اجبار ويعرفون بأولاد موسى بن مسعود ، وفي مرآة المحاسن هم أولاد السيد عبد الرحمن بن موسى بن مسعود بن موسى بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد صاحب الترجمة بن عبد الكريم ابن محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » ابن ميثيش ومنهم السيد الهاشمى بن سليمان وولده السيد محمد وحفيده السيد محمد بن السيد عمر بن الهاشمى المذكور ، والسيد محمد بالضم ابن سليمان المذكور ، وولده السيد الهاشمى ، وابن عمهما السيد امحمد بالفتح ، وولده السيد محمد وأخوه السيد محمد ، وهو بقرية دار الحيط والسيد المهدي ، والسيد الفضيل بن السيد محمد بن السيد الطاهر ، وهو بمدشر الخروب الحبيبي وأخوه بمقره الاصلى ولا نعرف اسمه الآن ، والسيد عبد السلام بقرية افرنو الاعلى .

أولاد القصرى

ومن أبناء عمهم أولاد سيدنا عبد الواحد صاحب الترجمة أولاد القصرى ومقرهم الاصلى قرية ادياز وهم أبناء ستة رجال ، هم : السيد محمد بن عبد السلام وولده السيد الهاشمى ، وأخوه السيد التهامى ، وابن أخيها السيد محمد فتحا بن عبد القادر ، وكلهم بقرية ادياز ، وأما السيد عبد الكريم بن محمد وابن عمه السيد محمد بن عبد السلام فقد استوطننا بقرية عين بوعامر السريفية ، وأبناء عمهم المعروفون بأولاد المودن ، قد ائتمرك في اسم المودن ثلاث عائلات شريفة هم : اليونسيون ، وهم أشهرهم بهذا الاسم لكثرة أفرادهم ، واليملاحيون ، وأعمام أولاد القصرى من أولاد عبد الواحد هؤلاء المذكورين ، ولا بد في ذكر المؤذن من تقييده

باليونسي مثلا أو اليملاحي ، أو عبد الواحد ، والمعروف منه دار واحدة بادياز ، ويأتى للمؤلف ان المودن اليملاحي كانت لهم داران بخندق ابران ، ودار بقرية ادياز ، وعليه فلا بد لمعرفة كل منهما بعينه من الرجوع به الى اسم جده ، وله هنا عدة افراد هم : السيد قاسم بن عبد الرحمن واخوه السيد محمد وابن اخيهما السيد الطاهر بن على بن عبد الرحمن ، وابن عمهم السيد عبد السلام بن أحمد المودن بقرية ادياز والسيد عبد السلام بن عبد السلام بقرية افرنو الاعلى لم يبق له وجود بها الآن 1395 هجرية .

التزام المؤلف

قد التزم المؤلف سيدى محمد بن الصادق فى ديوانه أن لا يسجل مشبوها فيه وان اقتصى الحال تسجيله فانما يسجله بقصد الطعن فيه ، وعدم ثبوت نسبه ليعرفه الخاصة والعامة ، لانه لا ينبغى التلبيس فى هذا الموضوع لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، لان من شروط صحة النسب الاستفاضة والسلامة من الطعن وتسليمه من طرف عموم الشرفاء العلميين ، فاذا شاع بين الناس شرفه ، وسلم من الطعن ، وسلمه الخصوص والعموم من الشرفاء العلميين ، لكثرة معرفتهم بمن هو منهم ومن ليس منهم ، فكل من توفرت له هذه الشروط الثلاثة فهو محكوم بصحة نسبه عند الخاص والعام ، والا فلا ، وقد يضاف الى هذا مخايل النسب التى لا تكاد تخفى على أحد من الناس ، وعلى هذا فشد يدك والحق احق ان يتبع ، وأمر الله يجب أن يطاع ، : وما توفيقى الا بالله .

المجاهدين أهل قرية طردان

ومن أبناء عمهم اولاد سيدى عبد الله المجاهد ، ومقرهم الاصلى بقرية مدفن جدهم المذكور طردان ، وفى هذا الولى الصالح يجتمع نسبهم من اولاده الاربعة هم السيد محمد بالضم ، والسيد أحمد ، والسيد على والسيد عيسى وكلهم بمقرهم الاصلى قرية طردان ، وهم على فرق كما سندكرهم واحدة تلو الاخرى ، وكلهم يجتمعون فى الجد المذكور .

العلاقيون

وهم أولاد السيد محمد بالضم بن عبد الله المجاهد ، وهم : السيد الطاهر بن محمد الملقب العلاق ، وأخوه السيد علي ، وولدا أخويهما السيد محمد بن محمد ، والسيد عبد السلام بن الحسن ، وهو بتطوان ، وولد السيد الطاهر المذكور السيد عبد السلام والسيد عبد الله ، وله غيرهما من غير تاهل ، وابن عمهم السيد محمد الملقب هبول والسيد عبد الوهاب ، والسيد أحمد ، وابن عمهم السيد محمد بن عبد القادر وابن عمهما السيد أحمد وهو بمدشر « كر » الحبيبي ، وابن عمهما السيد محمد بالضم الملقب ذو الواد ، لسكناه قرب الوادي ، وولده السيد محمد ، وأولاد عمهم السيد أحمد بن عبد السلام وهم : السيد عبد السلام ، والسيد محمد ، والسيد الطيب وأولاد عمهم محمدان ومحمد بالضم بنو السيد عبد الله بن عبد السلام ، وبنو عمهم السيد أحمد بن عبد السلام ، بن أحمد بن عبد السلام أيضا ، وأخوه السيد أحمد والسيد محمد بنو السيد محمد الملقب المقدم .

المقدمون

وابن عمهم السيد الهاشمي بن الطاهر المقدم ، وولد عمه السيد محمد ابن الحسن المقدم وأخوه السيد الطيب والسيد عيسى ، وابن عمهما السيد عبد الرحمن والسيد عبد السلام ، ولدا السيد أحمد المقدم ، وابن الثاني عبد الله بن عبد السلام وابن عمهم السيد مجهد بن الطاهر وابن أخيه السيد محمد بن السيد عبد السلام بن الطاهر .

أولاد أحمد ومنهم بن جيد

وأما أبناء عمهم السيد أحمد ، فهم : السيد عبد الكريم بن أحمد وابن أخيه السيد محمد بن محمد ، وولدا عمه السيد محمد والسيد عبد السلام ، وولدا السيد الحسن بن علي ، وابن عمهم الفقيه العالم الحاج محمد بن علي ، وابن عمهم السيد الحسن بن محمد الملقب المحاجر ، وأبناء عمهم السيد علي ، والسيد محمد أبناء أبي حرمة ، وابن عمهما السيد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله ، وابن عمه السيد محمد بن

الحسن ، وهو بقرية عين زيانة ، وولدا السيد الطيب بن عبد السلام وهما السيد محمد والسيد الحسن ، وأولاد ابن أخيه السيد محمد ، وهم السيد عبد السلام والسيد العلم ، والسيد أحمد وولد أخيه السيد عيسى والسيد عبد السلام ابنا السيد أحمد ، وأولاد عمهم السيد محمد ، والسيد أحمد ابنا المرحوم بالله تعالى ، الملقب « الجيد » وابن عمهم السيد أحمد ابن الطاهر الجيد ، وابن عمهم السيد ادريس بن الحسن بن عبد السلام الملقب المحجور ، ومنهم دار الحاج بركة .

أولاد على ومنهم اعيبدو

وأما أبناء السيد على ، فهم : السيد محمد الملقب اعيبدو ، وأبناء أخويه السيد النادى والسيد أحمد ابني عبد الله ، وابن أخى السيد أحمد المذكور ، هو السيد الطيب بن عبد الله اعيبدو ، وابن أخيه السيد محمد ابن الحسن ، وابن ولد أخى السيد محمد المذكور أولا ، هو السيد الطاهر ابن عبد السلام بن الطاهر ، وأولاد أخيه أيضا هم ثلاثة ، السيد ادريس ، والسيد الهاشمى ، والسيد الطاهر بنو عبد السلام وابن عمهم السيد محمد ابن على اعيبدو ، وابن أخى السيد محمد المذكور ، أيضا السيد الحسن ابن على ، وهو بمدشر بودعلال ، اليدرية ، وابن عمه السيد محمد بن الطاهر وهو بقرية « كسر » الحبيبي ، وأولاد المرحوم بالله تعالى السيد عبد السلام بن أحمد اعيبدو وهم يتامى صفارا .

أولاد عيسى

وأما أولاد السيد عيسى فهم السيد محمد بن عيسى بتطوان وولد أخيه السيد محمد بن عمر بقرية بوعمار ، والسيد عبد السلام بقرية تولة السمائية فهذه جملة أولاد الولي الصالح سيدى عبد الله المجاهد ، ولم تزل أعقاب هذه الاصول بمستقرهم الاصلى قرية طردان ، وأهلها أكثر أبناء عمهم نداء بعضهم بعضا باللقاب كما انهم الطفهم خلقا وخلقنا ، وقد توصلت بمعود نسبهم من طرف الشريف السيد بوسلهم ، من نسخة صداق لابييه يرجع تاريخها الى سنة 1305 هجرية . فهو السيد بوسلهم ابن عيسى بن مولاى الطاهر بن الشريف البركة السيد الحاج الهاشمى

المنعقد الصداق باسمه ، المدعو « العلالق » بن الطاهر بن محمد فتحا
ابن عبد الله بن محمد فتحا أيضا ، بن الولي الصالح سيدي عبد الله
المجاهد بن علي بن الحسن بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن الولي
الصالح سيدنا عبد الواحد بن سيدنا عبد الكريم بن سيدنا محمد بن القطب
الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » بن مشيش ، وباقى
النسب معلوم فلا نطيل به . كما توصلت أيضا من طرف ابن عمه
الشريف المدعو زروق بنسخة كتب عليها عمود نسبه ، وهو السيد محمد بن
محمد بن أحمد بن الحاج عبد السلام بن محمد بن الهاشمي بن الطاهر
ابن محمد بن عبد الله بن محمد فتحا بن الولي الصالح سيدنا عبد الله
المجاهد بن علي بن الحسن بن عيسى بن أحمد الثاني بن عيسى بن أحمد
الاول ، بن الولي الصالح سيدنا عبد الواحد بن سيدنا عبد الكريم ، بن
الولي الصالح سيدنا محمد بن القطب الجامع الشيخ « مولانا عبد السلام »
ابن مشيش ويتلخص أبناء سيدنا عبد الواحد بن سيدنا عبد الكريم بن
مولانا محمد بن القطب الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش في العائلات
الآتية ، وهم :

- 1 - أولاد بن حليلة
- 2 - وأولاد الجبيلي
- 3 - وأولاد الخراز
- 4 - وأولاد مروان
- 5 - وأولاد الشعيل
- 6 - وأولاد القصري
- 7 - والعلالقيون
- 8 - والمتدميون
- 9 - وأولاد أحمد منهم بنجيد
- 10 - وأولاد علي منهم ابيدو
- 11 - وأولاد عيسى
- 12 - وأولاد الحاج بركة لعلهم منهم

وتتلخص عائلات أبناء سيدنا « محمد » بن القطب مولانا عبد السلام ابن ميثش في 49 عائلة كما رأيتها مرتبة الواحدة تلو الأخرى ، وتعتبر أصولا الآن لما عليه أبناء الشيخ مولانا عبد السلام من الفروع لان احصاءها بهذه الاسماء كان في زمن النقيب العلامة سيدى محمد بن الصادق الريسونى .

بيت سيدنا « أحمد » بن الشيخ مولانا عبد السلام

الذى تقدمت ترجمته في عداد اخوته ، ويتألف بيت السيد احمد المذكور من عائلتين اثنتين هما : اولاد الطريق ، واولاد افيلال .

فأما اولاد الطريق مقرهم الاصلى مدشر بغورة ، الواقع في سفح جبل انزول الفارق بين قرى قبيلة بنى عروس وقبيلة بنى يدر ، ويعتبر موقعه من اهم المواقع الجامعة بين جمال الجبل ومياهه الجارية خلال فصول السنة وسهول البطاح المحيطة به ، وهو بلد اللحم الطيب والشهد والزبد ، ولا نظير لموقعه في ذلك ، وهم : السيد محمد بن محمد بالضم الملقب بالطريق وولده السيد الحسن ، واولاد عمه السيد محمد بن السيد المدعو الطريق والسيد المفضل ، فأبناء السيد احمد الطريق المذكور ، هم : السيد محمد والسيد عبد السلام ، وأبناء عمهم السيد العربى بن محمد ، والسيد الحسن بن محمد وولده السيد محمد وأخوه السيد التهامى ، وكل هؤلاء بمدشر بغورة ، وأما ابن عمهم السيد محمد بن على ، وولده السيد العربى فهو مستوطن بقرية تزروتن الحبيبية ، ومدشر بغورة السيد محمد والسيد الطيب ابنا السيد احمد الطريق ، وأما السيد الطيب بن على ، فقد استوطن مدشر اولاد كنون اليدرية ، وأما السيد عبد السلام بن احمد الطريق المتقدم الذكر فهو مستوطن ببني وسيم اليدرية ، وأما ثلاثة ديار الموجودة في بنى مسارة وتعرف عندهم بدوار اولاد ابن الطريق ، فهي للسيد الخضر واخيه السيد احمد واخيها السيد الهاشمى ، فهم من اولاد الطريق المعدودين شرفاء ، وقد استوطن تزروتن أيضا السيد محمد بن على المدعو الشريف ، وأما السيد احمد بن على الطريق فمستوطن بثغر الرباط ، وتوجد لهم دار بعين التين المصورية للسيد التهامى ، وبعين مديونة دار أخرى للسيد الغالى ، وبالقرب من ضريح القطب توجد دار للسيد محمد الطريق بالضم ، وقد انتقل لمدشر

امسمل بعد حدوثه ، وموقعه أسفل قرية السكان المحدثه أيضا وله اولاد عدة اسم أحدهم محمد ، والآخرون لم تصلنى أسماءهم . وهؤلاء المذكورون هم الاصول الصحيحة لاولاد الطريق ومسلمة عند شرفاء بنى عروس ، بلا نزاع وأما غير المذكورين من الذين يحملون اسم الطريق فليس لهم من الشرف الا المشاركة فى الاسمية لاهل النسب الشريف ، وهم اهل قرية بوعباد من قبيلة انجرة ، واهل مدشر واد الزرجون من قبيلة الحوز ، وقد نفت دعوتهم النسب الشريف جميع دواوين النسب العلمى ، فليس لهم الا الادعاء المجرى وكافة شرفاء بنى عروس على علم من ذلك ، ومن أجل ذلك ظل الباب موصدا فى وجوههم الى عهد فاتح الاستقلال بعد جلاء الحماية الاربية عن المغرب وسوف نتكلم على هذا العهد وما ظهر فيه من سفاهة ، وتساهل فى الدين واستهزاء بالقيم الاخلاقية التى هى من تعاليم القرآن ، من طرف من لا يراقب الله ولا يخشى سوء العواقب من مغرورى الشرفاء أنفسهم سواء من هؤلاء أو من غيرهم ، فانهم قد بدلوا وغيروا وسوف يلقون جزاء ما صنعوا : الا الى الله تصير الامور » قال المؤلف رحمه الله ، وأما أبناء عمهم اولاد أفيلال فهم القاطنون بقرية مجمولة بالقبيلة العروسية وهم : الفقيه المسن السيد محمد بن محمد أفيلال وولده الفقيه السيد أحمد والسيد النادى ، وله غيرهما من غير تأهل ، وتقدم له أن لا يذكر فى هذا الديوان الا المتأهل ، واخوانه السيد على والسيد الطاهر والسيد عبد السلام ، وكلهم بقرية مجمولة ، وأما أبناء عمهم القاطنون بقرية الفلالسة ، وقرية الجبيلة من القبيلة الحبيبية ، فهم السيد عبد الوهاب والسيد محمد ابنا السيد عبد السلام ، والسيد محمد بن عمر وولداه : السيد محمد والسيد النادى وابن عمه السيد النادى بن محمد ، وابن أخيه السيد محمد بن المهدي وابن عمهم السيد الحسن بن محمد ، وكلهم مع الاول بالقبيلة الحبيبية ، وبتطوان السيد الهاشمى ، والسيد التهامى بعين مديونة ، والسيد الغالى ، وبعين التين الفحصية وهى الآن من قبيلة بنى مصور السيد على الطريق ، والذى وجدناه مسلما وسالما من الطعن فى هاتين العائلتين اولاد الطريق وأبناء عمهم اولاد أفيلال ، القاطنين بقرية الفلالسة واهل قرية الجبيلة من القبيلة المذكورة ، ولهم ابن عم بقبيلة الغربية يسكن موضعا يدعى تويزة

القريب من قرية البريدية ، هو السيد الحسن أفيلال ، وقد تعرفت على نجله السيد البشير أثناء دراستنا العلمية بها سنة 1360 هجرية .

وأما أفيلال تطوان : فالصحيح فيه انه على ضربين : ما يعرف بأفيلال السياغين وما يعرف بأفيلال المطامر ، والمعروف بأفيلال السياغين هما اخوان السيد محمد واخوه السيد المامون ، ولهذا الاخير ولد واحد اسمه السيد احمد ، وأما اخوه السيد محمد فقد انقرض نسله ، وأما أفيلال المطامر وهم المدعو القاضى التهامى وابنه المدعو الحاج محمد أفيلال الذى كان وزيرا للعدل فى عهد النفوذ الاسبانى بتطوان ، واخوه المسى البشير ، وعمهم الحاج عبد السلام ، ولكل منهم اولاد الا البشير ، فانه لا عقب له ، فانهم كانوا عند قدماء أهل البلد يعرفونهم بأولاد الزغمورى لقدمهم من قرية صغيرة من قبيلة بنى يدر تعرف بالزغامرة ، وكانوا يعرفونهم أيضا بأولاد هيدور ، وأصلهم أيضا من قرية صغيرة ببني يدر تدعى دار هيدور ولهم أبناء عم فى قبيلة بنى سلمان من قبائل غمارة . كانت لهم دعوة فى النسب الشريف فحكم بطردهم منه نقيب الاشراف مولاي احمد بن أحمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن عمر فى حينه سنة 1121 هجرية ، وعليه فدعوتهم النسب الشريف كانت تكميلية لما أوتوه من المال والجاه والنفوذ السلطانى فى عهد الحماية الاسبانية ، وقد كان الناس يعرفون العداوة المستمرة بين المطامر والسياغين لعدم خضوع أفيلال السياغين للمال والجاه والنفوذ السلطانى وتلقيت الشهادة بهذا عن كبار العلماء المحققين وأهل المعرفة من أهل البلد بتطوان والذى كتب غير هذا فانما اعتماده فى ذلك على حفظ المجاملة والمصالح الشخصية ويتلخص اولاد سيدنا « احمد » ابن القطب الجامع والغوثة اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » بن مشيش فى عائلتين اثنتين هما :

1 - اولاد الطريبق

2 - اولاد أفيلال

بيت سيدنا « على » المدعو علال

ابن الشيخ مولانا عبد السلام ، الذى تقدمت ترجمته فى جملة اخوته

وله عدة اولاد فى مواضع متفرقة من المغرب ، ومقرهم الاصلى قرية
غىروزيم القريبة من مدينة شفشاون ، وبمدينة فاس ويعرفون بالشرفاء
الشفشاونيين ، وبمدينة مراكش ويعرفون بأولاد ابن مسعود ، ويأتى
الكلام عليهم وهم أهل عمود النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه
وسلم فأهل غىروزيم هم حفدة الولى الصالح سيدى عبد الله الشريف بن
الولى الصالح سيدى سعيد بن الولى الصالح سيدى عبد الوهاب بن
سيدنا « علال » صاحب الترجمة ، ومن حفدته أيضا السيد الطاهر بن
السيد عبد العالى ، وابنه السيد أحمد ، وابن عمهم السيد ادريس بن محمد
ابن الولى الصالح سيدى عبد الله الشريف ، وابنه الفقيه السيد محمد .

وأما أهل شفشاون الذين هم بحومة السوق منها فهم الفقيه السيد
أحمد بن محمد بن عبد العالى ، وأخوه السيد محمد بن محمد بن عبد
العالى المذكور .

وأما ابن عمهم السيد علال بن الحاج محمد بن عبد الله فهو بمدينة
وليلى عند ضريح جده المولى ادريس الاول ، ويعرفون اليوم بأولاد
الدحيش ، وأما أخوه السيد محمد بن الحاج بن عبد الله فهو بزواوية
« بجعاد » زاوية العارف بالله تعالى سيدى محمد الشرقى ، قال المؤلف :
وهو أعزب من غير تأهل ، وذكره لبعده عن أبناء عمه ، وابن أخيها
السيد محمد بن عبد الله الشريف المذكور بشفشاون ولهم أولاد ، ومن
أبناء عم الجميع أيضا ، السيد العالى بالمعجمة ، وأخوه السيد رضوان
ابنا السيد محمد بن الوافى الملقب « المبحج » وهما بشفشاون أما أولاد
الفقيه الاجل المرحوم بكرم الله عز وجل ، سيدى محمد بن عبد القادر بن
محمد بن عبد الله الشريف المذكور ومستقرهم بغيروزيم ، هم : الفقيه
السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الشريف المذكور أولا ، وأبناء
عمه الثلاثة ، الحاج محمد وأخوه السيد الوافى ابنا السيد عبد السلام ،
وهما بشفشاون أيضا ، وأما أخوهما السيد محمد فهو بالسند بالقرب
من وزان وأبناء عمه الثلاثة هم السيد عبد الوهاب ، وهو بشفشاون ،
والسيد عبد القادر وأخوه السيد محمد وهما بغيروزيم ، بمقرهم الاصلى ،
وبه أيضا بنو سعيد بن محمد بن عبد القادر المذكور ، وابن عمهم السيد عبد
القادر بن محمد بن عبد القادر المذكور ، المنتقل لدشر اعبادة الحسانى ،

وبقى أخواه السيد على والسيد أحمد بمنزلهما الاصلى غيروزيم وأما أبناء عمهم أولاد سيدى على الشريف ، وهم السيد الهاشمى وأخوه السيد محمد وولد السيد موسى بن على ، وأبناء السيد الهاشمى المذكور ، السيد أحمد والسيد الطاهر ، وولدا أخيه السيد محمد والسيد الطيب ، وكلهم بقرية غيروزيم ومعهم به أيضا السيد عبد الوهاب بن التهامى بن على المذكور ، وابن أخيه السيد محمد المحجور ، وعمه السيد محمد بن على ، أما ولداه السيد على والسيد محمد فهما بثغر سلا ، وابن عمهم السيد الطيب بن أحمد بن على المذكور ، وابنه السيد محمد وابن عمه السيد التهامى بن محمد ، وأبناء عمهم عبد السلام هم : السيد عبد القادر ومحمدان وابن عمهم السيد محمد بن على المذكور ، وابنه السيد علال ، وكلهم بقرية غيروزيم .

وأما أولاد ابن مسعود فهم أولاد سيدى عثمان بمراكش ، وهو عثمان ابن سعيد بن عبد الوهاب بن الولي الصالح سيدنا علال بن القطب « مولانا عبد السلام » بن ميثيش ، وباقى النسب معلوم فلا نطيل به ، وسيدى سعيد المذكور هو الجامع بينهم وبين أبناء عمهم شرفاء غيروزيم ، ومنهم داران بحومة القصور بمراكش احداهما للسيد الفاضل البركة الشهير الذكر فى الآفاق الكريم المائدة على الاطلاق ، مولاي مسعود ، والاخرى لآخيه أبى محمد مولاي عبد القادر المقتفى آثار آبائه فى المحاسن والمفاخر ، ابنا السيد عبد الرحمن ، وثلاثة ديار بالمواسين منها وساكنتوها الفقيه السيد محمد بن المهدي ، وعمه السيد عبد الله بن المهدي وابن عمهما السيد أبو العباس ، وأما ابن عمهم السيد المبارك فهو بدر بن أصبان وستة منهم بزواية أبى العباس السبتي رحمه الله ، قال المؤلف لم تحضرنى أسماؤهم الآن ، وأما الترغيون أبناء عم من ذكر فقد انقرض نسلهم ، وكان آخر من مات منهم بفاس الشيخ الاثني عشر سيدى محمد بن على المذكور ، وورثه بنو عمه الاقربون من أهل مراكش من عقب مولاي مسعود نزيل القصور ، باذن من قاضى الوقت أبى العباس سيدى أحمد ابن عرضون الشفشاونى الزجلى وأخذوا ما كان لابناء عمهم بشفشاون وغيرها سنة 1110 هجرية ، وأما أبناء عمهم الرواشد أولاد سيدى محمد ابن عبد القادر ، وأولاد سيدى عبد الله بن محمد بن مولاي عبد الله

الشريف المذكور من اهل غيروزيم فقد انقرض نسلهم أيضا والدوام والبقاء لله وهذا ما أجمع عليه اولاد سيدنا علال بن القطب مولانا عبد السلام واما شرفاء القوس فقال المؤلف : وقع فيما سلف للشرفاء اولاد بن عبد الوهاب فيهم كلام ، وأنكروهم في قرابتهم من الشيخ مولانا عبد السلام ، ومنعواهم من اخذ حقهم في فتوحات الشيخ المذكور ، سواء منها الواردة من القصر الملكي أو من غيره ، وفي سنة 1105 هجرية اجتمع الشرفاء العلميون بفاس بأمر من المولى اسماعيل العلوي لدراسة أحوالهم وتنظيمها، فدرسوا جميع أحوالهم ، وما عرجوا على قضية شرفاء القوس ، قال المؤلف: وقد ثبت عندنا بعد البحث التام عن نسبهم للقطب المذكور نسبهم له ، وهو معتقدنا ، وعليه معولنا بالادلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، وكل من أراد سلامة نفسه ، وبراءة ذمته فليسلك مسلكنا ، ومن أراد خلاف ذلك فهو ادري بنفسه ، والآخرة تجمعا والحق أحق أن يتبع ، واليه يرجع ، وبه يوخذ ويسمع ، سلك الله بنا سبيل المهتدين وجعلنا من اهل بيت نبيه الطيبين الطاهرين آمين ، وذكر صاحب مرآة المحاسن أسماء لبعض العائلات من اهل هذا النسب الشريف العلالى ، وهى تتلخص فيما يلى :

- 1 — اهل غيروزيم مقرهم الاصلى
- 2 — اهل حومة السوق بشفشاون
- 3 — الشرفاء الشفشاونيون بفاس
- 4 — اولاد السيد علال بن الحاج محمد بمدينة زرهون
- 5 — اولاد الوافى الملقب المبيح
- 6 — اولاد سيدى على الشريف
- 7 — اهل العدوة عند شفشاون
- 8 — اولاد ابن مسعود بمراكش بن سيدى عثمان .

وأما بنو راشد والترغيون فقد انقرضوا

فأهل غيروزيم هم اولاد سيدى سعيد بن عبد الله الشريف بن سعيد ابن موسى بن عيسى بن على بن سعيد بن عبد الوهاب بن الولي الصالح سيدنا علال بن القطب الجامع مولانا عبد السلام .

بيت سيدنا عبد الصمد بن الشيخ مولانا عبد السلام

قد تقدمت ترجمته في عداد اخوته ، ويتألف احفاده من أربع عائلات ومقرهم اليوم قبيلة سماتة ، قال المؤلف رحمه الله : وهم ابناء فرقتين لا ثالث لهما الاولى ، هم : اولاد ادريس بن حمو ، والثانية هم : اولاد عمر ابن على بن حمو ، وهم المدعوون بأولاد الشنتوف .

أولاد ادريس بن حمو

فأما اولاد السيد ادريس بن حمو ، فهم المنقلون من حومة تمزجيدة من قرية افرنو السفلى الى مدشر بومزود الحبيبي ، وهم : السيد محمد ابن الطاهر وابن عمه السيد العربي بن محمد النسب ، واخوه السيد الحسن ، واخوهما السيد النادى وابن اخيهم السيد الهاشمي ، واخوه السيد على ، وولد عمه السيد محمد بن الهاشمي ، وولد عمه السيد محمد بن محمد ، وابن عمهم السيد عمر بن ادريس وعمهم السيد محمد بن محمد بن ادريس ، وكلهم بمستقرهم الاصلى قرية تولة من قبيلة سماتة ، ومعهم بها السيد عبد السلام بن الطاهر ، واما السيد محمد بن الحسن فهو بقرية دار بن صدوق الحبيبية ، ومستقرهم الاصلى قرية الخربة من قبيلة سماتة .

ومن اولاده اولاد الشنتوف

واما اولاد الشنتوف فهم اولاد السيد عمر بن على بن حمو ، ومستقرهم الاصلى قرية الخربة ، وهم : السيد الهاشمي بن عمر وابن اخيه السيد عمر ابن على بن عمر وابن عمه السيد احمد بن عبد السلام ، وابن عمه السيد محمد بن احمد ، وابن عمه السيد محمد بن التهامي ، وابن عمه السيد احمد ابن النادى وكلهم بمقرهم الاصلى المذكور ، واخو السيد احمد بن النادى المذكور ، غادر بنى عروس ، وابن عمه السيد محمد بن عبد الله وابن عمهم السيد محمد بن قاسم ، الاول بمدشر الربطة ، والثاني بقرية بوحمصي وابن عمهم السيد عمر بن قاسم ، وابن اخيه السيد الحسين بن الطاهر ، واخوة السيد احمد وابن عمه السيد عبد السلام بن محمد ، وابن عمه السيد محمد بن عمر ، وابن عمه السيد محمد بن محمد ، وابن عمه السيد على بن احمد ، وكلهم بقرية تولة .

وأما ابن عمهم السيد أحمد بن الطاهر ، فهو بقرية بوحمصى ، ولابناء عمهم ثلاث ديار بقرية اغيل ، الاولى للسيد أحمد بن محمد ، وابن أخيه السيد محمد بن الهاشمي والسيد محمد بن أحمد ، وبنى يحيى من قبيلة بنى يوسف ، والثانية للسيد محمد بن النادى ، والثالثة ، بنى ومراس من قبيلة بنى عروس للسيد عمر بن الحسين وتوجد دار واحدة بنى احمايد اليدرية للسيد محمد بن الهاشمي ، وبهواره الوطاوية من قبيلة الحياينة ، دار واحدة للسيد الطاهر بن أحمد الشنتوف ، وبقرية العيون الجرملية ، دار واحدة للسيد الطاهر بن عبد الله .

أولاد عمر بن ابراهيم الشنتوف

فهؤلاء اولاد عم السيد عمر بن على بن حمو ، وهم : السيد عمر بن ابراهيم بن السيد على بن عبد السلام الشنتوف ، وابن عمه السيد محمد بن ابراهيم ، وابن عمه السيد عبد السلام بن الحسين ، وابن عمه السيد عمر ابن عبد الصمد واخوه السيد قاسم ، وابن عمه السيد عيسى بن عبد السلام ، وولده السيد محمد ، واخوه السيد الحسين ، وابن عمهم السيد محمد بن عبد السلام ، وابن أخيه السيد محمد بن أحمد ، واخوه السيد الطاهر ، وكلهم بمقرهم الاصلى قرية تولة .

أولاد السيد على بن ابراهيم

فهؤلاء أيضا هم اولاد أخى السيد عمر بن ابراهيم ، وهم : السيد محمد ابن على بن ابراهيم واخوه السيد الهاشمي ، واخوهما السيد الطاهر ، والسيد عبد الله ، وابن عمهم السيد محمد بن محمد ، وابن عمهم السيد محمد بن الطيب ، وابن أخيه السيد محمد بن عبد السلام ومستقر هؤلاء الاربعة بقرية الخربة من قبيلة سماتة ، وابن عمهم السيد الطاهر واخوه السيد عمر ، وابن عمه السيد عمر بن محمد ، ومستقر هؤلاء الثلاثة بقرية تولة ، وبقرية ميسرة من قبيلة بنى عروس السيد أحمد بن عبد السلام مع ولده السيد عبد السلام ، ولها ابن أخيه السيد عبد السلام بن النادى وابن عمه عمر بن أحمد فهما بقرية عين الحديد ، وبمدر الملاح الجرملية دار للسيد عبد السلام بن المهدي ، وهؤلاء المذكورون ، هم اولاد سيدنا عبد

الصمد صاحب الترجمة المجمع عليهم في الديوان الذي اجتمع عليه الشرفاء
 العلميون بفتقائهم وفضلائهم ، واخيارهم بأمر من المولى اسماعيل العلوى
 رحمه الله في شهر صفر سنة 1005 هجرية ، واتفقوا على انه لا عقب
 لسيدى عبد الصمد صاحب الترجمة سوى من ذكر ، واما اهل كنفاعة فلم
 يثبت نسبهم عند المؤلف رحمه الله ، لانه لم يجد ذكرهم في دواوين من تقدمه
 من النسابين السالفين وكتب عنهم في الديوان ما نصه ، ثم اولاد سيدى عبد
 الصمد بن الشيخ بن مولانا عبد السلام ، هم سيدى عمر بن على بن حمو
 الشنتوف بخربة سماتة ، وبنو عمه بالمدشر المذكور ، ويمدشر تولة من
 القبيلة المذكورة ، ولهم دار واحدة بحومة تمزجيدة تعرف لاولاد ادريس بن
 حمو ، اذ لا عقب لسيدى عبد الصمد سوى من ذكر من الشناتفة ، ومن
 ذكر منهم ، ولا يعلم له سواهم ، انتهى .

وقد ذكر هذا الملخص لاجراء سبعة ديار لاهل كنفاعة المذكورين بقبيلة
 آل سريف ، ادعت النسب لسيدنا عبد الصمد صاحب الترجمة ، فقطع عليهم
 الطريق الى الوصول اليه بهذا الاجماع المذكور ، والديوان المذكور ، ولا يزال
 محفوظا بالخرانة الملكية بالرباط ، وكل من وجد بغير هذه الاصول فعليه
 الاثبات من اين انتقل ؟ واقول بين تاريخنا الحالى 1392 هجرية من 27
 رمضان المعظم وتاريخ المؤلف ، وهو 1191 هجرية ، مائتا سنة وتسعة
 شهور ، وبه انتهى الكلام في هذا المقام على جميع احفاد القطب الجامع
 والغوثة اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » بن ميثيش . وهم اهل النسب
 المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد تلقيت عمود نسبهم عن الفاضل
 المحترم الاستاذ الشريف السيد محمد بن أحمد الشنتوف وهو كما يلى : حسبما
 وصل اليه ميراثا عن الآباء والاجداد ، وهو : الشريف السيد محمد بن أحمد
 ابن محمد بن محمد بن عمر بن النادى بن عمر بن على بن ابراهيم بن على
 ابن أحمد بن على بن محمد بن عيسى بن يوسف بن ابراهيم بن ادريس بن
 محمد بن الولى الصالح سيدنا عبد الصمد بن القطب الجامع الشيخ مولانا
 عبد السلام بن ميثيش وباقى النسب معلوم فلا نطيل به . وقد جاء في ترجمة
 الاستاذ المذكور انه خلف من ابوين شريفين كلاهما من نسب الشنتوف بقرية
 تولة ، وبها تربى وحفظ القرآن الكريم ثم خرج في طلب العلم فجال في قبائل
 الجبال فتلقى المبادئ العلمية بها ثم انتقل الى الحواضر لتتميم دراسته بها

مدرس بتطوان وفاس على مشائخ عديدة ، ثم رجع الى مسقط رأسه وأقام به مدة ، ثم أخذ وظيفته بالتعليم كأستاذ وانتقل الى مدينة العرائش حيث هو بها الآن .

ويتلخص اولاد سيدى عبد الصمد بن الشيخ مولانا عبد السلام في اربع عائلات هى الاصول لجميع فروع ذريته :

- 1 — اولاد ادريس بن محمد المدعو حمو ومن اولاده اولاد الشنتوف
- 2 — اولاد عمر بن ابراهيم الشنتوف
- 3 — اولاد سيدى على بن ابراهيم الشنتوف
- 4 — واولاد عمر بن قاسم الشنتوف .

بيت سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش

قد خلف الولى الصالح الحاج موسى الرضى الذى ذكرت ترجمته مع اخويه ، ثلاثة اولاد ، هم : 1 — سيدنا سليمان المكى ابا بكر ، واشتهر بكنيته دون اسمه كجده مشيش فهو سليمان ابو بكر بن الحاج موسى الرضى ابن مشيش ، 2 — أخوه سيدنا حمدون بن الحاج موسى الرضى بن مشيش ، 3 — أخوهما سيدنا عمر بن الحاج موسى الرضى بن مشيش بن الولى الصالح ابي بكر ولكل واحد من الثلاثة عقب ونسب مشهور ، وهم اهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم .

أولاد شقور

من اولاد سيدنا سليمان ابي بكر اولاد شقور ، ومقرهم الاصلى قرية الحصن مسقط رأس الآباء والاجداد لجميع الشرفاء العلميين بعد نزول قرية مجمولة العريس ، ويوجدون متفرقين فى الاماكن الآتية : وهى المعول عليها فى ضبطهم ، ومعرفة بعضهم بعضا بها ، والمؤرخ انما يعتمد على حفظهم ومعرفتهم فمنهم بقرية ادياز ، ومنهم بقرية تزية ، ومنهم بمدشر أذرو ومنهم بمدينة شفشاون ، ومنهم بمدشر بنى راثن الحزمية ، ومنهم بقرية منكال اليدرية ومنهم بمدشر الحجيين اليدرية أيضا ، ومنهم بمدشر تاخيمت منها أيضا ، وبقرية زاوية مولاي عبد الله الغزوانى منها أيضا فرقة بنى

أحماد ، وبنى ومراس من القبيلة العروسية ، ومنهم بدار الشاوى المصورية دار واحدة للسيد أحمد بن العربى وبمدينة فاس دار للفتية العلامة الولى الصالح بن الفقيه العلامة القاضى سيدى الطيب بن موسى بن الحسن ابن موسى ، بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عيسى بن محمد ابن موسى بن سليمان المكنى « أبا بكر بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى بن ميثش بن الولى الصالح سيدنا أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية ، وقد توصلت عنهم برفع عمود نسبهم من طرف الشريف المتنقل الى تطوان من قرية العميريش ، وهو السيد المختار بن محمد الملقب « المرابط » بن محمد المعروف بالحجوج بن الحاج محمد بن الحسن بن عيسى بن على بن قاسم بن موسى بن على بن محمد بن الحسن ابن عبد الله بن عيسى بن محمد بن موسى بن سيدنا سليمان المكنى أبا بكر ابن الولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن ميثش . وسليمان المذكور هو دفين قرية بوسرواس مستقرهم الثانى بعد قرية الحصن ، وأما أولاد شاتور بمد الثين وتخفيف القاف الذين هم بمدشر امزال من قبيلة وادراس فلا نسب لهم معهم بل نسبتهم ساقطة ودعواهم النسب الشريف داخضة لا معول عليها فى القديم والحديث ، رزقنا الله واياهم تقواه ، وسلك بنا وبهم أقوم هداه ، والاعتصام بحبل سلمان الفارسى رضى الله عنه القائل لما سئل عن نسبه ولم يكن يجله « أنا سلمان بن الاسلام » وقد علمت ان النبى صلى الله عليه وسلم الحقه بأهل البيت نسا ، بسبب حبه لله ورسوله وأهل بيته . وكان يأخذ حظه من الفىء مع أهل البيت كما تقدم ، اللهم أرزقنا توفيق سلمان وهداية القرآن و .

أولاد عبد الله الولايتيون

ومن أبناء عمهم من أولاد سليمان أولاد عبد الله الولايتيون لسكناهم ببنى ولنت ويعرفون اليوم عند أهل وادراس بشرفاء الواد ، قال المؤلف : وقدومهم اليها كان من أجل الجهاد فى النصارى دمرهم الله ، ومنهم السيد محمد بن عبد السلام ، والسيد أبو القاسم بن موسى ، والسيد عبد القادر بن موسى المذكور ، وأخوهما عبد اللطيف وأخوهم السيد عبد الرحمن ، وأخوهم السيد عبد الله ، وأخوهم السيد عيسى والسيد أحمد بن عيسى المذكور ،

وأخوه السيد محمد والسيد عيسى بن محمد المذكور أولا وأخوه السيد عبد السلام ، وأخوه السيد الهاشمي ، وأخوه السيد الخضر والسيد محمد بن ابراهيم ، والسيد على ، والسيد عبد الرحمن بن على المذكور ، والسيد عبد العالی بن محمد ، وأخوه السيد الحاج العربي الساكن بمدينة تطوان ، وبها أيضا السيد محمد بن على ، وبها أيضا السيد عبد الكريم أخو السيد الحاج العربي المذكور وأخوه السيد الحسن والسيد أحمد والسيد عبد الخالق ابن قاسم المذكور ، وأخوه السيد الطيب أيضا وأخوه السيد موسى ، والسيد عبد السلام بن ابراهيم المذكور ، وأخوه السيد الحسين ، وأخوه السيد على والسيد والسيد العربي بن عبد الله المذكور وأخوه السيد عبد الكريم ، وأخوه أبو مدين ، والسيد الهاشمي بن محمد بن عيسى المذكور ، والسيد عبد الغنى ابن عبد السلام بن محمد المذكور ، وأخوهم محمد ، ومنهم دار بشجرة البغل بالقرب من حد بليطة من قبيلة الغربية ، وبليطة اسم مدينة أثرية وأهلها كانوا يعيشون في عصر الاثوريين ، وكانوا على الديانة البوذية ومنهم على غير ذلك كما يدل عليه أثر موتاهم . كما يسكنها منهم رجلان اسم أحدهما السيد احمد واسم الآخر السيد الطيب ، وكان لهم عم يسكن بقرية طردان من الحرم العلمي ، ومنهم بقبيلة بنى حزم . وهم نسب مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

أولاد بن يحيى

ومن أبناء عمهم من أولاد سليمان أولاد بن يحيى ، وهم أولاد سيدى أحمد بن يحيى ومقرهم الاصلى قرية بوسرواس ، ومنها انتقلوا لمدينة فاس ، ويعرفون بها بالشرفاء الشفشاونيين ، وسبب انتسابهم لشفشاون ان جدهم سيدى أحمد بن يحيى المذكور كان يقرىء العلم بمدينة شفشاون ، وطالت مدته بها حتى ظهرت نجابته ، ثم انتقل الى مدينة فاس لتتميم دراسته بمعهد القرويين ، ومكث بها حتى اشتهر فضله وعلمه بين أسيائه ، فدعوه بالشفشاونى ، ثم استوطنها بعد قراءته فنسب بنوه اليه ، وبعد ان كثرت جماعته اشتهروا بالشرفاء الشفشاونيين فالشفشاونية في فاس اذا أطلقت على الشرفاء العلميين الموجودين بها فانها تتناول بعمومها أولاد سيدى علال ابن الشيخ مولانا عبد السلام ، وأبناء عمهم أولاد بن يحيى من ذرية سليمان

ابن الحاج موسى الرضى ، أخى الشيخ مولاي عبد السلام ولن تزال لهم هذه النسبة الى الآن 1191 هجرية ، قال المؤلف : وهم جماعة وانفرة ، مشتغلون بما يعينهم ، ذووا ثروة وجاه ، ومن أجلهم وأفضلهم فى الوقت الحاضر ، العلامة الناسك البركة القدوة ذوالخلق الحسن والهدى المستحسن امام ضريح المولى ادريس ، والمدرس به والخطيب على منبره ، أبو البقاء والفضل أبو زكرياء سيدى يحيى بن مولاي المهدي بن الطالب بن العربى بن محمد بن الفقيه سيدى أحمد بن يحيى المدعو الشفشاونى المذكور .

أولاد سى الحسن الفقيه

ومن أبناء عمهم من أولاد سليمان المذكور أولاد سى الحسن الفقيه ، ومستقرهم الاصلى قرية السلام ، ومنه انتقلوا الى مدشر تمسيلة المصورية ، وهم أولاد سيدى قاسم بن عبد الرحمن ، ومنهم دار بمدشر بريكثنة من قبيلة رهونة .

أولاد كرمون

ومن أبناء عمهم أولاد كرمون ، وهم أولاد عبد الله بن عيسى بن محمد ابن عيسى بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم بن حمدون بن الولي الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مئيش . ومقرهم الاصلى قرية الحصن وتليامن بجانبها ومدشر بوجبل القريب من سوق خميس بنى عروس دار للسيد أحمد بن الخضر وبقرية الماورجير من بنى جبارة الخمسية ، وابن عمهم السيد أحمد بنى حسان وابن عمهم السيد أحمد أيضا بقبيلة بنى ليث ، ولهم داران بعين سالم فى قرية أبى زهرى من بنى عروس ، يقال لربها السيد عيسى ، ودار أخرى بدار بن شعيب من قبيلة بنى جرفط يقال لربها السيد الجبين دركبول .

أولاد ألوات حمدونيون

ومن أبناء عمهم أيضا أولاد ألوات ، وهم : أولاد السيد محمد بن محمد ابن عمر بن محمد بن أحمد بن موسى بن الحسن بن ابراهيم بن على بن عبد الكريم بن الولي الصالح سيدنا حمدون بن الحاج موسى الرضى بن مئيش .

ومقرهم الاصلى قرية السلام ومنه انتقلوا الى عين خنزيرة اليوسفية ،
والى قرية بوهانى الجرفطية والى قرية بوحمصى السماتية ، وبها السيد
محمد بن الحسن ، وولده السيد الحسن والسيد عمر ، والسيد محمد بن
الحسن ، والسيد عبد الوهاب أولاد السيد على ، وأولاد السيد عيسى بقرية
اكرسان السماتية وبها أيضا السيد الطاهر بن الحسن بالملعب ، ولم يوجد
به غيره ، ولهم دار أخرى بقبيلة بنى زروال ، وقد ثبت وجودهم بها فى الديوان
القديم .

فضيحة الطاهر بن الفقيه عمر بفاس

وله أخ بها أيضا يسمى محمد بن عمر وأخوها أيضا يسمى أحمد
ابن عمر بمكناس ، ولهم أبناء عم بالملعب من قبيلة سماتة ، وبنى ومراس
العروسية ، وبهدشر تزجلوت منها أيضا ، وله أوصاف مشؤومة ، فهو
أزرق العينين أشقر غليظ الانف أشيب طويل القامة ، المدعى الواث ،
وأخوه محمد بن عمر المسن ، هو يتعاطى مهنة الشهادة بمدينة فاس ،
وأخوها أحمد المستوطن بمكناس يتظاهر بالتنسك والدين . وقصة الطاهر
المذكور ، هو انه لعب دورا للشريف سيدى قاسم الواث السلالى الذى عصب
فى آخرها لك من أقرب بنى عمه بفاس ، وكان لموروثه دار بها ، الا أن سيدى
قاسم المذكور كان رجلا خيرا يتظاهر بالمسكنة والغفلة ، وله نية طيبة
حسنة ، لانه كان من أهل الخير والدين بين الاشراف العلميين بفاس وكان
بيده رسوم وحجج تشهد بأصله وبقرابته لابن عمه الهالك ، فاحتال عليه
الطاهر المذكور حتى وكله ليستخلص له حقه ، فوضع ثقته فيه ووكله ، ثم
مكنه من جميع الحجج والرسوم التى كانت بيده ، ثم ذهب الوكيل الى
أخيه المتعاطى لحرفة الشهادة ، وتأمرا عليه على أن يحلا محله فى هذا
الميراث ، وينكراه ، ثم هو لا يقدر أن يتصارع معها ، ففعلا به كل ما
سولته لهما نفسها ، وعند ما كلمهما فى أمره أعطياه قلنسوة بيضاء لابن
عمه قائلين له لم يكن يملك غيرها : فقال لهما الشريف المسكين : وهلا
صبغتماها سوداء ؟ ثم رفعت القضية الى نقيب الاشراف فى حينه السيد محمد
ابن الطيب بن عبد القادر المعروف « بين عبو » الشريف الشيبهى الجوطى
القاسمى الادريسي فقام بالبحث عن الوكيل المذكور واخوانه ، وجميع أهله ،

فاستدعاه وأنكر كل ما فعله مع الشريف المذكور ، ثم دخل معه النقيب في البحث عن ثبوت نسبهم ومعرفة أصلهم ، فاستظهروا له برسم مضمونه ان أصلهم الاول بموضع من قبيلة بنى عروس يعرف « بامنكرط » بالقرب من عياشة ، وهم حراطين الاصل ، وكان هذا الرسم للنقيب زغبوش في عصر المولى اسماعيل ، وذكر ان النقيب المذكور سبق له أن بحث معهم في أصلهم، فوجد دعوتهم النسب الشريف مزورة ، ثم رفعت القضية لمن بيده الامر فألقى القبض على الفقيه عمر أبى الوكيل المذكور ، وأخويه ، ولم يتخلصوا من السجن الا بعد أن استشفعوا بالشريف سيدى محمد الواث العلمى الذى كان مستوطنا بفاس فجمع عليه الاشراف والطلبة وغيرهم من أهل الفضل يطلبونه أن يقبل براءتهم من عائلة أولاد الواث ، فاشتراط الشريف المذكور أن يرد جميع ما أخذ لابن عمه من رسوم ومتاع ، ثم رد له كل ما كان أخذه من ابن عمه الشريف المسكين من الرسوم وغيرها ، ثم مكته من جميع الرسوم المزورة ، وأشهد عليهم بذلك بعد أن أنكرهم انه لا يعرفهم من أبناء عمه ، ثم أحاله على أبناء عمه أولاد الواث بمقرهم الاصلى مدشر السلالم من الحرم العلمى ، وبعد أن وصلهم خبره اجتمعوا وأشهدوا العدول على أنفسهم والقضاة ان الفقيه عمر وأولاده الثلاثة ليسوا من أصل أولاد الواث ، وان رسم الانتقال الذى بيدهم عنهم انهم يجهلوناه ولا علم لهم به أصلا ، فتبين انه محض زور وكذب وبهتان ، ثم بعثوا به لنقيب الاشراف ، وبعد أن وصله أشهد عليه عدول فاس وقاضياها على شهادة عدول وقاضى العلميين بأنهم يجهلونهم ولا يعرفونهم منهم . وقد تم بذلك طرد هذه العائلة الحرطانية من النسب العلمى طردا رسميا عند قاضى الجماعة مولانا عبد القادر رحمه الله ، بالمسجد الاعظم بحضرة مكناسة الزيتون بجنب سارية منه ، وبذلك سميت السارية سارية الواث . ثم بقى لصاحب الدور الوكيل المذكور ، وأبيه واخوانه وأبناء عمه الفضيحة والخزى والعار ، والخراب والدمار .

أولاد الحوات

ومن أبناء عمهم أولاد الحوات الا انهم من أبناء سليمان المتقدم الذكر ، وهم أولاد القاسم بن عبد عبد الواحد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن

عيسى بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن سليمان أبى بكر بن الولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن ميثس ومقرهم الاصلى قرية بوسرواس ، وأصولهم انحذرت من القاسم ، وعبد الله ، وعيسى وموسى ، ومنهم بمدشر السلام المجاور لقرية بوسرواس ، وبعضهم انتقلوا فمنهم من استوطن مدينة شفشاون ، وهذا ما عند العلامة بن رحمون .

وعند النسابة ابن عمه سيدى محمد بن الصادق انهم من أولاد حمدون ومستقرهم الاصلى قرية السلام ، ومنها انتقلوا الى مدينة شفشاون ، وظهر بها العلامة الاديب فريد عصره مولاى سليمان بن العلامة البركة السيد محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن موسى بن الحسين الشهير بالحوات ابن ابراهيم بن على بن على بن سيدنا حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى بن ميثس . وابن عمه السيد عبد الله ابن الهاشمى ، ومنهم بقرية البحائر من فرقة الخطوط الجرفطية ، ومنهم بقرية بوزهرى العروسية دار واحدة للسيد محمد الحوات ، وذهب السيد العربى بن على منهم الى قرية بوحمد من فرقة بنى زرويل الخمسية ، وذهب السيد على الى مدشر السواقي من قبيلة بنى يدر وله أولاد بها .

أولاد الحراق

ومن أبناء عمهم أولاد الحراق ، وهم اهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ومستقرهم الاصلى قرية الحارشة السماتية وبها مدفون الجد الذى يجتمعون فيه مع أبناء عمهم وهو : الولى الصالح سيدى مالك ، وهم عائلات كثيرة جدا متفرقون فى القبائل والمدن ، ومنهم بقرية الصفصاف بآل سريف ، وهم أولاد السيد أحمد بن محمد وله عشرة أولاد ، بن موسى ابن على بن الحسين بن عثمان بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم ابن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى ابن ميثس . وأهل تمزلان ببنى يوسف هم أولاد السيد عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مالك ، بن الحسن بن أحمد بن يوسف بن الحسين بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى ، ومنهم اهل الحجر ، وهم أولاد الحراق المدعو وردين ، وهم أولاد السيد محمد بن على بن عبد

الله بن علي بن علي مكرر بن حجاج بن الحسن بن عبد الكريم بن الولي
 الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . وأبناء عمهم أولاد السيد علي
 وردين بن حجاج بن الحسن بن عبد الكريم بن الولي الصالح سيدنا مالك بن
 عبد الكريم بن حمدون . واهل القليعة من أولاد الوردين ، وهم أولاد السيد
 محمد بن العربي بن محمد بن قاسم بن يحيى بن حجاج بن الحسن بن عبد
 الكريم الولي الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . وأولاد السيد
 محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم
 ابن الولي الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . وأولاد السيد محمد
 ابن أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد
 ابن عبد الكريم . وأولاد السيد الطيب بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم
 ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم . وأولاد عبد السلام بن محمد بن
 عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم
 الجد الجامع . وأما الحراق صاحب زاوية باب المقابر بتطوان ، فهو السيد
 عرفة بن الولي الصالح سيدنا ادريس بن الحسين بن محمد بن محمد مكرر
 ابن عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد
 ابن عيسى بن موسى بن الحسن بن الولي الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم
 ابن حمدون بن الولي الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى
 ابن ميثس . وهذا ما عند العلامة النسابة سيدى محمد بن التهامى بن
 رحمون . والذي عند ابن عمه العلامة سيدى محمد بن الصادق فى ديوانه ان
 مقرهم الاصلى قرية الصفصاف ، والقزقاز من قبيلة آل سريف ومنهم بالخريبة
 وببدران ، وبقرية الحارثة من قبيلة سماتة ، وبحجر الشرفاء عند ضريح
 الجد الاعلى سيدى مزوار ، وبقرية العنصر ببنى عبد الله من قبيلة بنى
 يوسف وبتمزلان ، ولهم دار بقرية الصخرة الجرفطية ، وباقبيهم متفرقون
 بال سريف ، وسماتة وبنى يوسف ، غير أنه شاع وذاع عند الاشراف
 العلميين وغيرهم ان هؤلاء الشرفاء اولاد الحراق ادخلوا فيهم من العوام
 من ليس منهم لانهم ثافنوا العوام وخالطوهم بالمصاهرة وغيرها ، حتى
 انه لا يستطيع موسى من بنى عمهم ولا غيره من اهل العلم بالفتح ، ولا
 من غيرهم ممن يراقب الله تعالى أن يجزم بشرف جميعهم ، ولا يمكن
 تنقيحهم وتخليصهم الا بشهادة افاضيل الاشراف ، وأعيان القبائل والجيران

القاطنين معهم . اه وبعد أن اطلعوا على ما كتبه المؤلف هنا عنهم بنحو 13 سنة في ديوانه استدركوا الموقف المزرى بهم وقاموا بتصفية نسبهم وتنقيح أصولهم ، وبذلوا في ذلك أكبر مجهود حتى يخلصوا نسبهم ممن خالطوهم من العوام ، وجاعوا باستدراك هذا نصه : الحمد لله هذا تقييد يحتوى على تصحيح لنسب الشرفاء أولاد الحراق المنتميين للولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى ، صاحب الترجمة ، وانهم أعقاب لاولاد ثلاثة ، هم : سيدى عبد الله ، وسيدى على ، وسيدى ابراهيم ، وكلهم أبناء السيد الحسن ابن عبد الله بن الحسن بن مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى .

أولاد عبد الله الحراق

فأولاد السيد عبد الله الحراق المذكور ، هم : السيد عبد الله بن عمر والسيد احمد بن الهاشمى وابن عمهما السيد على بن عبد السلام ، والسيد محمد بن محمد السماتى وأخوه السيد أحمد القاطنين بمدشر القزقاز من قبيلة آل سريف ، والسيد أحمد بن الحسن بقرية عين السمن منها ، والسيد الهاشمى بن الحسن ، وأخوه السيد عبد الله والسيد أحمد ابن محمد ، وأخوه السيد عبد السلام ، وأخوهما السيد عمر ، والسيد محمد بن عبد السلام ، والسيد أحمد بن السيد عبد السلام ، والسيد الهاشمى بن أحمد وهؤلاء بمدشر الخربة السماتية ، والسيد محمد بن الطاهر وأخوه السيد على ، والسيد أحمد بن الحسن ، والسيد محمد بن الحسن ، والسيد محمد بن أحمد ، وأخوه السيد الحسن وكلهم بمدشر الحرثة السماتية أيضا ، والسيد عبد السلام بن مالك ، والسيد عبد السلام بن أحمد ، والسيد محمد بن محمد ، والسيد بن مالك ، وأخوه السيد أحمد والسيد محمد بن عمر والسيد التهامى بن أحمد والسيد الحسن بن أحمد ، والسيد الهاشمى بن أحمد والسيد على بن محمد ، والسيد محمد ابن مالك .

أولاد على الحراق

وأما أبناء عم من ذكر فهم السيد الهاشمى بن أحمد ، وأخوه السيد

أحمد والسيد عبد السلام بن محمد وأخوه السيد محمد وأخوهما السيد الطيب ، والحسن بن الحسن وولد أخيه السيد محمد بن محمد ، والسيد التهامي بن الحسين ، والفقير السيد المفضل بن أحمد ، وأخوه السيد الطاهر ، وكلهم بمدثر العنصر ببني عبد الله اليوسفية والسيد محمد بن علي وابنه السيد محمد هما بمدثر الصفصاف من آل سريف والسيد محمد بن الهاشمي وأخوه السيد علي والسيد محمد بن علي ، والسيد عبد السلام بن محمد وأخوه السيد محمد ، والسيد محمد بن أحمد ، وولد أخيه السيد محمد بن عبد الرحمن والسيد قاسم بن أحمد ، وأخوه السيد محمد والسيد الهاشمي ، وكلهم بمدثر الخريبة السماتية ، والسيد محمد بن أحمد ، وابن عمه السيد الطاهر بن محمد ، وأخوه السيد الحسين ، وكلهم بمدثر الحجر بالقرب من قلعة حجر النسر ، والسيد مالك بن الحسن وولد أخيه السيد الحسن ، وأخوه السيد أحمد والسيد علي بن أحمد وأخوه السيد محمد ، والسيد محمد بن محمد ، وأخوه السيد عبد السلام ، والسيد محمد بن عمر ، والسيد أحمد بن عبد الله ، والسيد محمد بن الهاشمي وأخوه السيد عبد السلام .

أولاد إبراهيم الحراق

وأما أبناء عم من ذكر ، فهم : السيد عمر بن علي ، وأخوه السيد محمد بن علي ، والسيد أحمد بن إبراهيم والسيد أحمد بن محمد والسيد أحمد بن الهاشمي والسيد محمد بن عمر ، والسيد أحمد بن عمر ، والسيد الحسن بن محمد والسيد عبد السلام بن أحمد وأخوه السيد محمد والسيد أحمد بن الحسن ، وأخوه السيد العربي ، والسيد بن الحسن في مدثر الخربة ، والسيد محمد بن الحاج وأخوه السيد الطيب وأخوهما السيد علي والسيد الطاهر بن علي وأخوه السيد الهاشمي وأخوهما السيد عبد السلام والسيد محمد بن أحمد ، وأخوه السيد مالك ، والسيد عبد السلام بن مالك ، وأخوه السيد الطاهر ، وأخوهما السيد محمد ، وابن عمهم السيد علي بن عيسى ، وكلهم بمدثر بودران ، والسيد محمد بن علي بن إبراهيم ، وولد أخيه السيد الهاشمي ، فهذه جملة شرفاء أولاد الحراق من غير شك ولا ريب ، ومن ادعى زيادة علي من ذكر فدعوته باطلة ، لا عمل عليها ،

ولا التفات إليها ، والسلام . وكتب بثنائي عشر شوال ، عام 1204 هجرية ، ثم ذكر عدد الشهود ، وكلهم ثرغاء حراقيون ، وأدى جلهم الشريف سيدي محمد بن الطاهر الذي كان قاضيا في عهد المولى سليمان العلوي ، المتقدم الذكر في أولاد سيدي محمد بن عمر من قضاة أولاد ابن عبد الوهاب بقريّة افرنو السفلى ، وقد أنجز هذا الاستدراك في حياة المؤلف رحمه الله ، لأنه توفي سنة 1234 هجرية .

أولاد العسارى

ومن أبناء عم من ذكر أولاد العسارى ، ومقرهم الاصلى قرية بوسرواس ، ومنهم بقريّة تازروت ، ولهم بها داران ، دار للسيد عيسى ، ودار للسيد عبد الله ، ومن أبناء عم من ذكر .
 — أولاد البكورى ، ومن أبناء عم من ذكر .
 — أولاد التملالى ، ومنهم بمدشر تغنمين السماتية ، ومن أبناء عم من ذكر من يدعون .
 — أولاد الجبرى ، ومدشر بومنديل من أبناء عم من ذكر من يدعون .
 — بأولاد عبد الله ، ومدشر الحرشة السماتية دار للسيد الطاهر ابن محمد وبقرية بنى يحيى اليوسفية دار للسيد الطاهر بن قاسم ، ومن أبناء عمهم بمدشر تزجلوت ، بفرقة الخطوط من قبيلة بنى جرفط دار للسيد محمد بن عبد الله ، وبقبيلة الساحل دار لابن أخيه ، وبنى ومراس العروسية دار للسيد محمد بن الحسن ، وابن عمه السيد محمد بن أحمد .

ويتلخص البيت الموسوى الكريم فيما يلى من العائلات :

- 1 — أولاد شقور
- 2 — أولاد عبد الله منهم الولانتيون بودراس وتطوان
- 3 — أولاد بن يحيى ومنهم الشفشاونيون بفاس
- 4 — أولاد سى الحسن الفقيه
- 5 — أولاد كرمون
- 6 — أولاد الواث

- 7 — أولاد الحوات
الحراقيون
- 8 — أهل الصفصاف ، وهم : أولاد السيد محمد بن موسى
- 9 — وأهل تمزلان ، وهم : أولاد عبد الوهاب بن ابراهيم
- 10 — وأولاد السيد محمد بن عبد الله
- 11 — وأولاد على الحراق المدعو وردين وهم أولاد محمد بن عبد الله بن على .
- 12 — وأهل القليعة من أولاد الورددين
- 13 — وأولاد السيد محمد بن أحمد بن على بن محمد بن عبد الكريم
- 14 — وأولاد السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
- 15 — وأولاد الطيب بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم
- 16 — وأولاد السيد عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله
- 17 — وأولاد عبد الله الحراق
- 18 — وأولاد على الحراق
- 19 — وأولاد ابراهيم الحراق
- 20 — وأولاد العسارى
- 21 — وأولاد البكورى
- 22 — وأولاد التمالى
- 23 — وأولاد الجبرى بقرية بوسرواس
- 24 — وبمدشر الحرثة أولاد عبد الله . وبتزجلوت ، وبنى ومراس من بنى عروس وبقرية بنى يحيى اليوسفية ، وبفرقة الخطوط الجرفطية ، وبقبيلة الساحل وهؤلاء غير المذكورين أولا ببنى ولنت ومدينة تطوان .

بيت سيدنا يمالح بن مشيش

قد خلف الولي الصالح سيدنا يمالح بن مشيش الذى ذكرته، ترجمته

مع أخويه سابقا ولدا واحدا هو سيدنا محمد الآتى ذكره ، وقد تقدمت ترجمته وانه ربي يتيما في حجر عمه الشيخ مولانا عبد السلام ، وزوجه ابنته الكريمة الوحيدة المصونة سيدتنا فاطمة ، وأنجبت له ولدين ذكرين ثم توفى ودفن بأسفل قرية الحصن وعليه حوش من الحجارة دون طين في وسط أشجار الدلم وقبره هناك معروف ومشهور ، ويتعهده أبنائه اليملاحيون سكان القبائل بالحفلة على رأس كل سنة احياء لذكراه المجيدة في شهر غشت الفلاحي .

بيت سيدنا محمد بن يملاح

قد خلف الولي الصالح سيدنا محمد بن يملاح ولدين ذكرين هما السيد عبد الجبار ، وشقيقه السيد عبد الغفار ، ولكل واحد منهما عقب ، وقد غلب عليهما شهرتهما باليملاحيين ، فلم يعرف أبناء عبد الجبار من أبناء عبد الغفار الا عن طريق عمود نسبهم وهم اهل النسب المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ومقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية العروسية ، وبها مدفنتها أسفل القرية في خلوة كبيرة محترمة ، كما يوجد بها عدد كبير من الاولياء المشاهير نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زميرتهم آمين .

الوزانيون

قد غلبت هذه الشهرة على فرقة من اولاد سيدى محمد بن يملاح ، بعد استيطانهم لمدينة وزان ، وهم من اولاد سيدنا عبد الجبار ، وخصوصا أبناء المتنقل من قرية تزروت وهو الولي الصالح ابو محمد « مولانا عبد الله الشريف » الى مدينة وزان المصودية ، وقد توصلت بمعمود نسبهم من طرف بعض أحفاده بتطوان وهو الشريف السيد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالوزاني بن التهامي بن أحمد بن عبد الله بن العربي بن التهامي بن محمد بن الولي الصالح مولاي عبد الله الشريف بن ابراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن ابراهيم بن عمر بن أحمد بن سيدنا عبد الجبار الولي الصالح ابن سيدنا محمد بن يملاح بن مشيش بن ابي بكر الجد الجامع للنسبة العلمية . وعند ابن رحمون العلمى من طريق آخر هم : اولاد الطاهر بن محمد بن التهامي بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى

ابن الحسن بن ابراهيم بن عمر بن احمد بن سيدنا عبد الجبار بن محمد ابن يملاح بن مئيش بن ابي بكر . توفي مولاي عبد الله الشريف يوم الخميس 12 شعبان سنة 1089 هجرية ودفن بها وله مشهد عظيم مقصود للتبرك به وزيارته من طرف احفاده وغيرهم من اهل المحبة في اهل بيت النبي الكريم صلوات الله عليه وعليهم اجمعين ، ومن اجله صارت مدينة وزان مستقرهم الاصيل ، ومنهم من انتقل الى مدينة فاس ، وتطوان ، ومنهم من استوطن القبائل الى الآن .

أولاد حمدان

ومن أبناء عم من ذكر اولاد حمدان ، ومستقرهم الاصيل قرية الحصن ، ومنها انتقلوا الى قبيلة بنى ليث ، والى قرية تزروتن والخروب من القبيلة الحبيبية والى مدشر بوغنيش من القبيلة الجرفطية ، وبها دار للسيد احمد بن الحسين وبقبيلة بنى حسان داران للسيد التهامي بن الحاج الهاشمي .

أولاد المودن اليملاحيون

ومن أبناء عم من ذكر اولاد المودن اليملاحيون ، ولهم دار بقرية ادياز ، ومنهم بقرية اوراغيل من بنى ليث وتمزار منها ايضا وامرطان كذلك منها ايضا ، وبقبيلة جبل حبيب ثمان عائلات في ثمانية ديار ، وبمدشر الهار منها ايضا دار للسيد المهدي بن محمد وبقرية ميسرة من قبيلة بنى عروس داران لهم ، وبمدينة مراكش داران للسيد العربي بن علي ، وبمكناسة الزيتون دار للسيد محمد بن محمد بالضم وبقرية احمايمون السريفية وبقرية تيفلت بقبائل الشلوح في مجاورة أبناء عمهم شرفاء اولاد مروان دار لرجل منهم اسمه الطاهر بن احمد اليملاحي ، ولا نعلم هل له عقب أم لا ؟

أولاد الصغيرين

ومن أبناء عم من ذكر اولاد الصغيرين ويدعون بناس ابراهيم ، ومستقرهم الاصلى قرية الحصن وتليامن ، وهم من اولاد عبد الغفار ، ويبتدىء عمود نسبهم كما عند ابن رحمون من اولاد احمد بن عبد الله بن

محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن موسى بن على بن محمد بن سيدنا
 عبد الغفار بن محمد بن يملاح بن ميثيش بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة
 العلمية ، ومنهم بخندق الحمراء السريفية ، والمعروف منهم السيد محمد بن
 محمد الصغير ، وبالقصر الكبير السيد على ، وعمهما السيد الطاهر البناء
 حرفة انقرض نسله ، ومنهم بمدشر حمايمون السريفية ، وأما أولاد الصغيرين
 الذين هم بقرية خميس الساحل ، فإنه وقع للشرفاء
 العلميين فيهم اضطراب فمنهم من أثبت ومنهم من نفى ،
 ومنهم من توقف ، وقد شهد بعض الثقات من الاشراف
 بصحة نسبهم ، ومن القواعد الشرعية أن المثبت مقدم على النافي .
 وفي عصرنا هذا 1392 هجرية لم نزل نراهم يتعهدون ذكرى جدهم سيدنا
 محمد بن يملاح كل سنة في شهر غشت الفلاحى وبعد الاحتفال يتوجهون
 في حال سبيلهم مارين بين المداشر والقرى من قبيلة بنى عروس ، وهم في
 جمع نساء ورجالا واطفالا والطبل يضرب عليهم من ورائهم . ومنهم أولاد
 عبد السلام بتليامن ، ومنهم من انتقل واستوطن قرية اولاد عبد الله من
 قبيلة بنى زجل الغمارية ، ولهم داران بمدشر ماهر من القبيلة الجرفطية ،
 احدهما للسيد محمد بن أحمد الصغير والآخرى للسيد محمد بن موسى
 الصغير ، ومنهم أولاد اللحيانى ومستقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية ،
 ولهم دار بمدشر أكلا من قبيلة بنى يوسف ، ولهم دار بقرية الصخرة
 الجرفطية للسيد أحمد بن عبد السلام اللحيانى ، ولهم دار بقبيلة الساحل
 للسيد محمد بن رشيد اللحيانى ، وبتطوان السيد محمد بن الرزاق اللحيانى،
 وهناك طائفة متفرقة من أولاد اللحيانى الذين لا نسب لهم ومن هؤلاء بتطوان
 من يدعى اللحيانى وقد تصاهر مع الشريف السيد عبد الواحد بن عبد
 الوهاب اللحيانى العلمى ، وهو وجميع أبناء عمه فليسوا من أهل العلم
 بفتح اللام بل هم اخوان أهل الهار الحبيبي ، وأبناء عم لمن هم بالريف بدوار
 العقدة من قبيلة قلعية ، وأما الرسوم التى تحت أيديهم فلا عبرة بها لأنها
 لا يثبت بها النسب اذ القاعدة المقررة عند شرفاء أهل العلم بالفتح هى ان
 كل فرع بمقره الاصيل يعرف أفراده ويرجع اليه فيمن يدعى نسبهم اذا
 جهل أصله على الشرفاء العلميين ، وأما اذا كان معلوما لديهم فلا يحتاجون
 الى الرجوع اليهم في نفيه ، وكل من انقطع عن أصله وعن صلة رحمه فيه

حتى جهل أمره عند الخصوص والعموم ضاع نسبه من مجتمع أبناء عمه ، وان لم يضع مع الله ان كان صحيح الواقع ، وذلك موافق للاحاديث الواردة في صلة الرحم منها قوله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله . ومنها من اراد ان ينسا الله له في عمره فليصل رحمه . وهذا هو ضابط صحة النسب الشريف ، ومن ورائه الجمع العام ، وعلى رأسه كبار الشرفاء من أهل العلم والسن المرتفع ، ومن وراء ذلك كله الاستفاضة العامة بين الذين ساكنوهم حيناً من الزمن ، لانها من الاسس التي يعول عليها في صحة النسب عندهم ، كما هي ضمانه صحيحة لهم يعول عليها في اخراج الدخلاء من بين صفوفهم ، من الذين طالت اعناقهم واشربت نفوسهم الى ولوج هذا النسب الشريف الذى لا يجوز شرعاً لغير أهله أن يدعيه ابتداءً أو تقليداً لمن ادعاه كذباً وزوراً وبهتاناً.

أولاد ابن عمر اليملاحيون

ومن أبناء عم من ذكر أولاد بن عمر ، ومقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية ، وعند مسكنهم بها توجد عين ماء بقبلة المسجد المعروف بجامع الشرفاء لاولاد ابن عمر اليملاحيين المذكورين ، وبالقرب من الطريق والخندق الجارية اوان الشتاء ، وينزل اليها من ارتفاع درجتين . قد كان الولي الصالح سيدنا محمد بن على فتحا يقول في حال صحوه من الجذب من اراد أن يكون أحفظ الناس فليشرب من مائها ، وهو مجرب عندهم للحفظ والبركة. ومنها انتقل الى مدينة تطوان أولاد السيد عبد السلام بن أحمد المودن وبقبيلة زرهون دار للسيد المهدي بن عبد السلام المودن ، ومنهم من انتقل الى مدينة وزان . وهذه أسماء عائلاتهم المشهورة بينهم ، منها :

- أولاد السيد قاسم بن عمر اليملاحي وأبناء عمهم :
- أولاد السيد عبد السلام بن عمر اليملاحي وأبناء عمهم :
- أولاد بن سليمان اليملاحي ، بقرية تزروت ، وأبناء عمهم :
- أولاد افيداح بقرية تزروت ، أيضا وأبناء عمهم :
- أولاد الربيع بها أيضا ، كما يوجد بها أيضا أبناء عمهم :
- أولاد الشكريوى ، كما يوجد بها أيضا أبناء عمهم :

- أولاد ابن الاشهب ، وبمدشر بوسرواس أبناء عمهم :
- أولاد القاطى ، ويوجد بمدشر السلالم أبناء عمهم :
- أولاد الدحمان ، ومعهم به أيضا أبناء عمهم :
- أولاد ابن يعقوب ، وبقرية تزروت أبناء عمهم :
- أولاد ابن محمد بالضم ، وبقرية الدشير أبناء عمهم :
- أولاد عبد الرحمن ، ومنهم من خرجوا من مقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية واستوطنوا قرية لهرة الجرفطية :

— وهم يعرفون بأولاد الشاعر ، ولهم دار واحدة بها كما ذكرنا ذلك فى الديوان القديم ، ومعرفتهم بها بطريق الاستفاضة ، وشهادة من يعرفهم من أبناء عمهم الاقربين ، وممن خرج منهم أيضا عن أصل سكناه بالحرم العلمى دار بمدشر الجبيلة الفحصية القريبة من اشقار للسيد محمد بن التهامى الربيع ، ولأولاد الدحمان دار ببني عمار بقبيلة الاخماس للشريف السيد الطاهر بن أحمد ، كما لهم بعين معبد العروسية ، ثلاثة ديار ، دار للسيد عبد السلام بن محمد الربيع ، ودار لابن عمه السيد ادريس بن الهاشمى ، ودار لابن عمهما السيد محمد بن الطاهر وأربعة ديار بصاف الاخلاف السريفية ، دار منها للشريف السيد الحسين بن عبد الله ودار للسيد على بن عمر ، ودار للسيد محمد ، ودار للسيد عبد السلام بن محمد ، ولأولاد بن يعقوب دار بمدشر الملعب من سماتة ، للسيد قاسم بن محمد ، وبعين الزياتن الزكارية دار للسيد محمد بن محمد ، وأما عائلة أولاد ابن محمد بالضم ، وهو مستوطن فرقة بنى زرويل الخمسية ، وتوجد دار واحدة لأولاد عبد الرحمن بقرية بنى يحيى اليوسفية . للشريف السيد التهامى بن محمد بن عبد الرحمن وبمدشر ماهر الجرفطى دار للسيد محمد بن محمد ، وتوجد دار أخرى بمدشر الخربة من قبيلة سماتة للسيد محمد بن محمد ابن عبد الرحمن .

ويتلخص البيت اليملاحي من العائلات فيما يلى :

- 1 — الوزانيون أولاد مولاى عبد الله الشريف وأبناء عمهم :
- 2 — أولاد حمدان وأبناء عمهم .

- 3 — أولاد المودن اليملاحيون وأبناء عمهم .
- 4 — أولاد الصغيرين وأبناء عمهم .
- 5 — أولاد ابن عمر ، اليملاحيون وأبناء عمهم .
- 6 — أولاد السيد قاسم بن عمر اليملاحيون وأبناء عمهم .
- 7 — أولاد السيد عبد السلام بن عمر اليملاحيون وأبناء عمهم .
- 8 — أولاد ابن سليمان اليملاحي وأبناء عمهم .
- 9 — أولاد افيداح بقرية تزروت وأبناء عمهم .
- 10 — أولاد الربيع بها أيضا وأبناء عمهم .
- 11 — أولاد الشكريوى بها أيضا وأبناء عمهم .
- 12 — أولاد بن الاشهب بها أيضا وأبناء عمهم .
- 13 — أولاد القاطى بقرية السلالم ، وأبناء عمهم .
- 14 — أولاد الدحمان بقرية السلالم أيضا وأبناء عمهم .
- 15 — أولاد ابن يعقوب بقرية تزروت ، وأبناء عمهم .
- 16 — أولاد ابن محمد الشريف بقرية بنى زرويل بالاخماس وأبناء عمهم .
- 17 — أولاد عبد الرحمن ومقرهم الاصلى قرية تزروت ، وأبناء عمهم .
- 18 — أولاد الشاعر ولهم دار واحدة بقرية لهرة الجرفطية وابناء عمهم .
- 19 — أولاد اللحيانى بقرية تزروت العلمية .

وهنا انتهى الكلام على اولاد الولى الصالح سيدنا مشيش دفين
اغيل بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية .

ثم ننتقل الى الكلام على اخوته الاربعة وبنى اعقابهم للاحاطة بشرفاء
اهل العلم ، مبتدئا منهم بأبناء الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس
ابن أبى بكر .

بيت سيدنا يونس بن أبى بكر

قد خلف الولى الصالح سيدنا يونس بن أبى بكر الذى ذكرت ترجمته

في عداد اخوته ، ولدين ذكرين وبنيتين : فاطمة وزوجها من ابن اخيه الحاج موسى وخديجة وزوجها أيضا من ابن اخيه الاصغر القطب « الشيخ مولانا عبد السلام » وجميع اولاده منها وقد تقدم الكلام عليها ، اما الولدان المذكوران فهما : 1 — سيدنا عبد الله بن الولي الصالح سيدنا يونس بن ابي بكر الشريف العلمى الادريسي الحسنى و 2 — سيدنا عبد الرحمن بن الولي الصالح سيدنا يونس بن ابي بكر المذكور ، رضى الله عنه .

بيت سيدنا عبد الله بن سيدنا يونس

قد خلف سيدنا عبد الله اليونسى المذكور ابنا واحدا اسمه محمد ومنه عقبه قال : حفيده المؤلف : سيدى محمد بن الصادق الريسونى اليونسى رحمه الله الموجود منهم الآن 1191 هجرية المعروفون بشهرتهم العالية : الشرفاء :

أولاد ابن ريسون

وهم اولاد الولي الصالح والنور الواضح العارف بالله تعالى سيدنا محمد فتحا بن على دفين قرية تزروت العلمية مقرهم الاصلى بجوار المسجد الجامع وعليه هناك مشهد عظيم فهو مزاراة عظيمة لاهل الخير والصلاح ، المشتهر بلقب بن ريسون ، قد خلف الولي الصالح المذكور من الاولاد الذكور ثلاثة عشر رجلا ، وعقبه من خمسة منهم . وهم اهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم فالولى الصالح المذكور هو سيدنا محمد بفتح الميم بن على بن عيسى المكنى ابا مهدي بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى ابن الحسن بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن عبد الله بن يونس بن ابي بكر الجد الجامع للشرفاء العلميين .

والمعقبون هم : 1 — ابو مدين بن محمد الغالى بن ابي مدين بن عيسى ابن محمد بن على فتحا ، و 2 — احمد بن على بن محمد بن على بن الحسين ابن على زين العابدين بن الحسين بن محمد بن على فتحا ، و 3 — محمد الطاهر بن الوافى بن عبد الله بن محمد بن على فتحا ، و 4 — الطاهر بن التهامى بن الوافى بن القروانى بن محمد بن على فتحا ، و 5 — ابو المواهب ابن ابي المواهب بن الحسن بن محمد بن على فتحا ، واما اخوه المكنى ابا

زيد سيدنا عبد الرحمن بن علي الحامل للقب بن ريسون فانه مات اعزب ودفن بأعلى قرية تزروت العلمية ، وقد ترجم لهما ابن عسكر في دوحة الناشر وريسول اسم امهما ، وكانت من المومنات الصالحات ، وكانا رحمهما الله تلميذين للعارف بالله تعالى مولاي عبد الله الغزواني ، ومن حكياتهم عنه انه كان يقول لاتباعه في المعرفة بالله : الهبطى للكلام ، والتليدى للطعام ، ومولاي عبد الرحمن الشريف ياقوتة تضىء في جبل العلم .

أولاد مرسو

ومن أبناء عمهم أولاد مرسو ومستقرهم الاصيل قرية الحصن ، ومنها انتقلوا الى قرية اغيل الخربة منذ نيف و 50 سنة عهد الاحتلال الاسبانى ، والى أبى علقمة والى قرية الحارش ، والى قرية طردان ، والى قرية عين الحديد ، ودار بن راطية ومدشر اغنيش من قبيلة بنى جرفط وقرية العيون ، وسعدانة منها أيضا وبفرقة الخطوط منها أيضا ، والى دشر احريق الحبيبي، وتوجد دار بدار اكلو للسيد الطيب بن عبد الرحمن مرسو ، ورجل من أهل العمود بفحص طنجة هو السيد محمد بن علي مرسو ، والى مدشر العيون بفتح الواو اليدري ، والى مدشر الزيتونة منها ، والى مدشر بوحديفة الحبيبي ، وبه دار للسيد محمد بن الهاشمى مرسو ، وقد كان لهم فيما سلف دار بالحجرة الحبيبي ، ومنه انتقلوا لقرية دشر احريق ، وكانت لهم دار بحومة تمزجيدة ، مع افرنو السفلى ومنها انتقلوا الى قرية العيون اليدرية ، وقد رفع عمود نسبهم الولي الصالح ابن عمهم سيدى محمد بن على فتحا ، وقد وجد بخط أولاد مرسو بالسین المهلمة ، هم : اولاد السيد الحسن ابن موسى بن سليمان بن مبخوث بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن على الجد الجامع لهم مع أبناء عمهم أولاد بن ريسون بن عيسى أبى مهدي بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن بن على بن محمد ابن عبد الله بن الولي الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية .

أولاد المودن اليونسيون

ومن أبناء عمهم أولاد المودن ، ومقرهم الاصلى قرية دار الحيط ، ومنها

انتقلوا الى قرية الحارث ، والى قرية ميسرة ، والى قرية الاحرش الجرفطية ودار الصف بها أيضا ، وبالحارث خمس ديار لهم ، وبمدشر ماهر منها داران ، وبقرية الخطوط لهم داران أيضا بها ، ولهم دار واحدة بقرية الصخرة منها أيضا ، ولهم داران بقرية اكرسان من قبيلة سماتة ، ولهم دار واحدة بقرية بنى يحيى اليوسفية ، ولهم ثلاثة ديار أيضا بمدينة تطوان ، وهم المعول عليهم في معرفة أبناء عمهم طبق الضوابط المقررة عند أهل النسب العلمى ، ومنهم دار بزاوية سيدى محمد المودن بقبيلة الغربية .

أولاد ابن رحمون

وأبناء عمهم أولاد ابن رحمون أولاد الولد الثانى المسمى عبد الرحمن ابن الولى الصالح سيدنا يونس بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية ، ومترهم الاصلى قرية تزروت العلمية حيث مدفن جدهم الذى ينتهى اليه نسبهم وهم أولاد الفقيه الاجل سيدى محمد بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن مكرر ، بن أحمد بن عبد الرحمن ، بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس بن أبى بكر الجد الجامع ومنهم من انتقل الى قرية أبى زهرى ، والى مدشر المصابحة من قبيلة رهونة ولهم به دار واحدة للسيد الهاشمى بن محمد بن رحمون ، وله ثلاثة أولاد الآن 1191 للسيد محمد والسيد أحمد وهما رجلان ، والسيد عبد الله وهو لا يزال طفلا صغيرا . وبمدينة تطوان دار الفقيه العلامة النسابة العدل مؤلف كتاب شذور الذهب فى علم النسب الادريسي ، والانجم الزاهرة فى الذرية الطاهرة فى النسب العلمى ، وهو الفقيه ابو عبد الله سيدى التهامى بن محمد المدعو « ابن رحمون » بن امحمد فتحا بن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الملقب برحمون بن محمد بن محمد بن على بن على مكرر بن عبد الرحمن ابن عبد الرحمن مكرر بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن مكرر أربع مرات ، ابن أحمد بن أحمد مكرر أيضا بن عبد الرحمن بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس صاحب الترجمة بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية . وباتى النسب معلوم ومنهم ابن عمه الفقيه العدل السيد عبد السلام وأولاده وأولاد أخيه ، والفقيه العالم سيدى الطيب بن محمد بن المهدي بن محمد بن أحمد بن رحمون ، وابن عمهم السيد محمد بن محمد

المعروف بالفاسي ، وابن عمهم السيد المهدي بن عبد العزيز بن المهدي المذكور ، وصنوه السيد أحمد ، ولهم دار واحدة بثغر آزمو ، للسيد أحمد ابن الصغير بن محمد بن أخى السيد التهامي المذكور ، وله بها اولاد عدة ، ومن أبناء عمهم ثلاث عائلات :

- اولاد الشلوشى ، ومن أبناء عمهم .
- اولاد مهدي بقرية القراقره السريفيه وأبناء عمهم .
- اولاد بن يونس أيضا بقرية القراقره السريفيه أيضا .

وأما المعروفون بأولاد مرسو في مدينة القصر الكبير ، الذين منهم مقدم الولي الصالح سيدي على بن أبى غالب ، المدعو السيد أحمد مرسو فان اولاد مرسو العلميين يجهلونهم ولم يثبت نسبهم الى سيدنا يونس لا قديما ولا حديثا ، وعليه فليس لهم فى النسب العلمى الا المشاركة فى الاسم لاهله فقط كسائر نظرائهم الموجودين داخل النسب العلمى .

ويتلخص البيت اليونسي فيما يلى من العائلات :

- 1 — اولاد ابن ريسون وأبناء عمهم .
- 2 — اولاد مرسو وأبناء عمهم .
- 3 — اولاد المودن اليونسيون وأبناء عمهم .
- 4 — اولاد ابن رحمون وأبناء عمهم .
- 5 — اولاد الشلوشى ، وأبناء عمهم : وهؤلاء غير سالمين من الطعن .
- 6 — اولاد مهدي وأبناء عمهم .
- 7 — اولاد ابن يونس وأبناء عمهم .
- 8 — اولاد اللهانى ، وأبناء عمهم : بريف الواديين ، وأولاد عمهم .
- 9 — اولاد القرقرى ، نص على هذين الاخيرين العلامة ابن رحمون فى شذور الذهب ثم تنتقل الى ذرية أخيه سيدنا على الميزنى .

بيت سيدنا على بن أبى بكر

قد خلف الولي الصالح سيدنا على بن الولي الصالح سيدنا أبى بكر

الجد الجامع للنسبة العمية . الذى ذكرت ترجمته فى عداد اخوته ، ثلاثة
أولاد ذكور ، ذكروا بألقابهم هم : اخريف ، ومعلى ، وزروق ، وكلهم لهم عقب .

أولاد اخريف

وأما أولاد اخريف فهم أبناء عم لمن ذكر ، ومستقرهم الاصلى قرية
دار الحيط فى قبيلة بنى عروس ، ومنها انتقلوا الى قرية الحارش ، وبوعلقمة
وقرية ظهر جعادة ، وقرية مجمولة ، وبقرية ميسرة دار للسيد العربى بن
أحمد اخريف ، ولهم دار بقبيلة بنى جرفط للسيد على بن محمد اخريف ،
ولهم دار بقبيلة بنى سعيد للسيد قاسم بن على اخريف ، وبمدينة تطوان
دار للسيد محمد بن عبد الله اخريف ، وبقرية بوحمصى دار للسيد محمد بن
محمد بن على اخريف ، وبقبيلة سماتة ، وبقرية غيروزيم الخمسية دار
للسيد محمد بن على اخريف .

أولاد معلى

وأما أبناء عمهم أولاد معلى فمقرهم الاصلى قرية دار الحيط ايضا ،
ومنها انتقلوا الى قرية أبى زهرى ، والى أبناء عمهم بقرية ظهر جعادة ،
وبها دار الفقيه السيد ادريس ، ومنهم بمدشر الجزيرة اليوسفية ، دار للسيد
محمد بن أحمد معلى ، ومدشر بوجبل دار للسيد أحمد معلى ، وبقرية
غيروزيم دار للسيد ادريس معلى .

أولاد زروق

وأما أبناء عمهم أولاد زروق ، ومقرهم الاصلى قرية دار الحيط ،
ومنها انتقلوا لقرية ظهر جعادة ، ولهم بها دار للسيد محمد زروق ، ولهم
دار بأفرنو الاعلى للفقيه السيد محمد زروق ، وبقرية مجمولة دار للسيد محمد
ابن الطيب زروق ، ولهم دار بقرية مجازلين هى للسيد الفضيل بن المهدي
زروق ، ولابن عمهم السيد الهاشمى دار بقرية تزروت العلمية ، ولهم دار
بمدينة تطوان لابن عمه السيد محمد زروق اه .

بيت سيدنا أحمد بن أبى بكر

قد خلف الولي الصالح سيدنا أحمد بن أبى بكر الذى ذكرت ترجمته

في عداد اخوته ولدا واحدا وله فرع واحد ويعرفون بأولاد القمور ، ومقرهم الاصيل قرية الحصن ، ومنها انتقلوا الى القصر الكبير ، ولهم به سبع ديار ، ولهم الآن — عصر المؤلف — ثلاثة ديار بفاس لثلاثة رجال ، هم : الفقيه السيد قاسم بن أحمد القمور ، بدرب الطويل ، وابن أخيه السيد الطاهر بن عبد الرحمن ، والسيد الحاج العربي بن قاسم ، ودار السيد محمد بن موسى ، ولهذا وأخيه السيد أحمد بن موسى داران بقرية ميسرة ، وبقرية عين الحديد دار للسيد محمد بن عيسى القمور وللسيد علي بن محمد المسن دار بقرية عين معبد ، وقد انتقل اليها من قرية دار اللماعى المصورية ، ولاخيه السيد محمد بن الحسين القمور دار بقرية عين زيانة ولهم أربع ديار بقبيلة بنى أحمد من قبائل صنهاجة ، منها دار للسيد الهاشمى بن الطاهر القمور ، ودار لأولاد أخيه ، ودار للسيد محمد بن الهاشمى القمور ، ودار للسيد محمد بن علي القمور .

ومن أولاده أولاد أحمد

وبمدشر أورغازن بالقبيلة اليوسيفة ، أولاد أحمد ومنهم بمدشر العنصر ومنهم بمدشر بوبرقاق ، ومنهم بمدشر عين كلبة ، ومنهم بمدشر كندامس ، وسيدى أبى صفرة ، من القبيلة السريفة ولهم دار أيضا بمدشر صف خمسين من القبيلة الجرفطية ، للسيد علي بن قاسم وأولاده ، ومنهم السيد محمد فتاح بن محمد فتاح له دار بقرية تزروت العلمية ، وبها أيضا دار لابن أخيه السيد أحمد بن الهاشمى ، ولهم دار أيضا بمدينة وزان ، قد انتقل اليها أحد الأربعة ديار المذكورين بقبيلة بنى أحمد ، وهؤلاء المذكورون من أولاد القمور ، وأولاد أحمد ، وقع فيهم خلاف شهير بين الأشراف العلميين ، فمنهم من يقول ان نسبهم عيشونى من أولاد سيدى قاسم بن ادريس الثانى ، ومنهم من يقول ان نسبهم علمى ، وينتهى لسيدنا أحمد بن أبى بكر المذكور ، مع القطع التام والجزم العام انهم شرفاء ادارسة ، وليس هناك شك في نسبهم ، وقد رجعوا الى القول المشهور ، وهو انهم من أولاد أحمد المذكور ، والى هذا ذهب جميع النسابين العلميين المتأخرين .

ويتلخص بيت السيد أحمد المذكور في عائلتين اثنتين ، هما :

1 — أولاد القمور .

2 — وأولاد أحمد .

بيت سيدنا محمد المهلى فتحا بن أبى بكر

قد خلف الولى الصالح سيدنا محمد المهلى بالالف المقصورة لقبا بن أبى بكر الذى ذكرت ترجمته فى عداد اخوته ، ولدا واحدا ، وليس له الا فرع واحد وقد أغفل ذكر مقرهم الاصلى من قبيلة بنى عروس ، ومنهم أولاد الحداد المنتقلون الى مدشر تاكنت الجرفطى ، ولهم به ثلاثة ديار ، منها للسيد محمد بن الحسين بن قاسم بن على ، ودار لآخيه السيد عبد السلام ، ودار لابن عمهم السيد محمد بن الطاهر بن قاسم المذكور ، قال المؤلف : وفى ديوان النقيب العلامة سيدى على بن عبد السلام بن عبد الوهاب الذى تقدمت ترجمته فى الكلام على أهل قرية أفرنو السفلى ما نصه : وكان ممن صحت نسبتهم فى قبيلة آل سريف وسلمته القبيلة المذكورة ، يعنى بنى عروس ، بموجب شرعى ، أولاد عبد المجيد بقرية عين السمن ، ومنهم بعين مرداز ، وعددهم أحد عشر دارا ، السى أن قال : وأولاد الحداد أربع ديار بمدشر المنجرة ، منها دار للسيد الحسن الشريف المهوى ، وأخيه السيد على ، وداران آخران بمدشر تفر من القبيلة السريفية وهما للسيد عمر ، والسيد عبد الرحمن ، والسيد محمد بالما ، ولهم أربع ديار بالقصر الكبير ، منها دار للسيد سليمان ، ودار للسيد عزيز ، وداران لأولاد عمهم السيد أحمد بن الحسن ، اه . ومثله فى ديوان النقيب الصادق بالحق العلامة سيدى عبد القادر الشهير ببن عبو الشبيهى الجوطى القاسمى الكناسى . ولا بد من البحث على هؤلاء المذكورين بآل سريف والقصر الكبير .

هل بقى منهم أحد الآن — عصر المؤلف — أم لا ؟ اذ لا علم عندنا بحقيقة أمرهم ، ولا سبيل لاثباتهم الآن ، ولا لنفيهم ، الا بعد البحث التام عنهم والله الموفق الهادى الى سبيل الحق والصواب ، عليه توكلت واليه أنيب ، وهو حسبى ونعم الوكيل . وبه انتهى الكلام على الاولاد المعقبين من ذرية الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا أبى بكر بن على الجد الجامع لنسب الشرفاء العلميين . قاله مقيده : العبد الفقير المذنب الجانى على

نفسه المرتجى عفو ربه عن سوء كسبه « محمد بن محمد الصادق » بن ريسون اليونسي العلمي الادريسي الحسنى ، غفر الله له ولدالديه ، ولاشياخه ، ولاحبائه ، وللمومنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات ، وقد انتهى والحمد لله ما أردناه من تقييد الشرفاء العلميين ، وتتبع فروعهم ومساكنهم ، وذكرت كل فرع على ما هو عليه وأثرت الى كل من نبذت دعوته ، ودحضت حجته ، وقد اعتمدت في ذلك على الفضلاء المحققين ، والنبهاء الممارسين ، من الاشراف المعتنين المذكورين جعله الله من العمل المقبول ، وبلغنا به غاية المطلوب والمامل ، اذ هو المرتجى والمسؤول ، والحمد لله رب العالمين ، وكان الفراغ منه في ذى القعدة الحرام سنة 1191 هجرية . قال في مرآة المحاسن : هذا ما انتهت المعرفة اليه ووقع التوفيق من أهل العلم عليه ، من الشجرة الطيبة السماء ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، بوأنا الله من كنفها مقعدا شريفا ومد علينا من ظلالها ظلا وريفا ، وليس فى المغرب فيما نعلمه من الادارسة من يبلغ فى صراحة نسبه مبلغ أهل العلم ، والجوطين وهم اولاد يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس ، وهذا هو ما عند ابن خلدون ، وقال غيره يحيى الجوطى هو ابن القاسم ، والقاسم هذا هو دفين شاطيء البحر المحيط الاطلسى سواحل طنجة والجوطى نسبة الى جوطه بضم الجيم وبالطاء المهمله قرية كانت على نهر سبو بالعدوة الجنوبية منه ، نزلها يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العوام نسب اليها ودفن بها وقبره مشهور بها .

فتوى العلامة الحاج أحمد الرهونى التطوانى

فى الزجر عن بغض آل البيت

ولما كثر البغض الناشئ عن داء الحسد ، وانتشر فى السواد الاعظم من الامة ، واشتغل الغاوون بلمز أهل البيت والطنع فيهم وفى أعراضهم ، وسوق كل رذيلة اليهم ، وارادة السوء بهم والانتقام منهم ، والتفقيص من قدرهم من أجل المكر بهم من طرف الحاقدين عليهم المحرضين فى كل ناد وترحال ، ولن يكون السبب فى ذلك الا أنهم لم يقتنعوا بمقامهم فى الاسلام ، ولم يجدوا الى ولوج مقامهم سبيلا ، ولذلك قد فضل البعض منهم انتحال دعوة النسب الشريف وفضل أن يعيش حياته تحت الاسم المزور ، فى لعنة

من الله بنص السنة وليس عليه ماذا يكون الجزاء وراء ذلك ، وقد كان عليه أن يراجع نفسه ان لم يكن دنىء الهمة ، ويتقى الله في الانتساب الى النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا ، وليقتنع برضى الله وتقوى الاسلام فانهما لمن اكبر نعم الله على عبده ومن اجل ذلك كان النسب وحده لا يغنى صاحبه من عقاب الله ، نعم اذا اراد الدخول في النسب والكون من اهله فلا بد من حبهما حبا صادقا يعلمه الله عنه ويقبله منه ، وتلك هى طريقة سلمان الفارسي التى تقدم الكلام عليها القائل لما سئل عن نسبه أنا سلمان ابن الاسلام .

ومن ثم لما رأى العلامة المذكور انتهاك حرمة النبي صلى الله عليه وسلم من طرف من ذكر ، وعدم مراقبة الله تعالى والخشية منه فى مراقبة حقوق أهل البيت الكرام ، ومراعاة حرمتهم ، وعدم القيام بما يجب له صلى الله عليه وسلم نحو آل بيته الاكرمين الطاهرين ، ورجا ان لو تحقق ما يرجوه من مجرد الكف عن بغضهم وارادة الحاق السوء بهم واذائتهم ، والاضرار بهم وبمصالحهم نصح لكل من تمسك بالاسلام ديناً وهو محسن بفتواه القيمة فى الزجر عن بغض آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مبينا ما جاء نصا فى احترامهم عن شريعة الاسلام فقال رحمه الله : الحمد لله كما ينبغي لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير انبيائه وارساله ، وعلى صحابته الاكرمين ، وآله الواجب تعظيمهم مدى بكور الدر وآصاله ، أما بعد فقد ثبت بموجب الثبوت شرف السادات المذكورين أعلاه ، ونسبتهم الطاهرة ، فيجب على كل مسلم ان يعرفهم ويحترمهم ويعظمهم ، وتحرم اذائتهم بكل وجه ، ومن اذائتهم تلقيتهم بغير لقبهم المشهور الذى يشهد لهم به من خيار بلادهم الجمهور ، ومن آذاهم بذلك أو غيره ، فقد تعرض لغضب الله وسخطه ولعنته ، وغضب أشرف رسل الله وصفوته ، ويجب زجرهم عن ذلك بما يكون رادعا لهم ، وللعصاة أمثالهم ، ويجب عليهم فى أنفسهم التوبة من هذا الامر العظيم الموجب لهم فى الدنيا والآخرة الخزى الجسيم ، فالويل ثم الويل لهم مما ارتكبوه من هذه الرذيلة العظمى المؤذنة بعدم سلامة عقيدتهم وانهم فى ظلمة وعمى اذ بدلوا محبة آل البيت الواجبة عليهم وعلى كل مسلم بالكتاب والسنة والاجماع ، بأن قابلوهم بلقبهم بما ينتقصهم ، ويوجب لهم

مع طول الزمن النزاع ، فمن الكتاب قال الله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى « اى لا اسألكم على تبليغ القرآن اجرا ، لكن اسألكم ان تودوا قرابتي ، وقال عليه الصلاة والسلام : من أهان قريشا أهانه الله) وقال عليه الصلاة والسلام لآل بيته : والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتكم منى (وقال عليه الصلاة والسلام : الله الله في اهل بيتى فقال له اصحابه : من آل بيتك يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : اهل بيتى ذرية « فاطمة » الى يوم القيامة ، فمن احبهم فبحبى احبهم ، ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ، اى بغضه اياى ابغضهم) وقال عليه الصلاة والسلام : من مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة (فويل لمن تعرض لاذية هؤلاء السادات ، بما شهد عليه بمحو له ، ثم ويل له ، وكل من ارتكب ذلك ولم يتب فهو فاسق سوء ، لا تقبل له شهادة ولا امامة ، ولا يسلم عليه ، ولا يصلى عليه اهل الفضل والدين ان مات ويجب على من ولاه الله امر المسلمين ان يزجرهم بالضرب والسجن ان لم يرجعوا حتى يرجعوا ويتوبوا او يموتوا فى السجن ، وكل ذلك قليل فى حق من يؤذى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى لا ايمان لمن لا يكون عنده احب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين ، رزقنا الله محبته الكاملة ، ومحبة آله كذلك حتى يميئتنا عليها يارب العالمين . قاله وكتبه عبید ربه : احمد بن محمد الرهونى وفقه الله بمنه آمين .

مهيع الوصول لربط الفروع بالاصول

ان ذرية الشيخ مولانا عبد السلام الحالية التى تقدم الكلام على ربط فروعها بأصولها تعيش الآن على رأس القرن الرابع عشر للهجرة فى فترة وركود ، وظلم وامية وجهل ، وقد تناعت فيه فروعها عن أصولها بنحو ستة اباء لمدة قرنين من الزمن ، لم يابه بها احد فى تجديد نسبها وتصفيته واحصائه منذ العلامة سيدى محمد بن الصادق ، وقد اكد علينا كتابة هذا التاريخ المجيد ان نبذل كل ما فى وسعنا حتى نحصل على ربط الفروع بأصولها ، وقد انجزت من ذلك ما هو مسطور فيما سبق فكل عائلة وافتنى بعمود نسبها فقد اثبتته حرفيا كما بلغنى عنها ، وقد استعنت فى ذلك بما كتبه العلامة سيدى التهامى بن رحمون فى جرائد كتابه ، حتى كدت أستوعب

وصول جميع العائلات العلمية بأصولها ، الا قليلا منها ، ولم ادخر في ذلك وسعا سعيا وراء تحقيق هذا الغرض النبيل وكان للوائيل في هذا الشأن اتصال بالامراء الذين كانوا يمدون لهم يد المساعدة ابتغاء تحقيق الغرض المقصود من هذا الشأن ، الذى كان يعتبر جزءا من الدين ، في هذا الوطن العزيز ، وقد انصرفت اليوم الهمم عن هذا الاتجاه وتبدلت الاشخاص بالاشخاص والوجوه بالوجوه ولم يعد هناك من يفكر فيه لا من هؤلاء ولا من اولئك ، وقد ظل الحال على هذا مدة قرنين من الزمن لم أر فيه من حرك قلمه في هذا الموضوع أو سعى في الحصول على شىء منه ، ولربما كان السبب في ذلك راجعا الى فقد المغرب استقراره مع ما لحقه من عقود بنود الحماية مع العدو المحتل وظل المغرب حقبة من الزمن يحكمه اعداؤه في الملة والدين ، فثوخوا معاله الاسلامية التاريخية ، وصاروا يبنون لانفسهم ودنياهم ، كان الارض أرضهم ، والدنيا ملك لهم ، ولم يغادروا ارض المغرب الا بعد أن تأكدوا ان الشجرة التى غرسوها اعطت أكلها أحسن مما كانوا ينتظرون وكان لهم فضل التأسيس ولاهل المغرب البناء ، وقد نتج عن ذلك ما نشاهده اليوم من سبب الدين ومحاربة ما بقى من دين الاسلام بين أهله ودياره من طرف من كان آباؤهم أهله بالامس ، وهم يريدون الاطاحة لا قدر الله بدار الاسلام ، التى بنتها يد اجدادهم بالكفاح المسلح منذ اثنى عشر قرنا من الزمن في هذا الاقليم العزيز من ارض المغرب الكبير ، واتلاف رأس مالها الذى كان فيه عصمة أمرها دنيا وأخرى سعيا وراء الغير في مدينته الكاذبة الساحرة ، فويل للذين بدلوا دينهم الذى فيه عصمة أمرهم ، واختاروا العاجلة الجاهلية على حياة ضمنت لهم سعادة الدنيا والآخرة في ظل العزة والكرامة ، ونظرا لهذه العوامل المتكررة المتجددة ناعت بنا الظروف فلم نستطع الوصول ولا الاتصال بأهل القدرة الذين في وسعهم أن يسهلوا لنا ما أردناه من تحقيق رغائب في هذا الموضوع الخطير ، ومن أجل العجز ساهمت فيه بما تيسر لى من الفكر ، والعزم ، والعمل الفردى تحقيقا لما لا يمكن كله ، لا يترك جله ، فاتصلت بما أمكننى الاتصال به من أبناء عمى وطلبت لهم ما تحث أيديهم من حجج ابتغاء تحقيق الغرض المقصود الذى هو ربط فروعهم بأصولها اقتداء بالسلف الصالح من العلماء والنقباء الساهرين على تحصين النسب النبوى الشريف ، صيانة له من دخول غيره

فيه واختلاط أمره ، فوجدت الطريق عندهم معبدا لا صعوبة فيه ولا التواء ، الا انه في حاجة الى مزيد الوقت الكافي الى نهاية الغرض المطلوب ، ثم رتبت العائلات العلمية ، وربطتها بالمشاهير من رجالها الابرار رضوان الله عليهم ، ثم وجدت نفسى في حاجة الى التنصيص على الدخلاء الجدد فأقول : انه لا عبرة شرعا وعقلا بالمندمجين في عائلات النسب الثابت الواضح المتصل عموده بالنبي صلى الله عليه وسلم ، اذ لا معول عليه ولا التفات اليه ، ولو كان بموافقة تلك العائلات التى وقع فيها الاندماج لا سيما هذا الاندماج ينكره عموم الشرفاء القاطنون في بنى عروس فهو غير مسلم من طرفهم ، وقد تقدم في ضابط ثبوت النسب انه متوقف على تسليم عموم الشرفاء المذكورين ، واستفاضته بين المتساكنين معهم ، والمتساكنون لا يعرفون لهم نسبا لا فى القديم ولا فى الحديث ، ومن ذلك ما فعله شرفاء اولاد أفيلال وأصهارهم أبناء عمهم اولاد الطريق ، الذين أدخلوا عليهم فى نسبهم جميع من كان يدعى دعوة نسبهم حتى من شهدت جميع دواوين النسب العلمى بنفيه ، من الذين ظل الباب موصدا فى وجههم الى عهد فاتح الاستقلال 1376 هجرية 1956 م فان عموم شرفاء القبيلتين سماتة وبنى عروس الشناتفة وأولاد بن عبد الوهاب وغيرهم من أبناء عمهم العلميين كلهم لن يوافقوا ولم يوافقوا على ثبوت نسب من يعرفون بالاشياخ اهل قرية بوحمصى من قبيلة سماتة وأبناء عمهم اهل الخطوط من القبيلة الجرفطية ، وكذلك من يعرفون بالبغاغرة فى قبيلة بنى يدر ، لان هؤلاء كانت لهم دعوة فى النسب قديمة ، ولم تثبت عند شرفاء القبيلتين فأوصدوا باب الاعتراف بدعوتهم أحقبا طويلة من الزمن الى العهد المذكور عهد التفسخ والانحلال الاخلاقى والدينى والاجتماعى ، ففى سنة 1391 هجرية ق 1971 ميلادية ظهر نسب هؤلاء بين شرفاء اولاد أفيلال الفلالسين وأصهارهم اولاد الطريق البغوريين وعمروا معهم حفلة جدهم سيدنا أحمد بن الشيخ مولانا عبد السلام التى تقام فى شهر غشت من كل سنة ، ومن ثم خرجوا بعد تمام الحفلة المذكورة ، وصعدوا الى ضريح القطب مولانا عبد السلام ، ثم وثبوا على أمين الفتوحات وطلبوه بحظهم فنفاهم وقام من كان حاضرا

من شرفاء السكان ، وأكدوا نفيهم بحجة أنهم لم يعرفوهم أبناء عمهم ، وكاد يقع الضرب بينهم ثم وثبوا على الامين وانتزعوا منه ما كان عنده في حقيبتة قسرا وذهبوا في حال سبيلهم ، ونظرا لانعدام النقيب الذى يرجع اليه في مثل هذه القضايا ، لم يتبعهم احد من الشرفاء ، ولان ممثل السلطة فى القبيلة رجل أجنبى عنهم لا يقيم وزنا للداخل فى النسب ولا للخارج عنه ، وقد ضموا اليهم كذلك من قبيلة جبل حبيب من لا يعرف أحد من القبيلة المذكورة لهم نسبا الوكيل المدعو ابخيطة واخاه المختار الممثل الفلاحى .

وقد سألت أهل العلم من القبيلة عن نسبهم فأجابوا بأنهم لم يعرفوا لهم نسبا ولا يعرفون لهم دعوة فيه الى اليوم . وقد شاهدت الشخصين المذكورين فى الحفلة السنوية لسيدى أحمد المذكور ، وكذلك اعترفوا لافيلال المطامر وضموه اليهم ، وكذلك طريبق قرية بوعباد الذين كان منهم القائد سابقا من الذين نفتهم جميع دواوين النسب العلمى ، وهناك بواد الزرجون من قبيلة الحوز طائفة أخرى تدعى بأولاد الطريبق لم يعرف لهم أهل القبيلة نسبا ، وليس لهم الا المشاركة الاسمية ، وقد رايت الاتصال بين الفريقين المتباعدين نسبا وصهرا وكما شاهدت الدخلاء ينادون اولاد الطريبق واولاد افيلال بكلمة « ولد عمى » وهناك من اولاد الطريبق واولاد افيلال من لا يرضى بذلك ويستنكره . وليس المقصود من الاعتراف المذكور وجه الله وابتغاء ثواب الآخرة ، وانما ذلك لحاجة فى نفس يعتوب قضاها ، وهم من وراء ذلك يهدفون الى التكتل والظهور بمظهر القوة والكثرة بين الشرفاء الجدد الذين اتاحت لهم الفرصة ليعيشوا شرفاء مزورين ملعونين ، واعوذ بالله من الجهل وغلبة هوى النفس على الخشية من الله ، ولم يقف الحد فى هؤلاء المذكورين بل لو اراد كائنا من كان من الناس أن يدخل معهم لوجد الباب مفتوحا ، وعلى هذا استمرت الاحوال واستقرت الاهداف بين الشرفاء اولاد افيلال ، وبعض أبناء عمهم من اولاد الطريبق ، وارجو منهم اذا قرأوا كتابى هذا أن يؤوبوا الى رشدهم ويرجعوا عن غرورهم الى ما فيه رضى الله ورسوله وذلك اولى لهم لان الآخرة ستجمعهم ، رزقنا الله واياهم

الثبات على اليقين الى يوم لقائه سالمين آمنين آمين .

وكل ما ذكرته من تصحيح العائلات العلمية ، فانما كان احصاؤه من طرف العلامة النسابة سيدي محمد بن الصادق الريسوني اليونسي رحمه الله وطيب ثراه ، سنة 1191 هجرية ، والشرفاء العلميون اليوم في أمس الحاجة الى احصاء جديد ، وتتبع فروعهم وضمها الى أصولها ، على غرار ما فعله المتقدمون رضوان الله عليهم .

« تنبيه » لا عبرة بما يوجد في الحالة المدنية من القاب العائلات الشريفة ، فان الشرفاء انفسهم قد استغلوها واستبدلوا أسماء عائلتهم بأسماء عائلة أخرى ، وكذلك استغلها غير الشرفاء من الذين كانوا يحملون أسماء خاصة بعائلاتهم ، أنكروها وتسموا بأسماء العائلات الشريفة .

احصاء القرى الموجودة في قبيلتي بنى عروس وسماتة

هذه هي القرى الأصلية لمأوى الشرفاء العلميين بين بنى عروس وسماتة بعد أن عينت حدود قبيلة بنى عروس وعرفت بين القبائل المجاورة كان لا بد لها أن تشمل على قرى أصلية يسكنها حفدة سيدنا سلام العروس القادم إليها من قلعة حجر النسر ، مقرهم الريفي بعد جلائهم عن مدينة فاس مقر جدتهم ادريس وعاصمة ملكهم ، وبعد أن استقرت الاحوال بعد العواصف التي مرت بهم من الشرق والغرب اشتغلوا بعبادة الله تعالى وطاعته ، فكثر ذريتهم وسكنت في القرى الآتية ، وهي : اولاً ، قرية مجمولة لأنها مأوى سيدنا سلام العروس ، و 2 قرية الحصن لان بها مولد الشيخ مولانا عبد السلام بن مئيش ، و 3 قرية تزية لانها منبع اولاد سيدنا محمد بن القطب مولانا عبد السلام ، و 4 قرية افرونو السفلى لانها مأوى عبد الوهاب الاصغر وهي المقر الاصلى لاولاد بن عبد الوهاب ، و 5 قرية ادياز لانها أصل ومقر لاولاد عبد الواحد دفين دشر الاثنيين ، و 6 قرية تزروت لانها مقر اليونسيين واليملاحيين ، و 7 قرية بوسرواس والسلام

لانها أصلان لحفدة الحاج موسى الرضى فهذه المذكورات مأوى الاصول ،
والباقي مأوى الفروع ، وهى : 8 افرنو الاعلى ، و 9 بغورة ، و 10 طردان ،
و 11 عين احبار ، و 12 دار الحيط ، و 13 الحارش ، و 14 تجزرت ،
و 15 اغيل الخرب ، و 16 بوعلقمة ، و 17 تزجلوت ، و 18 بومنديل ،
و 19 الدشير ، و 20 دار بجاو ، و 21 بوزهرى ، و 22 ظهر جعادة ،
و 23 ميزن ، و 24 عين زيانة ، و 25 بوعمار ، و 26 مرج حمود ، و 27
خجيون ، و 28 بودعلال ، و 29 المنزلة ، و 30 تلفتة ، و 31 اغبالوا ،
و 32 اذرو ، و 33 تايدة ، و 34 العجالية ، و 35 اراريوش ، و 36 الحمة ،
و 37 الدرادر ، و 38 العمريش ، و 39 امشيشون ، و 40 السكان ،
و 41 مسمل ، و 42 تليامن ، و 43 الرملة ، و 44 ابى جارية ، و 45 عين
الحديد ، و 46 قرية الخميس ، و 47 ميسرة ، و 48 دار براطية ،
و 49 مجازليين ، و 50 الخنادق ، و 51 بوقمور ، و 52 الخلدين ،
و 53 عين معبد ، و 54 دار الخيل ، وهذه القرى المتقدمة كلها جبلية ،
واما قرى العزائب من بلاد عياشة ، فهى : 55 عزيز الشيخ مولانا عبد
السلام ، بومهدى ، و 56 خندق احمار ، و 57 البراهمة ، و 58 اولاد
عبد الصميد ، و 59 الجهيمات ، و 60 تزمزت ، و 61 القصيبة ، و 62
شرقية ، و 63 اولاد بوجمة ، و 64 اولاد عقيلة ، و 65 منيالة ، و 66
السلطنة ، و 67 ابياط ، و 68 السرادى ، و 69 الحجره ، و 70 الزنييد ،
و 71 الحمامات ، و 72 عين غرزول ، و 73 بوخشبة ، و 74 الماء الحايل ،
و 75 خيام زيزون ، و 76 بنى مالك ، و 77 اولاد الشاوى ، وهذه العزائب
كلها ارض فلاحية يملكها اولاد مولاي عبد السلام واما قبيلة سماتة فهى
بالنظر الى كونها تشتمل على قلعة حجر النسر الذى يوجد بازائه ضريح
اكبر النسك جد الاشراف العلميين الولي الصالح سيدنا مزوار ، فهى الام
لقبيلة بنى عروس ، واما قراها فهى : 1 دار الراطى ، و 2 دار الحجر ،
و 3 عين بيطة ، و 4 تولة ، و 5 الرواوصة ، و 6 الخربة ، و 7 اكرسان ،
و 8 وبوحمصى ، و 9 واغنين ، و 10 افرة ، و 11 والحرشة ، و 12
والطايين ، و 13 والنوايل ، و 14 والخريبة ، و 15 وبوذران ، و 16 عين
بوكرشون الجمع 92 .

الشيخ الغزواني مؤسس زيارة القطب مولانا عبد السلام

الشيخ الغزواني هو العارف بالله تعالى العالم العلامة شيخ العارفين بالله من مشائخ القرن العاشر الهجري كان اليه المفزع في عصره في تدريس العلوم الدينية والتربية والسلوك الرباني ، تنسب اليه كثير من الزوايا في مختلف أنحاء المغرب أخذ الطريقة عن القطب أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي ، وهو عن الشيخ التباع رحمهم الله . شهر بالغزواني نسبة الى قبيلة من قبائل عرب تامسنا ، وهى ما بين شالة بالرباط وبين مدينة آزمور ، وكان معاصرا لابي عبد الله الوطاسي ، مكث الشيخ الغزواني بالزاوية التى بناها بقرية تزروت بينى زكار احدى قبائل الهبط 30 سنة في تعليم العلم وتربية الاتباع الذين منهم الشريف سيدى محمد بن على وأخوه مولاي عبد الرحمن الشريف والشيخ التليدى والشيخ الهبطى ، وقد عددهم ابن عسكر في دوحه الناشر ، وكان طيلة هذه المدة يخرج مصحوبا باتباعه قاصدا زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش على رأس كل سنة وقد اختار لذلك يوم النصف من شعبان ، ولن يزال يوم النصف من شعبان يوم احتفال بضريح القطب مولانا عبد السلام الى يومنا هذا ، ثم انتشرت شهرة زيارته في جميع أنحاء المغرب فتقاطر الناس عليه زرافات ووحدا للترحم عليه والتبرك بأحفاده ولا عبرة بمغالطات الجاهلين والجاهلات، وسياتى في مناقبه انه طلب من الله تعالى أن لا يصل اليه من كتب عليه الشقاء ، واذا وصل اليه شفعه فيه يوم القيامة .

وذكر من كراماته انه تكلم مع الشيخ الغزواني من قبره مشافهة فسمعه هو وحفيد الشيخ الذى كان حاضرا معه ، الولي الصالح سيدى يوسف بن حليلة جد الاشراف اولاد بن حليلة .

وذكر ان الغزواني في زيارته الاولى للشيخ المذكور خرج من مدينة مراكش مصحوبا بتلاميذه ومريديه ، ولما وصل الى قبر الشيخ مولانا عبد السلام وجده كسائر القبور العادية لا يعرفه الا أحفاده وبنو أعمامه فخشى عليه أن يضمحل مع مرور الزمن فرفع بنيانه بالحجارة دون طين ثم انهار وأعيد بناؤه مرارا حتى استوى على الهيئة الذى هو عليها الآن ، وجعل

أكداس الحجارة في الطريق علامة على الاقتراب من الضريح الموقر ، ثم لما كان راجعا الى مكانه بمدينة مراكش أمر ببناء زاوية على رأس كل مرحلة من مسافة يوم ثم يوكل بها بعض أتباعه ، حتى وصل مراكش ، فاذا كان خارجا في السنة المقبلة الى زيارة الشيخ المذكور بات في زواياه عند أتباعه وبين تلاميذه وأصحابه ثم بعد ذلك اختار الإقامة بزاوية بنى زكار حتى يكون قريبا من الشيخ المذكور ، وبعد أن مر عليه بها المدة المذكورة انتقل الى زاويته الاخيرة التي تواجه ضريح الشيخ مولانا عبد السلام حتى لا يغيب عن حسه بقبيلة بنى يدر فرقة بنى حمايد ، ولا زالت تحمل اسمه وتنسب اليه الى الآن وبها مشهد عظيم ، وبداخله قبران معلومان لا يدري لمن هما ، ويظن الناس انهما لابيه وأمه ، ولما كثرت أتباعه بهذه الزاوية ، واختلت الاحوال على أبى عبد الله الوطاسى خشى منه والقى عليه القبض وساقه مقيدا الى مدينة فاس ، وكان الشيخ ابن غازى كاتباً للسلطان بمدينة مكناس فمرض بها ولما اشدت عليه مرضه طلب أن يرجع الى فاس ، وبينما هو مار باحدى شوارعها التقى بالشيخ الغزوانى المقبوض عليه ، وعند ما أخبر بحاله طلب أن يلتقيه ودعا له وعلم ان الله استجاب دعاءه وهو ان لا تقبض روحه حتى يريه الله وجه ولى من اوليائه ، فعلم انه قد دنا اجله فمات بعد ايام سنة 920 هجرية ، ثم أمر بالشيخ الغزوانى الى مدينة مراكش وسجن بها حتى توفي سنة 935 هجرية .

مناقب الشيخ مولانا عبد السلام

المنقبة العظمى التي هي بمثابة النافذة لمن اراد ان ينظر اليه منها ويتعرف على قدره ومقامه في المعرفة بالله ، هي تمجيده وتعظيمه للواسة العظمى بين الله وبين خلقه سيدنا ونبينا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسماة « بالصلاة المشيشية » والتي تكلم فيها بحسب مقامه ومعرفته بربه ، ویرسول الله صلى الله عليه وسلم الداعى اليه باذنه ، التي تناولتها اقلام العلماء والاولياء من العارفين بالله ، فكانت آية فريدة في المعانى والعرفان ، كما كانت اصدق تعبير عن قولهم : انتهى عقل العقلاء في وحدانية الله الى الحيرة ، وكانت شروحا تنيف على 25 شرحا كلهم يحاول التعبير عن مقامه وصفاء سريره في معرفته بربه ، وكلهم قد اعترف بعجزه عن مبلغ ما وصل اليه ، ولم يجدوا في قرائحهم ما يفي بالتعبير عن مقصوده .

ألفاظ الصلاة المشيشية

هى : اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاعلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله موقنة وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة ، ولا شئ الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو اهله ، اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك ، اللهم الحقنى بنسبه ، وحققنى بحسبه ، وعرفنى اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملنى على سبيله الى حضرتك ، حملا محفوقا بنصرتك ، واتذف بى على الباطل فأدمغه ، وزج بى فى بحار الاحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد ، وأغرقتنى فى عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس الا بها ، واجعل الحجاب الاعظم حياة روحى وروحه سر حقيقتى وحقيقته جامع عوالمى بتحقيق الحق الاول ، يا أول ، يا آخر يا ظاهر يا باطن ، اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرنى بك لك ، وايدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك ، آله ، آله ، آله : ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيباء لنا من امرنا رشدا . القصص ، والكهف

شرح الصلاة المشيشية

وقد استحسننت ان أنقل هنا على الصلاة المشيشية شرح العارف بالله تعالى الولى الصالح الامام الخروبى الطرابلسى المتوفى سنة 963 هـ ، المسمى « مفتاح المقام لفهم ما عبر عنه فى تصليته الشيخ مولانا عبد السلام » وكان الشيخ رحمه الله من أعظم المحبين لاهل البيت النبوى الكريم ، ولذلك خصصت شرحه بالنقل فى هذا المقام ، ورجائى من ذلك به النفع العام ، قال الشيخ المذكور رحمه الله :

الحمد لله الذى جعل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم سيد العرب والعجم من أعظم الرتب وأفضل القرب ، ووفق اليها اهل العناية ، وجعلها معراجا الى تحقيق الولاية ، ودليلا على صحة البداية ، وبلوغ

النهاية ، وسببا لتكثير كل جنانية ، ولم يزل المحبوب من أمته واهل القرب من اهل ملته ، من شدة الحب ودنو القرب تفيض على قلوبهم أنوار المحبة ، وتهز ارواحهم عواصف الدنو والقربة ، فتطلق السننهم بمعانى ما حصل فى بواطنهم من شهود النور المحمدى ، وما انكشف لارواحهم من كمال السر الاحمدى ، وما رام احد منهم بذلك بلوغ الغاية ، ولو بلغ مقاله النهاية ، اذ لا يبلغ احد معرفة قدر الرسول الكريم ، ذى القدر العظيم ، الا الخبير العليم ، وهيهات ان يبلغ احد من الخلق ، وان وفى ببعض حبه وصف احوال المصطفى ، وانما يحول حول الحق ، بل كيف يلحق احد بيده السماء ؟ ايه ، وممن خاطب فى هذا بأفصح خطاب ، ونطق فيه بالصواب ، وسلك نفس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلك أوسط الابواب ، ودل خطابه على تحقيق فى مقام الاقتراب ، وقربه من الجناب بتحقيق ما قاله ، وادب بين يدي الرسالة .

هو الشيخ الامام القطب العارف بالله الدال عليه ، ذو الطريقة السنية ، المستقيمة ، والاحوال السنية العظيمة ، وشرف النسب وأصل الحسب ، « سيدى عبد السلام بن ميثيس » الحسنى أعاد علينا الله من بركاته بمنه ، ولما كانت التصلية المنسوبة اليه تضمنت حقائق شريفة ، ومعانى دقائق الحقيقة ، من عالم غيب رب العالمين ، الى سماء قلوب العارفين .

سألنى شرح تصلية الشيخ المذكور حفيده السيد العابد الصالح الزاهد سنى الطريقة ، الباحث على تحقيق رسوم الحقيقة ، الجبل الثابت ، البحر الصامت « أبو حفص سيدى عمر » بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسنى نفعا الله به ، وبصالح نسبه ، آمين بمنه وكرمه ، فلم يسعنى الا اجابة داعيه ، وتلبية مناديه ، وان كنت لم أصلح لذلك ، اذ لا قدرة لى على سلوك هذه المسالك لكن اعتمدت على الرب الذى لا يخيب من اعتمد عليه ، واستندت اليه فيما أردته ، اذ هو الذى يعين من استند اليه ، وبه سبحانه وتعالى استعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

« مقدمة » يحسن قبل الكلام على الفاظ التصلية أن يعرف بالشيخ الذى اجادت بها أريحته ، اسما ، ونسبا ، وطريقة ، ومعاملة فى احواله وآدابه ومقامه ، اذ قبول كل مقالة فرع عن معرفة قائلها ، ووددت أن استقصى الكلام فى ذلك كله لو تيسر لى ، لكن اذكر ما حضر لى فى ذلك وعلى

من علم شيئاً زائداً مما ذكرناه عليه ، أن يلحقه به وأجره على الله سبحانه
أما اسمه ، فهو الشيخ العارف بالله تعالى ، القطب الداعي إليه ، أبو محمد
« مولاى عبد السلام » بن مشيش ، بالميم ، ويقال بشيش بالباء الموحدة من
أسفل ، وكان بعض من لقيناه من الأشياخ يصحح الاول ، ويقول مشيش
بالميم وتشديد الشين الاولى وتخفيفها .

أما نسبه فهو ادريسي حسنى ثابت الشرف ، وكان رضى الله عنه
من اكابر الاولياء العارفين بالله ، صدر الصدور ، فى الاكابر مذكور ، وبينهم
مشهور ، قطب الدائرة ، فعليه مدارها ، ومنه استمدادها .
وأما طريقته فى معاملاته واحواله فى منازلته وآدابه ومتعبداته ،
فكانت طريقة سننية ، وتعبداته زكية ، أخذ الطريقة عن الاكابر ، منهم
الشيخ عبد الرحمن المدينى ، ثم واحد عن واحد الى الحسن بن على بن أبى
طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وأخذها عنه اكابر ، فمن أخذها عنه
القطب الوارث — أى لسره — أبو الحسن على الشاذلى . وكان رضى الله عنه
ذا جد واجتهاد ، ومحافظة على الاوراد ، قطع المقامات والمنازلات ، حتى
نفذ الى طريق المعرفة بالله .

تتبييه :

اعلم ان الخطاب يكون تارة بحسب المخاطب بكسر الطاء من اسم
فاعل وتارة يكون بحسب المخاطب بفتحها من اسم مفعول ، وهنا وقع بحسب
الاول اذ الثانى لا يخاطب بقدره ، اذ هو مقام الرسالة الاحمدية ، والنبوءة
المحمدية ، وانما كان مخاطبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب
معرفة بجانبه وبحسب اطلاعه على خصوصيته وقربه ، أى فى قوله : صل .
وخطاب الشيخ فى تصليته هذه يدل على علو مقامه فى المعرفة بربه ، وعلى
صدقه فى محبته وعلى تمكنه فى مقام الوصلة والقربة ، ولعمري ، لقد ضمن
فيها معانى لطيفة ، وأسراراً شريفة ، توذن بعلو قدر الرسول العظيم ،
وعظيم خصوصيته بين المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، ولقد
أحسن فيها اللفظ والمعنى ، وتضمن فيه كل مقصد أسنى ، أتى فيها بكل
سر عجيب ، ومعنى غريب ونبه فيها على خصوصية النبى الكريم ، ورفع
قدره الماجد العظيم ، بعبارة لطيفة وإشارة دقيقة ، لا يدركها الا ذو روح

عرشي ، وسر كرسى ، وقلم لوحى ، ولسان قلمى ، ولقد أحسن فيها البداية ،
وأجاد فى النهاية فقل مبتدئا :

اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار الى
آخرها ولما رأيت كثرة الراغبين فى البحث عن شرح ما اشتملت عليه الالفاظ
الموجزة من هذه التصلية المشيشية ، وكان لها عدة شروح مختلفة من كبار
الاجلة الاعلام ، وعثرت على هذا الشرح القيم المبارك ، ووجدته انه من
اقتراح حفيد الشيخ المذكور ففضل الشيخ الخروبى رحمه الله ولبى طلبه ،
وحقق رغبته ، فعلمت أن الشيخ من أفضل المحبين لاهل بيت النبى الكريم ،
عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومن أجل ذلك فضلته واخترت نقله
وبسطه هنا حرفيا للتبرك به وبأصله .

قال الشيخ الخروبى : قلت : **اللهم** ، توجه للمطلوب ، وطلب
لحصول المرغوب بالتوسل بالاسم الاعظم ، الذى اذا دعى به اجاب ، واذا
سئل به اعطى ، ولفظ بصيغة حذف فيها ياء النداء المتضمنة لوجود السنونة
المعنوية النفسانية اذ حذفها يقتضى زوال ذلك ، ولا شك ان الشيخ حين
خاطبه بهذه التصلية كان فى مقام جمع غائب عن الفرق ، وتعويض الميم
من ياء النداء فى لفظ الجلالة يقتضى توة الهمة فى الطلب والجزم به ، وانما
جعل هذا الاسم الاعظم فى اول الادعية غالبا ، لانه جامع لجميع معانى
الاسماء الكريمة ، وهو اصلها فجميع معانى أسماء الله تعالى راجعة
اليه ، قال أبو رجاء العطار : ردد فى قوله اللهم ، تسعة وتسعين اسما
من أسماء الله تعالى ، وقال النظر بن شميل : الميم فى قولك اللهم بمثابة
ميم الجمع ، فاذا قلت اللهم فكأنك دعوت الله تعالى بأسمائه كلها ، فعلى
هذا من دعا وتوسل به فكأنما دعا بجميع أسماء الله تعالى كلها وتوسله
بها ، ولذلك قال الامام الحسن بن ابى الحسن البصرى رحمه الله : فى
قولك اللهم جميع الدعاء . **وقوله** : (صل) طلب من الله تعالى ودعاء
أن يصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، والصلاة من الله تعالى على
نبيه صلى الله عليه وسلم زيادة تكريم وانعام ، وهى من الملائكة رحمة
واستغفار ، وهى من العباد دعاء ، فتكريم الله عز وجل لرسوله صلى
الله عليه وسلم زيادة تشريفية له ، وتقريبية منه ، والصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العبيد وسيلة للقرب منه عليه الصلاة والسلام ،
كما جعلت هدايا الفقراء الى الامراء وسائل ليتقرب بها اليهم ، وليعود

نفعها عليهم ، اذ انه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الله عليه لا يحتاج الى صلاة احد ، وانما شرعت تعبدوا لله تعالى وقربة اليه ، ووسيلة الى جنبه المنيع ، ومقامه الرفيع ، صلى الله عليه وسلم ، وهذا من العبيد على سبيل التاكيد ، لا على سبيل التأسيس بأمر من الله تعالى ، اذ صلاة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم سبقت صلاة غيره ، فلم يحتج الى صلاة غير الله تعالى ، بعد صلاته عليه ، ولكن جعلها لعباده سببا للوصول الى رضاه تعالى ، وبابا للدخول عليه سبحانه ومعدنا للكمالات ، ومفتاحا لآبواب الخيرات ، وسببا لنيل البركات وحصول الكرامات ، وهى افضل عبادة المتعبدين ، واعظم قربات السالكين ، وادل دليل على ارادة المريدين ، وعلامة على صدق المحبين ، وكهف ايواء الواصلين وهى وان اختلفت مواردها ، وشاعت مصادرها ، فمرجعها اليه ، وحقيقتها منه وعليه ، اذ ما صلى على محمد صلى الله عليه وسلم الا هو ، لان صلاة العبيد عليه صلى الله عليه وسلم صدرت منهم بأمره ، من صورة اسمه ، فجميع اسم محمد نفس صورة آدم المكرم وهذا الحكم جاء فيما تفرع من آدم عليه السلام ، فميم نطقت بالصلاة عليه ، وكذلك كل عبادة صدرت من آدم وبنيه ، فانه بأمره صلى الله عليه وسلم ومن صورة اسمه ، وبالتحقيق ما صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الله ، اذ انه تعالى انما صلى عليه بنفسه وبفعله ، مع اننا لا نلقى الا به فى الظاهر ، بل نثبتها ونراها ، وهذه الاشارة التى اشرنا اليها ، والشبيه الذى نبهنا عليه فى كون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم صدرت من صورة اسمه عليه ، فآلهته ، ولم نسبق اليه ، ولا رايت احدا ممن تقدم به عليه ولا اشار اليه ، وانما هو مجرد الهام آلهته ، عند الحضور فى ورد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وحين غاب حسى فى حضرة الحق رجع على بلسان القربة .

وقوله : (على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ،)

يريد سيدنا ونبينا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم ، والاسرار جمع سر ، والمراد بها اسرار الذات واسرار الصفات ، واسرار الافعال ، فهذه الاسرار كلها مبطنة بها تجلى عليها ، من اسمه الباطن ، وحجب عنها خلقه بنور كبريائه ، فكانت كذلك حتى جاء صلى الله عليه وسلم فحولها باسمه تعالى الظاهر ، واظهرها باسمه المبين ، ورفع عن بصائر المومنين الحجاب ، فظهرت الاسرار لائحة الانوار ، بادية الاسرار فكان صلى الله

عليه وسلم هو المظهر لها ، وكاشف الحجاب عنها ، فبنوره ظهرت الاسرار
وبسره انكشفت الانوار ، والمراد بالانوار الانوار اليمانية ، التي انشقت
في قلوب المومنين ، وقد كانت قبل بعثته صلى الله عليه وسلم مستورة
بظلمة الكفر ، ودخان الشرك ، فلما جاء النور المحمدي اشرقت في قلوب
من اراد الله هدايته ، فكشف عنها ظلام الكفر ، واشرق فيها نور الايمان ،
وكان النور المحمدي هو المزيل عن قلوب المومنين ظلام الكفر ، والكاشف
لدخان الشرك والمشرق فيها النور اليماني ، والى هذا المعنى اشار الشيخ
الجامع في التصليية بقوله : انشقت الاسرار ، وانفلق الانوار ، اى منه
ظهرت ، وعنه صدرت . فمنه بدؤها وعنه صدورها ، وما ثلناه من انكشاف
الاسرار بذلك ، فذلك بحسب المقامات ، فكل ذى مقام ينكشف له من
الاسرار ما يليق بمقامه ، فاهل مقام الاسلام ، اذا تحققتوا فيه ، وقاموا
بوظائفه ، وداموا على الذكر الخاص به ، وحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية
تتميز معها ثمراته ، وتحصل لهم اسرار الافعال ، ويكون لهم هذا الكشف
سبيلا الى كشف اسرار الصفات ، وهذا الكشف يكون لهم معراجا الى
كشف اسرار الذات ، وذلك عند انتقالهم من مقام الاسلام الى مقام الايمان ،
فاذا ترقوا من ذلك الى هذا ، وثبتوا فيه ، وتحققوا وقاموا بوظائفه ،
وداموا على الذكر الخاص به ، وتحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تثمر معها
ثمراته ، وتحصل معها نتائجه ، انكشف لهم من اسرار الذات ما تسعه
عقولهم ، وتحمله ارواحهم ، وذلك رحمة من الله تعالى بهم ، ثم ان
المكاشفين بهذه الاسرار ، منهم من كشف له جملة ، ومنهم من كشف له
تفصيلا ، ومنهم من كشف له جملة وتفصيلا ، وهم الرسل عليهم الصلاة
والسلام ، واعظهم في ذلك كاشفا « نبينا محمد » صلى الله عليه وسلم ،
وقد كانت هذه الاسرار التوحيدية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بحرا
طامسا ، وسما عابسا ، فبنوره ظهرت ، وكانت الانوار اليمانية محجوبة
بظلام الكفر ، فسره صلى الله عليه وسلم اشرقت ، وبالجملة فجميع
ما اودع الله سبحانه في مكوناته من الاسرار ، فهو صلى الله عليه وسلم
المظهر لها ، بعد ما كانت القلوب غافلة عنها ، والارواح جاهلة بها ، فنبه
صلى الله عليه وسلم القلوب لما كانت عنه غافلة ، وعلم الارواح ما كانت
به جاهلة .

وقوله : (وفيه ارتقت الحقائق) اى انه صلى الله عليه وسلم

فيه ارتقت حقائق جميع الاشياء العلوية والسفلية ، المعنوية والحسية ، اللطيفة والكشفية ، فجميع هذه الحقائق ارتقت فيه ، وتجلت في باطنه ، حتى صار قلبه معدنا لها ، وباطنه مسراها ، فقلبه صلى الله عليه وسلم معدن الحقائق والاسرار ، وباطنه مهبط العلوم والانوار ، وانما خص قلبه صلى الله عليه وسلم بذلك لاتساعه ، فما وسعه لا يسعه غيره ، فما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم افترق في غيره من المرسلين ، والنبئين والصدّيقين والعارفين ، ولهذا قيل محمد صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه ما افترق في غيره ، لانه الانسان الكامل ، وانما كان قلبه صلى الله عليه وسلم معدن الحقائق والاسرار وباطنه مهبط العلوم والانوار للمجانسة ، اذ الحقائق عرشية ، والاسرار كرسية والعلوم لوحية ، والانوار ملكوتية ، وقلبه وباطنه من تلك العلوم العلوية ، والشئ قد يولد الشئ بنسبة بينهما .

قوله : (وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق) اشار بما ذكر الى اتساع قلبه صلى الله عليه وسلم ، وان معلوماته عجز عن ادراكها جميع الخلائق ، واراد بعلوم آدم علم الاسماء التي علمها له الله تعالى ، فنزلت في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بحسب الوراثة ما اعجز الخلائق ، كما عجزت الملائكة الكرام عن علم ما علمه الله تعالى ، لخليفته آدم عليه السلام ، فمقامه صلى الله عليه وسلم مقام موروث في الاعجاز ، وما وقع به الاعجاز ، وهذا التوارث وان وقع في حضرة الفرق فوقه فيها كذلك بحسب الحكمة العادية الواثقة بين السابق حسا وجسما على اللاحق ، وفي حضرة الجمع السابق ، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مفيد لا مستفيد فأرواح العلماء وقلوب العارفين والمرسلين والنبئين وعباد الله الصالحين تتلقى من روحه صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والمعارف الربانية ، والاسرار الملكوتية ، ولهذا سمي روحه صلى الله عليه وسلم ابو الارواح ، فعلوم العلماء ومعارف العارفين ، وحكم الحكماء مستفادة من علومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه وحكمه ، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون ، وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم ، الجميع نقطة من بحره صلى الله عليه وسلم ، فهو بحر العلوم ومنبعها وقلبه معدنها ، وباطنه مهبطها ومرساها ، فظهر من هذا انه صلى الله عليه وسلم وارث في حضرة الفرق ، للوجود الذاتى الموروث في حضرة الجمع والوجود الروحانى قيل اذا لقي آدم عليه السلام نبينا محمدا صلى الله

عليه وسلم يقول آدم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يا ولد ذاتي ،
ويا والد معاني ، يشير الى أن روحه صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح .

قوله : (وله تضاعلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق)
أشار رحمه الله الى خفى سر روحانيته الاحمدية ، ورفيع قدر صورته
المحمدية ، اذ حقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ، ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء من ظواهر المأمورات دون بواطنها ، وجليها دون خفيها ،
فالفهوم كلت ، والعقول وقفت عن طلب الاستشراق ، وتضاعلت عند
خفى سره ، والوقوف على حقيقة أمره ، ولا يفهم ذلك الا الذي خصه به
سبحانه ، واذا كان الولي لا تدرك حقيقته في هذه المدارك ، فكيف الرسل
عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وعلى الاخص سيدهم وامامهم سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم ، وما أدرك الناس حقيقة أمره وخفى سره ، الا على
قدر عقولهم البشرية ، فما ظهر لهم من ذلك نعمة عليهم ليعرفوا قدره ،
ويعظموا أمره ، وما خفى عنهم فرحمة من الله بهم ، اذ لو ظهر مع عدم
قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم ، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين ، فكانت
النعمة فيما ظهر ، والحكمة فيما استتر ، ثم ان الناس في اطلاعهم على
سر نبوعه وخصوصية رسالته بحسب مقاماتهم ومنازلاتهم ، فكل أحد
كشف له من ذلك بحسب مقامه ، ومحل قدر قرب روحه من روحه عليه
الصلاة والسلام ، وأعظم الناس كشفا لذلك ، وأكثرهم عليه اطلاعا ، صفيه
وصديقه **أبو بكر** الصديق رضى الله عنه ، وما كشف له من خصوصية
الرسالة المحمدية ، وحقيقة السر الاحمدى لم يكشف لاحد غيره ، ولهذا كان
أشد الناس قربا منه صلى الله عليه وسلم ، وأعظمهم خلة له ، وأكثرهم
تعظيما واحتراما ، وكان أول المومنين بنبوعته ، والصديقين برسالته ، من
غير طلب دليل ، ولم يعتره توقف ولا تاويل . **قوله :** (فرياض الملكوت
بزهر جماله موقنة ، وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة) رياض
الملكوت عبارة عن حضرة الأرواح ، وحياض الجبروت عبارة عن حضرة
الاسرار ، وهو صلى الله عليه وسلم ظهر في حضرة الأرواح بجماله فتأنقت ،
وفي حضرة الاسرار بنوره فأشرقت ، وزهر جماله كناية عما ظهر من جمال
سر النبوءة المحمدية في حضرة الأرواح ، فظهر بذلك الجمال معاني
آثار أسماء الانعال ، فظهرت عجائب الكون ، وانكشف رداء الصون ،
فشرهت الالباب اذ انكشف الحجاب ، ولما كان عالم الملكوت موطن مجال

الارواح ، ومسرح الافكار تنزه فيما تجلى فيه من معانى آثار اسماء الافعال ، فهو بهذا الاعتبار سمي رياضاً لكن انما اينع وتأنق بزهر المصطفى صلى الله عليه وسلم أى بما ظهر فيه من سر النبوة المحمدية ، وكذلك حضرة الاسرار المعبر عنها بحياض الجبرت ، امتلات بما أفاض فيها من أنواره عليه الصلاة والسلام ، والتدفق عبارة عن كثرة الانوار المحمدية .

قوله : (ولا شيء الا وهو به منوط) أشار الى تعلق جميع الاشياء به صلى الله عليه وسلم ، منها ما هو متعلق به تعلق استناد ، ومنها ما هو متعلق به تعلق استمداد ، فكل شيء اليه استناده ، ومنه استمداده .

قوله : (اذ لولا الوسطة لذهب كما قيل الموسوط) يشير الى اعتبار وجوده صلى الله عليه وسلم في الوجود ، اذ لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لما وجد الوجود فنسبته منه كنسبة الوسطة الى الموسوط .

قوله : (صلاة تليق بك منك اليه كما هو اهله) فصلاة مفعول مطلق بصل فهذه هي افضل الصلاة واتمها واشرفها وأعظمها وأكملها ، اذ لا يليق من الرب العظيم الى النبي الكريم ، الا ما هو عظيم ، وهو صلى الله عليه وسلم اهل لان يعامل بالكمالات ، ولو قال رحمه الله ورضى عنه كما انت اهله لكان أكمل .

قوله : (اللهم انه سر ك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك) هذا اللفظ ظاهره الاخبار ، ومعناه الاقرار بالمخبر به على جهة تعظيم المخبر عنه ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المقصود بالضمير المتصل بان ، واضمر الشيخ في كلامه هذا ثلاث مقامات ، لنبينا صلى الله عليه وسلم ، الاول : كونه صلى الله عليه وسلم سر الله الجامع ، الثاني : كونه الدال عليه ، الثالث : كونه حجاب القائم له بين يديه ، فهذه مقامات ثلاث ، اقامه الحق فيها ، واختاره لها ، واهله اليها ، وأمه فيها بالمعونة والتأييد ، والتيسير والتسديد ، وهذه المقامات وإن شاركه فيها غيره من المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فلم يبلغ احد منهم فيها مبلغه صلى الله عليه وسلم ولا ترقى احد الى مقامه ، فأما كونه صلى الله عليه وسلم سره الجامع ، فلانه عليه الصلاة والسلام ، جمع جميع أسرار اسماء الصفات ، وأسرار اسماء الافعال ، فهو مظهرها وهو سر الله تعالى الذي أودعه مكنوناته العلوية والسفلية ، وهو السر الذي ظهرت

به الاسرار ، وهو النور الذى اشرقت به الانوار ، فلا يكون الا وهو سره الذى قام به بأمره فالاول السر المحمدي الذى اودعه الله المكنونات الملائكية ، والسر الاحمدي الذى اودعه الله المكنونات الملكوتية ، لما قامت بها أسماء الصفات ، وأسماء الافعال ، ولهذا كانت آثارا يقوم بها الاستدلال ، وأما كونه دالا على الله تعالى ، اذ هو الدليل الاعظم ، بعثه الله تعالى دليلا يدل عليه ، ويعرف الطريق اليه ، بعثه في زمن فترة عمت فيه الضلالة ، وكثرت فيه الجهالة ، الخلق فيه عن ذكره معرضون ، وعن بابه محايدون شاردون ، فدلهم على الله تعالى ، وعرفهم الطريق اليه ، وردهم الى بابه الكريم ، ونهج الصراط المستقيم ، فكانت رسالته عامة ، ودلالته تامة ، فدل على الله بأقواله وأفعاله ، وأيقظ الارواح الى ملاحظة جلاله ، وجماله ، فكل داع الى الله تعالى فانما يدعو بدعوته ، وكل دليل فهو يدل بدلالته ، وكانت دعوته الى الله تعالى ودلالته عليه ، لسياسة محمدية ، وتعرفهم به تعالى لحكمة أحمدية ، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار ، وإنما رفع عن بصائر العارفين حجاب الاغيار ، وظلام سحائب الآثار . وأما كونه صلى الله عليه وسلم حجاب القائم له بين يديه ، لانه صلى الله عليه وسلم حجب العقول عن النظر في حقائق الذات والتفكر فيها ، فغفل العقل عن النظر الى ما ليس له اليه سبيل ، بهذا ارسل صلى الله عليه وسلم وبه أمره فكان حجاب الله الاعظم القائم له بين يديه ، فأظهر الفرق ، وابان الجمع ، فكلما طلبت الارواح الجمع المطلق في دار الفرق ، زجرها الشرع ، وعقلها عقل العلم ، فرجعت قهرا ونكصت الى الوراء ، فلم يكن لها اليه سبيل ، ولا ابيح لها في قليل من ذلك ولا اقل من قليل ، وأفهم قوله رضى الله عنه وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك أشار الى أنه صلى الله عليه وسلم حجاب به لا عنه ، أى فهو حجاب من جهة تعلق خلقه به لا من جهة تعلقه سبحانه بخلقه .

قوله : (اللهم الحقنى بنسبه ، وحققنى بحسبه) اللوح بالنسب هو الاتصال الجسماني ، والتحقيق بالحسب هو الاتصال الحالى ، وذا يقتضى شرف الملحق بشرف الملحق به ، وكمال المحقق بكمال من يتحقق به ، وهذا الطلب يقتضى القرب ، ومعنى طلب الشيخ ذلك ، ليكون قريبا منه صلى الله عليه وسلم حسا ومعنى ، قرب اتصال دون انفصال ، ومن صح له ذلك : فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

قوله : (وعرفنى اياه ، معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل) المعرفة الحقيقية لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم هي ما أثمرت ثمرة ونتجت نتيجة وكل معرفة لا ثمرة لها ولا نتيجة ، فليست بمعرفة على الحقيقة ، فالشيخ رضى الله تعالى عنه ، طلب من الله تعالى أن يعرفه برسوله صلى الله عليه وسلم معرفة تثمر له ثمرة ، وتنتج نتيجة ، وذكر ذلك فقال : أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، ولا شك ان من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المعرفة أثمرت له معرفته به صلى الله عليه وسلم الفضل ، وحق لمن تحقق في معرفته صلى الله عليه وسلم أن يكرم بهاتين الخصلتين العظيمتين لان معرفته عليه الصلاة والسلام تقتضى ذلك ، وكيف لا وقد قرب سر المعارف من سر معروفيه ، وتألفت روحه مع روحه ، والقرب والايلاف يقتضيان المتابعة والامتداء ، وذلك سبب يورد التابع موارد متبوعه ، وينهل مناهله فينكشف لسر العارف ولروحه من العلوم الدنية والاسرار العرفانية ما يزحزحه عن موارد الجهل ، ويتصف بمقتضى العلم ، فيصير القلب عارفا والروح عالما ، ويرد هذا العارف موارد الصفا التي وردها المقربون وينهل المناهل التي يشرب منها العارفون ، والكرع عبارة عن شرب المتعطش اللهفان السابق الى الورود ، الراغب فى الازياد ، وموارد الفضل هو مشارب ارواح المقربين ، وموارد أسرارهم التي لا تدرك بطلب، ولا تنال بسبب بل بمحض الفضل الالاهى ، والعناية الربانية ، ولهذا قيل فيها موارد الفضل .

قوله : (واحملنى على سبيله الى حضرتك حملا محفونا بنصرتك) هذا مطلب الصديقين القاصدين الى حضرة بولاهم جل جلاله ، اذ غاية مقصدهم واتصى مرادهم ومطلبهم الوصول الى الحضرة الربانية التي تجذب السالك الى حضرة الله تعالى جذبا على سبيل السنة المحمدية ، فاذا اراد الله سبحانه ان يبلغ السالك الى الحضرة الكريمة حملة اليها على سبيل الامتداء بالدليل الاعظم والرسول الاكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون فى سلوكه متبعا له صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله واحواله ، وفى حركاته وسكناته محفونا فى جميع ذلك بنصرة الله تعالى له ، فيكون فى سلوكه بربه ، لا بنفسه ، وهذا من علامات الوصلة ، وامارات القرية ، والحضرة مأخوذة من الحاضرة ، وكثيرا ما يجرى ذكرها على

لسان القوم ، وكثيرا من المتصوفين لا يعلمون لها حقيقة ، وهى عبارة عن موطن من مواطن « القرب والمشاهدة » واذا كان العبد على بساط الحق مشاهدا الصفات ، سمى ذلك الموطن « حضرة الانفعال » وهى اول مرحلة السالكين)

قوله : (واتذف بى على الباطل فادمغه) طلب رضى الله تعالى عنه أن يكون حجة من حجج الله الدامغة للباطل ، وهذا مقام من مقامات الوارثين الذين أتمهم الله تعالى مقام الخلافة ، وجعلهم مصابيح الهدى ، وأئمة بهم يقتدى فالحق يجرى على لسانهم ، فبالله ينطقون ، ومنه يسمعون ، وبه يبصرون ، وعنه ناثبون ، وصاحب هذا المقام يكون آية لظهار الحق واخماد الباطل .

قوله : (وزج بى فى بحار الاحدية) الزج الرمى ، ومقصد الشيخ بدعائه هذا أن ينقله من حضرة الفرق الى حضرة الجمع ، والمستغرق فى هذه الحضرة مستغرق فى بحار الاحدية ، فلا يشاهد الا الله ، فهو دائم الشهود متصل الورود ، منزه الروح عن علق التفرقة ، ممنوع بالبقاء الدائم ، والمعنى التام ، والجمع الصحيح ، قد أعطى الجلوس على بحر التفريد ، وأذن له فى الارتقاء على مقام التوحيد فيعود نظره اليه ، وجمعه به عليه ، فتقنى الرسوم ، ولم يبق الا الحى القيوم فهنا : ابتلى المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا .

قوله : (وانشلنى من أوحال التوحيد) انشلنى معناه أخلصنى ، وأوحال التوحيد هى مكبتات أحكامها (1) التى زلت فيها أقدام كثير من الناس ، الا من رحم الله فترى العارفين اذا غرقوا فى بحر التوحيد ، وساروا فيها بفلك أسرارهم تلاطمت عليهم أمواجه ، : وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، فلا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم « فأواه الى السنة المحمدية ، وآخرون حال بينهم الموج فكانوا من المغرقتين .

قوله : (وأغرقتنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس الا بها) أراد أن يكون مستهلكا فى حقائق التوحيد ، غائبا

(1) قول الشارح مكبتات أحكامها ، أى مهلكات ، مأخوذ من قوله تعالى : كتبوا كما كتبت « ومعناه : قتل : أخزوا ، وقيل : أهلكوا ، وقيل : أخذوا ، وقيل : لعنوا ، وقيل : اغيظوا ، وكلها متقاربة فى المعنى .

في الشهود عن الوجود وهذا هو الفناء التام المعبر عنه بفناء الفناء ، وصاحب هذا المقام فان غائب عن فناءه باق مع الحق بعين الجمع ، فدانا الصفات ، وحاذي الافعال ، والى هذا اثار بقوله : لا ارى ، ولا اسمع ، ولا اجد ، ولا احس الا بها ، وهذه المعانى تضيق عنها العبارة لدقة معناها ، وانما يشار اليها من بعد .

قوله : (واجعل الحجاب الاعظم حياة روى وروحه ، سر حقيقتى وحقيقته جامع عوالمى) المراد بالحجاب الاعظم ما تقدم ذكره ، من انه صلى الله عليه وسلم الحجاب الاعظم ، القائم له بين يديه ، وتقدم انما كان كذلك لانه حجب العتول وعقلها بعقل شرعه المستقيم عن النظر في حقائق الذات العظيمة ، اذ ليس لها الى ذلك سبيل واودع الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم هذا السر العظيم ، ليكون رحمة ونعمة للوجود ، وحياة للارواح ، حيث حجبها عما فيه استهلاكها وفناؤها ، ولا قوة لها على كشف حقائقه ، ولو كشف لها عن ذلك في هذه الدار ، ورفعت عنها الحجب لتفرقت الموجودات وتمزقت وتدكدكت تدكدك الجبل عند التجلى للكليم عليه السلام ، لهذا اتفق اهل المعرفة على ان الله تعالى لا يتجلى لاحد من اوليائه ، ولا ينظر اليه احد منهم في هذه الدار ، الا من وراء الحجاب الذى حجبهم به عن درك كنه ذاته العظيمة ولولا ذلك الحجاب لتلاشى الموجود ، وماتت الارواح ، فكان الحجاب الاعظم حياتها فطلب الشيخ ان يكون الحجاب الاعظم حياة روى ، اشارة الى ما قلناه فانهم ؟ وقوله وروحه سر حقيقتى ، اراد ان يكون الروح المحمدى سر حقيقته لتكون حقيقة محمدية ، وقوله وحقيقته جامع عوالمى ، اراد الحقيقة المحمدية ، اذ هو جامع العوالم اللطيفة الانسانية .

قوله : (بتحقيق الحق الاول) قسم أقسم به عليه تعالى ان اسئلك بتحقيق الحق الاول ، وتحقيق الحق الاول بالحق الازلى الذى سبق كل حق ، نعم كل ذى حق انما تحقق به فهو حق الحق ، ثم **قال :** (يا اول ، يا آخر ، يا ظاهر يا باطن) نداء على جهة الاستغاثة بالمنادى ، وانما ناداه بهذه الاسماء دون غيرها من الاسماء الحسنى لما تضمنته من معنى الازلية ، والقيومية ، وشمول اوصاف الالهوية ، قال الرازى رحمه الله فى (لوايح البينات) حدثنى شيخى ووالدى انه لما نزلت هذه الآية ، يريد قوله تعالى : هو الاول والآخر والظاهر والباطن « استقبل المشركون المدينة وسجدوا ،

وذكر ان لاهل الاشارات فيها نحو 24 تاويلا ، ذكرها كلها في كتابه المذكور .
قوله (اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام) هذا وما بعده الى قوله : وحل بينى وبين غيرك ، هى الامور المطلوبة المستغاث لاجلها ، وهى مطالب العارفين ، والمراد بندااء زكرياء ، هو قوله : رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين ، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين .

فطلب الشيخ رضى الله عنه أن يستجاب له كما استجيب لزكرياء عليه السلام . وقيل انه كان يطلب الوارث لسره ، « تنبيه » مقاصد الناس فى مطالبهم واجابة دعائهم مختلفة ، فالعامة مرادهم اجابة الدعاء ، واعطاء مسئلتهم لا غير ، لا ينقذ ارواحهم ولا يلوح لفكرهم غير ذلك ، فهؤلاء عبيد اهوائهم ، وطالبون لحظوظهم ، وهذا غير منهاج العبودية ، والخاصة جعلوا هذا المقصد تابعا لمقصد اعلى ، ومقام اكمل واسنى ، وذلك انهم قصدوا بمطالبهم وسؤالهم اظهار وصف العبودية من الفقر والاحتياج والعجز وغير ذلك من اوصافها ، والتعلق بأوصاف الربوبية من الغنى المطلق ، والقدرة الكاملة ، ولم ينسوا حظهم من فضل مولاهم عز وجل ، فهؤلاء أعطوا لكل ذى حق حقه ، ولكل ذى قسط قسطه ، وهؤلاء عبيد الله ، الا ان فيهم شائبة حظ ، وبقية هوى ، واكمل منهم وهم خاصة الخاصة ، عرضوا عن هذا المقصد الاول ولم يلتفتوا اليه أصلا ، واعتبروا المقصد الثانى لكنهم جنحوا الى مقصد اتم واكمل ومقام اعلى وافضل ، وذلك انهم قصدوا بمطالبهم ومسائلهم الجلوس على بساط العبودية ، والتطلى بين يدى الرب جل جلاله ، ولذة المكاملة ، وفوائد المخاطبة ، وثمرات المسامرة ، ونتائج المساعلة ، وهذا المقصد هو افضل الابواب التى يدخل على الله سبحانه منها ، واهل هذا المقصد يستوى عندهم العطاء والمنع ، والضر والنفع ، بما حصل لهم من المقصد الاكمل ، والمراد الافضل ، ولم يفتهم من مقاصد من دونهم شىء ، اذ لما توجهوا الى الله سبحانه ، واقبل عليهم ، اقبل عليهم كل شىء ، فاشتغلوا بمقام العبودية التى هى غايتهم القصوى تبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولكن على يقين ان الشيخ رضى الله عنه ونفعنا به هو من

أهل المقام الاكمل اذ ابتلى فصبر في آخر لحظة من حياته ، ومن الذين لو أتمسوا على الله لأبرهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : وما يزال عبدي يتقر بالي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألتني لأعطينه ، وان استعازني لأعيذنه . ومراده في هذا هو ما اراده خاصة الخاصة ، وأسئلته تدل على ذلك حيث :

قال : (وانصرنى بك لك ، وأيدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك) فهذه المطالب تدل على الانحياز الى الله تعالى والاكتماء به ، والاستناد اليه والجمع له ، وليس فيها شائبة غريبة ، ولا ركون الى غير الاحدية ، وتعرف لسوى الفردانية ، فقوله : وانصرنى بك لك ، طلب النصر به سبحانه دون وسائله وأسبابه ، هذا معنى قوله بك لك ، ومراده أن تكون نصرته له على القيام بالتكاليف الدينية ، والوسائط الشرعية ، على أن يكون عبدا على الحقيقة ، وقوله : وأيدنى بك لك ، هو بمعنى الاول ، اذ النصر والتأييد هما بمعنى واحد ، لان كل لفظ منهما يصح وقوعه موقع الآخر ، ويبدل على معناه ، حيث أردف لفظه بالآخر فالمراد به التأكيد ، وتنويع اللفظ وجزالته ، وفي طلب الشيخ رضى الله عنه النصر والتأييد به سبحانه ، دليل على عدم تعلقه بالاكوان ، واعراضه عنها وفي قوله لك ، دليل على اكتفائه بحقوق ربه ، واعراضه عن حظوظ نفسه وقوله : واجمع بينى وبينك ، طلب لمقام الجمع ، وتنزهه عن الإقامة مع الاغيار ، وترفع عن الاستئناس بالآثار . وقوله : وحل بينى وبين غيرك ، تبرأ من القواطع المكدرة لشرب أهل مقام الجمع ، ان الاغيار قاطعة وحاجبة ، وصاحب مقام الجمع اذا لم يحل بينه وبينها تكدر صفو مشربه ثم قال رضى الله عنه : (آله ، آله ، آله) أتى عقب مطالبه بلفظ الجلالة لفوائد ، وكرره ثلاثا لفوائد ، أما تلفظه به عقب مطالبه بلفظ الجلالة فالتبرك به ، وليكون به الاختتام كما كان به الافتتاح ، وفيه اشارة الى أن كل شيء منه بدا ، واليه يعود ، هو الاول والآخر ، وحسن مجيء اسم الله بعد قوله واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك ايقاظا للارواح ، وتنبيهها لها الى التعلق بما له طلبت ، والتخلى عما عنه رغبت عملا بقول الله تعالى : ثم ذرهم في خوضهم يلعبون « وكرره ثلاثا ليثبت معناه في الباطن ، ويتأكد في القلوب ، وايضا لما كان اسم الجلالة تظهر

معناه أسماء الافعال ومعانى أسماء الصفات ، ومعانى أسماء الذات كرره بحسب ما تضمنه من المعانى ليدرك ذاكره فى كل مرة معنى من المعانى التى تضمنها ، وهذا اثبت فى النفوس وارسخ فى البواطن ، لا سيما لاهل البداية الذين يضعفون عن ايراد معان كثيرة مع لفظ واحد ، ومقصد الشيخ وأمثاله غير هذا ، اذ المقاصد بحسب المقامات ولا يبعد أن يكون مقصده فى تكرار العدد الثانى لما فى هذا العدد من الاسرار الحرفية ، أو خرقة للحجب الكونية الملكية والملكوتية والجبروتية ، مع كل ذكر يخرق عالما من هذه العوالم ، فلا يكمل العدد الا وهو فى حضرة القدس : فى مقعد صدق عند مليك مقتدر « وقد شاهدت بعض من له هيئة عالية فى السلوك الربانى ، اذا ذكر الله ثلاثا يترقى فى كل مرة مقاما من مقامات ارباب السلوك ، فاذا قال آله أولا يكون فى مقام الاسلام ، وثانيا فى مقام الايمان ، وثالثا فى مقام الاحسان ، وهو أعظم مقامات القرب من الرب سبحانه كما جاء فى حديث جبريل ، حين قال : يا محمد اخبرنى عن الاحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . وفى بعض الروايات من حيث لا تراه ، ويسمى هذا مقام المكاشفة ، وبعده مقام المراقبة ، هذا حكم ارباب المقامات . وأما حكم ارباب الاحوال ، فقد ينتقل العبد فى ذكره من حال الى حال أعلى ، فيقول أولا : آله ، وهو فى حال البقاء ، ثم اذا قالها ثانيا ، فيكون فى حال الفناء ثم اذا قالها ثالثا فيكون فى حال الفناء عن الفناء ، وهذا أتم حالات اهل الاحوال وسرعة الانتقال فى المقامات والاحوال ، وانما يكون لارباب الجذب المبتودين عن انفسهم ، فأرواحهم سماوية ، اذا عاشت طاشت ، وتلويهم عرثية ، اذا سارت طارت ، وأسراهم جبروتية ، اذا طابوا غابوا ، فافهم ؟

قوله : ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد « هذه آية قرآنية أتى بها رضى الله عنه ، لما فيها من معنى الرجوع والمعاد ، منحنا لاهل الاشارات اللطيفة ، والمعانى الشريفة ، مع تقريرهم الآية على ظاهرها المعروف ، وفهم معناها المألوف ، وهو ان سبب نزول الآية هو انه لما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة ، وخرج من الغار ، صحبة صديقه وصفيه أبى بكر الصديق ليلا فسارا فى غير الطريق ، فلما نزلا بالجحفة ، وهى قرية بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق اليها ، وذكر مولده ومولد ابيه بها ، نزل عليه جبريل بالبشارة

فقال له : أتشتاق الى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه السلام : نعم ، فقال جبريل ان الله تعالى يقول : ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد « ومعنى فرض أنزل وأوجب عليك تبليغه الى العباد والتمسك به ، ومعنى الى معاد ، أى الى مكة ظاهرا منتصرا على أعدائك ، وهذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر رجاء عوده الى بلده ظافرا سالما مطمئنا ، ثم ختم بقوله تعالى : ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيباء لذ من امرنا رشدا « دعاء ورغبة والله سبحانه المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الفاتح الخاتم عدد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون وعلى آله وصحبه وسلم تسليما انتهى والحمد لله على توفيقه واعانته .

وهنا مناقب ستة تتعلق بالشيخ رحمه الله

(النقبة الاولى)

هى ان الشيخ رحمه الله كان من أرباب القلوب والاحوال وكانت تحصل له غيبة كانت تقطعه عن حسه .

وذكر الامام الغزالي ان أرباب القلوب قد يشاهدون فى يقظتهم الملائكة ، وأرواح الانبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يرتقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق نطاق الفكر عنها ، قيل وتواترت الاقوال عن الاولياء بذلك ، وصح عن الشيخ مولانا أبى الحسن الشاذلى انه قال : لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين لما أعددت نفسى من المسلمين ، وصح مثل ذلك عن تلميذه العارف بالله تعالى الشيخ أبى العباس المرسي رحمه الله ورزقنا حبهم آمين .

(النقبة الثانية)

ومن مناقبه أيضا ما نقله حفيده أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الذى تقدمت ترجمته سابقا ، ونقلته من خطه بواسطة ما نصه : ان الشيخ مولانا عبد السلام كان يوما بازاء خلوته جالسا يتلو القرآن ، ومعه تلميذه ووارث حاله الشيخ أبو الحسن على الشاذلى ، وعند ما

وصل في سورة الانعام الى قوله تعالى : وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها « ورد عليه وارد الالهى ، ونزل به حال قوى اقتطعه عن حسه واستغرق فيه مدة ، فلما افاق رفع يديه الى السماء داعيا الله تعالى : وكان من جملة ما دعا به (ان من سبق له الشقاء والحرمان لا يصل اليه ، وان من وصل اليه يكون شفيعا له يوم القيامة) . وهو معنى ما وجد بخط الشيخ العارف بالله تعالى مولاي عبد الله الغزواني ، ونقل عن الولي الصالح مولاي عبد الله بن ابراهيم الشريف اليملاحي العلى نزيل جبل وزان ودفينه ، الذى وجدته بخط شيخنا سيدى محمد بن احمد المسناوى هو قوله : (اللهم لا تبعث لنا من حكمت بشقائه ، وان بعثته الى فشفعنى فيه يوم القيامة) قالوا ووقعت حكايات من هذا النوع ، شاهدها ويشهد بها الكثير من الناس ، وهى انه وقع اسلام بعض من كان كافرا حين قارب الضريح المذكور ، كما اتفق لبعض الفسقة ما صرفهم عن الوصول الى الضريح الموقر بعد ان لم يبق بينهم وبينه الا مسافة قليلة .

« المنقبة الثالثة »

وهى ما رواه كثير ممن شرح الصلاة المشيشية ، من قول تلميذ الشيخ الجامع ، الشيخ ابا الحسن على الشاذلى رحمهم الله ، قال : كنت يوما بين يدى أستاذى ، فقلت فى نفسى ليت شعرى هل يعلم الشيخ اسم الله العظيم الاعظم ؟ فقال ولد الشيخ سيدى محمد وهو فى آخر المكان الذى انا فيه ، يا ابا الحسن ليس الشان من يعلم الاسم ، انما الشان من يكون هو عين الاسم ، فقال الشيخ : وهو فى صدر المكان ، (اصاب وتفرس فيك ولدى) قالوا وهذه الكرامة لابنه سيدى محمد اكبر اولاده ، المدفون وراء ظهره فى ضريحه .

« المنقبة الرابعة »

وهى ما روى ان رجلا قال للشيخ رحمه الله : يا سيدى وظف على وظائف وأورادا اعمل بها ، فقال الشيخ فى شدة وغضب للسائل : ! ارسول أنا ؟ الفرائض مشهورة ، والمحرمات معلومة ، فكمن للفرائض حافظا ، وللمعاصى رافضا ، واحفظ قلبك من ارادة الدنيا ، وحب النساء ، وحب الجاه ، وايتار الشهوات ، واقنع من ذلك بما قسمه الله لك ، اذا

خرج لك مخرج الرضى فكن لله شاكرا ، واذا اخرج لك مخرج السخط فكن عليه صابرا ، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لانواع الكرامات ، وحصول ذلك يكون بأربعة : الورع ، وحسن النية ، واخلاص العمل ، ومحبة العلم ، ولا تتم لك هذه الجملة ، الا بصحبة اخ صالح ، أو شيخ ناصح .

« المنقبة الخامسة »

وهى ما روى أيضا ، ان رجلا قال له : يا سيدى أستأذنك فى مجاهدة نفسى ، فأجابه ارتجالا : انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . «

« المنقبة السادسة »

وهى ما هو جار مجرى المثل على الالسنه الى الآن ، وذلك ان رجلا قال للشيخ رضى الله عنه : لم اتخذت فى تربيتك تلميذا واحدا ؟ وفى كثرة التلاميذ كثرة الاجر ، فأجابه الشيخ بقوله : شجرة مصونة افضل من جنان مفرط .

« المنقبة السابعة »

وهى ما رواه العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى لما جاء زائرا ضريح الشيخ مولانا عبد السلام سنة 1371 هجرية لمن كان حاضرا من الشرفاء عند ضريح القطب المذكور ، وهى انه ثبت عنده بوثائق ان الشيخ مولانا عبد السلام اقام بمدينة سبتة من أجل الدخول الى عدوة الاندلس بقصد المشاركة فى المعارك الحربية مع الاسبانيين ايام الموحدين ، وقد طال مقامه بها عدة سنين ، مع العلم ان مدينة سبتة كانت لذلك العهد مركزا حربيا للعساكر الاسلامية وقد كان ياخذ رزقه من تعليم القرآن الكريم لابناء الجنود المسلمين ، ويذكر ان سبب خروجه من سبتة كان بسبب اذاية امرأة سلطت عليه وصادف الحال موت أخيه سيدنا الحاج موسى الرضى ، وبعد رجوعه لزم الخلوة والعبادة 20 سنة ثم توفاه الله اليه شهيدا ، قالوا وهى مدة القطبانية ، ثم وجه الشيخ المذكور أسئلة لمن حضر معه تتعلق بأنسابهم ومعرفة المشاهير من أجدادهم فأجابوه عليها اجوبة صحيحة حتى كانوا

يعرفونه مدفن كل واحد منهم ، ثم شكرهم على ذلك ثم رافقه بعض الشرفاء
فزار قرية تزروت وزار مقبرتها وعرفوه على من بها من الاولياء المشاهير ،
ومنها رافقوه الى قلعة حجر النسر ، فزار ضريح الولي الصالح بها سيدي
مزوار وتعرف على اثر القلعة ثم واصل السير الى مدينة فاس .

نبذة من كلامه مع تلميذه

ومن كلامه رضى الله عنه مع تلميذه ووارث سره الشيخ ابي الحسن
على الشاذلى : الزم الطهارة من الشكوك ، كلما احدثت تطهرت ، ومن
دنس حب الدنيا كلما ملت الى شهوة اصلحت بالتوبة ما افسدت بالهوى
او كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ، وادمن الشرب بكاسها
مع السكر والصحو كلما افقت او تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك
به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكاس بما
يبدو لك من نور جماله ، وقدس كمال جلاله ، ولعلى احدث من لا يعرف
المحبة ولا الشراب ولا الكأس ولا السكر ، ولا الصحو ، قال له : اجل ،
وكم من غريق فى الشيء لا يعرف بغرقه ؟ فعرفنى ونبهنى على ما انا عليه
جاهل ، او ما من به على وانا عنه غافل ، قلت : لك نعم ، المحبة اخذة
من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور جماله ، وقدس كمال جلاله ،
وشراب المحبة يمزج الاوصاف بالوصاف ، والاخلاق بالاخلاق ، والانوار
بالانوار ، والاسماء بالاسماء ، والنعوت بالنعوت ، والامعال بالامعال ،
ويتسع فيه النظر لمن شاء الله تعالى ، والشرب سقى القلوب والواصل
والعروق من هذا الشراب ، ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب
والتهذيب ، فسقى كل على قدره ، فمنهم من يسقى بغير واسطة ، والله
تعالى يتولى منه ذلك له ، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط ، كالملائكة
والعلماء الاكابر من المقربين ، ومنهم من سكر بشهود الكأس ، ولم يذق
بعد شيئا ، فما ظنك بعد بالذوق ؟ وبعد بالشرب ؟ وبعد بالرى ؟ وبعد
بالسكر بالمشروب ؟ ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كالسكر ايضا
كذلك ، والكأس مغرفة الحق ، يعرف بها من ذلك الشراب الطهور
المحض الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه ، فتارة يشهد
الشارب تلك الكأس صورة ، وتارة يشهدا معنوية ، وتارة يشهدا علمية ،
فالمصور حظ الابدان والنفوس ، والمعنوية حظ القلوب والعتول ، والعلمية

حظ الارواح والاسرار ، فياله من شراب ما اعذبه ! ! فطوبى لمن شرب منه ودام ولم ينقطع عنه نسأل الله المولى العظيم من فضله ، : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم « الواسع العليم ، قد تجتمع جماعة من المحبين فيسقتون من كأس واحد ، وقد يسقتون من كؤوس كثيرة ، وقد يسقى الواحد بكأس وكؤوس ، وقد تختلف الاشربة بحسب عدد الاكواس ، وقد يختلف الشرب من كأس واحد ، وان شرب منه الجم الغفير من الاحبة . انتهى كلامه .

تفسير الشيخ أبى الحسن لكلام شيخه

أشار رحمه الله الى ان حضرة الله تعالى مقام رفيع مطهر لا يدخله الا متطهر من جنابة الغفلة المعنوية ، وهى الشك وحب الدنيا ، فالشك ضيق الصدر عند احساس النفس بمكروه يصيبها من فقر أو نحوه ، فاذا ضاق صدره أظلم قلبه ، واصابه الغم والحزن ويترتب على ذلك الشرك الخفى ، وهو التعلق بالاسباب والاستناد اليها ، والطهارة منه انما تحصل باليقين بأن الله تعالى هو متولى ذلك فى الحقيقة ، والخلق مسخرون ومستعملون ومدفوعون ، فينقطع القلب له ، ويثق به ، ويتسع الصدر وينشرح له ، ويزول عنه الحرج والضيق ، وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى ، وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين ، وجعل الغم والحزن فى السخط والشك ، فان قلت غير المعصوم لا يخلو من عروض ذلك المعنى له ؟ الجواب : انما يتوقف على سكونه فى القلب ، لا على خطوره فيه ، والذى لا يخلو غير المعصوم منه الثانى لا الاول . وقال الشيخ ابو الحسن سمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له عمل . فمكثت سنة أخاف انه لا يرفع عملى ، أقول : ومن يسلم من ذلك ؟ فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وهو يقول لى : يا مبارك اهلكت نفسك ، فرق بين خطر وسكن ، المؤمن يخطر فى قلبه ولا يسكن .

واجاب عن حب الدنيا فقال : واما حب الدنيا فهو راس كل خطيئة ، اذ الداعى له الميل الى الشهوات التى تقضى بها ، وهى أغراض نفسانية

مبعدة عن الله تعالى وفي ذلك مراتب متفاوتة ، والطهارة منه كذا . . ثم توبة عن الشهوات ، فكلما انقطعت شهوة انتقص من حب الدنيا بقدر ذلك ، فان قلت القواطع عن الحضرة كثيرة ؟ فلم اقتصر الشيخ على الشك وحب الدنيا ؟ الجواب : قلت هي وان كثرت فمنتشئة عن ثلاث اصول ، هي : هم الرزق ، وخوف الخلق ، والرضى عن النفس ، وهي التي اشار لها الشيخ رضى الله عنه ، فان الرضى عنها في ضمن ما ذكر ، اذ لولاه ما تعلق بالاسباب ولا احب الدنيا ، فاذا لزم العبد الطهارة منهما معا ، تاهل لدخول حضرة المحبة ، فحينئذ يوصى بالعكوف عليها ، وقوله على التوقير والنزاهة احتراز مما قد يعرض للمحب من الانبساط والاذلال في الحضرة ، فان ذلك مزلة اقدام الرجال ، كما في لطائف المنن ، وقيل : قف على البساط وايك والانبساط ، وكثيرا اخذ من هذا الباب . ومنهم من تعدى حدود الشريعة فأقيمت عليه حدودها ، واصاب مقيمها عليه ، وان كان هو محقا في باطن الامر ، قالوا ومثال ذلك : مثال ملك اوقف احد عبيده على بابه ، وامره بلزوم مقامه ، وان لا يتجاوز حده ، وامره ان من تعداه واراد الدخول على الملك ان يقتله او يؤذبه ، ثم اختص عبدا آخر واذن له في الدخول عليه من غير اذن ولا مشاورة احد ، فلما اراد الدخول منعه المأمور بالمنع ، فلما تجاوز الحد ودخل قتله ، فالتقاتل في الحقيقة امين مصيب ، بامضاء امر الملك ، والمقتول شهيد مرحوم مقرب من اجل الاذن له ، وقوله وادمن الشرب فقد بينه بما هو الشراب عند القوم فقال : الشراب وقبله الذوق ثم الشوق ثم الشراب ، وهو النور الساطع من جمال المحبوب ، اى وذلك يقتضى غيبة المحب عن غيره وفناءه فيه ، وهذا معنى قول الشيخ نفعنا الله به ، (شراب المحبة مزج الاوصاف بالاصاف) اى تغييب المحبوب اوصاف المحب في اوصافه ، فيغنى عن اوصاف نفسه ، قال الشيخ ابو العباس المرسي رحمه الله ، ان لله عبادا محي افعالهم بأفعاله ، واوصافهم بأوصافه ، وذاتهم بذاته ، وحملهم من اسراره ما يعجز عنه عامة الاولياء ، وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات ، فهي اذا فناءت ثلاث : ان يغنيك عن افعالك بأفعاله ، وعن اوصافك بأوصافه ، وعن ذاتك بذاته ، ولذلك قال قائلهم :

وتقوم تاهوا في ارض بقفر وتقوم تاهوا في ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقا من قرب قربه

وفي الحديث القدسي اشارة لهذا من قوله صلى الله عليه وسلم :
كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . فاذا ثبتت المحبة قوى
سلطان المحبوبة على سلطان المحبية ، فأفناه عما ذكر ، فغيبت الصفات
بالصفات ، وقام الوجود بالوجود ، ولا يخرجك عن الوصف الا شهود
الموصوف ، فجاءت خلع الجود على يد فبى يسمع وبى يبصر . فان قلت
ادمان الشرب مع الصحو واضح ؟ وكيف يتصور ادمانه مع السكر ؟ والسكران
غائب ، الجواب : قلت قد تعرض للسكران افانمة ما ، لا تبلغ حقيقة الصحو ،
فأوصى الشيخ بالشرب عندها ولذا قال : (كلما أفقت او تيقظت شربت)
فان قلت اما غيبة المحب بالجمال عن المحبة وعن الشرب والكأس فبيينة ؟
واما غيبته عن الشراب فمشكلة ؟ اذ الشراب هو النور الساطع من جمال
المحبوب كما سبق ، فكيف يغيب عن الشيء بنفسه ؟ الجواب : قلت : المراد
أن يغيب عن معنى كونه شرابا لا عن حقيقته ، اذ تصور كونه شرابا يستدعى
تصور كون المحب شاربا ، وذلك شعور بنفسه ، وهو مضاد للفناء فى جمال
المحبوب وقوله اخذة : أى قرينة اليه وجذبة له بمواجهة الجمال الذى منه
كل جمال حتى لا تبقى فيه بقية لغير المحبوب . وقوله والشرب سقى القلوب
أى وقبله الذوق والشوق : فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشيء منه
نفس أو نفسين ، أو ساعتين ، فهو الشارب حقا ، ومن توالى عليه الامر
ودام عليه الشرب حتى امتلات عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة
فذلك هو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول ، فما يدرى ما يقال له
وما يقول ، فذلك هو السكران وأما قوله فتارة يشهد الشارب تلك الكأس
صورة فمتوقف على الذوق ، من الله علينا به بكرمه آمين . فهذه اشارة
اجمالية لبيان كلامه رضى الله عنه وأما شرحه على الحقيقة فلا تفى به
الدفاتر الضخمة ، وبالجملة فعلو منصبه وعظيم خصوصيته شهير لا يحتاج
الى الاستدلال ، لكن جعل الله كلام الرجل علامة على حاله ، قال الله تعالى :
ولتعرفنهم فى لحن القول « فلذلك ذكرنا لك شيئا منه ، وقال الشيخ أبو
الحسن : أوصانى حبيبي فقال : لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ،
ولا تجلس الا حيث تأمن غالبا من معصية الله ، ولا تصحب الا من تستعين
به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقينا ، وقليل ما هم .
وقال أيضا : أوصانى استاذى فقال : الله الله ، والناس الناس نزه
لسانك عن ذكرهم ، وقلبك عن التماثيل من قبلهم ، وقل اللهم ارحمنى من

ذكرهم ومن العوارض من قبلهم ، ونجنى من شرهم ، واغنى بخيرك عن خيرهم ، وتولنى بالخصوصية من بينهم ، انك على كل شىء قدير .

وقال الشيخ أبو الحسن أيضا : اوصانى أستاذى رحمه الله فقال : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ، ولا من يؤثرك على نفسه ، فانه قلما يدوم . واصحب من اذا ذكر ذكر الله ، فالله يغنى به اذا شهد ، وينوب عنه اذا فقد ، ذكره نور القلوب ، ومشاهدته مفاتيح علام الغيوب .

وقال : سألت أستاذى رضى الله عنه عن قوله عليه الصلاة والسلام : يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا . فقال : يعنى دلوهم على الله ، ولا تدلوهم على غيره ، فان من ذلك على الدنيا فقد غشك ، ومن ذلك على العمل فقد أتعبك ، ومن ذلك على الله فقد نصحك . ومن كلام الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه ذرة من أعمال القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الابدان . وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : رايت كائى مع النبيين عليهم افضل الصلاة والسلام : فقلت اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية مما ابتلتهم ، فهم أقوى منى ، فقيل : لى قل : وما قدرت علينا من شر فأيدنا فيه كما أيدتهم . ومن أقواله رضى الله عنه : اذا أردت أن لا يصدأ لك قلب ، ولا يلحقتك هم ولا كرب ، ولا يبقى عليك عيب ، فأكثر من ذكر الباقيات الصالحات ، وهى : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وقال تعالى : والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . ومن أقواله رضى الله عنه لا يكمل عالم فى مقام العلم ، حتى يبتلى بأربع ، شماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجهال ، وحسد العلماء . فان ثبت وصبر على ذلك جعله الله اماما يقتدى به . وقال المفسرون فى قوله تعالى : ولذكر الله أكبر « عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله . وروى انه سئل أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا ، قالوا يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما ، لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة ، فالذكر أفضل الأعمال ، وهو المقصود من الصلاة

وتلاوة القرآن . ولذا ورد عن الجنيد رضى الله عنه : انه كان ياتيه العصاة يريدون التوبة على يده ، فكان يلقنهم الذكر ، ويامرهم بالاكثر منه ، فتنور قلوبهم .

« ملاحظة » وكأنى ارى المغرورين الأثمين من ارباب العمائم واللحى من مشائخ هذا العصر واتباعهم اعتمدوا هذه الاحاديث وفضلوها على الجهاد فى سبيل الله ، والموت من اجل اعلاء كلمة الله ، ابتغاء العيش الهنىء بين اهلهم وذويهم ففازوا برضى المستعمر عدو الدين والدنيا وحدهم دون غيرهم ممن ليس معهم فى حزبهم فكان جواز سفرهم اثناء عهد الحماية شعارهم اللحية والسبحة فى العنق وزيادة العكاز ، ومن اجل ذلك عاشوا كما يريدون تحت امنه وحمايته لحزبهم ، وما على الذين يريدون عيشة الامن والحماية الا ان يدخلوا فى حزبهم ، والا عاشوا اعداء سجناء مغلولين مقيدون مجرمين .

واما كرامات الشيخ مولانا عبد السلام فمنها ما كان فى حياته ، ومنها ما وقع بعد موته ، فمما وقع فى حياته اتصاله بشيخه سيدى عبد الرحمن المدينى فى الشرق ، وعند ما سئل عن ذلك فقيل له هل كنت تاتيه او كان ياتيك ؟ قال كل ذلك قد كان ، فقيل له طيا او سفرا فقال طيا ، كما سيأتى .
واما كراماته بعد موته ففتركتها لحديث الناس عنها لكثرتها ، واختلاف اسبابها ، فما حصل للناس من اغاثات ، وارشادات فى ذلك فحدث ولا حرج ، ولا يزال ذلك واقعا يتحدث عنه ذوو النيات الصالحة من محبى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الى الآن . كأن الله سبحانه اختاره من بين اوليائه ، واستودع فيه جود النبى صلى الله عليه وسلم واكرم به اهل المغرب يستضيئون بنوره ، ويستفيدون من وجوده كما اتم عليه نعمته فأكرمه بذريته الكثيرة العدد ، وذرية اخوانه وابناء عمه العلميين والادريسيين المنبئين فى مختلف ارجاء المغرب ، وقد سبقت لهم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم بالبركة فى ذرية فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، واعتنى العلماء والامراء بحفظها والسهر عليها ، ولن تزال هذه الامة بخير ما وقت لرسول دينها صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة الى يوم الدين .

ولادة الشيخ مولانا عبد السلام

ويرجع تاريخ ميلاده الى حوالى سنة 559 - او - 563 هجرية ،

وعلى التاريخ الاخير يكون عاش مع الولي الصالح مولاي عبد القادر الجيلاني في الشرق سنتين ، لان تاريخ وفاته سنة 565 هجرية ، وما قيل من انه كان في مكتب القرآن وهو يتعرض له فيقطع عليه من المغرب سقى بستانه ، فهو من خرافات العامة ، ولا اساس له من الصحة .

وتاريخ ميلاده بناء على انه عاش 63 سنة كعمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلق بقرية الحصن من قبيلة بنى عروس القرية من ضريحه الواقعة في سفح الجبل الذي هو به من جهة القبلة ، ويوجد البيت الذي ولد به الشيخ المذكور بازاء جامع الدلم محفوظا الى الآن ، 1392 هجرية ، وبالقرية المذكورة ثلاثة مساجد اخرى فرعية لاقامة الخمس وتمتاز القرية المذكورة ببناء حصن مولاي اليزيد العلوي بالقرب منها .

دراسته القرآنية والعلمية

ولما بلغ سن التعليم ادخله والده سيدنا مشيش مكتب القرآن الكريم على عادة سكان اهل القرى ، ولم تمر عليه اثنتا عشرة سنة حتى حفظ القرآن الكريم بالروايات السبعية ، ويقال : ان شيخه القرآني هو الولي الصالح سيدي سليم دفين قبيلة بنى يوسف ، وقال في كتاب الامام والاعلام : قد ادركه الجذب وهو ابن سبع سنين ، في مغارة من الجبل المعروف ، وفي بعض الايام دخل عليه رجل عليه سيما اهل الخير والصلاح ، فقال له انا شيخك الذي كنت امدك ، ووصف له ما وصل اليه على يده من المنازلات والمعارف مضافا الى زمانه ، وسئل رحمه الله فقيل له : هل كنت تاتيه او كان ياتيك ؟ فقال : كل ذلك قد كان ، فقيل له : طيا او سفرا ؟ فقال طيا . ومن أشهر مشائخه في الدراسة العلمية الولي الصالح الفقيه العلامة سيدنا الحاج أحمد الملقب « أقطران » وقد استبدلت هذه الكلمة أخيرا « بالعللاني » تأدبا مع الشيخ المذكور ، وهو دفين قرية ابرج بقبيلة الاخماس بالقرب من باب تازة ، وتقدر المسافة بينها وبين قرية الحصن المذكورة بنحو 40 ميلا ، وضريح الشيخ يعتبر من المزارات الشهيرة وعليه مشهد من المباني الفاخرة ، كان الشيخ المذكور يأخذ عنه العلوم الفقهية بالمدونة على مذهب امامنا مالك ، وسياتي بقية الكلام على الشيخ العسلاني عند وفاة تلميذه الشيخ مولانا

عبد السلام . وما قيل من انه أخذ العلم عن الولي الصالح الشيخ أبي سعيد المكنى أبا سلهامة صاحب شاطيء المحيط الاطلسي في مصب بحيرة الى جهة مدينة القصر الكبير المتوفى سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، وقبره مشهور تأوى اليه أنواع من الغرباء العاطلين فهو خرافة لما بينهما من البون التاريخي كما علمت ، وكان الشيخ المذكور معاصرا للولي الصالح سيدي محمد بن سعادة ، كان فقيها عالما بالفروع حاذقا مائلا الى التصوف كثير العبادة بالقيام والصيام أندلوسى الاصل كان محدثا بالمدن التالية من أرض الأندلس ، مرسيا ، وبلنسيا وشاطبة ، ، وجد له تأليف بخزانة القرويين بفاس يسمى : شجرة الوهم المرتقية الى ذروة الفهم ، توفي سنة 665 هجرية ودفن بقبيلة الأخماس . وله مشائخ ايضا في التربية والسلوك الربانى .

ومن مشائخه في ذلك الولي الصالح الصوفى الربانى العلامة المكنى أبا محمد سيدنا عبد الرحمن بن الحسن الشريف العطار الشهير بالزيات لسكناه في حارة الزياتين بالمدينة المنورة ، وبعد اقامته بالمغرب توفى ودفن بترغة احدى القبائل الغمارية على شاطيء المتوسط ويعرف عندهم بفتية مولاي عبد السلام وأما الموضع المعروف باسمه بالقرب من ضريح القطب مولاي عبد السلام ، عن يمين القبلة بازاء حجر كبير تجاه القبلة ، فانما هو موضع تنسكه ، والقبر المسمن داخل حوش الحجارة فهو قبر الولي الصالح المجذوب المجاهد المخلص الشريف مولاي أحمد التزبى من اولاد عيسى ، توفى قبل أن تطأ أقدام الاستعمار الاسباني ضريح الولي الصالح الشيخ مولانا عبد السلام بيوم واحد متأثرا من جراح شظية قنبلة الطائرة التى سقطت بجانبه ، سنة 1346 هجرية في 15 حجة الحرام ، وفي 17 منه سكت صوت بنادق المجاهدين بعد أن ابلوا بلاء حسنا مع الاستعمار الاسباني موافق سنة 1927 ميلادية ، ومن مشائخه في العلم أخوه الأكبر سيدنا الحاج موسى الرضى ، ومن هذا نتحقق ان علومه كانت كسبية خلافا لمن يزعم ان علومه كانت وهبية ، كما ان طريقته في المعرفة بالله كانت سلوكية لا جذبية ، ومن المعلوم ان السالك ياخذ الاثياء عادية ، وان المجذوب على العكس من ذلك .

طريقته ومشائخه في المعرفة بربه

أخذ الطريقة عن شيخه الاول ، ومربيه من صغر سنه ، الولي الصالح سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن المدني ، وهو عن عارف وقته الشيخ القطب تقى الدين لقب نفسه « تقى الفقير » بالتصغير فيها ، وهو من أرض العراق وهو عن القطب فخر الدين ، وهو عن القطب نور الدين أبى الحسن على وهو عن القطب تاج الدين ، وهو عن القطب شمس الدين بأرض الترك ، وهو عن القطب زين الدين القزويني ، وهو عن القطب أبى اسحاق ابراهيم البصرى وهو عن القطب أبى القاسم احمد المروانى ، وهو عن القطب أبى محمد سعيد ، وهو عن القطب سعد ، وهو عن القطب أبى محمد فتح السعود ، وهو عن القطب سعيد الغزواني ، وهو عن القطب جابر عن أول الاقطاب أبى محمد الحسن بن على عن أبيه على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا ذكره سبط الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله .

وقيل ان الشيخ سيدى عبد الرحمن المدني ، اخذ عن الشيخ أبى احمد جعفر بن عبد الله بن احمد بن سيد بونة الخزاعى الاندلسى عن الشيخ أبى مدين وغيره وهو ممكن لان الشيخ ابا مدين توفى سنة 594 هجرية عن نحو 85 سنة والذى فى اليواقيت العصرية للموقت المراكشى انه توفى سنة 580 هجرية وتوفى تلميذه الشيخ أبو احمد بن سيد بونة سنة 624 هجرية عن نحو 100 سنة وعليه فيكون قد اجتمع بشيخه مدة 60 — أو — 70 سنة ، وعاش بعد شيخه نحو 30 — أو — 40 سنة ، ويكون قد عاش مع الشيخ مولانا عبد السلام ، الشيخ أبو مدين نحو 17 — أو — 21 سنة ، وعاش مع ابن سيد بونة نحو 24 — أو — 46 سنة ومدة حياته 63 سنة ، ولهذا فمن الجائز أن يكون سيدى عبد الرحمن المدني أخذ عن الشيخ أحمد بن سيد بونة ، بواسطة جعفر بن عبد الله عن شيخه أبى مدين لانها متعاصران ومدفن الشيخ أبى مدين فى جبل تلمسان بموضع يقال له رباط العباد من أرض الجزائر ، وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله : فى طريقة سيدى عبد الرحمن المدني انها متصلة بالاقطاب معنونة برجل عن رجل الى الحسن بن على عن أبيه على ابن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم .

مسكنه وحياته

كان رحمه الله اختار لنفسه محل سكنه بموضع كانت به قرية فخرت قديما تدعى ادياز الفوقانى ، بأسفل ضريحه من الجهة الغربية على بعد ميلين ، ويقال ان اهل القرية تحولوا ونزلوا بالقرب منها حيثها اليوم ، وأما حياته فانه كان يعيش على الانتاج الفلاحى ، وكان معتمدا فى ذلك على عزيبين ، أحدهما بحومة ومراس ولا زالت به دار تنسب له الى اليوم ، والحومة المذكورة تقع بقرية أبى زهرى وهى على بعد نحو عشرة أميال من موضع سكنه ، والآخر يوجد بالقرب من أرض عياشة بأسفل قبيلة بنى عروس على بعد نحو 55 ميلا ، ويدعى (أبو مهدى) ولن يزال آثاره بها الى الآن منها عين ماء تنسب اليه كثيرة المياه ، وكانت توجد خربة داره بها وبعض القبور التى كانت توجد الى جانب المسجد الى أن غير ذلك خليفة القائد السيد المفضل التجزتى عند ما حول سكنه اليها بعد عهد الاستقلال ، وبنى لنفسه دارا بالموضع المذكور غير مبال بهذه المعالم الاثرية ، كما يوجد بالقرب من القرية موضع تعبدته على حجارة ، ويحكى انه كان عند اقامته بالقرية المذكورة كان يصلى الجمعة بجامع الرميطة من فرقة الخطوط بقبيلة بنى جرفط ، وهى على مسافة نحو ستة أميال من العزيب المذكور ، وبالقرب من العزيب المذكور موضع مرتفع تعلوه شجرة برية قديمة وعليها حوش من الحجارة ، ينسب لام الشيخ مولانا عبد السلام ، يدعى بمقام « للزهرة » وان أرض هذه السهول أغلبها مملوك لحفدة الشيخ مولانا عبد السلام الى الآن . وقد أنجز لهم ذلك عن طريق ميراث الآباء والاجداد ، الا من خرج عن حظه بالبيع ، ومن هذا تعلم ان الشيخ رحمه الله كان يعتمد فى حياته على الانتاج الفلاحى على ما كان يعيش عليه اهل زمانه ، ولم يكن الشيخ منكبا على العبادة فى الخلوة طول حياته كما يتصوره البعض ، بل الظاهر من خلال اعماله انه قسم حياته الى ثلاثة مراحل ، أعطى المرحلة الاولى للحياة العلمية ، وأعطى المرحلة الثانية للاشتغال بالاولاد والجهاد ، وأعطى المرحلة الثالثة للتفرغ والعبادة ، وفى هذه المرحلة اختار المقام بالجبل الذى هو به فى القرية المذكورة ، فى بعد عن العمران ، حتى توفى بالمكان الذى هو به الى الآن .

وفاته شهيدا

وقد كان من قضاء الله وقدره أن لا تكمل عبقريته الا بوفاته شهيدا فيكون : مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا « توفي قبل صلاة الفجر صبيحة يوم السبت سنة 622 وقيل 623 وقيل 624 وقيل 625 وقيل 626 هجرية ، عن عمر 63 سنة ، ودفن بقنة الجبل بالموضع الذى هو به الى اليوم ، ودعى بجبل العلم فصار هذا الاسم علما بالغلبة على هذا الجبل الذى به مدفن الشيخ رحمه الله ، وقد اتفق النسابون على أن ينسبوا اليه كل من سكنه من أولاد الولي الصالح سيدنا أبى بكر بن على الجد الجامع لنسب العلميين ، فيقال لمن كان أصله ينحدر من أبى بكر فى غير قبيلة بنى عروس علمى ، ولا يطلق هذا الاسم على أبناء عمهم الادارسة ولو سكنوا معهم فى جبل العلم ، وقد اتفق فى هذا اليوم الذى استشهد فيه الشيخ المذكور ان شيخه الولي الصالح سيدى الحاج أحمد أقطران محب آل البيت جاء زائرا ضريح الولي الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن ميثس أخى الشيخ المذكور ، فتوجه صبح ذلك اليوم صحبة جماعة من الاجلة الى قبره بقصد الترحم عليه والدعاء له ، وفيهم ولد الشيخ الشهيد ، واحد أبناء الشيخ المزور ، سيدنا سليمان المكنى أبا بكر وعند ما شرعوا فى قراءة يس ووصلوا الى قوله تعالى : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون « راوا علامة انعكست عليهم فى شكل قوس قزح ، ففزعوا من ذلك والتفت بعضهم لبعض وكاد ذلك يصرفهم عن القراءة ، فأشار اليهم ولد الشيخ الذى كانوا فى زيارة قبر أبيه ، أن استمروا فاستمروا حتى أتموا السورة وقرأوا بعدها الفاتحة ، وجعلوا يرددون اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، وبينما هم يرددون الاتصاف أتاهم شخص لم يعرفوه ، فأخبرهم بوفاة الشيخ الشهيد ، فتوجهوا فى حيرة ودهشة الى مكان الحادث ، وهى مسافة تقدر بعشرة أميال ، فوجدوا الشيخ المذكور مذبوحا مضرجا فى دمه ، فوق العين المعروفة بعين البركة ، وهى العين التى كان يتوضأ فيها الشيخ رحمه الله ، ويصعد لمسجده الخاص بقنة الجبل ، وهو المعروف اليوم بين العامة بجامع الملائكة ، ويعرف المكان اليوم بالمنازه ، والى جانب المسجد مغارة الشيخ

التي كانت صالحة للجلوس والنوم ، وهى التى بنى اليوم فوقها خزان للمياه العذبة ثم يتفرق فى الاماكن الخاصة ، ثم تولى شيخه المذكور غسله وتكفينه والصلاة عليه ثم دفن بالموضع الذى هو به الى اليوم . مع من حضر من اولاده واولاد اخيه ، وابناء اعمامه وغيرهم من سائر الحاضرين ولن يزال محل غسله ومحل تكفينه محفوظين الى اليوم ، بأسفل الضريح قريبا منه الامر الذى يدل دلالة قاطعة على ان الامور كانت عادية ولم يكن فيها شيء من الخوارق ، كما يزعم ذلك المهرجون والملفنون من العامة ، الا ان هناك بالقرب من المكان مقتلة العبد ، وعقبة الحية ، والعمامة يزيدون وينقصون فى سبب تسميته ذلك والله اعلم . وهناك اقوال اخرى لبعض المولعين برواية المغربيات لا اساس لها ولا التفات اليها .

سبب قتله رضى الله عنه

وردت روايات مختلفة فى الباعث الداعى الى قتله ، ولم يختلف أحد فى أن قتله هو ابن ابي الطواجن الكتامى المتنبىء الساحر ، منها ما قاله فى الكواكب ناقتا عن ابن خلدون ، ان سبب موته يرجع الى ان جنية كانت تصاحبه وتخبره بأحوال الناس الواردين عليه ، فأنته يوما وهى فى غاية الالم ، فقالت له لا ترانى بعد اليوم ، لاننى صعدت الى هذا الجبل ، فقابلنى نور ابن مشيش فأهلكنى فعظم ذلك عليه ، ثم هم بقتله ، فبعث اليه من قتله ، وهو كلام يشبه أن يكون خرافة . ومنها انه قيل : ان سبب قتله كان بايعاز من الموحدين لانه كان ينكر عليهم ويقول لهم انكم تاكلون الدنيا باسم الدين ، وهذا لا وجه له من الصحة أيضا لانه جاهد مع جيش الموحدين فى عدوة الإندلس كما تقدم ، مع الإقامة معهم فى مدينة سبتة ، وعند ما شاع خبر قتله توجهت فرقة من عساكر سبتة الى بن ابي الطواجن ، كما سيأتى تمامه ، ومنها انه قيل : ان ابن ابي الطواجن كان عاملا للموحدين بطنجة وناحياتها ، فوقع بينه وبين الشيخ ما دعا الى قتله وهذا أيضا لا وجه له ، لانه ليس من السهل أن يكون مثل ابن ابي الطواجن يتعاطى صناعة الكيمياء ، وما كانوا يدعونونه سحرا

أن يشغل منصبا كعامل من مناصب الدولة الموحدية في ذلك العصر الاسلامى الذى كانت فيه ولاية المناصب لرجال الدين والجد والعمل لا للمشعوذين كابن أبى الطواجن ، ومنها انه قيل : ان ابن الطواجن أحسن بضعف دولة الموحديين في حروبهم مع المرينيين ، وزين له هواه أن يتنبأ ويخرج للشعوذة والفساد في الارض ، بالقتل والزنى ، ولذلك سماه بعض من كتب عليه بالمتنبىء الكتامى وهذا القول يقرب أن يكون له وجه لمساسه بأوصافه التى كان عليها من الشعوذة والفساد وكسب الغاوين من السفهاء وأشرار العاطلين وهم الذين ساعدوه على مراده ، واستحسنوا مذهبه وتابعوه عليه ، وكل هذه الروايات تكهنية محضة . والذى اكتشفناه أخيرا ويؤيده النظر ان قتله كان بايعاز من المسيحيين الكاثوليك عن طريق اسبانيا بمشاركة روما التى كانت تراقب حركاته حتى في جهاد الاندلس ويقال ان مراقبته كانت بواسطة الكهان الكاثوليك ورجال الكنائس الذين كانوا يعرفون عن أحواله الشئ الكثير ، وكانوا ينتظرون الفرصة ، وربما كانت المحاولة التى أخرجته من مدينة سبتة بتدبيرهم ، ثم أعادوا عليه الكرة بعد استقراره بجبل العلم بأوسع من الاولى على يد المخذول المشعوذ ابن أبى الطواجن ، وصنعوا له تصميمها محكما طبقه الى نهاية الغرض .

ابن أبى الطواجن ومؤامرتة الدنيئة

أغلب المؤرخين الذين كتبوا عليه ذكروه بلقبه المشهور ولم يذكروا له اسما ولا نسبا وقيل ان اسمه محمد ، وقد شهروه باسم ما كان ينتحله من صناعة الكيمياء ، واستعمال كثرة الطواجين لطبخ النباتات والاشياء المعدنية ، مما كان يتوقف عليه في مهنته فاشتق له لقب من هذه المهنة ، واستعمل حتى اشتهر به ، وهو أبو الطواجن وهو في الاصل لقب لابيهِ الذى كا يشغل هذه المهنة ، وبعد موت ابيه انتحل مهنته فصارت اليه ميراثا لكسب العيش عن طريقها ، ولذلك أطلق عليه لقب ابيه ، ودعى ابن أبى الطواجن ، واصل جلدته قرية كتامة الواقعة في حدود قبيلة آل سريف من جهة قبيلة رهونة ، ولذلك ذكره بعض المؤرخين بنسب السريفي كان مقامه بسبتة ، ولهذه القرية سميت مدينة القصر الكبير بقصر كتامة .

تنفيذ الجريمة

وقع العثور على وثائق في مكتبة اسكريال باسبانيا تثبت بأن قتل الشيخ مولانا عبد السلام كان على يد المسيحيين ، ونحن لا نشك في ذلك لان حركته وخروجه من سبتة وتوجهه اليها بعد تنفيذ الجريمة دليل قاطع على ذلك ، الا أن المنية اُخترمت في أثناء طريقه اليها ، والظاهر من خلال حركته انها كانت طبق تصميم محكم ، وأما الشعوذة فكان يتستر وراءها لاختفاء أمره حتى يحصل على الغرض المقصود وقد فعل ، فخرج من مدينة سبتة ومعه مجموعة من الغوغاء العاطلين ، وفيهم بعض المسيحيين ، ثم توجه الى بلده قرية كتامة ، ثم خرج منها ونزل موضعا يقال له الخرابشة من قرية بوذا من القبيلة اليوسفية ، واختار لخروجه فتنة الموحدين مع المرينيين القائم بين صحراء الجزائر ، واستغل الظروف المناسبة لذلك ، وهي ان المغرب كان في فترة انتقالية ، والحالة في الاندلس مع الاسبان تدعو الى التدهور ، والاشياخ الموحدون في غمرة من التولية والعزل بقصد العثور على رجل كفاء من بينهم وكان البحث يجرى في ظلام دامس عن الشخص الذي يصلح لقيادة القطرين وبينما هم في ذلك اذ فاجأهم المرينيون الخارجون عليهم من شرق المغرب ، فأخذ سلطان الموحدين يتقلص راجعا الى الورا ، فصار المغرب مقسما بين المرينيين والموحدين ، وانحاز عنهم المغرب الشرقي ، ولم يبق بأيديهم الا سواحل المحيط من مدينة مراكش الى سبتة ، وكان على رأس المرينيين القائم بأمرهم أبو سعيد عثمان ابن عبد الحق المريني ، المعروف عند العامة بالسلطان الاكل لان أمه كانت حبشية ، وغير خاف على من يعرف طبيعة الامم وما يؤول اليه شأن العامة من الغارة ، والسلب والنهب في الطرقات في ظروف كهذه فأغار عثمان بن عبد الحق المريني سنة 620 هجرية على بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناتة ، فأنخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة ، وقبض على ايديهم من اذاية الناس بالغارة والسلب والنهب ، وفي سنة 621 هجرية أغار على اهل أزغار وبلاد الهبط بعرب رياح فأنخن فيهم حتى كاد يأتي عليهم ، وذلك قبل ان تتم له البيعة ، فصار المغرب مقسما بينهم ، فصار للمرينيين من قبائل هوارة وزكارا وتسول ومكناسة ، ثم بطيوة وفشتالة ، ثم سدراتة وبهلولة ، ومديونة ، ففرق عليهم عماله ، وفرض عليهم الخراج

كما فرض على مدنه التي كانت تابعة له ، وهى تازة وفاس ، ومكناس وقصر كتامة وكانوا يؤدونه على رأس كل سنة فى مقابلة كف الغارة عنهم واصلاح امن سبيلهم ، وبعد هذه الانتصارات التى حصل عليها المرينيون بسبب ضعف سلطان الموحدين ، وارتباك شأنهم لم يبق بيدهم الا سواحل المحيط ، وكان خليفتهم باشبيلية يومئذ من عدوة الاندلس أبو العلاء ادريس المامون بن يعقوب المنصور الموحدى الكوفى ولما بلغه خبر أخيه عبد الله الذى كان بمراكش الملقب بالعدل وما هو فيه من الاضطراب مع أشياخ الموحدين دعا لنفسه باشبيلية فبويغ بها وأجابه أكثر أهل الاندلس ، وتلقب بالمأمون ، وبإيعه أشياخ الموحدين بمراكش بعد أن خنقوا أخاه عبد الله العادل ، فى جفنة ماء ، وبعد أن بعثوا بالبيعة للمأمون وانفصل البريد عنهم ندموا فنكثوا بيعتهم ، ثم بايعوا بيعة أخرى ليحيى بن الناصر بن المنصور ، وتسبب ذلك فى التنازل للاسبانيين على شروط عن مدن من أهم مدن الاندلس الاسلامية ، فى مقابلة الاستعانة بجيشهم الذى كان يقدر بـ 12 الفا ، وهو أول جيش اسباني دخل الى المغرب فحارب المأمون يحيى وانتصر عليه ، واستولى على مدينة مراكش وكان أول من أطلق اليد للاسبانيين فى بناء الكنائس بأرض المغرب . وأثناء هذه الفجرة المكفهرة بالاحداث والنكبات تسلل عدو الله ابن أبى الطواجن وتقمص دعوة التنبؤ المتلبسة بالسحر ، بما كان يظهره للعامة من تحويل معدن الرصاص الى الفضة ، ومعدن النحاس الى الذهب بواسطة صناعة الكيمياء ، وقد تبعه على شعورته وافساده جماعة من الغاوين العاطلين من سفاه العامة ، ومن لا خلاق لهم من الشباب ، وكان أول من خرج معه من مدينة سبتة قوم من اولاد الهيشو وخرج معه آخرون من قريته كتامة وبعد أن اختار استقراره بالخرابشة من قرية بوذا اجتمع عليه هناك بها خلق كثير وكانت دعوته التنبؤية السحرية يتستر بها من السياسيين القائمين حتى لا يعيروه كبير الاهتمام ، ومن الطوائف التى كانت تبعته ولم تزل بقية من أعقابها الى الآن هم : اولاد الحماسة ، واولاد اليمامة ، واولاد الربوز ، وهم المشتهرون من أنصاره واولاد الهيشو واولاد التناهرة واولاد الفاسى . واولاد شهبون ، واولاد البكاكرة . وقيل عهه لما كثرت أتباعه جعل يفرض على كل قرية بكرا للزنى بها ، وقد مكث بهذه القبيلة التى لا يبعد موقعها عن مقام القطب المذكور الا بنحو ثلاثين ميلا ، وقد تبين انه من خلال اقامته كان يدبر احكام

جريمته الشنعاء في اغتيال القطب المذكور تنفيذا لرغبة من اغروه عليها ، ولو لم تكن خطة مدروسة لكان من الممكن أن يهاجموه في عقر داره بين اهله وعشيرته ، ولم يكن الشيخ على استعداد للحرب والدفاع عن النفس ، وال عمران في الجبل كان قليلا جدا ، ولكن كان التدبير المحكم أحوط للفتك به من هذا كله ، اذ ترصدته فرقة مؤلفة من عشرة أتباع سحرا في طريقه الى مصلاه الصيفى الخاص بقنة جبل العلم ، لما كان لديهم من العلم عن أحواله قبل ذلك بأنه كان يخرج من داره بقرية ادياز الفوقانى محل سكناه وسكنى عائلته وأبناء عمه في الثلث الاخير من الليل أو قبل الفجر بنحو ساعة أو ساعتين بقدر ما يدركه الفجر وهو بمسجده ، وقيل انه كان يتوضأ في طريقه الى مصلاه المذكور من العين المسماة الى اليوم بعين البركة ، التي وجد مقتولا فوقها بنحو 100 متر ، ولا شك انه كان متوجها الى مصلاه المذكور ، المعروف بجامع الملائكة ، وبالموضع الذى قتل به غسل وكفن ودفن حيث هو الى الآن ولن يزال موضع تكفينه وغسله محفوظين الى الآن . ولما عزم على تنفيذ الجريمة تحرك بمن كان معه من أتباعه وعهد الى عشرة منهم في اغتيال الشيخ المذكور ، فخرجوا قبله وهو من ورائهم ، في انتظار رجوع الخبر ، فذهبوا ووفوا اليه بما عهد اليهم وتمكنوا من رقبة القطب المذكور وذبحوه وقالوا ثم بعث الله عليهم ضبابا كثيفا أضلهم عن الطريق ودفنوا الى شواهد تردوا منها في مهاوى سحيقة تمزقت بها أشلاؤهم ولم يرجع منهم مخبر .

أما الشقى الملعون عدو الله فقد توجه بمن بقى معه في اثرهم ، ورام في طريقه متوجها الى مقره بسبته سفح الجبل حتى يتحقق من تنفيذ الجريمة ، وبعد أن تحقق من تنفيذها أراد أن يسلك طريقا تمر بقبيلة بنى يدر ، فخرجت اليه فرقة من رجالها تمنعه من المرور بأرضهم وترابهم ثم جنح الى سفح جبل العلم ومر بأرض قبيلة بنى ليث فنزل منها بدار افكث فأضافه وأكرمه ، ثم واصل سيره الى قبيلة بنى حسان قيل انهم رحبوا به ، وآووه ، ثم واصل سيره الى قبيلة بنى سعيد الجاورة لها فنزل منها على الحدود بقرية ثروذة ، وضرب فسطاطه بها وهذه القبيلة لصغرها وقلة رجالها فرجالها أصعب رجال القبائل الجبلية خلفا عن سلف .

قضى مضجع اللعين بها

ولما اراد الله نهاية هذا المجرم المشعوز رمت به الاقدار الى هذه القبيلة ذات الرجال الابطال ، كأنه بحث عن حتفه بظلفه ، وظن ان من معه من الفوغاء الفاسدين سيمنعونه حتى يواصل الاستهتار بأعراض المسلمين كما فعل في غيرها من القبائل التي مر بها فجعل يفرض على هذه القبيلة الابكار للزنى بهن ، فوصفت له فتاة جميلة من عائلة اولاد فزاكة فطلبها وكان لها أخ شاب جميل طالب من حفاظ القرآن الكريم ، وكان غيوراً شجاعاً لم يرض بالذل في أهله ، فاستشار مع رفاته وأهله في الفتك بعدو الله فاجتمعوا على ذلك سرا ، ودعوا الى رأيهم كل غيور على حرمة وعرضه ، واتفق رأيهم على الفتك به وملاحقة الانزال من أتباعه ، ففتطوع لذلك الشاب المذكور ، وتسليح بخنجر حاد تحت ثيابه ، وقدم كهدية بدلا من أخته بعد أن حلوه بحلية الفتيات ، وجملوه بجملهن ، فعرضوه عليه باسم أخته الفتاة ، فاستحسنها وفرح بها وأدخلها فسطاطه الخاص به ، وعند ما جن الليل أرادها وجعلت تمنعه بعد أن أظهرت فرحها به وازدادت نشاطا وسرورا بما يفعله ، فشرطت عليه ان هو أراد مباشرتها شرطين : التجرد من الثياب الخشنة ما عدا الثوب الخفيف ، واطفاء السراج ، ولما جعل ينزع ثيابه عمدت وأطفأت السراج ثم استل الخنجر من حزامه وطعنه طعنة مكنته من القضاء عليه ، فصاح صيحة منكرة فسمعها رجال المؤامرة الذين كانوا يراقبون نجاحها ولما خرج الشاب المذكور انهزم أنصاره الفوغاء وهربوا فلاحقوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فارا بنفسه الى ان اعتصموا بقبيلة بنى حسان فوجدوا منها من يحمى الفارين من أتباع اللعين فجاءت حامية منهم لحمل جثة اللعين ليدفنوه بأرضهم ، فمنعتهم من ذلك قبيلة بنى سعيد فاختصموا بينهم حتى كاد يقع القتال على جثته ، لان قبيلة بنى سعيد حلفوا على حرق جثته ، ومنعهم حماته من بنى حسان ، فاحتكموا الى أحد قضاة قبيلة بنى زجل المجاورة لهم فأفتاهم بطبخه في طنجير ماء ، ثم أراقة لحمه للآخرين ، فطبخوه تبريرا ليمين بنى سعيد ثم أراقتها لحمه للذين دفنوه داخل حدود قبيلة بنى حسان بالموضع الذي هو به بالقرب من قرية شروذة على الطريق للمرور بين القبيلتين ، ومنذ ذلك الحين وقبره مزارة مشهورة لكل من يمر به بالبول

والغائط على قبره واستمر ذلك الى الآن عبر سبعة قرون من الزمن ويذكر
 اهل بلد بنى سعيد وغيرهم من اهل تلك البلاد انك اذا كنت مارا فى
 طريقك على قبر هذا الملعون ووصلت الى قبره ، لم تشعر الا وتحركت
 بطنك للصدقة عليه وبعد ان وصل خبر قتل الشيخ مولانا عبد السلام الى
 حاكم سبته وجه الى ابن ابى الطواجن فرقة من عساكرها لقتاله ، وعند ما
 بلغوا الى قصبة تطوان جاءهم الخبر بأنه قتله احد البرابرة غيلة فى قبيلة
 بنى سعيد ، ثم رجعوا الى معسكرهم . واما مصير اتباعه فان كل واحد
 منهم رجع الى بلده ، ولن تزال بقايا هؤلاء الانذال الاشرار انصار الشعوذة
 والفساد فى قبيلة بنى يوسف ، وكانت تسمى بنى مكث ، الى اليوم ، ولا
 زال الكفر والشرك طابع أفعالهم الى الآن . وقال بعضهم فى ابن ابى
 الطواجن بعد ان قتل ابن مشيش رحمه الله :

فلو كان فيك خير يا عدو الورى
 ما كنت تكنى بابن ابى الطواجن
 مكرت بقطب الغرب والشرق جملة
 سليل مشيش من خيار الافاضل
 وبيتهم فى المجد بيت مرفع
 الى حسن ينمى كريم المعادن
 وقال آخر :

يا اهل بيت رسول الله حبكم
 فرض على امة بالنص قد وجب
 ومن دعا انه يتبع جدكم
 مع تركه ودكم والله قد كذب
 فحبكم برسول الله ممتزج
 مبغضكم من عقال الدين قد سلب

حدوث عادة جاهلية

ومن العادات الجاهلية الفاسدة ما احدثه انصار ابن ابى الطواجن
 الملعون منذ زمن بعيد وخصوصا اذا اجذبت السنة وحبس المطر ، فان
 الجهلاء من اهل هذه القبيلة يجمعون تبرعات كثيرة ، ويشترون بها ثورا او
 ثورين بقصد ذبحه عند ضريح القطب مولانا عبد السلام ، وعند خروجهم
 من القبيلة يصحبون معهم من بقى من احفاد اتباع ابن ابى الطواجن ، من
 قبيلتهم ومعهم احمال الجير الذى يصنع ببلادهم ، وياتون ضريح الشيخ
 المذكور ، وبعد تقديم ما لديهم من الهدايا ، وذبح الحيوان يتقدم انصار
 ابن ابى الطواجن ويتسلقون سور الضريح وينزلون الى القبر الشريف
 باعتبار انهم اعداؤه ، وياخذون ما يجدونه هناك من دراهيم وشمع التسي

يرميها بعض الزائرين في وسط الضريح وقصدتهم ان الولي الصالح يعرفهم انهم أعداؤه ويكرههم ثم يطلب من الله ان ينتقم له من أعدائه بمطر غزير يقتلهم في طريقهم عند رجوعهم الى ديارهم ، وبعد خروجهم من الضريح يهينون الجير ويطلون جميع الاسوار الموجودة هناك ، قالوا وقد فعلوا ذلك فأرسلت عليهم السماء امطارها الغزيرة ، منذ عدة سنين حتى انهم في بعض السنين قد يهلك بعضهم من جراء الامطار الغزيرة والبرد الشديد. ظانين بذلك انه انتقام من الله لوليه الشيخ المذكور ، وهذه عادة جاهلية واعتقاد فاسد واشراك بالله ، وقد أكدت لنا هذه العادة أشياء : منها ان هذه القبيلة كانت وكرا للغدر بولى الله ، ومنها ان بعض طوائف أنصار ابن ابي الطواجن لا زالت موجودة بها الى الآن ، ومنها اثبات عداوة اجدادهم لهذا الولي الصالح ومنها قرب المكان الذى ساعده على انجاز مهمته ومؤامرتة الدنيئة كما أكد لنا موته بقبيلة بنى سعيد اتجأه الى مقره الذى خرج منه بسبته وقد كان فى مكانه من مقامه بالقبيلة المذكورة بعد تنفيذة الجريمة ان يدخل بسحره الى قبائل الجنوب ويتوغل فيها ولعله يجد رواجاً لسحره وتنبؤه وشعوذته ولكنه سار بحسب ما خط له حتى يعود الى مقره بسبته فى النهاية ، ولم يجعل عدو الله فى حسابه ان نهايته ستكون فى قبيلة بنى سعيد حيث لم يكن بينه وبين سبته الا نحو 70 ميلا ، وهى مسافة يوم واحد كل هذه القرائن تدل دلالة واضحة على انه خرج من سبته بقصد تنفيذ خطة مرسومة مدروسة ، ثم عمل على تطبيتها الى نهاية الغرض المقصود منها ، ولكن القدر حال بينه وبين أمنيته فى الرجوع الى مقره بسبته والحياة بها ، : والله الامر من قبل ومن بعد « لا رب سواه.

الشهادة وأنواع الشهداء

قد يظن البعض من الناس ان الشهادة نطاق ضيق خاص بمن اخلص فى جهادة من أجل اعلاء كلمة الله ومات فى المعركة ، او خارجها ، والحق الذى عليه أهل العلم ان الشهادة لها احوال ، وان الشهداء تتعدد درجاتهم بحسب احوالها ، وارفع درجات الشهداء درجة الشهيد المعترك ، وهو الذى اختصه الله بمزايا عن بقية الشهداء ، فقال تعالى : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون « أى لا تعلمون ذلك ، لان حياة الشهداء لا تعلم حسا ، ومن ثم يتحتم الادب على كل مومن بحياتهم

هذه ان يقول بدل مات ، استشهد ، امثالاً لقول الله : ولا تقولوا
 والشهيد في الاسلام من قتل لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذي
 السفلى ، وهم الذين وفوا بالعقد الذي بينهم وبين مولاهم ، من
 والشراء : ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بأن لهم
 فانهم بذلوا ما كان لديهم من المال والنفوس في سبيله وابتغاء مرضات
 لهم مولاهم بما وعدهم من الفوز العظيم : يقاتلون في سبيل الله
 ويقتلون وعدا عليه حتما في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى به
 الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم « و
 الشهداء والخلود في الجنة وقد اعلى الله مقام هؤلاء فوق كل مقا
 ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
 فرحين بما آتاهم الله من فضله « فعن الحسن البصرى رضى ال
 ان الشهداء احياء عن الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل ل
 والفرح ، وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ، ويجدون ريحها وليد
 وعنه عليه الصلاة والسلام قال : ان ارواح الشهداء في حواد
 خضر تسرح في الجنة حيث تشاء . وفي حديث آخر عنه عليه الصلا
 قال : ان الله جعل ارواح الشهداء في اجواف طيور خضر ، ترد اذ
 تأكل من ثمارها وتأوى الى تناديل معلقة في ظل العرش . قال
 واما اجسادهم فمحطها القبور ، غير ان الارواح لها تعلق بها ،
 يحصل لاجسادهم بلاء ، فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ
 السموات الى داخل الجنان ، والطيور الخضر كالهوادج ، مع كو
 بجسم صاحبها ، فأرواح الشهداء مثل ارواح الانبياء ، الا أنهم ا
 واما المومنون غير الانبياء والشهداء ، فأرواحهم تسرح من القبر
 الجنة وتنظر ما اعد لها من النعيم المقيم ، لكن لا تدخلها الى يوم
 وذلك يسمى عالم البرزخ ، واتساعه بالنسبة للدنيا كاتساع الد
 للجنين في بطن امه ، وفي الحديث سئل النبي صلى الله عليه وسل
 فقال : القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، وفي
 انه بعد سؤال الملكين يقولان له : ثم نومة العروس فالومن تفتح
 كوة في قبره فينظر منها الى ما اعد له الله له في الجنة ويأتيه منها
 واما الكافر فتفتح له الملائكة كوة في قبره فينظر منها الى مقامه
 ويأتيه منها ريحها وعذابها الى يوم القيامة ، والكافر والفاجر من

ونقل العلامة الخطاب عن الامام القرطبي قد حض الشرع على تمنى الشهادة ورغب فيه فتال : من سأل الله الشهادة صادقاً من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه .

ومن المزايا التي خص الله تعالى بها الشهيد المعترك ، انه لا يغسل ولو كان جنباً ويدفن بثيابه التي استشهد فيها ، ولا يصلى عليه ، ويعتبرون ان أصحاب هذه المزايا خاصة هم الذين قتلهم العدو بسلاحه في المعركة وفارقت ارواحهم اجسادهم بالمكان الذي استشهدوا فيه ، ويستوى في ذلك من قتله العدو بيده ، أو حمل عليهم فتردى في بير أو سقط من شاهق ، أو سقط عن فرسه فاندق عنقه ، أو أرجع عليه سهمه ، أو سيفه فقتله ، وكذلك من أسره العدو فلم يؤمنوه حتى قتلوه ورموا به الينا ، فلا يغسل ولا يكنن ولا يصلى عليه ، وأما لو آمنوه ثم قتلوه ، فانه يغسل ويصلى عليه ، واذا وقعت الاغارة على بعض ثغور المسلمين فقتلوا الرجال والنساء والصبيان بسلاح أو بغير سلاح ، فانهم شهداء من الدرجة الاولى لا يغسلون ولا يصلى عليهم ويدفنون بثيابهم وهو المشهور ، وفي هذا قال الشيخ خليل في مختصره : ولا يغسل شهيد معترك فقط ، ولو ببلد الاسلام ، وان اجنب على الاحسن ، ودفن بثيابه ان سترته والا زيد بحيط وقلنسوة ، ومنطقة قل ثمنها ، وخاتم قل فحسه ه فالقتول في هذه الاحوال كلها شهيد من الدرجة الاولى التي اخصت بالمزايا السابقة ، وبقاء الدم على جسم الشهيد ليكون شاهداً على خصمه يوم القيامة .

وأما غيرهم ممن لم يصلوا الى درجة هؤلاء فانهم يغسلون ويحنطون ويكفنون ويصلى عليهم كسائر الموتى من غير الشهداء ، وهم من قتل غيلة ، كعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وحفيده الشيخ مولانا عبد السلام ودخل في الشهادة من قتل مظلوما كعثمان بن عفان ، والحسن بن على وأخيه الحسين ، ومنهم الشيخ المذكور رضى الله عنهم ، ويلحق بهؤلاء من قتل في المعترك ولكن بغير يد العدو وكصوص أو مخالف في رأى ، وكذلك من قتله المسلمون في المعترك خطأ ظنوه عدواً فتبين انه منهم ، وكذلك من قتله اللصوص في حال دفاعه عن نفسه أو عن ماله ، أو عن حريمه ، فهو في ذلك كله شهيد ولكنه يغسل ويصلى عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : من قتل دون نفسه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو

شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، وفي رواية ومن قتل دون دينه فهو شهيد .

ومن هؤلاء من درسته الخيل أو ما في حكمها من السلاح الفتاك في المعركة مع العدو ومن الرجالة حين الاختلاط ، ومنهم من مات بفرق أو هدم أو احراق بنار ، ومنهم من حمل من المعركة حيا فمات ، فانه يغسل ويصلى عليه ، وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى فتنة القبر ، ومنهم المطعون والمبطون ، وصاحب ذات الجنب ، والمرأة تموت بجمع بضم فسكون أى بنفاس ، وكذلك من وقصه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة ، أو مات على فراشه على أى حتف شاء الله تعالى فهو شهيد ، والذي يفترسه السبع ، قال ابن التين هذه ميتات كلها فيها شدة تفضل الله فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالشهادة ليجعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجورهم ويبلغهم بها مرتبة الشهداء .

وروى الحسن على الحلواني في كتاب المعرفة له باسناد حسن من حديث بن أبى طالب قال : كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل ويوضح هذا ما نقله الشيخ جلال الدين السيوطى فى حاشيته على الموطأ فقال : المطعون هو الذى يموت فى الطاعون ، والفرق ، هو الذى يموت غرقا فى الماء ، وصاحب ذات الجنب ، هو ما يعرف بقرحة المعدة ، ويقال له الشوطة ، وهو ورم يحدث فى الغشاء المستبطن للاضلاع ، والمبطون هو صاحب الاسهال ، وقيل المجنون ، وقال فى النهاية هو الذى يموت بمرض بطنه ، كالاستسقاء ونحوه ، وقيل هو صاحب القولنج ، هو ارتخاء قوة الامسك فى الدبر ، والحرق هو الذى يحترق بالنار فيموت والمرأة تموت بجمع أى نفاس ، ومعنى جمع انها جمعت شيئا معها ، وهو ولدها الذى ماتت به فى بطنها ، أو هى البكر التى ماتت ببيكرتها ، وشهر بعضهم الثانى لكثرة القائل به ، وصاحب السبل بكسر السين وتشديد اللام ، والذى يموت غريبا رواه ابن ماجة ، وصاحب الحمى رواه الديلمى ، واللذيع ، والشريق ، والذى تفترسه السباع ، والخار عن دابته ، ويحمل عليه اصطدامات السيارات ، وخرور الطائرات والمتردى من شاهق ، والميت على فراشه فى سبيل الله رواه الامام مسلم . والمقتول دون ماله أو دمه ، أو دينه ، أو أهله ، رواه أصحاب السنن الاربعة فهو فى هذه

كلها شهيد ، والمقتول مظلوما رواه الامام احمد ، والميت في السجن المحبوس ظلما ، رواه ابن مندة ، والميت عشقا في ذات الله ، رواه الديلمي ، والميت وهو طالب للعلم في مرضاة الله ، رواه البزار .

وقال في العارضة : الذى يقتله اللصوص لا خلاف فى انه شهيد ومن غرق فى واد أو بحر فى حالة قطع الطريق تعديا على المارين ، فهو شهيد وعليه اثم معصيته ، وكل من مات بسبب معصية فليس بشهيد ، ومن مات فى معصية بسبب من أسباب الشهادة ، فله أجر شهادته وعليه اثم معصيته وكذلك لو قتل على فرس مفسوب فى جهاد العدو ، فهو شهيد وعليه اثم الفرس المفسوب ، ومثل ذلك قوم اجتمعوا على معصية فى بيت فوق البيت عليهم فلهم الشهادة وعليهم اثم المعصية .

ويتحصل مما ذكر فى هذه الاحاديث ان الشهادة تسمان : 1 — شهيد الدنيا وشهيد الآخرة ، وهو من يقتل فى حرب الكفار مقبلا غير مدبر ، مخلصا فى نيته وعمله ، قاصدا بهذا النوع من التقربات الى وجه الله وحده لا شريك له . 2 — شهيد الآخرة وهو من ذكر أخيرا بمعنى انهم يعطون من جنس اجر الشهداء ولا تجرى عليهم أحكامهم ، أى المزايا التى اختصهم الله بها ، وقد يرفع اجر الشهيد الى ضعفين : كتضية أم خلاد التى جاءت متنقبة تسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ابنها وهو مقتول ، فقال لها ان ابنك له اجر شهيدين ، قالت : ولم ذلك ؟ يا رسول الله ، قال لانه قتلته أهل الكتاب .

والشهيد فعيل ، واختلف فى علة تسميته شهيدا ، فعن النضر بن شميل لانه حى ، فروحه شهدت دار السلام ، وهى جنة عليين ، وروح غيره انما تشهدها يوم القيامة ، وقال ابن الانبارى : لان الله وملائكته يشهدون بالجنة ، وقيل : لانه شهد عند خروج روحه ما له من الكرامة . وقيل : لان ملائكة الرحمة يشهدونه . وقيل : لان حاله تشهد بصدق نيته ، وقيل : لان عليه شاهدا بكونه شهيدا . وهو الدم ، فانه يبعث ودمه يثعب . وقيل : لان دمه يشهد على الالم . وقيل : لانه يشهد له بالامان من النار . وقيل : لانه لا يشهده عند موته الا ملائكة الرحمة . وقيل : لانه يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل . وقيل : لان الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة . وقيل : لان الانبياء تشهد لهم بحسن الاتباع لهم . وقيل : لان الله يشهد له بحسن

نيتته واخلاصه . وقيل : لانه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة .
وقيل : لان عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا . وبعض هذه يختص بمن هو
شهيد الدنيا والآخرة ، وبعضها يشمل غيره ممن هو شهيد الآخرة . انتهى
من الفتح البارى على صحيح البخارى .

وقال العلامة الحطاب : الشهداء ثلاثة : 1 — شهيد حرب الكفار
له احكام الشهيد فى الدنيا وفى ثواب الآخرة ، و 2 — شهيد فى الثواب
دون احكام الدنيا ، وهم البطون ومن ذكر معه ، و 3 — من غل فى الغنيمة ،
ومن كان نيته الحصول على الدنيا فله حكم الشهيد فى الدنيا وليس لهم
الثواب الكامل فى الآخرة . فان قلت : فما التوفيق بين الايتين ؟ من قوله
تعالى : كل نفس ذائقة الموت « وقوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله امواتا » ان الآية الاولى شملت بعمومها حتى الشهداء والانبياء
والملائكة ، وغير ذلك من كل نفس سائلة . والآية الثانية تبين ان الشهداء
ليسوا بأموات . الجواب : ان النفس فى الآية الاولى وقع بها التعبير عن
الجسم لا الروح لان الروح لا تموت ، ويؤخذ من الآية أيضا ان جسم
الشهداء لا يموت . والجواب عن هذا ان الجسم المحكوم عليه بالموت لا بد
من ان تفارقه الروح . وهو قوله كل نفس ذائقة الموت ، لكنها فى الشهداء
ترجع اليه بعد مفارقتها له ، فيصير الجسم حيا حياة حقيقية ، بل حياة
الشهداء أفضل من حياتهم الاولى قبل الشهادة وكذلك تقول فى حياة
الانبياء والملائكة ، وأما من عداهم فلا ترد اليهم ارواحهم الا بعد النفخة
الثانية . والله أعلم . وأما ما ورد من أحاديث أخرى بأن الروح بعد مفارقتها
لجسدها بالموت ترجع الى اجسادها حتى يسأل فى قبره ، فانها بعد الجواب
اختلف فيها : فقيل تبقى فوق القبر ، وقيل ترجع الى البرزخ ومنه تراقب
الجسد الذى خرجت منه ، وقيل هى فى مكان مرتفع بين السماء والارض ، فى
انتظار رجوعها الى الجسد التى خرجت منه . وحقيقة الامر فى ذلك مما
اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه .

ترجمة الشيخ أبى الحسن الشاذلى

قال فى النبذة ونور الحذق ان الشيخ المذكور ولد سنة 571 هجرية،
وعلى هذا فلم يكن يفوته شيخه المذكور الشيخ مولانا عبد السلام بن

مشيش الاب 11 سنة ، فهو من معاصريه في الدراسة العلمية ، ولم أقف على نص ل احد يذكر فيه انها التقيا عند شيخ واحد ، او جمع بينهما مكان واحد في الدراسة العلمية ولا سيما وقد نص ان ابن مشيش كان يأخذ الفقه بمدونة الامام مالك على الشيخ العسلاني المتقدم الذكر ، وهو من قبيلة الاخماس ، ولم تبعد هذه القرية على القرية التي ولد بها الشيخ أبو الحسن الشاذلي الا ببضع أميال ، واين كان الشيخ أبو الحسن حتى تعرف على شيخه في رأس جبله في محل عبادته كما ياتي ؟

وقال في فتح العليم الخبير : قلت : وقد ولد الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله ونفعنا به بقبيلة الاخماس السفلى ، بفرقة بنى زرويل في بنى يفرح بقرية « اشتنواغل » ولن يزال البيت الذي ولد به محفوظا متبركا به الى اليوم 1392 هجرية على غرار ما هو عليه بيت مولد شيخه بقرية الحصن ، في قبيلة بنى عروس كما ولد بها أيضا الشيخ أبو الحسن على بن عبد الحق العلمي الادريسي الحسنى الشهير بأبي الحسن الصغير ، صاحب التقييد على مدونة مالك ومن أجل هذين الشخصين العظيمين ، دعيت القبيلة بقبيلة الشيخين . وبها من غيرها أيضا الشيخ العارف بالله تعالى سيدى يوسف التليدى ، والعارف بالله تعالى الشيخ سيدى محمد بن سعادة المتقدم الذكر ، والشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوارث اليلصوتى حفيد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الله الهبلى ، وبها غيرهم من اكابر العارفين بالله نفع الله بهم آمين . واما نسبه كما نص عليه المحققون من النسابين فهو : شيخ الطريقة وسيد اهل المعرفة والحقيقة : الشيخ ابو الحسن على الملقب الشاذلى بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن يحيى بن ادريس بن عمر صاحب ترغة وتكساس من بلاد غمارة ابن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نص عليه امام الاعصار والامصار « الشيخ النظار » أبو عبد الله القصار . وان سلم هذا النقل في نسبه من طرف هؤلاء النسابين فائى لا أسلمه لما فيه من الحذف الكثير ، اذا قيس بنسب شيخه الشيخ مولانا عبد السلام صاحب النسب المحقق ، لان بين مشيش وبين محمد بن ادريس الثانى 19

أبا ، وإذا عرضناه على الأساس الذي ذكره ابن خلدون ، وهو ثلاثة آباء في القرن أو زيادة قليلة نجده يطابق عند ابن ميثيش ولا نجده يطابق عند الشاذلي لأنه لا يتجاوز ستة آباء ، فيكون المحذوف 12 أبا هذا كثير لا تسلمه قواعد النسب ، إذ الحذف الجائز لا يتجاوز أكثر من أبوين . وما ذكره سيدي عبد النور ونجده كثيرا في صدر نسخ الحزب الكبير للشيخ الشاذلي من رفع نسبه ، ونقله ابن عباد من كتاب اللطيفة المرضية ، في شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين بن سليمان السكندري غير صحيح ، وقول الامام الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد البوصيري رحمه الله .

الشاذلي مولود بشاذلة ، فهو خطأ صريح منه لأنه اعتمد في ذلك على ظنه ، وان بعض الظن اثم ، ولم يتثبت حتى يحقق النقل في نسبه ، وليس الخطأ بعيب على الراسخ في العلم ، قال تعالى : ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما .

انتقال سر ابن ميثيش

فبإذن الله وأمره ، وجريان الاقدار على ميثيته وارادته وعلمه ، فقد ذهب اهل السنة والجماعة الى أنه لا قول ولا فعل ولا حركة ولا سكون الا بأمر الله تعالى ، كان ابن ميثيش يدعو الله أن يسخر له من يرد هذا السر الى أرض المشرق من حيث جاءه ، وكان في دعائه يقول : اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، فاستجاب الله دعاءه وسخر له في ذلك أبا الحسن على الشاذلي ، فكان هو القطب الثاني بعد شيخه الجامع بين النسبتين الجسدية والروحية ، ثم حمل الامانة الى أرض المشرق بعد أن أدى واجب الإقامة مع شيخه كان يهينه فيها. لحمل هذه الرسالة وبعد أن تتحقق منه الصلاحية لحملها وردها من حيث جاءت ، وقبل أن يغادر أرض المغرب أوصاه بقوله : اياك والفضول ، وبعد أن غادر المغرب اختار للإقامة قرية شاذلة من البلاد التونسية ، ثم انتقل منها الى بلاد مصر وأطلق عليه هذا اللقب ، وانظر ما كتب عنه في محنته ببلاد تونس وتبعه الى مصر وما اجابت به دولة الموحدين الرسول المصري في محله . ثم استوطن رحمه الله مدينة سكين درية وأنجب بها رجالا في هذا الفن لا زال التاريخ يتحدث عنهم منهم تلميذه العارف بالله تعالى ،

الشيخ أبو العباس سيدنا أحمد بن عمر المعروف بالمرسي الاندلسي الانصارى المتوفى سنة 686 هجرية أى بعد شيخه بنحو 25 سنة ، ومن تلاميذ هذا الاخير العارف بالله تعالى الشيخ أبو الفضل سيدنا أحمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن عطاء الله السكندى المتوفى سنة 707 هجرية ، ومن تلاميذ هذا الاخير ايضا العارف بالله تعالى ابو عبد الله سيدنا محمد ابن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله المعروف بالبوصيرى ولد سنة 608 وتوفى سنة 695 هجرية ، وعلى هذا يكون عمره 87 سنة ومن هناك انطلقت الطريقة الشاذلية نعمت بركتها اهل المشرق والمغرب وفيها قيل :

تمسك بجبل الشاذلية تلق ما تروم وحقق ذا الرجاء وحصل ولا تعدون عيناك عنهم فانهم شمس هدى فى أعين المتأمل

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله كنت فى سياحتى فى مبدأ امرى فحصل لى تردد ، هل ألزم البرارى والقفار للتفريغ والطاعة والاذكار ، أو أرجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار ، فوصف لى ولى هنالك وكان برأس جبل ، فصعدت اليه ليلا ، فقلت فى نفسى لا أدخل عليه فى هذا الوقت فسمعتة وهو يقول : اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك ، فسخرت لهم خلقك ، فرضوا منك بذلك ، اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك ، فالتفتت الى نفسى وقلت يا نفسى انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ ؟ ! فلما أصبحت دخلت عليه فارتعبت من هيئته .

أول لقاء بين الشيخين

ثم دخلت وسلمت عليه ، وقلت يا سيدى كيف حالك ؟ فقال أشكوا الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكوا أنت من حر التدبير والاختيار ! فقلت انا شكواى من حر التدبير والاختيار فقد دفنته وأنا الآن فيه ؟ أما شكواك من برد الرضى والتسليم فلماذا ؟ فقال : أخاف أن تشغلنى حلأوتهما عن الله تعالى . قلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول : اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك ، ثم تبسم فقال : يا بنى ، عوض ما تقول سخر لى خلقك ، قل يا رب كن لى ، أترى

إذا كان الله لك أيفوتك شيء ؟ فما هذه الجبانة ؟ وفي الشرح المذكور أسرار للعارفين بالله لا يقدر أن يصل إليها غيرهم .

قال شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوى : في شرحه للحكم ، فالأمور المشهودة لا تستعمل فيها الا الإشارة ، لان الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارة النطقية فمن ابان شيئاً من ذلك كان خطراً عليه ، كما وقع للحلاج ، القائل (ما في الجبة الا الله) وقد أشار الى هذا المعنى سابقاً الشيخ أبو الحسن في شرحه لكلام شيخه بن مشيش بقوله : (ومنهم من تعدى حدود الشريعة وأقيمت عليه حدودها) وقال صلى الله عليه وسلم : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله ، فاذا أظهروه أنكروه أهل الغيرة بالله . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : جرابين من العلم ، أما أحدهما فبيئته للناس وأما الآخر فلو بيئته لقطعتم منى هذا الحلقوم . والى مثل هذا من هذه الامور الذوقية التى لا يمكن شرحها بالنطق ، يشير الامام على زين العابدين :

يارب جوهر علم لو أبوح به لقيلى لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمنى يرون أقبح ما ياتونه حسنا
انى لاكتم من علمى جواهره كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

توفى الامام أبو الحسن على الشاذلى رحمه الله سنة 656 هجرية وله من العمر على الاصح 80 سنة ، وقيل ثلاث وستون سنة ، ودفن بعذاب وهى قرية بالقرب من البحر الاحمر ، ورمز بعضهم لوفاة الشيخين بقوله : وابن مشيش رمزه تذكر والشاذلى رمزه تنور ونسب للامام القصار فى وفاة الشيخين انه قال :

والشاذلى مات عام ونخ وهو ابن خص فاحفظن يا أخى
وشيوخه سنة كبخ قتلا بعد صلاة الفجر صار للعلا

وللشيخ الشاذلى طرق أخرى بقصد التبرك والانتفاع ، فأخذ عن أبى عبد الله سيدى على حرازم ، عن أبى محمد صالح بن ينصارن ، عن عضيان الماجدى الدكالى دفين رباط مدينة آسفى بالمغرب .

آداب زيارة الضريح الشريف

لا بد لمن قصد زيارة ضريح الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش كسائر الاولياء والعارفين بالله في كل مكان أن يراعى في زيارته آداب الشريعة الاسلامية وعدم الخروج عنها الى ما هو بدعة وجهل وشرك بالله من كل ما هو حرام ممنوع في شريعة الاسلام . ايها الاخ الكريم ، وأيتها الاخت المومنة بالله ، ان الموقف موقوف خطر بالنسبة الى عقيدة الايمان ، فان هناك ايمانا مدنسا وملوثا بالشرك ، وهو سبيل من لم يستضيء بنور شريعة الاسلام في هذا المقام ، بل دفعه الشيطان وزين له كل ما هو محظور في شريعة الله الى مهاوى الهلاك . وان هناك ايمانا آخر هو ايمان العارفين بالله نقيا خالصا من كل ما يدنسه من الاهواء والبدع فهو ايمان من تحروا به هدى تعاليم الاسلام الصحيحة ، ولم يحددوا عنها الى ما سواها ، فذلك هو الايمان الصحيح المطلوب من كل من يؤمن بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم هاديا مرشدا الى الحق والى طريق مستقيم .

ايها الاخ الكريم وايتها الاخت الكريمة اذا قصدت زيارة ضريح هذا الولي الصالح أو غيره من سائر الاولياء ، فلا تؤذ احدا منهم بزيارتك البدعية وتنسب لهم ما هو لربك وخالقك ورازقك ، فان ذلك سبيل الشيطان وعباد الاوثان وهو حرام عليك ، ولا تحيدى في زيارتك لهم عن الآداب الشرعية التى جاء بها الاسلام ، وتتلخص فى شىء واحد هو اعطاء ما هو لله ، لله ، واعطاء ما هو لعبده لعبده ، فان لم تفعلنى فانك لا تأمنين على ايمانك ، الذى هو رأس مالك ، من الوقوع فى الاشرار بالله عن قصد أو عن غير قصد ، وذلك هو ما وقع ويقع فيه الكثير من الجهلة الذين لا يبالون ولم يحذروا مزالق عدوهم الشيطان على رصيدهم من الايمان الذى هو رأس مالهم . قال الله تعالى : فيمن دنسوا ايمانهم بالشرك ذاما لهم : وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون « وقال تعالى فى أهل الايمان النقى الخالص مادحا لهم : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الايمن وهم مهتدون » .

ومن مراعاة الآداب أن تاتى القبر من جهة رأسه ، وأن تكون القبلة عن يمينك أفضل من أن تستقبل القبر وتستدير القبلة ، لما فى ذلك من سوء

الادب مع الله ، والاحسن الجمع بين آداب الخالق والمخلوق ، ومن مراعاة الآداب ايضا أن تتقف حيث يبقى بينك وبين قبر الولي أربعة أذرع أو ستة ، ومن مراعاة الادب ايضا أن تستفتح زيارتك بالسلام عليه لان روحه كائنة هناك ، وتقول : السلام عليك يا ولي الله ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . ثم تاخذ في الدعاء وتقول : اللهم انعم علينا بما أنعمت به على أوليائك الصالحين ، واجعلنا واياهم تحت لواء سيد المرسلين ، وامتعنا واياهم أجمعين بما تمتعت أخيار أهل الملة والدين ، وارزقنا واياهم شفاعة سيد المرسلين ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم يا أرحم الرحمين يا رب العالمين . اللهم جدد رحمتك في كل ساعة وحين على هذا الولي الصالح ومن معه في ضريحه ، وسائر أهله وذرياته وكل من جاوره في هذا المكان من الارواح المومنة بك ، اللهم افتح علينا بالتوبة الخالصة ، والمغفرة الشاملة لجميع الكبائر والصفائر ، واعصمنا من الوقوع في الشرك وانزع عرق حبه من قلوبنا ، واحفظنا من كل ما يؤذينا في ايماننا بك حتى نلتقك كما تشاء منا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار « ثم قدم له هدية ، بما تيسر من القرآن ، وانو ثواب ما ستقرؤه الى روحه قبل الشروع في القراءة ، وان لم يكن معك شيء من القرآن فالاستغفار كافي وقراءة الفاتحة لمن لا يجد غيرها كافية ، وسورة الاخلاص يعدل ثوابها ثلث القرآن كله . وليس للاستغفار عدد محدود . ثم بعد هذا ابتعد عن الضريح واختر مكانا مناسباً ، وان كنت في الشيخ مولانا عبد السلام الجبل واسع وصالح للاختلاء مع الله . والاحسن أن تجدد الوضوء ، وتفرغ قلبك من الشواغل ، وتصلى ما تيسر من النوافل ان كنت في وقت حليتها ، واختر فيما بينك وبين ربك ، وفي نيتك اجابة دعائك ، وقدم شيئاً من الاستغفار وأقله احدى عشرة مرة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها . وجدد التوبة من ذنوبك حتى يعلم الله صدق عزيمتك ، ثم ادع الله تعالى واطلب منه قضاء حاجتك مباشرة فيما بينك وبينه ومن غير واسطة من خلقه لانه هو الذي يعلم وحده سرك ونجواك ، وكن متيقنا من الاجابة ان شاء الله ، وفي حالة ما اذا لم تحصل الاجابة أعد وكرر على نحو ما ذكرت لك حتى تقضي حاجتك لانك في عبادة ، والعبادة كلها تكرر واعادة ، وتقالوا ان الاجابة عند ضريح القطب المذكور اشتهرت في أربعة أشياء : في طلب العلم ، وطلب

حفظ القرآن والزواج ، وايجاد الذرية وتيسير أسباب المعاش ، ولعل شهرة ذلك كانت راجعة الى كثرة الراغبين فيها ، وهى مقاصد حيوية بالنسبة للمؤمنين الموحدين .

الدعاء الوارد في القرآن والسنة

ومن الاحسن أن تقدم الادعية المنتقاة من القرآن والسنة على ما اخترعه الانسان من نفسه ، وأن يقدم من أقوال الصحابة وعلماء السلف الصالح ما هو خالص من التوسلات والوسائط في الدعاء فيما بين العبد وربه ، لقوله تعالى : واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان وقله : ادعونى أستجب لكم « لان الدعاء عبادة بل هو أعلى درجات العبادة لما روى فى صحيح البخارى وغيره عنه صلى الله عليه وسلم : قال : الدعاء مخ العبادة ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يهون أمره اذا نزل . ومن ثم كان المنتقى منه من لفظ القرآن والسنة افضل لما فيه من كمال الادب مع رب الارباب . ولما فيه من التعبد بالفاظ القرآن والسنة وقد ورد فيهما ما يغنى الانسان فى حياته فيما يحتاجه من ربه من خيرى الدنيا والآخرة ، اذ قد ينشئ الانسان من الدعاء ما يكون فيه سوء الادب مع الله وهو لا يشعر مما لا يوافق أحكام الكتاب والسنة ، ولذلك ينبغى أن يقدم ما هو أسلم وأنفع عند الله من لفظيهما ، وتلك هى الطريقة المتبعة عند سلفنا الصالح وفيها يقول امامنا مالك رحمه الله :

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع وينبغى لك أن تدعو فى كل حاجة بما يناسبها من القرآن أو السنة ، فمثلا تقول : فى طلبك لخيرى الدنيا والآخرة : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار « وتقول : فيما اذا خفت من تحمل ما لا تطيق من البلى والاحزان والهموم والنصر على أعداء الله : ربنا لا تواخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وراحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين « فان هذه الآية التى قبلها قد جمعتا خيرى الدنيا والآخرة وفيهما كفاية كل مؤمن ، وتقول فيما اذا خشيت الضلالة بعد

الهدى : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب « وتقول فيما اذا طلبت مغفرة ذنوبك ، وتكفير سيئاتك والوفاء مع الابرار : ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار « الى الميعاد . وتقول فيما اذا طلبت الغفران لك ولوالديك وللمومنين : ربنا اغفر لى ولوالدى وللمومنين يوم يقوم الحساب « وتقول فيما اذا طلبت الرحمة والاسترشاد : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشدا « وتقول فيما اذا طلبت ما تقر به عينك من نعمة الولد : ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قره اعين واجعلنا للمتقين اماما « وتقول فى وقت الشدة والحسرة : ربنا أفرغ علينا صبورا وتوفنا مسلمين « وتقول فيما اذا طلبت المغفرة لك وللأسلف الصالح من المومنين : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم « وتقول فيما اذا طلبت التوكل والانابة : ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم « وتقول فيما اذا طلبت المغفرة لك ولوالديك ولاهل بيتك : رب اغفر لى ولوالدى ولن دخل بيتى مؤمنا وللمومنين والمومنات « .

والسنة غنية ولله الحمد بالادعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى كل حال من احوال حياة المسلم ، ولك أن تختار من السنة ما يناسبك من الدعاء الماثور عن صاحب هذا التشريع العزيز صلوات الله عليه وتسليمه . من ذلك قوله : اللهم : انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم : انى أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم : انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعوة لا يستجاب لها . اللهم : انى أعوذ بك من فتنة القبر وعذاب النار ، ومن شر الغنى والفقير . اللهم : انى أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسوء الاستقام . اللهم : اللهمنى رشدى ، وأعدنى من شر نفسى . اللهم : انى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك . اللهم : اجعل حبك أحب الى من نفسى وأهلى ، ومن الماء البارد . اللهم : انى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وانت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله . اللهم : انى أسألك

موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل اثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة ن النار . اللهم : صل على محمد بقدر ما في علمك من العدد في كل لحظة من الازل الى الابد . اللهم : انى اعوذ بك من الشقاق والنفاق ، وسوء الاخلاق . اللهم : انى اعوذ بك من شر سمعى ، ومن شر بصرى ، ومن شر لسانى ، ومن شر قلبى ، ومن شر منى . اللهم : لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وببيدك الخير كله ، واليك يرجع الامر كله ، اسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله . ومنه الحديث الذى رواه الترمذى الظوا بياذا الجلال والاكرام . اللهم : انى اسألك بأن لك الحمد لا الاله الا أنت المنان ، بديع السموات والارض ، ياذا الجلال والاكرام .

فهذا سؤال له وتوسل اليه بأسمائه وصفاته ، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعا عند المسؤول . وعن أبى سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أصاب أحدا قط ، هم ، ولا حزن ، فقال : اللهم انى عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاائك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهب همى وغمى ، الا اذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحا . فقيل : يا رسول الله ، الا نتعلمها ؟ قال : بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها . أخرجه أبو حاتم ، وابن حبان فى صحيحه .

وهذا دعاء آخر ، وهو : حسبنا الله ونعم الوكيل . وهو من أفضل الادعية قد استعمله العارفون بالله فى جلاء الهموم ، فوجدوا له بركة عظيمة فى تفريجها وجعلوا تلاوته 450 مرة ، وقد كفى الله بها النبى صلى الله عليه وسلم وجميع أصحابه فى غزوة بدر الصغرى ، وكان عدد القتلى من أصحابه 1500 رجل فالتقى الله الرعب فى قلب العدو ، مع ما انضم الى ذلك من جذب السنة فتم له القضاء على صولة الاعداء باذن الله والحمد لله . ولنا فى رسول الله اسوة حسنة . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستنصر ربه على المشركين ويقول : اللهم أنت عضدى ونصيرى ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل . وقال تعالى فى فضل الدعاء : قل ما يعبؤ

بكم ربى لولا دعاؤكم « الخطاب فى الآفة موجه للءاعفن فى معنى الآفة قال العلامة الجلال : ما ناففة وبعبؤ يكترث وىبالى بكم ربى لولا دعاؤكم اياه فى الشءائء فىكشفا عنها . وبعء اشتءاء الكرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من الطائف قال : اللهم البك أشكو ضعف قوتى وقلة حىلتى وهوانى على الناس أنت رب المسضعفن ، وأنت ربى الى من تكلى الى بعفء ففجهمنى ، أو الى عءو ملكته أمرى ان لم فكن بك غضب على فلا أبالى ، فر ان عاففئك هى اوسع لى ، اعوذ ببوجهك الذى أشرفت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الءنفا والآخرة ، ان فحل على غضبك أو فبزل بى سخطك لك العففى حتى ترى ولا حول ولا قوة الا بالله . وقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ ببوجه الله الكرفم ، وباسم الله العظفم ، وبكلمات الله التامات من شر السامة والآفة ، ومن شر ما خلقت ، أى رب ومن شر هذا البوم ومن شر ما بعءه ومن شر الءنفا والآخرة . وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم : انى اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعاففئك من عقوبتك ، واعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنفت على نفسك . وقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم : انى اعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحويل عاففئك ، وفجأة نعمتك ، وجمفع سخطك ، اللهم : انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما فبفعنى وزءنى علما ، الحمد لله على كل حال ، واعوذ بالله من حال أهل النار . اللهم : زءنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علنا ، وارضا وارضا عنا . اللهم : انك سألتنا من أنفسنا ما لا نهلكه الا بك ، اللهم : فاعطنا منها ما فرضفك عنا . اللهم : اقسم لنا من خشفئك ما تحول به بفننا وبفن معاصفك ، ومن طاعتك ما تبلفنا به جنتك ، ومن الففن ما تهون به علنا مصائب الءنفا ، ومفعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أففبنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثارنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصفبنا فى ءفنا ، ولا تجعل الءنفا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علنا بءنوبنا من لا فخانك ولا فرحما . اللهم : اصلح لى ءفنى الذى هو عصمة أمرى ، واصلح لى ءنفاى التى ففها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى ففها معاى واجعل الءفا فزافة لى فى كل فر ، واجعل الموت رافة من كل شر . اللهم : اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورا ، واجعلنى فى عفن صفراف فى أعبن الناس كبرا . اللهم : انى أسالك بأنك أنت الله لا اله الا أنت الواحد

الاحد الفرد الصمد . اللهم : انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني . اللهم :
عافنى فى جسدى ، وعافنى فى بصرى ، واجعله الوارث منى ، لا اله الا الله
الحليم الكريم ، سبحان رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين .

وقال المفسرون : فى قوله تعالى : ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير « انه قال ذلك تواضعا ، والحق انه قد اطلعه الله على جميع
مغيبات الدنيا والآخرة ، ولكن ليس على جهة ان يكون له شىء من التأثير
فى سير القضاء والقدر ، ولهذا فان علمه صلى الله عليه وسلم بذلك كان
على جهة الاطلاع فقط ، حتى لا يكون له تأثير فى سير القدر والقضاء .
ويرد على هذا ان سؤاله صلى الله عليه وسلم مستحاب لا يرد ؟ والجواب
عنه انه لا يشاء الا ما يشاءه الله ، فلو اطلع على ان هذا الشىء مثلا لا
يكون كذا لا يوفق للدعاء له ، اذ لا يشفع ولا يدعو الا بما له فيه اذن من الله
تعالى ، واطلاع منه على انه يحصل ما دعا به ، وهو معنى قوله عز وجل :
من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه « وفى هذا المعنى قال العارف بالله ابو
عبد الله محمد البوصيرى رحمه الله :

وخصك بالهدى فى كل امر فلست تشاء الا ما يشاء
وقالوا ان للخواص من امته صلى الله عليه وسلم حظا من هذا
المقام ، ويعنى بهم الاحياء لا الاموات ، ولذا قال العارف بالله سيدنا ابو
الحسن الشاذلى : اذا اراد الله امرا اى وقوعه امسك السنة اوليائه عن
الدعاء ستر عليهم ليلا يدعو فلا يستجاب لهم فيفتضحوا ، اى يكذبوا فى
محبة الله لهم ومحبتهم له .

روى جعفر الصادق بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
انه اتاه جبريل عليه السلام فبينما هو عنده اذ اقبل ابو ذر الغفارى رضى
الله عنه فقال جبريل : هذا ابو ذر ، قال : فقلت : يا امين الله ، وتعرفون
انتم ابا ذر ؟ قال : نعم ، والذى بعثك بالحق ان ابا ذر فى السماء اعرف
منه فى اهل الارض ، وانما ذلك لدعاء يدعو به كل يوم مرتين ، فادع به .
وسله عن دعائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابا ذر ، ما
دعاء تدعو به مرتين ؟ قال : نعم ، فذاك ابنى وامى ما سمعته من بشر ، وانما
هو عشرة احرف الهمنيها ربي الهاما ، وانا ادعو به فى كل يوم مرتين ،
استقبل القبلة ، فاسبحه مليا ، واحمده مليا ، واهلله مليا ، واكبره مليا ،

ثم ادعو بتلك العشر كلمات ، وهى : اللهم : انا نسألك ايمانا دائما ، ونسألك قلبا خاشعا ، ونسألك علما نافعا ، ونسألك يقينا صادقا ، ونسألك دينا قيما ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس . قال جبريل والذى بعثك بالحق ، لا يدعو احد من امتك به ، الا غفرت ذنوبه ، وان كانت أكثر من زبد البحر وتراب الدنيا ، ولا يلقي احد من امتك الله وفي قلبه هذا الدعاء الا اشتاقت اليه الجنان ، واستغفر له الملكان ، وفتحت له ابواب الجنان ، فنادت الملائكة يا ولى الله ادخل من اى باب شئت . قال الترمذى الحكيم : قوله : ايمانا دائما ، الدوام على وجهين : 1 — أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك ، فلا يسلبه فيلقى ربه بايمانه ، وهو معنى الدوام ، 2 — أن يكون له يقين يصير أموره على المعاينة ولا ينتطع ذكر الله عن قلبه في كل حال ، قيل لابى الدرداء رضى الله عنه : فلان اعتق مائة رقبة ، فقتل ايمان ملزوم ، ولسان رطب بذكر الله أفضل من ذلك ، وقوله قلبا خاشعا : القلب الخاشع هو الذى ماتت شهواته ، فذلت النفس لله وبرئت من الكبر والعجب وسىء الاخلاق ، فخشع القلب بما طالع من جلال الله وعظمته ، وقوله علما نافعا : العلم النافع هو الذى تمكن فى الصدر ، وتصور وانشرح به القلب وتنور ، لان النور اذا اشرق فى القلب تصورت الامور حسنها وسيئها كل على ما هو عليه ، ووقع لذلك ظل فى الصدر ، هو صورة الامور ، فيأتى حسنها ويجتنب سيئها ، فذلك العلم النافع من نور القلب خرج من تلك المعالم التى فى الصدور ، وهى علامات الهدى ، وما تعلمه النفس قبل ذلك فهو علم البيان ، انما هو شىء قد استودع الحفظ والشهوة غالبه عليه ، واذا غلبت عليه اذهبت بظلمتها ضواها فلا يكون به منتفع ، وفى الدعاء المذكور اشارة الى ما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : اللهم انا نعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، نعوذ بك من هؤلاء الاربعة . وقوله : نسألك يقينا صادقا ، اليقين الصادق هو الاعتقاد المطابق عن دليل المسند على التقوى بقسميها ، اجتناب وامثال فى حالتى الظاهر والباطن ، وهى طريقة السالكين من العارفين بالله الصادقين فى اقوالهم وافعالهم من مقام الاسلام الى مقام الايمان ثم منه الى مقام الاحسان ثم منه الى حضرة الرحمن . وقوله : ونسألك دينا قيما ، الدين القيم هو الملة الابراهيمية

الحنيفية ، قال تعالى : قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ديننا قيما ملة ابراهيم حنيفا « قال العلامة ابن القيم الحنيفية هى القدوة الحسنة وفيها معنى آخر وهو المعلم للخير والدين . وقوله : ونسألك العافية من كل بلية ، وهو يشير الى انه ينبغي لكل مومن بالله ان يسأله العافية لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمومن والمومنة حتى يلقيها الله وما عليهما من خطيئة . ويشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : ان لله سبعين بابا من البلاء ، اخفها الجذام والبرص اذا سألتم الله فسلوه العافية ، وهو يسأله مع ذلك العافية التامة وهى السلامة من الآفات فى الدنيا والدين ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام فى دعائه لاهل القبور : نسال الله لنا ولكم العافية . وقوله : ونسألك الشكر على العافية ، فالعافية اذا اعطياها الانسان بقسميها المتقدمين فقد جمعت له السعادتان هما سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وهى من اكبر نعم الله على عبده فانه يحب المزيد منها ودوامها عليه ، ولا يكون ذلك الا بأداء واجب شكرها ، ولا يكون شاكرا لها الا اذا صرفها فى وجوه طاعة المنعم بها ، لما فى الحديث : من شكر النعم فقد عقلها بعقلها ، ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها . وقال تعالى : لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد « وقوله ونسألك الغنى عن الناس ، فهو يشير الى الزهد فيما فى ايدى الناس وذلك هو غنى النفس وقناعتها واعراضها واحتقارها لما فى ايديهم ، وفى ذلك يقول الامام الشافعى رحمه الله :

غنى بلا مال عن الناس كلهم وليس الغنى الا عن الشيء لا به

وقوله صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس . ويحصل الزهد بالاعراض عن الشيء الذى تطمح اليه النفوس وترغب فيه ، استصغارا واحتقارا ، استجابة لرغبة الهمة الرفيعة العالية ، وينقسم الزهد الى اقسام ثلاثة : 1 - ترك الحرام وهذا النوع زهد العوام ، و 2 - ترك الشبهات وفضول الحلال ، وهو زهد الخواص ، و 3 - ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين بالله . وفى الحديث : اذا أحب الله عبدا حماه عن الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء . وفى ذلك قيل :

فلو كانت الدنيا جزاء لحسن اذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

وقد اشتمل الدعاء المذكور على قدر عال من الايمان بالله ، وهو ترك التدبير والاختيار مع الله ، ولترك ذلك أسباب تحمل عليه ، منها : علمك بسابق تدبيره ، وكونه لك قبل أن تكون لنفسك ، ومن ذلك دعاء الحلاج القائل : اللهم كن لى كما كنت لى حين لم أكن . ومنها : علمك ان القدر لا يجرى على حسب تدبيرك ، بل الغالب على الاحوال ان يكون مالا تدبر ، قال تعالى : ويخلق مالا تعلمون « والعاقل لا يبني بناءه على غير أساس ، ومنها : علمك بأنك اذا لم تدبر دبر الله لك ، : ومن يتوكل على الله فهو حسبه « اى كافيه . ومنها : علمك بأنه المتولى لتدبير مملكته علويها وسفليها غيبيا وشهادتها واذا كان مدبرا لسمواته وارضه ، فأى نسبة بينك وبينها ؟ : لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس « ومنها : علمك بأنك ملكه : لله ملك السموات والارض وما فيهن « ومنها : علمك بأنك فى ضيافته ، لان الدنيا داره ، وأنت نازل فيها ومن حق الضيف ان لا يعول هما مع سيده ، ومنها : علمك بأنه القيوم المدبر ، والقيوم القادر بالثىء على أكمل وجه واتمه ، وهو تعالى قائم بأمر العالم كله على ما ينبغى والتدبير فى حقه تعالى محمول على معنى الاحكام والانتان ، ومنها : اشتغالك بوظائف العبودية المغياة بالموت ، : واعبد ربك حتى ياتيك اليقين « ومنها : علمك بأنك عبد مربوب ، : ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا « والعبد لا يعول هما مع سيده ، بل عليه ان يقوم بخدمته ، والسيد يقوم له ببنيته ، : وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك « اى قم بخدمتنا فقد قمنا لك بقسمتنا ، ومنها : عدم علمك بعواقب الامور ، : وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون « فربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد والعكس ولربما أتت المسار من وجوه المضار والعكس ، ولذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم .

اهل الاجابة السريعة

منهم اهل ابرار القسم ، وهو ان المقسم لا يقسم الا على من يرى انه يبر قسمه ، فابرار القسم خاص ببعض العباد ، الذين منهم البراء بن مالك عم الامام مالك رحمهما الله تعالى . وكان البراء هذا اذا اشتدت

الحرب بين المسلمين والكفار يقولون. يا براء اقسم على ربك فيقسم على الله فينهزم الكفار ، فلما كان على قنطرة ببلاد السوس من بلاد فارس ، قالوا يا براء اقسم على ربك ، فقال يارب اقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم وجعلتني اول شهيد ، فأبر الله قسمه وانهزم جند العدو ، واستشهد البراء ، وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال : ان من عباد الله من لو اقسم على الله لآبره . رواه الامام مسلم وغيره وقال : الا اخبركم بأهل الجنة : كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لآبره . الا اخبركم بكل عتل جواظ مستكبر . وهذا في الصحيحين ايضا ، وقد قتل البراء المذكور مائة مبارزة ، وهؤلاء الذين يتقسمون على الله فيبر قسمهم ناس مخصوصون . وذكر الدميرى في حياة الحوان رقم 34 من يستجاب دعاؤهم قطعاً هم : 1 - المظطر لقوله تعالى : امن يجيب المظطر اذا داعاه ويكشف السوء « و 2 - المظلوم ولو كان كافرا أو فاجرا لقوله صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانهما ليس لها دون الله حجاب . و 3 - الوالدان على ولدهما لعظم مكانهما منه عند الله تعالى : لقوله تعالى : ووصينا الانسان بوالديه « و 4 - الامام العادل ، لقوله صلى الله عليه وسلم : في حديث آخر الامام العادل ، والمظلوم ، والصائم حتى يفطر ، و 5 - الولد البار بوالديه وهو أحد الثلاثة أصحاب الغار في حديث الصحيح الذين توسلوا الى الله بخالص اعمالهم فأجيبت دعوتهم في الحين ففرج الله عنهم شدتهم وكربتهم ، و 6 - الرجل الصالح واليه يشير الحديث رب رجل ذى طمرين مدفوع بالابواب ، لو اقسم على الله لآبره ، و 7 - المسافر حتى يرجع ، وهو في احدى رواياته الثلاث الذين لا ترد دعوتهم ، و 8 - المسلم للمسلم ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقال دعوت فلم أجب .

ومن اسباب الاجابة اكل الحلال ، لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : طيب لقمك تكن مستجاب الدعوة . والاستجابة على قسمين عامة ، وهى لا تختص بالمومن المطيع بل كما يستجيب للكافر العاصى ، وربما كان في بعض احواله اسرع في الاجابة لانه عدو لله تعالى يكره سماع صوت عدوه ، ومن ذلك ما كان يروى عن فرعون موسى من انه كان في بعض الشدائد يختلى بنفسه مع الله معترفا بعبوديته وعجزه ثم يسجد على التراب ويطلب الله حاجته فكانت تقضى له سريعا . ومنه قوله تعالى : واذا مس الانسان

الضر دعانا لجنبه او تقاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه « وقال أيضا : واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار » ووقعت من هذا النوع قصة قضية مدينة « وبذة » الشهيرة التي رواها المؤرخون ببلاد الاندلس وكانت واقعتها سنة 567 هجرية في زمن يوسف بن عبد المومن الموحدى ، وهى : انه حاصرها بجيوش جرارة عدة شهور حتى نفذ ما كان عندهم من ماء مخزون داخل المدينة ، ولما اشتد بهم الحصار وعطشوا وارسلوا الى أمير المومنين في تسليم المدينة له في مقابلة شروط الامان على انفسهم مع شروط أخرى فامتنع لذلك فوصل منهم اشتداد العطش الى حالة الاضطراب والموت عطشا ، وذات ليلة سمع لهم لفظ وذوى شديد مع اصوات مهولة كثيرة ، فبحث عن امرهم ففعل : انهم اجتمعوا بأسرهم مضطرين باكين فدعوا الله بوحدانيته ان ينزل عليهم مطرا يرتوون به ، فأستجاب الله بفضلهم دعاءهم وانزل عليهم مطرا غزيرا امتلا منه كل ما كان لديهم من الخزائن الفارغة فارتووا وحصلت لهم قوة على المسلمين ، ثم انصرف عنهم يوسف الى اثبيلية بعد ان عقد معهم هدنة بسبع سنوات ، وليعتبر كل واقف على هذه القصة الدالة على الاستجابة العامة وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ينسبون الى الله تعالى مالا يليق به من نسبة الولد ، والتثليث وتاليه الاحبار والرهبان ، وكل ما هو كفر وشرك بالله ، ومع ذلك لما اشتد الامر عليهم وانقطع رجاؤهم ، واشرفوا على تسليم انفسهم للموت دعوا الله مضطرين اليه وحده اذ هو خالقهم ورازقهم وراحمهم ومتولى امرهم فاستجاب لهم وامدهم بجليل نعمه الذى هو الماء ، ولا ينبغى لمومن موحد اذا نزلت به شدة ان ييأس من روح الله : انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

قصة عجيبة في الاجابة المنعكسة

روى ان ابا جهل لعنه الله عدو الله ورسوله ، بعد ان تجهز جيش مكة لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر الكبرى خرجوا الى الكعبة وتعلقوا بأستارها ودعا ابو جهل فقتل في دعائه : اللهم اينما كان أقطع للرحم ، واتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة ، أى اهلكه ، ومقصوده الدعاء بالهلاك

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، وفي زعمه ان
النبى صلى الله عليه وسلم هو القاطع للرحم حيث فرق بدينه الجديد بين
ذوى الارحام ، وهاجر بمن معه عنهم وجعل يحاربهم فكان في نظره الخاطيء
هو المستحق للهلاك ، ولذلك قال في دعائه عليه : فأحنه الغداة ، ومعناه
عندهم الدعاء بالهلاك فيما يستقبل من الزمن القريب فأجابهم الله تعالى :
بقوله : ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح « ومعناه : ان تطلبوا أيها الكفار
القضاء على الذى ظلم الحق منكم ، وهو فى زعمكم محمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه ، فقد جاءكم الفتح ، وهو الاجابة بتنفيذ الهلاك العاجل
الذى طلبتم لمن ظلم الحق على اليقين ، وهو أبو جهل ومن معه من قريش
دون النبى والمومنين . فانهم على الحق المبين ، وبعد خروجهم من معركة
بدر ، تركوا من القتلى سبعين منهم أبو جهل وأتباعه من صناديد قريش ،
ومن الاسرى سبعين . فتلك هى اجابة الله لمن ظلم الحق على اليقين ، وقد
تقدم ان الاجابة تكون بطريق ابرار القسم ومطلق الدعاء . فالسائل متضرع
ذليل يسأل بسبب يناسب الاجابة ، والمقسم أعلى منه ، فانه طالب مؤكد
طلبه بالقسم ، وفي الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : ما من
داع يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم ، الا أعطاه الله بها احدى
خصال ثلاث : اما أن يعجل الله له دعوته ، واما أن يدخر له من الخير مثلها ،
واما أن يصرف عنه من الشر مثلها ، قالوا يا رسول الله اذا نكث ؟ قال :
الله اكثر . ومعناه أن الاجابة مع توفر شروطها وأسبابها حاصلة قطعا ،
ولكن بحسب ما يراه الله صالحا للداعى من احدى الاجابات الثلاث ، ولذلك
ينبغى له أن يرجع الى مقام العبودية والايمان والرضى والاذعان والتسليم
بما قسمه المولى العالم بمصالح عبادته ، دون أن يغير ما جرى به القضاء
والقدر فى الازل وأن يتحكم فى الموافقة بينه وبين عالم ما لا يزال ، على حسب
ما جرى به علم الله الازلى فى غيبه وأحكامه . ومن دعاء المضطر ما دعا به
نبى الله ورسوله يونس عليه السلام ، وهو فى بطن الحوت ، وهو دعاء
المكروب اذ ليس هناك شدة أضيق من بطن الحوت ، ومن ثم أطلق عليه
ذا النون ، وبه ذكره القرآن فقال : وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين « ومن دعاء المضطر
هذه الابيات الآتية : وهى تنسب للشيوخ عبد الرحمن المالمقى :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع
يا من يرجى للشدائد كلها
يا من خزائن رزقه فى قول كن
مالى سوى فقرى اليك وسيلة
مالى سوى قرعى لبابك حيلة
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه
حاشيا لجودك أن تقنط عاصيا
انت المعد لكل ما يتوقع
يا من اليه المشتكى والمفزع
امنن فان الخير عنك أجمع
فبالافتقار اليك فقرى أذفع
فلئن رددت فإى باب أترع
ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
الفضل أجزل والمواهب أوسع

وجدت هذه الابيات مكتوبة بخط الشيخ محيى الدين النووى رحمه
الله وقال : ما قرأ أحد هذه الابيات ودعا الله عقبها الا استجيب له . ومن
آدا بالدعاء لله أن تدعو فى شرك ، لحديث النهى عن رفع الصوت بالدعاء :
أخرج أبو داود عن أبى موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى سفر فلما دنوا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس انكم لا تدعون أصم
ولا غائبا ، ان الذى تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم . ثم قال : يا أبا موسى
الا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت وما هو ؟ قال : لا حول ولا قوة الا
بالله . وأخرج أبو داود أيضا عن أبى هريرة ، ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ،
ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم . وله أيضا عن عبد الله بن عمرو بن
العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أسرع الدعاء دعوة
غائب لغائب . وله أيضا عن أم الدرداء قالت : حدثنى سيدى أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب
قالت الملائكة آمين ولك بمثل . حديث النهى عن الدعاء على النفس والاهل ،
والمال ، أخرج أبو داود أيضا : عن عبادة بن الصامت عن جابر بن عبد
الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدعو على أنفسكم ولا
على أولادكم ، ولا على أموالكم ولا على خدمكم لا توافقوا من الله تبارك
وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم .

أشرف أماكن الدعاء المساجد

وكانت المساجد أشرف أماكن الدعاء لأنها بيوت الله ، والله تعالى

يقول : وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا « وأشرف المساجد في بلاد الاسلام مسجد المدينة المنورة ، ثم المسجد الحرام ، ثم المسجد الامصى ثم المساجد التي تقام فيها الجماعة والجمعة ، حيثما وجدت من بلاد الله فهي بيوت الله . وأما الزوايا والاضرحة فهي بيوت أهلها فليس لها شرف المساجد ولا حرمتها ، وتكره فيها الصلاة ان كانت مقابر غير مسنمة ، وان كان فيها قبور مسنمة فالصلاة فيها واليها حرام . وان كانت لا تحتوى على مقابر فهي مثل البيوت المسكونة .

« تنبيهه » : قد جرى عمل المسلمين شرقا أو غربا بأعلى رفع اليدين عند الدعاء وذلك لما ثبت فيه من نحو المائة حديث ، أفردا المنذرى والسيوطى بالتاليف وأشار لها النووى في الاذكار ، وفي شرح المهذب ، ولم يروه الامام مالك في كتاب الحج ، وترفع الايدي في الدعاء بضم احدى الكفتين الى الاخرى ، ويؤيده ما رواه الطبرانى في الكبير : عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه . وفي العتبية : والافضل أن يبسط كفيه وبينهما فرجة ، وان قلت وأما حد الرفع فقال القاضى أبو محمد : في احكام القرآن ، اختلفوا في حد الرفع الى أين يكون ؟ فقيل الى الصدر وقيل الى الوجه ، وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أخرجه البخارى : انه كان يرفع يديه في الدعاء حتى يبدو بياض ابطينه . ولم يجد بعضهم فيه حدا ورأى الامر فيه واسعا . وأما كيفيته فقال العلقمى : تجعل بطن الكف الى الوجه ، وظهرها الى الارض ، هذا هو السنة ، ثم ان اشتد الامر كرفع بلاء أو غلاء ، أو قحط أو نحو ذلك ، جعل ظهورهما الى السماء ، وهو المراد من قوله تعالى : ويدعوننا رغبا ورهبا « قال بعض المفسرين : الرغبة بسط الايدي ويطونهما الى الوجه ، والرهب بسط الايدي وظهورهما الى السماء .

وأفضل أحوال الدعاء أن تدعو الله وأنت ساجد ، لقوله عليه الصلاة والسلام أما الركوع فعظموها فيه الزب، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فممن أن يستجاب لكم . وهو معنى قوله تعالى : واسجد واقرب .

أوقات استجابة الدعاء

لاستجابة الدعاء أوقات نص عليها الشارع صلى الله عليه وسلم

وعلى آله ، منها ما ليس له وقت محدود كاللجاء فى يوم الجمعة لاجباره صلى الله عليه وسلم ان فى يوم الجمعة ساعة للاجابة . ولكنها مبهمه لتطلب فى اليوم كله، وفى غير الجمعة من سائر الايام اوقات للاجابة معينة لن يترصدها، وهى الثلث الاخير من الليل ، وعند سماع الاذان ، وبين الاذان والاقامة . وليالى رمضان ، والصائم حتى يفطر ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفاحات فتعرضوا لنفاحات الله . وكن متيقنا من الاجابة ان انت امتثلت واستجبت لنداء ربك حيث يقول لك : يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وهذا كله دعاء لله مباشرة بين العبد وربّه ، ومن دون واسطة أحد من خلقه .

وأما الدعاء من طرف الوسائط فهو الدعاء المطلوب من الاتقياء وأهل الفضل والخير والصلاح ، لقوله صلى الله عليه وسلم ادعوني بلسان لا تعصوني به . أى لسان الغير ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمع قوم فدعا بعضهم وأمن البعض الا استجاب الله دعاءهم . ومنه دعاء نبي الله ورسوله موسى على فرعون وملاه وتأمين نبي الله ورسوله أخيه هارون على دعائه ، وقد استجاب الله دعاءهما وهو قوله تعالى : ربنا انك أتيت فرعون وملاه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيببت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون « أى صدق الاجابة وحكمة الامهال ، فقد كان بين الاجابة وتنفيذ مقتضى ما طلبا من الله جل شأنه وتقدست أسماؤه وصفاته أربعين سنة .

ملحق بأدعية القرآن والسنة

عن سيدنا على كرم الله وجهه الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ، ونور السموات والارض وروى الحاكم فى صحيحه من حديث سيدتنا عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اهمه أمر قال : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث . وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند

الكرب : يقول : لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب السموات ورب العرش العظيم . وفي صحيح الحاكم ان سعد بن أبي وقاص سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : هل ادلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس ، فقال رجل يا رسول الله ، هل كان ليونس خاصة فقال : الا تسمع قوله سبحانه : فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المومنين « فأبى مسلم دعاه به في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطى اجر شهيد وان برىء مغفوراً له .

ولاجابة الدعاء وقبوله شروط ، منها تجديد التوبة من الكبائر والصفائر اطلاقاً ورد المظالم ان أمكن ، واختيار خالص الحلال من المطعم والمشرب والملبس ، ولا بد من حضور القلب وتفريغه من كل شاغل دنيوى ، وتيقن الاجابة لان الرب عند ظن عبده ، ومن آداب الدعاء استقبال القبلة في طهارة صفرى ، وتقديم معروف من صلاة أو صوم أو صدقة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ومراعاة اوقات الاجابة الستة ، وهى الثلث الاخير من الليل ، وعند الاذان وبين الاذان والاقامة ، وعقب الصلوات المفروضة ، وعند صعود الامام على المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة ، وان تنادى الله بالاسم المناسب ، فاذا كنت تطلب الرزق فناده بيارزاق أو التوبة يا تواب أو الشفاء يا شافي أو قل : يا ارحم الراحمين ونحو ذلك ثم لك ايها المحب في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : اذا اردت ان تلمس ادعية سالحة اذا كنت زائراً ضريح الشيخ مولانا عبد السلام من ذريته ، وخصوصاً حملة القرآن الكريم واهل الفضل والصلاح منهم ، وانك لتجدهم حولك يلتمسون فضل الزوار فرادى وجماعات ، فتقدم اليهم والتمس منهم ادعية سالحة فانك اذا فعلت ولا شك تحصل على اجابة أمنيتك الغالية ، وأنشودتك الضالة ، والسنة اولاد اهل البيت كلها تحمل اليك الخير والبركة والفلاح ، فحافظ على الادب مع الله ومع خلقه ، ونية الخير في الجميع فانك لا تدري ايهم افضل ، وايك والانتقاد فان الناقد بصير ، وفي الحديث : ان الله خبأ ثلاثة في ثلاثة : وليه في خلقه ، ورضاه في طاعته ، وسخطه في معصيته . فلا تحقرن احدا لعلة يكون ولى الله ، ولا تحقرن طاعة لعلة يكون فيها رضى الله ، ولا تحقرن معصية لعلة يكون فيها سخط الله . انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ

تتعلق بالزائر ثلاثة حقوق

ومن آداب زيارة الاولياء ان تراعى هذه الحقوق الثلاثة ، وهى :

1 — حق لله تعالى وهو ان لا تشرك به احدا فيما هو من اختصاصات الربوبية ، وتوحيد الالهية ، معتقدا انه لا معطى ولا مانع ولا نافع ولا ضار الا الله وحده لا شريك له فى تصرفاته وأفعاله و 2 — حق المزور ، وهو ان تدعو له بما يعود عليه نفعه فى الدار الآخرة ، وتبتدىء الزيارة بالسلام عليه ، ثم تهدى له ما تيسر من ثواب القرآن الكريم أو الاستغفار كما تقدم ، ثم تدعو له بالرحمة والمغفرة ، فانه مفتقر الى ذلك وفى حاجة الى ما يرد عليه من طرف الاحياء من الدعاء والاسترحام ، : يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد « ومن حقه ان لا تطلب منه شيئا من اغراضك الدنيوية والاخروية فانك ان فعلت ذلك فقد آذيته وجعلته لله ندا ، ولم يكن هناك من اولياء الله من يريد من الناس ان يجعلوه لله ندا وان هم فعلوا فقد ظلموه وظلموا انفسهم بما هو برىء منه ، واكبر الظلم ان يظلم الانسان نفسه ، ولو فرضنا ان الله تعالى يرد الحياة لاحد اوليائه ويمكنه من الدفاع عن نفسه لقتل كل من آذاه وأساء الادب على الله تعالى معه بأن جعله ندا لله .. وذلك ما فعله الامام على كرم الله وجهه فى حياته مع غلاة الشيعة الذين عبدوه من دون الله ، اذ جمعهم وأشهد عليهم كبار الصحابة ، وأجمعوا على كفرهم فحفر لهم أخاديد بباب كندة من ابواب الكوفة بالعراق وحرقتهم بالنار احياء ، وهم يقولون الآن زدنا بك ايماننا أنت الاله ، لا يعذب بالنار الا رب النار ، وقصة ذلك كما فى الزرقانى على الموطأ روى العتلى عن عثمان الانصارى قال : جاء ناس من الشيعة الى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وهو بالكوفة فقالوا يا أمير المؤمنين أنت هو ؟ قال من انا ؟ قالوا أنت هو ، فقال ويلكم من انا ؟ قالوا أنت ربنا ، قال ويلكم ارجعوا وتوبوا فأبوا فضرب أعناقهم وقال يا قنبر ايتنى بحزم الحطب فحفر لهم فى الارض أخدودا فأحرقهم بالنار ثم قال :

لما رايت الامر أمرا منكرا أججت نارى ودعوت قنبرا

راجع ما تقدم فى صدر الكتاب فى الكلام على الشيعة ، وكان رئيسهم

عبد الله بن سبأ و 3 — حق الزائر وهو أن تقضى حاجاته ورغائبه من الله تعالى وحده ، لا من غيره معه ، لأنه لا يقدر على قضاء حوائج العباد ورغباتهم إلا الله جل شأنه وتقدست أسماؤه وصفاته ، واعلم أيها المحب الزائر الكريم ، أنك متى سلكت حدود الشريعة ولزمتها وتحليت بآدابها مع الله ومع أوليائه ، وأعطيت لكل ذى حق حقه ، فما هو لله ينبغي لك أن تعطيه لله ، وما هو لعباده الأولياء مما قدمته لك فاعطه لهم وإياك وأن تعكس وتعطى لأولياء الله ما هو لله ، فإن الله تعالى لا يشاركه أحد من خلقه في اختصاصات الربوبية ، واليك نصوص الشريعة في الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يريد زيارة قبره الشريف ، إذ ليس في الاتبيات والأولياء من هو أكرم على الله منه . فالذى كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ، ثم ينصرف ، قال عبيد الله ما نعلم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك إلا ابن عمر .

وأما ما يفعله الناس اليوم من السلام عليه صلى الله عليه وسلم والوقوف للدعاء بعد السلام عليه فليس من السنة في شيء بل هو بدعة محضة ، وفي المبسوط قال الإمام مالك رحمه الله لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويبضى . واتفق الأئمة أى المجتهدون على أنه لا يستقبل القبر وقت الدعاء . وقال الإمام أحمد في صفة السلام عليه صلى الله عليه وسلم ، يستقبل القبلة ويجعل الحجرة الشريفة عن يساره لئلا يستدبره . واختلفوا هل يستقبل القبر عند السلام عليه صلى الله عليه وسلم . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مع لزومهم وشدة حرصهم على الآداب اللائق بجنابه صلى الله عليه وسلم ، والوقوف الدقيق مع تطبيق نصوص الأحاديث الشريفة وجلين من الانغماس في حب القبر الشريف والوقوف فيما وقع فيه من كان قبلهم مما كان يحذرهم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته أن يفعلوه بعد موته ، وقد كان الحال لذلك العهد يمكنهم من الوصول الى القبر الشريف ، حيث لا حاجز هناك يمنعهم عنه ، ومع ذلك فقد كانوا لا يدخلون لا للسلام عليه ، ولا للصلاة

عليه ، ولا للدعاء لانفسهم ولا لغيرهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، مما لم يكن للشيطان فيه سبيل حتى يطمع في مخاطبتهم ، كأن يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون انه صلى الله عليه وسلم هو الذى كلمهم وأفتاهم وبين لهم الاحاديث أو انه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما فعل الشيطان مع غيرهم من بعدهم فأضلهم عند قبره صلى الله عليه وسلم وعند قبر غيره ، حتى ظنوا ان صاحب القبر يامرهم وينهاهم ، ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر ، وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا منه ويظنون ان نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم ، وان روح الميت تجسدت لهم فراوها كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وقد ادعى بعضهم انه طلب من النبى صلى الله عليه وسلم ان يمد اليه يده ليقبلها ففعل ، فذلك كله من قبيل الممكن ، ولكن من الادب لمن اتفق له شيء من ذلك أن يجعله من كراماته ولا يحدث به على وجه الشهرة ، وهذا ان لم يكن من فعل الشيطان ، واما ان كان منه فهو شقاء واستدراج ، وأخرى ان يدون ويقرأ لهذا دخل الريب في أعمال هؤلاء انها امتزجت بأعمال الشياطين ، التى لعبت دورا بعقول المخبولين الجاهلين المحرومين من كل عقل ودين .

مبتدعة غلاة الصوفية

ومما ابتدعه غلاة الصوفية ما هو مسجل في دواوينهم وكتبهم ككتاب الابريز للدباغ الفاسى وبعض كتب تنسب للامام الشعرانى ادعوا فيها ان للاولياء الاموات تصرفات في شؤون العالم ، وان المديرين لذلك هم الاقطاب الاربعة ، وعلى رأسهم الغوث ، وانهم يتصرفون في شؤون الخلق بالامانة والاحياء والارزاق والنفع والضر ، ولهم مجلس بمكة المكرمة يدعى الديوان لاجتماعهم في مداولة شؤون الخلق ويزعمون ان النبى صلى الله عليه وسلم يحضر معهم اجتماعهم وان لم يحضر ينوب عنه الغوث ويسمى المجتمعون أهل الديوان ، ولهم اعوان يسمونهم أهل الدائرة والعدد ، يدورون بالكرة الارضية يقطعونها في ختام كل سنة ، ويمكثون ثلاثة أشهر في كل جهة من الجهات الاربع ، واذا أردت أن تدعوهم في قضاء أمر يهمك ، فعليك أن تتوضأ ، وتصلى ركعتين ثم تتوجه اليهم في قضاء حاجتك وتناديهم بيا رجال الغيث ثم تطلب حاجتك فانها تقضى . كل هذا مما يعلم الله ورسوله انه

باطل قطعاً باجماع المسلمين ، وضلال من الشياطين مبين ، ومخالف لما جاء به القرآن الكريم ، والسنة المطهرة التي جاء بها الشرع الحكيم ، وهو من أقبح الشرك الذي جاء به عبادودا ويغوث ويعوق ونسرا ، ومن أخبث الشرك الذي وقعت فيه أمة إبراهيم عليه السلام : اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أن ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئنى واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطعم أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين « ولعمري ان هذا لمن أقبح الشرك الذى عبدته الامة العربية فى جاهليتها ، ويا معشر الموحدين فى الامة الاسلامية أى رزء فى الاسلام أفضح من هذا يصيب الامة فى صميم عقيدتها على مرأى ومسمع من علماء الدين والحكام المسلمين ، ان هذا لهو الشرك المبين الواضح المعالم الآتى عن طريق هؤلاء الغلاة أو عن طريق الخونة الجاهلين المارنيين من أتباعهم ، فهو من أقبح الشرك الذى حاربه الأديان السماوية عبر عصور الخليقة وقد أخذه عنهم كثير من السذج المغفلين واستحسنوه برزينوه لضعاف الأيمان وأهل الجهل من حملة القرآن ، ممن تناعوا عن علم ما هم حاملون ، وفقنا الله وإياهم لهداية القرآن ، وأنار لنا السبيل حتى نصل الى حقيقة الأيمان ، هذا وان أملى لوطيد فيمن درس كتابى هذا أن تزول عن عينيه الاغشية الشيطانية وينجلي عنه الظلام فيصبح من أهل خالص الأيمان ، وكل ما قرأته من آداب الصحابة رضوان الله عليهم مع قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكذلك يكون الادب مع قبور أولياء امته صلى الله عليه وسلم بالنسبة لنا اذ العلة واحدة وهى الخشية من أن يصير القبر وثناً يعبد من دون الله .

ما هو حرام فى حق الزائر المسلم

يحرم على الزائر المسلم أن يتوجه فى قضاء حاجاته الى القبر وصاحبه أى كان مقامه عند الله ، ويطلب منه قضاء حاجاته دنيوية كانت أو أخروية بنية أن بيده النفع والضر ، أو بنية انه يقضى حاجات السائلين والراغبين ، وينسب اليه ما هو من اختصاص الربوبية من النفع والضر

والاعطاء والارزاق ، وكل من فعل شيئا من ذلك فقد فعل حراما من الكبائر، وظلم نفسه ، وظلم الولي في قبره لانه نسب اليه ما هو برىء منه في حياته وبعد موته ، لانه عبد مكرم عند الله ، وكل من ثبتت له صفة العبودية ثبت عجزه عن مصالح نفسه فهو فقير الى مولاة الغنى القدير ، ومن ثبت افتقاره ثبت عجزه عن نفع او ضرر غيره وحرمة الضريح او القبر مرعية شرعا على نطاق محدود في الاعتقاد ، ومجازة ذلك تقديس للقبور واصحابها وهو من فعل المشركين الوثنيين الكافرين ، واعتقاد النفع والضرر من غير الله مناف لعقيدة المسلم ، ومباين لعقيدة التوحيد ، ان المسلم المحمدي هو الذي بنى اعتقاده على اساس القرآن الكريم يقول الله عز وجل : وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير « وقوله عز وجل : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يممسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » وقوله عز وجل : هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى توفكون. « ويقول عز وجل : في تفاوت الارزاق : والله فضل بعضكم على بعض في الرزق « ويقول عز وجل : في قسمة الارزاق : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون « فقد فصل سبحانه وتعالى شؤون الدنيا بحسب ما يليق بسير نظام الكون الى نهايته . والآيات الدالة على تصرفات الربوبية واختصاصاتها كثيرة ليس هذا محلا لتتبعها واللبيب تكفيه الاشارة . وحيث كان محل النية من كل عمل هام يطلب ان تكون في بدايته كانت نية اهداء ثواب القرآن لروح الاموات اولى بوقوعها في بداية القراءة لان الملائكة تكتب ثوابها للمنوي له عند الابتداء ، وكذلك الدعاء له والاستغفار ، وكل ثواب يقصد منه الوصول الى روح الميت المرحوم .

المتصوفون في الكون هم الملائكة

الملائكة جنود الله عباد مكرمون : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون « وهم الذين صح لهم ان يسند اليهم تدبير امره لما لهم من القدرة الخارقة على تنجيز ما كلفوا بتنجيزه بدقة محكمة من شؤون الكون ، قال تعالى : والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقتا فالمدبرات امرا « قال الامام القرطبي : المراد بالمدبرات

أمرًا ، هم الملائكة ، وتدبيرها نزولها بالحرام والحلال وتفصيله ، وهو ما قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وتدبيره الى الله جل شأنه ، وطاب ثناؤه ، ولكن لما نزلت به الملائكة سميت بذلك مجازًا ، وورود هذا في القرآن كثير ، كقوله : « نزل به الروح الامين » وقوله : « نزل على قلبك » وعلى الحقيقة فالله تعالى هو الذى أنزله ، وروى عطاء : عن ابن عباس ايضا : فالمدبرات أمرًا « الملائكة وكلت بتدبير احوال الارض في الرياح والامطار وغير ذلك ، وقال ابن سابط : تدبير أمر الدنيا الى أربعة ، جبريل ، وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل ، واسرافيل ، وهؤلاء هم كبار الملائكة . فأما جبريل فهوكل بالرياح والحروب في الارض والجنود ، وأما ميكائيل فهوكل بالقطر والنبات ، وأما عزرائيل فهوكل بقبض الانفس في البر والبحر ، وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم ، وليس من الملائكة من هو أقرب من اسرافيل ، وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام ، وقيل وكلوا بأمر عرفهم الله تعالى بها . وقال في قوله تعالى : فيها يفرق كل امر حكيم « أى يحكم الله امر الدنيا بضم الياء الى عام قابل في ليلة القدر ، الا الشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران وقد وكل الله الملائكة بما يكون في ذلك العام ، ولم يزل ذلك في علمه سبحانه . وقيل يبدأ النسخ في ليلة البراءة ، وهى ليلة النصف من شعبان ، ويقع الفراغ في ليلة القدر ، فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ، ونسخة الحروب الى جبريل ، وكذلك الزلزال والخسف والصواعق ، ونسخة الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ، ونسخة المصائب الى عزرائيل ملك الموت . وقال النسفى في قوله تعالى : والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرًا « لاوقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار ظرفا للمدبرات ، وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم من قوله تعالى : يوم ترجف الراجفة » والمعنى اتسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا ، أى اغراقا فى النزاع أى تنزعها من أقصى الاجساد من اناملها ومواضع اظفارها ، وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ، وبالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق الى ما أمروا به ، فتدبر أمرًا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . وقال العلامة الصاوى : فى تفسير قوله تعالى : والنازعات غرقا « الآية اعلم ان الله تعالى : اتسم

بخمسة أقسام موصوفها محذوف ، واختلف المفسرون في تقدير المحذوف الموصوف في الاربعة الاول ، فبعضهم قدره الملائكة ، وبعضهم قدره النجوم ، وبعضهم قدره بالخيل في الحرب ، وأما الخامس وهو قوله تعالى : فالدبريات امرا « فالمراد بهم الملائكة بالاجماع ، وعليه مثنى المفسر الجلال المحلى ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل ، وهو قوله غرقا أى نزعا بشدة ، وورد ان كل نزعاً أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف ، ويرى ان السموات السبع انطبقت على الارض وهو بينهما ، وأما أرواح المومنين فتسلها الملائكة برفق ، وهو قوله تعالى : والناشطات نشطا من نشط في عمله اذا خف وأسرع فيه ، والسبب في نزع أرواح الكفار بشدة ونزع أرواح المومنين برفق ولين ان كلا يرى قبل الموت متمعه الذى أعد له ، فالمؤمن تزداد روحه فرحا وشوقا فتخرج بسهولة فلا يشاهد الما ولا يحس به، بخلاف الكافر فان روحه تأبى الخروج لمزيد الحزن والكرب الذى تجده عند رؤية مقعدها في النار فتنزح كرها بشدة ، فيصيب الكافر في انتزاعها عذابا اليما ، ولكل من الطرفين ملائكة خاصة به ، فملائكة الرحمة ينزلون برفق ولطافة كالسابع في الماء لتقبض أرواح المومنين وملائكة العذاب ينزلون بشدة لتقبض أرواح الكفار ، وقوله تعالى : والسابقات سبقتا أى تسبق ملائكة الرحمة بأرواح المومنين الى الجنة ، وقوله فالدبريات امرا « أى المدبريات لامور الدنيا أى تنزل بتدبيره ، والمراد بهم الملائكة الاربعة ، وهم : جبريل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، واسرافيل ، فجبريل موكل بالرياح والجنود ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات ، وعزرائيل موكل بتقبض الارواح ، واسرافيل موكل بالصور ، وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن يا كفار مكة ، وخصهم لانهم المجادلون في الكتاب . وفي هذا قال بعضهم :

تذكر جميلى فيك اذ كنت نطفة
وسلم لى التدبير واعلم باننى
وكن واثقا بى فى امورك كلها
وللامام الشافعى :

اذا شئت ان تحيى سعيدا فلا تكن
ومن يرد الاعلى من العيش لم يزل
على حالة الا رضيت بدونها
حزينا على الدنيا كثير غبونها

وما بكم من نعمة فمن الله

وفي الصحيح عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة فان الله لا مكره له . وللإمام مسلم ، وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاضمه شيء اعطاه . وأما المخلوق فهو يستعظم كل شيء ملكه ويعطيه وهو كاره له ، وذلك لرغبة أو خشية أو رجاء من السائل ، ولهذا فانه ينبغي للسائل للمخلوق ان يعتقد فيه انه لا يعطى الشيء الا وهو كاره له ، وما هو الا مسخر فان اذن له اعطى وان لم يؤذن له منع ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه ، فهو لكثرة جوده وكرمه كلهم فقراء محتاجون اليه ، فليس منهم من يستغنى عن امدادات ربه طرفة عين ، فهو سبحانه وتعالى يعطى العظام ولا يتعاضم شيئا اعطاه ، لان عطاءه كلام ، ومنعه كلام ، : انما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون « فقد يعطى المخلوق من ارباب الدنيا ، ويمنع أكثر ، وقد يعطى لخوف أو حياء والبخل عليه أغلب ، وهو وان كثر عطاؤه فليس عطاؤه بشيء لان عطاءه محدود وعلى صفة مخصوصة ، وكل ذلك مخالف للعطاء الربانى الشامل ، وفي الحديث : يمين الله ملئى لا يفيضها سخاء الليل والنهار ، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض ؟ فانه لم يفيض ما فى يمينه ، وفى يده الاخرى التسط يخففه ويرفعه . فهو تعالى يعطى لحكمة ويمنع لحكمة ، وهو الحكيم الخبير ، فهو سبحانه وتعالى لا يعطى عباده مكرها ، ولا يمنعمهم عن عظم مسائلهم ، فهو صاحب النوال الدائم دون رغبة ولا تعليل ، فهو على الدوام وجود بالنوال قبل السؤال ، ويستوى عنده فى ذلك الطائع والعاصى ، فهو يمه منذ وضعت النطفة فى الرحم فقد توالى امدادات نعمه على الجنين فى بطن امه فهى دائرة عليه بدون انقطاع ولا امهال ، فهو مربيه ومحسن فى تربيته ثم اذا وضعت امه خلق فى قلبها العطف عليه ، فهى التى تكفله بنعمه حتى يبلغ أشده ، فان كانت حياته على الايمان والتقوى كملت نعم الله عليه ، ثم اذا توفاه على ذلك اعطاه اضعافا مضاعفة على ما كان عليه فى الدنيا من النعم ، فأم الطفل التى جاءت اليه النعم على يدها فهى مسخرة ، وميسرة لامر الله ، ومن ثم كان لها حظ فى شكر النعمة ، والله تعالى هو المحمود الاول على ذلك ، لانه صاحب المثنية والقدرة

والإرادة ، وكان ذلك منه بمحض فضله وكرمه وجوده ، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، قال تعالى : وما بكم من نعمة فمن الله « فهو سبحانه له التصرف الحكيم ، فقد يعطى لحكمة ويمنع لحكمة ، ويؤخر العطاء لوقت يعلمه أصلح له وقد يعجله لحكمة ، ويعطى لوقته ما سئل فتبارك الله رب العالمين : لا يسأل عما يفعل « والمخلوق حين يسأل لا يعطى الا ما يهون عليه بذله لشدة حاجته الى ما بيده ولانه فقير محتاج ، والخالق سبحانه هو صاحب العطاء الواسع الكثير بلا انقطاع ، وخزائنه عامرة على الدوام ، قال تعالى : ما عندكم ينفذ وما عند الله باق « وفي الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم : يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى سعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخطط اذا ادخل البحر . وقال ابن ابي جمره أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء لامته فى هذا الموضع — ليلة الاسراء — لما جبله الله عليه من الشفقة والرحمة ، فأجابه تعالى : وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك « وكان النداء بجانب الطور قبل ان يخلق الخلق بألفى عام ، فقال : يا أمة محمد ارحمكم قبل ان تترحمونى ، وأغفر لكم قبل ان تستغفرونى وأعطيتكم قبل ان تسألونى .

ما يهدى من الثواب للاموات فهو واصل اليهم

قد أجمع السلف ، والاجماع حجة ، على ان ما يهدى للاموات من الثواب فهو واصل اليهم بلا خلاف ، وذلك خاص بمن مات على الايمان بخلاف من مات كافرا ، وقد كفن النبي صلى الله عليه وسلم رئيس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول فى قميصه ، وحضر جنازته وصلى عليه وقام على قبره ، ولم ينفعه ذلك ، للنهى عن ذلك بمن يموت من المنافقين ، قال تعالى : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون « وقال عبد الله ابن ابي للنبي صلى الله عليه وسلم استغفر لابي فى مرض نزل به . فأنزل الله : استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين « وقد استغفر النبي صلى الله عليه وسلم

لعمه ابي طالب وكان معه جماعة من أصحابه ، فنهوا عن ذلك ، وأنزل الله : ما كان للنبيء والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى تربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر له مكافأة له على ما قدم له من العون على تبليغ رسالة ربه ، لعل الله بفضلهم وكرمه يشفعه فيه ويخرجه من النار ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يستشفع ويستغفر له حتى أخبر بأن الله شفعه فيه فخفف عنه العذاب دون تنحيته عنه كلية لما في صحيح مسلم عن العباس ابن عبد المطلب انه قال : قلت : يا رسول الله هل نفعت ابا طالب بشيء ، فانه كان يحوطك ويفضب لك قال : نعم ، هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار . والضحضاح لغة الماء القليل العمق ، وفي لفظ آخر : وجدته في غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح .

وفي رواية عن ابي سعيد قال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلى منهما دماغه . وفي رواية ان اهون اهل النار عذابا ابوطالب ، وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه . وعلى هذا فيكون ابو طالب قد نفعه استغفار النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان مات كافرا على دين تومعه وهو دليل على ان الاموات ينتفعون بما يصل اليهم من الاحياء ، ويدخل في ذلك ما كان عمل بر ، كالصلاة والزكاة والحج عن الميت ، وكذلك يصل اليه ما كان قولاً كاللحظة والاستغفار له ويدخل في هذا ما يعرف « بالفدية » من التسبيح والتحميد والهيللة وقراءة القرآن على القبر او في بعد عنه ، وكذلك مطلق الصدقة سواء كانت بالمال ، او بالعمل ، او بالجاه ، في مقابلة الدعاء بالرحمة على الوالدين مثلا لانهما أحق بأسبغية الرحمة الجارية من غيرها ، اذ هما ينتفعان بعمل البر من ولدهما ، والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة ، ولذلك شرعت عقب الصلوات الخمس . وكما تلحقهما الرحمة من طرف ولدهما البار ، كذلك تلحقهما الاساءة من طرف ولدهما العاق لما في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام قال : من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه ، قالوا كيف يلعن الرجل والديه يا رسول الله ؟ قال : يسب الرجل ابا الرجل فيسب اياه . ومنه حديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام قال : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا باحدى ثلاث : صدقة جارية ، او علم يبثه في صدور الرجال ،

او ولد صالح يدعو له . ومعناه : ان اهل الصدقة الجارية لا تطوى صحفهم بموتهم وان كتابة ثواب عملهم الصالح يبقى مستمرا الى يوم القيامة ، ومثله العالم الذى انتفع الناس بعمله وتأليفه ويدخل فيه معلم القرآن لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه . فصفحهم لا تطوى بل تبقى كتابة حسناتهم مستمرة الى يوم القيامة . ومثل ذلك الولد الصالح البار بوالديه الداعى لهما بعد موتهما ، فان كتابة حسناتهما باقية ببقاء ولدهما ، لكنها تطوى بانتهاء حياته .

وقال العلامة شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تميمية رحمه الله :
من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع ، وذلك باطل من وجوه : 1 — أبو الولد الصالح ينتفع بدعاء ولده له ، وكذلك بذله جميع الاعمال التى ينوى وصول ثوابها اليه . 2 — ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخول الجنة . 3 — شفاعته لاهل الكبائر فى الخروج من النار . 4 — ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الارض . 5 — ان الله تعالى يخرج من النار بفضله ورحمته من لم يعمل خيرا قط . 6 — ان ذرية المومنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم . 7 — قصة اليتيمين : وكان ابوهما صالحا فأراد ريك أن ييلغا أشدهما ويسخرجا كنزهما رحمة من ريك « . 8 — ان الميت ينتفع بالصدقة والعق عنه بنص السنة . 9 — ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة . 10 — الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة . 11 — المدين قد امتنع النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه حتى قضى دينه ابوقتادة ، وقضى دين آخر على بن أبى طالب ، وانتفعا بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم عليهما . ومنه صلاة سائر المومنين بعضهم على بعض من باب انتفاع الميت بعمل الحى ه . قال الله تعالى :
واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام « قال العلامة الصاوى : المعنى اتقوا قطع الارحام ، لما فى الحديث : الرحم معلقة بالعرش ، تقول ، من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعته الله . ومن الآداب مواصلة الارحام ، وتختلف باختلاف الناس فقرا وغنى فمواصلة الغنى تكون بالهدايا والتحف المرضية ، والخلق الحسن ، ومواصلة الفقير تكون بالكلام الطيب والقول اللين ، والسعى الحسن لهم ومعاشرتهم بالمعروف ويستوى فى هذه المواصلة

الاحياء والاموات كل على حسب ما يليق به . وقال في الفتح المجيد : روى أبو داود وابن ماجه : عن أبي السيد الساعدي رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شئ أبرهما به بعد موتها ؟ فقال : نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهديهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما ، واکرام صديقيهما ه .

في زيارة ابن مشيش بركة ظاهرة

لقد تحدث الناس كثيرا وما زالوا يتحدثون عن الكرامات التي ظهرت لهم بسبب تمسكهم بحب هذا الفرع النبوى الشريف ، وقد لقوا في زيارة ضريحه المحترم من الاجابات ، ومن أمور اتفاقيه ظهرت لهم ما لم يلقه احد في زيارة غيره ، ولذلك ترى الوفود الغزيرة تفد على ضريحه من مختلف الجهات من المغرب وغيره ، الامر الذى استوجب من طرف كل ذوى النية الصالحة الحسنة من مختلف الطبقات من أهل العلم وغيرهم ، ولو ذكرت ذلك لبسطت منه الشئ الكثير ، وقد رأيت انه من الاحسن أن أتركه لحديث الناس حتى يبقى سرا لاهله من اسرار بركة الشيخ رحمه الله ، ولبعضهم قصائد نظمية في الموضوع ، حتى قالوا في ذلك :

واطلب بسر ابن مشيش ما تريد تناله وان يكن عنك بعيد
وقد اعترف بذلك الكثير ممن بلغوا مقامه وتحققوا من قضايا وقعت لهم عن طريق الحس والمشاهدة ، وحديثهم بذلك صدق شاهد على ما ذكر ، ومن ذلك ما وقع لى وذكرته تحت عنوان رؤيا عجيبة رأيتها ، وقد افاض الله على ابن مشيش من الانوار ما ظهر له بركة عظيمة حتى أخذت بلب كل ذى لب نقى تقى ، حتى لا يستطيع احد ممن نور الله بصيرته أن ينكرها ، وما ذلك الا سر من الاسرار التي اختص الله بها الاتقياء من أهل البيت النبوى الكريم ، ونور من الانوار التي جباهم الله تعالى بها ، فاقتمسوها بينهم فكل منهم ورث منها على قدر مقامه في تقوى الله وما قسمه اليه مولاة في سابق ازله ، ولا عبرة بانكار المنكرين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله لان ذلك دأبهم وعادتهم الموروثة خلفا عن سلف ، وفي ذلك يقول بعضهم :

فقد قالوا في الآلهة إذا ولد وفي محمد كهانا
لم ينج من المخلوق خالقهم فكيف بك أنت وأنا
فالفضل موروث والحسد موروث ، والسعيد من وفقه الله وعصمه :
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم « وفي ذلك يقول
البوصيري :

لا تعجبن لحسوم راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
وقد ظهر نوع من أهل الحسد ينتمون لأهل العلم ، ولكنهم في حسدهم
يتسترون من وراء الشريعة مدعين حمايتها والدفاع عن تعاليمها منكرين
على أهل الله محبتهم في أوليائه ، ولكننا نعرفهم في قولهم وفي فعلهم كما قال
الله تعالى فيهم : ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم « وقال
سبحانه : قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر « نعوذ
بالله من شرهم ومن شر كل حاسد مخذول إذا حسد ، إذ لم يبق بعد بيان
السنتهم عما تكنه صدورهم إلا اللجم والدم . كما قال زهير :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وأحلى شيء لديهم في إنكارهم هو أنهم ينكرون على أهل البيت والمحبين
لهم ما الفوه عن الآباء والأجداد من زيارة القطب ابن ميثيش ، ويستعملون
في أسلوب التنفير أن زيارتهم له هي مجرد عبادة وثنية ، ويحتجون على
ذلك في التلبيس على العامة بحديث قوله صلى الله عليه وسلم : لا تشد
الرجال إلا إلى ثلاث مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام ، والمسجد
الاقصى . والحق أن شد الرجال إلى هذه المساجد هو عبادة خاصة ،
والعبادة لا بد أن تكون مصحوبة بنية ، ولا يمكن أن تشد الرجال بنية
العبادة إلا لها ، بخلاف زيارة ابن ميثيش أو غيره من أولياء الله ، فإنه
ليس هناك أحد من المسلمين جاهلا كان أو عالما من يقصد ويشد رحله
بنية العبادة إلى زيارة أولياء الله وإنما يقصدون التبرك بأهل البيت
والدعاء لهم والترحم عليهم وقراءة القرآن وإهداء ثوابه لروح الولي ، وهذا
كله عمل موافق للشرع ، ولهذا تكون زيارة ابن ميثيش وغيره من سائر
أولياء الله سنة رغب فيها الشارع صلوات الله عليه ، وقال عليه الصلاة
والسلام من رغب عن سنتي فليس مني . وأما ابن ميثيش فهو عبد من

عباد الله مكرم على الله ليس بيده ضر ولا نفع ، ولا اعطاء ولا منع ، وما كان في حياته الا عبدا مطيعا لله تعالى ومن كان كذلك لا يصير الاها بعد موته ، ولا يسوغ له التصرف فيما هو من اختصاص الربوبية فالعبد عبد وان علا ، والرب رب وان نزل ، واما ما اشتهر عنه بين العامة بقضاء حاجات الراغبين والسائلين ، فالجواب عنه ان اعتقاد ذلك ممن هو ميت من اولياء الله خطأ شنيع ومخالفة للشريعة الواضحة السمحة ، وقد تقرر عند علماء الشريعة ان قضاء الحاجات واجابة الدعوات انها تكون بواسطة الاتقياء واهل الله من الاحياء ، وهذا الصنف موجود بين المسلمين في كل مكان ، وقد يكونون معروفين وغير معروفين اكثر ، واستدلوا على ذلك باثر استسقاء سيد الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه بسيدنا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم واحد أهل بيته واكبرهم سنا واكرمهم فضلا بقرابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته له ، ولذلك قد توسل به الى الله وهو شاهد حاضر ، وقال في توسله به : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، واننا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا وقال العباس رضی الله عنه : اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة ، وهذه ايدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء أمثال الجبال ، اه من شرح البخارى . وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . وفي الحديث أيضا اقتدوا بالذين من بعدى ابي بكر وعمر . وهذا التوسل بالاتقياء واهل الفضل واهل الخير معروف بين الصحابة رضوان الله عليهم ، ولنا فيهم اسوة حسنة في التوسل الى الله بالاتقياء واهل الفضل من اهل زماننا الاحياء لا الاموات ، وخصوصا اذا اجتمع العلم والفضل وبيت النبي صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا يتخرج قضاء حاجات السائلين والراغبين عند ضريح ابن ميثس ، لما يوجد لدى ضريحه من الاتقياء واهل الفضل سواء من ذريته او غيرهم من الحسينيين على العموم وسائر المؤمنين لان ضريح ابن ميثس يعتبر مجمعا لاولياء الله الاحياء حيثما كانوا من اهل المغرب والمشرق ، وفي الغالب لا يوجد عند ضريحه الا احفاد ذريته الطاهرة المباركة ، وهم الذين تجد السنتهم تلهج بالدعاء والابتهاال الى الله في قضاء حاجات السائلين

وبهذا ينتفى قول الحاسدين زيارة ابن مشيش عبادة وثنية ، ويبقى العمل بالسنة قائما ثابتا ببقاء الايمان والاسلام ، ولو لم يرد في فضل اهل البيت الا ما اخرج الحاكم لكان كافيا من حديث طويل : يا ايها الناس ، ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته ، فلا تذهبن بكم الاباطيل الحديث . وما ورد في حملة القرآن وفضلهم عند الله لا يعرفه الا من نور الله بصيرته ، من القرآن والسنة المطهرة ، قال الله تعالى : قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون « وقال سبحانه : ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير « وفي صحيح البخارى : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . وقال عليه الصلاة والسلام : حملة القرآن اهل الله ، وحملة الحديث اهل رسول الله . وان الاتقياء من حملة القرآن كثيرون ، وبفضلهم تقضى حاجات السائلين والراغبين ، وهذا هو الذى ينبغى ان يعتقد ويدان الله تعالى به ويجتنب ما سواه لانه غيبة وبعض الظن الذى هو اثم ، وفيه يقول الله سبحانه : ائحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم « فهو من خداع المتنطعين وتليبسات الحاسدين المبغضين ، فالعجلة بفضل الله سائرة لا يمكن ان يوقف سيرها طعن متنطع ولا حسد حاسد ، وكان من حقهم سامحهم الله ان يصلحوا اخطاء الناس ويبيّنوا لهم ما هو وجه الصواب من غيره مع تركهم على حبههم لاهل الله ورغباتهم لزيارة اولياء الله ، فاذا تغالوا في ذلك بينوا لهم ما هو لله يجب ان يعطى لله ، وما هو من حق الولي يجب ان يعطى له . وبهذا يكونون اصابوا الصواب وعرفوا الحدود بين الله وبين خلقه واعطوا لكل ذى حق حقه لا مفرطين ولا مفرطين ثم يقولون لهم : ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه « لان فساد عقائد العامة في هذا الموضوع راجع الى احد امرين اثنين ، وهما من اختصاص علماء الدين الحاملين لشريعة الاسلام ، الاول هو انهم لا يملكون الجراءة على بيان ما هو وجه الحق والصواب ويحملون الناس عليه بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، والثانى هو ما الفوه من الاهمال ، وترك الناس على ما هم عليه من أهواء وضلال ، وعند ذلك يظن الضالون انهم فيما

هم عليه مصيبون مهتدون ، وذلك هو الكتمان الذى نهى الله عنه بقوله :
ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى
الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا
فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » ونقل العلامة الحمومى المسمى
بدر الدين فى شرحه للمشيئية ان شيخه أبا عبد الله سيدى محمد التاودى
ابن سوذة رحمه الله أنشد عند ضريح ابن مشيش أبياتا وهى قوله :

أتيتكم شيخا وكهلا وناشئا وفى كلها أرجو نوالكم الجما
فها أنا قد خيمتها بفنائكم على وهن والضعف منى قد عما
فلا ترجعون دون فيض بحاركم ولا تحرمنى من مواهبك الجما

فأجابه ابن الخاضر النجار على لسان الشيخ ابن مشيش رحمه الله :

حباك الاله العرش ما قد أردته ونلت من الرحمن منزلة شما

وقد زار ضريح الشيخ المذكور العلامة مولاي العربى الفضيلى شيخ
المجلس العلمى بفاس ، وبعد أن سلم على روح الشيخ ابن مشيش جلس
أمام الضريح ودعا ما شاء الله ثم خر أمام الضريح ومسح الارض بلحيته
الكريمة يمينا وشمالا وقال جاهرا اللهم انا براء ممن يقول بغير هذا ، وممن
زار ضريح الشيخ من كبار علماء فاس السلفيين الشيخ المسن مولاي عبد الحى
الكتانى ، وذكر فى الشرح المذكور ، ان العلامة العارف بالله تعالى الشيخ
سيدى محمد بن عطية توجه لزيارة الشيخ ابن مشيش صحبة أتباعه
ومريديه ، ولما وصلوا الى خندق الريحان من قبيلة مصمودة بأحواز مدينة
وزان ، اشتغلوا بذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأصاب الشيخ المذكور حال عظيم اقتطعه عن حسه وبينما القوم مجتمعون
يذكرون الله اذ هبت عليهم ريحة عطر كثير ، والشيخ فى غيبوبته وبعد أن
حصلت له افاقة قال : اسمعوا معشر الحاضرين وتحققوا ان القطب مولانا
عبد السلام عندنا حاضر معنا ، وهذه ساعة الاجابة فسلوا الله ما سئتم
فضج القوم بالبكاء والدعاء والتضرع الى الله ، فكان كل واحد يطلب على
الله ما شاء من أمور الدنيا والآخرة ، ثم قال لهم الشيخ : هل تريدون
الرجوع الى دياركم وأولادكم فان حوائجكم قد قضيت ، او تريدون مواصلة
السفر للوقوف على ضريح الشيخ ابن مشيش ؟ قالوا نريد مواصلة السفر

للووقوف على ضريحه وللتبرك بمن هناك من ذريته ، والنيل من بركة دعواتهم .

زيارة القبور راجعة الى صنفين

الصنف الاول منها هو الزيارة الشرعية ، وهى سنة مؤكدة أمر بها النبى صلى الله عليه وسلم وفعلها بنفسه فى حياته ، ورغب فيها ، وفعلها الصحابة والتابعون وحملت الينا سنة متبعة ، والصنف الثانى زيارة بدعية جاهلية ، وهى حرام فى شريعة الاسلام ، وهى الزيارة التى يقصد منها ان الحى ينتفع بوساطة الميت مع الله والسعى له فى قضاء حوائجه والتشفع له فى رغائبه ، وكل هذا يتم وينجز فى عالم الغيب ، واعتقاد هذا حرام . وقد أحسن التفصيل فى ذلك الامام شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله . ونص عليه فى كتابه قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة ، فقال : ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية هى أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ، كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له ، والقيام على قبره من جنس الصلاة عليه ، ولذلك نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم لما قام على قبر رئيس المنافقين عبد الله ابن أبى بن سلول لعنه الله بعد موته ، حين شرفه بما كان يشرف به موتى المسلمين من الترحم عليهم والقيام على قبورهم ، فقال تعالى : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون « أى كافرون ، وكان النهى موجها لعلة الكفر ، ولذلك انتفى عند انتفائها ، وبقي أمر المسلمين على ما كان عليه من الصلاة عليهم والقيام على قبورهم ، بل ذلك من السنة المتواترة ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على موتى المسلمين وشرع ذلك لامته ، وكان اذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره ، ويقول : سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل . رواه أبو داود وغيره ، وكان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد ، — مع العلم ان المسافة بين المدينة وأحد تقدر بما يقرب من عشرة أميال ، وهى مسافة لا بد فى التوجه اليها من نية زيارة قبور ما هناك من شهداء الإسلام — ويعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون ، ويرحم الله

المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا شاء الله بكم لاحقون . وفي رواية أخرى : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ويرحم الله منا ومنكم المستقدمين والمستأخرين ، أنتم لنا فرطاً ونحن لكم تبعاً ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . اللهم رب هذه الاجسام البلية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مومنة ادخل عليها روحاً منك وسلاماً منى . فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم ، وهذه غير الزيارة المشتركة التى تجوز فى قبور الكفار كما ثبت فى صحيح مسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجه ، عن أبى هريرة انه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وبكى من حوله ثم قال : استأذنت ربى فى ان أستغفر لها فلم ياذن لى فاستأذنته ان أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة . فهذه الزيارة التى تنفع فى تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافراً ، وأما الزيارة التى يقصد بها الدعاء للميت ، فانها لا تشرع الا فى حق المؤمنين وأما الزيارة البدعية فهى التى يقصد بها ان يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الدعاء والشفاعة الدنيوية ، أو يقصد الدعاء عند قبره ، لظن القاصد ان ذلك أجوب للدعاء ، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة ، لم يشرعها النبى صلى الله عليه وسلم ولا فعلها الصحابة من بعده ، لا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا عند قبر غيره وهى من جنس الشرك ، وأسباب الشرك ، ولو قصد الزائر الصلاة عند قبور الانبياء والصالحين من غير ان يقصد دعاءهم ، والدعاء عندهم مثل ان يتخذ قبورهم مساجد لكان ذلك محرماً منهياً عنه ، وكان صاحبه معرضاً لغضب الله ولعنته لما قال النبى صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

وقال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا . وقال : بان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك . فاذا كان هذا محرماً وهو سبب لسخط الرب ولعنته فكيف بمن يقصد دعاء الميت ، والدعاء عنده

وبه ، قال : وأعتقد ان ذلك قد يكون من أسباب اجابة دعواتهم ، ونيل طلباتهم وتمضاء حاجاتهم — اللهم الا أن نقول : ان ذلك قد يكون على وجه الاتفاق ، لانه ليس هناك متصرف فى الكون مع الله الا هو وحده لا شريك له ، حتى يكون سببا فى اجابة دعوات الراغبين ، وبهذه الطريقة ابتداء الشرك فى قوم نوح عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما ، كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الاسلام اى التوحيد فى الالهية ، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحهم ، وهم الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال : وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا « قال المفسرون ان هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم . قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ثم صارت هذه الاوثان فى قبائل العرب ه .

وانا على يقين من اولئك المنكرين الذين ولعوا بالاثيان من الجانب البدعى لحاجة فى انفسهم ، واهملوا بيان الجانب الشرعى وتباعدوا عن الاسترشاد به حتى فى انفسهم ، لان عليهم كسائر المسلمين أن يزوروا قبور الاولياء وقبور سائر المسلمين ، امثالا لما شرعه الله ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، وعليهم مع ذلك خاصة زيارة قبر والديهم والدعاء لهم ، فعن النبى صلى الله عليه وسلم : رضى الله فى رضى الوالدين وسخطه فى سخطهما . وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ، ويفعل العاقى ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة . وبهذا يتضح لك انهم مخذولون ومدفوعون وراء شهواتهم انتقاما على من حسدوهم ، وفى ذلك يقول الشاعر :

وعين الرضى عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا

فاذا راوا من يزور الزيارة البدعية اسرعوا الى تكفيره وتنفيره ، ويرمون باللائمة على اولاد اهل البيت لما يوجد من أن أغلب المشاهير من الاولياء لهم ، والذي يتزعم هذا الاضلال فى غير حياء ولا خجل ذلكم القزم الانانى صاحب اللسان الطويل فى قذف اهل البيت ، الذى تقدمت ترجمته المسمى العربى الهلالى ، وانه ليسعى بكل مجهود حتى يستطيع التأثير على العوام حتى ينفروهم من حب كل ولى لله ، ويركز ذلك على حبههم فى

ابن مشيش حتى سمعنا منه يوما انه كافر عند ما ذكرنا له جملة من تصليته وهى قوله : واغرقتنى فى عيب بحر الوحدة . وانه لمبالغ فى تصويرهم للسذج والمغفلين من العوام ، كما يجد لذلك صدى فى كل نفس خبيثة حاسدة حاكمة . بما يكرهونهم كأنهم المتسببون فى كل اثم ، ولو انتبهوا قليلا لاحواله ووزنوا أفعاله بميزان الشرع المطاع لوجوده ضالا غارقا فى هواه زين له الشيطان الوقوع فى اولياء الله ، واعراض ابنائهم ، فويل للاتباع من المتبوع ، فقد حرموا أنفسهم من جزء من الايمان ان لم يكونوا محرومين من الايمان كله بسبب تقليده فى بغض اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، لما روى فى الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى . اذ وجود اهل البيت بين الامة اختبار لها سعد بهم قوم وشقى بهم آخرون .

وقد ثبت بطلان قولهم اننا نتخذ القبور مساجد بحجة الحس والمشاهدة، ويستدلون على ذلك بحديث : ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الحديث .

ان المسجد الذى بنيت فى العهد الحديث ليس بها قبر لاحد بل انها اقيمت فوق صخور الحجارة ، وليس عندنا بضريح ابن مشيش شىء من القبور بمسجد ، والمصلى الصيفى خال من القبور ، وبجانبه روضة القطب ابن مشيش يحيط بها سور مرتفع ، وبالقرب منه الى جهة القبلة روضة حفيده الولى الصالح سيدى عمر بن عيسى بن عبد الوهاب ، وعليه سور مرتفع جدا ، وروضة ابن مشيش تمتاز بشجرة تثبت الوارفة الظلال الباسقة الاغصان قائمة بوسط الروضة منذ قرون عديدة ويقع المصلى الصيفى بجانب الروضتين ، وبجانب روضة سيدى عمر المذكور حجرة للاذان صنعت لها درج فى العهد القريب . فروضة ابن مشيش تكسوها البساطة المتواضعة ، وعليها من الهيبة والجلال ما ياخذ بالالباب . وتوجد الروضة المذكورة بقنة جبل العلم فى بعد عن السكن ، وانهار السور المذكور وأعيد بناؤه عدة مرات وعليه فوضع ابن مشيش من حيث الشكل والبساطة يخالف ما هى عليه حالة الاضرحة فى العواصم الثلاث فى الشرق القاهرة وبغداد واسطنبول بتركيا من الابنية التى تناولتها أقلام النقاد بالنقد ، وحالة تقديس المشاهد عندنا بالمغرب أخف مما هى عليه الحالة بالشرق

الاسلامى ، فحالتنا فى أمس الحاجة الى شىء من التوجيه التوجيه الصحيح، وعوامنا من نساء ورجال قد فشا فيهم الجهل منذ زمن بعيد ، ولكنهم لحسن نيتهم أقرب الى الاسترشاد من أهل الجهل المركب ، والمغرب الجديد حاول أن يرفع رأسه وينفضه من غبار الجهل الماضى ولكنه التقتته التيارات الكفرية ، فأطاحت به فى مهاوى الهلاك والدمار : فوقع فى ظلمات أحلك مما كان عليه الحال فى الماضى ، ولكنه يريد أن يشق سبيله الى النور بفضل كفاح رجاله المخلصين المتيقظين .

ويرجع تقديس القبور وعبادتها عند الشرقيين الى أمرين اثنين :
1 — هو ان العواصم الثلاث زاخرة بقبور أهل الفضل من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ومن بينهم مشاهير أهل البيت من رجال ونساء من ذرية الحسين و 2 — هو ان الذين اعتنقوا الاسلام من أهل الأديان الأخرى لم ينقطعوا عن عاداتهم الجاهلية بل ظلوا مع اسلامهم على ما كانوا عليه من عادات الشرك التى منها تقديس القبور وعبادتها ، وتركوا على ما كانوا عليه حتى صار ذلك أمرا وراثيا منتقلا مع الاجيال فسرى فى الطبقة العامية ، ولم يحملهم أحد على التربية الصحيحة فى أول الامر . ولما تفاحش الامر وبلغ درجة الخطورة بعقيدة التوحيد وبالرجوع بها الى ما كان عليه الحال من عبادة الشرك فى الجاهلية قبل الاسلام ظهر أول من جند القلم فى الدفاع عن عقيدة التوحيد فى النصف الثانى من القرن السابع للهجرة ، وذلك هو الامام تقى الدين المعروف بشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا . توفى عام 728 هجرية تبعه على ذلك العلماء المصلحون من كل جيل الا أنهم وجدوا الخرق اتسع على المرتق ، ولكن الذى زاد الطين بلة هو ان الحكام الذين يطبعون التاريخ والشعوب لم يكونوا فى كل عصر على رأى العلماء المصلحين ، الى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ظهرت جماعة من العلماء المصلحين المجددين الذين أرادوا حمل الامة على تعاليم الاسلام الصحيحة فى كل ميادين الحياة مبتدئين من الاساس التى هى عقيدة التوحيد الصحيحة ، وتزعم هذه الحركة فى الشرق الشيخ جمال الدين الانفغانى ، والشيخ محمد عبده ، وتبنى عقيدة التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم تبعت هذه الحركة حركة الاخوان المسلمين فقادها رجال أوفياء وعلى رأسهم الشيخ الصوفى النقى التقى الشهيد حسن البنا

رحمه الله .

الا ان الاستعمار الغربى الحامل للصهيونية المقنعة كان بالمرصاد لكل حركة تهدف الى اصلاح الاسلام فى الشرق العربى ، فواجههم بدسائسه ودعاياته مستهدفا ابقاء حالة المسلمين على ما هى عليه من تخاذل فى ميادين الإصلاح ، محاولا استغلال الاوضاع القائمة حتى يتمكن من القاء القبض على زمام الامر ، للفتك بالجميع وقد فعل ، وقد كتب النجاح من أنصار هذه الحركة للامير عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية بالحجاز وسط القرن الرابع عشر حوالى 1346 هجرية رحمه الله وطيب ثراه.

وقال فى لمحات من تاريخ العالم ، ويظهر ان ابن سعود قد نجح الى حد كبير فى هذا المضمار واثبت بذلك انه رجل سياسى تقدير بعيد النظر ، وقال : وعلى وجه التحديد فى اكتوبر سنة 1924 ميلادية دخل الوهابيون مكة وهدموا بعض القبور فيها عملا بتعاليم مذهبهم ، فأثاروا بهذا العمل مشاعر كثير من المسلمين فى الاقطار الاخرى ، وقال : وفى اوائل سنة 1926 ميلادية أعلن ابن سعود نفسه ملكا على الحجاز ، ولكى يقوى مركزه الجديد ويكسب عطف بقية المسلمين دعا لعقد مؤتمر اسلامى عالمى فى يونيو سنة 1926 ميلادية حضره ممثلون عن المسلمين فى كل مكان . ولما كان يحمله من افكار التجديد استطاع أن يؤثر على الحرمين الشريفين بسبب ما كان بيده من النفوذ فخرّب كل ما وجده بهما من الاضرحة والمشاهد عبر العصور الاسلامية ومنع كل ما هو عادة من تقديس القبور وتآليه من فيها ، وكان عمله هذا اكبر رحمة بالمسلمين واعظم نعمة عليهم ، اذ لولا اقدامه البطولى على هذا لكانت الحالة فى الحرمين الشريفين أقبح مما هى عليه فى العواصم الثلاث . من تقديس القبور وتآليه غير الله ، ولم يتبعه أحد فى ذلك من حكام العالم الاسلامى بل انهم جعلوا ينكرون عليه ذلك ويشنعون فى انكارهم عليه ، وذلك اما لجهلهم ، واما لمصلحة سيدهم الاستعمار .

وقد وفقت ولله الحمد وقمت جهد المستطاع فى بلادى المغرب حيث تسمع كلمتى بتوجيه من رأيتة بجهل فى زيارته ، وما لقيت من ذوى النية الحسنة الا شكرا وتقديرا واعتذارا بأنه يقلد الناس فى ذلك على العموم ويعتقده هو الصواب الا ما كان من أمر الحكام الجهال المتكبرين الذين يعتبرون أنفسهم فوق كل اعتبار ونعوذ بالله من شرهم وتسلطهم فانهم

مفسدون للعتائد الاسلامية ومهلكون للحرث والنسل ، وفيهم يقول الله تعالى : ومن الناس من اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد .

زيارة القبور بلا حد

وهى مأمور بها للرجال دون النساء ، قال في المدخل : وينبغي للعالم ان يمنعهن من الخروج الى القبور وان كان لهن ميت لان السنة حكمت بعدم خروجهن ، وقال فيه ايضا : اختلف العلماء في خروجهن على ثلاثة اقوال ، بالمنع والجواز على ما يعلم في الشرع من الستر والتحفظ ، واما على ما هي عليه الحالة اليوم من التهتك والسفور والتبرج الجاهلى فمعاذ الله ان يقول احد من العلماء او ممن له مروءة او غيره في الدين بجوازه ، والثالث الفرق بين المتجلات والشابة . وقال سيدى عبد الرحمن الثعالبي في كتابه المسمى بالعلوم الفاخرة في النظر في امور الآخرة ، وزيارة القبور للرجال متفق عليه ، واما النساء فيباح للتواعد ويحرم على الثواب اللواتى يخشى عليهن من الفتنة ، ووردت احاديث في الحث على زيارة القبور ، وفي الاحياء منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه في كل جمعة غفر له وكتب بارا . وعن ابن سيرين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله عز وجل من البارين . وقال الامام القرطبي : ينبغي لمن عزم على زيارة القبور ان يتأدب بأدابها ويحضر قلبه في اتيانها ، ولا يكون حظه التطواف على الاجداث ، فان هذه حالة تشاركه فيها البهيمة ، بل ينبغي له ان يقصد بزيارتها وجه الله تعالى واصلاح قلبه ، ونفع الميت بالدعاء وما يتلو عند قبره من القرآن ، ويسلم اذا دخل المقابر ، ويخاطبهم خطاب الحاضرين . فاذا دخلت المقابر ينبغي لك ان تقول : السلام عليكم اهل الديار المومنين والمومنات ، والمسلمين والمسلمات ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، اسأل الله لنا ولكم العافية . ثم تقول : اللهم اغفر لنا ولهم ، وان اجتهدت لهم في الدعاء فالامر واسع ، وروى ابو داود بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يقول : اذا دخل المقابر ، السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . واذا مررت بقبر تعرف صاحبه فقابله من جهة وجهه ، وسلم عليه واعتبر بحاله ، ثم تجلس في قبلة الميت ، واستقبله بوجهك عند راسه أو عند رجله ، ثم تثنى على الله تعالى بما حضر لك ثم تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة المشروعة ، ثم تدعو له بما أمكنك ، وذكر عن عاصم الجحدري انه سئل بعد موته هل تعلمون بزيارتنا اياكم فقال : نعلم بها عشية يوم الخميس ويوم الجمعة كله ، وصبح يوم السبت الى طلوع الشمس ، وذلك لفضل يوم الجمعة وعظمتها ، وعن ابن واسع الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ، ويوما بعده قال القرطبي : وقيل ان الارواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام ، ولذلك تستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة ، وبكرة السبت ، وقال الامام مالك رحمه الله : بلغنى ان الارواح بفناء المقابر ، فلا تختص زيارتها بيوم بعينه وانما يختص يوم الجمعة لفضله والفراغ فيه . وذكر ابن رشد في البيان والتحصيل قد جاء في الارواح انها بأفنية القبور ، وانها تطلع برؤيتها ، وان اكثر اطلاعها بيوم الخميس ويوم الجمعة ، وليلة السبت ، ثم ذكر عن الامام أحمد بن حنبل انه قال : اذا دخلتم المقابر فاقراوا الفاتحة والمعوذتين ، وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر ، وينوى ذلك لهم قبل القراءة فانه يصل اليهم . ثم ذكر عن القرطبي من حديث على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرا سورة قل هو الله احد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطى من الاجر بعدد الاموات . ثم ذكر عن القرطبي ايضا عن الحسن البصرى قال : من دخل المقابر فقال : اللهم رب هذه الاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهى بك مومنة ادخل عليها روحا منك وسلاما منى . الا كتب الله له بعددهم حسنات . واما حالة اهل القبور فتد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحاديث فقال : ان هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وان الله ينورها لهم بصلاتى اى بدعائى عليهم . وحديث سعيد بن المسيب يقول صليت وراء ابي هريرة على صبى لم يعمل خطيئة قط ، فسمعتة يقول : اللهم اعذه من عذاب القبر . وقال ابن عبد البر : عذاب القبر غير فتنته ، بدلائل من السنة الثابتة ، ولو عذب الله عباده اجمعين لم يظلمهم .

وقال بعض العلماء : ليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته ، ولا السؤال بل مجرد الغم والهم والالام والحسرة والوحشة والضغط ، وذلك يعم الاطفال وغيرهم ، وان ابا هريرة اعتقد لما سمعه من المصطفى صلى الله عليه وسلم ان عذاب القبر عام في الصغير والكبير ، وان الفتنة فيه لا تسقط عن الصغير بعدم التكليف في الدنيا ، لان الله تعالى لا يفعل الا ما يشاؤه ، وان فعله كله عدل .

الاصل في دفن الموتى عند مشاهير الاولياء

قد نص العلماء على أنهم تحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم او يدفنون عنده ، وقالوا ايضا في مسألة الخلاف في وصول ثواب القراءة الى ارواح الموتى وانتفاعهم بها ، ما حاصله : انه لا ينبغي اهمالها ، فلعل الحق هو الوصول ، لان هذه الامور مغيبة عنا ، وليس الخلاف في حكم شرعى ، وانما هو في أمر هل يقع كذلك أم لا ؟ وقالوا المتجه هو أن يحصل لهم بركة القراءة كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح .

وقال بعضهم باستحباب القراءة على القبر ، واستدل عليه بحديث الجريدتين ، وقوله صلى الله عليه وسلم فيه لعله يخفف عنهما . وبه قال الامام الشافعى رحمه الله ، وفي الاحياء : لا بأس بالقراءة على القبر واستدل له بالحديث : عن على بن موسى قال : كنت مع الامام أحمد بن حنبل في جنازة ، وابن قدامة معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له الامام أحمد : ان هذا بدعة ، فقال ابن قدامة : للامام أحمد ما تقول في بشر بن اسماعيل قال : ثقة ، قال : هل كتبت عنه شيئا ؟ قال : نعم ، قال : أخبرنى عن عبد الرحمن عن ابيه انه اوصى اذا دفن أن يقرأ عليه عند رأسه بفاتحة البقرة ، وبخاتمها ، قال : وسمعت ابن عمر يوصى بذلك . فقال الامام أحمد ارجع الى الرجل فقل له : يقرأ . ومنه أخذوا تلقين الميت بعد الدفن وهو مستحب ، قال ابن العربي : في مسالكة ، اذا ادخل الميت في قبره فانه يستحب تلقينه في تلك الساعة ، وهو فعل الصالحين من اخيار اهل المدينة لانه مطابق لقوله تعالى : وذكر فان الذكر تنفع المؤمنين « واحوج ما يكون العبد الى التذكير بالله عند سؤال الملائكة ، ومنه استحباب القراءة عند الموت ابن حبيب : وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان

من قرأ سورة يس ، أو قرئت عنده وهو في سكرات الموت بعث الله ملكا الى ملك الموت ان هون على عبدى الموت وعن ابن يونس ما نصه : يستحب ان يقرب منه اذا احتضر رائحة طيب من بخور ونحوه ، ولا بأس ان يقرأ عند رأسه بيس او غيرها . وقد سئل عنه الامام مالك فلم ينكره ، وقال اكره ان يعمل به على وجه السنة . ما جاء في تلقين الميت عقب الدفن ، اخرج عبد الحق في كتاب العاقبة : عن ابي امامة الباهلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم ليقل : يا فلان بن فلانة ، فانه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة الثانية ، فانه يستوى قاعدا ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة ، فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وانك رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبالقرآن اماما . فان منكر ونكير يتأخران عنه كل واحد منهما يقول : انطلق ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجة ويكون الله حجيجهما دونه ، فقيل يا رسول الله فان لم يعلم امه ، قال : فلينسبه الى حواء . ومن عمل السلف من الصحابة ان التصبيح على القبر سبعة ايام والاصل فيه اثر طاووس ، وهو صحيح مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : في شرح التثبيت : وانهم يفتنون ويحاسبون في قبورهم سبعة ايام ، ولذلك كانوا يستحبون ان لا يتفرقوا عن الميت سبعة ايام ، ولذلك ضرب الفسطاط على قبور كثير من الائمة ، كابن عباس وغيره . وقد استمر عليه الحال في عمل الناس شرقا وغربا قديما وحديثا بحضرة الفضلاء والاخبار من اهل العلم .

وفي الموطأ عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أصابته مصيبة فقل : كما أمر الله ، : انا لله وانا اليه راجعون « اللهم أجرني في مصيبتى واعقبني خيرا منها . الا فعل الله ذلك به . قالت ام سلمة فلما توفي زوجها ابو سلمة قلت : ذلك ، ثم قلت ومن خير من ابي سلمة ؟ اى قالت ذلك في نفسها ولم تصرح به ، ولو صرح به أحد لمنع والعوض ، كما يمنع الذى يعجل بدعائه الاجابة ، فأعقبها الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها . قال ابن عبد البر وفي معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما يزال المؤمن يصاب في ولده وحامته

حتى يلتقى الله وليست عليه خطيئة . ومنه لا تزال البلايا بالمؤمن والمومنة في نفسه وماله وولده حتى يلتقى الله وليست عليه خطيئة . وقال عليه الصلاة والسلام : من يرد الله به خيرا يصب منه . وفي هذا المعنى احاديث كثيرة ، وفيما ذكر كفاية .

أحكام البناء على القبور والجلوس عليها

للقبر أحكام في شريعة الله تجب مراعاتها واحترامها وتطبيقها ، والا نال الميت عذاب مخالفتها للشرع ، كما يناله ذلك بسبب النوح والبكاء عليه المنهى عنه شرعا ، والميت أقرب الى الاذية بمخالفة الشرع من الحي ، فالميت عقوبته في مخالفة الشرع عاجلة ، والحي عقوبته آجلة ومعرضة على التوبة . فمنها ما يتعلق ببناء القبر او تسنيمه ، او البناء عليه وتجسيصه ، ومنها ما يتعلق بالجلوس عليه ونبشه . فأما ما يتعلق ببنائه وتسنيمه او البناء عليه وتجسيصه ، ففي ذلك تفصيل ، اما بناء القبر وتمييزه بنحو حجر كبير يوضع بجانب رأس القبر ليعرف به حتى لا يخفى مع قبور الغير ، ومثل ذلك ما اذا علم بخشبة خالية من النقش أو الكتابة فوق رأسه وأخرى تحت رجليه فهذا القدر مشروع مباح فاعله وهو السنة ، لما روى انه صلى الله عليه وسلم وضع بيده الكريمة حجرا كبيرا عند رأس عثمان بن مظعون ، وقال : اعلم به قبر أخى وادفن اليه من مات من اهلى . وقال في التوضيح واجاز علماءنا ركز حجر أو خشبة عند رأس الميت ما لم يكن منقوشا . وروى ابو داود باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن عثمان بن مظعون امر رجلا ان ياتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال اعلم به قبر أخى أزوره وادفن اليه من مات من اهلى .

وكره ابن القاسم أن يجعل على القبر بلاطة أى رخامة ونحوها أى ويكتب فيها ولم ير بأسا في تعليم القبر بالحجر والعود والخشبة التى لا كتابة عليها لان ذلك من البدع التى احدثها أهل الطول من ارادة الفخر والمباهات والسمعة ، وذلك مما لا خلاف في كراهته ، وأما تسنيم القبر فقد اختلف فيه ، فقال الامام مالك في المدونة ذلك مكروه ، وقال الامام ائمه في مدونته تسنيم القبر أحب الى وان رفع فلا بأس برفعه ، يريد أن يزداد

على التسليم . وقال محمد بن مسلمة : لا بأس بذلك ، قال : وقبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما مسنمة ، وهو أحسن . وفي البخارى وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما . وفيه أيضا : وقال خارجة بن زيد رأيتنى ونحن شبان فى زمن عثمان وان أشدنا وثبة ، الذى يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه ، وهو الذى اراد اشهب بقوله : وان رفع فلا بأس ، يريد ويمنع من بناء البيوت على الموتى من المباهات لما فيه ولما تصير اليه من اتخاذها مواطن للفساد والمنكرات . وقيل لمحمد بن عبد الحكم فى الرجل يوصى أن يبنى على قبره فقال : لا ، ولا كرامة يريد بناء البيوت ، ولا بأس بالحائط اليسير الارتفاع ليكون حاجزا بين القبور ليلا يختلط على الانسان موته مع موتى غيره وليجمع اليهم من يموت من اهله وليس لاحد أن يدفن فى مقبرة غيره الا أن يضطر الى ذلك ، فان اضطر لم يمنع ، لان الجبانة أحباس ليس لاحد فيها شئ ، ويمنع مع الاختيار لان للناس اغراضا فى صيانة موتاهم ، وتعهدهم بالترحم والدعاء والقراءة . وقال الباجى فى المنتقى : ومن السنة تسنيم القبر ولا يرفع . وهو قول ابن حبيب أيضا . وروى عن سفيان التمار انه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما .

وأما رفع بنيانه على وجه المباهات فممنوع ، قال ابن بشر وينهى عن بنائها على وجه يقتضى المباهات ، ويحرم مع القصد الى ذلك . وأفتى ابن عبد الحكم أن من أوصى أن يبنى على قبره بيت انه تبطل وصيته . وأما البناء لغير المباهات فان كان القصد به تمييز الموضع أو تعظيم حرمة لنبي أو ولى فجائز ، أو تمييز قبر ولىه حتى يحترم ولا يحفر عليه ان احتيج الى قبر ثان . ويهدم ما شيد للمباهاة ، ولا يترك منه الا القدر الذى يميز القبر ، لان القدر الذى يقع به التمييز جائز وليس بمكروه ، وأما الارض المحبسة على المقبرة فلا يجوز فيها البناء مطلقا ، ويجب على ولى الامر ، أن يامر بهدم ما بنى عليها حتى يصير طولها عرضا ، وسماؤها أرضا .

وأما الارض المرصدة فلا يحل فيها البناء ، لان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل القرافة بمصر لدفن موتى المسلمين واستقر الامر على ذلك ، وان البناء بها ممنوع ، ومع مرور الزمن فقد بنى الناس فيها على موتاهم من غير اذن من الشرع وفى عصر السلطان العباسى الظاهر بأمر الله

سنة 623 هجرية استفتى العلماء في هدم ما بها من البناء اللامشروع ، فاتفقوا على لسان واحد انه يجب على ولى الامر أن يهدم ذلك ، ويكلف أصحابها رمى الانتقاض في الكيمان ، ولم يختلف في ذلك أحد منهم . ولكن الملك الظاهر سافر الى الشام فلم يرجع ، وفي نوازل ابن رشد انه كتب اليه القاضي عياض يسأله فيما ابتدع من بناء السقائف والقباب والروضات على مقابر الموتى ، وخولفت فيه السنة فقام من بيده أمر فأمر بهدمها وتغييرها وحط سقائفها ، وما أعلى من حيطانها ، الى حدها ، هل يلزم أن يترك من جدرانها ما يمنع دخول الدواب أم لا ؟ قطعاً للذريعة ، ولا يترك منها الا ما أباحه أهل العلم من الجدار اليسير لتمييز به قبور الاهلين والعشائر للتدافن وكيف ان قال بعضهم لبقاء جدارى منفعة لصيانة ميتى ، ليلا يتطرق اليه للمحدث عليه ، لا سيما ما كان منها بقرب العمارة ، وليس هذا عند من يوجب أن يترك عليها من الجدار أتل ما يمنع هذا أم لا ؟ لان الضرر العام بظهور البدعة في بنائها أو تعليتها أعظم وأشد ، مع انه لا يؤمن من استهتار أهل الشر والفساد فيها بعض الاحيان ، وذلك أضر بالحي والميت من الحدث عليه ومراعاة أشد الضررين وأخفهما مشروع ، بينه وجاوب عليه مشكوراً ماجوراً والسلام . فأجاب : تصفحت سؤالك هذا الواقع فوقه ، ووقفت عليه المتضمن لما يبنى من السقائف والقباب والروضات في مقابر المسلمين ، وأقول : ان هدمها واجب ولا يجب أن يترك منها الا قدر ما يميز به الرجل قبور قرابته وعشيرته من قبور سواهم لئلا ياتى من يريد الدفن في ذلك الموضع فينبش قبر امراته ، والحد في ذلك ما يمكن دخوله من كل ناحية ولا يفتقر الى باب هـ . وروى جابر : ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن ترفع القبور أو يبنى عليها أو يكتب فيها أو تقصص . وروى تجصص وأمر بهدمها وتسويتها . ومعنى تقصص أو تجصص ، تبيض بالجير أو بالتراب الابيض ، والقصة بفتح القاف الجير . وأما النهى عن الجلوس على القبور والمشى عليها ، فاليك بيان الحكم في ذلك ، ففى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال : لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا اليها . وروى ايضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لان يقعد أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر . وحمل الامام مالك الجلوس في الاحاديث لقضاء الحاجة من بول أو غائط ، ولم يكن عندهم فيه نهى بدليل قول عقبه : ما أبالى قضيت حاجتى

على القبور أو في السوق والناس ينظرون يريد لان الموتى ينظرون مثل الاحياء ، فيجب أن يستحيى من الميت كما يستحيى من الحي لان ارواحهم على القبور . وحكم الجلوس على القبر عندنا معشر المالكية جائز . وعند الشافعية مكروه ، ومثله عنده أن يتكئ عليه أو يطأه . وقال ابن حبيب : يكره الدخول الى المقابر بالنعال ، ولا يكره بالخفاف . وفي الموطأ : مالك انه بلغه ان على بن ابي طالب كان يتوسد القبور ويضطجع عليها . واول المالكية النهى عن الجلوس بالجلوس لقضاء الحاجة . وتركه الشافعية على ظاهره . وقال : لا بأس بالمشى على القبر اذا عفى . وهذا اذا لم يكن مسنما والطريق دونه ، والا فهو مكروه لما فيه من تكسير تسنيمه وابطاحته طريقا . وقال في المدونة ويجوز المشى على القبور بالنعال وغيره ولا يحتاج الماشى عليها الى سراويل . وأخذ جواز الجلوس لغير ما ذكر والمشى والالتكاء والاضطجاع من فعل على كرم الله وجهه وابن عمر رضى الله عنهما . ويتأيد اجتهاد الامام مالك بالحديث المرفوع عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس لحدث غائط أو بول ، أخرجه الطحاوى برجال ثقات . ووافق الامام مالكا فيما ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه ، واحتج له باثر على وابن عمر ، واسندهما برجال ثقات . وذلك امر لازم لمن زار القبور ، وقد زار رسول الله صلى الله عليه وسلم القبور وأمر بزيارتها .

وقال في المدخل : ومما هو أفتح وأشنع مما تقدم من البناء على القبور ما اتفق العلماء عليه ، وهو ان الموضع الذى يدفن به المسلم وقف عليه ما دام منه شيء موجود فيه ، ومن الشيء عظام الميت يفنى جسده وتبقى عظامه النخرة وعلى هذا فلا يجوز لاحد أن ينبشه ما دامت به تلك العظام النخرة ، واذا علم بأنها فنيت بمرور الازمان الطويلة عليها ولم يبق منها شيء فحينئذ يجوز دفن غيره في موضعه ، ولا يجوز أن يحفر عليه للاطلاع على ذلك . ولهذا قال الشيخ خليل : والقبر حبس لا يمشى عليه ولا ينبش ما دام به . ولا يجوز أخذ المقابر العافية ، ولا لبناء قنطرة أو مسجد ، وعلى هذا فلا يجوز حرثها ، وقال ابن رشد : أما بناء مسجد على مقبرة عافية فلا كراهة فيه .

الشفاعة لها مفهومان مختلفان

فمفهوم الشفاعة عند المسلمين يختلف عن مفهوم الشفاعة عند المشركين والشفع لغة ضد الوتر ، والشفاعة المعاونة أو طلب المغفرة ، يقال شفّع فلان أو فيه الى زيد ، طلب من زيد ان يعاونه ، ويقال شفّع عليه بالعداوة ، أى أعان عليه وضاده بها ، ويقال فلان يعاديني وله شافع أى معين يعينه على عداوتى . وعلى معنى آخر ، يقال شفّع فلان فى مطلبه وحاجته ، أى سعى له فيها والشفّع المقبول الشفاعة ، والشفّع الذى يقبل الشفاعة ، وقد كان مفهوم الشفاعة عند المشركين على المعنى اللغوى الاول ، لانهم كانوا يعبدون شركاءهم ويعتقدون ان عبادتهم لهم تقربهم من الله ، وانهم يستنجدون بهم فيجدونهم أعوانا يشفعون لهم عند الله فى لقاء الشدائد ، وقد بين الله سبحانه مقصودهم هذا بقوله : ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله « فرد الله عليهم زعمهم هذا بقوله : قل اتبنون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون » وقال تعالى أيضا ، فى الرد عليهم وابطال دعوتهم : بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين « ثم استرسل القرآن فى ابطال رأيهم وتكذيب دعوتهم فى الشفاعة المستقلة فقال : من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه « وقال : فما تنفعهم شفاعة الشافعين .

ولذلك تشعبت عبادتهم على أنواع ، وكانوا فيها شيعا وأحزابا : كل حزب بما لديهم فرحون « وتفرقوا فيها حسب أهوائهم فمنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الجن ، ومنهم من يعبد الاوثان ، ومنهم من يعبد النار ، ومنهم من يعبد الكواكب كالشعري والشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الأشخاص ، ومنهم من يعبد غير ذلك بحسب ما زين له هواه ومضله من الانس والجن ، وتضمن القرآن الكريم ذكر هذه الفرق كلها ، وفند زعمها فى عبادتها ، وقد أنكر عليهم عبادتهم هذه متحديا لهم ومنزها نفسه عنها لانها خطوات الشيطان ، وقد نهاهم عنها بقوله تعالى : ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين « ثم ضرب لهم مثلا فى بطلان عبادتهم الشركية بأبسط أحوالهم فقال تعالى : ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم

فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم « وقد نهى المسلمين عن تفريق دينهم فقال : ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون « فقد بين الله تعالى لهم بالمثل المضروب انه لا ينبغى لاحد أن يجعل مملوكه شريكه عن طريق الاستفهام الانتكاري قائلا سبحانه وتعالى لهم : هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الآية اى يخاف أحدكم من مملوكه كما يخاف بعضكم بعضا ، فاذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون مملوكه شريكه فكيف ترضونه لخالقكم ! ؟ فهو يحاجهم بأسلوب الاقتناع لانه ليس فيهم من يرضى ان يكون عبده شريكه فى رزقه وماله ويتصرفا فيه على السواء ، وقد بين لهم سبحانه وتعالى فى عبادتهم الملائكة الذين هم عباد مكرمون : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون « والانبياء كاليسوع المسيح ، والعزيز ، ممن ثبتت عصمتهم شرعا بريئون مما نسبوه اليهم ، فأولئك كلهم عباد الله وأهل طاعته يرجون رحمته ويخافون عذابه ، فانهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، قال سبحانه وتعالى : قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا « والمشركون يقولون عند احساسهم بالاسراف والاغراق فى ذنوبهم وكفرهم وأعظم الذنب الاشرار بالله ، وخوفهم من سوء المصير ، انا نأتى قبر احد انبيائنا ونطلب منه ان يشفع لنا أى يعيننا ، ويخلصنا مما جنينا على أنفسنا من الذنوب والكبائر فهم يعتقدون الاعتصام به ، وهو الذى ينجيهم من عذاب الله المحيق بهم ، وقد تجسم هذا الخيال فى عقولهم ، وحسن لهم الشيطان طريقة أسلافهم فى تصوير تماثيلهم وتجسيمها ليكون ذلك التشخيص ادعى لاستحضار القلب عند دعائها والاستشفاع بها ، والتماثيل عندهم على قسمين : مجسدة بالهياكل وظلية على الاوراق ، ومن ذلك ما اتخذته النصارى فى كنائسهم الى الآن ، وقالوا المقصود من اقامة هذه التماثيل تذكروا أصحابها وسيرهم ، فجرهم الشيطان الى مخاطبتها وزين لهم انهم يخاطبون أصحابها الاصليين ، ويطلبون منهم ان يشفعوا لهم فيما جنوه على أنفسهم من الذنوب والخطايا ، وقد ابتدع المتأخرون منهم شفعاء احياء سموهم خلفاء القديسين ، فيأتى المذنبون الى الشفعاء الاحياء خلفاء القديسين ويستشفعون بهم ،

ويستفسرونهم عن ذنوبهم ، وبعد اعترافهم يمنحونهم صكوك الغفران موهبين اياهم انها شفاعة القديسين الذين هم نواب عنهم فيها ، وتختلف الشفاعة عند هؤلاء بين النساء والرجال ، بحسب حاجة خليفة القديس الى الجمال والفتوة فعند ذلك يشفع شفاعته العظمى فيشفعون لهم بغير اذن من أى شفيع ، ملبسين عليهم في ذلك بأنهم خلفاء القديسين ، وأفعالهم مقدسة ، وبيدهم كل ما طلبوه اليهم ، ولم تنطل الحيلة على أهل العقل الصحيح منهم ، فأنكروا عليهم هذه المخادعات الباطلة ، وشنعوا عليهم فيها ، وصرحوا بأنها اغراض شهوانية شخصية محضة ، يخدع بها رهبان الكنائس سذاج العوام ، لارضاء نزواتهم وشهواتهم باسم الدين ، فلعنة الله على الكاذبين ، وكل القائمين عليها افكون كذابون ، واذا سألتهم لماذا أنتم متمسكون بهاته الاباطيل وأنتم تعرفونها ؟ اجابوا بأنهم خاضعون لامر قهرى لا اختيار لهم فيه من ثلاثة أوجه : 1 — انهم محجوبون عن الرجوع الى دين الحق بالعصبية القومية والجنسية و 2 — انهم مملوكون من طرف العادات الحاكمة المستحكمة من عهد الفطرة ، و 3 — انهم محاطون بسياج الرياسة والسلطة . واذا شعروا باختناق روى أتوا كنائسهم مستغيثين بتمائيلهم ويقولون : ياسيدى جرجيس أو بطريس أو يا ستى الحنونة مريم ، واذا أتوا قبر الخليل بفلسطين ، قالوا يا سيدنا ابراهيم الخليل ، ويا نبى الله موسى بن عمران أو غيرهما استغفر لى الى ربك ، سل لى ربك الخ . وقد انجرت هذه العادات الباطلة بهذه الخطابات الموجهة الى أصحاب القبور في زيارة أصحابها الى المسلمين بسبب من أسلم منهم فبثوها في السذج والمغفلين من ذوى الجهل وخاصة النساء . وحسنها الشيطان لاهل الاهواء منهم فصاروا ينشدون قصائد على هذا المنوال ويقول أحدهم فيها : ياسيدى فلان أنا فى حسبك أى كفايتك ، أنا فى جوارك ، اشفع لى الى الله ، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا ، سل الله لنا أن يكشف عنا هذه الشدة أشكو اليك كذا وكذا معبرين عما فى مقاصدهم ، أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لى وهذه الادعية كلها تشرك غير الله معه فى ملكه ، فهى حرام لا تجوز فى ملة الاسلام باجماع المسلمين ، ومقلدها فاسق ، وليس فى الملة الحنيفية شىء من هذه الكلمات الكفرية ، الا ما انجز اليه من أولئك الذين اعتنقوا الاسلام من أهل الاديان السابقة كاليهود والنصارى وأهل الشرك من العرب ومن كان منهم على الاديان السابقة ، ولا يزال بعضهم عليها فى

الشرق العربي حتى الآن . وخصوصا في سوريا ، ومنهم الاباء اليسوعيون الذين منهم اللغوى معلوف اليسوعى صاحب المنجد ، وهم المعروفون بالدرز . وهم المشمولون بآياته تعالى : الاعراب أشد كثرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله « وكل ما نجده اليوم من هذا الآثار في عقيدة جهلة المسلمين فهذه أصوله ، ومن طريق المعتنقين للاسلام وصل اليهم ، فوجد له عشا في مخ كل جاهل وجاهلة ، فهو يسرى في المجتمع سريان الماء في العود ، في أهل الجهل ، الى جانب العقيدة الصحيحة القرآنية عند أهل العلم ومن والاهم منذ العصر الاول للاسلام الى الآن ، وأهل هذه الطبقة هم الذين قال الله تعالى فيهم : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون « فالايمان الخالص يقوى بجهاد العلماء المخلصين ، ويتضائل عند سكوتهم ، ولا يعيش الشرك الا حيث المجتمع الجاهل السائر في ظلمات الجهل . ومنه انتقل في الطبقة الجاهلة جيلا بعد جيل عبر الاجيال الغابرة حتى تمكن من الانتشار والثبوت في رأس كل جاهل في جميع بلدان العالم الاسلامى ، ولن يكون المخلص الوحيد منه لمن وجد شيئا في عقيدته منه الا في التمسك بالتوحيد الصحيح الخالص الذى جاءت به تعاليم القرآن الكريم ، ويتلخص ذلك في نداء ودعاء الله وحده من دون واسطة أحد من الموتى المتبورين بين العبد الداعى وربيه ، فهو سبحانه القريب اليه ، بل هو اقرب اليه من نفسه وهو العالم السميع البصير ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير « وهو الذى يستجيب لعبده بمحض فضله وكرمه دعاءه الاستجابات المتقدمة يقينا لما في الحديث : ان الله حيبى كريم يستحيى من عبده يرفع اليه يديه فيردهما صفرين اى خائبين . وكثيرا ما يستشهد أهل الغفلة والجهل بقول ابن ميثيش رحمه الله اذ لولا الواسطة من غير فهم لمعناها ، ومعناها ، على الصحيح انه يشير بها الى الحديث الضعيف ولذلك ذكره بصيغة التمريض لضعفه فقال : اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل المتوسط ولفظ الحديث لولا محمد لم تخرج الدنيا من العدم . ومعناه لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد ، فوجوده صلى الله عليه وسلم سبب وعلة في وجودها ، فلو كانت ضرورته الى الدنيا لكان وجوده معلولا ومسببا عن وجودها ولكن المعنى على الاول ، ولذلك قال الامام البوصيرى رحمه الله مستفهما استفهما انكاريا :

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم وهو يشير الى حديث رواه الحاكم : في توبة آدم من صورة الخطيئة سأله بحق محمد صلى الله عليه وسلم الذي رآه مكتوبا في قوائم العرش في الجنة فقال له سألتني بحقه أن أغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك ، فوجود آدم أبو البشر متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم ، فواسطته هي التي كانت سببا في ايجاد هذا الكون ، ولولاه لبقى ما كان على ما كان عليه من العدم السابق للموجودات الحادثة . ثم بعد ايجادها اختصه مولاه بالوجود في أمته التي هي آخر الامم ، ثم ارسله اليها والى من سواها من المكلفين ، قال تعالى : ولكن رسول الله وخاتم النبيين « وهو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، لقوله صلى الله عليه وسلم دعوت الله في ثلاث ، فاستجاب لى اثنين ، وهما : الشفاعة يوم القيامة ، وأن يكون رزق أمتى الكفاف ، ومعنى الثالثة وهي أن لا يجعل باس أمتى فيما بينها . وذلك لحكمة سبق بها القضاء الازلى ، فدعاؤه صلى الله عليه وسلم لا يغير شيئا من القضاء والقدر الذى جرى به علم الله في خلقه أزلا حتى لا يتغير نظام الكون لارتباط أسبابه بعضها ببعض . وقد جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان كل ما يحذره المومن على ايمانه ودينه من مزالق الشيطان ، من ذلك قول الله تعالى : فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون « وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار . رواه البخارى ، وقال تعالى : انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار « وقال : لئن أشركت ليحبطن عملك « والند في الآية والحديث المثل والشبيه ، فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل عليه بوجهه وقلبه رغبة اليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فذلك هو الشرك الاكبر الظاهر الذى لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو محبط لاعمال الخير من صلاة وصيام وصدقة وحج وغير ذلك من أعمال البر ، ولذلك حرم الله اتخاذ الشفعاء من الاموات بالمعنى اللغوى الاول ، وأنكره على من فعله أشد الانكار ، لكونه يتنافى مع الاخلاص لله المطلوب من كل مسلم في آية قول الله تعالى : وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين « اذ التوجه لغير الله بالقلب والنية والاقبال عليه فى كل ما يخافه العبد أو يرجوه من ربه وخالقه مناف ومباين لعقيدة التوحيد

القرآنية ، لانه محض اتخاذ الند مع الله الذى هو ممنوع شرعا وعقلا ويعاقب الله تعالى عليه بالخلود فى النار ، فالحذر الحذر يا أهل الايمان بالله من هذه المزالق الشيطانية التى أوقع فيها من كان قبلنا من الامم الغابرة التى غرها الشيطان وزين لها عبادة الطاغوت وضحت من أجل اثباته فى الارض بالنفس والنفيس ، والعياذ بالله من عمى القلب والخذلان وعدم اتباع القرآن : ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا « وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : 1 - الشرك بالله ، و 2 - السحر ، و 3 - قتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، و 4 - أكل الربا ، و 5 - اكل مال اليتيم ، و 6 - قذف المحصنات الغافلات المومنات ، و 7 - التولى يوم الزحف . رواه البخارى وقال عليه الصلاة والسلام : من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد . وفى الصحيح أيضا عنه عليه الصلاة والسلام قال : يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا رياء أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء ، وهو كله للذى أشرك . وإلهذا قال العلماء : العبادات مبناهما على التوقيف ، لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه . وورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الصحيحين انه قبل الحجر الاسود وقال : والله لا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ما قبلتك ، والله تعالى أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته ، وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . ولعمري ان هذا لهو ايمان القرآن الكريم الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الامين وهو الاعتقاد النقى لكل من آمن بالله واليوم الآخر من جميع المومنين المتقين .

وأما مفهوم الشفاعة عندنا نحن معشر المسلمين فعلى المفهوم اللغوى الثانى وهو مخالف للمعنى اللغوى الاول الذى عليه المشركون ، اذ يقال شفع فلان لفلان فى مطلبه وحاجته أى سعى له فيه ، والمشفع بالفتح اسم مفعول هو المطلوب له الشفاعة والمقبولة منه ، والمشفع بكسر الفاء والتشديد اسم فاعل وهو الذى ياذن فى الشفاعة ويقبلها ، وليس هو الا الله سبحانه وتعالى لا زب سواه ، وقد نصت السنة المطهرة ان الشفاعة بهذا المعنى مشروعة ومرجوة ينتفع بها المومن المسلم فى الدنيا والآخرة ،

بل هي التي سيفتقر اليها كل الامم في الموقف العظيم ، وهو مذهب اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة ، وادلتها ثابتة في الكتب الصحيحة وقد اضربت عن حديث الشفاعة لطوله وشهرته . وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وانى اختبأت دعوتى لشفاعة يوم القيامة فهى نائلة — اى نافعة — ان شاء الله تعالى من مات من امتى لا يشرك بالله شيئا . وفي صحيح البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال : قلت يا رسول الله اى الناس اسعد بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة ، من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه .

والتوحيد الخالص هو اصل الدين ومرضاة رب العالمين ، وهو الذى لا يقبل الله من الاولين والآخرين دنيا غيره ، وقد نفى فيه ان تكون عبادة الوثنية من امر الله او بأمر الله فقال : وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون « وقال : وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون « وقال : وانا اخترتك فاستمع لما يوحي انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى « وقد نص العلماء على ان للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات اخرى غير الشفاعة العظمى التى هى مختصة به صلى الله عليه وسلم بل هناك شفاعات اخرى لغيره من باقى الانبياء والعلماء والصالحين ، حتى انهم ليتجاسرون عليها بسبب شفاعته صلى الله عليه وسلم فهو الذى يفتح لهم باب الشفاعة ، وقال العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية وشفاعتهم فى الآخرة فيها اظهار كرامة الله لهم يوم القيامة فهى من جملة كراماتهم بعد الموت ، ويستثنى من حساب اهل الموقف من تنالهم الشفاعة من هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب فقيل له : هلا استزدت ريك ؟ فقال : استزدته فزادنى ثلاث حثيات بيده . او كما قال : ثلاث دفعات من غير حصر الحديث . وفي رواية من الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اهل الشفاعة سبعون الفا ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون . وفي الحديث عنه عليه الصلاة

والسلام قال : اكثروا من معرفة الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة . وقال عليه الصلاة والسلام : ائمتكم شفعاؤكم فاخثاروا من يشفع لكم . ولكل واحد من اقطاب اهل البيت النبوي شفاعة ، ولكل واحد من اقطاب حملة القرآن شفاعة ، وادلة ذلك معلومة من السنة المطهرة لمن وعاهها ، واصدق شاهد في الموضوع قصة بريرة المروية في صحيح البخارى ، وهى ان امرأة مملوكة كانت متزوجة من رجل مملوك اسمه مغيث فكاتبها سيدها ، ولما ادت آخر نجم من الكتابة أصبحت حرة وأصبح أمرها بيدها لحكم الشرع لها بالخيار ، فاخترت الفراق من زوجها مغيث ، فكان زوجها مغيث يمشى فى سكك المدينة وقد بلت دموعه لحيته من شدة ما يجده من حبها ، وبقدر ذلك يكون هو أبغض الناس اليها ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رآه يقول لاصحابه : الا تعجبون من حب مغيث بريرة ، وبغض بريرة لمغيث ، وذات يوم قال لها : هلا راجعت مغيثا يا بريرة ؟ فقالت : افتامرنى يارسول الله ؟ قال : لا ، انما انا شافع ، فقالت : اذا لا حاجة لى فيه . اى ساع له فى حاجته .

ولعل الشيخ ابن مشيش ممن يحظى بسعادة هذه الشفاعة لمقامه الرفيع عند ربه واحد اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وخاصتهم ولذلك طلب من الله ان من كتب له الشقاء لا يصل اليه ، واذا وصل اليه شفعه فيه يوم القيامة .

هدايا الحيوان المذبوح عند أضرحة الاولياء

ان الاولياء يتأذون من ذلك اكبر اذاية ، وفاعل ذلك آثم ومحاسب يوم القيامة لانه من اكبر الاساءات واشنعها الى اولياء الله ، وفاعل ذلك هم العوام وحدهم وليس للعلماء فى ذلك رأى ، ولذلك فهم بريئون مما يفعلون ، لان ذلك من اقبح العادات واشنعها وأخسها شرعا ولانه من أفعال الجاهلية ووحى الشيطان ، فقد جرت العادة بين العوام بذبح الحيوان عند أضرحة الاولياء ، ومما هو أشنع واقبح عند الله من ذبحه هو التطواف به حول الضريح حيا او مذبوحا ، وذلك كله من وحى الشيطان الى جهلة العوام وسفهاثهم ، وليس من شريعة الله ، بل هو من عادات الجاهلية ، وكل ما كان من فعل الجاهلية فهو مناف لعقيدة الاسلام ، ولتعالميم الايمان ،

هب ان العلماء تكلموا وانكروا لكن لم يواخذ برايهم من وجهين : 1 - هو ان غلبة الجهل واستحكام العادة غلبت على الاخذ براى العلم ، و 2 - الجهال لا يخضعون فى مثل هذا الا لاوامر السلطة ، والسلطة اما جاهلة ، واما مهمله ، وهى فى كلا الوجهين مهلكة ، وقد انضم الى ذلك جبن من ينتمى الى العلم وتعلمهم ، حتى تكرر ذلك وفعل بمحضرهم ولجبنهم لم يوجد من ينكره منهم ، ولحضورهم وسكوتهم اصبح فى نظر الجهلاء كأنه اعطيت له صفة شرعية ، فأخذ استمراره مع السنين والاعوام وقطع أجيالا بين العوام واعلم انه قد تبرأ كل ولى لله فى حياته واصبح مؤذى بعد موته من هذه العادات الجاهلية التى تؤذى اولياء الله وتسئ اليهم فى قبورهم ، وقد تقدم ان الارواح على القبور ترى ما يراه الاحياء ، ولا شك انهم يساء اليهم بهذه العادات التى التصقت بالمسلمين انجرت اليهم من اهل الشرك الذين كانوا يستجدون ويستشفعون باناداهم ، ويذبحون لديهم كى يتوسطوا لهم مع الله ، وياتوا لهم بالنجدة والاغاثة ، وخصوصا انهم كانوا يفعلون ذلك عند الشدائد والملمات فى الجاهلية ثم رجع الى المسلمين واستحكم استحسانه فى عقل كل جاهل وجاهلة فأصبح مع مرور الايمان من العادات الحاكمة ، فلم يبق فى عقولهم الطائشة مع ذلك لحكم الشرع مجال ، وبذلك قد يكون الشيطان أصبح متمكنا من العبث بعقولهم واعمالهم عن الرجوع والاخذ بتعاليم دينهم ، حتى يعلموا ما هو حكم الله فى ذلك ، كى يتوصل من ذلك الى فساد عقيدتهم واعمالهم ، والقرآن يتلى على السننهم : وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا « فكل من اعتقد ان هذه العادات من الدين فقد ارتكب حراما واساء بفعله هذا الى الاسلام والمسلمين ، واصبح ملوثا ايمانه ودينه بشرك المشركين وقد قال الله تعالى فى هؤلاء : وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون « فماذا يقولون بعد هذا ؟ والقرآن يقول : لئن اشركت ليحبطن عملك « ومعناه : ان من ارتكب ذلك فقد ذهب ايمانه بالوحدانية ، وبطلت صلاته وصيامه ، وصدقته وحجه الا ان يتوب ، ومن تاب فقد استأنف عملا جديدا بعد التوبة ، فكانه الآن اصبح مومنا بالله ولم يرجع له ما تقدم لانه افسده الشرك ، وهذا هو الخطر على حياة التوحيد والايمان بالله والعمل الصالح . وهذا من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، والذى جاءت الديانات السماوية بحرب اهله عبر عصور الخليقة الى عهد نزول القرآن ، ويجب على جهلة المسلمين ان يقلدوا علماء وقتهم فى دينهم ،

وان لا يقدموا على امر حتى يستفتوهم ويصدروا حكم الله بفتواهم . ويفعلوا ذلك فى كل ما هو من شأن دينهم حتى يستتوا على نهج الشريعة الغراء التى نهارها كليلها وليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، وبذلك يباعدوا دين الاسلام الطاهر واولياء الله مما هما بريئان منه ، ولا يلوثانها بأعمال الشرك وارى ان الحل هو بيد صاحب الهدية فى ذلك ، لو وضعها فى يد مستحقها وتذبح فى اى مكان بعيد عن الاضرحه ، وتوجه الى القبلة ويذكر عليها اسم الله ، ثم ان من حق آخذ الهدية ان يكافئ المهدى بدعوته الصالحة ويتوجه الى الله فى قضاء حاجاته ، ويدعو له حتى يظن انه قد كافاه ، وهذا هو الوجه المشروع ، لقوله صلى الله عليه وسلم : من اسدى اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تظنوا انكم قد كافأتموه .

وكن ايها الممثل لامر الله متيقنا من اجابة رغباتك ، وريحت الاجر العظيم على عمك حيث انك لم تؤذ ولى الله بدم هديتك واجتنبت انواعا من البدع المحرمة عليك ، قال تعالى : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا « وقد تقدم فى الحديث : دعاء المسلم لآخيه المسلم مستجاب ما لم يدع بظلم او قطيعة رحم . اى ما لم يرتكب حراما . وينبغى لصاحب الهدية ان يحسن ظنه ونيته لقول الله تعالى : ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا « وليسلم ارادته لله الذى هو العالم بأسرار عبادته والمدير لشؤونهم وحده لا شريك معه يعينه او يتوسط لهم فى شؤون الغيب الا ما كان من الامر المشروع ، وهذا هو الايمان الذى ينبغى ان يكون عليه المسلم المحمدي ، ولا يستجيب الله من الدعاء الا ما كان موافقا للشرع ، لان الله لا مكره له . وفى ذلك يقول امام الائمة والنجم الثاقب ، وعالم العلماء مالك ابن انس رحمه الله :

وخير امور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع

واما ما يقدمه المرضى فى سبيل شفائهم من هدايا الدجاج ويذبح فى اضرحه الاولياء فان ذلك للجن فيه مجال ، وذلك لما فيه من اغراضهم التى ينتفعون منها ، ومن ذلك جريان الدم ، وما اهل لمؤمنهم من ريحة العظم بعد اكل اللحم ، وكائهم رجعوا بالمسلمين من الانس الى ما كان بينهم وبين المشركين فى الجاهلية ، وهو ما حكاه القرآن عنهم فى سورة الجن قال تعالى : وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا «

أى زاد الأتس الجن أئما وطغيانا ، وزاد الأتس كفرا أو اشراكا بالله وارهاقا أى زاد الجن الأتس خوفا وارهابا وذعرا لكى يدموا على التعوذ بهم ، كما يأتى فى حق الاستغاثة وكان النوع الأول هو من أعمال الشياطين وفتنهم للأنس من المسلمىن وهذا النوع الثانى هو من أعمال الجن وفتنهم لجنس الأتس من المسلمىن أيضا ، وعليه فهما متقاربان فى الجنس والأعمال الخبيثة ، ولكن ينبغى لمن قدم هدايا الدجاج من المرضى ولا يقدمونها الا كرها رغبة فى أن يجدوا شفاء ، وكثيرا ما يجدونه ، أن يعتقد بعد شفائه انه فعل أسبابا وأتاه الشفاء من الله عندها لا أن الولى أجرى اتصالات غيبية فيما بينه وبين الله فأتى لأهل هدايا الدجاج المذبوح عند أضرحتهم بالشفاء ، فان هذا الاعتقاد خطأ فاسد يجر بصاحبه الى الأشراك بالله والعياذ بالله فيصبح متحدا مع النوع الأول فى الاغواء والأضلال : وليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم « والجن يملك قدرة فعالة من التسلط على النوع الأتسانى فيصيبه بأذى فى جسمه وعقله كما أن الشياطين مثلهم فى اذاية الأتسان واصابته بأفات فى نفسه وماله ، الا من عصمه الله من اذائتهم ، وقد يكون تسلطهم على أهل الخير أكثر من غيرهم امتحانا لهم : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا « الا ما صرفه عنه معقباته ، لقوله تعالى : له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله « أى بأمر الله ، وأن معظم الشفاء من اصابات الجن والشياطين هو فى كتاب الله الا أن الناس جهلوا أسرار القرآن لأن معرفة أسراره كانت متوقفة على التقوى التى كانت تقرب بين نوعى الجن والأتس فى أخذ العلوم والمعارف والأسرار بعضهم عن بعض ، وقد انقطع الاتصال بين الجنسین منذ وطئت أقدام الاستعمار هذه البلاد المباركة ، قال الله تعالى : ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين « وهذا النوع الأخر من الهدايا يرخص فيه لمرضى المسلمىن من أجل الضرورة ، فان للضرورة فى شريعة الله أحكاما وللقاعدة المقررة عند الفقهاء الضرورات تبيح المحظورات .

ومن أراد السلامة لدينه وإيمانه ، وأن يحى على الإيمان الصحيح حتى يموت عليه فلا يقرب شيئا من ذلك ولا يوافق عليه أحدا ، وليتب الى الله من كل ما صدر عنه فى ذلك على وجه الخطأ فان التقليد فى باب الاعتقادات فسق ، والجهل فى باب العبادات تعمد . ولن ينجو مرتكب ما ذكر من هذين

أو أحدهما .

الولاية والاولياء ومن هو الولي ؟

قال الله تعالى : هنالك الولاية لله الحق « وهى بفتح الواو وكسرهما ، فمعنى رواية الفتح النصر والتولى والتقرب ، ورواية الكسر السلطان والملك ، وكلاهما صفتان من صفات الله عز وجل ، ومعنى الآية ان الله ينصر فى وقت الشدائد اولياءه المؤمنين على أعدائهم الكافرين ، وينتقم لهم منهم . وقد اشتق الولي من الولاء بالفتح بمعنى القرب والعز والنصر ، سموا بذلك لانهم المنصورون بالله المعززون به لا يطمعون فى شئ سوى فى القرب منه ، وهو الولي بصيغة فعيل ، أما بمعنى فاعل أى متول خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه وماله ، أو بمعنى مفعول أى تولى الله اكرامه وعطاياه ونفحاته ، فلم يكله لشيء سواه فحيث تولى الخدمة تولاه الله بالنفحة والنعمة ، وهو سر قوله فى الحديث القدسى يا دنياى اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك . ومن هذا المعنى أطلق لفظ الولي على المنهمك فى طاعة الله تعالى ففاضت عليه الانوار والاسرار ، ويجمع على اولياء لقول ابن مالك فى الالفية : وناب عنه افعلاء ، ويشهد لمن كانت هذه صفاته ايضا الحديث القدسى : اذا تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا ، واذا تقرب عبدى منى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا اتانى يمشى اتيته هرولة .

وورد لفظ الولي فى القرآن لمعان : 1 — الولد وهو قوله تعالى : فهب لى من لدنك وليا « و 2 — الصاحب وهو قوله تعالى : ولم يكن له ولي من الذل « و 3 — القريب وهو قوله تعالى : يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا « أى لا ينفع الكافر القريب قربه الكافر ، 4 — العصابة وهى قوله تعالى : انى خفت الموالى من وراى « 5 — الولاية فى الدين وهى قوله تعالى : لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء « ، 6 — القرابة أو الصداقة أو العتق قبل الاسلام هو قوله تعالى : لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين « وقال أبو بكر الاصم : فى تعريف الولي اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم ، وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة اليه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامات الاولياء فقال : هم

الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى . قال العلماء : ويرجع سبب ذلك الى ظهور انوار المعرفة الكائنة في قلوبهم على ظواهرهم ، وذلك هو معنى قوله تعالى : سيماهم في وجوههم من اثر السجود » ومن علاماتهم ايضا انهم تقربوا الى الله بكل ما افترض عليهم . ويكونون مشتغلين بالله مستغرقى القلب في نور معرفة جلال الله . والواحد منهم ، فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله ، وان نطق نطق بالثناء على الله ، وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله ، لا يفتر عن ذكر الله ، ولا يرى قلبه غير الله ، واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه ، وهو معنى قول الله تعالى : الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » وقال العلامة الصاوى في نظمه :

أرح قلبك العانى وسلم له القضا تفز بالرضى فالاصل لا يتحول
علامات اهل الله فينا ثلاثة ايمان وتسليم وصبر مجمل

وروى في صفات اولياء الله عن ابن مالك الاشعري قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بقربهم ومتعددهم من الله تعالى يوم القيامة ، قالوا وفي ناحية القوم اعرابى فجننا على ركبته ورمى بيديه ، ثم قال : حدثنا يا رسول الله عنهم من هم ؟ قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرى فقال : هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ، ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ، ويجعل لهم منابر من لؤلؤة قدام الرحمن يفرح الناس ولا يفرعون ، ويخاف الناس ولا يخافون . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من عباد الله اناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة ، بمكانهم من الله ، قالوا يارسول الله : تخبرنا بأمرهم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ، ولا اموال يتعاطونها ، فو الله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس . وقرأ هذه الآية : الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتتقون » والمعنى ان اولياء الله هم الذين اتصفوا بالايمان ، وهو الاعتقاد الصحيح المبني على الادلة القطعية عقلا ونقلا ، وعليك بكتابى في

ذلك ، المسمى العقيدة الناصعة للمسلم والمسلمة فانى ضمنت فيه من عقائد الامام الاثعري ما اتفق عليه اهل السنة والجماعة بطريقة سهلة ، والتقوى وهى امثال الاوامر واجتناب النواهي فى الظاهر والباطن وقال الامام القشيري : من شرط الولي ان يكون محفوظا ، كما ان من شرط النبى ان يكون معصوما ، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع ، وقال الامام الشافعى : وابو حنيفة : اذا لم تكن العلماء اولياء الله فليس لله ولى ، وذلك فى العالم العامل بعلمه المخلص فى عمله ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : انما يخشى الله من عباده العلماء « اى به وقد عرفه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه . وبعد تحقيقهم فيما ذكر يعطيهم الله تعالى البشرى فى الحياة الدنيا ليحصل لهم اليقين والاطمئنان بقبول اعمالهم كى يزدادوا بذلك تموة فى ايمانهم واخلاصا فى العمل الصالح ، وذلك معنى قول الله تعالى : لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة « وفسرت البشرى بحديث صححه الحاكم : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له . على انه لم يبق من النبوة الا المبشرات ، وهى الرؤية الصالحة ، وفى الحديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة . ومعنى الحديث ان مدة الوحي هى 23 سنة مضروبة فى اثنين يكن الخارج 46 نصفا من السنين ، الجزء الواحد منها ستة اشهر وقيل المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى : تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون « وقيل البشرى فى الحياة الدنيا : الثناء الحسن ومحبة الخلق لهم ، والمراد بهم اخيار الامة لا اشرارها لما بينهم من المعادة لقوله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه « وورد عن ابي ذر الغفارى رضى الله عنه ، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ارأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويمدحه الناس عليه ، قال : عاجل بشرى المؤمن . وورد ايضا اذا احب الله عبدا نادى جبريل فيقول له : انى احب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الارض . وقال بعض المحققين من العلماء : اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار

قلبه وامتلاً نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه ، فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيجبهه الناس ويثنون عليه ، فتلك عاجل بشره بمحبة الله له ورضوانه عليه . وقيل البشرى فى الحياة الدنيا ظهور الكرامات ، وقضاء الحوائج بسهولة ، فكلما توجه المحبوب لشيء من أموره قضى له عاجلا . وأما البشرى فى الآخرة فهى الجنة .

والولى نوعان مجذوب وسالك

والنوع الثانى هو الذى سقت هذا البحث من أجله لشمول نفعه لعامة المؤمنين ، وأما النوع الاول فانه سريع الخطر لفقدان التكليف ، وكونه فى غيبوبة عن عقل التمييز ، ولذلك أسقط عنه التكليف ، وخرج شرعا عن مستوى المكلفين ، ولذلك نهى الشرع عن الاتيان اليه والتبرك به لانه قد يصدر عنه ما هو ممنوع شرعا فى حق المكلفين ولا شيء فيه عليه لان التكليف منوط بالعقل ، وهو لا عقل له . ويحرم على النساء السعى اليه . لان روحه مع الملكوت وغريزته مع الحيوانات ، والنوعان متعاكسان بداية ونهاية ، فبداية المجذوب نهاية السالك ، وبداية السالك نهاية المجذوب . وفى الحكم لابن عطاء الله ، فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم الى شهود صفاته ، ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره . والسالكون على عكس من هذا لكن لا بمعنى واحد وربما التقيا فى الطريق هذا فى ترقيه ، وذلك فى تدليه ، قال ابن عباد فى شرحه : فعباد الله المخصوصون بالتقرب منه والوصول اليه ، ينقسمون الى قسمين : سالكين ومجذوبين ، فشأن السالكين الاستدلال بالاشياء عليه ، وهم الذين يقولون : ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده ، وشأن المجذوبين الاستدلال به على الاشياء وهم الذين يقولون : ما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله ، ولا شك ان الدليل أبدا وأظهر من المدلول ، فأول ما ظهر للسالكين الآثار ، وهى عالم الافعال ، فاستدلوا بها على الاسماء ، وبالاسماء على الصفات ، وبالصفات على وجود الذات ، ولهذا قال الامام ابن عاشر :

أول واجب على من كلفنا ممكنا من نظر أن يعرفنا
الله والرسول بالصفات مما عليها نصب الايات

فكان حالهم الترقى والصعود من أسفل الى أعلى ، وأول ما ظهر

للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ، ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ،
 ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ، ثم أنزلوا الى شهود الآثار ، وهى كما
 أجاب عنها الاعرابى : لما سئل عن معرفة الله فقال : ارض ذات فجاج ،
 وسماء ذات أبراج ، وبحر ذات أمواج والبعرة تدل على البعير ، وأثر
 القدم يدل على المسير ، أفلا تدل هذه على اللطيف الخبير ؟ . وهى آثار
 قدرته تعالى ، فكان حالهم التدلى والنزول من أعلى الى أسفل فما ابتدا
 به السالكون من شهود الآثار ، اليه انتهاء المجذوبين بلا اختيار .
 وما ابتدا به المجذوبون من كشف حقيقة الذات اليه انتهاء السالكين فسى
 الدرجات ، لكن لا بمعنى واحد ، فان مراد السالكين شهود الاثياء لله
 ومراد المجذوبين شهود الاثياء بالله ، فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء
 والمحو ، والمجذوبون مسلك بهم طريق البقاء والصحو ، ولما كان شأن
 الفريقين النزول فى تلك المنازل المذكورة ، لزم التقاؤهما فى طريق سفرهما
 السالك مترق والمجذوب متدل . اعلم انه يقع الالتباس بين المجنون والمجذوب ،
 لما بينهما من التشابه فى رفع التكليف اذا كان المجنون مطبقا ومن ثم يصعب
 التمييز بينهما على كثير من الناس ، فيحسبون المجنون مجذوبا والعكس ،
 والفرق بينهما ان المجذوب مخبر عن طريق الالهام ، وما كان كذلك لا يكذب ،
 بخلاف المجنون فانه مخبر عن طريق الجن ، والجن يصدق قليلا ويكذب كثيرا ،
 لانه ليس بمعصوم ، ووجه الشبه بين الطرفين هو فقدان العقل فى كل ،
 وقال ابن عطاء الله : سبحان من . لم يجعل الدليل على أوليائه الا من
 حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه . وقال ابن
 عباد فى شرح هذه الحكمة : لا دليل على الله سواه ، ولا وصول اليه
 بغيره ، وكذا أولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية
 والخصوصية ، ويستحيل أن يكون بطلب أو سبب ، كان أولياؤه المخصوصون
 بالقرب منه كذلك ، لما خلع عليهم الخلع العظيمة ، وتولاهم بمننه الجسيمة ،
 فاصطفاهم لنفسه ، واختصهم بمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أتجاس
 الاغيار ، وصان قلوبهم بما أودع فيها من الانوار والاسرار . فكانوا لذلك
 صفوته من عباده ، وخبائاه فى بلاده ، كما قيل فى بعض الاشارات عنه
 سبحانه : أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم أحد غيرى ، فلم يجعل لاحد دليل
 عليهم الا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه
 لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ، ويظهرهم بما يحقرهم فى أعين الخواص

والعوام ، فلم يكن لاحد دليل عليهم او وصول اليهم ، وقال في ابتهاج القلوب لا تجوز صحبة المجذوب الذى مضى في جذبه ، ولم يرجع الى تحقيق المقامات لانه ساقط التكليف ، وصاحبه مكلف فيميرق بذلك من الدين كما تمرق الشعرة من العجين ، وقال فى لطائف المنن : فأولياء الله اهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم ، ثم قال شيخه أبو العباس المرسى : معرفة الولي اصعب من معرفة الله ووجه ذلك ان الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وعظمة قدرته ، وكيف تعرف مخلوقا مثلك ؟ ياكل كما تاكل ، ويشرب كما تشرب ، وينام كما تنام ، وهم أنواع عند صاحب انوار القلوب ، قال : ان لله عبادا ضمن بهم على العامة ، وأظهرهم للخاصة ، فلا يعرفهم الا شكل مثلهم ، أو محب لهم ، ولله تعالى عباد ضمن بهم على الخاصة والعامة ، وعباد أظهرهم للخاصة والعامة ، ولله عباد يظهرهم فى النهاية ويستترهم فى البداية ، ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة الكرام فمن سواهم حتى يلتونه بما أودعهم منه فى قلوبهم وهم شهداء الملوك الاعلى ، والصفوح الايمن من العرش ، الذين ينولى الله قبض ارواحهم بيده ، فتطيب اجسادهم به ، فلا يعدو عليها الثرى ، حتى يبعثوا بها مشرقة قلوبهم بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابد مع الباقي الاحد عز وجل ، والعلة الموجبة لاختفاء الولي عن عامة المومنين من النعم العظيمة عليهم ، اذ لو ظهرت اسرار الولاية على أحد لوجب على من ظهرت له حتوتها لا يقدر على القيام بها ، ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ، ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر . ولكن الله بفضلله ورحمته جعل اختياره تغطية أمورهم رحمة منه لخلقه ولكن الله تعالى قد نبه باظهار كراماته عليهم ، فقال عز وجل : الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور « فأفردهم به ، ولو أظهرهم حتى يبرزهم لكان فى النظر اليهم حجة ، وكان الاستماع لحديثهم فرضا ، ومن أجل هذه النعمة ان تأخرت عقوبة المؤذين لهم عن المعالجة ، لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله ، وفى هذا الستر نعمة عظيمة أيضا على الصالحين فى انفسهم من سلامة دينهم ، وقلة فتنهم ، كما هى أيضا نعمة جليلة على المنتهكين لحرمتهم اذ كانوا أساءوا اليهم من وراء حجاب ، فهذا لطف خفى من لطف المنعم الوهاب وقد ورد فى الحديث القدسى : من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب . فيكون الله تعالى هو الآخذ بالثار لوليه ممن أساء اليه فيهلك الكثير من الناس لكثرة المؤذين الى أولياء الله عز وجل لانها سنة معهودة بين الله تعالى وبين

انبيائه وأصفيائه وأوليائه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ، ثم الامثل فالامثل . وفي الصحيح قد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله انى أحبك حبا شديدا ، فقال يا هذا فان كنت صادقا فأعد للبلاء جلبابا ، ! فقال له : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : ان البلاء الى من يحبني أسرع منه من السيل الواقع في أعلى التل الى الحضيض . وعن الجنيد رحمه الله : كنت ليلة نائما عند السرى السقطى فأنبهنى وقال لى : يا جنيد ، كأنى وقفت بيديه ، فقال لى : ياسرى ، خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي ، فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم ، وبقي معى العشر فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر ، وبقي معى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر ، فقلت للباقي معى : لا الدنيا أردتم ، ولا الجنة أخذتم ، ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا انك تعلم ما نريد ، فقلت انى مسلط عليكم من البلاء بقدر أنفاسكم أتصرون ؟ قالوا اذا كنت أنت المبتلى بالكر فافعل ما تريد ، فقلت أنتم عبادى حقا . وهذه درجة من الطاعة لا تكون الا للواصلين من العارفين بالله .

أنصاف الاولياء

قد اشتهر بين السادة الصوفية ما نقل عنهم من أن اولياء الله ينقسمون الى عدة أنصاف ، منهم ابدال ، ونجباء ، وأوتاد ، واقطاب والاصل في ذلك ما أخرجه الامام أحمد في مسنده قال : ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب ، وهو يومئذ بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الابدال بالشام ، وهم 40 رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يستسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الاعداء ، ويصرف بهم عن أهل الشام العذاب رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد ، وهو ثقة . وأخرج ابن عساکر في تاريخه من طريق أخرى عن شريح بن عبيد الحضرمي قال : ذكر أهل الشام عند على ابن أبى طالب فقالوا :ويا أمير المؤمنين العنهم ، فقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الابدال بالشام يكونون . وهم 40 رجلا بهم تستقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ، ويصرف عن أهل الارض

البلاء والفرق . قال ابن عساکر هذا منقطع بين شريح وعلى فانه لم يلقه ، وذكر الحافظ أبو محمد الخلال في كتابه كرامات الاولياء بسنده عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : البدلاء أربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر ، فاذا جاء الامر قبضوا كلهم ، فعند ذلك تقوم الساعة وأخرج ابن عدى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بدلاء أمتى لن يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة نفوسهم . وأخرج ابن عساکر عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام ، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام ، فاذا مات الواحد أبدل مكانه من الخمسة ، واذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، واذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعة ، واذا مات من الاربعة أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، واذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، فبهم يحيى ويميت ، ويمطر وينبت ، ويدفع البلاء . قيل لعبد الله بن مسعود : وكيف بهم يحيى ويميت ؟ قال : لانهم يسألون الله اكثر الامم فيكثرون ، ويدعون على الجبارة فيقصمون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنبت الارض لهم ، ويدعون فيدفع الله بهم البلاء . وقد تكفل بجمع هذه الاحاديث وطرقها الامام الحافظ جلال الدين السيوطى في جزء من كتابه الحاوى للفتاوى سماه الخبر الدال ، على وجود القطب والأتواد والنجباء والابدال ، وروى الثعالبي بسنده الى الطبراني قال : مات غريب عندنا بمكة المكرمة ، فأخرجناه الى باب المعلى وجلسنا لاصلاح دفنه ، فاستوى جالسا فقلنا الست قد مت ؟ قال بلى ، ولكن رجعت لاحدثكم وابشركم انفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم . وهذا من باب كرامة الاولياء فهي كرامة له ، وتحمل على محبة من كان منهم حيا لانه اقرب الى الانتفاع به شرعا من الميت ، ويؤيده الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله : متى الساعة ؟ قال :

ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت ، فقال الصحابة : فما فرحنا بشيء أشد من فرحنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت . وأما حب الاولياء الاموات ، فلا يعرف حدوده الا الخواص من العلماء العارفين بالله . وأما العامة فتد يجرهم الافراط فيه الى ما هو حرام محظور من الاثراك بالله وهم لا يشعرون ، وبالتالي الى فساد عقيدتهم التى هى رأس مالهم فى دائرة الايمان بالله ووحدانيتها ، وهو ما يشاهد اليوم واقعا من أفعال الكثيرين منهم ، رزقنا الله واياهم الانابة الى الصواب . فان العوام شأنهم أن ينطلقوا من وراء العاطفة دون مراعاة حدود آداب الشريعة ، وهو أخطر ما يكون على ايمان العوام ، وخصوصا النساء الجاهلات لما نشأوا عليه من الافراط فى محبة الاولياء الاموات ، دون أن يرجعوا فى ذلك الى التخلق بالآداب العلمية ، ويفرقوا بين ما هو لله يجب أن يعطى لله وما هو لخلقه يجب أن يعطى لهم . وهنا ياتى مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم لا يدركنى زمان ، أو لا تتركوا زمانا لا يتبع فيه العليم ، ولا يستحى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الاعاجم والسنتهم السنة العرب . وهذا الحديث منطبق على أهل زماننا .

كرامات الاولياء حق

وكرامات الاولياء ثابتة بالاجماع ، وقال العلماء : كل ما صح أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولى ، وقال فى جمع الجوامع : كرامات الاولياء حق . وأصلها من القرآن الكريم قوله تعالى : وكفلها زكرياء كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب « المراد مريم عليها السلام سيدة نساء العالمين ومنها كرامة أم موسى واسمها يوحانيد ، وهى انها أرضعت ابنها بأجرة لفرعون وهو قول الله تعالى : فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق « أى وعد الله لها برده اليها آخر الامر . ومن كرامات الاولياء ما حصل من الكشف لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فانه وجه جيشا لحرب فارس وأمر عليهم

سارية وبينما هو يخطب خطبة الجمعة بالمدينة المنورة ، اذ حصل له كشف ان الجيش قريب من السقوط في يد العدو ولم يبق له للنجاة الا طريق الجبل ، فناداه من أعلى منبر المدينة قائلاً له ياسارية الجبل الجبل من سرى الذيب ظلم ، فاستند الجيش الى الجبل فانتصر وبعد ان جاء سارية اخبر بأنه سمع نداء عمر من بلاد فارس . ومن كراماته ما كتبه لنيل مصر لما كتب له عامل مصر عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا ان القيت فتاة بكر كانت تشتري من ابيها ثم تحلى بأجمل الحلى كأنها زفت الى بيت زوجها ثم تغرق في النيل فمنعهم الخليفة وكتب الى أمير المؤمنين عمر بالخبر ، فأجابه ومع الجواب كتاب امره ان يلقيه في النيل ، وفيه : انك ان كنت تطلع من عند الله فاطلع ، وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك ، فطلع باذن الله ولم تلق فيه بعد ذلك فتاة وببركة عمر انقطعت تلك العادة الجاهلية والحمد لله ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان نارا كانت تاتي المدينة المنورة كل عام ، فشكا المسلمون ذلك لعمر رضى الله عنه فقال لغلّامه خذ هذا الرداء ، فاذا جاءت النار فأفرده في وجهك ، وتقل يانار هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع لوقتها ، فلما جاءت النار ضج المسلمون فارين ، فأخذ الغلام الرداء ، وخرج به الى ظاهر المدينة ، وفرده على وجهه كما امره سيده وتقال يانار ارجعى هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت في الحال ولم تعد .

ومن كرامات أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، انه اقتلع باب حصن خيبر ، قيل اشترك في جره أربعون رجلاً ، ومن كراماته ان النبي صلى الله عليه وسلم اختصه بعلم الاسرار فصار وراثه لابنائه من ذرية الحسين الى ان وصل الى جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر ، فدون وكتب وسمى كتاب الجفر ، والجفر لغة الصغير ثم صار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب ، وظل سرا من اسرار أهل البيت ، وكان لهم فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب الاسرار والمعاني ، مروية عن جعفر الصادق ، وكان هذا الكتاب من جلد ثور صغير ، والذي رواه عنه هارون العجلي ، وهو رئيس الشيعة الزيدية ، وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذى كتب فيه ، وقد ظل مخفياً عندهم ، ولم يعرف أى شىء عنه غيرهم ، وانما كان يظهر منه شواذ من الكلمات قال العلامة ابن خلدون : ولو صح سنده الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه ، فانهم أهل الكرامات ، واذا

كانت الكرامات تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا وآثارا من النبوة وعناية الله بالاهل الكريم تشهد لفروعه الطيبة ، وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى احد وقد ظهر الكثير منه في دولة العبيديين ، والاخبار عنها ، وعلى ما عندهم من الاخبار عنها كانت تسير ، وقد صح عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه كان يحذر بعض قرابته من وقائع تكون لهم فتصبح كما يقول ، ومن ذلك ما روى عنه أيام ضعف دولة بنى أمية من أنه قال : لابنى عمه الامام محمد النفس الزكية ، وأخيه يحيى بعد أن امتنع من البيعة لهما والله ليست لى ولا لكما ، وانما هى لصاحب القباء الاصفر ، يعنى أبا جعفر المنصور ، وكان قريبا منه ، ليلعبن بها صبيانهم وغلماهم كما قال : رضى الله عنه ، وكانت مدتهم ستة عشر أبا حسبما تقدم ، وقد حذر زيدا وابنه يحيى من مصرعيهما ، فقتلا وصلبا فى زمن هشام ابن عبد الملك ، ويقال انه انتقل الى المغرب وكان بيد ذرية عبد المومن والله اعلم . وهناك كرامات أخرى لاولياء من نساء اهل البيت ، كالسيدة نفيسة بنت سيدنا حسن الانوار بن سيدنا زيد الابليج بن الحسن السبط كان مولدها بمكة المكرمة سنة 145 هجرية ونشأت بالمدينة المنورة على العبادة والزهد وحجت 30 حجة راجلة ، وكانت تبكى من خشية الله بكاء كثيرا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول : الاهى وسيدى ومولاي متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا سبب لى اتسبب به يحجبك عنى . توفيت سنة 208 هجرية عن سن 63 سنة ، وهى دفينة القاهرة من بلاد مصر ، ومن كراماتها ان امرأة يهودية كانت تسكن بجوارها ، ولها ابنة مقعدة ، وأرادت الخروج يوما لبعض قضاء حاجاتها فلم تجد من يحرسها لها الى رجوعها ، فذهبت بها الى السيدة المذكورة ، واستأذنتها فى ذلك ، فأذنت لها ، وأدخلتها وأجلستها فى ناحية من المنزل ، وانصرفت ، ولما دخل وقت الظهر قامت السيدة المذكورة فتناولت ماء للوضوء فتوضأت ، وصبت شيئا من فضلة ماء الوضوء على الصبية المقعدة ، فتمدت أعضاؤها فانطلقت تمشى مشيا عاديا . فأسلمت اليهودية وأهل بيتها . ومن كراماتها انه حصل جذب فى مصر ولم يطلع لهم النيل فى وقته واستسقوا حتى اشدت الامر بهم ثم ذهبوا الى السيدة المذكورة ، وتوسلوا بها الى الله ، وسألوها الدعاء فدعت لهم ، وأعطتهم قناعها فجاءوا به وطرحوه فى النيل فما رجعوا حتى راوه زاد زيادة كريمة ، ففاض وارتتوا ورويت زروعهم وكرومهم ، وكانت سنة خصبة ، ولها كرامات أخرى عديدة

رضى الله عنها .

وهناك بمصر جماعة من نساء اهل البيت لهم مزارات مشهورة ،
ومساجد معمورة كالسيدة سكيئة بنت الامام الحسين رضى الله عنهما .
والسيدة رقية بنت الامام على بن ابي طالب ، واختها السيدة زينب بنت
الامام على وفاطمة الزهراء التى نفاها يزيد الى مصر ، والسيدة فاطمة بنت
الحسين السبط ، والسيدة صفية والسيدة عائشة بنت الامام جعفر الصادق .

قال العلماء : ولا يجوز الافراط فى حب الاولياء الاموات لانه ذريعة
الى الاثراك بالله اذ الافراط فى حبه يقتضى تعظيمهم ، وتعظيمهم قد ينزلهم
من القلب منزلة ليست لهم لان قلب المومن بيت لحب الله ولنور الايمان به ،
ولا ينبغى أن يدخل البيت من ليس البيت له ، فاذا دخل البيت من ليس له ،
فتد اصبح شريكا فى هذا البيت بلا اذن مولاه ، وليس من المعتول أن يصبح
من لا ملك له شريكا لصاحب الملك بلا اذن منه ولا رضى ، وهو غرور من
الشيطان اللعين وظلم للنفس مبین واعظم الظلم أن يظلم الانسان نفسه ،
رزقنا الله التثبيت من مزالق الشيطان ، ونور قلوبنا بالعلم والعرفان ، وروى
ان اول من وقع فى الشرك وعبادة الاوثان من هذه الطريقة قوم نوح عليه
السلام ، وكان سبب ذلك افراطهم فى حب قوم صالحين بعد موتهم ، وقصة
ذلك كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صارت
الاوثان التى فى قوم نوح تعبد عند العرب ، أما (ود) فكانت لكلب بدومة
الجنديل ، وأما (سواع) فكانت لهذيل ، وأما (يغوث) فكانت لمراد ، ثم لبنى
غطيف بالجرف عند سبا ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان ، وأما (نسر) فكانت
لحمير لآل ذى الكلاع ، فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما
هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ، ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا
يجلسون فيها أنصبا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد حتى اذا
هلك اولئك ونسى العلم عبت . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد قال :
حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ، ان يغوث ، ويعوق ،
ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما
ماتوا قال أصحابهم : لو صورناهم كانوا أشوق لنا الى العبادة ، فصوروهم ،
فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال : انما كانوا يعبدونهم ،
وبهم يستقون المطر فعبدوهم . وكل من سلك مسلك الافراط فى التعظيم

بالاولياء الاموات والخروج في شأنهم عن الآداب الشرعية فيما يتعلق بحبهم، لا يأمن من الوقوع في مثل ما وقع فيه اولئك المشركون بالله . وهو متمام الخطر على ايمان هذه الامة المحمدية والعياذ بالله ، والعصمة من ذلك في اتباع القرآن والسنة المطهرة .

ثورة القرآن على الشرك والعقائد الفاسدة

لما جاءت الرسالة المحمدية وجدت الامة العربية التي كانت تسكن ما يعرف بشبه الجزيرة العربية أغلب سكانها يتدينون بدين الشرك ، وكانت الكعبة المشرفة في مكة المكرمة مركز الشرك والمشركين ، وكانت الاوثان في جوف الكعبة وعلى سطحها 66 صنما ، والى جانبها صنمان هما : اسكاف ونائلة . فاهتم القرآن بادىء ذى بدء بتحطيم عقيدة الشرك متوعدا أهله بنار جهنم ، وكان في طليعة من اهتم القرآن بتحطيمه أيضا عقيدة اهل الكتاب ، وأشدهم تعنتا للاديان اليهود ، فقال تعالى : ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البريئة » وقال فيما انطوت عليه عقائدهم من احتقاد وبغض وعداوة لاهل الايمان بالله : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ثم استرسل في النهى عن الشرك وتقبيحه بجميع أنواعه فقال تعالى : واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » ووجه كونه ظلما للنفس عظيما بل هو اظلم الظلم ، ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه اظلم الظلم ان تجعل لله ندا وهو خلقك . ولانه اغتصاب حق الربوبية من العبادة والدعاء والندى والتعوذ والاستغاثة ، وصرفها للعبد الذى لا يستحقها بل سيتبرا منها ومن أهلها ، وهو معنى قوله تعالى : واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقال تعالى : ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » والمشرك ضال عن الصراط المستقيم ، قال تعالى : ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » هذه الآية الشريفة تصرح تصريحاً واضحاً بأنه ليس هناك من مخلوقات الله ضال عن طريق الحق مثل المشرك الذى يطلب حوائجه الدنيوية من جماد مخلوق لا يسمع ولا يبصر عاجز عن نفع نفسه فهو غافل عن عابديه وداعيه ، ولا يمكن

ان يستجيب لهم بشيء الى يوم القيامة ، لانهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، وقال تعالى متحديا عبدة الاوثان : قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » وقد اخبر سبحانه وتعالى : ان هذه الشركاء التى تدعى من دون الله سيجمعهم الله تعالى يوم القيامة بعابديهم وداعيهم ويسألهم عن تعبد ودعاء عابديهم وداعيهم فيتبرأون منهم الى الله وهو أعلم ، ويعتذرون له بقولهم : ما امرناهم بعبادتنا ، ولا شعرنا بعبادتهم ايانا ، وهو قوله تعالى : واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقال تعالى فى اهل الكتاب من اليهود والنصارى : وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يظاهرون. قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون اتخذوا احابارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الاها واحدا لا الاله الا هو سبحانه عما يشركون » وقال تعالى فى وصف هذه الدعاوى الباطلة : لقد جنتم شيئا ادا يكاد السموات يتفطرن منه . وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا » ويقول القرآن فى الذين افوا تقديس الشخصيات البشرية : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله « ان القرآن يدعو جميع البشر الى كلمة التوحيد التى هى لا الاله الا الله محمد رسول الله ، فبهذه الكلمة يكونون سواسية فيما بينهم متأخين فيها متحابين فى الاجتماع عليها حتى لا يكون بينهم فيها خلاف ، وهو مع ذلك يدعوهم الى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن ان يشركوا بالله وأن يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله . وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله ، قال : اليس كانوا يطلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم ؟ قال : نعم ، قال : هو ذلك . وهو الحق سبحانه له المثل الاعلى فى السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم اى الوصف الاعلى الذى لا شىء فيه لغيره ، وقد عرف به ، ووصف فى السموات والارض على السنة الخلاق ومنطق الدلائل ، وهو القادر الذى لا يعجز عن شىء من انشاء واعادة ، وغيرهما من المقدورات ، وهو الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه . وعن

ابن عباس رضى الله عنهما : المثل الاعلى هو : ليس كمثلثه شئء وهو السميع البصير « وعن مجاهد هو قول : لا اله الا الله ، ومعناه ، وله الوصف الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية فى الذات ، والصفات ، والافعال . ثم ياتى القرآن ويصور لنا حالتهم فى النار ، ويقول : يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا « أى لما ندموا على طاعتهم الشخصيات ، تمنوا حيث لا ينفعهم التمنى ، ووجوههم تقلب فى النار ، وتقلبها هو صرفها فى الجهات كما تصرف البضعة التى تدور فى القدر اذا غلت ، وكان التعبير بالوجوه خاصة لانها اكرم موضع على الانسان من جسده ، وهو من باب ذكر البعض وارادة الكل مجازا ثم يسترسل ويقول : وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا « والمراد بالرؤساء حكامهم الكفرة ، وهم على صنفين : رؤساء السوء وعلماء السوء ، ولذلك وقع عطف بعضهم على بعض ، فقال : سادتنا وكبراءنا ، أى ذوى الجاه منا لانهما أضلوهما عن الصراط المستقيم : صراط الله الذى له ما فى السموات والارض « وضلال السبيل الخروج عنه ، يقال : اضل السبيل ، واضله اياه ، ولم يبق حينئذ بأيديهم الا أنهم يسألون لهم مضاعفة العذاب ، جزاء لهم على ما قاموا به من الاضلال لما كان لهم من التمكن فى رقابهم ، فقلوا : ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا « ثم استرسل القرآن على عادته فى أسلوب التصوير عن طريق الحوار بين الرؤساء والمستضعفين بما لم يبق فيه للوضوح مجال ، فقال : ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكانا مومنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب « لقد أخبر سبحانه وتعالى عن عاقبة أمرهم فى الآخرة ، وما آل اليه أمرهم من الجدال فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أو لكل من يتأتى منه الخطاب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون محبوسون وهم يتجادلون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم والجواب محذوف ، وهو لرأيت بالعجب ، يقول الذين استضعفوا أى الاتباع للذين استكبروا أى الرؤساء والمقدمين امامهم فى أمورهم لولا انتم لكانا مومنين أى لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لكانا مومنين بالله ورسوله : قال الذين

استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى « نحن حرف انكار انكروا عليهم أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان ، وأثبتوا عليهم انهم هم الذين صدوا عنه بأنفسهم ، وانهم أوتوا من قبل اختيارهم بعد ما جاءهم الايمان ثم أتوا بببل التي للاضراب وقالوا لهم بل كنتم مجرمين أى كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا والعطف هنا على طريق عطف جملة مستأنفة على مثلها لتضمنها لمعنى آخر بل مكرم بنا بالليل والنهار ، ونسب المكر لليل والنهار لطول السلامة فيهما على سبيل المجاز حتى ظننا انكم على الحق اذ كنتم تامروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأشباهها وأمثالا وشركاء ، وهو بمعنى ابطال اضراب المستنكرين الاول كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكرم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ، ثم اسروا الندامة أى أخفوها ، او اظهروها لما رأوا العذاب محيقا بهم لا محالة ، والجحيم أمامهم ، والضمير للظالمين الاولين فندموا على ضلالهم واضلالهم ، وندم المستضعفون أيضا على اتباعهم في ضلالهم ، ثم ذكر جزاءهم في النار بعد ما دخلوها فقتال : وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون « وهو عبارة عن جعل السلاسل في اعناقهم جزاء لهم على ما صنعوا في دار الدنيا . وربما ظن منافقوا ومشركوا أهل هذا الزمان ان هذا لغيرهم ، وهم في مأمن وفي منأى عنه ، ومذهب أهل السنة والجماعة ان كل آية للوعيد في القرآن الكريم فهى تجر ديلها على العصاة من فجار هذه الامة لانه حكم الله العام لكل من سلك سبيل الضلال سواء من أهل هذه الامة او من أمم اخرى قبلنا . ثم يسترسل القرآن في التصوير والوصف فيقول : ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار « والمعنى ان القرآن يصور لنا في هذه الآيات المتقدمة حال المشركين المقدسين للشخصيات البشرية الذين يعطون لها ما هو من صفات وحق الربوبية الالهية ، وينزلونها منزلتها في التعظيم والتقديس ، ويجعلون جبهم فيها سبيلا الى ذلك ، ويظهر ذلك التعظيم



في الشفاعة بطلت شفاعته ، وهو معنى قوله : من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه « وقوله : فما تنفعهم شفاعتنا الشافعين » وقوله : ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتكم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفاعكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون « ومن اوصاف متخذى الشفيع هي ان يقدره ويرغب اليه ، ويدعوه ويرجوه ويعطيه من حب قلبه ما لا يجعله لله وحده فهذه عبادة فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك ، لانها تنافي الاخلاص المطلوب في القربات الالهية لله وحده . لقوله تعالى : ذلك بأن الله هو الحق وان ما تدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلى الكبير « وفي كونه هو صاحب الملك الاعظم يقول سبحانه وتعالى : الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينها وما تحت الثرى « جاء رجل الى الامام مالك يسأله عن الاستواء فأجابه بقوله : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وارك رجلا سواء . وفي الايمان بوحدة الالهية ، والتخصيص بالشؤون الربوبية والعبادة ، يقول الله تعالى لرسوله موسى عليه السلام مخاطبا له في أرض سيناء أرض البلاء قديما وحديثا : فلما اتاها نودى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى . «

وقال في الاختصاص واخلاص العبودية لله وحده : وما امرؤ الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين « والدين هو ما يدان الله به من العبادات الظاهرة والباطنة وقد فسره الامام محمد بن جرير الطبرى بالدعاء ، وهو جزء من اجزاء العبادات بل هو الاله منها ، لقوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح الدعاء مخ العبادة . ومخ كل ذات هو كل شيء فيها لانها تنعدم بانعدامه حالا ، ولذلك شبه الدعاء به تشبيها ضمينا لان جميع العبادات تعتبر صحيحة اذا كان الدعاء فيها لله وحده كما تعتبر معدومة اذا كان الدعاء فيها لغير الله ، لانه عين الاثراك بالله ، والعياذ بالله ، وقد جرت عادة السلف انهم يفسرون الآية ببعض افراد ما تدل عليه من معان فمن صرف منه اى الدعاء شيئا لقبر او صنم او وثن او ضريح او شجرة

أو ند لله كيفما كان حيا أو ميتا أو جمادا فقد اتخذهُ معبودا وجعله شريكا لله في الإهتة التي لا يستحقها الا هو ، لأنه هو الذي سيتولى بنفسه الحساب على ذلك ويجازى عليه وهو معنى قول الله تعالى : ومن يدع مع الله الإها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون « أى لا يفوز برضى الله ودخول الجنة . اذا علمت هذا وأردت أن تلتجىء الى ربك فى قضاء حوائجك الدنيوية والاخروية فليس هناك شىء أفضل من بيوت الله لانها البقاع المقدسة شرعا لورود الحديث بذلك ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها ، فقال حتى أسأل جبريل فسأل جبريل فقال حتى أسأل رب العزة ، فقال : خير البقاع المساجد وشرها الاسواق . وفى التنزيل قال تعالى : وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ومن الدعاء الطهارة والصلاة ، ويستوى فيها الفرض والنفل ، فان كان المصلى أو المسجد بالقرب من ضريح فلا يتوجه فى دعائه الى الضريح . ولا يطلب منه أى شىء كان ، لان ذلك ممنوع شرعا وعقلا بل يجب عليه أن يتوجه الى القبلة ، ويطلب من الله تعالى قضاء حوائجه الدنيوية والاخروية مباشرة بلا واسطة لانه قريب مجيب ، وهذا هو أفضل شىء وأقرب الى الصواب فى الادب مع الله تعالى وأحصن لعقيدة الايمان من الوقوع فى الشرك ، كما وقع فيه أهل الزيغ والجهل من أهل الاهواء ، الذين دفع بهم الشيطان الى مهاوى الهلاك عن طريق حب الاولياء الاموات ، وانما تحصل محبة الصالحين الصادقة باتباع ما كانوا عليه من طاعة ربهم ، وموافقتهم لما جاءت به تعاليم القرآن من طاعة رب العالمين ، أما محبتهم المجردة من أتباعهم فى الدين ، والاعتداء بهم فيه فهى محض جهل وشرك بالله ، وهذه المحبة أقرب الى ضر صاحبها من نفعه ، لان اولياء الله لا يحبون من كان على غير منهجهم فى الدين فى حياتهم الدنيوية وأحرى بعد موتهم ولانهم فى يوم القيامة سيتبرأون من كل من جعلهم شركاء لله .

وهذا نوع آخر من الشرك قد يقع فيه عباد المشائخ من أهل الزوايا ، المقدسين لشخصيات المخلوقات ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ، وغيرهم ، وأجلاها حديثا حديث أبى امامة هذا ، وقد رواه مالك عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة نادى مناد من

عند الله تبارك وتعالى أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية مسودة وجوههم زرق أعينهم قد أدلعوا السننهم يسيل لعابهم على صدورهم يقذروهم كل من في القيامة ، فيقولون ما لنا ؟ ما عبدنا شمسا ولا قمرا ولا وثنا فيأتيهم النداء من عند الله صدقتم ! ولكنكم جاءكم الكفر من حيث لم تحتسبوا . تفسير الحديث انما سموا خصماء الله لانهم ادعوا الشرك مع الله ، اخرج ابن العربي على شرح الترمذى . لان هؤلاء فرقوا دين الله وكانوا فيه شيعة ، والزوايا هى بيوت خاصة بأهل الاحزاب ، فهى جملة البدع التى ابتدعوها فى الدين فهى بمثابة الدير عند المسيحيين ، الذين قال الله فيهم : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها « والاسلام الذى دعا اليه النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو التوحيد فى كل شىء وعدم التفرقة والاختلاف . فالتوحيد الاول جمعهم على كلمة واحدة وهى لا اله الا الله محمد رسول الله وفى بيت واحد هو المسجد وفى قبلة واحدة وهى الكعبة المشرفة ، ومعاذ الله ان من يعادى الصلاة فى بيت الله يكون من المسلمين ، وان الكثير من أهل الزوايا فى هذا الزمان يعادون الصلاة فى بيوت الله ، واكثرهم تشنيعا فى هذا اهل مدينة طنجة وهم يقرأون قول الله تعالى : ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء « ويهرون عليها كأنهم نائمون او ان هذا القرآن نزل لهذه الامة لغير العمل بمقتضاه . وما من شىء قد يجلب التفرقة او العنصرية بين المسلمين الا ونجده محرما فى دين الاسلام ، ولم يبق بعد الوضوح والبيان الا العناد والخذلان : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور « .

وعليك ايها المومن الموحد الملازم للمسجد بالتمسك بطاعة ربك فانت قائم على الحق وغيرك على الباطل ، واثبت فى ايمانك على اصول دينك واحفظه من الشرك ، فان القرآن معك يؤيدك فى المسجد ، معك فى منزلتك ، معك فى المجتمع ، معك فى وقوفك بين يدي خالقك تخاطبه بأحسن ما تكون عليه وانت بين يديه بقوله سبحانه : ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له « وقوله سبحانه : انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين « والآيتان محتويتان على التبرىء من الشرك واختار العلماء قراءتهما عند الاحرام فى الصلاة الفريضة ، وكذلك الكلمات التى ورد الحديث فيها بأن قراءتها فى كل مرة تعتق الربيع من

النار ، فاذا قرئت أربع مرات أصبح قارئها معتوقا من النار ، وهى : اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك . واستحسن العلماء قراءتها قبل صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وبها يقلع عرق الشرك من القلب ، وخذ تعاليمك من القرآن والسنة ، واحذر مخالفة القرآن ، وجدد ايمانك بالوحدانية فى كل لحظة من لحظات حياتك لما ورد ان الشرك يدب فى عقول الامة دبيب الذمل ، وتيقظ ولا تكن من الذين قال الله تعالى فيهم : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ولا تكن من الذين قال الله تعالى فيهم : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون « اى العالمون به وبأسمائه وصفاته وأخذ من الآيه ان الله لا يعاجل من عصاه بالعتوبة ، وفيها تحقير لعقول المشركين وتسفيه لاحلامهم ، حيث اهتموا بعبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ولا قدرة له حتى عن دفع الذباب عن نفسه ، وتركوا عبادة الواحد القهار القادر على كل شىء الحكيم الذى لا يفعل شيئا فى ملكه الا بحكمة وتدبير . ان أخوف ما يخافه المومن الموحد على ايمانه هو أن يخالطه الشرك فيه من حيث لا يشعر ، وهو امتحان خطير دقيق لا يترك طبقة من طبقات أهل الايمان الا ولجها ولا ينجو منه الا الحذاق الفطناء من العارفين بالله الذين قال الله تعالى فيهم : ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون « والمشرك مقرر بالربوبية موحد فيها كافر بوحدة الالهية ، ومن أجل توحيد الربوبية يعتقد ان الله خالقه ورازقه كما هو خالق السموات والارض ، ومن أجل ذلك قال الله تعالى فيهم : ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله « وهو مع ذلك لا ينفك عن عبادة ودعاء غير الله معه ويقتل ويقتل من أجل اثبات عقيدته الشركية ، وكانوا يرددون الفاظا شركية ويقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقد رأيت ان اكتفى بهذا القدر لما تضمنه من اقناع اللبيب ، لان اللبيب تكفيه الاشارة ولا يحتاج الى الاطناب فى العبارة ، اذ تتبعه يطول بنا لان مجاله القرآن كله ، ومن أراد الزيادة فعليه بمراجعة القرآن .

فتوى العلامة شيخ الجامع الأزهر

رد الجواب من شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ عبد الرحمن خليفة عن
أسئلة اعتقادية فيما يتعلق بالاولياء الاموات وأحوال الناس فيما ياتونه
عندهم ويرجع تاريخ هذه القصة الى سنة 1355 هجرية — 1936 ميلادية،
وسببها ان عالمين من علماء الأزهر ، أحدهما كان خطيبا بجامع نزلة السمان ،
والآخر كان مدرسا بالأزهر ، فنهى الخطيب الناس في صلاة الجمعة عن
زيارة الاولياء الاموات ، وحذرهم من دعائهم وطلب الحاجات اليهم والاستغاثة
بهم مبينا لهم ان ذلك كله ممنوع شرعا ولا يجوز الاقدام عليه من طرف من
كان يؤمن بالله ورسوله كما ابان لهم ان الجائز في ذلك انما هو سؤال الله
مع التوسل بهم اليه سبحانه وتعالى في أوقات الاجابة ، ويحرم التوجه اليهم
عند سؤال الله والتوسل بهم وذلك ما يفعله بعض جهلة المسلمين ، وهذا
محل وفاق بين المسلمين ، فان العبد لا يطلب حاجاته الدنيوية والاخروية
الا من الله تعالى وحده ، فكما لا يجرؤ المسلم ان يقول للولى اغفر لى أو
تب على من الذنب الفلانى أو ادخلنى الجنة ، لا يجرؤ كذلك أن يقول للولى
ارزقنى ، أو زوجنى أو يسر لى أمر الوظيفة الفلانية ، أو كما تقول المرأة
المسلمة الجاهلة : لك ياسيدة زينب ذبيحة أو كذا من الدراهم أو الدنانير
النقدية المصوغات ، أو الشمع ان شفيت مريضى أو كما يقول المشرف على
الغرق فى نهر النيل : يا سيدة زينب انقذينى وانتشلىينى من الغرق ، كل
هذا لا يحل للمسلم ان يقوله شرعا ، وان كان يعتقد ان الفاعل فى ذلك كله
هو الله سبحانه وتعالى . وهذا هو موضوع الخلاف الذى ثارت من أجله
الخصومة بين خطيب الجمعة المذكور ، ومؤيديه ، وبين الاستاذ الشيخ
محمد جابر المدرس بالجامع الأزهر ومؤيديه ، اذ هو القائل : اذهبوا الى
السيدة زينب واطلبوا منها ما تحتاجون اليه ، وقبلوا اعتبارها ومقامها ،
واذهبوا كذلك الى غيرها من باقى المشائخ والاولياء وانا المسؤول . ! !
ولما احتد النقاش بين الفريقين وتمسك كل برأيه ارتفع الخلاف بينهما الى
شيخ الجامع الأزهر المذكور ، وكان السؤال المرفوع اليه يتضمن أربع
نقط : 1 — رجل من المسلمين قبل بضمه مقصورة السيدة زينب معتقدا ان
ذلك مندوب أو سنة أو واجب ، هل يكفر ، أو يفسق ، أو يبدع ؟ 2 — طلب
الحوائج من نفس الاولياء فى قبورهم هل يكفر به المسلم ؟ 3 — رجل طلب

من السيدة زينب أو من السيد البدوي أن يرزقه ثم مات عقب ذلك هل يموت كافرًا فلا يدفن في مقابر المسلمين ؛ أو يموت مؤمنًا ؟ 4 — رجل من المسلمين يعتقد أن بعض الأولياء يتصرف في قبره على معنى أن الله تعالى يقضى بواسطته حوائج الناس ، وهل لو اعتقد المسلم أن بعض الأولياء يتصرف في الربع أو ربع الكون بالمعنى المتقدم بغض النظر عن صحة ذلك أو اعتباره عدميًا أو واقعيًا ، فإن اعتقد مسلم ذلك فهل يخرج عن دائرة الإسلام ؟ بحيث لو مات يدفن في مقابر الكفار ، ولا يصلى عليه : أرجو يا فضيلة الشيخ الجواب عن ذلك ولك من الله الأجر والثواب .

قال العلامة المفتي الأكبر في الجواب عن السؤال الأول : ليس التقبيل بمكفر وإنما هو بدعة يستتاب صاحبها . فإن تاب تاب الله عليه ، ولا يكفر . وقال في الجواب عن السؤال الثاني : طلب الحوائج لا يكون إلا من الله تعالى وحده ، وقول العامي لصاحب القبر يا سيدي فلان ليس معناه أدعوك بل معناه أتوسل بك إلى الله تعالى ، فاستغاثته بالولي مجاز عن توسله به ، وجعله سببًا في قبول الدعاء فأل الأمر بهذا التاويل إلى أنه يطلب من الله بسبب الولي لا من نفس الولي ، لعلمه أن الولي لا يستجيب دعاءه ، ولا يقدر أن يعطيه ما يطلب ، ولكن ينبغي تنبيه العوام على ما يصدر عنهم من الاغلاط الكثيرة التي تتدح في توحيدهم . قال العلامة الكردي في فتواه : أما جعل الوسائط بين العبد وربّه ، فإن كان يدعوهم كما يدعو الله في الأمور ، ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله تعالى فهو كفر ، وإن كان مرادهم التوسل إلى الله تعالى في قضاء المهمات مع اعتقاده أن الله تعالى هو النافع الضار الموثر في كل الأمور ، فالظاهر عدم كفره ، وإن كان فعله قبيحًا اهـ . من كتاب نصره الإمام السبكي .

وقال في الجواب عن السؤال الثالث : هذا الرجل نحمل حاله على الصلاح وأنه مات على الإسلام ، تحسينًا للظن بالمسلم ، وحسن الظن بالمسلم واجب ولا تجوز أساءة الظن به ، كما نص على ذلك العلماء ، وقالوا إن ظن المؤمن على نوعين : ظن هو اثم ، وهو ظن السوء بالله تعالى ، بأن نظن أنه لا يرزقه ولا ينيله مأموله ، لا عاجلاً ولا آجلاً ، فهذا النوع من الظن حرام ، لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى . ومثل هذا في الأثم والمعصية سوء الظن بالمسلم الذي

ظاهره العدالة ، والنوع — الثانى — ظن مباح وهو ما يهجس فى القلب من خواطر الظنون ، لان ذلك شىء لا يملكه الانسان ، وسوء الظن بالمسلم قبيح ، وهو توجيه التهم التى تجيش بالقلب اليه ، من غير أن تستند الى قاطع ، فاذا كان توجيه هذه الظنون والتهم القلبية التى لا يقطع بها صاحبها الى المسلم محظورا ، فكيف اذا كانت تاخذ عند صاحبها صورة اليقين والتحقق والقطع المستند الى الامور الوهمية والادلة الواهية المستمدة من الوهم والخيال ؟ بل كيف اذا كانت هذه الظنون والتهم تقطع بكفر صاحبها وهو من المسلمين وتجرده من حلية الايمان بعد أن حيب الله الى المومنين الايمان ، وزينه فى قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان .

وقال فى الجواب عن السؤال الرابع : قد علمت من الاحاديث التى سقناها ان الابدال ومنهم القطب ، وظيفتهم الدعاء للمسلمين لا التصرف فى الكون ، لان الكون عظيم جدا قد صنعه الله تعالى وابدعه واخترعه ، ورتب نظامه ونواميسه وقام بقدرته على حفظه ، وليس لمخلوق كائنا من كان أن يشاركه فى التصرف فى ذرة واحدة من ذراته ، فضلا عن أن يتصرف فى ربع هذا الكون العظيم ، الذى يذهل العقل البشرى عند تصور عظيمته واتساعه فوظيفة هؤلاء كما قلنا تنحصر فى الدعاء للمسلمين عند فساد حالهم واختلال أمورهم ، والله يستجيب دعاءهم لصفاء قلوبهم ولبلوغها درجة صارت بها فى الصفاء على قلوب الاصفياء من الملائكة والمقربين من الانبياء والمرسلين ، ولا نظن ان مسلما يعتقد ان احدا من المخلوقين مهما شهد له الناس بالولاية أو القطبانية يتصرف فى الكون تصرفا حقيقيا أو مجازيا على معنى ان الله تعالى يدمع لهم حصة من الكون يتصرفون فيها . لان المسلمين جميعا يعتقدون ان الله هو القادر لا غيره ، وان من موجبات قدرته الا يكون عاجزا فيحتاج الى من يعينه فى ادارة مملكته وان اعتقد مسلم غير ذلك وصرح بأن القطب أو غيره يعاونه فى ادارة حصته من الكون ، يستتاب والا قتل . والله اعلم .

وقال حضرة المفتى المذكور : وينبغى أن أبدا بذكر مقدمات يمكن الاستناد اليها فى اصدار احكام صحيحة فى هذه المسائل التى جمعها السائل فى سؤاله كالمعتز الذى يريد احرابى وادخالى فيما لم ادخل فيه من تكفير أهل القبلة بمجرد الظنة والشك تمشيا مع الهوى والغرض كما فعل ذلك ابن

تيمية وأصحابه ومن على شاكلته من المتكلمين في البدعة والسنة من العلماء السلفيين وأسرفوا فيه كل الاسراف ، حتى كادوا في مقالاتهم يخرجون أهل القبلة عن دائرة الاسلام ، وهذه هي المقدمات والقواعد التي يجب تقديمها بين يدي الموضوع ، قال في جامع الفصوليين في فصل الكلمات الكفرية : قال الطحاوي في روايته عن ابي حنيفة رحمه الله ، والذي اراه وعليه اصحابنا انه لا يخرج الرجل من الايمان الا جحود ما ادخله فيه ، ثم قال ما مثاله : ما يعلم بيقين انه ردة اذا صدر من المسلم حكما عليه بالردة لان الاسلام الثابت المبنى على الايمان الصحيح لا يرتفع ولا يزول بالشك مع ان الاسلام يعلو والكفر يسفل ، فكيف نزيل العالى الشريف بالسافل الخسيس ، ام كيف نرفع ما هو ثابت بيقين بما عرض لنا من الشك والاحتمال وينبغي اذا رفعت للعالم مسألة فيها شك واحتمال ، ان لا يبادر بتكثير أهل الاسلام ، مع انه يقول بصحة اسلام المكره ، هذا معنى كلام الامام الطحاوي من كبار أئمة الحنفية ، فلنجعله ميزانا ومعيارا .

وقالوا ان صدور ما هو كفر باتفاق بحيث لا يقبل تاويلا ، ولا ينطرق اليه الشك والاحتمال ، حكمه انه يحبط العمل ، ويوجب على صاحبه اعادة الحج لو حج ، ووطىء امراته زنى الى غير ذلك من الاحكام التي تترتب على الردة .

اقول : وعندنا معشر المالكية تحبط العمل كذلك ، وعليه ينص الشيخ خليل بقوله : في باب الردة : واستقطت صلاة وصياما وزكاة وحجا تقدم ونذرا وكفارة ويمينا بالله أو بعثق أو ظهار ، واحصانا ووصية — وقوله واستقطت صلاة أى ثوابها ان فعلت أو وجوبها ان لم تفعل ، فهو اذا تاب من الردة ورجع للاسلام ، فيجب عليه ان يستأنف جميع الاعمال التي يثاب عليها المسلم ، من جديد وأما اعمال ما قبل الردة فقد ذهبت هباء منثورا كما قال تعالى : وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا « أما صدور ما هو كفر وفيه اختلاف العلماء ، فان الصادر منه هذا الكفر المشكوك المختلف فيه ، يومر بالتوبة وبتجديد النكاح ، والرجوع الفعلى عن هذا المكفر ، وأما صدور ما يوجب الكفر منه خطأ ، فالصادر منه ذلك مومن على حاله . والخطأ مرفوع لقوله عليه الصلاة والسلام : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . ولا يومر بتجديد النكاح بل يومر

بالرجوع عما أخطأ فيه والاستغفار ، وقالوا ولو كان في المسألة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنع التكفير ، فعلى المفتى أن يميل الى الوجه الذى يمنع التكفير تحسينا للظن بالمسلم . وقال حضرة المفتى المذكور : نقلا على رأى الشيخ محمد جابر فى قوله : اذهبوا الى السيدة زينب واطلبوا منها ما تحتاجون اليه ، وقبلوا أعتابها ومقامها الى آخر كلامه . أنا لا أوافق معه على هذا ولا أستطيع أن أقول للناس اطلبوا من السيدة زينب ومن المشائخ والاولياء حاجاتكم ، فان هذا دعاء والدعاء لا يكون الا لله وحده ، ولو توسل اليه بالولى لم يضر ، والله تعالى هو الذى يستجيب الدعاء ويقضى حاجات السائلين ، فكيف أجوز للناس أن يدعوا من دون الله أحدا ؟ أم كيف أجوز للزائر أن يهوى الى عتبة الولى فيقبلها وهو على هيئة الساجد ؟ انى لو فعلت ذلك أو قتلته والعياذ بالله لكنك هادما لاول أصل من أصول الايمان وهو التوحيد ، ولجهلى الناس ونسبونى الى أكبر من الجهل ، ولسلقونى بالسنتهم ورشقتونى بأفلامهم فليعزرنى حفظه الله اذا لم أوافق صاحبه ، وهذا الخلاف بينى وبينكما فى رأى لا ينافى انى كفى من المسلمين ، استحب زيارة الاولياء واحبهم لان الله تعالى يحبهم ، وأتبرك بأثارهم ، وأزورهم الزيارة الشرعية كسائر الناس ، وذلك بأن أسلم على صاحب الضريح ، وأقرأ الفاتحة وأدعو الله دعاء خالصا بما يحضرنى من أمور الآخرة وأمور الدنيا ، وأجلس برهة لقراءة ما تيسر من القرآن ، ثم أنصرف بلا طواف بالضريح ولا تمسح بالمقصورة وهذا ما يفعله كل الناس وخاصة الطبقة المتعلمة .

أما ما يصدر من الجهلة والعوام ، وبخاصة النساء فهذا ما يجب على الأمة ارشادهم الى مجانبته ، ولا أقول بما ذهب اليه ابن تيمية وأصحابه ان الدعاء عندهم يساوى دعاءهم والدعاء بهم ، وأن ذلك ما كان يفعله المشركون فى بيوت أصنامهم ، وأن ذلك كله من الشرك الخفى أو الجلى ، بل أقول ان الدعاء الذى يتوجه به العبد الى ربه جائز ومقبول فى أى مكان وان ما كان منه فى الضريح أفضل مما كان خارجه لان الداعى فى هذه الحالة يكون متوجها الى الله متذكرا ما كان عليه اولياء الله واحبابه من الطاعة والعبادة ، متاسيا بسيرتهم متأثرا بما أفاضه الله عليهم من حب وكرامة ، راجيا من الله تعالى أن ينال درجاتهم أو يدانيها فى الاخلاص لله سبحانه فى الدعاء والعبادة وأن ما كان منه فى المسجد أفضل مما كان منه

فى الضريح وهى مفضلة بالانتساب اليه سبحانه ، والواجب على المسلم ان يعمرها بالعبادة والطاعة ، ومنها الدعاء ، وانا لهذا كثيرا ما اتحنى ناحية من المسجد مستقبلا القبلة وادعو ربي جاهدا واسأله حاجتى فيما بينى وبينه ذليلا خاشعا وان ما كان دعاء خالصا لله يتوجه فيه العبد الى الله بواسطة وليه وحببيه وكلاهما جائز بشرط ان يكون الدعاء بالولى مقرونا باعتقاد ان المستجيب هو الله ، وانه ان شاء اعطى وان شاء منع ، وان الولى لا يملك بشفاعته اى بواسطة عند الله شيئا ، وينبغى ان يعلم هنا انى اذا قلت بجواز اتحام الوسيلة فى الدعاء فانما اقول ذلك بناء على ما ذهب اليه كثير من العلماء عملا بالاحاديث الواردة فى التوسل ، وتلافيا للفتنة القائمة بين نفاة الوسيلة وانصارها ، والا فمذهبنا نحن معشر الحنفية قائل بالكراهة ، فتقد قال العلامة القدورى فى كتاب الكرخى : قال بشر بن الوليد : قال : سمعت ابا يوسف يقول : قال الامام ابو حنيفة : لا ينبغى لاحد ان يدعو الله تعالى الا به ، واكره ان يقول اسألك بمعقد العز من عرشك ، واكره ان يقول بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام . قال ابو الحسن القدورى : اما المسألة بغير الله فممنكرة فى قولهم لانه لا حق لغير الله عليه ، وانا الحق لله تعالى على خلقه ، وقال ابن بلدى فى شرح المختار : ويكره ان يدعو الله تعالى الا به فلا يقول اسألك بفلان او بملائكتك او نحو ذلك ، لانه لا حق للمخلوق على خالقه ، او يقول فى دعائه اسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن ابي يوسف جوازه ، اى جواز قول الداعى اسألك بمعقد العز من عرشك ، لما روى انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك لانه انما يراد به القدرة التى خلق الله بها العرش مع عظمته فكأنه سئل بأوصافه ، والكراهة فى المذهب اذا اطلقت فانها تنصرف الى الحرام عند محمد ، اى ابن الجسن الشيبانى صاحب ابى حنيفة ، والى ما هو الى الحرام اقرب ، وجانب الحرمة عليه أغلب عند ابي حنيفة و ابي يوسف ، والسر فى كراهة السؤال لغير الله ان الشيطان اذا اوحى الى السائل ان الالتجاء الى الله بغيره ، ودعائه بواسطة احد من خلقه ابلغ فى تعظيمه ، وانجح فى قضاء حاجته ، ونقله درجة اخرى الى دعائه من دون الله تعالى والسجود على عتبة بابه ، والعكوف على قبره والطواف به وتقبيله والنذر له ، ثم ينقله درجة اخرى الى اعتقاد الهيته ، ودعاء الناس الى عبادته ، كما وقع لفلاة الشيعة من اعتقادهم الهية امير المؤمنين على

ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ومن أكثرهم غلوا كما جاء فى الملل والنحل للشهرستانى عن بيان ابن سميعان الهندى هو وأتباعه فإنه قال : حل فى على جزء الهى واتحد بجسمه ، فبه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم أى الحروب وصح ما أخبر به ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر عليهم ، وبه امتلح باب خيبر ، ورووا عنه أنه قال : والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ، ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة ، فالتقوة الملكوتية فى نفسه كالمصباح ، وقال بيان أيضا : فى تفسير قوله تعالى : هل ينظرون الا أن ياتيهم الله فى ظلل من الغمام — أراد به عليا فهو الذى ياتى فى ظلل من الغمام ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ولا يزال بعض بقايا هذه العقائد الضالة فى رؤوس المسلمين الى اليوم ، فإنك تشاهد غلمان القاهرة إذا ابتدأ المطر ، وجلال السحاب السماء يصيحون يابركة على زد ، وهو أثر من بقايا تلك العقائد الفاسدة القائلة بوجود على فى السحاب ، وقد تبرأ من الخوارج ومن هؤلاء رضى الله عنه فى كلمة يقول فى أولها : برئت من الخوارج لست منهم . ويحضرنى قول بعض الشعراء وهو محل الشاهد منها قوله :

ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب

فقد أوصدت الشريعة الإسلامية هذا الباب ، باب دعاء غير الله سدا للذريعة حتى لا يلج الناس منه الى الشرك ، كما وقع للقائلين بالحلول والتناسخ ، والآيات الكريمة التى سنأتى بها فى هذا البحث ناطقة بالحيلولة بين الاعتقاد الصحيح للمسلم ، وبين دعاء كل من هم من دون الله مصرحة بأنهم لا يسمعون ولا يستجيبون للداعين بشيء ، وبأنهم لا يملكون ضرا ولا نفعا ، ولا يكشفون عن أحد سوءا ، ومن بلاغة القرآن الكريم تعبيره عن آلهتهم وأصنامهم بضمير العقلاء للإشارة الى أن هذه الأصنام كانت فى الأصل صورا لقوم صالحين أو لبعض أرواح الملائكة أو الكواكب ثم تنوسى الأصل وعبدت من دون الله ، واختصوها بدعائها والالتجاء اليها فى طلب الحاجات وبامعان النظر فى قوله تعالى : ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين « يتضح ذلك جليا فان التعبير عنهم بالوصول الذى يستعمل للعقلاء والاخبار عنهم بأنهم عباد نظير غيرهم من سائر عباد الله ، فيه اشارة ظاهرة الى أنهم يدعون أصحاب هذه الصور

والتماثيل لانفس الصور التى تمثلهم ، فكأنهم يدعون فى أشخاص هذه الصور اصحابها ، فلذلك يعبر القرآن الكريم بالالفاظ الدالة على العتلاء . - ولما كان لكل أمة انبياء وصلحاء وأولياء من العارفين بالله ، وقد أحرزت الأمة المحمدية من ذلك على قصب السبق بين الامم الغابرة : وكلهم أحباب الله لانهم من الخاصة المقربين الذين اصطفاهم المولى جل وعز لحضرتة ، واختصهم بالانس من قربه ، وكان منهم الرسل وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه فى تبليغ الشرائع اليهم لتوضح لهم طريق السعادة الاخروية الابدية ، وبتابعهم لها سيتجنبون طريق الشقاوة الابدية ، وكان من ذلك الاقتداء والاتباع لما جاءت به أولئك الرسل ، أولياء وصلحاء وعارفون بالله على قدم انبيائهم ، وأولياء هذه الأمة على قدم نبيها محمد صلى الله عليه وسلم وكان هناك من يحبهم لحب الله اياهم ، ولقربهم منه تعالى طمعا فى نيل بركاتهم فى هذه الحياة الدنيا وشفاعتهم عند الله فى العقبى ، ولكنهم مع مرور الايام وازدياد حبهم لهم عم بعضهم الجهل بأحوالهم فتدخل الشيطان وزين لهم اعمالهم واستغل افراطهم فى الحب المجرى من نور العلم بمعرفة احوال الديانة ، فحواله الى تقديسهم وعبادتهم من دون الله ، وتلك طريقة متبعة فى سائر الامم ومن أجل ذلك جاء القرآن ليقطع على هذه الأمة سبيل الغواية والضلال التى وقعت فيه الامم الاخرى بقيادة الشيطان ، فقال تعالى : يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير » وقوله عدو أى ظاهر العداوة وقديمها من عهد أبيكم آدم ، قد فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وأفعالكم ، ولا يوجد منكم الا ما يدل على معاداته فى سرهم وجهرهم ، لان غاية دعوته هى ان تكونوا معه من اصحاب السعير . ومتى حصل على ذلك فقد استراح من تعبته . وبعد ان تيقن المشركون من ان محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، دعوه الى عبادة الشرك ، وهى عبادة آباءهم واجدادهم ، فقال تعالى ، مجيبا لهم ومبيناً له ما هو الحق من الباطل : قل افغير الله تامرونى أعبد ايه الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » وكان قد استمر الحال من قبله على عبادة الشرك عبر عصور الخليقة ابتداء من

عصر نوح عليه السلام فتوارثته الاجيال من كل أمة ، وقد كان نصيب العرب في جاهليتها أوفر نصيب ، وبعد ان جاء الاسلام كان اول ما صنع وجه عنايته وركز جهاده في تطهير العقيدة من رجس الوثنية الجاهلية وعبادة الشرك الذي كانت عليه الامة العربية في جاهليتها ، وكانت معركة الفتح الاعظم فتح مكة معركة فاصلة بالنسبة الى الامة العربية بين ماضيها الجاهلي الشركي وبين مستقبلها القرآني التوحيدى ، ويوم الفتح الاعظم توجه نبي الله ورسوله للكعبة المشرفة ليظهر حرمتها من رجس الوثنية القرشية بعد أن طهر منها العقول النقية وأفعمها ايمانا واسلاما ، فتقدم اليها بنفسه وجعل يزيح عنها الاوثان بيده الكريمة وكانت منصوبة على ظهر الكعبة وبداخلها والى جانبها ، فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعود في يده ، ويردد هذه الآية : **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** « وقوله : **وما يبدىء الباطل وما يعيد** » ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام ، وبيدهما الازلام ، وقال عليه الصلاة والسلام **تاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط . وهو قوله تعالى : هناك تبلو كل نفس ما أسلفت ورددوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** « أى غاب عن أهل الباطل افتراؤهم بسبب ظهور الحق الثابت الدائم ، وهكذا كل حال من اعتمد على غير الله ، تقرا عليه هذه الآية . وينبغي للانسان ان يستغنى في خلاص نفسه من الوهم الذى يلجئه الى الاعتماد على غير الله من جاه ، أو مال ، أو علم ، أو عمل ، أو غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا ، فيتبع الحق ويجتنب الباطل ، وبهذا الامر يتبين الولي من العامى ، فالولى يرى الاشياء كلها ظاهرا وباطنا من الله ، فهو دائما مطمئن ساكن مسلم له وحده ما يفعله ، والعامى يعتقد ذلك بقلبه غير ان وهم الجهل يخيل له ان لغير الله ضرا ونفعا فيكون دائما في تعب ونصب مع قلبه . ولهذا قالوا صفة اولياء الله في ثلاثة ، الثقة بالله في كل شئ ، والفقر اليه في كل شئ ، والرجوع اليه من كل شئ .

ثم شرع الاسلام في تدعيم اسس العقيدة الصحيحة للمسلم المحمدى بالحجج القاطعة الدامغة ، والانوار المحمدية الساطعة ، حتى لا يرجع بها الشيطان مرة اخرى مع مرور الزمن الى الوقوع فيما وقعت فيه الامم السالفة وقد بين ذلك اتم تبين ، الا ما استثنى من محقرات الاعمال ،

قال عليه الصلاة والسلام : بعد ما تم النصر ورسد القواعد وأحكمت أسس البناء في حجة الوداع : أيها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد في ارضكم هذه ، ولكنه قد رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . وهو صلى الله عليه وسلم يثير بهذا الى ما بقى في هذه الامة من الشرك الخفى الذى لا يعرفه كل الناس ، وقد يقع فيه الانسان وهو لا يشعر ، ويرتكب نوعا من الظلم الذى يحتقره الانسان ، وهو هدف من اهداف الشيطان ، الشرك الخفى ومنه الحديث : من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان الرجل . أى لاجله . ولعل الشيخ ابن مشيش من هذا كان يخشى على ايمانه حيث قال : وانشلى من احوال التوحيد واغرقنى في عين الوحدة . ولعل احوال التوحيد هى انواع الشرك الاربعة : الشرك الاكبر ، والشرك الاصغر ، والشرك الجلى ، والشرك الخفى . وعلى رأسها النفاق ، فهذه هى حبال الشيطان التى يصطاد بها قلوب بنى آدم ، ولا يكاد يسلم منها الا من عصمه وأخذ بيده ، ومما يجر الى ذلك اعتقاد الوساطة بين الخالق والمخلوق في الدعاء لله ، وليس منها التوسل بالحصى كما تقدم ، وقد تكفل القرآن بنفى الوساطة فيما بين الله وبين خلقه في كل ما هو عبادة أو دعاء لله وحده ، حتى تخلص عبادة المسلم المحمدي من شوائب غير الله لله وحده لا شريك له ، كما يظهر ذلك جليا من اقوال الحاج بعد اجرامه بالحج ، وهى التلبية ، ولفظها : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . ومعنى لبيك اجابة لك بعد اجابة وانظر محل القرب هنا بين العبد وربه ، اذ يناجيه بضمير المخاطب ، والمخاطب لا يكون الا حاضرا ، ومنه اياك نعبد واياك نستعين ، وعلى هذا المنوال سارت المناجات بين العبد وربه ، وقد اثنى الله تعالى على الناجين من الشرك بأنواعه الاربعة فقال : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون « وقد تقدم ان الشرك اظلم الظلم ، وليس لدينا من الشكر والثناء ما نكافىء به علماء الشريعة الاسلامية والقائمين عليها باخلاص حيث حملوها الينا نقية خالصة منظمة واقام على احكام تنظيمها الائمة الهداة المجتهدون الاولون ، ووضحوا لنا سبيل الهداية في كل مجال ، واغنوننا عن المحترفين بالشريعة من اهل زماننا هذا اللهم الا أننا ندعو الله ان يجازيهم عنا وعن امة محمد صلى الله عليه وسلم احسن الجزاء آمين واليهم يرجع الفضل في حمل هذه الرسالة السماوية

الطاهرة ، والنضال من أجل بلوغها حتى وصلت اليها والحمد لله نقيه لامعة محفوظة من كل غش او زيغ او عبث مدعمة بحجج الكتاب والسنة ، ولن يزال دين هذه الامة محفوظا بحفظ الله اياه كما قال الله تعالى : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون « ولا عبرة بما هي عليه حالة السواد الاعظم من الامة ، لانها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فانها في كل زمان يسودها الجهل والمخالفة والشروع الموبقة والظلم والزيغ والفتن والشيطان يسوقهم ويسول لهم اعمالهم ، ويزهدهم عن سؤال العلماء الذين بهم يبصرون في جميع احوالهم وشؤون دينهم حتى ابتعدوا عن الصواب في كل شئ وولجوا كل باب من ابواب هلاك انفسهم ، والقرآن يتلى بينهم في كل ناد وفي كل مقهى وفي كل دار وكل دكان حتى في عنق كل انسان وجيبه ويده يقيم الحجة عليهم وهم غافلون نائمون عنه وهو يخاطبهم بقوله تعالى : فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون « وظل اهل العلم بينهم غرباء ، واهل النصيحة متهمين اعداء ، وعند ما خلا الجو من العلم والاهتداء بهديه رجع بهم الشيطان الى الجاهلية الاولى حيث ان مات عليها كان مخلدا في النار وبعيدا عن شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأوتعهم في مزالق الكفر والشرك بجميع انواعه ليكونوا من اصحاب السعير وهم لا يشعرون نائمون ويسمعون المؤذن يقول الله اكبر وهم نائمون في الفرش والسرير مع النعميات بين الغطاء والوطاء كأنهم آمنون مطمئنون ، وصددهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون ، ولا يصح شرعا ان يعرف الاسلام عن طريق السواد الاعظم فمن يريد معرفة الاسلام فعليه بالخواص من اهل العلم المتقين . وهذه الطائفة هي المقصودة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله . وقال تعالى في شأن الامم السالفة : وان كثيرا من الخطاء ليبنى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم « وقال تعالى : اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور « وقال تعالى : واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل « وقال تعالى : وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين « كل هذه الايات القرآنية تصور لنا ما كانت عليه حالة الاديان قبل الاسلام ، ثم نستنتج منها ان دين الاسلام في هذه الامة المحمدية احسن منه في كل امة قبلها ، ولن يزال بفضل

أسسه ودعائه المنيعة القوية يساير العصور الى النفخ في الصور . وقد تبرأ القرآن من كل من خرج عن دين الله فقال : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيرا » .

وهناك آيات من القرآن الكريم تبين مدى قرب العبد من ربه ، منها آية قوله تعالى : واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان « سئل النبى صلى الله عليه وسلم : اقريب منا ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فقال حتى أسأل جبريل فنزل قوله تعالى : واذا سألك عبادى الآية . ومنها آية قوله تعالى : وهو معكم اين ما كنتم « وقوله تعالى : ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد « وآية قوله تعالى : قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير « ومنها آية قوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اين ما كانوا « ومنها آية قوله تعالى : واتقوا الله واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه « ومنها آية قوله تعالى : ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور « كل هذه الآيات القرآنية تنص صراحة على مدى قرب العبد من ربه ، وفيها غناه عن الوساطة فى الدعاء من طرف الاولياء الاموات ، فالله تعالى لا يقبل من الدعاء الا ما كان مباشرة بين العبد وربيه ، وبلا واسطة ، لشدة الاتصال والقرب بين العبد وربيه فليتق الله الداعى اليها ، وكل من أتى شيئا بوساطة الاولياء الاموات ، فانما يخاطر بسلامة ايمانه ودينه ، وبانكار القرآن ما صنعتها الجاهلية الاولى ، والقرآن قد تكفل بارشاد هذه الامة حتى لا تقع فى مثل تلك المزالق المؤدية الى العذاب الابدى ، وهذه طائفة اخرى من الآيات القرآنية التى تندد بالشرك والمشركين ، الا وهى قوله تعالى : ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلين واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين « الجاثية ، ومعناه : انهم ليسوا معهم الا فى نكد ومضرة ، لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة ، وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم . وقوله تعالى : قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا

يطعم « الانعام ، وقوله تعالى : ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين » يونس اى لا ظلم للنفس اعظم من الشرك ، وقوله تعالى : ذلكم الله ربيكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير « فاطر ، والمعنى ان هذا الذى اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما اخبرت به . وقوله تعالى : له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال « الرعد ، والمعنى ان الاصنام التى يعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشيء اصلا ، وضرب لهم مثلا فى الحرمان عن طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فقال : الا كباسط كفيه الآية ، والمعنى ان حالة اجابتهم كحالة من بسط كفيه للماء ليصل فاه من بير ثم قال : وما هو بواصل فاه ابدا لعدم احساس الماء ببسط كفى المتعطش وعطشه وعدم قدرته على بلوغه الى فيه ، فذلك حال من يدعو الاصنام لتدفع عنه كربة او توليه نعمة ، لعدم قدرتها فى نفسها فكيف تستجيب الى غيرها وهذا من باب المحال وما دعاؤهم الا فى ضلال اى ضياع بخلاف داعى الله سبحانه وتعالى فانه بمحض فضله لا يخيب دعاء من دعاه ، فان كان من امور الدنيا فانه يستجيب بحسب الحكمة ما يراه صالحا له ، وان كان من امور الآخرة فبالهداية الى الايمان . وقوله تعالى : والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون « النحل ، اى لا يستحق العبادة الا القادر على الخلق ولا يخلق ، ولا يكون الاها الا الحى العالم بالبعث وما بعده من امور الغيب ، واما غيره ممن لا يقدر ان يخلق شيئا وهو مخلوق مصور من الحجارة وغيرها فلا يستحقها . وقوله تعالى : ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير « لقمان ، الاشارة بذلك الى ما تقدم من اوصاف الكمال ، وعجائب حكمته وقدرته الباهرة التى يعجز عن الاتيان بشيء منها الاحياء القادرون العالمون ، فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله ؟ . وقوله تعالى : والله يقضى بالحق والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير « غافر ، اى والموصوف بالصفات المتقدمة من صفات الكمال لا يحكم الا بالعدل ، واما آلهتهم لا يحكمون بشيء ولفظ القضاء حقيقة

فى الموصوف بالقدرة وفى غيره مجاز تهكمى فهو تهكم عليهم وقوله تعالى :
 ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون «
 الزخرف ، ادعوا لهم ملك الشفاعة ، فنفاها الله عنهم وأثبتها لمن شهد بكلمة
 التوحيد ، وهم يعلمون ان الله ربهم حقا ، فمن ذا الذى يشفع عنده الا
 باذنه ، وانه هو المالك للشفاعة على الحقيقة ولا تكون الا باذنه . وقوله
 تعالى : واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
 لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا « الفرقان ،
 ان المنذرين اتخذوا من دونه آلهة وآثروا عبادتها على عبادة من هو منفرد
 بالالوهية والملك والخلق والتقدير ، فهم عجزة لا يقدر على خلق شئ
 وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لا يستطيعون دفع ضر
 عنها ولا جلب نفع لها ولا يملكون موتا أى تصرفا فى الامانة والاحياء
 والنشور ، الاحياء بعد الموت . وقوله تعالى : ان الذين تدعون من دون
 الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين اللهم أرجل
 يمشون بها أم لهم أيد يبطنون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان
 يسمعون بها قل ادعو شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون « الاعراف ، أى ان
 الذين تسمونهم آلهة وتعبدونهم عباد مخلوقون امثالكم مملوكون لخالق
 واحد هو الله تعالى ، فان كنتم صادقين فى انهم آلهة فادعوهم فليستجيبوا
 فى دفع الضر وجلب النفع ، ثم ابطال كونهم عبادا امثالهم ثم ذكر عيبهم
 تنقيصا وتحقيرا لهم عن درجة عابديهم بقوله اللهم أرجل يمشون بها الى
 آذان يسمعون بها ، فان كنتم تعرفونهم هكذا فلم تعبدون من هو معيب
 حقير لم يصل الى درجتكم فى المشى والبطش والابصار والسمع ؟ فأنتم
 اكمل منهم خلقة ، وان كنتم تستعينون بهم على عداوتى فكيدونى جميعا
 انتم وشركاؤكم ثم لا تنظرون فانى لا ابالى بكم . وقوله تعالى : والذين
 تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم
 الى الهدى لا يسمعو وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون « الاعراف ،
 ثم غيرهم بما هم عليه من الجمود ومن كان كذلك لا يستطيع ان ينصر
 عابديه ، ومن كان عاجزا عن نصر نفسه فكيف ينصر غيره وان تدعوهم
 الى الهدى لا يسمعو فهم صم عن السمع ، وتراهم ينظرون اليك وهم لا
 يبصرون لانهم عمى والاعمى لا يبصر المرئيات ثم وصفهم بأنهم يشبهون
 الناظرين اليك ، لانهم صورهم بصورة من قلب حذقتة الى الشئ ينظر اليه .

وقوله تعالى : حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفرنهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين « الاعراف ، وعند ما جاء ملك الموت وأعاناه يتوفونهم سألوهم عن معبوداتهم ليدبوا عنهم قالوا ضلوا عنا أى غابوا عنا فلا نراهم . وقوله تعالى : وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا « مريم ، الهجرة من أرض الكفر الى غيرها وهى من أرض بابل الى أرض الشام ، أرض عبادة الله وحده وأدعو ربى ، ثم قال متواضعا مهضما للنفس ، ومعرضا بشقاوتهم عسى ان لا أكون بدعاء ربى شقيا كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام . وقوله تعالى : يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب « الحج ، ان الذين تدعون من دون الله آلهة باطلة لن يخلقوا ذبابا ولن لتأكيد نفى المستقبل للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل ، وتخصيص الذباب بالخلق لمهانتة وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره أب لاستكباره ولو اجتمعوا وتعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا على خلقه لان خلقه منهم مستحيل وهذا من ابلغ ما انزل فى تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الامتداع على المقدرات كلها ، والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتمائيل ، يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك ضعف العابد والمعبود وقوله تعالى : ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون» الزمر ، روى ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا نخاف ان تخبلك آلهتنا ، وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها فنزل قوله تعالى : ويخوفونك بالذين من دونه « وفرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرفة الاوثان وتخيلها له . فأمر بأن يقرهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ، ثم يقول لهم بعد التقرير ، فان ارادنى خالق العالم الذى أقرتم به ، بضر او برحمة ، هل يقدر على خلاف ذلك فأفحموا أى سكتوا ، فأنزل الله : قل : حسبى الله ، كافيا لمرة اوثانكم ، عليه يتوكل المتوكلون ، وانما قال كاشفات وممسكات على

التأنيث لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة . وفيه تهكم بهم وبمعبوديتهم .
وقوله تعالى : هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى
البيانات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين « الزمر ، روى ان الكفار
طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة اوثانهم ، فنزل قوله
تعالى : قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البيانات
من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين « وقوله تعالى : قل ارايتم ما
تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات
ايتونى بكتاب من قبل هذا او اثاره من علم ان كنتم صادقين « الاحقاف ؛
اخبرونى عما تدعون من دون الله وارونى ماذا خلقوا من الارض ، اى اى
شئ خلقوا مما على الارض ان كانوا آلهة ؟ ام لهم شركة مع الله فى خلق
السموات والارض ؟ ايتونى بكتاب من قبل القرآن . لانه وكل ما نزل قبله
ناطق بالتوحيد ومبطل للشرك ، فلا حجة لكم فى ذلك ، وان كان لكم كتاب
من قبله شاهد بصحة ما تقولون وما انتم عليه من عبادة غير الله فاتوا به ؛
او اثاره من علم او بقية بقيت لكم من علم ممن تقدم عليكم من
علوم الاولين ، ان كنتم صادقين ان الله امركم بعبادة الاوثان . لا شئ
وقوله تعالى : قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على
اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران
له اصحاب يدعونه الى الهدى ايتنا « الانعام ، والمعنى ان عبد الرحمن
ابن ابي بكر دعا اياه ان يرجع الى عبادة الاوثان ، فأنزل الله : قل اندعو
من دون الله ، انعبد من دون الله الضار النافع ما لا ينفعنا ما لا يقدر على
نفعنا ان عبدناه ، ولا يضرنا ان تركناه ، وانرد على اعقابنا راجعين الى
الشرك بعد اذ هدانا الله للاسلام ، وانقذنا من عبادة الاصنام ، كالذى
استهوته الشياطين كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن ، اى انكص
مشبهين من استهوته الشياطين اى طلبت هويه فى الارض فى المهمة حيران
اى تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع ، له اصحاب يدعونه الى الهدى
ايتنا اى للمستهوى اصحاب يدعونه الى الهدى اى ان يهدوه الطريق اى
المستقيم يقولون له ايتنا ، وقد اعتسف المهمة تابعا للجن لا يجيبهم ولا
ياتيهم ، وهذا مبنى على ما يقال : ان الجن تستهوى الانسان والغيلان
تستولى عليه فشبهه به الضال عن طريق السلام التابع لخطوات الشيطان ،

والمسلمون يدعونهم اليه فلا يلتفت اليهم . قال حضرة المفتى المذكور ، وأرى أن أكتفى بهذه الطائفة من الآيات ، لكثرتها في القرآن ولا يليق استقصاؤها بهذا الموضوع البسيط وكأنتى أشعر بأن المنصف يغنيه هذا القدر من الآيات الكريمة التي تبين خطأ من يزعم أن احدا من خلق الله كائنا من كان يصح دعاؤه من دون الله وطلب الحاجات منه ، سواء كان ذلك المدعو وليا في ضريح أو رجلا أو امرأة سالحة من الاموات ، أو ملكا أو جنيا أو تمثالا مصورا أو وثنا منحوتا أم كان أى شىء آخر ، ولا يظن ظان ان هذه الآيات نزلت فيمن كانوا يدعون معبوداتهم من الاصنام من دون الله ، فلا تكون متناولة لمن يدعو وليا لله تعالى في ضريح ، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فيكون ما ورد في القرآن الكريم من هذا النوع من الآيات عاما في كل من يدعو الانسان من دون الله ، ويسأله حاجاته ويجعله ندا ونظيرا لله تعالى ؛ في أنه يستجيب له ويقضى حاجاته كما يستجيب الله دعاء السائل ويعطيه حاجاته على أن العرب ما كانت تدعو التماثيل والصور فقط ، بل كان فريق منهم يدعون الملائكة ، وهم عباد الله المقربون ، واعتبرهم القرآن مع هذا مشركين ، والخلاصة ان الشريعة المطهرة لم تشرع دعاء أحد من دون الله ، واعتبرت هذا من الشرك المنافي للتوحيد وراينا في الموضوع كراى كل مسلم يؤمن بالتوحيد الخالص من شوائب الشرك وهو ان طلب الحاجات كالشفاء من المرض ، واتساع الرزق وكل أمر غيبى لا اتصال له بالاسباب الظاهرة ، كطول العمر للولد وحصول الجاه والسعادة لنفسه والتغلب على عدوه ، كل ذلك لا يكون الا من الله تعالى ، كأن يقول رب أسألك الشفاء من المرض ، وأسألك اتساع الرزق ، ولا يضره أن يقول رب أسألك بوجهة الولي سيدى فلان عندك ، وبحبى له ، أن تشفى مريضى أو تقضى حاجتى .

والذى نريد أن نستخلصه من هذا البيان ، ان الآيات الواردة فيمن يدعى من دون الله عامة في الاولياء وغيرهم ، وان الداعى إذا كان غرضه تقديس من يدعو أى خلق صفات الالهية عليه ، من قدرته على استجابة الدعاء ، والتصرف في دفع الضر وكشف السوء وجلب النفع ، فهذا لا محالة شرك صريح ، لانه من اتخاذ الانداد وتأليه الشركاء ، وفيه تكذيب ومخالفة للقرآن ، ولما جاءت به الشريعة الغراء ، وان كان الداعى غرضه

بنداء غير الله مجرد الاستغاثة والاستنجاد بهذا الوجيه عند الله ليستعين
بوجاهته على انجاح مطلبه ، واتمام مسألته فهذا أقل ما يقال فيه الحرمة
للنهي والتقريع الوارد في غير ما آية من كتاب الله العزيز عنه ، ولما فيه
من التشبه بعبدة الاوثان ، في دعاء آلهتهم من دون الله ، وعلى هذه القاعدة
يمكن تطبيق حادثة اشراف والد السائل على الغرق — وهو الشيخ محمد
جابر — وندائه وهو في ظلمة البحر السيدة زينب رضى الله عنها من دون
الله . وتمام الحكاية ، قال السائل : ان والدى كان يزعم كما يزعم الاستاذ
الخطيب الذى حدثت بسببه الحادثة وتامت من أجله الضجة بمسجد نزلة
السمان ، وينكر مسألة التوسل بالاولياء ، وبعد مدة سقط في وسط النيل
فرع رشيد — وكان النيل في وقت فيضانه وأخذه في الزيادة ، وبعد أن
أثرف على الغرق ، وتعب التعب الشديد أسلم نفسه للموت ، وكاد يبتلعه
النيل في قعره ، فنادى يا سيدة زينب ، فلم تمض برهة وجيزة حتى
انتشلته فلك بعض النوتية ، وأخبر منقوده من الغرق أن العمق الذى
انتشلوه منه يزيد على خمسة أمتار ، وبعد ما نجا من الغرق حضر عندنا
وعرفنا ذلك ، والله على ما أقول وكيل ، ومنى الى فضيلتكم السلام .
قال حضرة المفتى المذكور ، : وهذا خلاف ما فعله نبى الله يونس عليه
السلام كما يدل عليه قوله تعالى : **وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان
لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** » والنون
الحوت ، وسمى ذا النون لان النون ابتلعه واستقر في بطنه وهو فى البحر ،
وحدث له ذلك لما برم بقومه وغضب منهم لطول تذكيره اياهم ، مع اقامتهم
على الكفر ، فذهب مغضبا وتركهم كارها الاقامة معهم غضبا لله وانفة
وحمية للدين وبغضا للكفر واهله ، وظن ان هذه النفرة منهم تسوغ له
المهاجرة من ديارهم حيث لم يستطع الصبر معهم ، وكان عليه أن يصابرهم
وينتظر حتى يأذن الله له فى مفارقتهم والابتعاد عنهم لانه رسول اليهم
فأخذه الله مواخذة لم تكن فى حسباته ، وابتلاه ببطن الحوت ، فماذا صنع
وهو فى هذه الشدة ؟ وفى وسط هذه الظلمات قال الله تعالى حكاية عنه :
ونادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين »
والظلمات هى ظلمة الحوت وظلمة البحر ، وظلمة الليل وفى وسط هذه
الظلمات لم ير أمامه غير الله ، فناداه مقرا بوجدانيته مجتهدا فى تسبيحه

وتتدبسه وتنزبهه ، معترفا بظلمه لنفسه ، وما نجاه الله الا بالتجائه الى الله وحده مع اقراره بظلم نفسه ، وفي كلا الامرين نجاه كل مومن ، وهو قوله تعالى : وكذلك ننجى المومنين « اى لا ينجيهم الا نداء الله والالتجاء اليه وحده في وقت الشدة ، واقرار العبد بظلم نفسه فعند ذلك تكون الاستجابة ، ويزداد شأنها تأكيدا بحالة الاضطرار لقول الله تعالى : امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » لا بالالتجاء الى غيره ونداء ذلك الغير واما نجاه والد السائل فقد حصلت بتقدير الله ، والله سبحانه يقدر النجاة لكل من يريد نجاته من غير توقف على ايمان أو كفر ، أو طاعة أو عصيان ، وهو في هذه الحالة عاص لله بندائه غيره في أكبر موطن من مواطن الشدة ، وقال تعالى حاكيا عن أهل الكفر من عبدة الاوثان في موطن الهلكة والخوف على النفس : حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم « انظر كيف يتركون نداء آلهتهم ويدعون الله وحده مخلصين له الدين في أعظم موطن من مواطن الشدة ففى هذه الحالة ترشدهم فطرهم الى الاستغاثة بالله وحده ، ويحملهم خرقهم من الله والامل في النجاة من الغرق أن يلتجئوا اليه وحده ويدعوه مخلصين له الدين ، وهذه الحالة وهى معرفة الله في وقت الشدة والخطر حالة فطرية طبيعية مركزة في طبيعة كل انسان مومنهم وكافرهم ولذلك استدل بها القرآن على تمام وحدانية الله وقدرته وانه وحده هو الملجأ والمفرج الذى يلجأ اليه المكروب ويفزع اليه الخائف . انتهت الفتوى القيمة .

ومن تقدير النجاة للكافر بفضل الله حادثة الطائرة المؤرخة بتاريخ 10 محرم عام 1392 هـ — 26 فبراير 1972 م نشرت الصحف العالمية خبرا مصحوبا بصورة فتاة ، مفاده ان فتاة اسمها فنسيا فولافيك ، عمرها 23 سنة سقطت من طائرة يوغسلافية فوق جبال تشيكوسلوفاكيا على ارتفاع 1500 متر بسبب انفجار وقع داخل الطائرة من وضع قنبلتينعتقد انها من صنع الانفصاليين الكروات فتمزقت الطائرة وهلك جميع ركابها الا هذه الفتاة ، وقد اعتبرت نجاتها معجزة لم يتقدم لها مثل ، في تاريخ

البشرية ، وقد كان من عملها الاخير في الطائرة أن وضعت على وجهها قناع الاكسجين وصارت تساعد الركاب على وضعه ايضا قبل تسرب الهواء من الطائرة ، وقد كان مقامها بالمكان الخلفى من الطائرة ، ثم أغمى عليها بعد ذلك بلحظات فانقسمت الطائرة بعد ذلك الى ثلاثة أجزاء ، وكان معها في الجزء الخلفى 11 شخصا الا أن الجزء الخلفى لما انفصل من الطائرة رفعه الهواء بسبب الزعائيف الخلفية حتى تقطع مسافة أكثر من الاجزاء الاخرى ، ولعل ذلك هو ما جعل نسبة صدمته بالارض اضعف نسبيا ، وكما خفف الصدمة ايضا سقوطها على شبكة ردتها ، وكما ساعد ذلك ايضا سقوط الجزء المذكور في غابة من جبال تشيكوسلوفاكيا ، كما كان من حسن حظها بعد سقوطها أن عثر عليها فورا أحد حراس الغابات ، وقد ظن ان الفتاة لا تزال بتقيد الحياة فغطاها بملابسه وأسرع الى الشرطة، ثم نقلت الفتاة فورا الى اقرب مستشفى وأما من كان معها في الخلف فقد تمزقت أشلاؤهم على الارض ، وبعد أن أجرى الطبيب عليها الفحص عدها من الموتى بسبب توقف نفسها وقلبها عن العمل المعتاد ، ولم يكن للطبيب اجهزة أخرى حادثة توصله لبقاء الحياة بهذه الفتاة ثم اجتهد فقام بعمل هام لعل الحياة ترجع اليها ان كان بها بقية من الحياة السجينة ثم تركت الفتاة ، وفي الغد عاد اليها الطبيب مرة أخرى فوجد الحياة رجعت اليها وصحت من غيبوبتها ، وقد اندهش الاطباء من رجوع الحياة اليها مرة أخرى بعد ما كان يغلب على الظن انها ميتة ، ثم نقلت الى مستشفى آخر في برغ أكبر من الاول فأجرى الفحص على جميع أعضائها فوجد بها كسر في العمود الفقري كان منعها من الحركة لما أصابها من شلل رجليها بسببه ، وحيث أجريت لها عملية جراحية على الكسر المذكور وأصلح رجعت اليها الحركة واستعادت قدرتها على المشى وبعد أيام مرت عليها رهن العلاج أصبحت تمشى مشيا عاديا ، ولما سئلت عن حادثة الطائرة أجابت بأنها لا تعرف شيئا ، وقرر الطبيب منع اخبارها بوصف الحادثة خوفا عليها من أن تصاب بارتجاج في عقلها من فظاعة الحادثة ، وهنا توقف كل شيء من العقل والعلم ، وبقي الامر لله وحده في رد الحياة الى هذه الفتاة وحدها وكتبت اليها السلامة دون من كان معها من الموت المحقق ، ولم يستطع أحد من الاطباء أن يتجرا ويصف كيف رجعت الحياة الى هذه الفتاة حتى الآن . ولم يبق الا ما أجاب به فضيلة المفتى عن سلامة الغارق في النيل ، وهو

ان الله تعالى بفضله ومنه يقدر النجاة لكل من يريد نجاته من غير توقف على ايمان أو كثر أو طاعة أو عصيان ، مع العلم ان هذه الفتاة كافرة لم يخطر ببالها انها تلتجىء الى الله في وقت شدتها أو الى غيره وقت استسلامها نفسها للقدر يفعل بها ما يشاء كباقي الذين كانوا معها فى الطائرة ، وبهذا يندفعوهم كل من توهم ان الالتجاء الى الاولياء الاموات ينفع الملتجىء اليهم كما فعل الاستاذ محمد جابر فى هذه النازلة . ومن أراد أن يقف على صورة الفتاة الناجية فعليه بجريدة العلم بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان ، وعليه فمن اعتقد ان لغير الله من نبي أو ولى أو روح أو ملك أو أى شىء كان أن يكشف الكربات أو يقضى الحاجات بمعنى ان يكون له شىء من التأثير فى نفع أحد أو ضره فقد وقع فى وادى جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير .

حق الاستغاثة

قال العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الاستغاثة لفة هى طلب الغوث لازالة ما حل بالمرء من الشدة والكرب على جهة الاسراع ، فهى كالاستنصار أى طلب النصر ، والاستعانة أى طلب العون ، وقال غيره الفرق بين الاستغاثة والدعاء ان الاستغاثة لا تكون الا من شدة مكروب قاهر ، والدعاء يكون فى ذلك وفى غيره ، فهو أعم من الاستغاثة ، وبينهما عموم وخصوص بوجه فيجتمعان فى قول الصحابى فى بدر يا غياث المستغيثين أغثنا ، وينفرد الدعاء فى قول المصلى : اللهم اغفر لى وارحمنى ، كما بين الاصحاب والآل ، فيجتمعان فى على كرم الله وجهه وتنفرد الصحبة فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فكل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة ، والاستغاثة على قسمين : جائزة وممنوعة ، فالجائزة تكون فى الاسباب الظاهرة العادية ، وهى من باب الالتماس بين المستغيث والمستغاث به ، ومعناها العون على التخلص من المكروب على وجه الاستعجال ، وتكون فى قتال أو حريق أو غرق أو ادراك عدو أو سبي ونحو ذلك من الاسباب الحسية ولها صيغة مخصوصة فى اللغة العربية تتميز بها على المنادى والمندوب ، ولذلك تقترن باللام وتسمى لام الاستغاثة ، نحو يا لزيد ، ويا للمسلمين ، وأما الاستغاثة المعنوية بقوة التأثير فى عالم

الغيب ، كأن لا ينفذ في الخلق قضاء ، قد تضى به الله في سابق أزله ، فممنوعة في حق غير الله تعالى من حى أو ميت كيفما كان نبيا أو وليا لله ، ولو كان شيء من ذلك جائزا لفعله أهل بدر ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم قائما عندهم بالعريش يدعو الله ويستنصره على أعدائه المشركين ، وقد كان الصواب فيما فعله الغزاة رضى الله عنهم إذ كانوا يدعون ، ياغيث المستغيثين أغثنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه بالدعاء مبتهلا الى الله حتى سقط الرداء عن منكبيه فردده له الصديق رضى الله عنه ، فأجاب الله دعاءهم وحقق لهم ما كانوا يرجونه من النصر على العدو الشرس ، انعاما على سيد الوجود والذين معه ، قال تعالى : إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين « وقال تعالى : ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون « ومن هذا المعنى الاستغاثة بالقوة والتأثير المعنوى في شدائد الامور المعنوية كشدة المرض ، وضيق الفتر والجوع ، وطلب الولد والعلم والصحة وغير ذلك ممن هو من خصائص الربوبية ، ولا ينبغى أن يصرف منها شيء الى مخلوق كائنا من كان .

حق الاستعاذة

الاستعاذة من اختصاصات الربوبية ولا ينبغى أن يصرف منها شيء لغير الله ، فقولك أعوذ برب أو أعوذ بالله معناها الاعتصام بقوة الله وقدرته والتحصن به من خذلان كل مريد ووسوسته ، فهى للتعلق به وحده ، واستعمالها في غير ذات الله شرك به تعالى منهى عنه ، وشرعت الاستعاذة بالله من كل ما يخاف شره من شياطين الانس والجن ، فالمستعذ قد اعتصم والتجأ واستجار بمولاه العلى القادر سبحانه من كل ما يخشاه ، ولاهيتها وعظيم معناها أمر الله بها عند تلاوة القرآن فغالب سبحانه وتعالى : فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم « أى اذا أردت قراءة القرآن فابدا بها قبل قراءتك له قائلا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أى هذا اللفظ لا غيره ، ومن ثم قال تعالى مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله : قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق « السورة ، وقوله : قل اعوذ برب الناس « السورة ، وسميتا بالمعوذتين ، ولذلك كان من قراهما في مأمن من كل ما يخافه من شياطين الانس والجن

ومن أجل هذه الحماية المعنوية من كيد الشيطان وجنوده قال تعالى ، واما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سميع عليم « وقد كان المشركون اذا أنزلوا واديا او مكانا متوحشا من البرارى فى جاهليتهم يقولون : اعوذ بعظيم هذا الحى من سفهاء قومه ، وكان ذلك منهم قياسا على الجوار بعظمايهم اذا دخلوا بلدا فيه اعداء لهم من الانس ، فلما رأت الجن ان الانس يعوذون بهم دخلهم كبر فزادوهم رهقا اى زاد الجن الانس خوفا وارهابا وذعرا لكى يدموا على التعوذ بهم اى ومن ثم ازداد الانس اثما وكفرا او ازداد الجن طغيانا ، وهو معنى قوله تعالى : وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا « وقد اجمع العلماء على انه لا تجوز الاستعاذة بغير الله ، لأن فاعلها مشرك مخلد فى النار الا من تاب ، وعن خولة بنت حكيم قيل : هى الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من نزل منزلا فقال : اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلقى . لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك . رواه الامام مسلم فى صحيحه قال القرطبى : قيل معناه : الكلمات التى لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر ، وقيل معناه : الشافية الكافية . وقيل معناه : القرآن ، فان الله اخبر عنه بأنه هدى وشفاء . وهو منه صلى الله عليه وسلم توجيهه وارشاد للمؤمنين كى يدفعوا بها الاذى عن انفسهم ، ومتى اتبع المسلم ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم بنية صادقة متوكلا على الله فى جميع ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه ، قال : وقد جربت ذلك الخبر فوجدت له بركة عظيمة فعلمت انه قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فعلت به منذ سمعته فلم يضرنى شىء الى ان لدغتنى عقرب بالمهدية التونسية فتذكرت اننى نسيتيه ولم اقرأه . وروى فى الموطأ عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى ان خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى اروع ، اى يحصل لى روع اى فزع فى منامى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون . وفى رواية اخرى : مالك عن يحيى بن سعيد انه قال : اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة نار كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رءاه فقال جبريل : افلا اعلمك كلمات تقولهن ؟ اذا قتلتهن طفتت شعلته

وخر لفيه اى سقط على فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ، فقال جبريل : فقل : اعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزوهن بر ولا فاجر ومن شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها ، وشر ما درأ فى الارض ، وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل ، الا طارقا يطرق بخير يا رحمان . وفى رواية أخرى : مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبىه عن أبى هريرة ان رجلا من أسلم قال : ما نمت هذه الليلة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اى شىء ؟ فقال : لدغتنى عقرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما انك لو قلت حين امسيت : اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم يضرك .

وفى رواية أخرى : مالك عن سمي مولى أبى بكر عن القعقاع بن حكيم : ان كعب الاحبار قال : لولا كلمات لجعلتنى يهود حمارا ، فقتيل له : وما هى ؟ فقال : اعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء اعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزوهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم ، من شر ما خلق ، وبرأ ، وذرا . احفظه فهو زبدة ما يتقى به من الشر فى باب التعوذ بالله من اصح الصحيح بعد كتاب الله موطأ مالك رحمه الله .

تعظيم النبى (ص) فى ثلاثة أشياء

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم ، انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله .

وهذا لا ينافى تعظيمه صلى الله عليه وسلم من جهة مدحه بما هو مشروع ، وفى ذلك يقول الامام البوصيرى رحمه الله وقد نسج على منواله كل محب فى النبى صلى الله عليه وسلم :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت تمدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بضم

كل هذا وما كان على منواله لا يخرج مدحه صلى الله عليه وسلم عن حدوده الأدبية مع الله ورسوله ، لان الشريعة الإسلامية تكفلت باختصاصات كل جانب على حدة ، فما كان لله وحده من قول أو فعل يجب أن يعطى له ، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال يجب أن تعطى له لحقوقه على أمته ليس في ذلك إفراط ولا تفريط ، والى الآن. والامة قائمة على اختصاص كل جانب بلا تخليط ، فاختص الجانب الإلهي من الأفعال بأنواع العبادات كلها دون أن يعطى منها لغيره تعالى ، ومن الأقوال بألفاظ الدعاء والتسبيح والتنزيه والتقدیس : كقول المسلم استغفر الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وكقوله في التنزيه سبحان الله وسبحان ربك ، وعز وجل ، وجل شأنه ، وجل جلاله وسبحانه وتعالى ، وتبارك وتعالى ، فكل هذه العبارات لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، وقد قال تعالى في الأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم : ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وأما مدحه صلى الله عليه وسلم من جهة معجزاته ، ومن جهة أخلاقه الكريمة وأعماله القويمة فلا يخرجها عن حدود الآداب الشرعية ، اذ الممنوع هو أن يعطى له صلى الله عليه وسلم من العبادة ما أعطته النصراني لعيسى ابن مريم اذ ابتدعوا فيه واللهوه من دون الله ، فقالت فرقة هو الله ، وقالت أخرى ابن الله ، وقالت أخرى ثالث ثلاثة ، وكل هؤلاء الفرق حكم القرآن بكفرها ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصراني عيسى ابن مريم اى لا تغلوا ولا تفرطوا في مدحى حتى تنسبوا لى ما ليس لى مما يخرجنى عن درجة العبودية ، وانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمسلمون ولله الحمد في كل بلد من بلدان العالم الاسلامى لم يخرجها في مدحه أحد عن درجة العبودية لله تعالى : وكلهم يقولون بلفظ واحد اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبيء الامى وعلى آله وصحبه وسلم وهو اللفظ الشائع المستعمل في الاوراد في مشارق الارض ومغاربها ، وكلهم يذكرونه عبدا مكرما على الله في صلاتهم عليه والممنوع هو أن يعتقد المسلم في جانبه صلى الله عليه وسلم انه يعلم الغيب بطبعه وان له قدرة على الاعطاء والمنع ، وانه يسرع في عالم الغيب الى اغائة من استغاث به ، ومما هو ممنوع من الأفعال أن يسجد المسلم لقبره الشريف أو يطوف به أو يقبله ومن الأقوال أن يسأله شيئا من حوائجه في حال توجهه اليه أو غير توجهه ، لقوله تعالى :

قل لا أتول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أتول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى « والى الآن والمسلمون قائمون متمسكون بالحرس الشديد على حدود الآداب معه صلى الله عليه وسلم ومع خالقه سبحانه وتعالى علماء وأمرء . وروى الامام احمد والترمذى وابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والغلو ، فانما اهلك من كان قبلكم الغلو . وسبب الحديث ان النبى صلى صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس : غداة جمع ، هلم القط لى فلقطت له حصيات ، هن حصى الخذف بخاء معجمة اى الرمى ، فلما وضعهن فى يده قال : نعم ، بأمثال هؤلاء فارموا واياكم والغلو فى الدين ، فانما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين . وقال الله فى كتابه : يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » وقال فى الذين ابتدعوا فى عيسى : يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته « هناك كثير من الناس يجهلون موجبات تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسباب محبته ، ومحبته وتعظيمه يحصلان للمسلم باتباع أمره ونهيه ، والوقوف عند حدودهما وتطبيقهما ظاهرا وباطنا ، وذلك عين ما جاء به من شريعة الاسلام ، لقوله تعالى : ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وهو أيضا عين ما جاء به من التقوى والدين لقوله تعالى : ان اكرمكم عند الله اتقاكم « وما يتبع ذلك من الاهتداء بهديه ، والاستئنان بسنته ، والدعوة الى دينه والجهاد من أجل اقامته ونصرته وموالات من عمل به ، ومعادات من خالفه وكفر به لقوله تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ومن الاهتداء بهديه اجتناب سخطه وبغض كل من ناقض الله ورسوله وشاقه فيما دعا اليه لما ورد فيه من وعيد القرآن قال تعالى : ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » وليحذر المغالون فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ، والمخالفون لامره فيما لا يريده هو لنفسه ، والمتحطون لما هو برىء منه ، فالقرآن يقول لهم : فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم « ولا يكون سببهم فى ذلك الا ان الشيطان استغل حبه فى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يوجههم التوجيه المحذور من غير شعور منهم بمكايده ، والصواب الذى ينبغى ان لا يعدل عنه هو

انه يجب أن ينزل النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنزل نفسه من مقام العبودية لله تعالى ، لان في ذلك نهاية تعظيمه صلى الله عليه وسلم وغاية تشريفه ، لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ، لان اشرف مقامات الانبياء والرسل هي اخلاص العبودية لله مع القيام بواجب الرسالة وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد من احد من امته مهما كان جنباه الشريف عظيما ان يزيده شيئا عن المكانة اللائقة به ، وتتلخص تلك المكانة في أمور ثلاثة : 1 — هو اطاعته في كل ما اتى به من عند الله تعالى امرا ونهيا ، وتطبيق ذلك قولاً وفعلاً ؟ حتى لا تاخذه في الله لومة لائم ، و 2 — سؤال الامة له الوسيلة من الله تعالى وهي كما قال عليه الصلاة والسلام : لما سئل عن تفسيرها ؟ هي أعلى درجة في الجنة لا تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو ان اكون انا ذلك العبد . و 3 — الصلاة عليه وعلى آله صلى الله عليه وآله وسلم . وروى الامام مسلم والامام احمد ، وأبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلك المنتطمعون . قال أبو السعادات الغالون المتعمقون المتكلمون بأقصى حلوقهم ، وقال النووى فيه كراهة التعر في الكلام ، وتكلف الفصاحة واستعمال وحشى اللغة ودقائق الاعراب في مخاطبة العوام . وروى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال : لا القين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتة بعير له رغاء فيقول يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا املك لك من الله شيئاً قد ابلغتك ، لا القين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتة فرس له حمحة فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك من الله شيئاً قد ابلغتك ، لا القين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتة ثاة لها نغاء ، فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك من الله شيئاً قد ابلغتك ، لا القين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتة نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك من الله شيئاً قد ابلغتك ، لا القين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتة رقاع تخفق ، فيقول يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا املك لك من الله شيئاً قد ابلغتك ، لا القين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتة صامت — أى ذهب وفضة —

فيقول يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً اه . وذلك هو قوله تعالى : ومن يفلل يات بما غل يوم القيامة » .

أعداء المسلم هم أعداء عقيدته

قد يتناسى المسلم أو يتغافل أو يتغاضى عداوة الإعداء المخالفين في العقيدة لانه كريم النفس كبير الهمة مطمئن القلب ، ولكن العدو المخالف لا ينسى ولا يتغافل ولا يتغاضى أبدا بل هو متيقظ ذاكراً العداوة في كل أوان وفي كل الأحوال على بال ، لانه مريض القلب ملتهب النفس غيور حقود حسود على المسلم المفلح بنعمة ربه ، فهو عامل لا يهدأ له بال حتى يصصره عليها أو يحرمه منها ، وفي هذا قال الله تعالى : انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا « وأحسن ما اكتشفوه لتخريب دار الاسلام الغزو الفكرى بعد ان عجز الغزو المادى ، فالعدو وان تظاهر بما يخفى العداوة فانما ذلك له مبرراته الموقته سرعان ما يزول وتظهر تلك العداوة المقنعة للميدان في ثوبها العادى ، فهو يتحين الفرص ويختار سبيل الانتصار والاختصار ومن أجل ذلك فهو مكر غادر شيطان وصفى الشيطان ، ووصى الشيطان ، وفي طاعة الشيطان ، وهو اعدى للمسلم من أصل الشيطان ، وتلك العداوة فطرية داخلية في المجتمع الواحد ، وفي الاسرة الواحدة ، وفي البيت الواحد ، قال تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه « وفي ذلك يقول بعضهم :

كل عداوة ترجى مودتها الا عداوة من عاداك في الدين

واجعل نصب عينيك ما فعله العدو بأهل الاتدلس واقرا تاريخه تعلم ان من مر عليه في الاسلام ما يزيد على ثمانية قرون أجبر على الكفر فهو غارق فيه ما يزيد على أربعة قرون وتلك هى غاية ما يفعله العدو بعدوه ، وهل يفلح الكافرون ؟ وقد نص سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن على من هم أعداء هذا الدين . فقال : هم الذين يعرفون مواضع القوة من طبيعته وحركته ، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

أبناءهم « لم يفهم أن يدركوا أن التجمع على أساس العقيدة سر من أسرار هذا الدين ، وهى قوة المجتمع الإسلامى الذى يقوم على هذا الأساس ، ولما كانوا بصدد هدم هذا المجتمع أو اضعافه الى الحد الذى يسهل عليهم السيطرة عليه ، وشفاء ما فى صدورهم من هذا الدين واهله ولاستغلالهم كذلك واستغلال مقدراتهم وأموالهم وديارهم ، ولما كانوا بصدد تلك المعركة مع هذا المجتمع لم يفهم أن يوهنوا من القاعدة التى يقوم عليها وأن يقيموا لاهله المجتمعين على الاله واحد اصناما جديدة تعبد من دون الله . سموها تارة « الوطن » وسموها تارة « القومية » وسموها تارة « الجنس » وظهرت هذه الاصنام على مراحل التاريخ باسم « الشعبوية » وتارة باسم « الجنسية الطورانية » وتارة باسم « القومية العربية » وتارة بأسماء شتى تحملها جبهات تتصارع فيها بينها داخل المجتمع الإسلامى الواحد القائم على أساس العقيدة المنظم بأحكام الشريعة ، الى أن وهنت القاعدة الاساسية تحت المطارق المتوالية ، وتحت الايحاءات الخبيثة المسومة الى أن اصبحت تلك الاصنام مقدسات ، يعتبر المنكر لها خارجا عن دين قومهم ، أو خائنا لمصالح بلده ! ، واخبت المعسكرات التى عملت وما زالت تعمل فى تخريب القاعدة الصلبة التى كان يقوم عليها التجمع الإسلامى الفريد فى التاريخ ، كان هو المعسكر اليهودى الخبيث الذى جرب سلاح « القومية » فى تحطيم التجمع المسيحى ، وتحوليه الى قوميات سياسية ذات كنائس قومية ، وبعد ذلك حطموا الحصار المسيحى حول الجنس اليهودى ، ومنه انتقلوا الى تحطيم الحصار الإسلامى حول ذلك الجنس الكنود أى الكفور ، وكذلك فعل الصليبيون مع المجتمع الإسلامى بعد جهد قرون كثيرة فى اثاره النعرات الجنسية والقومية والوطنية بين الاجناس الملتحمة فى المجتمع الإسلامى ، ومن ثم استطاعوا أن يرضوا احتقادهم الصليبية القديمة على هذا الدين واهله ، وبعد أن تأخى اليهود والنصارى وحدوا جهودهم ضد المجتمع الإسلامى فاستطاعوا أن يمزقوهم ويروضوهم على مذاهب الاستعمار الاربى الصليبي ، وما يزالون عاملين من أجل ذلك حتى ياذن الله بتحطيم تلك الاصنام المصطنعة الخبيثة ، الملعون اهلها ، وينهض التجمع الإسلامى ليقوم من جديد على أساسه المتين الفريد ، ويقوم على أساس انه يجب أن تكون هناك قداسة واحدة لمقدس واحد ، وان لا تتعدد المقدسات كما يجب أن يكون هناك شعار واحد ، وان لا تتعدد الشعارات ، وكما يجب أن تكون هناك قبلة واحدة يتجه اليها الناس

بكلياتهم ، وان لا تتعدد القبلات والمتجهات وما كان الاسلام ليخلص الناس من عبادة الاصنام الحجرية ، والارباب الاسطورية ثم يرضى لهم اصنام الجنسيات ، والقوميات ، والاطوان ، ويامر الناس بقتال بعضهم بعضا عليها وتحت راياتها وشعاراتها ، وما زال يدعوهم الى الله وحده والى الدينونة له دون شيء خلقه سواه : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » لذلك قسم الاسلام الناس الى امتين اثنتين على مدار التاريخ البشرى ، امة المسلمين وهم اتباع الرسل ، كل فى زمانه حتى ياتى الرسول الاخير الى الناس كافة ، وامة الكافرين ، وهم عبدة الطواغيت والاصنام فى شتى الصور والاشكال ، على مدار التاريخ عبر القرون والاجيال ، وعندما اراد الله ان يعرف المسلمين بامتهم التى تجمعهم على مدى القرون عرفها لهم فى صورة اتباع الرسل ، كل فى زمانه وقال لهم فى نهاية استعراض هذه الامة : ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » ولم يقل للعرب ان امتكم هى الامة العربية فى جاهليتها واسلامها ، ولا قال لليهود ان امتكم هى الامة الاسرائيلية او العبرانية فى جاهليتهم واسلامهم ، ولا قال لسلمان الفارسي ان امتك هى فارس ، ولا قال لصهيب الرومي ان امتك هى الرومان ، ولا قال لبلال الحبشي ان امتك هى الحبشة ، وانما قال لجميع المنتمين لهذه الجنسيات ان امتكم هى امة المسلمين الذين اسلموا حقا واتبعوا انبياءهم ورسلمهم كأمة المسلمين فى زمن موسى وهارون ، وكأمة المسلمين فى زمن ابراهيم ولوط ، وكأمة المسلمين فى زمن نوح ومن تلاهم من الرسل ، كداود وسليمان ، وايوب واسماعيل وادريس وذى الكفل ، وذى النون ، وزكرياء ويحيى وعيسى ابن مريم ، هذه هى امة المسلمين فى تعريف الله تعالى ، وليس هناك طريق غيرها الا طريق واحد وهو طريق الكافرين ، فمن شاء له طريقا غير طريق الله فليسلكه ، ولكن ليقول انه ليس من المسلمين ، اما نحن الذين اسلمنا لله فلا نعرف لنا امة الا الامة التى عرفها الله لنا : والله يتقص الحق وهو خير الفاصلين » اه .

انتهى عقل العقلاء فى وحدانية الله الى الحيرة

قال الشيخ ابو بكر هوارى البطائحي : رضى الله عنه اذا تناهت عقول العقلاء فى توحيد الله تناهت الى الحيرة ، ذكره صاحب الروض الناظر

في مناقب الشيخ مولاي عبد القادر رضى الله عنه ، فقال : الحيرة والتحير لغة الهيمان من تفرق النظر في شيء وامتناعه بحيث لا يجد له سبيلا ، وما يقتضيه المقام التوحيدي هو هيمان ينزل بالناظر لعجزه عن معرفة كنهه الجلال ، ونعوت الكمال ، فلا يجد لادراك الكنه سبيلا ، لامتناع ادراك الحقيقة على الصحيح ، وامتناع الاحاطة بها ، قال تعالى : ولا يحيطون به علما « وللناس في مواردهم على حسب مشاربهم مواجد مختلفات ، وفي توحيدهم معارج متعددة : برهاني ، وايماني ، واحساني ، وهم في ذلك على حسب ترتيب العوالم الثلاثة فعل ، وصفة ، وذات ، فمشرب العبد في ذلك على حسب وسعته ، وسلامة ذهنه كما سبق لهم في العلم الازلي ، وهم في ذلك على ثلاث مراتب : عامة وخاصة ، وخاصة الخاصة ، قال تعالى : قد علم كل أناس مشربهم « وقال : كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك « فتوحيد العامة وتقفوا مع الدليل خلف الباب ، فأعطوا نصيبهم من وراء حجاب ، وهو مقام البرهان في مقام الاسلام وحيرتهم فيه عجزهم عن الاحاطة بالمنوعة شرعا ، اذ العقول معقولة ، مهما رامت أو طلبت ما ليس لها طلبه ، زجرها زاجر الشرع ، واكتنفها وارد المنع فنكصت القهقري ورجعت الى الوراء ، فانحطت عن مدارك الوصول ، فهي مترددة بين الرد والقبول ، متفاوتة الفقد والحصول ، فحظها ونصيبها من ربه كما قال قائلهم :

قف بالديار فهذه آثارهم وابك الاحبة حسرة وتشوقا
 كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها أو داعيا أو مشفقا
 فأجابني داعي الغرام تحرقا فارقته من تهوى فعز الملتقى

وتوحيد الخاصة يقين في القلب عن علم ضروري يرد عن مكاشفات ولها ثمرات ومنازلات تدرك بالتحلى والمصافات ، وهو مقام الايمان ، فحيرتهم من بساط مقامهم منازل هيمان ينزل عن بديهة يرددهم بين اليأس والطمع في الوصول الى مطلوبهم وكمال مرغوبهم ، وفي ذلك قال قائلهم أيضا :

ويطعمنى فيه عذوبة وصله وتقطنى عنه سيوف قواطع
 واعلم ان النجم دون وصله ولكن لى قلبا دهته المطامع

لا يطعمهم الوصل فيدلجون ، ولا يؤيسهم عن الطلب فيستريحون ،

قد كشف لهم تعالى عن أوصاف جماله ، ونعوت كماله ، فهم سكارى متحIRON ، ما بين طيش وعيش ولهون فان تجلى لهم طائشوا ، وان حجبهم عاشوا قد أخذهم عنهم فهم بلاهم ، فأفناهم عنهم به له فيه ، فهيمهم وأشهدهم منه اليه عليه ، فأحياءهم فقد نظروا به اليه ، فتحققوا ان لا دليل عليه تعالى سواه ، وعرفوا ان لا وصول لشيء من معارفهم الا بتأييد وتخصيص من موجدتهم تعالى : وفي ذلك قال قائلهم :

تحيرت فيك فخذ بيدي دليلا لمن قد تحير فيك
ورمت الوصول فلم اهتدى وأنت الدليل لمن يرتجيك

وتوحيد خاصة الخاصة ، فهو عن مشاهدة ووجدان ، فهم قد منحوا حق اليقين ، وأعلى مراتب العارفين ، وهم أهل مقام الاحسان فحيرتهم كما يليق بهم ، وهم على قدر مواجدهم هو هيمان من تحقيق نظرهم في مشاهدة كمال محبوبهم كما يتحير البصر في مشاهدة نور الشمس تقريبا ، وهذه الحيرة هي مصادفات الحب ، ومواجد القرب يتوالى شربهم عليهم ، فهم في حضرة الجمع قاطنون ، وبه اليه ناظرون ، وبه فيه ذاهبون ، قد غابوا عن التوحيد في التوحيد لاستهلاكهم في مشهدهم وبقائهم بمحبوبهم على ساق التجريد ، وقدم التفريد ، قد أهلهم الله لحضرته ، وحلاهم بمعرفته وأقامهم مقام قربه ومشاهدته ، تحفهم أحوال سنية ، وآداب سامية ، فعندها يعترفون انهم عن مداركها قاصرون ، فعندها يتحقق العبد انه وان بلغ أقصى الغايات ، ونهاية المنازل ، فهو عن ذروة أعلاها وغاية أقمصاها منحط نازل ، لان جميع الطاعات وأنواع القربات في مقابلة حقوق الهيبة جنایات وكل أنواع المعارف الحاصلة للخلق في مقابلة كبريائه ، وعظيم جلاله نقص وتقصير ، وان كانت منه تعالى منة وفضلا ، فهي بالنسبة لكماله وعلو جلاله جهل وقصور ، قال تعالى : وما قدروا الله حق قدره « وفي ذلك يقول قائلهم :

وما تجلى من أحب تكريما
تعرف لي حتى تيقنت اننى
وما هو في وصلى بمتصل ولا
وما قدر مثلى أن يحيط بقدره
واشهدنى ذاك الجمال المعظما
أراه بعينى جهرة لا توهمها
بمنفصل عنى وحاشاه منهما
فأين الثرى من رفعة البدر انما

اشاهده في صفو سرى فاجتلى جمالا تعالى عزه أن يقسما

وهؤلاء أهل التوحيد الذاتي لانهم انكشف لهم أسرار الذات ومعاني الصفات حيث كانت معراجا لهم بقدر ما تسعه عقولهم وتحمله ارواحهم ، رحمة من الله تعالى بهم وهم في نيل هذه الاسرار على مراتب ، منهم من تنكشف له جملة ، ومنهم من تنكشف له جملة وتفصيلا ، وهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، واعظهم كشافا واعلاهم رتبة ، واوسعهم معرفة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

فكانت هذه الاسرار التوحيدية والانوار الغيبية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بحرا طامسا وسماء عابسا ، فبنوره ظهرت ، وبسره أشرقت ، وبالجملة فجميع الحقائق ارتقت وتجلت في باطنه حتى صار قلبه صلى الله عليه وسلم معدنا لها وباطنه مرساها ، فقلبه معدن الحقائق والاسرار ، وباطنه مهبط العلوم والانوار ، خص بذلك لاتساعه ، فما وسعه هو صلى الله عليه وسلم لا يسعه غيره ، ولذلك كان من قبله من الانبياء والمرسلين نوابا عنه ، وعلى تقدير وجوده صلى الله عليه وسلم فكانت هذه الاسرار التوحيدية والانوار الغيبية في زمن كل واحد منهم لكان مكلفا بالايمان به واتباعه ، قال تعالى : واخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال آقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين « ومن أجل ذلك كانت قلوب العلماء العارفين وقلوب عباد الله الصالحين المخلصين من أمته تتلقى الانوار القدسية من روحه صلى الله عليه وسلم اذ هو بحر لكل علم وحكمة ومعرفة ربانية وأسرار ملكوتية ، وانوار عرشية قدسية وان كان صلى الله عليه وسلم هو واسطة العقد بين المتقدمين والمتأخرين ، فان مرتبته من خالقه على قدر مقامه ، ولذلك خوطب بقوله تعالى : فاستقم كما أمرت « فكانت معرفته بريه على قدر مقامه ، وكانت حيرته صلى الله عليه وسلم على قدر معرفته به ، وكما يليق بمقامه وعلو منزلته ، وحقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ، قال تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء « أى بما شاء الله من ظواهر الامور دون بواطنها وجليها دون خفيها ، فالفهوم كلت والعقول وقفت وتضاعلت عن ادراك خفى سره تعالى ، والوقوف على حقيقة أمره ، ولا يعلم حقيقة ذاته الا هو

سبحانه وفي ذلك يقول قائلهم :

فهو الحبيب الذى جلت مواهبه
أنوار من عرفات الفضل بادية
واسبل الستركى يبقى المحب له
لقى شواهدده فى قلب شاهده
هذا الجمال الذى فى حسنه ذهبوا
على الدوام فلا تخفى بواديه
من الجمال فكل تائه فيه
ولو تكاشف مات الكل فى التيه
وأين شاهده فيها يحاكيه
أهو تجلى أم هى تجليه

فهذا الرسول الكريم بعثه الله دليلا عليه ، وعرف الخلق الطريق
اليه وردهم الى بابه الكريم ، ونهج بهم الصراط المستقيم فدلهم على الله
بأقواله وأفعاله وأيقظ الارواح الى ملاحظة جلاله وجماله . فلم يخرق حجاب
العظمة والوقار ورفع عن ابصار العارفين حجب الاغيار ، وظلمة سحائب
الآثار ، فحجر العقول عن النظر فى ماهية الذات ، وحقائق الصفات ،
فعلتها بعقل شرعه المستقيم فأودع الله سبحانه نبيه هذا السر العظيم
ليكون رحمة ونعمة للوجود ، وحياة للارواح حيث حجبها عما فيه هلاكها
وفناؤها ، اذ لا قوة لها على كشف الحقيقة ولو كشف لها فى هذه الدار
لتفرقت الموجودات ، وتمزقت الوحدات ، وتكدكت كما تكدك الجبل عند
التجلى ، قال تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المومنين « قال قائلهم :

فلا يحيط به عقل فيدركه
تاهت عقول ذوى الالباب فيه وقد
جل المهيمن عن ادراك مفتقر
كلت وضلت مجارى العقل والفكر

وكما قصرت العقول عن كنه جلاله وجماله وكماله ، ولو بلغت الغاية
القصوى فى الرجحان لقصرت الالسنه عن وصف ذلك الجلال والكمال ،
ولو كانت السنه العالم كله كلسان حسان وسحبان ، وحسبك أن أرجح
الناس عقلا وأعظمهم علما ، وأبلغهم فى الفصاحة والبلاغة ، وأحرزهم
للمنزلة العظمى من أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم وخص ببدائع
الحكم ، قال مفصحا عن حق المقام منبها لذوى النهى والاحلام : اللهم لا
أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . عليه من الله أزكى صلاة وأطيب
سلام ، ولما كان هذا الكتاب معطافا لاهل الخير والصلاح من العارفين
بالله رأيت أن أنقل هنا أذكارا لبعض العارفين بالله تبركا بآثارهم

فمن ذلك :

حزب الفلاح للامام الجزولى

وهو من جمع شيخ الطريقة أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن سليمان الجزولى رحه الله ، والتزمه أتباعه فى طريقة المعرفة بالله ، وقد تلقاه عنهم العلماء والفقهاء والصلحاء فى جميع أنحاء المغرب ، ودأبوا على قراءته بعد صلاة الصبح قبل قراءة حزب القرآن الكريم ، وهو كما تلقيناه عن أشياخنا رحمهم الله ، لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير 11 مرة وتزيد على الاخيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرى النذير . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الى قوله تكسبون « الانعام ، وقتل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبرا » الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق «

جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضل ما هو أهله 3 ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب « 3 مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق 3 مرات بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم 3 مرات ، سبحان ربه العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم 3 مرات ، أستغفر الله العظيم الذى لا إله الا هو بديع السموات والارض وما بينهما من جميع جرمى وظلمى وما جنيته على نفسى وأتوب اليه 3 مرات : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين « لا إله الا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، 11 مرة ثبتنا يارب بقولها وارحمنا يا مولاي بفضلها واجعلنا من أخيار أهلها واحشرنا فى زمرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وعلى آله ، 3 مرات ، اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير .
11 مرة . اه ومن ذلك أيضا :

المسبعات العشر

وهي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين سورة الفاتحة الى آخرها 7 مرات مع تكرار بسملتها ثم سورة الناس 7 مرات ببسملتها ثم سورة الفلق 7 مرات ببسملتها أيضا كذلك ، ثم سورة الاخلاص 7 مرات ببسملتها كذلك ، ثم آية الكرسي 7 مرات كذلك ، ثم سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم 7 مرات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد 7 مرات اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات سبعا اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت اهل له ، ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن اهله انك غفور رحيم جواد كريم رعوف رحيم 7 مرات وهي وظيفة العشي لاهل الطريقة ، وقد ذكرها الشيخان أبو طالب وأبو حامد والشيخ شهاب الدين السهروردي وغيرهم ، وذكر في الاحياء جملة من الآيات تستحب قراءتها لورود الاخبار بفضلها .

وقال الشيخ أبو عبد الله الخروبي : هذه الاوراد العظيمة قد جعلها العباد والصالحون من وظائفهم ودابوا على قراءتها غدوة وعشية في القديم والحديث ولم يزل أشياخنا وأشياخهم يحضون عليها اخوانهم ، وقد كانوا يحضوننا على قراءتها منذ كنا صغارا وقد عمل بذلك العلماء والاولياء في جميع الآفاق والامصار قال تعالى : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده « الانعام . ومن كلام الشيخ أبي العباس زروق لا تشترب الصحبة في الاذكار الواضحة لانها من جنس ما يطلب الاكثار منه مطلقا وهو الذكر لقوله تعالى : والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما « الاحزاب . ومن ذلك أيضا :

المعشرات التسع

وهي : أشهد أن لا إله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ثم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم 10 مرات بسم الله الرحمن الرحيم 10 مرات اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله عشرا ، ثم استغفر الله ان الله غفور رحيم 10 مرات لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم 10 مرات ثم لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير 10 مرات ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم 10 مرات ثم الحمد لله رب العالمين 10 مرات حسبنا الله ونعم الوكيل 70 مرة . ومن ذلك أيضا :

الحزب الكبير للشيخ أبي الحسن الشاذلي

وهو : بسم الله الرحمن الرحيم واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم « بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير « السر كهيعص حم عسق « رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشتقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا إله الا هو له الاسماء الحسنى « من الله الى الحسنى مرتين ، اللهم انك تعلم انى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل شيء من جهالتى بعلمك ، فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك ، واغفر لى انك على كل شيء قدير ، يا الله ، يا مالك ، يا وهاب ، هب لنا من نعمك ما علمت لنا فيه رضاك ، واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن فى جميع عطايك وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عن سواك يا الله ، يا عظيم ، يا على ، يا كبير ، نسألك الفقر مما سواك والغنى بك ، حتى لا نشهد الا اياك ، والطف بنا فيها لطفا علمته يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيب العصمة فى الانفاس واللحظات ، واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات ، وعلمنا من لدنك علما

نصير به كاملين فى المحيا والممات ، اللهم انت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد ، تعلم فرحنا بماذا ، ولماذا ، وعلى ماذا ، وتعلم حزننا كذلك وقد اوجبت كل ما اردته فينا ومنا ، ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد ، كما أيدت أنبياءك ورسلك ، وخاصة الصديقين من خلقك ، انك على كل شىء قدير ، اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك : فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك ، والويل لمن لا يعرفك ، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدايتك ولم يرض بقضائك ، اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك ، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ، فانه قد ظهرت السعادة على من أحببته ، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه ، فهب لنا من مواهب السعداء ، واعصمنا من موارد الاشقياء ، اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم وقد أمرتنا ونهيتنا والمدح والذم الزمتنا ، فأخو الصلاح من أصلحته ، وأخو الفساد من أضلته ، والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك ، والشقى حقا من حرمة مع كثرة السؤال لك ، فاعفنا بفضلك عن سؤالنا منك ، ولا تحرمننا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك ، انك على كل شىء قدير ، يا شديد البطش ، يا جبار ، يا قهار يا حكيم ، نعوذ بك من شر ما خلقت ، ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت ، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت ، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت ونسألك عز الدنيا والآخرة ، كما سألك نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عز الدنيا بالايمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ، انك سميع قريب مجيب اللهم انى أقدم اليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الارض ، وكل شىء هو فى علمك كائن أو قد كان ، أقدم اليك بين يدي ذلك كله : الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » .

أقسمت عليك ببسط يديك ، وكرم وجهك ، ونور عينك ، وكمال

أعينك أن تعطينا كمال ما نفذت به مشيئتك ، وتعلقت به قدرتك ، وأحاط به علمك ، واكننا شر ما هو ضد لذلك ، واكمل ديننا وأتمم علينا نعمتك ، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة ، والموتة الحسنة ، وتول قبض أرواحنا بيدك ، وحل بيننا وبين غيرك ، في البرزخ وما قبله ، وما بعده بنور ذاتك ، وعظيم قدرتك ، وجميل فضلك انك على كل شيء قدير ، يا الله ، يا على ، يا عظيم ، يا حلِيم ، يا حكيْم ، يا كريم يا سميع ، يا قريب ، يا مجيب ، يا ودود حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد ، وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا ، واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء ونجنا من الغم ، واجعل لنا منه مخرجا انك على كل شيء قدير ، يا الله ، يا الله ، يا الله ، يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز ، لك مقاليد السموات والارض ، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر ، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به الى رحمتك ، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نعمتك ومن حلمك ما يسعنا به عفوك ، واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لاوليائك واجعلها خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك ، وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة ، وأدخلنا برحمتك في ميادين الرحمة ، واكسنا من نورك جلابيب العصمة ، واجعل لنا ظهيرا من عقولنا ، ومهيمننا من أرواحنا ومسخرنا من أنفسنا : كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا » وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة ، وافتح اسماعنا وأبصارنا ، واذكرنا اذا غفلنا عنك بأحسن ما تذكركنا به اذا ذكرناك ، وارحمنا اذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به اذا أطعناك واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر ، والطف بنا لطفنا يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك ، فانك بكل شيء عليم ، اللهم انا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا مفعما بشكرك ، وبدنا هينا بطاعتك ، واعطنا مع ذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما أخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم حسبما علمته بعلمك ، واغفنا بلا سبب ، واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك ، انك على كل شيء قدير ، اللهم انا نسألك ايمانا دائما الى آخرها ، اللهم انا نسألك التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة والمحبة الجامعة ، والخلة الصافية ، والمغفرة الواسعة ، والانوار الساطعة والشفاعة القائمة ، والحجة البالغة ، والدرجة العالية ، وفك وثاقتنا من المعصية ، ورهاننا من النعمة ، بهواهب المنة ، اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها ، وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة

منها ، ومن التفكر فى طرائقها ، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها
واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ، وافض علينا من بحر كرمك
وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها واجعلنا عند الموت
ناطقين بالشهادة عالين بها ، واراف بنا رافة الحبيب بحبيبه عند الشدائد
ونزولها ، وارحنا من هموم الدنيا وغمومها ، بالروح والريحان الى الجنة
ونعيمها ، اللهم انا نسألك توبة سابقة منك الينا لتكون توبتنا تابعة اليك
منا ، وهب لنا التلقى منك ، كتلقى آدم منك الكلمات ، ليكون قدوة لولده
فى التوبة والاعمال الصالحات ، وباعد بيننا وبين العناد والاصرار ،
والشبهه بابليس رأس الفوات ، واجعل سيئاتنا سيئات من احببت ولا تجعل
حسناتنا حسنات من ابغضت ، فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا
تضر مع الحب منك ، وقد ابهمت الامر علينا لندرج ونخاف فأمن خوفنا ،
ولا تخيب رجاءنا ، واعطنا سؤالنا فقد اعطينا الايمان من قبل أن نسألك ،
وكتبت وحببت ، وزينت وكرهت واطلقت الالسن بما به ترجمت فنعم
الرب أنت فلك الحمد على ما انعمت ، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد
العطاء ولا بكفران النعم وحرمان الرضى ، اللهم رضنا بقضائك وصبرنا
على طاعتك وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبة للنقص او البعد
عنك ، وهب لنا حقيقة الايمان بك ، حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ،
ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئا سواك ، واوزعنا شكر نعمائك ، وغطنا برداء
عافيتك ، وانصرنا باليقين والتوكل عليك ، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك ،
واضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين اوليائك ، واجعل يدك مبسوطة علينا
وعلى اهلنا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين
ولا اقل من ذلك ، يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب ، يا من
هو هو هو ، فى علوه قريب ياذا الجلال والاکرام ، يا محيطا بالليالى
والايام اشكو اليك من غم الحجاب ، وسوء الحساب ، وشددة العذاب ،
وان ذلك لواقع ما له من دافع ان لم ترحمنى : لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين « 3 مرات ولقد شكا اليك يعقوب فخلصته من
حزنه ، ورددت عليه بصره ، وجمعت بينه وبين ولده ، ولقد ناداك نوح
فنجيته من كربه ، ولقد ناداك ايوب من بعد فكشفت ما به من ضره ، ولقد
ناداك يونس فنجيته من غمه ، ولقد ناداك زكرياء فوهبت له ولدا من
صلبه بعد يأس اهله وكبر سنه ، ولقد علمت ما نزل بابراهيم فأنقذته من
نار عدوه ، وأنجيت لوطا واهله من العذاب النازل بقومه فما انا ذا عبدك

ان تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به ، وان ترحمني كما
 رحمتهم مع عظيم اجرامى فأنت أولى بذلك واحق من اكرم به ، فليس كرمك
 مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت
 من خلقك ، وان عصاك وأعرض عنك ، وليس من الكرم أن لا تحسن
 الا لمن أحسن اليك ، وأنت المفضل الغنى ، بل من الكرم أن تحسن
 الى من أساء اليك ، وأنت الرحيم العلى ، كيف وقد أمرتنا أن نحسن الى
 من أساء الينا ، فأنت أولى بذلك منا : ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر
 لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين « يا الله يا الله ، يا الله ، يا رحمن ،
 يا حى ، يا قيوم يا من هو هو هو ، ان لم نكن لرحمتك اهلا أن ننالها
 فرحمتك أهل أن تنالنا يا رباها يا مولاه ، يا مغيث من عصاه ، أغثنا ،
 أغثنا ، يا رب يا كريم ، وارحمنا يا بر يا رحيم ، يا من : وسع
 كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم « أسألك
 الايمان بحفظك ، ايمانا يسكن به قلبى من هم الرزق وخوف الخلق ،
 واقرب منى بقدرتك قريبا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم
 خليلك ، فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا مسؤله منك ، وحجبه بذلك
 عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضره الاعداء من غيبته عن منفعة
 الاحياء كلا انى أسألك ان تغيبنى بقربك منى حتى لا أرى ، ولا أحس بقرب
 شىء ولا يبعده عنى انك على كل شىء قدير : أفحسبتم انما خلقناكم عبثا
 وانكم اليها لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
 الكريم ومن يدع مع الله الاها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه
 انه لا يفلح الكافرون وقتل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين « : هو الحى
 لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين « : ان الله
 وملائكته يصلون على النبىء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
 تسليما « : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
 والحمد لله رب العالمين « . ويعرف عندهم بالحزب الكبير ، ويوجد عند ابن
 عطاء الله ، والشيخ ابن عباد ، وأبى القاسم الصيرفى ، وأبى القاسم
 البرزلى ، والشيخ زروق ، وجمهور الشاذلية ، وفيه ثلاث روايات أحدها
 للشرىف العمرانى سيدى عبد النور ، وثانيها للشيخ عبد الله بن الصباغ
 وثالثها للشيخ العارف بالله تعالى عبد الله بن عباد ، وبها العمل عند أهل
 فاس بالمغرب وقال الشيخ بهاء الدين بن عقيل : روى عن بعض السلف
 انه قال : من قال فى كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح مدة شهرين :

استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم بديع السموات والارض
وما بينهما من جميع جرمى وظلمى واسرافى على نفسى واتوب اليه اعطى
كنزين : كنزا من المال وكنزا من العلم ، وقد جرب فصيح ، وانما الاعمال
بالنيات ولكل امرىء ما نوى . وهذه قصيدة للشيخ ابي اسحاق ابراهيم
التازى قال فيها :

زيارة ارباب التقى مرهم يبرى ومفتاح ابواب الهداية والخير
وتحدث فى القلب الخلى ارادة وتشرح صدرا ضاق من كثرة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
عليك بها فالقوم باحوا بسرها ووصوا بها يا صاح فى السر والجهر
فزر وتادب بعد تصحيح نية تأدب مملوك مع الملك الحر
ولا فرق فى احكامها بين سالك مرب ومجذوب وحى وذى قبر
ويقصد بقوله وتادب الزيارة الشرعية لا البدعية ، وراجع ما تقدم
فى ذلك ولا تغفل .

سلسلة من الوثائق الشرعية فى مسائل مختلفة الوثيقة الاولى فى تحديد الحرم العلمى

ونصها : الحمد لله وحده حيث هو معلوم لدى الخاص والعلم ان
حدود مساحة جبل العلم قديما ، وكانت تحيط بقبيلة بنى عروس المحترمة
التي بها مدفن قطب الاقطاب سيدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش وكثير
من اولياء الله المحترمين نفعنا الله ببركاتهم آمين حسبما هى مثبتة فى
دفتر الشرفاء العلميين بنى عروس ، وقد ادخلت عليها الحماية الاسبانية
تغيرا بالنقص من حدودها وهى كما يلى : ووافقت على الحدود الاخيرة
شركة المياه والغابات المغربية بعد الاستقلال ، والحدود المذكورة من
جوانبها الاربع بتبديء من سيدى امام بجبل ابي هاشم الى خناق الرند ،
واستمر الشفق الشفق الى سيدى احمد المجاهد البقالى وسار كذلك
الشفق الشفق الى ظهر الصحفة الى وادى ثلاثاء بنى يدر تحت مدشر
الهراول ، واستمر غربا الى الدكائة بالقرب من سيدى على بوخبرة
بمدشر اغبالو ثم منه الى مقطع الحديد بفتح الريح من قبيلة بنى يدر ثم
وقف ورجع شرقا الى حجر بدو بالقرب من سيدى الفضل من باب
الرقايح ، وسار فى اتجاه شرقى الى باب حافة عيسى ، ثم تحول فى اتجاه

غربي الى قمة الجبل بأعلى قرية دار الحيط ، واستمر منه في اتجاه شرقي الى وطا مدشر امسلل ، ومنه سار في اتجاهه الى موضع يعرف بالبني المدعو بعقبة اغيل ، وهناك وضعت رجمة الحد ، ثم منه الشفق الشفق الى موضع يعرف بالعمائر وهي كهوف تأوى اليها الوحوش ، وتدعى اليوم بالسحان بومتقومة ثم نزل منه الى وادي السطح ثم طلع في اتجاه واحد الى حجر الصيد المعروف بصمعة اقروش وهناك وضعت رجمة الحد ، ثم طلع في اتجاه واحد الى قمة جبل أبي هاشم ، ثم ذهب في اتجاهه الى سيدي امام ، المذكور ، في ابتداء الحدود أولا ، وأنشئت هذه الحدود بمحضر لجنة انتدبت لذلك مكونة من عدلين وجم غفير من أعيان الشرفاء العلميين من بنى عروس وفضيلة قاضي القبيلة وسعادة قائدها السيد عبد السلام الوهابي والمراقب الاسباني لدائرة بنى عروس وسماته ، ووكيل شركة المياه والغابات الذي رفض الحدود التي أقيمت في عهد المولى اسماعيل رحمه الله ، ثم اتفق رأى الجميع على هذه الحدود المذكورة المقترحة من طرف من ذكر لمساحة الحرم والضريح الموقر للقطب مولانا عبد السلام بجبل العلم المذكور ، المحتوى على كثير من أشجار الغابة المتنوعة ، ويغلب فيها شجر الدلم وتشتت ، وكل ذلك من نبات الطبيعة ، ويوجد أغلب الأشجار بهذه الاماكن التي ستذكر وهي من ركة كرششن الى باب امسلل ثم سار الى وطا بنى الشريف ثم سار الى سحان الوطسا المذكور ، ثم سار منه الى بياطة الشيوخ ، ثم سار الى رحى المدادنة ثم منه الى باب الخناق فوق مدشر ادياز ، ثم الى البلاعة ثم الى عين السبت ثم منه الى حجر بوبرنوص ثم منه الى خندق ابران ثم منه الى دار مولاي اليزيد بالحصن ثم سار الى الولي الصالح سيدي يونس ثم منه الى صاف الرخام ، ثم سار الى اراضى المنصلح ثم سار الى عين عمر ثم صعد الى ركة كرششن على الشفق التي بدىء بها أولا ، تحت اخضاع وموافقة تامة شهد عليهم وهم باتمه وعرفهم وفي 28 من رمضان المعظم عام 1365 هجرية موافق 26 غشت سنة 1946 ميلادية علامة العدل الاول ، وعلامة العدل الثاني ، نص الاداء : الحمد لله اديا فقبلا واعلم به عبد ربه في يومه قاضي بنى عروس عبد السلام اغبالوا الخاتم وبداخله قاضي بنى عروس .

الوثيقة الثانية

وهي تتضمن حقوق الشرفاء العلميين في فتوحات جدهم المولى ادريس

بفاس وهى مدة شهر كامل ونصها : الحمد لله نسخة رسوم ثلاثة ، الثبوت بالاول والتسجيل بالثانى والاداء بالثالث ، وخطاب من يجب اعزه الله عقب ما سيذكر نص الاول : الحمد لله شهوده الموضوعه أسماؤهم عقب تاريخه يعرفون الشرفاء الاجلة البدور الاهله حفدة الولى الربانى العارف الصمدانى الغوث الاشهر السر اللائح الاظهر مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته ، وافاض علينا وعلى المسلمين من فيض خيره وانواره ، المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون بأنهم عقلوا وميزوا وهم يعرفون الشرفاء المذكورين ياتى كل سنة منهم عدد كثير ، والغالب فى شهر ربيع الاول او قبله بيسير الى الحرم الادريسي زاده الله تعظيما وشرفا بوجود مولانا ونعمة الله التى اولانا خلد الله نصره وعلاؤه على الدوام ، وحمى به وجيشه المنصور بيضة الاسلام بقصد زيارته واخذ فتوحات الحرم المذكور ، وذباتحه مشتغلين مدة جلوسهم بالحرم المذكور التى هى مدة شهر واحد فى السنة بتلاوة القرآن بالروايات السبعية وبالادعاء لمولانا الامام ايد الله ملكه ، ولجميع المسلمين من غير اذاية الناس ولا يلطخون الحرم المذكور بنجاسة دم ولا غيرها ، كالدخان والكلام بالفحش وغير ذلك مما هو نقص فى حق نسبتهم الشريفة ، وحالهم يتصل بذلك الى الآن وحتى الان ، كل ذلك فى علمهم وصحة يقينهم بالمعاينة والحضور بالحرم للزيارة والصلات ، والاطلاع على الاحوال ، وبمضمونه قيادت شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها فى عشرى صفر الخير 1306 هجرية ، الشهود 1 — مولاي أحمد بن الطالب المرحوم سيدى ابو بكر بوغالب ، 2 — الشريف الطالب سيدى ادريس بن مولاي الطاهر الطاهرى ، 3 — الشريف الطالب سيدى الطائع بن الشريف سيدى هاشم بن عمر ، 4 — أخوه الشريف التاجر مولاي العربى ، 5 — شقيقه الشريف المسن مولاي العربى بن مولاي أحمد البلغيشى ، 6 — الشريف المسن سيدى ادريس ابن سيدى عبد الرحمن العلمى ، 7 — الطالب المؤذن سيدى محمد بن مولاي أحمد النسب الشريف ، 8 — المهدي بن سيدى محمد الحجوجى ، 9 — الشريف سيدى محمد بن سيدى الغالى المرابط ، 10 — سيدى عثمان ابن سيدى عبد المجيد بن يحيى المرابط ، 11 — سيدى الحسن بن سيدى أحمد معن العبدلاوى ، 12 — والطالب الاجل سيدى عبد الرحمن بن أحمد عدامة القصرى ، 13 — السيد عبد الله السوسى ، 14 — الفقيه سيدى عبد القادر الحبابى التاجر ، 15 — الناظر الحاج العربى بن الحاج

عبد الكريم بن موسى التاجر ، 16 — الحاج محمد بن الامين المرحوم ،
 17 — الحاج عبد الكريم بنائى التاجر ، 18 — الحاج علال بن الحاج
 عبد الرحمن غلاب ، 19 — الابى الحاج أحمد بن الحاج على الجرندى ،
 20 — السيد عبد الكريم بن المدنى بن حيون ، 21 — السيد محمد بن
 السيد الطاهر بن مليح ، 22 — الابى الحاج عبد القادر بن الحاج محمد
 التازى ، 23 — السيد عبد السلام بن العلم بن عبد الكريم عياد ،
 24 — الحاج محمد بن الحاج عبد السلام الفلالى ، 25 — السيد محمد
 ابن أحمد الشونى ، 28 — السيد محمد بن البقالى الاشيب ، 29 — المسن
 السيد محمد بن عبد السلام التغزوتى ونص الثبوت الحمد لله شهدوا
 لى من وجه له لموجبه فثبت ونص الثانى أسفله . الحمد لله أشهد الفقيه
 الشريف الجليل العالم العلامة المدرس النفاة البركة الاثيل قاضى الجماعة
 بحضرة فاس البليغ ، وهو : عبد الهادى بن أحمد الصقلى الحسينى
 لطف الله به ، وهو أعزه الله وحرسها بثبوت الرسم أعلاه عنده الثبوت
 التام بواجبه وهو حفظه الله ورعاه بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفى
 التاريخ أعلاه : الحسن بن عمر الكتانى بشكله واسمه ، وعبيد ربه
 سبحانه وتعالى : عبد الكبير بن محمد بن الحاج العلم الله وليه ، ونص
 الثالث أسفله : الحمد لله ويمثل ما شهد به الشهود أعلاه يشهد عبد ربه :
 محمد بن العباس العلوى لطف الله به ، ومحمد التاودى بن العربى
 الورياجلى لطف الله به ، وعبد ربه : محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى
 الحسينى لطف الله به ، ومحمد المهدي بن رشيد العراقى الحسينى لطف
 الله به وعبد ربه : العباس بن أحمد التاودى لطف الله به ، ومحمد بن
 عمر الفلالى الحسنى لطف الله به ، ومحمد بن أحمد العلوى لطف الله به،
 ومحمد بن عمر الرندى لطف الله به ، وعبد ربه : محمد بن أحمد العراقى
 الحسينى لطف الله به ، ومحمد بن محمد بن شعيب لطف الله به ، وعبد
 ربه ، الطالب بن عمر بن سودة المرى لطف الله به ، ومحمد بن المامون بن
 عمر الكتانى الحسنى لطف الله به ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سودة
 المرى لطف الله به ، والهادى بن محمد الصقلى الحسينى لطف الله به ،
 وعبد ربه : عبد الوهاب بن أحمد السراج كان الله له . ونص الاداء :

الحمد لله أدى الشهود التسعة عشر فقبلوا واعلم به . عبد الهادى
 ابن أحمد الصقلى الحسينى لطف الله به ، وبعده بخط من يجب اسندت

وانتهت فقابلها بأصلها فمائلته وأشهده الفقيه الاجل : العالم العلامة الامثل
الدراكة النفاة الاثيل قاضى الجماعة بحضرة فاس البليغ ونواحيها وهو :
علامة القاضى اعزه الله تعالى وحرصها باستقلال الرسم المنصوص اعلاه
لديه الاستقلال التام بواجبه ، وهو حفظه الله علامته ، الحسينى بحيث
يجب له ذلك من حيث ذكر وفي 5 ربيع الانوار عام 1320 هجرية كان
الله له آمين .

الوثيقة الثالثة

أمرت السلطة الاسبانية فى عهد الحماية باحصاء اولاد مولاي عبد
السلام من بين الشرفاء العلميين على يد لجنة انتخبت لذلك وسجلت بوثيقة
رسمية ثم سجلت بدفتر المعاملات تحت رقم 82 صحيفة 169 ونصها :

الحمد لله وحده بعد ما كان ضريح الشيخ الولى الاشهر الفوثن
الاكبر مولانا عبد السلام بن مئيش رحمهما الله يقام فيه موسم كل يوم
خامس عشر شعبان من كل عام مدة سنين عديدة ، ويأتى الزائرون اليه
من كل نواحي المغرب بهدايا وفتوحات لحفدة اولاد الشيخ برد الله ضريحه
وهم اولاد ولده الاكبر سيدى محمد ومن تفرع عنهم وأولاد ولده سيدى
أحمد ومن تفرع عنهم ، وأولاد ولده سيدى علال ومن تفرع عنهم ، وأولاد
ولده سيدى عبد الصمد ومن تفرع عنهم ، وجرت العادة بذلك ، وكان
الامراء وسلطين الدولة العلوية خلد الله ملكهم ومن قبلهم يرسلون الصلات
الوافرة لحفدته يوزعونها بينهم على السواء — ولم يكن لقرية السكان وجود
— وكان لهم فى القديم نقباء اكفاء فضلاء يرشحون لذلك ، وكان لهم النظر فى
شؤون الشرفاء والفصل بينهم فيما يرجع الى أمور النسب الشريف ، وكانوا
يحظون من طرف السلطة بمساعدتها على لم شمل الشرفاء ، وجمع
شئاتهم ، وتنظيف نسبهم من الادعاء المغرورين ويقبلون من صح نسبه
ويثبتونه ، ويردون من لم يثبت نسبه ويطرده ، ومضت فترة مدة هذه
الإعوام الاخيرة لم يرشح فيها أى نقيب ولا قدم أحد على شؤون الاشراف
المذكورين ، وبقي الضريح المبارك وحفدة الشيخ المذكور غير منظمين فى
شئونها ، وتسبب ذلك فى وجود فوضى شاملة أدت الى حدوث مشاكل
كان يرجع فيها الى من يكون قائدا على القبيلة أو من كان قوى الشوكة

أيا كان ، وقد تسبب ذلك في تمشى أمور حفدة الشيخ المذكور في ضريح جدهم على طريق غير محمود ، الامر الذي انكره الشرفاء أنفسهم وانكره غيرهم ، واستغل ذلك ذوا الشهرة منهم فكثرت الرؤساء من عائلات الحفدة المذكورين فاستحالت الامور الى نهب وفساد وضياع حقوق الضعفاء والمساكين وفي 15 شعبان يوم الموسم من هذه السنة الحالية ، وصلت الى الضريح الموقر صلة مخزنية قدرها جميع 20 ألف ريال سكة اسبانية لاجل ان توزع بالسوية على الاشراف من حفدة الولي الصالح المولى عبد السلام بن ميثس رحمهما الله واعلم بالحضور الى هذا الموسم كل من كان منهم ساكنا بمنطقة الحماية الاسبانية الخليفة المحترمة قبائلها ومدنها بهذه السنة فحضر منهم جم غفير وعدد وافر ، ثم وقع احصاء الحاضرين فكان عددهم 15060 نسمة ، وعليها وزعت العشرون ألف ريال ، الواصلة للضريح المذكور ، ثم اتفق جل الحاضرين في هذا الموسم الحالى على تنصيب لجنة منتخبة من طرف رؤساء الحاضرين من الشرفاء وأعيانهم وهم :

- 1 — قائد القبيلة السيد عبد السلام بن محمد الوهابى التجزرتى ،
- و 2 — قائد قبيلة سماتة الحاج محمد بن محمد الشنتوف و 3 — قائد قبيلة جبل حبيب الفقيه الوجيه العالم النبيه السيد عبد السلام بن محمد أفيلال ، الفلالسى ، وغير هؤلاء المذكورين من أعيان الشرفاء الحاضرين من بنى عروس وغيرهم ، وتكونت اللجنة المنتخبة من السادة : 1 — شقيق قائد قبيلة بنى عروس وخليفته السيد المفضل و 2 — الحاج محمد بن سيدى المختار بن الحاج بركة الطردانى المجاهدى و 3 — المحترم ناظر الاوقاف السيد عبد السلام بن البشير الوهابى الميزنى و 4 — السيد محمد نجل قائد قبيلة بنى عروس و 5 — الشريف السيد لحسن بن السيد محمد الوهابى السكاني و 6 — الشريف السيد أحمد بن العلمى الوهابى الحصنى و 7 — الشريف السيد محمد بن العلم بن المكى الوهابى العين الحديدى و 8 — الشريف السيد عبد السلام بن أحمد الخراز الارايوى و 9 — الفقيه الاجل السيد عبد السلام بن الطاهر الملقب الكون الطالبى المعبدى و 10 — ابن عمه الشريف السيد محمد بن العلم الملقب اخير الطالبى المعبدى و 11 — ابن عمهما الشريف السيد أحمد بن الفقيه عبد السلام ابن الطاهر الطالبى المعبدى و 12 — الشريف السيد عبد السلام بن السيد أحمد المدعو أحمد دحميذو الطالبى المعبدى و 13 — الفقيه العدل الشريف

السيد عبد الكريم مروان المدعو ولد العروسية القصيبي و 14 — الشريف
 السيد عبد الله بن السيد محمد مروان القصيبي و 15 — الشريف السيد
 محمد بن البشير الوهابي العين زياتي و 16 — الشريف السيد أحمد بن
 عبد الله المدعو ولد الحاج المجاهد الطالبي البجاري و 17 — الشريف
 السيد أحمد أخو قائد القبيلة و 18 — الشريف السيد العربي بن عيسى
 المدعو ولد مولاي الطاهر المجاهدي الطرداني و 19 الشريف السيد محمد
 ابن الحاج الطيب مروان الفرنوي و 20 — ومن أهل تطوان المرشح لنتابة
 الشرفاء الفقيه العدل الشريف مولاي أحمد بن عبد السلام الوهابي المدعو
 ابن ادريس و 21 — الفقيه العدل الشريف الحاج المكى بن السيد أحمد بن
 المكى الوهابي و 22 — ابن عمه دنية الشريف الوجيه السيد محمد بن محمد
 ابن المكى و 23 — شقيقه السيد أحد بن محمد بن المكى و 24 — الفقيه
 الوجيه الشريف السيد محمد بن عبد السلام المدعو بن الامين و 25 — من
 أهل شفشاون الشريف السيد العياشي بن محمد العلمي
 و 26 — الاستاذ النابغة الشريف السيد عبد الله قريش و 27 — الشريف
 السيد أحمد بن عبد السلام المدعو الدبيبيس و 28 — الشريف البركة
 السيد عبد السلام بن الحاج و 29 — الشريف السيد محمد بن على بن
 الامين و 30 — الشريف السيد التهامي بن محمد بن التهامي و 31 — الشريف
 السيد محمد بن عبد الوهاب العشايشي و 32 — الشريف السيد محمد
 ابن أحمد الوهابي التايدى الكرى و 33 — الشريف السيد محمد بن أحمد
 المدعو بن الهاشمي الوهابي الجديدى الغربى و 34 — الشريف السيد
 عبد القادر بن محمد المدعو ابن الرشدى الوهابي المطيعى المصورى
 و 35 — الشريف السيد محمد بن المختار الفقيه العدل المدعو ولد القاضى
 الوهابي الاصيلى و 36 — الشريف السيد أحمد بن عبد الله الوهابى
 التايدى الاصيلى و 37 — الشريف السيد الحاج محمد بن العلمى المدعو
 ابن حليلة السريفي و 38 — الشريف السيد أحمد بن العربي الحلیمی
 اليدرى البنوخلفى و 39 — الشريف السيد العياشي بن الوافي الخراز
 و 40 — الشريف السيد أحمد بن محمد المحجور و 41 — الشريف السيد
 أحمد بن المجاهد الخراز البنعمرانى الحسانى و 42 — الشريف السيد
 أحمد بن ادريس الطرييق و 43 — الشريف السيد المفضل بن محمد
 الطرييق التطوانى و 44 — الشريف السيد عبد السلام بن على افيلال

و 45 – الشريف السيد عبد السلام بن الحاج الهاشمى الفيروزمى
و 46 – الشريف السيد أحمد بن الحاج العلمى قنة و 47 – الشريف السيد
أحمد بن عبد السلام الطريقي و 48 – من قبيلة سماتة الشريف السيد
محمد بن أحمد الشنتوف الكرساني و 49 – الشريف السيد العلم بن عبد
السلام المدعو بورباطة الشنتوف التولى و 50 – الشريف السيد مشيش
ابن عمر بن الحاج الطيب الشنتوف التولى و 51 – الشريف السيد محمد
ابن مشيش الشنتوف التولى و 52 – الشريف أحمد بن المفضل الشنتوف
التولى . حضر الكل وعددهم 52 ناخبا وقبلوا ما رشحوا اليه بأمر من
نائب الامور الوطنية الاسباني ضون طوماس غرسيا فيكراس ، والمندوب
السامى الاسباني ضون رفائل غرسيا بالينيو وطلب منها المساعدة على
ضبط وجمع ما تشتت من أفراد الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام ، حتى
يسهل توزيع الفتوحات النازلة بضريح جدهم عليهم حتى لا يبقى سبب
للفوضى الضاربة أظنابها حول الضريح الموقر ويكون تنظيمهم وضبطهم
سببا فى محو أصل كل فوضى أو اضطراب حول الضريح الموقر وكان هذا
بمحضر من ندب لذلك فسمعه ووعاه وقيده شاهدا به على اشهادهم بذلك
وهم بأتمه ، وعرفهم وفى الخامس عشر شعبان عام أربع وسبعين وثلاثمائة
والف ، موافق 7 أبريل سنة 1955 ميلادية .

عبد ربه : علامة العدل الاول ، علامة العدل الثانى ، نص الاداء :

الحمد لله أعلم بثبوتة وقبول شاهده بتاريخه . علامة القاضى عبد
السلام اغبالوا الخاتم وبداخله المحكمة الشرعية لقبيلة بنى عروس .

الوثيقة الرابعة

وهى تتضمن اثبات أصول العائلات التى تسربت لسكنى قرية السكان
المحدثة أثناء الحماية الاسبانية ، ولا تزال أصولهم قائمة بالقرى التى
تسربوا منها بقبيلة بنى عروس ، ونصها : وقد سجل بدفتر القضايا المختلطة
تحت عدد 66،954 رقم الصحيفة 92 ، 198 عدد 415 .

الحمد لله باذن من يجب اعزه الله رقم 214 ومقتطعه فى كناش تحت
عدد 135 شهوده الموضوعه أسماؤهم عقب تاريخه يعرفون آل مدشر

السكان عند ضريح القطب مولانا عبد السلام المحدث وجوده ، وأصل
سكانه هم من أولاد ابن عبد الوهاب غالبا وأبناء عمهم أولاد الخراز ،
وأبناء عمهم أولاد الثنتوف ومن بينهم أولاد المحجور المعرفة التامة الكافية
شرعا بها ومعها يشهدون بأن أولاد ابن عبد الوهاب ، وهم الطائب السيد
عبد السلام بن المفضل المدعو الدروني ، وثقيقه السيد أحمد خرج أبوهما
المذكور من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان وأولاد عبد السلام
ابن المختار خرج جدهم من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان ،
وأولاد العياشي لقب البحار خرج أبوهما من مدشر عين الحديد واستوطن
مدشر السكان ، وأولاد أحمد الملقب بلابلة خرج أبوهم من قرية عين الحديد
واستوطن مدشر السكان ، وأولاد عبد السلام الملقب محماح خرج أبوهم
من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان ، وأولاد العياشي بن قاسم
خرج جدهم من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان ، والسيد محمد
ابن عبد السلام ابن لحسن خرج أبوه المذكور من مدشر تجزرت واستوطن
مدشر السكان ، وأولاد ابن عبد الكريم خرج أبوهم من مدشر تجزرت
واستوطن مدشر السكان وأولاد محمد بن عبد السلام بن ادريس خرج
أبوهم من مدشر تجزرت واستوطن مدشر السكان وأولاد العلم بن البائر
خرج أبوهم من مدشر الحارش واستوطن بمدشر السكان وأما أولاد
الخراز ، وهم السيد الحسن بن عبد السلام خرج جدهم من مدشر الدرادر
واستوطن مدشر السكان وأولاد العلم بن قاسم الخراز خرج جدهم من
مدشر العجالية واستوطن مدشر السكان والسيد العلم بن عبد السلام بن
قاسم الخراز خرج بنفسه من مدشر أرايوش واستوطن مدشر السكان ،
وأولاد عبد السلام بن اليزيد الخراز خرج أبوهم المذكور من قبيلة أنجرة
واستوطن مدشر السكان ، وأولاد محمد بن علي الانجري الخراز خرج
أبوهم المذكور من قبيلة أنجرة واستوطن مدشر السكان وأولاد الحسن
الخراز خرج أبوهم من مدشر بنى عمران من قبيلة بنى حسان واستوطن
مدشر السكان وأولاد المختار بن عبد السلام بن قاسم الخراز خرج أبوهم
المذكور من مدشر العجالية واستوطن مدشر السكان وأما أولاد السبيطي
الردام فان أباهم خرج من قرية أفرنو السفلى واستوطن قرية السكان ،
وأما أولاد المحجور فانهم خرج أبوهم من قرية ادياز واستوطن قرية السكان
— الا ان نسب المحجور غير مسلم — وأما أولاد الثنتوف وهم السيد محمد

ابن محمد الشنتوف فانه خرج أبوه المذكور من مدشر توله من قبيلة سماتة ،
والسيد محمد بن سى أحمد فهو من أولاد ابن عبد الوهاب ، وخرج أبوه
المذكور من مدشر تايدة واستوطن مدشر السكان ولا زال لهؤلاء المذكورين
أصول بالمداشر التى خرجوا منها عامرا وغامرا تركوها رغبة فى استيطان
مدشر السكان لياخذوا من فتوحات جدهم مولانا عبد السلام ويعيشوا عليها
كل ذلك فى علمهم وصحة يقينهم سند علمهم فى ذلك المخالطة مع شدة
الاطلاع الاكيد على غالب الاحوال وبمضمونه قيدت شهادتهم مسؤولة منهم
لسائلها وفى 29 محرم الحرام 1379 هجرية موافق 5 غشت سنة 1959
ميلادية وضمن فى كئاش الجيب الاول رقمه الشخصى 21 عدد 122 والثانى
رقمه الشخصى 22 عدد 122 عبد ربه مولاى أحمد بن محمد التجزرتى ،
وأخوه السيد المجاهد بن محمد التجزرتى وأخوه السيد عبد المجيد بن محمد
التجزرتى ، والسيد محمد بن عمر بن محمد التجزرتى والسيد محمد بن عبد
السلام بن الباشر التجزرتى والسيد محمد بن الصادق بن الباشر الحرشى
والطالب محمد بن المختار المحجور الحرشى والطالب محمد بن سى أحمد
المحجور الحرشى والطالب محمد بن المقدم الملقب البقيجر الحرشى والسيد
على بن عبد السلام بن على مشيثو والطالب محمد بن عبد السلام بن
الخضر امشيثو وعرفهم من مدشر تجزرت والحارش وامشيثون شهدوا لدى
من قدم لذلك لموجبه فثبت نص الاداء الحمد لله أشهد الفقيه الاجل العالم
العلامة الافضل المتولى الاحكام الشرعية بثغر العرائش ونواحيها وهو :
العلامة قاضى الناحية اعزه الله تعالى وحفظه بثبوت الرسم اعلاه لديه
الثبوت التام لصحته عنده وكتفائه بواجبه وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب
له ذلك من حيث ذكر وفى التاريخ اعلاه ، علامة العدل الاول وعلامة العدل
الثانى نص اداء قاضى بنى عروس وهو : الحمد لله أعلم بثبوته علامة
القاضى عبد ربه عبد السلام اغبالوا .

احصاء العائلات النازحة الى قرية السكان ، وهم : (أولاد ابن
عبد الوهاب) :

- | | |
|--------------------------|---------------------|
| 1 — أولاد الدرونى | أهل قرية عين الحديد |
| 2 — أولاد المختار | أهل قرية عين الحديد |
| 3 — أولاد العياشى البحار | أهل قرية عين الحديد |

- | | |
|-------------------------|--|
| أهل قرية عين الحديد | 4 — أولاد أحمد بلابلة |
| أهل قرية عين الحديد | 5 — أولاد عبد السلام محماح |
| أهل قرية عين الحديد | 6 — أولاد العياشى بن قاسم |
| أهل قرية تجزرت | 7 — وأولاد عبد السلام بن لحسن |
| أهل قرية تجزرت | 8 — أولاد بن عبد الكريم |
| أهل قرية تجزرت | 9 — وأولاد عبد السلام بن ادريس |
| قرية تايدة | 10 — وأولاد ابن سى أحمد |
| قرية الحارث | 11 — وأولاد العلم بن الباشر الملقب بوخواتم |
| مدشر الدرادر | 12 — أولاد لحسن بن عبد السلام (أولاد الخراز)مدشر الدرادر |
| مدشر العجالية | 13 — وأولاد العلم بن قاسم |
| مدشر أرايووش | 14 — وأولاد عبد السلام بن قاسم |
| نزحوا من قبيلة أنجرة | 15 — وأولاد ابن اليزيد |
| نزحوا من قبيلة أنجرة | 16 — وأولاد محمد بن على الانجرى |
| نزحوا من قبيلة بنى حسان | 17 — وأولاد بن الحسنى |
| مدشر العجالية | 18 — وأولاد المختار بن قاسم |
| مدشر أفرنو السفلى | 19 — وأولاد السببى الردام
(من أولاد الردام) |
| مدشر ادياز | 20 — وأولاد المحجور
(من أولاد المحجور) |
| نزحوا من قبيلة سماتة | 21 — وأولاد محمد الشنتوف
(أولاد الشنتوف) |

فهذا احصاء العائلات التى كانت موجودة تاريخه عام 1379 هجرية .

الوثيقة الخامسة

وهى تتضمن المصالحة المبرمة بين أهل مدشر السكان وبين القرى المجاورة لهم ونصها :

الحمد لله وحده لما وقعت المخاصمة والفتنة بين الشرفاء القاطنين بمدشر السكان عند ضريح القطب مولانا عبد السلام ، وبين أهل مدشر

تزيه وأهل مدشر تايدة ، وأهل مدشر ادياز ، وأهل مدشر الحصن وغيرهم من المداشير المجاورين لضريح القطب المذكور ، على شان التعشيب والحرق والتدبيغ ، وتقليع القشر ، ورعى الماشية ، فاستظهر أهل المداشر المذكورة على مدشر السكان بالرسوم وان الجبل كله ساحة ومنفعة لهم وان مدشر السكان حادث فلا ساحة لهم أصلا وانهم مثل الدراوش فلا منفعة لهم في الجبل الا المجاورة لجدهم الشيخ المذكور فوتمت الذبيحة من الجانبين في المداشر والاسواق والزوايا فاجتمع أهل الفضل من الشرفاء والقبائل والزوار يوم الجمعة تحت تشته المسماة تشته عين الحديد ، وادعى أهل مدشر السكان ان الجبل ساحة ومنفعة لجميع الشرفاء ، وادعى أهل القرى المجاورة المذكورون ان الجبل كله مقسوم محدود بينهم من عهد آبائهم وأجدادهم وأسلافهم فكل مدشر يعرف حظه ونصيبه في الجبل المذكور، ولكل مدشر حججه ورسومه فطرحت الرسوم بين الحاضرين فبقى كلام أهل مدشر السكان مجرد دعوى ولا حجة لهم على ما ادعوه فتدخل الشريف الوجيه ابن الولي الصالح سيدي محمد بن سيدي لحسن التجزرتى ومن حضر من اعيان الشرفاء والزوار وجميع أهل الفضل بالصلح الذى سماه الله خيرا بين الجانبين فاستعطفوا أهل المداشر الذين اتضح ان الحق حقهم أن يسمحوا لابناء عمهم أهل مدشر السكان بالسكنى مثل الدراوش أى الكراية على وجه الخير والفضل والاحسان لا على وجه الملكية كما يسمحوا لهم برعى ماشيتهم فقط وأما التعشيب والتدبيغ والتقليع للقشر فلا الا القدر الكافي لاصلاح ساحة الضريح فمن سمع ما ذكر من الفريقين شهد عليهم به وهم باتمه وعرفهم وفي الخامس عشر من ربيع النبوى عام 1312 هجرية وعلى الرسم المذكور خمس علامات للشهود ، العلامة ،

1 — للسيد محمد بن أحمد بن على الحرشى والعلامة 2 — للسيد محمد بن أحمد بن عبد السلام اللهيوى الفرنبوى والعلامة 3 — للسيد العلم بن عبد السلام بن عبد الكريم ، والعلامة 4 — للسيد محمد بن عبد الله شقور ، والعلامة 5 — للحاج عبد السلام بن عبد الوهاب ، نص الاداء الحمد لله أدى العدول الخمسة فقبلوا وأعلم بصحة ما ثبت عبد ربه تعالى « علامة القاضى » عبد ربه محمد بن عبد السلام حروش العروسى التزوى . نص التعريف بالقاضى المذكور من طرف قاضى قبيلة بنى عروس وهو : الحمد لله وحده الخطاب والعلامة على الرسم بالمتصق اعلاه يليه المتضمن لصلح

أهل مدشر السكان مع أبناء عمهم من آل مدشر تزيه ومدشر تايدة ومدشر ادياز ومدشر الحصن المؤرخ ربيع النبوى عام 1312 هجرية هما للفتيه العالم العلامة سيدى محمد بن عبد السلام حروش العروسى التزوى كان وقت تاريخ الرسم المذكور يفصل بين الخصوم ويخاطب على الرسوم بقبيلة بنى عروس واستمر على هذه الحالة الى أن مات عفا الله عنه قاله عارفا ومعرفا به في 29 من ذى الحجة الحرام عام 1375 هجرية موافق 7 غشت سنة 1956 ميلادية العلامة 1 – للعدل الاول ، والعلامة 2 – للعدل الثانى نص الاداء الحمد لله أدى الرافعان فقبلا واعلم به نيابة علامة نائب القاضى نص الخاتم المحكمة الشرعية لبنى عروس خطاب قاضى الناحية الحمد لله اعلم بأعمال الخطاب أعلاه قاضى العرائش وناحيته علامة قاضى الناحية وخاتمه ونصه : قاضى مقاطعة لكوس ، وهناك عدة وثائق أخرى أبرمت بين الطرفين فى نفس المشكل منها وثيقة تعرف برسم الصلح معلمة بالقاضى السماتى بتاريخ 1375 هجرية موافق 1956 ميلادية.

الوثيقة السادسة

وهى تتضمن الجلاء عن قرية السكان واخلائها من السكن ونصها : الحمد لله وحده لما حضر الجم الغفير من شرفاء قبيلة بنى عروس بضريح جدهم القطب مولانا عبد السلام بن مشيش تحت تشته عين الحديد وعلى رأس الشرفاء قائد قبيلة بنى عروس السيد محمد بن السيد عبد الرحمن الشريف مروان وناظر الاوقاف للقبيلة الشريف السيد عبد السلام بن محمد ابن الولى الصالح سيدى لحسن التجزرتى الوهابى واخوه السيد المفضل واخوه السيد أحمد والشريف السيد الحاج أحمد بن القاضى مروان والشريف السيد المختار بن السيد عبد السلام بن الحاج بركة المجاهدى الطردانى وابن عمه الشريف الحاج العربى بن مولاي الطاهر العلالق المجاهدى الطردانى والشريف التهامى بن السيد الطالبى المعبدى والشريف السيد العربى الوافى الطالبى المعبدى والشريف السيد العلم بن الخضر الوهابى البوجبلى ، والشريف السيد العربى المدعو عربوش الطالبى المعبدى ، والشريف السيد محمد بن العلم الطالبى المعبدى والشريف الحاج العلم بن

الحاج عبد السلام الشنتوف السماتى والشريف السيد محمد المدعو الشونى الشنتوف السماتى بمحضر قاضى قبيلة بنى عروس الفقيه العلامة السيد الحسين المحجور الاديازى قرروا فيما بينهم أن ينظروا فى قضية مدشر السكان بعد ما تقدمت لدى محكمة قائد القبيلة المذكور وذلك ان مدشر السكان المذكور ظهر فيهم الغاؤون من سفهاء الاحلام ، وكثر فيهم القائمون على السفاح والطفغان والتعامل بسىء الاخلاق والبهتان حتى وقع منهم هجوم على بعض الديار من أجل الفساد وهتك الاعراض ، وقد عرض ذلك وسطر بمحضر الاعيان من شرفاء السكان ، وهم : الشريف الوجيه السيد عبد السلام الدرونى وأخوه السيد أحمد الوهابيين والشريف السيد عبد السلام بن المختار الوهابى والشريف السيد أحمد بن عبد السلام المدعو محام الوهابى والشريف السيد العياشى بن قاسم الوهابى والشريف السيد محمد بن عبد السلام بن الحسن الوهابى والشريف السيد محمد بن عبد الكريم الوهابى وشقيقه السيد عبد السلام الوهابيين والشريف السيد محمد بن عبد السلام بن ادريس الوهابى والشريف السيد عبد السلام بن العلم بن الباشر الوهابى والشريف السيد الحسن بن عبد السلام الخراز والشريف السيد العلم بن قاسم الخراز والشريف السيد عبد السلام بن اليزيد الخراز والشريف السيد محمد بن على الانجرى الخراز والشريف السيد العلمى بن الحسنى الخراز والشريف السيد محمد بن النادى الخراز والشريف المختار بن عبد السلام الخراز والوجيه السيد الصادق بن محمد المحجور وشقيقه السيد العياشى والشريف السيد محمد بن محمد الشنتوف وطلب الحاضرون المذكورون اعلاه من اعيان شرفاء القبيلتين سماتة وبنى عروس من اعيان شرفاء السكان أن يرتحلوا عن جوار جدهم الشيخ مولانا عبد السلام لاساءتهم لزوار جدهم وكثرة طفغيانهم وفسادهم وهجومهم على بعض الدور من أجل الفساد وهتك الاعراض وغير ذلك الامر الذى استوجبوا معه ان يرجع كل واحد منهم الى مدشره الذى خرج منه وأن يرتحلوا فوراً عن جوار الشيخ المذكور وذلك ثابت بموجب اعترافهم على انفسهم حسبما هو ثابت برسم الشهادة العدلية التى اقيمت على اجدادهم بتاريخ 15 ربيع النبوى عام 1312 هجرية والتى تضمنت ان مدشر السكان انشئ بطريق الغصب والتعدى فهو حادث الوجود وأهله اعترفوا على انفسهم ان سكانهم به مثل سكنى الدراويش من أجل الاستقرار والاسترزاق من

فتوحات جدهم لا غير ثم تقدم من أهل المداشر المجاورين لضريح القطب المذكور أربعة أشخاص فعن مدشر الحصن السيد محمد بن الحاج الصوفي الشريف ثقفور وعن مدشر ادياز الفقيه العدل السيد المفضل بن محمد المحجور والشريف الطالب السيد أحمد بن عيسى الوهابي ورفعوا شكايتهم بأهل المدشر تايدة الشريف السيد أحمد بن عيسى الوهابي ورفعوا شكايتهم بأهل المدشر المذكور لما يلحقتهم من الضرر بسبب سكناهم به من رعى مواشيهم بأرضهم وقطع وحرق غابتهم بالتعشيب واستغلال أراضيهم وحيازتها الامر الذى يدعوهم الى الدفاع عن أنفسهم بواسطة العنف بما فى ذلك من تحويلهم المياه المملوكة شرعا عنهم وغير ذلك من وجوه الضرر الذى تسبب فيه وجودهم لاهل المداشر القديمة المذكورة ثم أجاب الاعيان الحاضرون من أهل مدشر السكان بأنهم يتعهدون على أنفسهم لاهل المداشر المذكورين برفع ما يضرهم من قبلهم عنهم وانهم مكلفون بذلك وعن ملكية الاراضى يعترفون على أنفسهم انهم لا يملكون شبرا من ارض على وجه الغصب والتعدى وانما هم ينتفعون معهم على وجه الخير والاحسان وانهم سيقومون بتأديب سفهائهم ويضربون على ايديهم حتى لا يصدر عنهم ما هو اذاية لهم او لغيرهم ، ثم تدخل الشريف السيد عبد السلام بن محمد بن الولي الصالح سيدى الحسن الوهابى التجزرتى وبعض الاعيان من شرفاء القبيلة فطلبوا من الحاضرين أن يسمحوا لشرفاء أهل مدشر السكان بالاقامة ان هم وفوا بما تعهدوا به على أنفسهم من كف سفهائهم عن كل قبيح ورفع ضررهم عن ابناء عمهم المجاورين لهم وان هم استمروا على ما كانوا عليه فنحن اول من يطالب بجلائهم عن هذا المكان المحترم ولا نوافق على سكناهم به ابدا ثم تكلم اعيان شرفاء السكان بمحضر اعيان شرفاء القبيلتين والقائد وخليفته وقاضى القبيلة والعدول وأشهدوا شهيديه على أنفسهم شهادة طوع واجماع بأنهم منفذون لما اتفق عليه الحاضرون وأهل المداشر المجاورون فقبل الحاضرون منهم جميع ما ذكر قبولا تاما بأنهم ساكنون على وجه الخير والاحسان والشاهدان تلقيا عنهم ما ذكر على نهج ما قيد وسطر شاهدين به عليهم بعد معرفتهم قدره وهم بأتمه وعرفهم وفى ثامن عشر ربيع الثانى عام خمسين وثلاثمائة و الف . العدل 1 — عبد ربه العياشى بن محمد الوهابى العدل 2— عبد ربه المفضل المحجور ، نص الاداء :

الحمد لله اديا فقبلا واعلم به عبد ربه : الحسين بن المكي المحجور .

الوثيقة السابعة

وهي تتضمن ولوج طائفة اولاد بوحرث الساكنين بقرية مجارليين النسب العلمى عن طريق التزوير والبهتان . وانه ليؤسفى ما اطلعت عليه من . انه ظهرت جماعة من الغاوين من بين من كان اجدادهم محبين لاجدادنا الاقدمين رحمهم الله من طائفة اولاد بوحرث الذين دخل عليهم اجدادنا بطلب من اجدادهم وآووههم وتصاهروا معهم ومتعوهم وخدموهم وعاشوا معهم على ذلك احقبا طويلة حبا في اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ان تظهر من بينهم هذه الجماعة من سفهاء الاحلام المغرورين المخدوعين الجاهلين لم يرضوا بما كان عليه اجدادهم مع ابناء اهل البيت النبوى الكريم وارتموا يدعون انهم من ابناء النسب العلمى الشريف واقاموا على ذلك حججا مزورة وانفقوا عليها اموالا طائلة وادعوا انهم من اولاد الشيخ مولانا عبد السلام على الخصوص ويعد ان انكروهم انهم لم يعرفوهم منهم وان ذلك لم يكن معروفا عن اجدادهم رفعوا قضيتهم الى المحاكم الشرعية محاولين بذلك ان يثبت نسبهم عن طريقها فكان جزاؤهم فى النهاية البعد والطرده عنه بصفة رسمية بواسطة المحاكم الشرعية حتى لا يعودوا مرة اخرى الى التفكير فى شىء من ذلك ، واليك ما صنعوا وما جنوه على انفسهم . فقد توصلت من ذلك بشهادة موقعة ومختومة بخاتم عليه اسم نقيب الاشراف بفاس ، ونصها : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه نقيب الاشراف محمد بن الطيب البدراوى الساكن بزقاق الماء رقم 19 بفاس طالب الشهادة السيد عبد السلام بن احمد بن عبد السلام العلمى والذى تبين فى شأنه انه شريف علمى من اولاد الحراث ، وذلك بتاريخ 24 ربيع الثانى عام 1389 هجرية موافق 10 - 7 - 1969 ميلادية الامضاء : محمد البدراوى نص الخاتم نقيب الاشراف محمد بن الطيب البدراوى . وهذه شهادة اخرى عنوان صاحبها : خديم الاعتاب الشريفة الملكية المغربية تحت ظل مولانا صاحب الجلالة الحسن الثانى نصره الله . نقيب الشرفاء الادارسة بعاصمة الرباط الحاج محمد بن علال العمرانى الحنشى الادريسي

بدرّب الفاسى رقم 26 ودرب النجار رقم 2 الرباط فى 23 ربيع الاول عام 1389 هجرية موافق 9 ينيه سنة 1969 ميلادية نص الشهادة : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله يشهد الموقع اسفله ان الشريف السيد عبد السلام بن السيد أحمد بن السيد عبد السلام المدعو الحراث العلمى الادريسي الساكن بحومة الليخر وبمدينة العرائش هو من السادة الشرفاء اولاد مولاي عبد السلام بن مثير بن ابي بكر بن على بن حرمة ابن عيسى بن سلام بن مزوار بن على حيدرة بن محمد بن ادريس نظرا لما بيدهم من الحجج الشرعية وظهير ملكى منسوب لمولانا الحسن الاول بن محمد بن عبد الرحمن العلوى لافادة المدلى بها ما يستحقه من التوقير والاحترام والحمل على المبرة والاكرام والرعى الجميل المستدام المتضمنة نسبهم الطاهر الى مولانا ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن ابي طالب كرم الله وجهه اشهدا تاما فى التاريخ اعلاه عبد ربه تعالى : محمد نقيب الاشراف الادارسة بعاصمة الرباط الامضاء : الحاج محمد بن علال العمرانى الحنشى الادريسي وفقه الله . الخاتم غير بارز الحروف كما لهم شهادة لفينية بذلك لم اتوصل بنصها ، ثم قدمت هذه الوثائق لمحكمة السدد بطنجة لسندها واليك نص المحكمة : وزارة العدل قضية مدنية عدد 663 سنة 1970 ميلادية حكم رقم 81 تاريخ الحكم 21 مايو 1970 ميلادية ع ن ش باسم جلالة الملك بتاريخ 18 مايو سنة 1970 عقدت محكمة السدد بطنجة بقاعة الاحكام جلسة علنية للنظر فى القضية المدنية عدد 663 ، 70 برياسة السيد محمد العشيرى ومساعدته كاتب الضبط السيد محمد الازمى فأصدرت الحكم الآتى نصه : بعد ما قام المعارضون المدعون السادة الحاج عبد السلام ابن عبد القادر وعبد السلام بن أحمد بن عبد السلام بن الطيب بن العلم ابن محمد ، وعبد السلام بن الطاهر وعبد السلام بن الحاج محمد الساكنون بمدشر مجازيليين من قبيلة بنى عروس بواسطة محاميهم البشير البقالى عرض الدعوى بموجب طلب مكتوب مؤرخ 9 ابريل سنة 1970 ومسجل بكنائش المحكمة تحت عدد 663 ، 70 الطرف الاول طلب المعارضون من المحكمة على لسان محاميهم التصريح بصحة الرسوم التى بأيديهم والمرفقة بالعريضة وبالتالي بأنهم ينتسبون الى جدهم مولاي عبد السلام ابن مثير وتلك الرسوم هى : شهادة نقيب الاشراف الادارسة مؤرخة

في 13 غشت 1969 للسيد محمد البدراوى ، ثم شهادة اخرى لنتيب الاشراف الادارسة الحاج محمد بن علال العمرانى الحنشى الادريسي مؤرخة في 3 ربيع الاول عام 1389 هجرية موافق 9 يونيه 1969 بالرباط ثم شهادة لفيفية مؤرخة في 26 غشت عام 1948 ويؤيدها فتوى السيد أحمد غيلان وفتوى السيد أحمد بوزد وظهير مبتور ، ولهذا قررت المحكمة تأجيل هذه القضية لمراجعة النظر فيها لمدة أسبوع ، وبالجلسة العلنية المنعقدة بتاريخ 14 مايو 1970 قررت المحكمة الحكم الآتى نصه : وهو :
تم الاطلاع على الملف المقدم من طرف العارضين المدعين مصحوبا بحججهم وجميع المستندات المرفقة بها ، وتقدم المدعى عليهم الشرفاء اولاد مولاي عبد السلام حجتهم التى تنفى بتاتا نسب الطرف العارض وانهم لا نسب لهم معهم أصلا فى التقديم والحديث بناء على المستندات المدلى بها من طرف العارضين ، وحيث انه لا يوجد حاليا اثبات فى صحتها الامر الذى يستوجب معه عدم اعتبارها صحة واثباتا من أجل ذلك صدر الحكم ونصه : حكمت المحكمة علينا بصحة المستندات المدلى بها فى موضوع نسب العارضين المدعين ، وهى الشهادة الليفية وشهادة نقيب الاشراف بفاس وشهادة نقيب الاشراف الادارسة بالرباط التى تقدم الكلام عليها والى جانبها الظهير المتبوت كما حكمت بتحمل العارضين المدعين كل صوائر الدعوى .

وبعد أن أطلع الشرفاء اولاد مولاي عبد السلام على ما قام به اولاد بوحرث بمفردهم حرروا احتجاجا على ما فعلته محكمة السدد من نظرها فى القضية من طرف واحد وهو طرف المدعين دون حضور المدعى عليهم أو وكيلهم وانه ليس من اختصاص محكمة السدد أن تنظر فى قضية كهذه ، وانما هو من اختصاص المحاكم الشرعية ثم رفعوا بذلك عريضة الى محكمة الاستئناف طالبين منها مراجعة النظر فى حكم محكمة السدد ، ثم طلبت محكمة الاستئناف ملف اولاد بوحرث كما طلبت من الشرفاء اولاد مولاي عبد السلام اعتماداتهم فى القضية ، ثم انعقدت جلسة فى محكمة الاستئناف من أجل النظر فى هذه القضية فحكمت ببطلان حكم محكمة السدد وعدم اختصاصها بتوقيف القاضى وكتابه وانه لا ينبغى الحكم فى مثل هذه القضية الا للمحاكم الشرعية ، واليك نص الوثيقة التى ادلى بها الشرفاء اولاد مولاي عبد السلام لدى محكمة الاستئناف ، وهى تتضمن نفي نسب اولاد

بوحراث من النسب العلمى وغيره وبذلك سدت الباب فى وجه اولاد بوحراث
دعواهم النسب العلمى الى الابد .

الوثيقة الثامنة

وهى تتضمن نفى انتساب اولاد بوحراث ونصها : المحكمة الابتدائية
سجل بدفتر 13 صحيفة 93 عدد 39 وهذا نص الوثيقة المذكورة : الحمد
لله وحده شهوده الموضوعه أسماؤهم وأشكالهم عقب تاريخه يعرفون
الطائفة المسماة اولاد بوحراث القاطنين بمدشر مجازيين من قبيلة بنى
عروس وغيرها اتم وجوه المعرفة واكملها ويشهدون مع ذلك بأنهم منذ
فهموا بعقولهم وميزوا بأذهانهم وادركوا باسنانهم لا يعلمون ولا أحد منهم
انتسب للنسب الشريف الطاهر النبوى المنيف وانهم لم يزلوا منظمين فى
سلك عامة المسلمين لم يتظاهروا به ولا تزيوا بزيه لا فى عقود أنكحتهم
ولا فى معاملتهم الى ان سمعوا الآن ان جماعة من هذه الطائفة راموا
الانتساب لشرفاء العلم بعد ما مضت عليهم قرون واجيال لم يتوسموا
بوسم الشرف النبوى ولا احتال به محتال منهم هذا الذى فى علمهم وصحة
يقينهم سندهم فى ذلك المخالطة والتردد كل عام لجبل العلم ومخالطة
شرفائه وشرفاء اولاد مولاى عبد السلام رضى الله عنه وخصوصا زيارات
أضرحة اولياء الله بنى عروس وجدهم سيدى مزوار من غير أن يروا أحدا
من هذه الطائفة يتدخل فى فتوحات هؤلاء السادات الكرام ، ولا تزاحموا
مع اولادهم فى أخذها وشدة الاطلاع على الاحوال وبه قيدوا شهادتهم
مسؤولة منهم لسائلها فى الخامس عشر من جمادى الثانية عام ثمان وستين
وثلاثمائة وألف موافق 14 أبريل سنة 1949 ميلادية العدل 1 العياشى
ابن محمد الوهابى و 2 محمد بن أحمد اقريميل و 3
محمد بن المفضل الكنفاوى و 4 عبد السلام بن محمد شقور و 5 أحمد
ابن العلم بن عبد الله شقور و 6 عبد السلام بن العياشى و 7 محمد بن
محمد الحداد و 8 محمد بن الحاج الطيبى و 9 على بن محمد و 10 عبد
السلام بن محمد الخنادق و 11 العدل عبد الكريم مرون و 12 العدل عبد
السلام ابن البشير الوهابى نص الاداء : الحمد لله أدوا واعلم به فى يومه
قاضى بنى عروس أحمد المهدي الاديسى وفقه الله نص الخاتم : المحكمة

الشرعية لبني عروس نص أعمال قاضي الناحية : الحمد لله اعلم بأعمال
الخطاب اعلاه قاضي مقاطعة لكوس احمد بن على اليملاحي العلمى
الحسنى نص الخاتم : قاضى مقاطعة لكوس .

قضية الرحامنة المهولة عبر أربعة قرون الشفشاونيين

وهى دعوتهم الانتساب الى النسب العلمى الخالص طيلة هذه المدة
وهم من حين لآخر يرفعون دعواهم الى المحاكم الشرعية كى يعترف لهم
بما ادعوه عن طريقها وفي كل مرة يكون الفشل حليفهم ولا زالوا ينتظرون
الوصول ولو عن طريق بذل الاموال اذا هم وجدوا من يقبضها . وبتاريخ
فاتح ربيع الاول عام 1389 هجرية موافق 18 مايو سنة 1969 ميلادية
طلع علينا رسم عدلى يحمل الاعتراف بشرف من ذكر ونصه : الحمد لله
باذن من يجب وبمقتطع عدد 333 من كناش 163 حضر لدى شهيديه
السيد الحاج محمد بن بركة العروسى الطردانى الساكن وقته بتطوان وهو
معروف عمره نحو 55 سنة متزوج واشهد على نفسه حيث انه نقيب
الشرفاء ان الشرفاء الرحمونيين هم اولاد عم الشرفاء الوهابيين لهم مثلهم
فى جميع الحقوق وعليهم جميع الواجبات وان طابعه الذى اعلاه وبداخله
الحاج بركة الرئيس للشرفاء اولاد مولانا عبد السلام بن مئيش بجبل
العلم حضورا واشهادا تامين عرف قدره به شهدا عليه وهو بأتمه وعرفاه
وفى ثالث وعشرى صفر الخير عام تاسع وثمانين وثلاثمائة والى موافق
10 مايو سنة 1969 وحرر فى 20 مايو 1969 ميلادية بجيب 26 رقم 467
صحيفة 47 عدد 145 عبد ربه تعالى : محمد بن أحمد اخريف لطف الله به
وجيب 32 رقم 495 صحيفة 98 عدد 104 وعبد ربه محمد بن عبد السلام
الطالبى المعبدى لطف الله به ونص خطاب القاضى :

الحمد لله اعلم بثبوته قاضى التوثيق الحاج المختار الخمال العمرانى
لطف الله به ويقال : ان هذا الاعتراف فى مقابلة ما ترددت به الاقوال
بين المليون والمليون ونصف من الفرنكات ، ولما وصل الخبر للشرفاء
الوهابيين وهم المعروفون بأولاد بن عبد الوهاب . وعددهم نحو 35 عائلة
كما تقدم رفضوا بالاجماع أن يكون الرحمونيين الذين اعترف بهم الحاج
محمد بركة منهم أو من أبناء عمهم الاقربين أو الابعيدين أو تجمعهم

معهم صلة دم أو قرابة رحم وكان على الحاج محمد بركة بعد أن اعترف بشرفهم أن يضمهم الى عائلته شرفاء طردان أولاد سيدي عبد الله المجاهد وهم من أولاد سيدي عبد الواحد بن عبد الكريم كما تقدم أقول : ان سفهاء الاحلام من هذه الطائفة قد جهلوا مكانتهم من الاسلام ولم يقنعوا بحظهم منه مع تقوى الله كسائر المسلمين من كل من آمن بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا واتبعه في طاعته وجعل التقوى شعاره في التقرب اليه والاهتداء بهديه قال تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم « ويا للأسف فكم بذلوا من مجهودات مالية وعملية طويلة سنين عديدة تائهن وراء هواهم كى يتبوعوا مقعدا يبعون بلعنة الله وغضبه عليهم بين الشرفاء العلميين اهل النسب المحصن من الدخلاء منذ زمن بعيد ، وليس النسب الشريف من جنس ما يباع ويشترى أو ينال بحكم المحاكم ، فهيهات هيهات الوصول الى الجناح النبوى الشريف عن احدى هذه الطرق ان لم يكن صاحبه موصولا في الواقع ، وهل لمن وصل الى ذلك وتبوا مكانة بينهم سالمة أو مطعوننا فيها أن يتمتع بما يتمتع به أهل البيت من اذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب تطهيرا وهل يجدى الوصول بلا تقوى لمن كان واصلا كلا ، لانه صلى الله عليه وسلم تبرأ ممن رام الوصول اليه عن طريق النسب الطينى وحده لما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : ايتونى بأعمالكم لا بأنسابكم . وقوله : ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . بل وجه الكل وجهة واحدة الى ما هو اكرم عند الله تعالى فقال : ان اكرمكم عند الله أتقاكم « بينما اننا نجد ان هذه المكائنة ظلت شهوة من لا عقل لهم من طرف الامة كلها فى القديم والحديث ، وهناك طائفة أخرى فى الامة احترق ضميرها غيظا وحسدا لاهل هذه النعمة ، ونال جزاء حسده ، ومنهم من اتقى الله ومال الى محبة الله ورسوله وأهل بيته ولا شك ان هذه هى الفرقة المرضية ، وهى التى سلكت سبيل سلمان رضى الله عنه . ولو فرضنا ان هناك من ساعده الحظ فى الوصول والحصول على هذه الامنية الغالية ظاهرا وليس له فى واقع الامر وباطنه منها شىء وتحلى حياته بحلية مستعارة وتبعته ذريته على ذلك هل ينفعه ذلك يوم ينادى أهل البيت بأسماء آبائهم وتنادى الامة بأسماء أمهاتها

وهو بين صفوف أهل البيت ، وهناك سيفتضح كما تقدم في الحديث ، واحسرتاه في ذلك الموقف . وجاء في الحديث من انتسب الى غير ابيه الى آخر ما تقدم من الاحاديث الواردة في ذلك . وقد كان لاولاد الرحمنى المذكورين ان يكفيهم زاجرا لو عقلوا عفا الله عنا وعنهم ان طردوا عن دعوتهم هذا النسب الشريف عند كل محاولتهم الوصول عن طريق المحاكم بأقلام علماء الامة الاسلامية كما ستقف عليه مما هو مسطور في محله ، والى جانب ذلك ما خسروه من الاموال التى جعلها الله قواما لحياتهم وحياة اولادهم فقد ذهب ذلك كله في باطل لا يرجى من ورائه اجر ولا نفع آخرى بل ستقلب نفقته وبالا عليهم لان الله نهاهم عن اضاعه المال وحينذاك سيجتمع عليهم خسرانان حيث لا نسب ولا مال أنفق في اجر ، زيادة على خسرانهم في الدنيا بطردهم من النسب النبوى الشريف وعساه ان يكون خيرا لهم عند الله ، فالى أين المصير يا قوم بعد بذل هذه المجهودات ؟ ا الى لعنة الله في الدنيا والخزى في الآخرة ؟ أم الى رضى الله والفوز بالجنة ؟ ما هذا بعقل العقلاء ما هكذا يكون الخذلان والسير من وراء الشيطان .

واليك ما سطره بعض علماء الفتوى القائمين بحق الله والحافظين لحدود الله فقد توصلت من ذلك بما يلى : بعد أن تبوات القضية مكانتها بين المحاكم الشرعية وترددت بين الطرفين أخذا وردا بين محاول الاثبات والنافى وقد رجع ذلك فى النهاية الى علماء الفتوى : واليك ما توصلت به من ذلك مسطورا بيد كبار الاجلة الاعلام حملة الاقلام والكلام ، من ذلك فتوى العلامة المدرس شيخ شيوخنا سيدى الحسن بن محمد الزرهونى الشريف العمرانى رحمه الله ونصها :

الحمد لله وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه نوى التقى والجاه ، وبعد : فقد كتبنا فى النازلة أولا وثانيا مع غيرنا من الاجلة الاعلام ما عليه المعول ، وتحققنا بأنها لم يبق فيها لاحد خوض ولا قول لما هو ثابت فى الدواوين التاريخية والكتايبش الملوكية المبنية على ما أنتجه بحث علماء وقضاة وأعيان أشرف الجبال العلمية باذن من السلطان المولى اسماعيل قدس الله روحه لما رأى وقت خلافته من كثرة الدخلاء فى النسبة الهاشمية بكثرة الادعاء والزور والإتاويل

الباطلة حتى تحقق الشريف من المتشرف وكتبوا من نسبه صريح في دفتر ، وتركوا له ما بيده من الظهائر ، كما قيدوا كل من وجدوه دخيلا في دفتر ، وأزالوا له ما بيده من الرسوم المزورة ، ومن الدخلاء المطرودين أولاد الرحمونى وهذه الكنائش المؤيدة بما في تواريخ الائمة أولى بالتقليد من غيرها لان من وجه اليها عن اذن السلطان ما كانت وجهته مصروفة الا لتحقيق النسبة فمن لم يثبتوه لا نسب له ، فأحرى من صرح بنفيه ، وشهد الآن بنفى الرحامنة أى بنفى نسبهم ما يزيد على المائة والعشرين شاهدا ما بين عدل وعالم وشريف ومع هذا التواتر والاستفاضة الكثيرة ، لم يبق لقائل ما يقول الا الاذعان والتسليم والقبول لكون هذا العدد محصلا للعلم اليقيني وخارجا عن باب الشهادة ، ويستحيل تواطؤه على الكذب عادة ، ولم يمكن تجريح جميعه ، ولا الاتيان بمؤثر في شهادته ولو قلامه ظفر ، ولم يبق حينئذ للنظر تعارض ، وانظر الى قضية أبى الخير الملقب لزندقته بأبى الشر حيث شهد فيه عدد نحو الستين وأفتى جماعة من العلماء بقتله بدون اعدار ، فكيف بضعف هذا العدد فيما دون القتل ، بالافتاء حوله الذى رام نقض ما أبرمناه ، وبنصوص الائمة القاطعة فى النازلة أيدناه ، بما هو بعيد منها وخارج عما يقابل به التواتر والاستفاضة الحاصلان فيها معتمدا فى كتابته على ما بيد الرحامنة : مثبت ، وما بيد غيرهم ناف ، وان المثبت مقدم على النافى شرعا ، وان بيدهم رسوم اشرية ومعاملات فيها التحلية بالنسبة ، وقد نقل فى الجامع عن القاضى ابن على الحسن بن عطية الونشريسي بعد كلام فى نحو النازلة ما نص المقصود منه ، نعم ، ان كان الطاعنون أكثر من المثبتين واستمر ذلك خلفا عن سلف الى أن وقف على شهود انفردوا بالاثبات ، وفى القبيل مائة من أسنانهم لا يعرفون شيئا من ذلك ، فمثل هذا لا يلتفت الى اثباته ، والتحلية فى الرسوم ان وجدت لا يثبت بها النسب كما هو مشهور فى اللامية وشروحها وحواشيها ، ولو كان ما يقول الافتاء حوله من ثبوت نسب الرحامنة وشهرته ليشهد لهم به كل من هو من أهل بلدهم كبيرا وصغيرا مع انه لم يشهد لهم كما فى الافتاء الاول المنتسخ حوله الا بنية عدلية وحادثة ممن جاورهم من القبيلتين الغمارية والخمسية والمدينة الشغشائونية . وقوله هذه الاستفاضة التى شهدت للمدعى عليهم هم خصماء للمدعين فلا تجوز شهادتهم الخ فمردود بأن المدعى عليهم فى القتال أناس مخصوصون

ولم يشهد واحد منهم ، على انه قد نص غير واحد من العلماء على انه ان وقع نزاع في حبس مسجد جاز لاهل المسجد أن يشهدوا فيه ، وقوله ان هذا لا يتواتر فيه استبعاد ، يقال له : ان كان هذا استبعاد فما هو بيد الرحمنين ابعد الذى لم يبلغ ولا قارب هذا التواتر ابعد وابعد لان شهودهم ليسوا من محلهم غيروزيم وانما هم من القبيلتين الخمسية والغمارية واذا لم يشهد في هذه النازلة مثل العلماء والاعيان والعدول الشاهدين للمدعى عليهم فمن ذا الذى يشهد ؟ مع ان كل صنف اعرف بصنفة من غيره ، فالشرفاء العلميون الشاهدون للمدعى عليهم هم اعرف لمن هو منهم ، وغيرهم وبما يعرف على اليقين وربما لا يعرف أصلا ، فهم احق بالشهادة في مثل هذه النازلة من غيرهم ، وهذا بعض مجارات للافتاء المنتسخ حوله ، واما حيث حصل التواتر والاستفاضة بالقدر المشار اليه من الاعيان والاشراف والعدول وخرج عن حد الشهادة فلم يبق نظر لاثبات ولا نفى ولا غيره من أى معارض ولم يبق اعذار وأمته صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وقد كتبنا في النازلة مع غيرنا ما عليه المعول ، والدخول في النسبة مع هذا ليس بهين والحق غير خاف والله أعلم . وقيدة عبد ربه ورهين كسبه : الحسن بن محمد الزرهونى . أصلا ودارا الفاسى العمرانى الحسنى كان الله له ولجميع عبادته بمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . ثم فتوى العلامة سيدى عبد الواحد بن عبد السلام الفهرى الفاسى ونصها : الحمد لله الذى لا ينبغى الحمد الا له ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وكل من انتمى له ، وبعد : فمما ينبغى الفات النظر له أولا في صورة النازلة ان المطلوب شرعا البحث في النسبة النبوية لىتميز من ثبتت له شرعا ممن لا حظ له فيها، وان ترتبت عليه مفسدة هضم من سقطت دعواه بوجودان السبيل الى امتهانه ومعاملته معاملة العوام لان هذه المفسدة أهون من فضيحة الآخرة حيث تحقق الحقائق ويظهر الامر على خلاف ذلك ويطرد عن ذلك الجنب الذى كان له ينتمى ، وفي كتاب الذخيرة ما نصه : من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويسجن طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح أيضا انه صلى الله عليه وسلم أمر حسانا رضى الله عنه أن يذهب الى أبى بكر رضى الله عنه ليخلص له نسبه أى حين أراد حسان

وأمر أن ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له فكيف بنسبى فقال حسان لا سلنك منهم وتعين عليه تخليص نسبه الشريف ، وكذلك سائر الأمة لما كلفوا به في حق الآل بأمور ، منها الصلاة عليهم الوارد بها النص حسبما في الصحيحين وبما يجب لهم كما في المختصر : فخراجها والخمس والجزية لآله صلى الله عليه وسلم وبما نزهوا عنه بالكفاية من غيره ، ففي صحيح مسلم ان هذه الصدقة انما هي أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محد الى غير ذلك ، فلما كلفت الأمة بهذه الاحكام وغيرها في حق آله صلى الله عليه وسلم تعين تمييز متعلقها الذى هو الآل من غيرهم ولا يتميزون الا بالبحث البالغ ، والتفتيش المستقصى ولذلك نصبت النقابة قديما وحديثا في ممالك الاسلام ، وذلك أهم ما نصبوا له ، لان الناس جبلوا على حب العلو ونيل الرياسة فكلهم يتطلع ويتحيل للتحلى بهذا النسب الشريف فاذا لم يقع الذب عنه استوى الشريف والمشروف وتعطلت الاحكام وتعلقت بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك ، قال الامام أبو عبد الله ابن السكك وكان قاضيا بفاس أوائل المائة التاسعة في كتابه : المسمى « نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام » في سياق كلام ما نصه : فأما وظيفة الشرفاء فالسؤال والبحث والغيرة على هذا النسب الكريم ليلا يتجرا عليه من ليس من أهله فهذا أمر يجب عليهم ويتعين . وقال الشيخ النظار شيخ الاعصار والامصار مفتى فاس أبو عبد الله القصار : ينبغى أن يكون لاهل البيت النبوى بل ولجميع الأمة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه احد الا بحق كما جرى عليه السلف الكرام لتعيين توخيهم بالاجلال والاعظام ، وقال الامام ابن حجر الهيتمى ينبغى لكل أحد أن يكون له غيرة على النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم احد الا بحق ه ببعض تصرف أي من ناسخ الاصل ، وهذا بحث من أجله عن سؤال وجواب للشيخ الحجة خاتمة قضاة العدل أبى حامد سيدى العربى بردلة عما في النوازل ، يذكر راويه عن الامام : ولهذا الذى أيقظت له النظر أولا لما كثر المتشرفون والمدعون بادر لحيازة نصب السبق في هذا الميدان السلطان الافخم والامام الاعظم مولانا اسماعيل قدس الله روحه فأمر في وقته بالبحث والتقيب وتمييز الغث من السمين والصحيح من السقيم من قام به وصف استحقاق ذلك في سائر اياته الشريفة حتى يتبين

الصادق من الكاذب في جبل العلم وغيره ، وصار المدار على ما أنتجه البحث مما هو مسطور في دفاتره المفيدة ، وذلك اثباتا ونفيا لانه زبده الابحاث التي قام بها الشرفاء وعلماء النسب اذ ذاك من الثقات ونقبائهم وقضاتهم لا سيما وقد قال الامام ابو حامد سيدي العربي الفاسي في المرآة نقلا عن اخيه الحافظ ابي العباس في وقتها في خصوص اهل جبل العلم بفتح اللام ما نص الغرض منه : أن شرفاء العلم يعرفون الرجل بعينه وانه ابن فلان ويعرفون الاب أيضا كذلك بحيث انتهوا في ذلك الى معرفة الاشتهاء من الذين للاب في كثير منهم الى أن قال : مع تحفظهم الى الغاية في نسبهم حتى ان من سكن بين أظهرهم وتوالت الاعصار عليه وعلى بنيه من بعده لا يغفل أمره ولا يمكنه الدخول فيهم أصلا بل يتوارثون معرفته ونسبه الخ وقال أيضا : بعد هذا ما نصه : اذ العمران في سفح الجبل ودائر به في مداشر وعمائر كثيرة يسكنها أهل هذا النسب الكريم ومعهم من لا نسب له من الذين استقدموهم للمساكنة معهم ولجاورة أهل البيت الكريم ، وهو خلاف ما أشعر به بعض فتاوى المدعين كما علمت منه ان المولى اسماعيل برد الله ضريحه بذل غاية الجهد سالفا في هذا المعنى وأبقى زبده ذلك بين عثرته الطاهرة النبوية اسوة لمن بعده جزاه الله خيرا وان تلك الزبده لم يبق فيها أحد باثبات أو نفى الا بعد البحث التام والاعتماد على شهادة الاشراف وعلماء الاسلام ، وان شرفاء جبل العلم كان لهم الوفاء الخصوصي وان سلالتهم المباركة كانت من قبل قائمة على ساق الجد في حفظ أصولها وفروعها بحيث لا يمكن لمن ساكنوهم دهورا طويلة أن يندرج في أصولهم عن طريق عمود نسبهم الشريف جيلا بعد جيل ، وهكذا الى وقتنا الحاضر كما هو معلوم بالبوادي والحواضر ولا ينكره الا معاند او مكابر ، فكيف يمكن مع هذا وجود فرع سيدي العافية بن سيدنا محمد ابن مولانا عبد السلام ، وبقاؤه الى هذا العصر ، وانكاره من باقى فروع سادتنا الشرفاء والحال ان غير واحد نص على ان اولاد الرحمونى لا حظ لهم في النسب العلمى الشريف كما نقل ذلك الجهابذة من المفتين بجانب المدعى عليهم وأما ما ذكره الكاتبان بالمنتسخ حوله فرعه فقد أسسها على أمور : الاول ثبوت النسب بشهادة السماع وحياسة مدة طويلة حسبما بالبينة العدلية ذات الشهود الستة التى ادلى بها المدعون فقد عورضت هذه الحياسة بأن محل أعمالها حيث لا منازع وفي صورة النازلة ثبوت

المنازع ووجوده قديما وحديثا وأجاب المفتى الاول حوله عن هذا بأن المنازع قديم والذي أثبت لهم النسب متأخر ولا يخفى ما في هذا الجواب من الركاكة ، ضرورة ان الذين نازعوا قديما في ثبوته نفوا نسب هؤلاء الرحامنة بالعلم والدراية والحجة التي سوغت لهم نفيه ، ومن أثبتته أخيرا لم يات له المفتى بحجة علمية او عدلية على اثباته الا ما أسندت اليه من معاينة ذلك أى تحليلتهم بالشرف في معاملاتهم وأنكحتهم الخ مع ان ذلك لا يفيد في الفقه شيئا كما في اللامية وشروحا وحواشيها لا سيما مع ثبوت النزاع في كل أوان فما ذكره المفتى من معاينة الرسوم وهى لا تفيد شيئا في تعيين الحكم ، وان تلك الانكحة وما في معناها لم يذكر لنا المفتى هل اشتملت على ذكر العمود على وجهه أم لا ؟ وأما قوله ان بينة المدعى مثبتة والاخرى نافية ، والمتقدمة الاولى ، وهو الامر الثالث فيقال له عليه لا نظر الى الترجيح بالاثبات الا عند تساوى البينتين ، وقد علم ان بينة المدعين مسترابة من حيث وجود النفي الصحيح عن فحول النسابين سالفها بعكسها ، وحيث ان الثرفاء بجبل العلم شهدوا أيضا بصد ما شهدت به ، وقد نص الاصوليون على ان ما توفرت فيه الدواعى على نقله فنقل من وجه شاذ فانه لا يسمع ، وقال ابن عرفة : لحوق الريبة في شهادة السماع مطلقا الخ وفي المجموعة : اذا شهد رجلان على السماع وفي القبيلة مائة من أسنانهم لا يعرفون شيئا من ذلك لم تقبل شهادتهم الا بأمر يفتشو ويكون عليه أكثر من اثنين ، الا أن يكونا شخصين قد باد جيلهما فتجوز شهادتهما ه وقال سيدى عيسى اذا كثر من لم يسمع وشهد هذان اللذان شهدا بالسماع عن الجمهور كان ريبة منهما في جهة الشذوذ ه انظروا نوازل السملالى والبهجة وغيرها على ان بينة المدعين لم تتعرض لتنقلات في الانساب بوجه ولا بحال ، ولا نفى ذلك المدعون عن أنفسهم بغيرها فيما وصل الى اليد ، وتلك التنقلات الثابتة الآن بعدلية المطلوبين قصرت ولا اشكال بالطالبيين كما انها أى بينة المدعين أيضا لم تتعرض لما تضمنته أيضا بينة المدعى عليهم من انقطاع سيدى العافية وعقبه الذى يروم التوصل عن طريقه المدعون منذ مآت السنين والنقل مساعد لهذه البينة على ما شهدت به ، وليس في الافتاء الثانى حوله زيادة على ما أجاب عنه المفتى اعلاه ، أما الاخبار بمعاينة بعض الشهادات وما قيل في المعطوف عليه يقال في المعطوف ، وأيضا بينة المدعين المدلى بها لا زالت عما ادعوه

في المقال من كونهم كانوا يتصرفون مع الشرفاء في فتوحات الجبل الراسخ مولانا عبد السلام رضى الله عنه فلتنظر ؟ وأما نازلة القاضي المجاصى رحمه الله فالفرق بينها وبين نازلتنا واضح لمن أنصف ، اذ الحيازة هنا لم تعد منازعا في وقت من الاوقات ، وما نقله فيها عن الامام ابن خلدون من نسب بنى عبيد قد اعترضه الحافظ ابن حجر العسقلانى من جهة علمية فليحذر ؟ على أن جواب المجاصى مصرح بتقييد عدم النظر الى كثرة النافي بقوله : حيث لم يتضح مبنى نفيه الخ ما نقله عنه الافتاء حوله ، هذا وقد قال في التوضيح الناس مصدقون في أنسابهم وتبعه شمس الدين لكن قال التتائى ينبغى تفسيره بغير دعوى الشرف ، ونحوه للتماق في حاشيته على شرح الحصن والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وقيده عبد ربه عبد الواحد الفهرى الفاسى وفقه الله بمنه .

ثم فتوى شيخنا العلامة سيدنا العباس بنانى رحمه الله ونصها :
الحمد لله كما ينبغى لجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

وبعد : فقد كثر في هذه النازلة القول وجرى بمنهل الافتاء فيها السيل وذلك في ثبوت نسب الرحمونيين المدعين في مقال النازلة واتصاله بالولى الاشهر ابن مشيش الشريف الحسنى الادريسى وعدم اتصال نسبهم بمن ذكر وكل من الفريقتين في ثبوته ونفيه أدلى بموجب وافتاءات وظواهر وكل ذلك في المنتسخ أعاليه وبمحوله ، ولم يبق بعد وصول النازلة الى الطور الحاضر الا ان يحكم قاضيها بما هو الراجح فيها ، والترجيح انما هو لجانب المدعى عليهم بكثرة الشاهدين بالنفى من عدول ولفيف تجاوزوا حد الخبر المتواتر الذى تفيده الشهادة الى اليقين ، المستفاد من الكثرة المذكورة ، قال في جمع الجوامع : وآية العلم اجتماع شرائطه . ويعدل في النسب على الترجيح بهزيد العدالة الى الكثرة عملا بقول اللامية : بعثق نكاح الخ زيد عدالة كحد قصاص نسبة مع معقب الخ وضابطها ما لا يثبت الا بعدلين ، وأما ما يتشبهت به الخصم من الترجيح بتقديم المثبت على النافي فمحل ذلك حيث يكون الثبوت المبنى على حيازة النسب بما تحاز به الاملاك تاما شرعيا خاليا من الموانع ومن جملة ما أن تكون الحيازة التى اعتمدها المثبت دون منازع ، ولا زال هذا النسب مصحوبا بالمنازع في القديم والحديث ، وقد

ثبت للمستفتى كما بالرقم حيث أشير ، انتساب المدعين للولى سيدى الملهى وطرردوا عنه ، ثم انتسبوا الى الولى الصالح سيدى يونس وطرردوا ، ثم انتسبوا ثالثا لسيدى العافية ولا جرم ان الاضطراب فى مثل ذلك موجب لسقوط دعوى المدعى ولبينته وذلك من بديهيات علم الاحكام وفى النوازل ، ويرجح ايضا جانب المدعى عليهم بخلو المدعين الرحمونيين من الكناش الاسماعيلى وهو العمدة فى هذا الشأن لبنائه على كمال الضبط والتنقيب وغاية التحرى بطرق شرعية قام بتحريرها العلماء الباحثون من كل ناحية بأمر من المولى اسماعيل السلطان الاعظم فخر الملوك الاشراف العلويين نور الله قبره ، وتصريح وزيره الاكبر النسابة الاكتب الحميدى بنفى خصوص نسب الرحمونيين فى كناشته ، ويوجد فى عداد المؤلفات المصنفة فى نسب العلميين بنفى ذلك النسب بالخصوص ، كما ألم بذلك الشريف العلامة النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان ، والحافظ المؤرخ مولاي عبد الحى الشريف الكتاتى فى فتواهما حيث أشير ، وبالجمله فيكفى فى سقوط هذا النسب المحدث عنه وجود هذه الاختلافات الكثيرة حسبما هو مشاهد لكل من وقف على تلك النازلة واحاط علما بكل ما راج فيها ، وموضوع الناس مصدقون فى انسابهم ما لم يثبت معارض ، وهو فى النازلة ثابت بيد المستفتين المدعى عليهم بل هو راجح والعمل بالراجح وتقديمه على المرجوح متعين عند المحدثين والاصوليين والفتهاء ، فلم يبق فى النازلة الا أن يصدر القاضى حكمه فيها بما هو الراجح ليريح بذلك ويستريح ، لان ارسابها فى ميدان الافتاء يدخلها فى حيز الاشكال والاحكام منوطة بالظاهر لقوله عليه الصلاة والسلام : ما أمرت أن أشق على قلوب الناس ولا على بطونهم . وفى الحديث ايضا فأقضى على نحو ما أسمع . واما الظهائر التى أدلى بها المدعون أخيرا المنتسخة بالمشار اعلاه ، اولها لعالم الملوك المولى سليمان ، وآخرها للسلطان العدل مولاي الحسن فيوهن الاحتجاج بها تأخر الادلاء بها بعد عامين من روجان الدعوى ولم يدع صاحبها غيبتها حتى يكون له عذر فى ذلك على القول بأن غيبة الرسوم عذر وايضا ففى الظهر الاول منها وهو السليمانى الاحالة على ظهائر متقدمة عليه ، فما بال المدعين لم يحضروا تلك الظهائر المحال عليها ، فيه مع خلو الكناش الاسماعيلى فقد تطرقت الريبة للاحتجاج بها ، وقد كاد المريب أن يقول حدوا لى هذا الذى ظهر لكاتبه والله المحيط بعلمه ه عبد ربه العباس بن أبى بكر بنانى وفقه الله . كانت وفاته رحمه

الله بتاريخ 9 رمضان عام 1392 هجرية 16 أكتوبر سنة 1972 ميلادية
ثم فتوى بالموافقة المصحوبة بنص الحجة من الكناش الاسماعيلي للشريف
العلامة نقيب الاشراف العلويين مولاى عبد الرحمن بن زيدان ونصها : الحمد
لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وجنده .

وبعد فغير خاف ما كان للسلطان الاعظم مولانا اسماعيل من الاهتمام
والاعتناء بضبط الانساب الشريفة المحمدية الطاهرة وحفظها والمبالغة في
صيانتها من الدخلاء وانه لما تبوا عرش الخلافة وجد امر الاشراف مختلا
وكادت الرعايا كلها تصير اشرافا ، فأصدر امره الشريف لاعيان الاشراف
وعلماء شرفاء جبل العلم وقضاته بسائر تلك القبائل الجبلية بتميز الاشراف
من اهل الدعاوى بكل قبيلة وقرية ، فقاموا بذلك أحسن قيام ، وأزالوا
عن وجوه الدخلاء اللثام ، ونزعوا من يد كل من وجدوه دخيلا كل ما بيده
من الرسوم المزورة وكتبوه في دفتر خاص ، ورفعوا كل من وجدوا نسبه
صريحا وكتبوه في دفتر خاص أيضا وتركوا له رسومه وظهائره ، واستمروا
في ذلك وطافوا على القبائل كلها وميزوا الاشراف من المتشرفة ، وأطلعوا
السلطان المذكور على ما أنتجه البحث والتنقيب على الوجه الشرعى في ذلك
فأصدر اوامره المطاعة بكتب ذلك في دفاتر سلم احدها للنقيب الاكبر العلامة
سيدي على بن عبد السلام بن عبد الوهاب الفرنيوى الذى كان بجبل العلم
فخدمت شعلة اهل الدعاوى الباطلة وانكسرت شوكة تنطعم طول أيامه ،
ولم يبق من ينتسب للجناب المحمدى بالزور والبهتان وصرح وزيره الاكبر أبو
عبد الله الحميدى في كئاشته بطرد من كانوا يدعون النسبة الطاهرة افكا
وزورا ، منهم اولاد الرحمونى المشار اليهم اعلاه حسبما في صحيفة 111
من الجزء الاول من الكئاشة المذكورة وفي صحيفة 262 منها أيضا بهذا
الرقم ، وبهذا وحده تنتفى دعوى الحيازة بدون منازع سيما وقد عززه ما
أوضحه أئمة العلم وحملة الشريعة المطهرة في فتاويهم اعلاه ، وبه يقول :
وعليه يوافق عبد ربه نقيب الاشراف العلويين : عبد الرحمن بن زيدان
دبر أمره ه .

الوثيقة التاسعة

وهي تتضمن شهادة عدلية بنفى نسب الرحامنة ونصها الحمد لله

الواضع شكله عقب تاريخه يعرف الاناس القاطنين بمدينة شفشاون وبمدشر غيروزيم حولها المدعوين الرحامنة الذين انتقلوا الى ما ذكر ايام الرواشد سنة 905 هجرية من قبيلة بقيوة من طائفة آيت رحمون حيث ان اصلهم من هناك المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهد بأنه لم يزل يسمع سماعا فاشيا مستفيضا على السنة اهل العدل وغيرهم انهم لا نسبة لهم قط الى النسبة الهاشمية العلمية التي شهرتها كافية في النواحي المغربية وغيرها كما يسمع كذلك نسبوا أولا للولى الصالح سيدي محمد الملهي وطرردوا ثم نسبوا للولى الصالح سيدي يونس لحفانده بنى رحمون المعلوم وطرردوا كذلك ثم نسبوا ثالثا لسيدي العافية بن سيدي محمد بن القطب مولانا عبد السلام بن مثنيش رضى الله عنه وان هذا العقب قد انقرض (1) منذ زمن طويل ما يزيد على المائة سنة سلفت من تاريخه وطرردوا ثم نسبوا رابعا لاولاد بن عبد الوهاب وطرردوا ثم نسبوا خامسا لاولاد سيدي علال ابن مولاي عبد السلام رضى الله عنه وطرردوا وانهم لا نسبة لهم لسيدي ابي بكر رضى الله عنه الذى هو تعدد كافة الشرفاء العلميين حسبها هو مثبتون في الدواوين التى الفت في النسب العلمى بقصد احصاء الافراد والفروع ، ورد كل واحد الى فرعه الخاص به حتى يتبينوا من غيرهم وكما سمع انهم لم يحوزوا الشرف قط وانهم مهما ادعوه فدعوتهم داحضة ، ولذلك طردوا عنه وقيدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها في عشرى شهر رمضان المعظم عام 1353 هجرية عبد ربه : الحسين بن محمد بن ريسون الحسنى العلمى آمنه الله بفضل آمين وعبد ربه : محمد بن محمد الحداد ، وعبد ربه : عبد الله بن الحاج عبد السلام وفقه الله ، وعبد ربه : على بن محمد لطف الله به آمين . وعبد ربه الوافى بن أحمد العسارى لطف الله به ، وعبد ربه : عبد السلام بن محمد شقور ، وعبد ربه : أحمد بن العلم شقور . وعبد ربه : المفضل بن محمد الكنفاوى وعبد ربه : عبد السلام بن محمد زروق ، وعبد ربه : على الورينى ، وعبد ربه : أحمد ابن الطاهر الطالبى لطف الله به آمين ، ونص الاداء :

(1) بل هذا الفرع غير موجود لانه ليس معرفا عند الاولين والآخرين ، وهذا الاسم لم يتسم به أحد من الدارسة العلميين لانه لعدوهم موسى بن ابي العافية وأول وجوده عند المؤرخين في مرآة الحاسن والظن انه مدسوس لغرض كهذا بحيلة أو بغيرها . المؤلف .

الحمد لله أدى العدول الاثنا عشر فقبلوا واعلم به نيابة عبد ربه تعالى محمد بن أحمد اقربيل لطف الله به آمين . وخطاب قاضي ناحية العرائش ، الحمد لله اعلم بأعمال خطاب نائب القاضي بنى عروس المرسوم اعلاه عبد ربه : العياشي اليملاحي لطف الله به ورعاه وخطاب وزير العدل الحمد لله اعلم بأعمال الاعمال اعلاه : محمد بن التهامي افيلال عفا الله عنه ونص الخاتم وزارة العدلية بالمنطقة الخليفة ، ووزارة العدلية الاسلامية ومن العجب انك تراهم بعد هذا كله يصرحون انهم مظلومون حيث منعوا من حقهم في النسب العلمى . رزقنا الله واياهم توبته وتوفيقه لهداية القرآن حتى يتحقق لنا السير وراء سيد المرسلين آمين والحمد لله رب العالمين .

خلال الشريف وأخلاقه

من أخلاق الشريف المنتسب لبيت النبي صلى الله عليه وسلم والتي ينظر اليه من خلالها جميع الناس كزاوية جامعة للاصل الكريم فان لم تتوفر لديه فلا يامن من أن يترتب على ذلك الريب في هذا الدين. وأخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومن أجل هذا يجب أن يعمل عليها ويتخلق بها ، ويحض عليها من لم يكونوا عليها كل من تحلى بالنسبة الشريفة لانهم في طاعة المومنين وتتخلص تلك الاخلاق في امثال ما جاء به القرآن والسنة المطهرة الشريفة ، وهى على قسمين : ايجابية وسلبية ، فالاجابية هى العلم بدينه ، والعمل بطاعة الله ورسوله ، وان يكون عفيفا مقداما جوادا كريما طاهر القلب متحليا في جميع احواله بالامانة ، والوفاء بالعهد ، والاخلاص في العمل ، محب النفع وتبليغه لعباد الله ، وان يكون متصفا بالزهد والورع ذا تقناعة بما قسم الله له ، متوكلا على الله في جميع شؤونه حلما صابرا محتسبا نزيها عما في ايدى الناس الا لضرورة نزلت به وان يكون محافظا على عرضه وعرض اهله غيورا على دينه وحرمته وصلا لرحمه سموحا مشروح القلب بالتسليم والتفويض الى اختيار مولاه على اختيار نفسه بصيرا بعيوبه ، كثيرا لذكر ربه وتلاوة قرآنه ان كان حافظا له ، وأما السلبية فهى اجتناب الكذب والغش والخديعة والكبر على المتواضعين ، والعجب بنفسه والحسد لغيره غير مغتاب ولا نمام ، غير عاق لوالديه ولا شاهد بزور ولا قائل ببهتان ولا قاذف بعرض المحصنات الغافلات

المومنات مجتنب للعمل بالسحر وقتل النفس بغير حق ، غير آكل للربا ومال اليتيم بعيد عن السرقة وقطع الطريق ، والغصب والتعدى وظلم الضعفاء وأهل الله ، ويستثنى من ذلك الانتصار لنفسه فانه مشروع ومعمول به للدفاع عن نفسه وكرامته ودينه لقوله تعالى : والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها « وقوله : ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله « وقوله : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم « ومنه حديث : من قتل دون نفسه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن السلبيات اجتناب الرياء في جميع الطاعات ، والطمع الحرام مثل القمار والربا واليनावيب بعيد عن الخمر وأهله ، وأن لا يكون محبا لأن يحمده بما لم يفعل وان لا يكون متملقا أو منافقا أو مداهنا ، وهو بذل الدين والعرض لجلب المصالح الدنيوية وعكسه المدارات وهي مشروعة لمن ابتلى بسفهاء الاحلام ، وان لا يكون متساخرا مستهزئا بأحد من خلق الله ، وأن لا يكون محبا للدنيا والرياسة فيها لأجل القدرة على التمتع بها ، وأعلى أصناف متاعها النساء . لقوله تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المتنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب .
آل عمران وهنا انتهى العمل المقصود من جمع هذا التاليف والحمد لله رب العالمين . وكتبه عبد ربه الطاهر بن عبد السلام بن عبد الوهاب اللهيوي الوهابى العروسى العلمى الادريسي الحسنى بتطوان بتاريخ 6 جمادى الاولى عام 1395 هجرية موافق 18 مايو سنة 1975 ميلادية . وبالله التوفيق

فهرس

الصفحة

3	تقديم
6	خطبة الكتاب
8	البيت المضرى المنعم
8	النسب النبوى المعظم
9	البيت القرشى المكرم
11	البيت النبوى الشريف بيت مكة
14	المرحلة الثانية بيت المدينة
21	مشاكل النساء والبيت النبوى
22	مشكلة التخيير
25	مشكلة الحجاب
27	مشكل التحدى والتظاهر
30	ترجمة على واهل البيت
30	من هو عبد مناف
31	مولد على رضى الله عنه
31	مناقبه كرم الله وجهه
33	زفاف فاطمة الزهراء الى بيت على
36	ترجمة فاطمة الزهراء رضى الله عنها
37	مناقب فاطمة الزهراء رضى الله عنها
38	البيت الاول لعلى رضى الله عنه

الصفحة

- 39 البيت الثانى لعلى رضى الله عنه
39 تربية الحسنين بين يدى النبو صلى الله عليه وسلم
41 سبب تسميتهما بالحسن والحسين
43 تولية على للخلافة الاسلامية
44 اول خطبة له
44 اول ما قام به على رضى الله عنه
46 الكوفة عاصمة الخلافة العلوية
55 اوصاف شخصية الامام على رضى الله عنه
55 ومن حكمه وآدابه رضى الله عنه
57 قضاء على
64 الحقوق المادية لاهل البيت
65 ما هى الغنيمة ؟
65 وصرف الخمس
66 اول من فرض العطاء فى الاسلام
68 رأى عمر فى بيت مال المسلمين
70 ظلمونا حقوقنا المادية والادبية
70 الحقوق الادبية
72 نصوص السنة الصحيحة
76 الحاسد الجاهل عدو نفسه
78 انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة
79 الخليفة عمر يتزوج ام كلثوم
82 نسب ولد البنت لابيها من خصوصياته صلى الله عليه وسلم
92 ترجمة الحسن السبط
92 حبه فى الله

الصفحة

92	كرمه وسخاؤه
93	حلمه ومجده
93	ومن دعائه رضى الله عنه
94	ومن مناقبه انه كان مطلقا للنساء
94	خلافة الامام الحسن
96	تنازل الامام الحسن لمعاوية
97	الامام الحسن السياسى العظيم
99	مناظرة بين الامام الحسن ومناوئيه
110	بيت الامام الحسن رضى الله عنه
111	حادثة قتل الامام الحسن
116	مصير الحسين بعد أخيه الحسن
117	نهاية الامام الحسين
121	الحسين يخالف نصحاءه
122	آخر مشهد الحسين (رض)
122	خوض المعركة الشرقية الحاسمة
127	انتقام الله العاجل لاهبائه واوليائه
131	قتل عبيد الله بن زياد
134	بيت على من السبطين له جناحان
134	الاثمة الاثنا عشرية
137	ابوجعفر محمد الباقر
138	جعفر الصادق
140	موسى الكاظم
141	على الرضى
145	محمد الجواد

الصفحة

- 147 على الهادي العسكري
- 148 الحسن الخالص العسكري
- 150 الإمام محمد الحجة
- 150 الشيعة والتشييع لاهل البيت
- 156 رحب آل البيت شعبة من الايمان
- 159 رترغيب الشارع في حب آل البيت
- 167 سياسة المكر والخداع ليست من دين الله
- 173 المراد بالآل في الاحاديث الواردة فيهم
- 175 أدب المواساة والوصلة مع الشريف
- 191 شرعت الصلاة عليهم تبعا للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
- 196 واجب أهل البيت في انفسهم
- 200 لعن الله الداخل فينا بلا نسب
- 211 توقير أهل البيت وقمار له عليه السلام
- 216 الزهد والورع خلقان لدار النبوة
- 226 افترق أهل العلم في أهل البيت على ثلاث فرق
- 230 بيت الحسن المثنى
- 230 بيت عبد الله الكامل
- 230 بيت عبد الله الكامل ورأى الأمة في الخلافة
- 235 محنة أبناء عبد الله الكامل وأبناء عمهم بنى الحسن
- 239 تبادل الرسائل
- 245 ترجمة مولانا عبد الله الكامل
- 246 ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث
- 249 خروج يحيى بن عبد الله الكامل ببلاد الديلم
- 252 ادريس بن عبد الله الكامل في المغرب

الصفحة

252	قصة فرار الامام ادريس الى المغرب
254	الامام ادريس يقيم دولة بالمغرب
258	البيعة وولاية العهد
261	سرد ترتيب الخلفاء العباسيين
268	ملخص دولة العباسيين
268	ميزان القوة فيها
271	ملخص الاعمار التي مرت بالدولة العباسية
271	ترجمة ادريس الثانى فى المغرب
274	بناء مدينة فاس
274	دعاء المولى ادريس عند الشروع فى البناء
275	بيت الامام ادريس الثانى
276	ترجمة الامام محمد بن ادريس الثانى
276	ترجمة الامام على حيدرة
277	العواصف التى مرت بالادارسة
278	استيلاء العبيديين على المغرب الاقصى
280	موسى بن ابي العافية عدو الادارسة
283	ترجمة عبيد الله الشيعى
285	قلعة حجر النسر معقل الادارسة
288	ترجمة الامام الحسن بن كنون
296	سبب تسمية القبيلة ببني عروس
300	ترجمة ابي بكر الجد الجامع لنسب العلميين
300	بيت الولى الصالح سيدنا ابي بكر
301	البيت المشيشى
302	بيت الشيخ الجامع مولانا عبد السلام

الصفحة

- 304 الزوجة المصونة سيدتنا خديجة اليونسية
- 304 زواج السيدة فاطمة بنت القطب مولانا عبد السلام
- 306 بيت سيدنا محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام
- 306 بيت ابنه سيدنا عبد الكريم
- 307 بيت سيدنا عبد الوهاب الاكبر
- 308 بيت سيدنا عيسى بن عبد الوهاب الاصفر
- 308 ترجمة سيدنا عمر بن عيسى المذكور
- 310 بيت سيدنا عمر بن عيسى
- 310 بيت سيدنا محمد بن عمر
- 311 بيت سيدى محمد
- 311 بيت سيدى احمد
- 311 بيت سيدى التهامى
- 311 بيت سيدى الطاهر
- 313 بيت سيدى محمد بن عمر
- 314 بيت عم المكى بن عبد الوهاب بتطوان
- 315 بيت الولى الصالح سيدى احمد بن عمر
- 315 اولاد اللهوى
- 317 احصاء اولاد اللهوى الاصليين
- 321 اولاد ابو العلميين
- 321 اولاد الفاسى العلميون
- 322 اولاد بن عبد الوهاب العمريون
- 324 اولاد سيدنا احمد بن عيسى المذكور
- 325 الشرفاء المنوفيون اهل مكة والمدينة
- 326 بيت ابراهيم بن عيسى المذكور

الصفحة

- 326 أولاد الطالب
327 أولاد بن قاسم
327 أولاد الصيد
328 أولاد الحويك
329 أولاد أبخوث بن ابراهيم
331 أولاد يوسف بن عبد الوهاب الاصغر
333 أولاد محمد (بالفتح) بن عبد الوهاب
333 قرية أفرنو السفلى معقل أولاد بن عبد الوهاب
337 بيت سيدنا عبد الواحد بن عبد الكريم
339 أولاد الجبيلي
339 أولاد الخراز نسبا لا حرفة
341 أولاد مروان
342 أولاد الشعيل
342 أولاد القصرى
343 المجاهديون أهل قرية طردان
344 العلالقيون
344 المقدميون
344 أولاد أحمد ومنهم بن جيد
345 أولاد على ومنهم أعبيدو
345 أولاد عيسى
347 بيت سيدنا « أحمد » بن الشيخ مولانا عبد السلام
349 بيت سيدنا « على » المدعو علال
353 بيت سيدنا عبد الصمد بن الشيخ مولانا عبد السلام
353 أولاد ادريس بن حمو

الصفحة

- 353 ومن اولاده اولاد الثنتوف
354 اولاد عمر بن ابراهيم الثنتوف
354 اولاد السيد على بن ابراهيم
356 بيت سيدنا الحاج موسى الرضى بن مئيش
356 اولاد شقور
357 اولاد عبد الله الولانتيون
358 اولاد بن يحيى
359 اولاد سى الحسن الفقيه
359 اولاد كرمون
359 اولاد الواث حمدونيون
361 اولاد الحوات
362 اولاد الحراق
364 اولاد عبد الله الحراق
364 اولاد على الحراق
365 اولاد ابراهيم الحراق
366 اولاد العسارى
367 بيت سيدنا يملاح بن مئيش
368 بيت سيدنا محمد بن يملاح
368 الوزانيون
369 اولاد حمدان
369 اولاد المودن اليملاحيون
369 اولاد الصغيرين
371 اولاد ابن عمر اليملاحيون
373 بيت سيدنا يونس بن ابي بكر

الصفحة

- 374 أولاد سيدنا عبد الله بن سيدنا يونس
- 374 أولاد ابن ريسون
- 375 أولاد مرسو
- 375 أولاد المودن اليونسيون
- 376 أولاد ابن رحمون
- 377 بيت سيدنا على بن أبى بكر
- 378 أولاد اخريف
- 378 أولاد معلى
- 378 أولاد زروق
- 378 بيت سيدنا أحمد بن أبى بكر
- 379 ومن أولاده أولاد أحمد
- 380 بيت سيدنا محمد الملهى (فتحا) بن أبى بكر
- فتوى العلامة الحاج أحمد الرهونى التطوانى فى الزجر عن بعض
- 381 آل البيت
- 383 مهيع الوصول لربط الفروع بالاصول
- 388 احصاء القرى الموجودة فى قبيلتى بنى عروس وسماتة
- 391 الشيخ الغزوانى مؤسس زيارة القطب مولانا عبد السلام
- 392 مناقب الشيخ مولانا عبد السلام
- 393 الفاظ الصلاة المشيشية
- 393 شرح الصلاة المشيشية
- 409 مناقب ستة تتعلق بالشيخ رحمه الله
- 412 نبذة من كلامه مع تلميذه
- 413 تفسير الشيخ أبى الحسن لكلام شيخه
- 417 ولادة الشيخ مولانا عبد السلام

الصفحة

418	دراسته القرآنية والعلمية
420	طريقته ومثائحه في المعرفة بربه
421	مسكنه وحياته
422	وفاته شهيدا
423	سبب قتله رضى الله عنه
424	ابن أبى الطواجن ومؤامرتة الدنيئة
425	تنفيذ الجريمة
428	قض مضجع اللعين
429	حدوث عادة جاهلية
430	الشهادة وأنواع الشهداء
435	ترجمة الشيخ أبى الحسن الشاذلى
437	انتقال سر ابن مشيش
438	أول لقاء بين الشيخين
440	آداب زيارة الضريح الشريف
442	الدعاء الوارد فى القرآن والسنة
449	أهل الاجابة السريعة
451	قصة عجيبة فى الاجابة المنعكسة
453	أشرف أماكن الدعاء المساجد
454	أوقات استجابة الدعاء
455	ملحق بأدعية القرآن والسنة
457	تتعلق بالزائر ثلاثة حقوق
459	مبتدعات غلاة الصوفية
460	ما هو حرام فى حق الزائر المسلم
461	المتصوفون فى الكون هم الملائكة

الصفحة

- 464 وما بكم من نعمة فمن الله
- 465 ما يهدى من الثواب للاموات فهو واصل اليهم
- 468 في زيارة ابن مشيش بركة ظاهرة
- 473 زيارة القبور راجعة الى صنفين
- 479 زيارة القبور بلا حد
- 481 الاصل في دفن الموتى عند مشاهير الاولياء
- 483 احكام البناء على القبور والجلوس عليها
- 486 الشفاعة لها مفهومان مختلفان
- 494 هدايا الحيوان المذبوح عند أضرحة الاولياء
- 497 الولاية والاولياء ومن هو الولي
- 501 والولي نوعان مجذوب وسالك
- 504 اصناف الاولياء
- 506 كرامات الاولياء حق
- 510 ثورة القرآن على الشرك والعقائد الفاسدة
- 519 فتوى العلامة شيخ الجامع الازهر
- 540 حق الاستغاثة
- 541 حق الاستعاذة
- 543 تعظيم النبي (ص) في ثلاثة اشياء
- 547 أعداء المسلم هم أعداء عقيدته
- 549 انتهى عقل المعتلاء في وحدانية الله الى الحيرة
- 554 حزب الفلاح للامام الجزولسى
- 555 المسبعات العشر
- 556 المعشرات التسع

الصفحة

556	الحزب الكبير للشيخ أبى الحسن الشاذلى
561	سلسلة من الوثائق الشرعية فى مسائل مختلفة
580	قضية الرحامنة المهولة عبر أربعة قرون
592	خلال الشريف وأخلاقه

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء